**الجمهوريـــــــة الجزائريـــــــــة الديمقراطيـــــــة الشعبيـــــة**

**وزارة التعليم العالي والبحث العلمي**

**جـــــــــــامعة ابـــــن خـــلدون – تيـــــــــارت –**

**كليـــــة العلـــوم الإنسانيـــــــة والعلـــــــوم الإجتماعيـــة**

**قسم التاريخ**

# الصراع السياسي والعسكري في البحر الأبيض المتوسط بين الجزائر والقوى الأوروبية خلال القرنين ( 17 – 18 م )

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

**إعداد الطالبين :**

ربوح حكيمة

بوعمرة لجيلالي **إشراف الأستاذ :** بكاري عبد

القا

**اللجنة المناقشة**

**أ / بن حادة مصطفى..... قسم العلوم الإنسانية ..... رئيسا**

**أ / بكاري عبد القادر.....قسم العلوم الإنسانية .....مشرفا ومقررا**

**أ / بو سلامة محمد .....قسم العلوم الإنسانية .....مناقشا**

**2016 – 2017 م / 1437 – 1438 هـ**

# إهداء

**بســـــــــــــــم الله الرحمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــان**

**الرحيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــم**

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه سبحانك لا نحصي الثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، فلا حصرا لنعمتك ،ولا حدود لفضلك، الحمد لله الذي أنار لنا دروب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب.

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقهما

إلى من لا يمكن للأرقام أن تحصي فضائلهما

إلى **والدي العزيزين** أطال الله بقاءهما، وألبسهما ثوب الصحة والعافية، ومتعني ببرهما ورد جميلهما.

إلى كل الأصدقاء والأحباب من دون استثناء ... إلى كل من سقط من قلمي سهوا ... أهدي هذا العمل .

**بوعمرة جيلالي**

# إهداء

**بســـــــــــــــــم الله الرحمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــان**

**الرحيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــم**

**(( قُل إِعمَلوا فَسَيَرَى الله عَمَلَكُمْ وَرَسُوله وَالمؤُمنون ))**

إلاهي... لايطيب الليل إلا بشكرك... ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ... ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ... ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ... ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك

**" لله جلى وعلى "**

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ... إلى نبي الرحمة ونور العالمين

**" سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم "**

إلى التي رسمت بحنانها طريقي ولا تزال ... وكللت بدعائها سماء حياتي ولا تزال إلى الدرة الكامنة في قلبي **" أمـــــي "**

إلى الذي سعى في تربيتي جاهدا صابرا في كسب العيش ، حتى يمكنني من التفرغ للطلب العلم إلى **" روح أبي الطاهر "**

إلى كل الأصدقاء والأحباب من دون استثناء ... إلى أساتذتي الكرام وكل رفقاء الدراسة ... إلى كل من سقط من قلمي سهوا ... أهدي هذا العمل .

**ربوح حكيمة**

# شكر وتقدير

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة ، وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى انجاز هذا العمل

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على انجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهناه من صعوبات ، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف **" بكاري عبد القادر "** الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام هذا البحث

وشكر موصول إلى أعضاء اللجنة المناقشة التي تحملت عناء قراءة هذا البحث بطول بال وجميل صبر ...

الأستاذ : **بن صحراوي كمال**

الأستاذ : **بن خدة مصطفى**

كما نتقدم بالشكر إلى عمال مكتبة جامعة ابن خلدون _ تيارت _ على المساعدة التي قدموها لنا طيلة مشوار انجاز هذا البحث.

وفي الأخير أرجو من الله تعالى أن يجعل عملنا هذا نفعا يستفيد منه جميع الطلبة المقبلين على التخرج .

# مقدمة

**التعريف بالموضوع و أهميته :**

كان للتواجد العثماني في الجزائر دورا هاما في بروز معالم الحيز الجغرافي للدولة الجزائرية الحديثة التي ظهرت بتنظيم جديد أكثر قوة و فاعلية ، أين تحكمت في ظهورها عديد العوامل السياسية و الدينية الناجمة عن الرغبة الشديدة في توحيد العالم الإسلامي .و إحياء مجد الخلافة الإسلامية ،و حماية جناح مهم من أجنحة هذه الأمة و هي بلاد المغرب الإسلامي المهددة بالتنصير القسري مثلما حدث ببلاد الأندلس ،فكان للالتحاق بالخلافة العثمانية عام 1518م إيذانا على ميلاد دولة كان لها شأن عظيم في الحوض الغربي من البحر المتوسط ، و اكتسبت من الهيبة و السيادة ما أهلها لأن تحتل مكانة عالمية مرموقة .

بعد استكمال الدولة الجزائرية بناءها المؤسساتي كدولة كاملة السيادة و تحقيق الوحدة السياسية و الإقليمية ، بدأ دورها الحضاري في البروز كقوة فاعلة في البحر المتوسط ،ساعدها في ذلك قوة أسطولها البحري الذي شكل أهم مظاهر سيادتها ،ما أدى بالدول الأوروبية إلى الإسراع في إقامة علاقات دبلوماسية و تجارية مع الجزائر، و دفع ضرائب و هدايا معتبرة مقابل حماية مصالحها و سفنها التجارية من خطر القرصنة التي استفحل نشاطها بالبحر ،إلا أن هذا التفوق العسكري البحري للايالة جعلها مستهدفة من طرف القوى الأوروبية، أين ناصبت لها العداء و عملت دون هوادة من أجل كسر شوكتها و تقليص دورها و مكانتها بالبحر ، و في هذا السياق بالتحديد تندرج دراستنا الموسومة ب: « الصراع السياسي و العسكري بين الجزائر و الدول الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط خلال القرنين 17 و 18م » .

من أجل تسليط الضوء على هته الفترة الحساسة من تاريخ الجزائر الحديث و تحسس مدى الخطورة التي كانت فيها الجزائر وسط دول تسعى كلها من أجل التسيد و الهيمنة ،

و كمحاولة منا أيضا لفهم حيثيات هذا الصراع و كذا معرفة الأطراف الفاعلة فيه ،و مدى إسهامها في صياغة أحداثه و كيف تمكنت في نهاية المطاف من الإطاحة بدولة عمرت قرابة ثلاث قرون من الزمن.

**الهدف من البحث :**

- أن موضوع الصراع السياسي و العسكري مقترن بمكانة و هيبة الدولة الجزائرية ،لذلك دفعتنا الرغبة على أن نطلع على عوامل اكتساب هذه المكانة و كذا عوامل فقدانها.
- أن موضوع الصراع السياسي و العسكري بين الجزائر و الدول الاوروبية مقترن أيضا و بشكل وثيق بما حل بالجزائر ، و نعني بذلك الاحتلال الفرنسي عام 1830م.

كان الهدف من وراء هذه الدراسة هو الخوض في غمار هذا الصراع السياسي و العسكري ،و معرفة حيثياته و وقائعه و تطوراته و انعكاساته ،و ذلك لفهم مسار العلاقات الدولية في تلك الحقبة ،و كذا معرفة المعطيات التي قلبت موازين القوى و جعلت من أوروبا سيدة القرار.

**الإطار الزماني و المكاني للموضوع :**

يعالج الموضوع الصراع السياسي و العسكري بين الجزائر و الدول الأوروبية في البحر المتوسط خلال القرنين 17 و 18 م. و هي من أهم الفترات التاريخية في عمر الدولة الجزائرية .أما الإطار المكاني فهو الجزائر بالضفة الجنوبية للبحر المتوسط في مقابل أوروبا في الضفة الشمالية منه ،و قادنا هذا الموضوع لأن نطرح الإشكال التالي :

**فيما تمثلت دوافع الصراع السياسي و العسكري بين إيالة الجزائر و القوى الأوروبية ؟** و للإجابة على هذه الإشكالية قمنا بطرح مجموعة من التساؤلات الفرعية التي عالجناها في

كل فصل من فصول هذه الدراسة المتواضعة و هي كالتالي : **فيما تكمن الأهمية الجيو سياسية و الاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط ؟ و ما هي الركائز التي استندت عليها الدولة العثمانية لتظهر كقوة فاعلة في البحر الأبيض المتوسط ؟ و ما مدى إسهامات الإخوة بربروس في إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية ؟ و بما اتسمت العلاقات الجزائر الخارجية ؟ هل كان للصراع السياسي و العسكري للجزائر تدعيات على المستوى الداخلي والدولي ؟ و ما هي الدوافع الحقيقية لإنشاء تحالفات و عقد مؤتمرات أروبية ( فينا - اكس لاشابيل ) ؟ و هل أثرت قرارات هذه المؤتمرات على مستقبل الدولة الجزائرية ؟ و هل مثلت الحملة الفرنسية على الجزائر أخر فصول هذا الصراع ؟.**

**منهج البحث :**

و قد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي الوصفي ، الضروري لسرد الأحداث وفق تسلسلها الزماني و المكاني ، و الوقوف على جوانب هذا الصراع و تداعياته ،و كذا المنهج التحليلي في بعض الأحيان في الوقوف عند بعض الأحداث .

أما فيما يخص الدراسات السابقة في الموضوع فنقول ، أن الموضوع قد تعرضت له عديد المراجع و المصادر التي قدمت دراسة وافية عن عدة جوانب منه . مثل مخطوط الزهرة النائرة لابن رقية التلمساني ، و كذا تحفة الزائر لمحمد بن عبد القادر الجزائري ، و التحفة المرضية لابن ميمون ، و مذكرات الشريف الزهار ،و وليام شالر ، أما المراجع فعديدة أهمها كتب يحي بوعزيز تاريخ الجزائر الحديث .و كتاب علاقات الخارجية للجزائر مع دول و ممالك أوروبا .

أما الرسائل الجامعية فنذكر على سبيل المثال : مذكرة محمد بن سعيدان بعنوان علاقات الجزائر مع فرنسا ،و التي تحدث فيها عن جانب من جوانب الموضوع خاصة فيما يتعلق

بالحملات الفرنسية على الجزائر، ومذكرة الأستاذ رشيد مريخي بعنوان الجزائر في عهد الداي مصطفي باشا، أين خصص فصلا مرتبطا بالموضوع و هو السياسة الخارجية في عهد الداي مصطفى باشا.

و للإلمام بالموضوع اتبعنا الخطة التالية التي تضمنت مقدمة و فصل تمهيدي و ثلاث فصول رئيسية متبوعة ببعض الملاحق ثم خاتمة نهائية تضمنت مجموعة من الاستنتاجات المقتبسة من العمل المقدم و قد كانت الخطة بالشكل التالي :

**الفصل التمهيدي** :كان عبارة عن مدخل للموضوع و يتحدث عن الأهمية الجغرافية و التاريخية و الحضارية و الاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط ثم الفصل الأول ، و الذي يعالج في مضمونه العام : الدولة العثمانية و البحر الأبيض المتوسط ، و قد احتوى على ثلاثة مباحث تطرقنا في المبحث الأول بنشأة الدولة العثمانية كقوة فاعلة بالبحر المتوسط .أما المبحث الثاني تناولنا فيه ظهور الأخوة بربروس .و جاء المبحث الثالث ليتحدث عن التحاق الجزائر بالخلافة العثمانية .

**الفصل الثاني** فكان بعنوان العلاقات الخارجية و الصراعات الإقليمية للجزائر خلال القرنين 17 و18 و تضمن أربع مباحث عالجت أهم المسائل السياسية و الصراعات العسكرية بين الجزائر و الدول الأوروبية من جهة و الجزائر و الدول المغاربية من جهة أخرى .فتحدث المبحث الأول عن العلاقات الجزائرية الفرنسية و المبحث الثاني عن العلاقات الجزائرية البريطانية ،و المبحث الثالث عن العلاقات الجزائرية الأمريكية ، أما المبحث الرابع و الأخير عن الصراع الجزائري المغاربي مع تونس و المغرب الأقصى .أما الفصل الأخير فكان بعنوان تداعيات الصراع السياسي و العسكري على الجزائر و الذي اندرج ضمنه أربع مباحث ، المبحث الأول تحت عنوان الاضطرابات السياسية و الازمات الداخلية ،و الذي يتطرق إلى الأوضاع السياسية الداخلية و نشوب تمردات ضد

السلطة كثورة درقاوة و ابن الأحرش ، و المبحث الثاني بعنوان الجزائر في المؤتمرات الاروبية (فينا –اكس لاشابيل) ثم المبحث الثالث و المتضمن أهم الحملات الناجمة عن هذين المؤتمرين إلى غاية الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830م و في النهاية ختمنا بحثنا بخاتمة تضمنت عدة استنتاجات و التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة.

**نقد المصادر و المراجع :**

**المؤلفات المخطوطة :**

- مخطوط الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغار عليها جنود الكفرة، لمحمد بن عبد الرحمان بن رقية الجديري التلمساني الذي عاش في القرن الثامن عشر ميلادي ،و هو يتناول المغرب الاوسط منذ ظهور الإخوة بربروس إلى غاية انتصار الجزائر على قوات التحالف الأروبي 1541م، نشره سليم بابا عمر في مجلة تاريخ و حضارة المغرب العدد الثالث سنة 1967م ـــ.أفادنا في ذكر الحملات التي شنها الأوروبيون على مدينة الجزائر.

مخطوط رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمان التنلاني لسيدي عبد الرحمان بن إدريس بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني ، و هو من أبرز علماء الإقليم التواتي خلال القرن الثاني عشر الهجري . ولد سنة 1181 هـــ و توفي 1233ه و هذا المخطوط من أقدم وأندر مخطوطة في موضوع الحملة الإنجلزية الهولندية على مدينة الجزائر1231ه/1816م وأول شهادة عربية عينية حول الواقعة و هو المقال منشور للكاتب أحمد جعفري في مجلة " تراث" العدد 131 أغسطس 2010 .و الذي أفادنا في وصف الحملة الانجليزية الهولندية على مدينة الجزائر.

**مصادر عربية و معربة :**

- **مذكرات احمد شريف الزهار :** نقيب أشراف مدينة الجزائر ، الذي يعود تأليفه إلى القرن التاسع عشر ميلادي ، أفادني فيما يخص الحملات التي شنتها فرنسا على الجزائر خلال القرن الثامن عشر.

- **مجهول :** غزوات عروج و خير الدين و الذي صححها نور الدين عبد القادر ،فقد خصص هذا الكتاب لسرد أعمال الاخوة بربروس ،كما تطرق إلى الحملات العسكرية التي قام بها الاسبان على مدينة الجزائر في السنوات الأولى من إلتحاقها بالخلافة العثمانية.

- **مذكرات وليام شالر :** القنصل الأمريكي بالجزائر و الذي قام إسماعيل العربي بترجمته إلى العربية ،و الذي يضم شهادات و حقائق حية حول العلاقات الجزائرية الأوروبية ،و حول الحملات الاوروبية التي كانت من الفينة إلى أخرى .

- **مذكرات أسير الداي كاثكارت :** قنصل أمريكا في المغرب و الذي ترجمه اسماعيل العربي و يعود تأليفه إلى القرن الثامن عشر ميلادي ،و يشمل هذا الكتاب حياة و تجارب التي عاشها كاثكارت كما أفادنا في العلاقات الامريكية الجزائرية .

**مصادر أجنبية :**

- Fray Diego de Haedo: Topographie. et Histoire d'Alger ،la vie a Alger au xvi siècle ،trad et notes A .Berbrugger ،éd gronde Alger ،2004.

يعتبر هذا الكتاب في غاية الأهمية لهايدو الذي وقع أسيرا في مدينة الجزائر سنة 1578م إلى غاية 1581م و الذي أفادنا في في وصف الحملات الاسبانية على السواحل الجزائرية .

- De Grammont: Histoire d'Alger Sous La domination Turque1515 – 1830 ،paris،1887.

و الذي يتناول تاريخ الجزائر منذ مطلع القرن السادس عشر إلى غاية الاحتلال الفرنسي و الذي اعتمدنا عليه في عدة محطات أهمها التعرف على العلاقات الجزائرية الخارجية.

**المراجع العربية :**

كثيرة هي المراجع المعتمدة في هذه الدراسة و لعل أهمها:

- **عزيز سامح التر** : الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا ،و الذي عربه محمود علي عامر أفادنا بشكل كبير لأنه يؤرخ للتواجد العثماني و يركز كثيرا عن الجزائر، و أوضاعها السياسية و علاقاتها الخارجية .
- **عائشة غطاس** : الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها و الذي أفادنا في معرفة نشأت الدولة الجزائرية الحديثة و الغرات الاسبانية التي تعرضت لها .
- **يحي بوعزيز** ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول و مماليك أروبا و يتحدث بشكل مباشر عن علاقات الجزائر بالدول الأورو متوسطية و غيرها من الحملات العسكرية الأروبية ضد مدينة الجزائر.
- **مولود قاسم نايت بلقاسم** : شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل 1830م و الذي أفادنا في معرفة العلاقات الجزائرية الخارجية خاصة البريطانية و التكتلات الأوروبية ضدها .

- **صعوبات البحث :**

لا يكاد أي عمل يخلو من وجود صعوبات تعترضه و لعل أهم الصعوبات التي إعترضتنا هي:

- كثرة المادة العلمية و صعوبة التحكم بها
- ضيق الوقت للإحاطة الكافية بالموضوع.

# فصل تمهيدي

تعد البحار إحدى أهم المظاهر التضاريسية المشكلة لسطح الأرض ، فعلى ضفافها ظهرت أعظم الحضارات ونمت أرقى المدنيات ، وتطلع الإنسان منذ القدم بنباهته إلى ما للبحر من عظيم النفع ، والفائدة فجعل منه منبعا للحضارة ومقوما للاقتصاد وركيزة للتواصل والتعارف ، وقبل أن نبينّ أهمية هذا المسطح المائي وجب علينا أن نتعرف على البحر كمفهوم عام تقوم عليه هذه الدراسة المتواضعة .

فالبحر كمصطلح علمي هو مسطح مائي يختلف عن المحيط في عدّة جوانب من حيث السعة والمساحة والعمق ودرجة الملوحة وغيرها من الخصائص ، ويتخذ هذا الأخير عدّة أشكال وأصناف ، فهنالك البحار المفتوحة التي تتصل مباشرة بالمحيطات دون أي حاجز أو فاصل وهناك بحار شبه مغلقة تتصل بالمحيط عن طريق فتحات تعرف بالمضايق المائية مثل البحر الأبيض المتوسط ، وهناك نوع ثالث وهي البحار المغلقة التي تحيط بها اليابسة من كل جانب كالبحر الأسود . [1]

والبحر في طبيعتة إمتداد لليابسة ، فالاثنان معا يشكلان عالم الإنسان على هذا الكوكب وهما وإن اختلفا في طبيعة التكوين والأدوار ، إلا أنهما متكاملان من حيث تقديم الخدمة للإنسان وتحقيق أهدافه وغاياته ، بالبرغم مما تبدوا عليه هذه البحار ظاهريا من أنها أداة فصل بين اليابسة هنا وهنالك ، إلا أنها في الحقيقة أداة وصل لا فصل وهي ليست حواجز وإنما معابر صالحة لمن وفرّ لنفسه وسائل العبور والانتقال [2] ،وقد بينّ المولى عزوجل قيمة البحر للإنسان وما باستطاعته أن يقدم من خدمات جليلة ، قال تعالى

---

([1]) طلعت أحمد محمد عبده ، حوري محمد حسين جاد الله ، جغرافية البحار والمحيطات ، ط2 ، دار المعرفة الجامعية ، ص : 33 .

([2]) أرشيبالد . ر . لويس ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ( 500 ه / 1100 م ) ، تح : أحمد محمد عيسى ، مر : محمد شفيق غربال ، مؤسسة فرانكلين للطباعة ، القاهرة ، ص : 14 .

: (( و هو الذي سخرّ البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلّكم تشكرون )) [3] ، وعليه أدرك الإنسان دور البحر فربط حضارته به وأنشأ مدنيته عليه وتحصل على رزقه منه ، ومازالت علاقته به قائمة وستبقى إلى قيام الساعة ، ولعل أهم هذه البحار ما تعلق بدراستنا وهو البحر الأبيض المتوسط .

يعد البحر الأبيض المتوسط من أهم البحار ، فقد كان منذ أمد بعيد وسيلة فعّالة هيات لنشر الحضارات وأفسح المجال للاتصال وتبادل الثقافات [4]، وهو غني عن التعريف فشهرته لاتضاهيها شهرة أي بحر داخلي على الإطلاق ، وهو معروف لدى الأوائل من الشعوب التي عاشت على ضفافه ، لذا نلمح عنه تغير أسمائه عبر العصور فسماه المصريون القدامى بالبحر الأعلى ، وورد إسمه في الإنجيل باسم البحر الفلسطيني ، وسماه هيرودوتس بالبحر الكبير أما أفلاطون فسّماه بالبحر الهليني ، وأما التسمية اللاتينية التي أصطلحت عليه هي بحر الروم وكذا سماه العرب، وأطلق عليه الرومان إسم بحرنا ،وسماه الأتراك بالبحر الأبيض ، نظرا لزبده الأبيض ، إلى أن أصبح يعرف بالبحر الأبيض المتوسط [5] .

إنّ موقعه الجغرافي الممتاز ومجموعاته الجزرية المتناثرة في أرجاء العالم القديم [6] قد أكسبته أهمية إستراتجية كبيرة ، فكان محط عناية لدى الجغرافيين الذين خصّوه بالدراسة دون غيره من البحار ، فقد وقع ذكره في جلّ المصادر الجغرافية القديمة وبخاصة العربية منها ، أين حظي هذا البحر بالإهتمام البالغ من طرف الجغرافيين العرب وملاحيهم ،

---

([3]) سورة النحل ، الآية 14 .

([4]) الهادي مصطفى أبو لقمة ، محمد علي الأعور ، الجغرافيا البحرية ، ص : 167 .

([5]) المرجع نفسه ، ص : 167 .

([6]) محمد إبراهيم حسن ، دراسات في جغرافية أوروبا وحوض البحر المتوسط ، مركز الاسكندرية للكتاب ، القاهرة ، 1999 م ، ص : 209

فكانت معلوماتهم التي أوردوها عنه دقيقة على وجه العموم [7] في تحديد أبعاده ومقاييسه و مايحتويه من جزر وخلجان [8] .

إنّ ما قيده الجغرافيون العرب عن هذا البحر كثيرة، وتكاد أوصافهم له تتطابق ولعل الأمر يطول إذا ذكرنا ماكتبه هؤلاء ، ولذلك سنكتفي بذكر نموذج أو اثنين ممّا كتبوه فقط لتتبين المطابقة بينهما وبين الدراسات الحديثة التي حددت أبعاده ومعالمه . يقول ابن حوقل في كتابه صورة الأرض : " أنه خليج من البحر المحيط _ يقصد به المحيط الأطلسي _ عليه أكثر هذه الديار وقد أتيت به على التقريب لا على الحقيقة ، إذ بعضه أشبه بالدائرة المحددة ومخرجه بين أرض الأندلس وأرض طنجة وسبتة وهذه الناحية محاذية من الأندلس لجزيرة جبل طارق واشبيلية ، وعرض هذا المخرج نحو 12 ميلا أي حوالي 12.5 كلم ثم لا يزال يتسع ، ويمتد على سواحل المغرب ، ومما يلي شرقي هذا البحر حتى ينتهي إلى أقاصي أرض مصر ممتدا منها إلى الشام ، وتنعطف إلى بلدان الروم من جبال إقليمية إلى أنطاكية ، ثم يصير إلى خليج القسطنطينية ويمضي على سواحل أثيناس إلى افرنجة ورومية ويصير البحر حينئذ جنوبيا لأرض الإفرنج إلى أن يتصل بطرطوشة من أرض الأندلس " [9] .

ومن خلال تتبع وقراءة خريطة العالم السياسية يتبين لنا أن الأبعاد التي حددها ابن حوقل لهذا البحر ، تتطابق بصفة شبه دقيقة مع الأبعاد الجيو سياسية الحديثة للبحر المتوسط ، وليس ابن حوقل وحده من وفق في رسم معالم هذا البحر ، فكذا ابن الوردي

---

([7]) أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا ، تر : اسماعيل العربي ، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982م ، ص : 57 .

([8]) جمال الفندي ، الجغرافيا عند المسلمين ، تر : إبراهيم خورشيد و عبد الحميد يونس وحسن عثمان ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 م ، ص : 159.

([9]) ابن حوقل ابي القاسم النصيبي ، صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1992 ، ص : 174.

في كتابه خريدة العجائب ، أين بين حدوده الشمالية والجنوبية [10] والزهري الذي أضاف إلى وصفه عبارة مهمة تظهر مدى الأهمية التي يكتسيها البحر الأبيض المتوسط فقال : " ... ليس في معمور أكثر عمارة من هذا البحر "وذلك أنه معمور الجانبين يكاد الناس يتعاطون السراج عليه في الضفتين لكثرة المسكن [11] .

أما حديثا ونظرا لما آلت إليه المدينة من تطور وازدهار ، فلم يعد هناك مجال للفرضيات فقد صور الجغرافيون أبعاده وحدوده بدقة كبيرة وساعدت الخريطة في اظهاره على شكله المرسوم مما سمح باستخلاص تعاريف واضحة لهذا البحر ، فنقول عنه : " أنه بحر داخلي يربط بين قارات آسيا وأوروبا و إفريقيا وهو أوسع البحار مساحة وأكثرها إمتدادا وتشعبا وتأثيرا من الناحية الحضارية [12] يجمع بين ضفافه عددا لا متناهي من القوميات واللغات والثقافات المطلقة على ضفتيه الشمالية والجنوبية ، وهو مسطح مائي لا يضاهيه في الأهمية أي بحر على الإطلاق [13] .

---

([10]) سراج الدين أبي حفص عمر بن الوردي ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب الجامع لما هو لطرف الدهر حور ولجيد الزمان مقدور ، ص : 69 . للتعرف أكثر على جغرافية البحر المتوسط أنظر : أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، منتخبة من كتاب الروض المعطار في أخبار الأقطار ، تع : ليفي بروفنسال ، ط2 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1988 م ، ص : 83 . انظر أيضا : عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء صاحب حماه ، تقويم البلدان ، تص : رينود . ماك كوكسن ديسلان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1815 م ، ص ص : 27 ، 29 . أنظر أيضا : أبي القاسم ابن حوقل ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1972 م ، ص : 12

([11]) ابي عبد الله محمد بن ابي بكر الزهري ، الجغرافية وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة ومافي كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوي على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراسخ ، تر : محمد حاج صادق ، مطبعة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، مصر ، ص : 127 ، 128

([12]) محمد خميس الزوكة ، قارات العالم القديم ( دراسة في الجغرافيا الإقليمية ) ، ط1 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2008 م ، ص:35

([13]) محمد إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص : 210 .

يقع هذا البحر جميعه في المنطقة المعتدلة الشمالية، ويمتاز بتجانس حضاراته وثقافاته بين حوضيه الشرقي والغربي [14] ،فعلى قامت أرقى الحضارات مثل الآشوريين و البابليين والفينقيين والفراعنة والفرس واليونان والرومان والقوط والفرنجة واللومبارد والحضارة الإسلامية [15] .

تبلغ مساحته حوالي 2.510.000 مليون كلم مربع ، وهو كما سبق ذكره شبه مغلق يحد أوروبا من ناحية الجنوب ،ويحيط به اليابس من جميع الجهات تقريبا ، ولا يوجد له سوى منفذين ، أحدهما اصطناعي وهو قناة السويس التي تصله بالبحر الأحمر ،والآخر طبيعي وهو مضيق جبل طارق البالغ طوله 57.6 كلم ، ويبلغ البحر الأبيض المتوسط أقصى امتداد له بين الشرق والغرب بطول يقدر بحوالي 3680 كلم وعرض قدره 1400 كلم ، في حين يبلغ أقصى عمق لمياهه 16896 قدم تحت منسوب سطح البحر [16] .

وينقسم هذا البحر ظاهريا إلى قسمين غير متساوين في المساحة ،حيث تفصلهما منطقة ضحلة تمتد من تونس إلى صقلية ومن ثم إلى إيطاليا وتعرف بالحوض الغربي [17]، ومساحته حوالي 1.25 مليوم كلم [18] ،ويبدوا هذا الحوض في وصفه على شكل مثلث قاعدته في الشمال الإفريقي وقمته في خليج جنوة ، وهو في وضعه هذا يختلف من حيث الإتساع عن الحوض الشرقي [19] الذي يشمل على البحر الأدرياتيكي وبحر إيجة .

---

([14]) محمد السيد غلاب ، الساحل الفينيقي في الجغرافيا والتاريخ ، ط1 ، دار العلم للملاين ، بيروت ، لبنان ، 1969 م ، ص ص : 34 ، 35

([15]) عطلي محمد الأمين ، نشاط البحرية الجزائرية في القرن 17 م وأثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، 2011 / 2012 م ، ص : 20

([16]) محمد خميس زوكة ، المرجع السابق ، ص : 292 .

([17]) يسرى الجوهري ، جغرافية البحر المتوسط ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1984 م ، ص : 09 .

([18]) ش . بدران ، أطلس دول العالم الكبير ،بيروت ،لبنان ، 1999 ، ص : 176 .

([19]) يسرى الجوهري ، المرجع السابق ، ص : 09 .

وتعرف أجزاء من البحر المتوسط بأسماء معينة خاصة ،منها البحر الأيوني الواقع بين الساحل الجنوبي الشرقي لشبه جزيرة إيطاليا والساحل الغربي لليونان ، وبحر إيجة الواقع شرقي اليونان ،والتيراني الواقع غرب إيطاليا وجزيرتي سردينيا غربا وصقلية جنوبا [20] .

هذا ويحتوي البحر المتوسط على عدّة مضايق هامة ، منها مضيق البوسفور ومضيق الدردنيل ومضيق كارياثوس جنوب تركيا ، ومضيق كيثرا في اليونان ،ومضيق مسينا بين إيطاليا وجزيرة صقلية ،وأشهرها على الإطلاق مضيق جبل طارق [21] ،الذي سماه الرومان قديما بأعمدة " هرقل " نظرا لمناعة المرتفعات التي تقوم على جانبيه من الناحية الأوروبية والإفريقية ، إذ ليس بينهما سوى 14 كلم ، وكانت الصلات والروابط بين الجانبين من السهولة واليسر بمكان لدرجة دعت بعضهم إلى حسبان إسبانيا جزءا من إفريقيا ، وقد سمّاه العرب أيضا بإسم " الزقاق الضيق " وظل حاملا للتسمية إلى أن وصل القائد العربي " طارق بن زياد " إلى الأندلس لفتحها ، فكان أول من اكتشف أهمية المضيق الحربية والبحرية فبنى به قلعة منيعة على الجبل الذي حمل إسمه ، ومنذ ذلك الحين أصبح مضيق يعرف بمضيق جبل طارق وسيظل هذا المعبر حيوي محط صراعات ونزاعات دولية من أجل الهميمنة و السيطرة على البحر الأبيض المتوسط [22].

كما يحتوي هذا البحر على عدّة جزر هامة لها أثرها في التاريخ ، منها جزيرة صقلية في الحوض الشرقي ،و جزيرة كورفو وكريت وجزيرة رودس في الحوض الغربي [23]

.

---

([20]) محمد خميس زوكة ، المرجع السابق ، ص : 293

([21]) فايز محمد العيسوي ، الجغرافيا السياسية المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2011 م ، ص : 223.

([22]) محمد رفعت بك ، التيارات السياسية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ملتزمة الطبع للنشر ، لجنة البيان العربي ، ص : 07 .

([23]) جودة حسين جود و علي أحمد هارون ، جغرافية الدول الإسلامية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1993 م ، ص : 27

**الأهمية التاريخية والحضارية للبحر الأبيض المتوسط :**

إنّ من يتأمل في الحضارات الإنسانية ويحاول دراستها واستقراءها بطريقة موضوعية ،فإنه سيلاحظ أن معظم الحضارات المتعاقبة قد نشأت على ضفاف البحر الأبيض المتوسط ، لذلك يعد هذا البحر من أهم بقاع العالم [24] ،فهو منبع الحضارة الإنسانية وملتقى الثقافات ومواطن الشعوب والأعراق المختلفة ومهد الديانات السماوية ومنطلق النهضة والتكنولوجيا الحديثة وموطن الفكر والأدب والفلسفة والفنون ، وقد شهد هذا البحر منذ تاريخه ازدهار بعض الدول وامتداد دول قوية واضمحلال أخرى ، وكان شاهدا عيانا على العصور السالفة والحديثة وماشهدته المنطقة المتوسطية من أحداث وتواريخ في حالتي السلم والحرب والحوار والصدام والانفتاح والانغلاق ، ويقول بروديل في هذا الصدد متحدثا عن الأهمية الكبيرة للبحر المتوسط " بأنه لا يمكن للباحث معرفة تاريخ العالم وتاريخ البحار دون دراسة تاريخ البحر الأبيض المتوسط " [25]، ولعل هذه الخصوصية التي اكتسبها البحر المتوسط راجعة لموقعه الوسطي في قلب العالم القديم وتوفره على عوامل قيام الحضارة ونشاط الاقتصاد .

كان من أثر شيوع السلم والأمن في ربوع البحر الأبيض المتوسط في بعض حقب التاريخ أن نعم العالم بأثمن ما أنتجه الفكر الإنساني من حكمة وأدب وعلوم ، فعلى سواحله ظهرت أعظم المدنيات تأثيرا في التاريخ ، وهي المدنيات المصرية والإغريقية والرومانية والإسلامية ، وظل الناس يستمدون منها فنونهم وعلومهم حتى اكتشفوا العالم الجديد وطريق الرأس الرجاء الصالح الموصل لعالم الشرق أين تتوفر الأحجار الكريمة والعطور والتوابل والحرير ، إلا أن الأنظار بقيت مشدودة لهذه البحيرة الإستراتجية ،

---

([24]) جودة حسين جود و علي أحمد هارون ، المرجع السابق ، ص : 27 .

([25]) broudel ferdinand , la mediterané et le mond méditeranien a l'époyue de phlipe tom : 02 , paris , 1976 , p p : 24

فكانت كل دولة تنظر بعيون شاخصة متيقضة حريصة كل الحرص على أن لا تنفرد دولة كائنة من كانت بميزة السلطة والسيادة على البحر [26].

لإدراك هذه الدول أن من يسيطر على البحر المتوسط ساد العالم بأسره ، وفي ذلك يقدم لنا المفكر ماكيندر معادلة لنظريته المتعلقة بالسيطرة على العالم ،وقوام هذه المعادلة أنه من يسيطر على أوروبا الشرقية يسيطر على قلب الأرض ، ومن يحكم قلب الأرض يسيطر على الجزيرة العالمية، ومن يحكم الجزيرة العالمية يهيمن على العالم [27].

ويؤكد التاريخ صحة المعادلة فالإمبراطوريات العظمى التي سادت العالم قد أحكمت قبضتها على البحر وأخضعته لنفوذها ، ففي التاريخ القديم قامت حضارة مصر على نهر النيل ، وهذه الحضارة كانت على اتصال مباشر بالبحر الأبيض المتوسط ، إلا أنها بقيت مرتبطة بطابعها النهري حتى بعد أن بنى المصريون السفن واستولوا على بلاد الشام وسواحل فينيقية ، وعلى جميع موانئ شرق البحر الأبيض المتوسط حتى جزر إيجة [28].

كما ظهرت في الشمال حضارة بحرية عاصرت الحضارة المصرية ، وكان مركزها جزيرةكريت وعاصمتها مدينة " كنوسس " وقد ازدهرت هذه الحضارة في بحر إيجة حوالي 2500 سنة قبل الميلاد ، واتصلت بقبرص وشمالي إفريقيا وشرقي المتوسط وغربه ، ولكن حدث ماقوض دعائم هذه الحضارة فاندثرت آثارها ومعالمها ، إلى أن تمكن بعض العلماء الإنجليز في أوائل القرن العشرين من كشف معالمها ، وقد دلت هذه الحضارة عن

---

([26])محمد رفعت بك ، المرجع السابق ، ص : 06 .

([27]) برد رتيبة ، الحوار المتوسطي من برشلونة إلى منتدى 5+5 ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، جامعة الجزائر ، 2009 / 2010 م ، ص : 36 .

([28]) ساعد ماهر ، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، الجيزة ، مصر ، 1967 م ، ص : 23

قيام حضارة راقية في جزيرة كريت وبحر إيجة ، وبزوال هذه الدولة زالت آثار أوّل دولة بحرية سادت في مياه البحر الأبيض المتوسط قبل ألفي سنة قبل الميلاد [29] .

ولما ضعف سلطان الدولة المصرية أخذت شعوب شرق المتوسط تتحرر من الحكم المصري ، فظهر الفينيقيون في سواحل الشام ولبنان ،وكانوا أول من خاض البحر الأبيض المتوسط غربا وشرقا ،وأسسوا على سواحله عدّه مستعمرات وقواعد تجارية [30] .

ولما قامت دولة الآشوريين في القرن التاسع قبل الميلاد ، سعت هي الأخرى للسيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط ،على أن الفترة التي سادت فيها هذه الدولة لم تطل أكثر من قرن ونصف من الزمن ، فقد تعرضت لهجوم عنيف من طرف الفرس الذين استولوا عليها سنة 606 قبل الميلاد ، وأصبحوا هم أصحاب السيادة في الشرق ، وكونوا إمبراطورية عظيمة دانت لها غرب آسيا وشرق أوروبا حتى حدود مصر جنوبا ، وعاصر دولة الفرس قيام المدينة الإغريقية القديمة وظهور المدن اليونانية التي اتخذت من البحر ميدانا خصبا لنشاطهم ، ولذلك سرعان ما اصطدمت المصالح بين دولة الفرس واليونان ونشب صراع هائل استمر أكثر من قرن من الزمن ، وكان ذلك أول صراع بين الشرق والغرب تناول الاحتكام والسيطرة في البحر المتوســـــــــــط [31].

وسرعان ما انتقل الصراع من شرق البحر المتوسط إلى غربه ، وذلك إثر ظهور روما في شبه جزيرة إيطاليا التي تقسم البحر المتوسط إلى حوضين شرقي وغربي ، وسيشهد القرن الثالث قبل الميلاد اصطدام المصالح بين روما والإغريق في جنوب إيطاليا ، ثم مع القرطاجين الذين يتواجدون في السواحل الإغريقية ، وكان الصراع بين روما

---

([29]) محمد رفعت بك ، المرجع السابق ، ص: 07 .

([30]) يسرى عبد الرزاق الجوهري ، الكشوف الجغرافية ( دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية ولتطور الفكر الجغرافي ) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1984 م ، ص : 29

([31]) محمد رفعت بك ، المرجع السابق ، ص : 27 .

وقرطاجة صراعا هائلا بين مجتمعين عظيمين أحدهما في قرطاجة يقوم على المال والتجارة والبحر ،والآخر في روما يقوم على الزراعة والأرض ،وتعرف الحرب التي نشبت بينهما بالحروب البونية وكان موضوع التزاع بينهما يدور حول التسلط على جزيرة صقلية و مضيق مسينيا بالخصوص وعلى البحر المتوسط على وجه العموم [32] وقد انتهت بالغلبة لصالح روما التي سيطرت على البحر قرابة خمسة قرون من الزمن.

وبداية من عهد قسطنطين بدأت الأخطار تظهر حول حدود الدولة الرومانية ، خاصة على الحدود الشرقية المتاخمة لدولة الفرس الساسانية، أين ظهرت الهجومات الفارسية على الدولة البيزنطية والتي استمرت قرابة مائة سنة ، وبينما كان الفرس والروم في صراع مرير ، ظهرت دولة الإسلام في شبه الجزيرة العربية ، والتي سيكتب لها أن تسود في البحر المتوسط ، و لم يطل بهم الزمن حتى استطاعوا في عهد الأمويين أن يخضعوا جزيرة قبرص ويهاجموا بيزنطة .

كما استطاعوا فتح الأندلس واحتلال جزر البليار وصقلية وجنوبي إيطاليا [33] ،وليس معنى هذا أن البحر الأبيض المتوسط قد صار بحيرة إسلامية ،كما كان بحيرة رومانية في عهد الرومان ، فإن الدولة البيزنطية الشرقية ظلت مسيطرة على سواحل آسيا الصغرى، المضايق وبحر إيجة وشبه جزيرة البلقان ، كما ظلت الدولة الرومانية المقدسة التي أنشأها شارلمان تسيطر على شمال ووسط إيطاليا وجنوب فرنسا ، ولكن الأمر المحقق هو أن فتوح العرب في الشرق والجنوب قد قسمت حوض البحر الأبيض المتوسط إلى

---

([32]) فرانسوا دوكريه ، قرطاجة الحضارة والتاريخ ، تر : يوسف شلب الشام ، مكتبة الأسد ، دار طلاس ، دمشق ، 1994 م ، ص : 65 .

([33]) محمد رفعت بك ، المرجع السابق ، ص : 28 .

قسمين متميزين ، فقد طبع العرب القسم الشرقي منه بالطابع الإسلامي العربي وبقي القسم الغربي ذا طابع مسيحي [34] .

وابتداءا من القرن الحادي عشر سيتغير الوضع بالبحر المتوسط ، حيث سيشهد سيطرة الأوروبيين عليه خاصة الحوض الغربي منه ، وكانت هذه السيطرة تامة على جزر كورسيكا وسردينيا وصقلية ومالطة وجنوب إيطاليا ، كما زاد ضغطهم على جزر البليار وكانت أساطيلهم تغير على السواحل الإسلامية في إسبانيا وإفريقيا ، وبفضل الحملات الصليبية إستطاع الغرب أنت يحصل أيضا على سيادة مماثلة في سوريا وفلسطين ، وسمح الوضع بسيطرة الأوروبيين على طريق التجارة البحرية الرابطة بين شرق المتوسط وغربه ، كما سيطروا على جل المراكز الإستراتجية الهامة التي كانت قبلا في قبضة المسلمين [35].

وبعد مضي حوالي قرنين من الزمن سيتأيد سلطان المسلمين من جديد ،وذلك بظهور الأتراك العثمانيين في بلاد الأناضول ، وستقلب دولتهم ميزان القوة في شرق المتوسط وفي غربه أيضا ، وقد أدرك العثمانيون بعد فتحهم للقسطنطينية وإحكام قبضتهم على المضايق ، ما للقوة البحرية من عظيم النفع والأهمية ، فوجهوا عنايتهم بالأسطول البحري، واستولوا على جزر بحر إيجة وأخضعوا البنادقة لدفع الجزية ، وقد قوي مركزهم بالبحر المتوسط إثر فتح مصر والشام وفتح جزيرة رودس وسواحل إفريقيا ،وبذلك أصبحت سيادة تركيا البحرية غير مقصورة على شرقي البحر المتوسط بل تجاوزته إلى الغرب أيضا [36] .

ونتيجة لظهور الدولة العثمانية وازدياد نشاط بحريتها بشكل مكثف ، شهد هذا البحر صراعا مريرا بين حوضيه الشرقي والغربي ، وكذا ضفتيه الشمالية والجنوبية وذلك

---

([34]) المرجع نفسه ، ص : 29 .

([35]) أرشيبالد ر. لويس ، المصدر السابق ، ص : 384 .

([36]) محمد رفعت بك ، المرجع السابق ، ص : 42 .

إثر الاصطدام الحاصل بين القوة العثمانية وإسبانيا أكبر قوة بحرية أوروبية آنذاك ، ومما زاد في إذكاء هذا الصراع هو قدوم الإخوة بربروس إلى الحوض الغربي وخوضهم الحرب ضد الصليبين والتي أخذت عدّة صفات منها ، إنقاذ أهل الأندلس من الاضطهاد الحاصل لهم بإسبانيا ، وكذا تحرير الشمال الإفريقي من الاحتلال الإسباني [37].

ومما زاد في حدة هذا الصراع على المتوسط ، منع الملك " جيمس الأول " أعمال القرصنة والغارات في البحار في القرن الخامس عشر ميلاد ( 15 م ) ، فغير القراصنة الأوروبيون موانئهم في إنجلترا و إيرلندا واتجه كثير منهم نحو سواحل شمال إفريقيا ، كما قام قراصنة هولندا وإنجلترا بالإبحار نحو المتوسط ووصلوا إلى جبل طارق ، وبوصول إنجلترا إلى الحوض الغربي للمتوسط ، أصبحت تشكل تهديدا على القوى الأوروبية والمغاربة واحتدم الصراع بين هذه القوة ، وأصبحت كل قوة بحرية في الحوض الغربي تسعى للتسديد وممارسة السلطة ، ولم يتوقف الصراع في الحوض الغربي للمتوسط طيلة ثلاث قرون كاملة، في الفترة الحديثة بين أمم أوروبا فيما بينها تارة ومع الأمم الإسلامية في شمال إفريقيا تارة أخرى . وبما أن هذا البحر كان محل ظهور الديانات السماوية ، فقد شهد صراعا دينيا مريرا بين الإسلام والنصرانية ، فقد أظهرت الكنيسة تأثيرها المادي والمعنوي في ترجيح كفة الصراع لصالحها ، كما لعبت الديانة دورها إبان الحروب الصليبية على بلاد الإسلام [38].

**الأهمية الاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط :**

كان من الأهمية البالغة أن يكون البحر الأبيض المتوسط أول البحار التي إكتشفها الإنسان ، وقد أجمع الكثيرون على أنه كان المدرسة الأولى لتعلم الملاحة البحرية ، فهو

---

( [37]) محمد الأمين عطلي ، المرجع السابق ، ص : 22 .

( [38]) نفسه ، ص : 23 .

كما يدل عليه إسمه يقع وسط اليابس فهو بحر داخلي يخلوا من آثار العواصف التي تكثر في عرض المحيطات ، أضف إلى ذلك أن أهميته بالنسبة لملاحي العهود الغابرة ترجع إلى خلوه من حركات المد والجزر ، حتى أنه مهما اختلف المكان وفي أي وقت من الأوقات كانت السفن الصغيرة تستطيع أن ترسوا على شواطئه في سهولة ويسر ، ويتشارك المتوسط هذه الميزة مع البحر الأحمر والأسود والخليج الفارسي ، ولكنه يفوقها جميعا في مساحته الواسعة وينفرد دونها بمزايا لم تتوفر لأي من البحرين الآخرين ، ذلك أن شواطئه على العموم أكثر خصبا و لاتنقصها المرافئ الطبيعية الجيدة ، وتتصف بوجود الرؤوس الأرضية البارزة والسواحل الكثيرة التعاريج ،والجزر المبعثرة ظاهرة فوق سطح المياه ولايغيب البر فيه عن ناظر الملاح والمأوى قريب دائما إن جدّ الخطر فهو بهذه المزايا أهم البحار [39] .

ولذلك شكل البحر المتوسط فضاءا اقتصاديا هاما إذ لايمكن لأحد أن يتجاهل أهميته الكبيرة في مجال النقل البحري والتجاري ، كما يعد موردا هاما للثروة لتوفره على الكثير من المصادر الثمينة والمعادن [40] ، وقبل أن نخوض في الأهمية الاقتصادية لهذا البحر يتوجب علينا أن نشير إلى أمر مهم ، وهو أن حركة الملاحة والسفن التجارية في مياه المتوسط كانت واضحة المعالم و لم تتغير و لم تتأثر بتغير الأنظمة السياسية وتبدل القوى المسيطرة عليه [41] .

فعبر التاريخ شكلت الحركة التجارية في هذا المسطح المائي الدافع الرئيسي والمحرك الأساسي لتفاعل العلاقات في المنطقة ، كما أن العامل الاقتصادي كان المنطلق لكثير

---

([39]) جيمس فريجريف ، الجغرافيا والسيادة العالمية ، تع : علي رفاعة الأنصاري ، مر : محمد عبد المنعم الشرقاوي ، مكتبة النهضة المصرية ، 1956 م ، ص : 56.

([40]) شريف محمد شريف ، جغرافية البحار والمحيطات ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1964 م ، ص : 65 .

([41]) عطلي محمد الأمين ، المرجع السابق ، ص : 24 .

الصدامات التي شهدتها المنطقة [42]، وفي ذلك يقول بروديل : " إن تاريخ البحر المتوسط لعب فيه الاقتصاد دورا حاسما في أغلب الأحيان في الثروات التي يأتي بها البحر كمسطح ، فسيد هذه الثروات هو من سيطر على البحر ، و لم يكن هذا البحر على سعته يقبل بسيد واحد في وقت واحد ، وليس من الضروري أن يكون هذا السيد سياسيا وإنما سيد المبادلات والحياة التجارية " [43] .

إنّ الأهمية الاقتصادية لحوض المتوسط حتمت على شعوبه العيش بلا إستقرار نتيجة لكثرة الصراعات ، يقول ابن خلدون : " الساكنون بسيف هذا البحر وسواحله وعدوتيه يعانون من أحواله مالا تعانيه أمة من أمم البحار " [44] ،والمتتبع لمسار التاريخ سيدرك حتما مدى الاصطدامات التي وقعت والنزاعات التي حدثت بين شعوبه من أجل السيطرة والتملك ووضع اليد على أهم السواحل والمضايق ، وقد كان الفينقيون أهم شعب استشعر الأهمية الاقتصادية للبحر المتوسط ، فأسسوا على ضفافه عديد الموانئ والمدن التجارية كصور وصيدا وقرطاجة ، واحتكروا بفضل خبرتهم البحرية طرق التجارة وتحكموا في المبادلات التجارية والأسواق العالمية التي فاضت بمنتجات إفريقيا والبلدان الآسياوية [45].

جاء الرومان الذين سيطروا على كافة البحر المتوسط وتحكموا في مضايقه وسيروا العلاقات التجارية في المنطقة، فجعلوا منه معبرا رئيسيا نحو مستعمراتهم وخاصة نحو شمال إفريقيا التي كانت بمثابة مخزن للحبوب بالنسبة لروما، والتي خففت عنها حدّة الأزمات

---

([42]) جيمس فريجريف ، المرجع السابق ، ص : 57 .

([43]) broudel ferdinand , op.ct : p 133

([44]) عبد الرحمان ابن خلدون ، المقدمة ، ج1 ، مر : سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 2001 م ، ص : 34 .

([45]) محمد أبو المحاسن عصفور ، المرجع السابق ، ص : 116 .

الاقتصادية في العديد من الفترات [46]،والمتتبع لحركة الفتح الإسلامي بعد ذلك والتي امتدت من المحيط الهندي إلى المحيط الأطلسي ،سيدرك أنها استفادت اقتصاديا من جرّاء استخدامها للبحر في عمليات الفتوح ، كما ساهم الفتح الإسلامي في تنشيط الحركة التجارية العالمية بالبحر المتوسط ،حيث نمت عديد المدن المتوسطية كالقيروان وفاس وعادت أخرى للحياة كإشبلية وقرطبة [47].

وبقي البحر المتوسط محافظا على مكانته كممر تجاري هام بالنسبة لكافة دول العالم، فجميع الدول تحتاج للمرور عبره عندما تريد نقل بضائع الشرق إلى الغرب أو العكس [48]، وقد ساعده في ذلك موقعه الوسطي في العالم وتوفره على المضايق الإستراتجية ،وأهم طريق فيه ذلك الذي ينطلق من شرق آسيا في المحيط الهادي عابرا المحيط الهندي عند ميناء سنغافورة ليجتاز البحر الأحمر وباب المندب ثم قناة السويس ، وعبر مضيق جبل طارق نحو أوروبا الشمالية و الأمريكيتين ، ليقلص المسافة التي تقطعها الأساطيل التجارية إلى النصف بالمقارنة مع تلك التي تعبر نحو إفريقيا الجنوبية [49].

ظل البحر المتوسط يحتفظ بأهميته الاقتصادية طيلة العصور الوسطى لتركز الطرق التجارية به ،واستمر الحال كذلك إلى غاية الفترة الحديثة أين أخذت أهميته تتراجع بعد ظهور الإسبان والبرتغال كقوى تجارية وبحرية ، حيث قاموا بتنشيط حركة الكشوف الجغرافية من أجل الوصول إلى الشرق وكسر الهيمنة العربية على تجار التوابل والحرير والعطور [50] ،وسيعرف البحر المتوسط ركودا اقتصاديا بعد اكتشاف العالم الجديد سنة

---

([46]) يسرى عبد الرزاق الجوهري ، المرجع السابق ، ص : 29 .

([47]) عطلي محمد الأمين ، المرجع السابق ، ص : 25 .

([48]) أرشيبالد ر. لويس ، المصدر السابق ، ص : 14 .

([49]) محمد إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص : 20 .

([50]) يسرى عبد الرزاق الجوهري ، المرجع السابق ، ص ص : 127 - 132 .

1492 م ،وتحول المسار التجاري نحو رأس الرجاء الصالح انطلاقا من سنة 1497 م [51] ،وبالرغم من ذلك فقد اجتمعت عدة عوامل أعادت للبحر المتوسط هيبته الاقتصادية ، ومن بين هذه العوامل :

- ظهور الثورة الصناعية التي جعلت من المتوسط جسر وممر عبور نحو المستعمرات لنقل المواد الأولية إلى مصانعها في الشمال .
- شق قناة السويس والتي زادت من أهمية البحر المتوسط ، من خلال تسهيل حركة التنقل .

وكنتيجة عامة فإن البحر المتوسط بأهميته الجغرافية والتاريخية والحضارية والاقتصادية قد شكل فصلا من فصول الصراع منذ أقدم العصور إلى اليوم ، وقد عانت الأمم الناشئة بضفافه من تبعات هذا الصراع وتأثرت به بشكل كبير وخاصة بلاد المغرب الإسلامي على وجه العموم والجزائر على وجه الخصوص ، ولذا ارتئينا أن نتحدث عن الجزائر بتلميح بسيط كونها موضوع بحثنا لنردف أهميتها بأهمية البحر المتوسط .

إن من يتأمل في الخرائط الجغرافية سيدرك حتما أن الجزائر من أهم الدول المتوسطية نظرا لموقعها الجغرافي الممتاز ، فهي تطل على البحر المتوسط من ناحية الشمال وضاربة بعمقها في الصحراء من ناحية الجنوب ، وقد ساعدها ذلك كي تكون مرتعا للعديد من الحضارات .

إن موقع الجزائر المطل على البحر جعل أنظمتها السياسية طول فترات تواجدها تعيش في حالة تأهب واستعداد لرّد أي عدوان والوقوف في وجه كل من يحاول ضرب الاستقرار وما يمكن أن نستخلصه أن الجزائر قد عانت وتضررت كثيرا من جراء موقعها

---

([51]) فتحي أحمد أبو عيانة ، الجغرافيا الاقتصادية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1984 م ، ص : 65 .

الاستراتجي ، إذ كلفها خسائر مادية وبشرية وكذا فقدان أمنها واستقرارها [52]، وعلى العموم فإن البحر الأبيض المتوسط ، قد أعطى لهذه البلاد هيبة لا تضاهى خلال الفترة الحديثة ، فكان البحر سببا في قوتها وعاملا في سقوطها واحتلالها .

# الفصل الأول

## الأتراك العثمانيون و البحر الأبيض المتوسط

المبحث الأول : **الدولة العثمانية كقوة ناشئة في البحر المتوسط**

المبحث الثاني : **ظهور الإخـــــوة بـــــــــــــــــــــــــــــربروس**

المبحث الثالث : **التحاق الجزائر بالخلافة العثمانية**

## المبحث الأول : الدولة العثمانية كقوة ناشئة في البحر المتوسط

تتعدد الروايات حول قيام الدولة العثمانية كقوة لها شئنها ببلاد الاناضول ، حيث ساهمت العديد من العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها المنطقة في توفير المناخ الملائم لهذه الدولة كي تنشأ وتترعرع ، فبدأت كإمارة صغيرة لتصبح فيما بعد أعظم إمبراطورية ورثت خلافة الإسلام ودافعت عن المسلمين ، وستتمكن بفضل سلاطينها الأقوياء أن تفرض هيبتها وتصنع القرار في مسار التاريخ الحديث [53].

قال الحسن البصري في أصل هذه الدولة ونسبها ، أنّهم يعودون إلى يافث بن نوح عليه السلام ، فيافث هو أبو الترك ويأجوج ومأجوج بنو عمٍ لهم ، وسُمى الترك تركاً أنّ ذى القرنين لما بنى السد على يأجوج ومأجوج ، كان منهم طائفة غائبة وقت بناء السد و لم يعلموا ببناءه فتركوا خارجا عنه ، فسميت هذه الطائفة تركاً لكونهم تُركوا خارج السد ، في حين يرى مؤرخو الدولة العثمانية من الأتراك -ولا شك أنهم أعلم الناس بتاريخ بلادهم- أن أصل شجرة آل عثمان متصل بيافث ابن نوح عليه السلام ، فيقلون

---

([53]) محمد عاكف آيدين ، كمال بكديلي وآخرون ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، مج 1 ( الدولة والمجتمع والاقتصاد ) ،ت: صالح سعداوي، تق : أكمل الدين إحسان أوغلي ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، إسطنبول ، 1929 م ، ص : 5 .

أنها تبتدأ بعثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه بن قيالب بن قزل بوغا بن باتيمور ابن قايلعة بن طغرا بن قرانيو بن ماينفر بن يولعاي بايسنقور بن توفتحور بن ياسان بن حميدة بن افتلق بن قاري جالتمور بن طورج بن قزل بوغا بن باشبوي بن جورمز بن بايو بن طغرا بن سونج بن جارينا بن تورلست بن فوخان بن بالحق بن خاس بن قرعلان بن سليمان شاه بن فرحلو بن بورلوعان بن تيمور بن تورمسن بن كولوالب ابن ادعون بن مورخان بن قابي خان بن ابولجاي بن أبي الحارث بن يافث بن نوح عليه السلام [54] .

إن كثرة المصادر والمراجع التي تحدثت عن نشأة دولة الأتراك العثمانيين ، تكاد تتفق في أغلبها أن نسبها يعود إلى يافث بن نوح عليه السلام [55] ،وهي تنتمي في الأصل إلى إحدى القبائل الغزية ، وبالتحديد قبيلة " قابي " وهي قبيلة تركمانية حكمت منطقة ماهات الصغيرة في الجزء الشمالي الغربي من إيران حاليا ، وعندما استولى المغول بقيادة جنكيزخان على تركستان ، هاجرت القبائل التركية التي كانت تعيش في المنطقة ومن ضمنها قبيلة " قابي " بزعامة سليمان شاه ، الذي فرّ من المغول رفقة آلاف الأتراك مخافة من أن يقع في خطر العبودية أو الموت المحتم على يد هؤلاء الغزاة الجدد [56] ،فأستقر في أخلاط الواقعة في شرقي تركيا الحالية ، ولكن إقامته بها لم تدم طويلا حيث قرر هذا الأخير مغادرة المكان قاصدا وجهة جديدة نحو عربستان ، فمر بجماعته على نهر الفرات وبينما كان يعبره سقط فيه غريقا فمات ودفن بقربه في مكان يعرف إلى الأن بمزار الأتراك

---

([54]) سليمان بن خليل بن بطرس جاويش ، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية ، ط 1 ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1987 م ، ص : 43 .

([55]) سليمان بن صالح الخراشي ، كيف سقطت الدولة العثمانية ، ط : 1 ، دار القسم ، الرياض السعودية ، 1420 ه ، ص : 11 ,

([56]) محمود محمد الحويري ، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى ، ط : 1 ، المكتب المصري للتوزيع ، القاهرة ، ص : 35 .

، وترك خلفه أربعة أبناء هم : ( سنقور تكين ، كون طوغدي ، دوندر و أرطغرل ) [57] .

انقسم أفراد العشيرة بعد وفاة زعيمها سليمان شاه بين أبنائه الأربعة ، فقاد اثنان منهم معظم القوم عائدين إلى خرسان للدخول في خدمة المغول ، بينما تابع الأخوان الباقيان المسير غربا إلى الاناضول ، وتولى أرطغل زعامة هذا الجزء من القبيلة [58] ، وتقول الرواية التاريخية أن أرطغرل هذا قاد جماعة قومه المؤلفة من أربعمئة فارس وعائلاتهم وسار بهم باتجاه الأناضول وفي طريقه شاهد معركة دائرة بين فريقين لايعرفهما فحث أتباعه على نصرة الفريق الخاسر ،الذي تبين بعد التمكين له بالنصر أنه لسلطان دولة السلاجقة " علاء الدين السلجوقي " ، فما كان من هذا الأخير إلا أن كافئ أرطغرل بمنحه أرضاً تسمى " أسكي شهر " ، وهي أرض تقع بين الروم البزنطين وإمارة قونية السلجوقية [59] وبالتحديد في شمال غربي الأناضول [60] .

بعد وفاة أرطغرل سنة **1281** م ، انتقلت زعامة القبيلة إلى أكبر أبنائه وهو عثمان ( **1281** م _ **1362** م ) مؤسس الدولة العثمانية فانحصرت اهتماماته في تأسيس قواعد الدولة العثمانية وتوسعيها على حساب البزنطيين ،مستغلا الفوضى والإهمال المسيطرين على الاراضي البزنطية بالأناضول ، وكان عثمان مواليا للسلطان علاء الدين ومساعده في افتتاح العديد من المدن الحصينة والمنيعة ، فأكرمه بأن سمح له بضرب السكة بإسمه وأمر له

---

([57]) حمزة عزتلو يوسف بك آصاف ، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الان ، تق : محمد زينهم محمد عزب ، ط : 1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1995 م ، ص : 29 .

([58]) نيقولو باربارو ، الفتح الإسلامي للقسطنطينية ( يوميات الحصار العثماني سنة 1453 م ) ، ت : حاتم عبدالرحمان الطحاوي ، ط : 1 ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، ص : 15 .

([59]) محمود السيد الدغيم ، أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية ( الحضارة الإسلامية وعالم البحار ) ، منشورات إتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، 1994 م ، ص : 13.

([60]) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، أصول التاريخ العثماني ، ط : 1 ، دار الشروق ، مصر ، 1982 م ، ص : 14 .

بأن تخطب صلوات الجمعة بإسمه ويدعى له في المنابر ومنحه لقب " بـــــــــــــــكْ " [61] ، وفي حوالي عام **1300** م ، زحف جيش التتار على سلطنة علاء الدين، و انتهى الأمر بوفاته فقام الأهالي بمبايعة عثمان بن أرطغرل سلطانا عليهم [62] ،ومن هنا انفتح المجال للدولة بأن تتوسع فقام هذا الأخير بالتمركز في مدينة "قره حصار" واستولى على القلاع الحصينة " لاسكي شهر " ، ومالبث أن استولى أيضا على مدينة "بني شهر" [63] أين أصبحت هذه المدينة مقرا لحكمه ، ولقب نفسه بادشاه آل عثمان أي سلطان العثمانيين [64] .

قام عثمان بحصين المدينة وتمصيرها وتجميلها وعمل على تأمينها من العدو ، ولما تم له ذلك شرع في تنفيذ مشروعه التوسعي ، فأرسل إلى أمراء الروم بآسيا الصغرى يخيرهم بين الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب كما هي عادة المسلمين في حروبهم فأسلم بعضهم وقبِل البعض الآخر دفع الجزية ، بينما استعانت البقية عليه بالتتار فندب إليهم عثمان ابنه أورخان فشتت شملهم وتمكن من الانتصار عليهم ، وفي السادس من أبريل 1326 م سقطت في يده مدينة بورصة بعدما دام حصارها قرابة العشر سنوات [65] ، والواقع أن استلاء العثمانيين على بورصة كان خطوة هامة حولت إمارتهم إلى دولة حقيقية ذات عاصمة وشعب مستقر وجيش نظامي وإدارة منظمة تشرف على مهام الدولة ، حدث هذا في وقت شهد فيه البيزنطيون فتناً داخلية وحروبا أهلية ومنازعات سياسية بين أفراد

---

([61]) محمود محمد الحويري ، المرجع السابق ، ص : 38 .

([62]) حضرة عزتلو يوسف بك آصاف ، المصدر السابق ، ص : 34 .

([63]) **بني شهر** : أويكي شهر ، ومعناها البلد الحديث وتقع شمال الشرقي من بورصة ، أنظر : فائقة محمد حمزة ، أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 1989 م ، ص : 12

([64]) محمود محمد الحويري ، المرجع السابق ، ص : 38 .

([65]) محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العثمانية العلية ، تح : إحسان حقي ، ط : 1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1981 م ، ص : 63 .

الأسر الحاكمة ، فأصبح العثمانيون يتدخلون بدافع المصلحة بين الأباطرة البيزنطيين المتنافسين فيما بينهم [66]، فأرسلوا بإنتظام قوات كمرتزقة إلى القسطنطينية وتراقيا ، حيث وقعت عيونهم على مدى ضعف بيزنطة من جهة واغتنام فرصة الغزو والتوسع على حساب أراضيهم من جهة أخرى [67] .

بوفاة عثمان بن ارطغرل في بورصة عام ( 726 ه _ 1365 م ) أوصى بالملك لثاني أولاده وهو " أورخان ( 1324 م _ 1362 م ) لما يتصف به من علو الهمة والشجاعة والإقدام ، و لم يوصي به لأكبرهم " علاء الدين " لميل هذا الأخير للورع والعزلة ، [68] وقد سار أورخان على نهج والده في الحكم ، فعين أخاه علاء الدين وزيراً وأمره بوضع الشرائع وسنِ الأنظمة ونقل كرسي الحكومة إلى مدينة بورصة وجعلها عاصمة للدولة [69] ،وقد استمر اورخان في مسيرة الفتح والعمران ، فأرسل جيشا بقيادة إبنه سليمان إلى بلاد الروم ففتح كل من قلعة **ملعزة وأبسالة** ، كما سقطت في يده **نيقوميديا** وهي أزمير حاليا فأنشأ بها أول جامعة عثمانية [70] .

كما أن السلطان أورخان كان أول من صك العملة من الفضة ، فكتب على أحد وجوهها " محمد رسول الله " وعلى الوجه الآخر اسمه ، وقام بترتيب طبقات الجند فجعل منه جيشا دائما بعد أن كان يجمع أيام الحرب ثم يصرف بإنقضاءها ، وقد سمي هذا الجيش " يني تشاري " أي الجيش الجديد ، ثم عرف فيما بعد بالإنكشارية وهم من

---

([66]) محمد عبد اللطيف هريدي ، الحروب العثمانية الفارسية و أثرها في انحصار المد الإسلامي عن أوروبا ، ط : 1 ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1987 م ، ص : 17 .

([67]) محمود محمد الحويري ، المرجع السابق ، ص : 38 .

([68]) محمد فريد بك المحامي ، المصدر السابق ، ص : 71 .

([69]) حضرة عزتلو يوسف بك آصاف ، المصدر السابق ، ص : 34 .

([70]) علي محمد محمد الصلابي ، الدولة العثمانية ( عوامل النهوظ وأسباب السقوط ) ، ط : 1 ، دار التوزيع النشر الإسلامية ، مصر ، 2001 م ، ص : 52

رعايا الدول المسحية من الأطفال الذين يؤخذون صغاراً ويربون تربية إسلامية ويدربون تدريباً عسكرياً [71] .

واستكمالا لإنجازات أورخان التوسعية فقد قام ابنه سليمان باشا من الاستلاء على قلعة " تراقيا " ، كما حقق نصراً كبيراً ضد الإمبراطور البيزنطي **أندرونيق الثالث** ، وألحق به هزيمة فادحة عام **1328** م ،أين استولى بعدها على معظم شبه جزيرة **نيقية** [72] ،وبعد هذه الانتصارات توفي أورخان **1362** م في بورصة بعد أن أنجز العديد من الأعمال والخدمات الجليلة للدولة ، وآل الحكم من بعده إلى ابنه مراد سنة ( **1362** م _ **1389** م ) وكان عمره حين ذاك **34** سنة واستمرت مدة حكمه **31** عاماً ، أي كانت وفاته عام ( **792** ه _ **1389** م ) ، وفي عهد السلطان مراد كانت الإمارات المتاخمة له تنظر إليه بعين الخوف والترقب ، نظرا للنمو السريع الذي شهدته الدولة العثمانية ، فقام هذا الأخير بتوجيه ضربات موجعة إلى خصومه أقعدتهم عن التحرك ضده ، وفي القسطنطينية كان الإمبراطور " امانويل باليولوج " يسعى للإنقضاض عليه [73] لكن السلطان لم يمهلهم ، فقام بضرب **أدرنة** سنة ( **768** ه _ **1366** م ) وجعل منها عاصمة له ، فكان لذلك صدى سيئ لدى عموم العواصم الأوروبية التي دعت إلى قيام حروب صليبية موحدة ضد العثمانيين ، إلا أن مراد تمكن من دحرهم في معركة قوصوه سنة ( **792** ه _ **1389** م ) وسقط شهيدا بأرض المعركة [74].

كانت الإمارة العثمانية في الوقت الذي استشهد فيه السلطان مراد الأول عام **1389** م قد أخذت على عاتقها دورا هاما في أراضي الأناضول ، فتحولت إلى دولة

---

([71]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص : 15 .

([72]) محمود محمد الحويري ، المرجع السابق ، ص : 39 .

([73]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص : 16

([74]) علي محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص : 60

كاملة الأركان [75] ومع اعتلاء بايزيد الأول للعرش ( **1389** م _ **1402** م ) واصل في توسيع رقعة الدولة فجرد جيشا كبيرا زحف به نحو الصرب ،واصطدم هذا الأخير مع تيمورلنك الذي أخذ يتسلط على أملاك الدولة العثمانية ، فالتقى الجيشان في منطقة **توقاد** أين دارت رحى الحرب وانتهت بهزيمة بايزيد وأُخذ كأسير ليتوفى بعد أربعة أشهر من الأسر [76] .

بإنتصار تيمورلنك في هذه المعركة أعاد لجميع إمارت الغزية استقلالها وأعادها إلى سابق عهدها وأعطاها الحماية بعد أن ساعدته في حربه ضد العثمانيين ، وستشهد المرحلة الثانية من مراحل قيام الدولة العثمانية والممتدة من ( **1403** م _ **1566** م ) أزهى فترات الدولة ،حيث قام العثمانيون بإعادة بناء دولتهم من جديد، وتوسعوا بشكل كبير وسريع في كل من آسيا وأوروبا وإفريقيا ، وحكم الدولة في هذه الفترة ستة سلاطيين أقوياء وهم : محمد الأول ، مراد الثاني ، محمد الفاتح ، بايزيد الثاني ، سليم الأول وسليمان القانوني [77] .

عمل محمد الأول ( 1413 م _ 1421 م ) أو كما يعرف في كتب التاريخ العثماني بالسلطان " محمد جلبي " ، على إطفاء الحروب الداخلية وإرجاع الإمارات التي إنفصلت في أيام الفوضى التي تلت وفاة السلطان بايزيد الأول ، ومما يؤثر على استعماله للحزم والحلم في ممارسة الحكم ، فكانت سياسته هادفة إلى توطيد أركان الدولة وتقويتها من الداخل، ولأجل ذلك صالح إمبراطور القسطنطينية وحالفه ، وأعاد إليه بعض المدن على شواطئ البحر الأسود ،كما صالح البندقية بعد هزيمته أمام أسطولها ، وقام بقمع الفتن

---

([75]) محمد عكاف آيدين وآخرون ، المصدر السابق ، ص : 18 .

([76]) إبراهيم بك حليم ، تاريخ الدولة العثمانية العلية المعروف بكتاب ( التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ) ، ط : 1 ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، 1988 م ، ص : 49 .

([77]) مفيد الزيدي ، موسوعة التاريخ الإسلامي " العصر العثماني " ( 1516 م _ 1916 م ) ، دار أسامة للنشر ، عمان ، 2003 م ، ص ص : 73 – 75 .

والثورات وأخضع جُل الإمارات التي أحياها تيمورلنك ، فدانت له بالطاعة والولاء فأستطاع بفضل حنكته وعبقريته في القيادة أن يحافظ على كيان الدولة حين هددتها أخطار التتار وكذا الفتن الداخلية [78] .

بعد وفاة السلطان محمد الأول خلفه من بعده ابنه مراد الثاني ( 1421 م _ 1451 م ) الذي افتتح أعماله بإبرام الصلح مع ملك المجر ،و الاتفاق على الهدنة البالغ أجلها خمس سنوات ، إلا أنّ " إيمانويل " ملك المجر أرادها هدنة دائمة مع تسليم اثنين من اخوة السلطان كضمان لذلك وإلا سيطلق سراح عمّه " مصطفى بن بايزيد " من سجنه لينافسه على العرش وبرفض مراد الثاني للأمر . أطلق إيمانويل سراح " مصطفى " وأمدّه بمراكب حربية ليواجه بها ابن أخيه ، إلا أن مراد الثاني تمكنّ منه وقضى عليه [79] .

ردّ مراد الثاني على عمل إيمانويل العدائي ، حيث قام مراد بمحاصرة القسطنطينية ومهاجمتها في أوت 1422 م ، إلا أنه لم يتمكن من فتحها بسبب ظهور عصيان أخ له اسمه مصطفى ، و لم تلبث هذه الفتنة أن أخمدت بقتله مع الكثير من مناوئيه ، هذا وقد أعاد مراد الثاني للدولة العثمانية ولايات آيدين وصاروخان وغيرها من الإمارات التي انفصلت بمساعدة تيمورلنك [80] .

---

([78]) علي محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص ص : 73 - 75

([79]) روبير مانتران ، الدولة العثمانية ، تر : بشير السباعي ، ج : 1 ، ط : 1 ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1993 م ، ص : 92 .

([80]) محمد فريد بك المحامي ، المصدر السابق ، ص ص : 107 – 109 .

توالت الفتوحات العثمانية واتسع نطاقها وأصبحت الدولة قوية كفاية لتمتلك زمام الأمور ، خاصة في عهد السلطان الجديد محمد الفاتح ( 1451 ه _ 1481 م ) الذي دّك أسوار القسطنطينية بعد أن استعصت على أسلافه من السلاطين [81] .

تمتعت هذه المدينة بأهمية عظمى أين أولاها سلاطين آل عثمان درجة عالية من الاهتمام لأنهم أدركوا تماما أن فتحها سيمكنهم من تأسيس إمبراطوريتهم التي يسعون لبنائها خاصة وأن هذه المدينة تمتلك حصانة طبيعية كبرى ، حيث تحيط بها المياه من ثلاث جهات من الشمال مياه القرن الذهبي ، ومن الشرق مياه البوسفور ومن الجنوب مياه بحر مرمرة فكانت بذلك على درجة كبيرة من المنعة ، وقد أعطاها الإمبراطور قسطنطين اسمه وبنى بها أعظم كنيسة وهي " آية صوفيـــــا " .

تعرضت هذه المدينة للحصار من طرف العثمانيين لأكثر من تسعة وعشرون مرة كان آخرها الفتح المؤزر للسلطان " محمد الفاتح " يوم 29 ماي 1453 م ، والذي اتخذها عاصمة للدولة ، وأصبح اسمها " إسلام بول " أي مدينة الإسلام وقام بتحويل كنيستها الشهيرة آية صوفيا إلى مسجد ، فأقام على أركانها أربعة مآذن وأضاف إلى عمرانها نمطا إسلامياً كما زين جدرانها بآيات قرآنية من الذكر الحكيم [82] .

بهذا الإنجاز سقط أهم معاقل المسحية في الشرق أمام القوة الإسلامية العثمانية ، كما دانت للسلطان محمد الفاتح كل من المورة والصرب والبوسنة وحاصر جزيرة رودس إلا أنه لم يتمكن من فتحها وقد وافته المنية سنة 1481 م [83] .

---

([81]) خليل اينالجيك ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ، ت: محمد . م. الأرناؤوط ، ط : 1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2002 م ، ص : 39 .

([82]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص ص : 28 ، 29 .

([83]) زبيدة عطا ، بلاد الترك في العصور الوسطى ( بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون ) ، دار الفكر العربي ، الكويت ، ص : 195 .

تولى الحكم من بعده ابنه بايزيد الثاني ( 1481 م _ 1512 م ) و لم يحدث في عهده أي تطور حيث يُذكر ،دلك أن بايزيد كان يميل إلى حياة القناعة والزهد ، ويعرف عند الأتراك بإسم " دالولي " ، وقد كان حكمه بوجه عام فترة توقف عن الفتوح أعاد خلالها العثمانيون بناء وتطوير عاصمتهم الجديدة ، كما قاموا بتحسين أنظمة إمبراطوريتهم ، ففي أوروبا انتهت الحروب المتكررة ضد البولنديين والمجر وحلفائهم البنادقة ، كما منح السلطان لحلفائه من النصارى هدنة لمدة سبع سنوات لأنه كان مضطرا للاهتمام والتركيز على ناحية الشرق لظهور تطورات خطيرة تمثلت في ظهور الصفويين بإيران . [84]

هذا وقد شهدت فترة حكمه بداية ظهور العلاقات العثمانية الأوروبية ، أين أوفدت روسيا عام ( 898 ه _ 1493 م ) أول سفير لها إلى القسطنطينية ومعه الهدايا للسلطان بايزيد الثاني ، كما ربطت الدولة العثمانية في عهده علاقة صداقة مع مملكة بولونيا حيث عقد بينهما معاهدة سنة ( 896 ه _ 1490 م ) كما ابتدأت في عهده اتصالات مع البابا اسكندر السادس وملك نابولي ودولة ميلانو وجمهورية فلورنسا ، إلا أن صفو حياته تكدر بسبب عصيان أبنائه وتمردهم فاستقال عن الخلافة وتنازل بها لابنه سليم الأول ( 1512 م _ 1520 م ) [85] .

يعتبر عهد السلطان سليم الأول من أهم فترات التاريخ في عهد الدولة العثمانية لارتباطه المباشر بتاريخ الدول العربية ، حيث اقتضت الإستراتجية العسكرية للدولة أن توجه أنظارها إلى المشرق العربي لأسباب عدة في مقدمتها ، ظهور الصفوين بإيران وكذا ظهور الغزو الأوروبي وتوجهه نحو الوطن العربي حيث ظهر الاحتلال الاسباني في بلاد المغرب الإسلامي وكذا البرتغالي في البحر الأحمر والمحيط الهندي ، ثم قيام الأوروبيين

---

([84]) برنارد لويس ، اسطنبول وحضارة الخلافة الإسلامية ، تع : سيد رضوان علي ، ط : 2 ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، السعودية ، 1982 م ، ص ص : 50 ، 51 .

([85]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص: 34

بإكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وتحويل تجارة الهند والشرق الأقصى عبره ، وكذا قيام الأسطول البرتغالي بمحاصرة الطرق التجارية بالبحر الأحمر والخليج العربي وإرغام التجار على استخدام الطريق الجديد . [86]

كان على السلطان سليم الأول أن يأخذ هذه الأحداث بعين الاعتبار، فكانت أولى أعماله درء الخطر الصفوي عن دولته ،فقام بشن حرب ضد الشاه إسماعيل الصفوي في إيران ،وكان تاريخ 23 أوت 1514 م إعلانا عن هزيمة الصفويين في سهل **جالدران** قرب الحدود التركية الإيرانية ، أين احتل السلطان عاصمتها **تبريز** ثم تركها منسحبا إلى الأناضول بعد أن ترك الشاه مهزوما [87] .

وأكمل سليم الأول مسيرة الفتح ، فحارب المماليك ببلاد الشام وانتصر عليهم في معركة **مرج دابق** سنة ( 923 ه _ 1516 م ) حيث هزم السلطان الغوري ، ثم تابع زحفه جنوبا واستولى على **يـــافا وغزة والعريش** ثم عبر سيناء ودخل الدلتا زاحفا نحو القاهرة ،أين اجتمع المماليك الجراكسة على طومان باي الذي هزم في معركة **الريدانية** عام 1517 م ،وألقى عليه القبض ،وأمر السلطان العثماني بشنقه وخضعت بذلك مصر للسيادة العثمانية ،ومكث بها سليم الأول قرابة ثمانية أشهر ، درس فيها وضع البلاد وإدارتها ليسهل عليه تسيرها وغادرها فيما بعد متجها إلى عاصمته بإسطنبول بتاريخ 10 سبتمبر 1517 م [88] .

---

([86]) نمير طه حسين ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ط : 1 ، دار الفكر ، المملكة الأردنية الهاشمية ، عمان ، 2010 م ، ص : 13 .

([87]) برنارد لويس ، المرجع السابق ، ص : 52 .

([88]) إسماعيل أحمد ياغي ، العالم العربي في التاريخ الحديث ، ط : 1 ، المكتبة العربية ، الرياض ، 1997 م ، ص ص : 39 ، 40

هذا وقد تلا سقوط مصر في يد العثمانيين عام 1517 م خضوع بلاد الحجاز أيضا وذلك بسبب التبعية التي كانت توليها الحجاز لمصر ، حيث كانت هذه الأخيرة توفر الحماية للحجاز بالإضافة إلى الأموال والإعانات التي ترسلها إلى فقراء مكة والمدينة ، وعلى إثر ذلك أسرع شريف مكة " الشريف بركات " بإرسال ابنه إلى القاهرة لكي يقدم التهاني وفروض الطاعة والولاء للسلطان العثماني ، إلى جانب تقديم مفاتيح الحرمين الشريفين ، ومن هنا بدأ نجم العثمانيين يعلوا في الأفق ، وقد دعي للسلطان سليم الأول في المنابر والخطب ولُقب بخادم الحرمين الشريفين [89] .

بهذا التاريخ كان العثمانيون قد وصلوا إلى الحوض الغربي للمتوسط بفضل بحارتهم المتمثلين في الإخوة " بربروس " ، أين استطاع الإخوة ضم الجزائر للدولة العثمانية بعد أن طلب أعيان الجزائر يد المساعدة من سلطانها سليم الأول ، ولاقت تونس نفس المصير وكذا طرابلس الغرب بعد أن حررت من أيدي فرسان مالطة عام 1551 م [90].

بعد وفاة السلطان سليم الأول سنة ( 926 ه _ 1520 م ) خلفه ابنه سليم الثاني المعروف بـــــ " القانوني " ( 1520 م _ 1566 م ) ، وكان له من العمر ستة وعشرون عاما وقد حكم لمدة 48 سنة ، وهي أطول فترة حكم قضاها سلطان عثماني .

يعتبر عصر السلطان سليمان من أزهى العصور في العهد العثماني ، حيث وفق في فتوحاته في الجانب الغربي ، كما وفق في فتوحاته شرقا قد أطلق عليه العثمانيون اسم القـــــانوني لكثرة القوانين والنظم التي صدرت في عهده ، كما أطلق عليه الأوروبيون

---

([89]) فاضل بايات ، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني ( رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية ) ، ط : 1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2003 م ، ص : 84 . **انظر** أيضا : إسماعيل أحمد الياغي ، المرجع السابق ، ص : 42 .

([90]) أندريه ريمون ، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني ، تر : لطيف فرج ، ط : 1 ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1991 م ، ص : 21 .

لقب العظيـــــــم ، ويرجع السبب في ذلك إلى شجاعته ، حيث استطاع أن يفرض هيبته في عصر كان يعيش فيه الكثير من المشاهير أمثال " فرانسوا الأول " ملك فرنسا و " هنري الثامن " ملك إنجلترا و " شارل الخامس " ملك إسبانيا وألمانيا [91]، هذا وقد صادفت أيام السلطان سليمان القانوني نهضة شاملة في أوروبا في القرن السادس عشر الميلادي 16 م ، وقد سايرهم العثمانيون في ذلك بل فاوقهم في المضمار الحربي ، و لم يوجد في أوروبا كلها من يفوقهم حربيا أو سياسيا أو إداريا وقد قطعت الدولة العثمانية شوطا كبيرا في التفوق والعظمة ، بالإضافة إلى فتوحاتها البحرية .

كانت لها العديد من الإنجازات البحرية ، خاصة بعد أن نمّت بحريتها بشكل كبير بفضل عديد القادة الأكفاء أمثال "سنان باشا ودرغوث و الإخوة بربروس " ، حيث لعِب هؤلاء دوراً هاما في تحويل البحرية العثمانية إلى قوة فعالة في البحر المتوسط بأكمله [92].

حققت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني نجاحات باهرة في الحوض المتوسط ، حيث تمكن هذا الأخير من فتح بلغراد ( 926 ه _ 1521 م ) كما فتح جزيرة رودس التي كانت بمثابة قاعدة عسكرية منيعة لفرسان المحاربين الذين يمارسون القرصنة البحرية في أرجاء المتوسط ،ويهددون الطرق التجارية الموصلة والرابطة بين إسطنبول وسائر ايالاتها [93] .

بإخضاع رودس جرى تأمين الطريق البحري ،ولم يبق في طريق السيادة في شرق المتوسط إلا عقبة واحدة وهي جزيرة قبرص ، واستطاع " خير الدين " إخضاعها عام

---

([91]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص : 35 .

([92]) المرجع نفســــــــــه ، ص : 37 .

([93]) خلف بن ديلان بن خضر الوذيناني ، الفتح العثماني لجزيرة رودس ( 929 ه _ 1523 م ) ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، السعودية ، 1997 م ، ص ص : 43 ، 44

1538 م [94] كما غزى السلطان سليمان بلاد المجر والتقى بجيوشهم في معركة " موهاكس " ( 932 ه _ 1526 م ) وقتل ملكهم " لويس الثاني " ، كما حاصر فيينا عشرين يوماً عام 1529 م إلا أنه لم يتمكن من فتحها [95] .

وتجدر الإشارة إلى جزيرة مالطة لأهمية موقعها ، فنقول أنه رغم قوة الأساطيل العثمانية وشّدة بأسها ، لم تقدر أن تتغلب على فرسان القديس يوحنا أصحاب هذه الجزيرة ، وقد كانت هذه الجزيرة هبة لهم من طرف " شارل الخامس " بعد أن قام العثمانيون بطردهم من جزيرة رودس بعد فتحها عام 1522 م ، ففي عهد السلطان سليمان القانوني سيرّ إليها أسطولا عظيما عام 1565 م بقيادة " مصطفى ودرغوث باشا " فحاصروها مدة أربعة أشهر ، ثم اضطروا للجلاء عنها بعد قتال مرير أبداه فرسان القديس يوحنا دِفاعاً عن جزيرتهم حتى لم يبق من حاميتهم سوى 600 فارس بعد أن كان عددهم قرابة تسعة آلاف فارس [96] .

وعلى العموم كشف العثمانيون عن تفوقهم بالبحر المتوسط بحوضيه الشرقي والغربي ، وظلت الدولة العثمانية بعد وفاة سليمان القانوني بأكثر من قرن قوة جبارة ومهابة من القوى الأوروبية [97] .

آل الحكم بعد وفاة السلطان سليمان القانوني إلى ابنه " سليم الثاني " 1566 م وكان له من العمر خمسة وأربعون عاما ، حيث عمل السلطان سليم الثاني على إتمام فتح ممالك اليمن التي كان والده قد بدأ بفتحها [98] ،وعمل السلطان سليم الثاني على إرسال

---

( [94]) محمد عكاف آيدين و كمال بكديلي وآخرون ، المرجع السابق ، ص ص : 42 – 43 .

( [95]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص :37 .

([96]) أحمد عبدالله الفليج ، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية ، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر ، الكويت ، 1984 م ، ص : 42 .

( [97]) برنارد لويس ، المرجع السابق ، ص : 57 .

( [98]) عبدالعزيز سليمان نوار ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص : 100 .

النجدة لمسلمي غرناطة ، بعد أن استنجدوا به من ظلم وقهر مسحي إسبانيا حيث لبى طلبهم بأن أرسل لأمير ايالة الجزائر بمد يد العون [99] ،وفي عهده أيضا توجهت أنظار العثمانيين صوب البحر الأحمر لإعادة الحياة إلى طرق التجارة القديمة لكسر شوكة البرتغاليين الذين وصلوا إلى الهند، وتحكموا في تجارة التوابل والعطور وعطلوا التجارة في البحر المتوسط .

سيطر العثمانيون على نقاط مهمة في البحر الأحمر ، كـــــــ : " عدن في اليمن وخليج البصرة " ، وكانت هذه السيطرة بمثابة ضربة موجعة للبرتغاليين الذين كانوا يحققون أرباحا طائلة من تجارة التوابل ، وقد ساهمت سيطرة العثمانيين على البحر الأحمر في عودة التجارة إلى البحر المتوسط أين انتعشت وازدهرت عديد المدن الإسلامية على غرار الإسكندرية ومدن الشام [100].

بعد هذه الإنتصارات التي حُقِقَت للدولة العثمانية أيام محمد الفاتح وسليم الأول وسليمان القانوني ، ورثت الدولة واقعاً جديداً فعلى الرغم من أن نظام الدولة كان قويا إلا أنه شهد الضعف في بعض جوانبه ، وذلك للاتساع رقعة الدولة الجغرافية ، وبدأ دور الدولة يتراجع تدريجيا نحو الضعف والانحطاط ، بعد وفاة السلطان سليمان القانوني حيث حكم 18 سلطانا مابين ( 1520 م _ 1808 م ) لم يكن أحد منهم يمارس الحكم بنفسه ،بل بواسطة الوزراء الذين أشفق عليهم بعضهم على الدولة وحافظ عليها ، في حين كان البعض الآخر مثلا للرشوة والفساد [101] .

بدأ الوهن والضعف يظهر في الدولة من خلال ضياع النفوذ والسيطرة على البحر المتوسط ، حيث تراجع العثمانيون عن مخططاتهم التوسعية فبرغم من الانتصار الذي

---

([99]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص : 38 .

([100]) محمد عكاف آيدين وكمال بكديلي وآخرون ، المصدر السابق ، ص ص : 43 ، 44 .

([101]) نمير طه حسين ، المرجع السابق ، ص : 15 .

حققوه في حلق الوادي في تونس عام 1574 م ، إلا أنه كان نصرا بدون نتائج فمباشرة بعد الانتصار شرع العثمانيون في التفاوض مع الإسبان بشأن عقد معاهدة سلام ، وقد كان للانسحاب العثمانيين من الساحة المتوسطية عواقب وخيمة يمكن أن نختزلها في ضعف السيطرة العثمانية على ولاياتها في الشمال الإفريقي ، وسيادة أعمال القراصنة حيث عاد فرسان مالطة ليشكلوا خطرا على التجارة العثمانية والحجاج ، وأصبح من الصعب على العثمانيين أن يتصلوا بمصر والشام ، ولم يقتصر فقدان السيطرة على البحر المتوسط فحسب بل بدأ العثمانيون يفقدون سيطرتهم على البحر الأسود ، ففي الفترة الممتدة مابين ( 1614 م _ 1625 م ) فقدوا السيطرة على " سينوب ويكي كوي " وانعدم الأمن في البحر الأسود وهو ما وجه ضربة قوية للتجارة العثمانية [102].

## المبحث الثاني : ظهور الإخـــــــوة بربروس

استولى العثمانيون إثر حملتهم ببحر إيجه على جزيرة ميديلي [103] في سنة 1458م ،و لكي يثبت الأتراك وجودهم بها ،أرسل السلطان العثماني طائفة من جنده و أمرهم بالاستقرار نهائيا في جزيرة ميديلي ،وعندما اعترض الجنود على ذلك أذن لهم بالزواج من مسيحيات [104]، و كان من بين هؤلاء الجند جندي اسمه يعقوب و هو شاب من

---

([102]) عبد الرحيم بنحادة ، العثمانيون ( المؤسسات والاقتصاد والثقافة ) ، تق : عبد الرحمان المودن ، ط : 1 ، دار النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 2008 ، ص : 49 .

([103]) **جزيرة مديلي** : تطلق هذه التسمية على الولاية التركية التي كانت تضم تراقيا ومقونيا وبلغاريا والصرب وألبانيا وجميع جزر بحر إيجة . **أنظر** : عبد السلام الترمانيني ، أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين ،ج 4،ط : 1 ،1997 ، ص : 822 .

([104]) أبو الراس الناصري الجزائري ، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار،تح:بوركبة محمد ،ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ،2012،ص330 .

روميلي [105] ، من فرقة الخيالة (سبايهيا) ،و بناءا على ذلك فقد تعرف يعقوب من مسيحية تدعى كاتالينا فتزوجها و كان له منها أربعة أولاد [106]، أكبرهم إسحاق867ه _ 1462م ، ويليه عروج 869ه/1464م ثم خضر [107]871 ه-1466م ، و كان أصغرهم إلياس [108] ،ومن المحتمل أن تكون هذه التواريخ قريبة من الحقيقة [109].

كما يذكر مبارك الميلي في كتابه تاريخ الجزائر أن يعقوب كانت مهنته قبل الدخول في الجندية تتمثل في صنع أواني الخزف، فاستأنف هذه المهنة و أثناء مباشرته لها تعرف على (أيم) المسيحية ،ويذكر عروج في مذكرته انه عندما فتح السلطان محمد الفاتح جزيرة ميديلي كان أباه أحد فرسان السبايهية [110] ،و عندما انتظمت أموره تزوج من إحدى بنات الجزيرة ،حيث كان أنيقا شجاعا .

و قد استقر إسحاق في قلعة ميديلي أما خير الدين و عروج فقد كان مولعين بركوب البحر، و عليه اقتنى عروج سفينة و انطلق بها للتجارة في البحر ، حيث كانوا في بداية الأمر يجلبون البضاعة من سلانيك و اغريبوز و يبعونها في ميديلي، إلا أن عروج كان يرغب دوما في الذهاب إلى أكبر من هذه المسافة ، و ذات يوم ذهب عروج مع إلياس إلى

---

) مبارك بن محمد الهلالي الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج 3 ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ، ص 32 :[105]

([106]) مبارك الميلي، المرجع السابق ، ص: 32

([107]) اسمه الخضر و لقب بخير الدين

([108]) عزيز سامح ألتر، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا ،تر: محمود علي عامر، ط:1،دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان،1989، ص27 .

([109]) عزيز سامح ألتر ، نفسه ، ص : 27

([110]) مصطلح يطلق على فرسان

طرابلس الشام غير أنهما لم يتمكنا من الوصول [111] ،حيث صادفا في طريقهما سفن فرسان جزيرة رودس [112] وهناك اشتبكا معهم ،و على إثرها سقط إلياس شهيدا بينما استولى فرسان رودس على السفينة و أخذوا عروج أسيرا و كان هذا عام 1501م [113]

.

إزاء هذا الشأن اقسم عروج على منازعة قطاع الطرق المسيحيين ،و نذر نفسه لذلك و كانت جزيرة رودس تحكم من قبل احد القباطنة ،إلى جانب عدد كبير من العساكر ،و مهمتهم حراسة الجزيرة و حفظ الأمن فيها ، وكان حاكمها يطلق عليه قبطان أو القائد ، حيث كبل عروج بالأغلال و تركه يتجول بالجزيرة.

تأثر خير الدين بسماع خبر اسر أخيه عروج فاخذ يجمع المال لفديته [114] و إنقاذه حيث تعرف خير الدين على تاجر مسيحي من أصل رودسي ،و الذي كان ينتقل بتجارته بين رودس و ميديلي يدعى « غريقو » حيث طلب منه خير الدين أن يتوسط لفك اسر أخيه ، و قد قدرت الفدية بـــــ : ألف أقجة ذهبية ، و بعد اتفاق ذهبا معا إلى جزيرة بودروم و من هناك تابع التاجر طريقه إلى رودس للإطلاع على أحوال عروج حيث تقابل معه و أطلعه عن أمر فديته، فسر بهذا ،ثم جلس منفردا يفكر في الأمر ،وأثناء تواجده بالجزيرة تعرف على رجل غني و لطيف يقال له ابن سانتري أو سانترلو اوغلو ، فشاوره عروج بالأمر و طلب منه أن يشتريه ثم يبيعه للتاجر الرودسي ،فقبل هذا الأخير طلب

---

([111]) مجهول ، مذكرات خير الدين بربروس ، تر: محمد دراج ، ط:1 ، شركة الاصالة للنشر ، الجزائر ، 2010 ، ص 21 .

([112]) **رودس** : جزيرة تقع في البحر المتوسط عند مدخل بحر إيجه جنوب غرب الاناضول.**أنظر:**كتاب عبد السلام ، المرجع السابق،ص822.

([113]) وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر،تع :عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006،ص.38 )

([114]) مبارك الميلي ، مرجع السابق ، ج3 ، ص : 33

عروج و توصلا إلى خطة لايعلمها غيرهما. [115] لكن قبل أن تتم عملية البيع ألغيت الصفقة ، لان فرسان رودس قد بلغهم مجيء أخيه خير الدين إلى بودروم و هو مستعد للدفع ، هذا و قد اختلف شريكاه على بيعه [116]، حيث أن أحد المالكين قد اظهر استعداده لبيعه غير أن الملك الثاني قد كابر في الأمر، و اشترى حصة صاحبه [117] ،و قدر ثمنه ب خمس وعشرون ألف أقجة ذهبية ،حيث نقل المالك الجديد عروج إلى بيته و كبله بالحديد و تركه في خندق [118].

كما مورست عليه شتى أنواع التعذيب و الظلم ، لم يتمكن عروج من تحمل هذا العناء وفي ليلة من الليالي وقد إشتد كربه ، فرفع يداه إلى رب العالمين راجيا منه أن يفك أسره و يخلصه من ظلم المسيحيين ،و أمضى عروج الليلة يدعوا في ذل و انكسار حتى غص في النوم، وإذا به يرى في منامه شيخا مشرق الوجه يقول له :" يا عروج لا تحزن بسبب ما أصابك من أذى في سبيل الإسلام فان خلاصك قريب" ، فسر عروج كثيرا لهذه الرؤيا و انشرح صدره . كلف عروج بالتجديف في السفن المسيحية [119]، و في هذه الأثناء كان السلطان شيخ زادة قرقود واليا على أنطاكيا ، و كان يهتم بفداء الأسرى المسلمين من أيدي النصارى فهو يجمع بكل ما لديه من ماله تبرعا لوجه الله و يرسله لافتداء الأسرى المسلمين ، حيث كلف أحد عماله بالسفر إلى رودس و زوده بمبلغ من المال لافتداء أربعين أسير مسلما و نقلهم بسفينة رودسية حتى سواحل انطاليا، حيث وقع

---

([115]) عزيز سامح ألتر ، المرجع السابق ، ص : 30

([116]) مذكرات خير الدين، المصدر السابق، ص : 26

([117]) مبارك الميلي، المرجع السابق ،ج3 ، ص : 33

([118]) عزيز سامح ألتر ، المرجع السابق ، ص : 31

([119]) مذكرات خير الدين ، المصدر السابق، ص ص : 27،28

الاختيار على السفينة التي كان يشتغل بها عروج و هو من جملة أسرى الذين كلفوا بالتجديف ،حيث أصبح في هذا العمل الشاق منذ ثلاثة سنوات [120].

كان عروج رجلا خفيف المزاج يتكلم كثيرا من اللغات ولا سيما اللغة الرومية التي كان يتقنها ،و كان في كثير من الأحيان يتبادل أطراف الحديث مع القباطنة الرودسيين ،و ذات يوم قال القباطنة لعروج " أنت رجل حلو الحديث خاصة بلساننا الذي تعرفه جيدا ما الذي وجدته في الإسلام ؟ تعال و ادخل في ديننا، و سوف يكون لك شان كبير بيننا " فأجابهم عروج قائلا:" أيها المجانين كل شخص يروقه دينه هل يوجد نبي أفضل من النبي محمد صلى الله عليه و سلم لأومن به ؟ ،"فردوا عليه إذن فلتبقى على حالك، و ننظر كيف يخلصك نبيك من أيدينا [121]، و الآن فلتستمر في الجدف. و انطلقت السفينة المحملة بالأسرى،و في الطريق كسرت إحدى قيوده ، حيث رست السفينة في مكان قريب من انطاليا و نزل الحاجب و معه مئة أسير ،و في تلك الليلة هبت رياح معاكسة قرر الرودسيون بسببها الانتظار حتى الصباح .

و في أثناء الليل هبت عاصفة قوية أجبرت الجميع على الخلود للنوم بعد إرهاق شديد ،حيث استغل عروج الموقف و الظلام الدامس ، و رمى نفسه بين الأمواج ليصل إلى قرية قريبة من الساحل بسلام ليسجد شاكرا لله ، حيث حضي بترحيب واستضافت عجوز في بيتها و التي أكرمته بالطعام و اللباس و جميع ما يلزمه ، فأمضى عشرة أيام في تلك القرية التي كان أهلها يتخاصمون على ضيافته في كل ليلة ، و الذين زودوه بالأكل و المال و كل ما يلزمه ، أما الرودسيون عندما حل الصباح وجدوا مكان عروج خاليا فأدركوا انه قد تمكن من الفرار. و عندما فقدوا امل العثور عليه رجعوا إلى رودس و الحسرة بادية على وجوههم .أما قسيس السفينة فقد أعلمهم أن معرفة عروج بالسحر قد

---

([120]) عزيز سامح ألتر ، المرجع السابق ، ص ص : 30،31

([121]) نفسه ، ص : 31

مكنته من الهرب [122] ، و في هذه الأثناء كان خير الدين في بودروم ينتظر خبرا من رودس عن أخيه ،حيث اعلمه التاجر أن أخاه قد هرب لكن خير الدين لم يصدق الخبر في بادئ الأمر غير أن البحارة الموجودين في الميناء أكدوا له صحة الخبر . [123]

توجه عروج إلى انطاليا حيث بدأ في البحث عن عمل في السفن ،و بعدها عينه « الرايس علي » على متن سفينته من نوع غاليون ، [124] و الذي كان متأهبا للسفر إلى مصر ،حيث أسندت له مهمة القبطان، و عند وصولهم إلي الإسكندرية استقر عروج بها و بعث برسالة إلى ميديلي شرح فيها مغامرته ،حيث سر كثيرا خير الدين لنجاة أخيه. و كان عروج قد عرض على سلطان مصر العمل عنده فقبل السلطان و سلمه سفينة من نوع قادرغة [125] [126].

تمكن البرتغاليين من اكتشاف طريق إلى الهند عن طريق الالتفاف حول قارة إفريقيا ، وجعل القراصنة البرتغاليين يعترضون سفن الحجاج المسلمين ويستولون عليها ،ويقتلون من فيها من حجاج أو يبيعونهم كرقيق ، وكانوا يهاجمون السواحل الإسلامية في الهند و شرق إفريقيا المطلة على المحيط الهندي و البحر الأحمر .فشكلوا خطراً على الملاحة الإسلامية وهذا الأمر جعل السلطان المملوكي يسعى إلى بناء أسطول قادر على حماية

---

([122]) مذكرات خير الدين ، المصدر السابق ، ص ص : 31، 32

([123]) عزيز سامح ألتر ، المرجع السابق ، ص : 32

([124]) هي سفينة حربية ذات أشرعة هوائية يقوم بدفعها الجدافون الأسرى و كانت تستعمل قبل اكتشاف السفن البخارية

([125]) هي نوع من أنواع السفن الحربية المستعملة آنذاك و هذا النوع مخصص لمهاجمة السفن المعادية تحتوي على 25 مقعدا يعمل عليها 49 مجدفا يبلغ طولها من 165- 168 قدما عرضها من 21-22 قدما **أنظر** : عزيز سامح ألتر ،المرجع السابق ، ص : 32

([126]) مبارك الميلي، المرجع السابق ،ج3 ، ص : 34

السواحل الإسلامية. فسمع سلطان مصر بشهرة عروج ودعاه للقدوم وعرض عليه الدخول في خدمته ، وإذا وافق عروج على هذا العرض عينه قائداً للأسطول.

كتب السلطان مرسوماً إلى والي أضنة بأن يرسل إلى ميناء بياس بخليج الإسكندون من الأخشاب ما يكفي لصناعة أربعين قطعة بحرية، ففعل الوالي المطلوب وأرسله إلى الميناء ، في هذه الأثناء كان سلطان مصر يقوم بتجهيز أسطول بحري بهدف إرساله إلى الهند ، فكلف عدة سفن بالذهاب إلى خليج بياس (payas) لإحضار الخشب اللازم لإنشاء هذا الأسطول ،و قد خرج عروج بستة عشر سفينة إلى بياس على أن يأخذ الخشب ثم يتجه به إلى مصر . لقد علم الرودسيون بان عروج قد صار قائدا لأسطول ملك مصر ففرحوا كثيرا و صاروا يترقبون الفرصة المواتية للنيل منه ، و عندما بلغهم مجيئه إلى بياس جهزوا أسطولهم و تحركوا صوبه ، و حينما كان البحارة منشغلون بجمع الخشب أغار عليهم المسيحيين و هاجموا سفنهم الراسية ،و احرقوها فاضطر البحارة للفرار في البر داخل الأراضي العثمانية [127] .

عاد عروج ثانية إلى انطاليا و هناك اتصل بواليها الشيخ زاده قرقود ،و شرح له حالته فأمر بإعطائه سفينة تسع لثماني عشر مقعدا ، و بعد أن جهزت سلمت لعروج ونزل بها البحر متجها إلى جزيرة رودس ، و في طريقه كلما مر على جزيرة إلا هاجمها فدب الرعب فيها ولا يكاد احد ينجو منه ، فهم وشكى سكانها أمرهم إلى قائد رودس الذي أمر بملاحقة عروج، و بدأت السفن الرودسية في ملاحقته و البحث عنه في كل مكان، و أخيرا عثروا على سفينته راسية في إحدى المراسي على إحدى الجزر فهاجمه الرودسيون ، هرب عروج رفقة أصحابه إلى اليابسة مصطحبا معه أبناء أسرى مسيحيين ،و إلتجأ مرة ثانية إلى قرقود الذي كان بمنيسا و هناك التقى بالسلطان قرقود الذي قلده

---

([127]) مذكرات خير الدين، المصدر السابق، ص ص: 34 ، 35

حلة رياسة جديدة ووضع تحت أمره سفينة من نوع قاليتة [128] ،و أذن له بالسفر داعيا له بالتوفيق كما وضع يبالي بك سفينته الخاصة تحت تصرف عروج [129].

انطلق عروج في عرض البحر بعدما تسلم السفينتين في الوقت المطلوب ،و في طريقه التقى بسفينتين من سفن البندقية فاستولى عليهما ، فمر على جزيرة ميديلي واصل طريقه في البحر، فالتقى بسفينتين فهاجمهما و استولى عليهما في سواحل بوليا ،ثم توجه إلى جزيرة اغريبوز و فيها استولى على ثلاثة سفن أخرى تابعة للبندقية، بعدما اخذوا مائتين و خمسة و ثمانين أسيرا و قتلوا مئة و عشرون بحارا ثم عاد إلى ميديلي و هناك حضي باستقبال كبير من قبل إخوته خير الدين وإسحاق .

قرر عروج العودة إلى أزمير لمقابلة ولي نعمته قرقود ،و في هذه الأثناء بلغهم نبأ الصراع الذي نشب بين السلطان قرقود و أخيه سليم، قرر عروج التعجيل في مغادرة الجزيرة لأنه كان من المقربين من السلطان قرقود ، حيث قرر توجه إلى مصر ،و لما بلغها قدّم إلى سلطانها الاشرف قانصوه الغوري [130] عدد من الأسرى، حيث سمح له ملك مصر بقضاء الشتاء فيها ،و مع قدوم ربيع 1513 استاذن عروج للخروج للغزو، فأذن له سلطان مصر بذلك خرج عروج بسفنه إلى البحر ليصطاد من هنا و هناك، و حصل من جراء هذا على غنائم كثيرة حيث استولى على خمس مراكب تابعة للبنادقة ،و من هناك توجه إلى جزيرة جربة حيث باع غنائمه هناك،و قد استقر رأيه على اتخاذ جزيرة جربة كمقرا له ،و بعدما استقر بها اخذ يهاجم السواحل المسيحية . [131]

---

([128]) احدى السفن الحربية بها من 20- 25 مقعدا عادة ما تستعمل في مطاردة سفن العدو **أنظر** : عزيز سامح ألتر ،المرجع السابق ، ص : 32

([129]) عزيز سامح ألتر ،المرجع السابق ، ص:33.

([130]) عبد السلام الترمانيني ، المرجع السابق، ص ص : 605 -606 .

([131]) مذكرات خير الدين، المصدر السابق، ص ص :41-42.

عندما جلس السلطان سليم الأول [132] على العرش ،وقع خلاف بينه و بين أخيه قرقود الذي أرسل جيشا للبحث عليه إلا أنه لم يتمكن من العثور عليه ، وفي ذلك الوقت جاء الإسكندر باشا إلى جزيرة ميديلي ليضايق خير الدين ،و هذا لان أخاه عروج هو من أنصار السلطان قرقود ، فاضطر خير الدين إلى تحميل سفينته بالقمح و التوجه إلى طرابلس الشام ،حيث استبدل القمح بالشعير ، و بعد مروره بجزيرة أياماوري استهوته سفينة راسية فسال عن صاحبها و اشتراها ، و كان في قمة السعادة لاقتنائها حيث جاب البحر المتوسط إلا ان وصل إلى جزيرة جربه ، و هناك التقى باخاه عروج وكان ذلك سنة 919ه/1513م ،و بعدها توجه الأخوان إلى تونس حيث وضع نفسهما تحت تصرف السلطان الحفصي .

**العثمانيون في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط :**

بعد أن كون الأتراك دولتهم بآسيا الصغرى(الأناضول ) أواخر القرن 13م على حساب الدولة البزنطية ،عبروا بحر مرمرة ومضيقي البوسفور و الدردنيل و رموا بكل ثقلهم في شرق أوروبا ،كما أطاحوا بالدولة البزنطية و استولوا على عاصمتها في عهد السلطان محمد الفاتح عام 1453م، و اتخذوها عاصمة لهم ،ثم أخذوا يوسعون في دولتهم على حساب الإمارات المسيحية الأخرى ، و في عهد السلطان سليمان القانوني توغل العثمانيون في شرق أوروبا عبر نهر الدانوب وصولا إلى مدينة فينا ، ففرضوا عليها الحصار مرتين ،الحصار الأول كان عام 1529م ، و الثاني عام 1683.

---

([132]) هو السلطان سليم ابن السلطان بايزيد ابن السلطان محمد الفاتح ،كان أبوه يريد أن يولى أخاه الأكبر أحمد الذي تنازل على الملك لأخيه سليم و توفى بعد عشرين يوما من ذلك ،و دخل في صراع مرير بين الصفويين بايران و الملك قنصوه بمصر توفي سنة 926ه/1520م للمزيد أنظر :كتاب عبد السلام الترمانيني،المرجع السابق ،ص ص228-229

توغلت أساطيل العثمانيين في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط [133]، حتى وصلت إلى شواطئ اسبانيا ،و بلغ الأتراك أوج قوتهم ،في الوقت الذي أشتد فيه الصراع بين فرانسوا الأول ملك فرنسا، و شارلكان أو كارلوس الخامس ملك اسبانيا ،و إمبراطور الرومانية المقدسة.و كانت شعوب أوروبا الشرقية في هذه الفترة ضعيفة اكتفت فقط بالدفاع و المقاومة المحدودة ،و استعانت بقراصنة البحر و قوات شارلكان الاسباني وبعض الدويلات و إمارات الايطالية و الصقلية ،و على رأسها فرنسا ومالطا و البندقية .فاحتاط الأتراك للأمر و أذنوا لبعض رياس البحر بارتياد الحوض الغربي للبحر المتوسط من أجل مقاومة أساطيل القراصنة الأوروبيين و اعتداءاتهم وذلك لهدفين رئيسيين هما :

- الدفاع على موانئ المغرب العربي وحماية سكانها وتقديم المساعدة لمسلمي أندلس المضطهدين.
- إشغال أساطيل أوروبية عامة واسبانية خاصة عن المشاركة في حرب شرق البحر المتوسط التي يتحمس لها البابوات ويدعون لعالميتها ضد المسلمين عامة و الأتراك خاصة.

كادت اسبانيا أن تثبت أقدامها بسواحل المغرب ، إلا أن برز الإخوة بربروس على مسرح الأحداث فالتحق أبناء الفخارجي يعقوب بن يوسف الثلاثة : عروج وخيرالدين وإسحاق منذ حوالي 1504م بالبحر المتوسط ،و استحدثوا لأنفسهم أسطولا بحريا و شرعوا في مواجهة القراصنة الأوروبيين [134] ، انطلاقا من جزيرة جربة و حلق الوادي [135] وتمكنوا من تكوين إمارة مستقلة بجزيرة جربة [136] و اتخاذها قاعدة بحرية

---

([133]) يحي بوعزيز، مختصر في تاريخ الجزائر،ج 2 ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،2007 ، ص : 6

([134]) يحي بوعزيز، موضوعات و قضايا..، المرجع السابق، ص : 336

([135]) هو ميناء تونس العاصمة و الذي يصب فيه نهر تونس .**أنظر :** كتاب عبد السلام ، المرجع السابق ،ص821 )

لنشاطاتهم [137] ،حيث طلب عروج من السلطان الحفصي بتونس أبو عبد الله محمد بن الحسن أن يمنحه بعض مراسيه لاتخاذها مركزا لأسطوله ،فوافق السلطان الحفصي على ذلك مقابل حصوله على ثمن الغنائم [138] ، وقالوا له «: نريد أن تتفضل علينا بمكان نحمي فيه سفننا بينما نقوم بالجهاد في سبيل الله ،وسوف نبيع غنائمنا في أسواق تونس ، فيستفيد المسلمون من ذلك وتنتعش التجارة ،كما ندفع لخزينة الدولة ثُمُن ما نحوزه من الغنائم » .

فقبل سلطان تونس ورحب بهم. وأذن السلطان لهم بالرسو في ميناء حلق الوادي وقضوا الشتاء هناك.وعند حلول الربيع بدأوا بغزواتهم البحرية حتى بلغوا جزيرة سردينيا، وهناك استولوا على سفينة أحد القراصنة كان فيها مائة وخمسون أسيراً. واستولوا على سفينة أخرى كانت محملة بالقمح، وقد وجدوا القراصنة الموجودون عليها قد هربوا ولاذوا بالفرار، وفي الصباح اليوم التالي استولوا أيضاً على سفينتين أخريين إحداهما مشحونة بالعسل والزيتون والجبن، والأخرى سفينة جنوية كانت محملة بالحديد [139] .

كما جمع الكثير من المتطوعين حيث بدأ ممارسة نشاطه البحري انطلاقا من هذه القاعدة ،فذاع صيتهم في الجهاد ضد الأسبان، التي لطالما طالت غاراتهم المستمرة السواحل المغربية ، [140] و أثمرت جهودهم و أعمالهم على الاستقرار بمدينة الجزائر عام 1516م و

---

([136]) جزيرة تونسية في خليج قابس تشتهر بصناعة الخزف و الحلي و النسيج الصوفي و الحريري و السجاد و فيها مصائد للاسماك و الإسفنج.من كتاب عبد السلام الترمانيني ، المرجع السابق ،ص : 820

([137]) عاطف عيد وحليم ميشال حداد ، قصة و تاريخ الحضارات العربية بين الأمس و اليوم تونس و الجزائر، موسوعة عدد 21-22 ، ص 118

([138]) مجهول ،غزوات خير الدين بربروس ، المصدر السابق ، ص : 46

([139]) مذكرات خير الدين ، المصدر نفسه، ص : 47-48

([140]) فاروق عثمان أباظة ، أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر و عالم البحر المتوسط أثناء القرن 16، دار المعارف، ط2، القاهرة، ص: 97

ضمها إلى الخلافة العثمانية كنيابة جديدة تابعة لها ابتداء من عام 1518 م ، و بظهور هؤلاء الإخوة شهدت منطقة المغرب الإسلامي تطورات متسارعة تمخض عنها ميلاد دولة جزائرية ، و التي فرضت نفسها كقوة جديدة مؤثرة في تاريخ البحر المتوسط ،و لعبت بذلك دورا هاما في الأحداث العالمية لهذا الحوض البحري طيلة 3 قرون [141] .

**المبحث الثالث : التحاق الجزائر بالخلافة العثمانية**

إن الضعف الذي أصاب الدولة الموحدية جعلها تنقسم وتتفكك وتفقد السيطرة ، نتج عن ذلك سقوط آخر معاقل للسلميين في الأندلس في يد الإسبان والمتمثل في سقوط غرناطة عام 1492 م ، ومن جهة أخرى انقسم الشمال الإفريقي إلى ثلاثة دويلات إسلامية ظلت تتنازع السلطان فيما بينها ، وتحاول كل دولة منها أن توسع رقعتها على حساب الأخرى [142] الأمر الذي جعل بلاد المغرب الإسلامي يعيش في مرحلة في غاية الخطورة .

إنّ الدول الثلاثة التي كانت تتنافس الحكم فيما بينها ، ونعني بذلك : **" الدولة الحفصية "** بالمغرب الأدنى ( 627 ه _ 948 ه / 1229 م _ 1541 م ) و **" الدولة الزيانية "** بالمغرب الأوسط ( 633 ه _ 936 ه / 1236 م _ 1530 م ) و **" الدولة المرينية "** بالمغرب الأقصى ( 592 ه _ 691 ه / 1196 م _ 1554 م ) قد أنهكتها الحروب الداخلية واستنزفت طاقتها المالية والمعنوية ، ضف إلى ذلك نشوب الثورات الداخلية بها والصراعات المتواصلة بين زعماء القبائل المتقاتلين فيما بينهم على السلطة .

---

([141]) يحي بوعزيز، موضوعات و قضايا..، المرجع السابق، ص 337-336

([142]) شوقي عطا الله الجمل ، المغرب العربي الكبير ( تونس _ الجزائر _ المغرب ) ، ط : 1 ، المكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1977 ، ص : 26 .

قد جعلت المغرب العربي يبتعد عن حياة الاستقرار ، ويغفل عن قضايا التنمية والازدهار التي تشهده الدول الأجنبية المسحية التي عرفت كيف تتوحد ضد المسلمين وتقضي عليهم ببلاد الأندلس وتتتبعهم بالشواطئ المغربية [143]، هذا التطاحن والصراع الإقليمي قد تأثر به بشكل كبير وفعلي عامة المغرب العربي ، ولكن بالخصوص المغرب الأوسط بحكم موقعه الوسطي بين الجارتين الحفصية والمرينية ، فكانت الإصطدامات تارة مع الحفصيين الذين اعتبروا أنفسهم الورثة الشرعيين للدولة الموحدية ، وتارة مع المرنيين الطامحين في توحيد المغرب قاطبة تحت سلطتهم ، مما جعل لاتعرف الاستقرار إجمالاً وتكون في حالة شبيهة بالمد والجزر [144] .

والقول الصائب حول الوضع السياسي للمغرب الأوسط ، أنه كان مترديا قبل 1519 م فضعف بني زيان قد أثر بشكل سيئ وسلبي على أوضاع البلاد، فانقسمت على نفسها في شكل إمارات صغيرة مفككة ومتناحرة كـــــ : " إمارة جبل كوكو ببلاد القبائل ، الإمارة الحفصية بقسنطينة و إمارة الدواودة بالحضنة والزاب وإمارة بني جلاب بتقرت [145] ،ووادي ريغ وإمارة بني يزناسن [146] وفجيج [147] بالحدود الغربية و إمارة الثعالبة بالجزائر بني مزغنة ومتيجة [148].

---

([143]) عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962 م ، ط :2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2005 م ، ، ص : 49 .

([144]) عائشة غطاس وآخرون ، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 م ، سلسلة المشاريع الوطنية ، الجزائر ، 2007 م ، ص : 11 .

([145]) **تقرت** : مدينة قديمة بناها النوميديون على جبل في شكل نتوء ، وهي مسورة بسور من الطوب والطين وتقع على بعد 500 ميل من جنوب البحر المتوسط وهي بلاد عامرة بالصناع النبلاء الذين يملكون حدائق التمور والنخيل ، في البداية كانت خاضعة لملوك مراكش ثم تلمسان وأخيرا لملك تونس أين كانت تؤدى له 50 ألف مثقال سنويا . **أنظر** : حسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الافريقي ، وصف إفريقيا ، تر:محمد حجي، محمد الاخضر،ج2 ،ط:2 ،دار الغرب الاسلامي، بيروت ، لبنان،1983، ص 135.

إن هذا التفكك و الانقسام اللذّان ميزا المغرب الأوسط ،وتردي الأوضاع والفوضى السياسية العارمة ، كنت من أهم العوامل المشجعة للأطماع الصليبية ،ونلمس هذا بكل جلاء فيما كتبه فرناندو دي زافرا الذي كان كاتبا بالبلاط الإسباني ومكلف بحراسة الشواطئ الإسبانية ومراقبة حركة الأندلسيين المتوجهين نحو المغرب العربي قائلا : " إن بلاد المغرب بأكملها تجتاز حالة انهيار نفسي ،يظهر معها أن الله قد أراد أن يمنحها لصاحبي الجلالة [149]. وبناءا على ذلك تشجع الإسبان لفكرة الغزو والسيطرة خاصة بعد النكبة المؤلمة الناجمة عن فقدان الأندلس والتي خلفت آثارا مؤلمة في نفسية المسلمين ومعنوياتهم .

كان الإسبان على علم بكل مايجري في الشمال الإفريقي من أحداث ، وكذا الضعف الحاصل في صفوف المسلمين وتفرقهم ، لذلك انتهز " الدون فرناند " [150] ملك إسبانيا الفرصة في طرد المسلمين عام 1492 م ،وأصدر قانونا يمنع ممارسة الديانة الإسلامية في الأندلس ،ونظم لذلك مراقبة شديدة من أجل تتبع المسلمين وإرغامهم على اعتناق المسحية أو الخروج من إسبانيا [151]، ولعل عملية الغزو هاته قد بنيت أفق مشروع

---

([146]) **يزناسن** : هو في الأصل جبل يقع على بعد 50 ميلا غربي تلمسان ، يضم هذا الجبل مداشر عديدة يسكنها قوم ذو بأس شديد وفي أعلى الجبل قلعة حصينة يقيم بها أمراء البلاد ولو أنهم غالبا مايتحاربون فيما بينهم تنافسا على الحكم . انظر : حسن الوزان ، نفس المصدر ، ج 2 ، ص : 43 .

([147]) **فجيج** : عبارة عن ثلاثة قصور في وسط الصحراء ، وهذه القصور على بعد نحو عشرون ميلا شرقي سجلماسة . **أنظر** : نفســـــه ، ص : 132 .

([148]) يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص : 8

([149]) عائشة غطاس وآخرون ، المرجع السابق ، ص : 12 .

([150]) **الملك فرناند** : ( 1452 _ 1516 م ) هو فرناند الثاني ابن فرناند الأول ، أصبح ملك أرغون سنة 1452 م ثم ملك صقلية ( 1479 _ 1516 م ) ثم نابولي ( 1504 _ 1516 م ) ، تميز حكمه بالقسوة والشدة . **أنظر** : عائشة غطاس وآخرون ، المرجع نفسه ، ص : 12 .

([151]) علي عبد القادر الحليمي ، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830 م ، ط :1 ، المطبعة العربية ، دار الفكر الإسلامي ، الجزائر ، 1972 م ، ص : 161 .

استعماري واسع يهدف إلى السيطرة على المغرب العربي ككل ،وتحيق جملة من الأهداف يمكن إيجازها فيمايلي :

أ. **الدينية :** محاولة نشر المسحية في المنطقة وتعميرها بالمسيح وإبعاد حدود دولة الإسلام عن إسبانيا عن طريق ملاحقة الفارين بإتجاه شمال إفريقيا . [152]

ب. **الأمنية :** إقامة قواعد عسكرية تحُول دون اتصال المسلمين بإخوانهم في إسبانيا ، وبذلك يضعون حدا للأضرار التي يمكن أن تقع من طرف الغزاة الجزائريين والأندلسيين ويؤمنوا بذلك خطوط مواصلاتهم التجارية نحو الدويلات الإيطالية .[153]

ج. **السياسية :** بغية تحقيق السيادة في البحر الغربي للبحر المتوسط ، ولا يتم ذلك دون إخضاع ساحل الشمال الإفريقي الذي يحتل شطرا واسعا في الضفة الجنوبية منه .

د. **الإقتصادية :** محاولة السيطرة على المراكز التجارية واحتكار طرق التجارة ، وحق الولوج نحو إفريقيا العميقة كبلاد السودان الغنية بالتبر والذهب [154] وقد اتسم الغزو الإسباني في مجمله بالطابع الديني التعميمي فضلا عن منهجه الإستعماري ، إذ بدأو بمطاردة العرب المسلمين وتتبعهم في شمال إفريقيا والهيمنة على مصادر ثروتهم ، وقد بارك " البابا ألكسندر السادس " توجهات الإسبان نحو الساحل الإفريقي [155] .

## 1. الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية:

---

([152])عبد القادر فكاير ، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية و أثاره ، ط:1 ، دار الهومة ، الجزائر، 2012 ، ص ص : 28 ،29 .

([153]) نفسه ، ص :34

([154]) عمار بن خروف ، العلاقات بين الجزائر والمغرب ( 923 _ 1069 ه / 1517 _ 1659 م ) ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق ، 1983 م ، ص : 21 .

([155]) نمير طه حسين ، المرجع السابق ، ص : 100 .

كان أهم حدث عاشته إسبانيا المسحية هو الوحدة السياسية التي تمت بزواج " فردناند " ملك آرغون و " إليزابيث " ملكة قشتالة ، وهو الأمر الذي سمح للإسبان بتركيز جهودهم على محاربة المسلمين بالأندلس وإخراجهم من آخر معقل لهم وهو غرناطة .

إنّ سقوط غرناطة بيد الإسبان في 02 جانفي 1492 م ،أسفر عن بدء مرحلة جديدة في برنامج التوسع الإسباني ، ذلك أن إسبانيا قد رأت أنه لا مناص من نقل الحرب إلى بلاد المغرب، بل ذلك أمر ضروري وإستراتيجي بهدف تطويق بلاد المغرب خوفا من إعادة الكرة عليهم ، وقد خشي الكاردينال خمينس **(156)** أن يكون سقوط غرناطة وفرار فلول العرب والمسلمين من الأندلس إيذانا بتوقف الهجومات ضد العرب والمسلمين ، لذلك قام هذا الأخير بإثارة مخاوف الملكة إليزابيث، وأستعمل في ذلك كل لهجة من شأنها أن تحز الخوف والقلق في نفسيتها ، والواقع أنه لم يكن صعبا على الكاردينال خمينس أن يثير هذه المخاوف ، فقد كان يكفيه التذكير ببعض الحقائق التاريخية بأن فتح الأندلس كان عن طريق المغرب **(157)** .ومن بين حججه أنه قال : " أن المغرب والمسلمين لايعتبرون خروجهم من الأندلس هزيمة نهائية ، لقد أخفوا سلاحهم ، ومعظم رؤسائهم تظاهروا بالهزيمة في إنتظار الفرصة المواتية لينقضوا من جديد على الأندلس ، و أنه لابد من القضاء على أوكار القرصنة في شمال إفريقيا " .

استجابت الملكة إليزابيث لنصائح خمينس وكلفت " لورانزودي بادليا " حاكم القلعة بالأندلس، بمهمة سرية أداها بكل كفاءة ونجاح جيث كلفته بإستطلاع الأمور

---

([156]) **الكاردينال خمينس دي سيسنيروس** : كردينال إسباني عرف بتطرفه وتعصبه ضد المسلمين ، ولد بقشتالة عام 1436 م كان من الموظفين السامين في بلاط الملكة إليزابيث ، وفي عام 1507 م أنيطت به مهمة الإشراف على محاكم التفتيش التي زرعت الرعب في نفوس مسلمي الأندلس . أنظر : عائشة غطاس وآخرون ، المرجع السابق ، ص : 36 .

([157]) مبارك بن محمد لجيلالي الميلي ، المرجع السابق ، ص : 19.

والمواقع في تلمسان من أجل الإعداد لإحتلالها وجعلها منطلقا لعمليات الغزو ببلاد المغرب العربي ، فذهب هذا الأخير متنكرا في زي تاجر إلى مملكة تلمسان حيث أمضى بها أكثر من عام رجع بعدها بكل المعلومات المطلوبة والضرورية للحملة ، كما عين خمينس جيرونيمو فيانيللي المهندس البحري البندقي ليكون إلى جانبه ، وكان هذا الأخير ذا معرفة ثاقبة بسواحل الشمال الإفريقي التي زارها بحارا وتاجرا ، إلا أن موت الملكة إليزابيث المفاجئ كان أحد الأسباب الرئيسية في تعطل نمشروع الغزو ، وقد أوصت بمواصلة الحرب ضد المسلمين قائلة : " أنه لاينبغي إيقاف غزو إفريقيا ولا إنهاء الصراع ضد الكفار ( تقصد المسلمين ) من أجل العقيدة " [158].

أخذ الإسبان بعد موت ملكتهم يتطلعون الاستلاء على شمال إفريقيا [159]، حيث صمم الملك فردناند تنفيذ وصية زوجته إليزابيث ، وقد اتخذت الأطماع التوسعية في عهده شكل اجتياح منظم لسواحل المغرب العربي ، بعد أن بوركت هذه المساعي من طرف الكرسي البابوي الذي بادر بتقسيم مجال نفوذ الإسبان والبرتغاليين في معاهدة طورد يسلاس عام ( 900 ه _ 1494 م )، تم معاهدة سينترا ( 915 ه _ 1509 م ) ،أين أطلقت يد الإسبان على سواحل المغرب بدءا من شرق حجر بادس وأما البرتغاليون ففي غربها [160].

لقد وجد الاسبان في ملاحقة الأندلسين النازحين إلى بلاد المغرب وإبعاد خطرهم عن إسبانيا، وفي البحث عن طرق تجارية توصلهم إلى الشرق الأقصى قبل تعرفهم على

---

([158]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830 م ، ج2 ، ط2 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2007 م ، ص : 51

([159]) محمد سهيل طقوش ، العثمانيون من قيام الدولة إلى الخلافة ( 1299 _ 1924 م ) ، ط1 ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، 1915 ، ص : 203

([160]) ناصر الدين سعيدوني ، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية ( الجزائر تونس طرابلس المغرب) ، ط2 ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013 ، ص : 15 .

رأس الرجاء الصالح، دافعا ومبررا للتحقيق أهدافهم التوسعية ببلاد المغرب، والتي اتخذت شكل حملات صليبية ابتدءت بتخريب تطوان ( 803 ه _ 1400 م ) تم الاستلاء عليها عام ( 906 ه _ 1501 م ) تم احتلال مليلية ( 903 ه _ 1497 م )، وتوجهت الأنظار بعدها نحو السواحل الجزائرية [161] ،وتجدر الإشارة أيضا إلى النهضة التي شهدتها أوروبا ،حيث صنعت الفارق الكبير في اختلاف ميزان القوة ،وساهمت بشكل كبير في توجه أنظار المسحية نحو الساحل المغربي ، حيث أسفرت النهضة في تطور الأسلحة الإسبانية مقارنة بالسلاح الجزائريين ووسائل دفاعهم ، فبينما كان الإسبان يحاربون بالسلاح الناري والمدفعية الثقيلة ، كان الجزائريون كما يقول بروديل كرفاق عقبة يحاربون بالسيف والرماح [162].

كانت أول نقطة احتلها الإسبان بالمغرب الأوسط هي المرسى الكبير [163] ،ووقع اختيار الملك فرديناد على الدون دييغو فرناندیز ليكون قائدا عاما للحملة ، ووضع تحت قيادته جيشا

يزيد عن عشرة آلاف جندي ونحو سبعة بواخر حربية و مائة وأربعون زورقا مختلفة الأحجام [164]

استعدت القوات الإسبانية لمغادرة **مالقة** في أواخر أوت 1505 م ، لكن ريحا عنيفة أجلتها ، وقد أفاد هذا التأخير في وصول خبر الحملة إلى المرسى الكبير ، فأستعد سكانه

---

([161]) المرجع نفسه ، ص : 16 .

([162]) عمار بالخروف ، المرجع السابق ، ص : 22 .

([163]) **المرسى الكبير** : مدينة صغيرة أسسها ملوك تلمسان على ساحل البحر المتوسط ، بعيدة بضعة أميال عن وهران ومعناها الميناء الكبير ، يقول الوزان : " ما أظن أن في الدنيا أكبر منه فيمكن أن ترسوا فيه بسهولة مئات المراكب والسفن الحربية " ، استولى عليه الإسبان عنوة قبل سقوط وهران . **أنظر** : حسن الوزان ، المصدر السابق ، ص : 31 .

([164]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص ص : 20،21

لمواجهتها ، إلا أن تأخرها يوما بعد يوم جعلهم يظنون أن الإسبان قد تخلوا عن مخططهم في غزو المرسى الكبير ، إلا أن الهجوم عليه قد وقع وتمكن الإسبان من احتلاله وأسفرت المعركة به عن مقتل قائد الحامية المتواجدة به والمـــــُشكلة من خمسمائة جندي ، وقرر الدون دييغو تحويل مسجد المرسى الكبير إلى كنيسة وأخذ يرسل طلائعه نحو الداخل لكي تجلب له مايموّن به جنـــــــــــــده [165].

يرجع الفضل في الانتصار المحقق في المعركة إلى خيانة بعض عرب بني عامر وحميان وكيزة والشفع الموالين الاسبان ، وكانوا يسمون بالمغاطيس كما عرفوا بإسم " لوس موروس ديل ري " LOS MOROS DEL REY أي الدلائل [166] ،وكانت هذه القبائل في خدمة الإسبان وعون لهم [167]، هذا وارتكب الإسبان مجازر رهيبة تؤكد مدى الحقد الدفين ضد الإسلام والمسلمين ، وعندما سمعت إسبانيا بنبأ الإنتصار قررت إعلان الإحتفال لمدة ثمانية أيام متوالية وطلبت من الدون دييغو فرناندیز القدوم للبلد من أجل التهنيئة ، وبعد مضي حوالي خمسة سنوات وجه الإسبان ضربتهم الثانية لمدينة وهران ، فأعدوا لها حملة ضخمة خرجت من قرطاجنة بإسبانيا يوم 16 ماي 1509 م بقيادة الكاردينال خيميسن ووصلت وهران يوم 19 من نفس الشهر [168] وكان قوام الحملة 15 ألف جندي إقترف خلالها الاسبان أبشع المجازر بعد أن ساعدهم في ذلك خيانة اليهودي " أشطورا " [169] ، حيث قتلوا مايزيد عن 4 آلاف من سكانها وأسروا نحو 8

---

([165]) Jean alengry,les relations franco-espagnoles et l 'affaire du maroc,la vie universitaire,paris,p 35-36

([166]) عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو ، دخول الأتراك العثمانين إلى الجزائر ، دط ، الجزائر ، 1972 ، ص : 23 .

([167]) عبد القادر المشرفي ، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر ، تق : محمد بن عبد الكريم ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ص : 140

([168]) يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص : 9 .

([169]) عائشة غطاس وآخرون ، المرجع السابق ، ص : 16 .

آلاف ، كما خربوا مساجدها وبنوا بأحجارها كنائسهم واستبدلوا المآذن بالأجراس .[170]

بعد هذا النجاح عيّن الإسبان أحد قراصنتهم وهو " بيدرو نافاروا " [171] حاكما عليها وعلى المرسى الكبير ومملكة تلمسان الزيانية التي أعلنت خضوعها لهم ، ومن الغرب توجهت الأنظار نحو مدينة بجاية [172] ،وكانت أوضاعها السياسية مساعدة للغاية لعملية الغزو ،وقد أعدّ الحملة الكاردينال خيمينس أيضا وأسندت القيادة إلى بيدرونافار [173] ، وكان وصولها لبجاية يوم 5 جانفي 1510 م ، وتمكنوا من احتلالها بعد مقاومة مستميتة من سكانها أين عاث فيها الإسبان فساداً وقتل مايربوا عن 4100 شخص ، كما خرب معالم المدينة وآثارها التاريخية الإسلامية [174] ،كما احتل الإسبان في نفس العام مدينة عنابة ،وخافت الدولة الحفصية مغبة الأمر فأعلن السلطان الحفصي " أبو عبد الله " قبوله للدفع إتاوات مالية لهم كعنوان للروضوخ والاستسلام ، كما ارتاع سكان مدينة الجزائر أيضا وتوجسوا خفيفة من أن يهاجمهم الإسبان بين الفينة وضحاها ، فبمجرد الإعلان عن سقوط بجاية حتى قام " سالم التومي " بجمع أعيان المدينة أين قرروا توقيع معاهدة الاستسلام بدل الوقوع في الحصار .

---

([170]) عبد القادر الحليمي ، المرجع السابق ، ص ص : 163 ، 164 .

([171]) **بيدرو نافاروا** : أصله من بيسكاي جلبه الملكان فردناند وإليزابيث واستعملاه لتوسعهما في الشواطئ الإفريقية ، كان بحارا مغامرا ، وكان أول والي على وهران ولكن بعد الحرب بين فرانسوا الأول والإسبان أسره الملك فرانسوا سنة 1512 م و لم يفتده الإسبان فغاضه الأمر واختار التجنيد في الجيش الفرنسي ثم قبض عليه الملك شارل الخامس وشنقه عام 1522 م . **أنظر** : عبد الحميد بن أشنهوا ، المرجع السابق ، ص : 63 .

([172]) **بجاية** : سميت بجاية نسبة لقبيلة بربرية تقطن بها ، وقد ورثت بجاية حاضرة بني حماد واتسع عمرانها بعد أن أصبحت عاصمة لهم ، واستمرت إلى أن حطمها الإسبان وخربوها . أنظر : أحمد التوفيق المداني ، هذه هي الجزائر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 2002 م ، ص ص : 196 ، 197 .

([173]) Don diego de haedo , topographie,et histoire générale d'alger , traduit a léspagnol par monnereau et berbrugger, 1870,p 19

([174]) عائشة غطاس وآخرون ، المرجع السابق ، ص ص : 17،18

على إثر ذلك توجه " سالم التومي " في 31 جانفي 1510 م نحو بجاية لإعلان الولاء للقائد الاسباني بيدرو نافارو فإشترط هذا الأخير ، دفع ضريبة باهضة وإطلاق سراح كل العبيد المسحيين الموجودين في أيدي سكان المدينة ، ومن جهة أخرى فرض عليه بناء قلعة على تلال الجزر المقابلة لمدينة الجزائر [175] ،وزيادة على ذلك فإنه يتوجب على حاكم مدينة الجزائر أن يذهب شخصيا لإعلان خضوعه لملك إسبانيا رفقة عبد الله حاكم مدينة تنس الذي أعلن هو الآخر ولائه وخضوعه ، فذهبوا لإسبانيا محملين بالهدايا الثمينة ومعهم 130 من الأسرى المحررين [176].

حذّت مستغانم [177] ومزغران حذّو تنس والجزائر ، حيث أعلنتا الولاء الإسبان مقابل الأمان وقد نصت معاهدة الولاء المبرمة على استرجاع كافة المسحيين العبيد ، وتزويد الحاميات الإسبانية بوهران والمرسى الكبير بالمواد الغذائية وكذا أن لايسمحوا بشحن أو تفريغ أي باخرة في الميناء دون الحصول على إذن من الملك [178]، وكان أهم حدث طرأ بعد الغزو الإسباني للسواحل أن ظهر بها الأخوان عروج وخير الدين، واللذان سيعملان على تحرير البلاد من قبضة الإسبان وإلحاقها بالخلافة العثمانية .

## 2. الاستنجاد بالأخوين بربروس وإعلان التبعية للخلافة العثمانية :

كان للظروف السائدة بأقصار المشرق في مستهل القرن السادس عشر للميلاد تأثير مباشر على تطورات الوضع بالجزائر ، فقد كان لوقف النشاط البحري الإسلامي لفترة

---

([175]) أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص 68 .

([176]) **كورين شوفالييه** ، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر ( 1510 _ 1541 م ) ، تر : جمال حمادنة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007 م ، ص : 23 .

([177]) **مستغانم** : مدينة بناها الأفارقة على ساحل البحر ، كان لها في القديم حضارة كبيرة بها مسجد في غاية الحسن ودورها جميلة وسقايتها عديدة وفي خارجها عدة بساتين وأراضيها جيدة للفلاحة وخصبة ولها ميناء صغير . أنظر : حسن الوزان ، المصدر السابق ، ص : 32

([178]) كورين شوفاليه ، المرجع السابق ، ص : 24 .

بالمياه الشرقية للمتوسط نتيجة الإتفاق العثماني البندقي ( 908 ه _ 1502 م ) ،بالإضافة إلى وصول سليم الأول للعرش العثماني ( 915 ه _ 1509 م )، دخل كبير في تحول جماعات من المجاهدين الأتراك وعلى رأسهم الإخوة بربروس إلى غرب البحر المتوسط [179].

إن مجئ الإخوة بربروس إلى الحوض الغربي للمتوسط، قد تزامن مع ظهور الإسبان في الساحل الشمال الإفريقي ، إذ احتلوا كما أسلفنا جلّ موانئه من الغرب حتى الشرق وتجاه هذا الخطر المحدق والمتمثل في الإسبان ، كان لزاما على الأهالي أن يواجهوا عدّوهم ويحرروا بلادهم ولعلّ هذا السبب الذي دفعهم إلى طلب نجدة والحماية من الأشخاص القادرين على تقديم يد العون والمساعدة .

كانت شهرة الأخوين قد سبقت وجودهما ، حيث لعب المهاجرون الاندلسيون دورا بارزا في نشر سمعتهم الطيبة في الأوساط الجزائرية [180]، وسيلعب الاخوان دورا رئيسيا في تعجيل الأحداث السياسية بالمغرب العربي ، فحملاتهما المتواصلة في البحر المتوسط وعلى السواحل الإسبانية وجنوة وفرنسا وسردينيا ومايورقة ومينورقة وغيرها ، لاشك أنها علامات تعكس مدى بأس وشجاعة الإخوة [181] .

تسامع أهل بجاية خبر هؤلاء ،وملكها يومئذٍ عبد الله مع عمه عبدالرحمان المتنازعان والمستندان للإسبان ، فقام علماء وأعيان المدينة بتشكيل وفد يطلب من الإخوة المساعدة والنصرة، وقد تشجعهم في ذلك الأمير الحفصي بقسنطينة ليبعدهم عن عاصمته . تمت المقابلة في حلق الوادي [182] ،ولبى الإخوة بربروس الرغبة وزحفوا على المدينة ، وكان

---

([179]) ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص : 25 .

([180]) علي عبد القادر الحليمي ، المرجع السابق ، ص ص : 163 ، 164 .

([181]) عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهوا ، المصدر السابق ، ص : 34

([182]) مولود قاسم ، المرجع السابق ، ص :58

هذا أول صدام عثماني مع الإسبان في البلاد الجزائرية ، إلا أن عروج وجماعته لم يوفقوا في هجومهم على المدينة حيث كانت مدافعهم غير فعالة ، كما أن عروج ورجاله لم يكونوا على استعداد لمواجهة شراسة المدفعية الإسبانية ، وقد تحطمت ذراع عروج بكرة مدفع وانسحب مع رجـــــاله في فوضـــــــــــى كبيـــــــرة [183] ،هذا وقد اضطر المشرفون على علاجه إلى بترها بعد أن استعص عليهم علاجها وجعل عوضها ذراعا من فضة [184] .

بعد هذه الخيبة تحولت أنظار عروج إلى جيجل [185]، واتخذها عاصمة له ( 920 ه _ 1514 م ) بعد أن افتكها بمعونة رجال القبائل من الجنويين الذين كانوا يحتلونها منذ مدة طويلة ( 658 ه _ 1260 م ) ، وقد كانت الغنائم التي حصل عليها كثيرة حيث بلغ عدد الأسرى حوالي 600 أسير ،وجههم عروج إلى السلطان العثماني تحت رقابة أحد قراصنته المعروف بإسم محي الدين رايس ، وكانت هذه أولى الإتصالات التي تمت بين عروج والدولة العثمانية [186] كما أوفد إليه عروج رسالة عرض له فيها أوضاع بلاد المغرب ،وأخبره بالصعوبات التي تواجهه من أجل إنقاذ مسلمي الأندلس، وبيّن له الحاجة إلى الدعم والتأييد ، فرحب السلطان بذلك وأمدّه ورفاقه بالعدّة والعتاد فزودهم بعدد من

---

([183]) جون ب . وولف ، الجزائر وأوروبا ( 1500 – 1830 م ) ، تر : أبو القاسم سعد الله ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009 م ، ص : 29 .

([184]) نور الدين عبد القادر ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر منذ أقدم العصور إلى إنتهاء العهد التركي ، نشر كلية الأدب الجزائرية ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1985 م ، ص : 44 .

([185]) **جيجل** : مدينة من تأسيس القرطاجيين الذين كانوا يدعونها ايجلجيلي وتقع حاليا في شبه جزيرة منخفضة بعيدة عن بجاية بحوالي 96 كلم . **أنظر** : أحمد التوفيق المدني ، المرجع السابق ، ص : 51 .

([186]) صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم التركي ( 1517 _ 1830 م ) ، ط 2 ، دار هومة ، الجزائر ، 2007 م ، ص : 45 .

السفن والرجال وكميات من السلاح ، فأعطاهم ذلك دعما معنويا وتصميما على شن حملة أخرى ضد بجاية من أجل تحريرها [187].

ظلت بجاية تجتذب أنظار عروج لمركزها الهام وموقعها الإستراتيجي ، فنضم عروج حملة ثانية ضدها عام 1514 م بمساندة شيوخ القبائل وأمير جبل كوكو " أحمد بن القاضي " [188] على أن يكون مخطط الحملة الهجوم عليها من البر والبحر .

ضرب عروج حصارا على المدينة وشرع في قصفها بمدفعية مراكبه ، وكانت القبائل بقيادة ابن القاضي تحاصرها من البر بـــ 20 ألف محارب ، وتمكن من السيطرة على إحدى قلعتيها لكن المدينة استعصت عليه [189] ،ودام حصار بجاية 3 أشهر خسر فيها عروج عددا من جنوده كما تناقصت مؤونته [190] في حين وصلت الإمدادات الإسبانية لبجاية ممثلة في 5 آلاف رجل يقودهم " ماثين دي فانتورا " ، وأمام هذه الوضعية الجديدة طلب عروج من السلطان الحفصي أن يدعمه ويزوده بالبارود فامتنع، وأظهر عداوته للأتراك .

كما أن القبائل الجبلية التي ذهبت لنصرته ، قد انصرفت دون إذنه لأجل زراعة الحقول ، فاضطر عروج إلى الإنسحاب وقبل أن ينصرف أحرق سفنه التي كانت راسية بنهر الصومام ، حتى لايتقوى بها عدوه من بعده ، وذهب برا باتجاه جيجل ، وهناك

---

([187]) هشام سوادي هاشم ، تاريخ العرب الحديث ( 1516 _ 1918 م ) من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ط 1 ، دار الفكر المملكة الأردنية ، عمان ، 2010 م ، ص : 42

([188])**ابن القاضي** : هو رجل من أعيان بيوتات الجزائر الساكن بناحية بلاد القبائل ، شغل منصب قاضي بجاية وفي سنة ( 917 ه _ 1511 م ) أسس إمارة جبل كوكو الواقع عند منابع واد سباو ، ولما تولى خير الدين أمر البلد ولاه رئاسة قومه في تلك الناحية . أنظر : عبد الرحمان بن محمد لجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 3 ، دار الأمة ، الجزائر ،2010، ص : 48

([189]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 45

([190]) هشام سوادي هشام ، المرجع السابق ، ص : 42

استقبل مبعوث السلطان العثماني سليم الأول الذي بعث إليهم 14 سفينة ومجموعة من المجدفين المهرة وكمية من الأسلحة والذخيرة جزاءا لهم على أعمالهم البطولية وعلى هديتهم الثمينة التي كانوا أرسلوها له بعد فتحهم لجيجل [191].

استقبل الإخوة بربروس وسكان المدن المغربية المهددة من طرف الإسبان نبأ وفاة الملك فردناند يوم 23 جانفي 1516 م ، حيث وجد سكان مدينة الجزائر في ذلك فرصة سانحة لنقض معاهدة الولاء التي ربطتهم بهذا الملك الظالم [192]، وأوفدوا إلى عروج ورفقائه عدة شخصيات بارزة لإقناعهم وترجيهم للقدوم من أجل تخليصهم من ظلم المسحين، وتهديم تلك القلعة المشؤومة المعروفة باسم " قلعة البنيون " [193] ،وقالو لهم : " ...سمعنا بكم أناس تحبون الجهاد ،وأخذتم بجاية وجيجل من أيدي النصارى ونصرتم الدين ، فهنيئا لكم أيها المجاهدون لابد أن تقدموا إلينا لتخلصونا من أيدي هؤلاء الملاعين الكفرة، لأنا نحن في محنة عظيمة وذلة وشدة " [194].

قبل الإخوة بربروس هذا الطلب ،حيث رأو فيه فرصة لهم للإستلاء على مدينة الجزائر الهامة والغنية جدا والمناسبة لعماليات القرصنة [195]، وبناءا على ذلك جهز عروج سفنه وشحنها بالمجاهدين والعتاد الحربي ، وأمر آخاه خير الدين بأن يأتيه بالأسطول أما هو فتوجه نحو الجزائر برا ومر دون أن يقف بها متوجها نحو شرشال ، حيث التقى

---

([191]) عثمان الكعاك ، موجز التاريخ العام للجزائر ، ( من العصر الحجري إلى الإحتلال الفرنسي ) ، تق و مر : أبو القاسم سعد الله ، ناصر الدين سعيدوني ، محمد البشير الشنيتي ، إبراهيم بحاز ، ط 1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 2003 م ، ص ص : 272 ، 273 .

([192]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 46

([193]) كورين شوفالييه ، المصدر السابق ، ص : 27 .

([194]) محمد بن رقية التلمساني ، **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة** ، منشور ضمن مجلة التاريخ وحضارة المغرب ، 1967 م ص : 4

([195]) كورين شوفالييه ، المصدر السابق ، ص : 27 .

بصاحبها " قارة حسن " [196] الذي كان ضمن رؤسائه العاملين تحت سلطته لكنه إنفرد بالحكم وقويت شوكته فقتله عروج ليستريح من شره وقفل راجعا نحو مدينة الجزائر [197] وعندما علم " سالم التومي " بقدومه خرج لإستقباله وتم اللقاء على بعد مسيرة يوم من مدينة الجزائر [198] .

نزل عروج بمدينة الجزائر أين استقبل بحفاوة من طرف سكانها ،وحاول من يومه القضاء على حصن البنيون [199] ،وقد تلقى المساعدة من طرف أخيه خير الدين وأحمد بن القاضي [200] وبدأ عروج برفع الحصون وحفر الخنادق وتركيب المدافع ،وأخذ يضرب الحصن ويلّح عليه بالقنابل ليل نهار لمدة 20 يوماً ، إلا أنه لم يتمكن من فتحه بسبب ضعف المدفعيته [201] فشدد الحصار وقطع عنه المؤن والمياه التي كانت تأتيه من مدينة الجزائر ، إلى أن ضطر من بالحامية إلى الذهاب نحو مايوركا للتزويد بالمياه ، ويحوي الأرشيف الإسباني على حسب ما أورده كورين شوفالييه بعض الرسائل التي بعثها " نيكولاس الخامس " حاكم الحصن إلى إسبانيا والتي يذكر فيها بتاريخ 8 أوت 1516 م أنه لم يكن يوجد سوى 15 قربة ماء لمؤونة أكثر من 200 شخص محاصر داخل القلعة [202] .

---

([196]) **قارة حسن** : قارة كلمة تركية معناها الأسود كان من رؤساء العاملين تحت سلطة عروج وبعد أن قويت شوكته تخلص منه عروج وقتله . **أنظر** : عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو ، المرجع السابق ، ص : 68

([197]) عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو ، المرجع السابق ، ص : 68

([198]) محمد بن عبد القادر الجزائري،تحفة الزائر في ماثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر ،ج1،المطبعة التجارية، الاسكندرية ،1903،ص63.

([199]) عبد الرحمان بن محمد لجيلالي ، المرجع السابق ، ص : 40 .

([200]) عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو ، المرجع السابق ، ص : 69 .

([201]) أبو عبد الله الأعرج السليماني ، تاريخ الجزائر من قيام الدولة الفاطمية ونهاية ثورة الأمير عبدالقادر نقلا عن كتاب الشماريخ ، تح : حساني مختار ، المكتبة الوطنية ، ص : 194

([202]) كورين شوفالييه ، المصدر السابق ، ص ص : 30 ، 31 .

عبر سكان مدينة الجزائر على خيبة أملهم من عدم فتح الحصن ، ولعِّبت الدسائس والحيك عملها ، فرام أهل المدينة التمرد عليه بالإستعانة بالجيوش الإسبانية ، لكنه تفطن للأمر وقام بإعتقال سالم التومي ونصب نفسه حاكما على المدينة ، أما يحي بن سالم التومي ففر إلى وهران عند الإسبان خوفا على نفسه من أن يقتل مثل أبيه ، فوجهه حاكمها إلى إسبانيا أين التقى بالكردينال خيمينس الذي وعده بالنجدة وإرجاعه إلى عرش أبيه ، وكان خيميسن إذ ذاك وصيا على عرش إسبانيا نظرا لصغر سن شارل الخامس **(203)**.

لعلّ تحالف القبائل العربية مع الإسبان وتنسيق الجهود بينهم قد أثمر تلك الحملة التي نظمها هؤلاء ضد المدينة سنة 1516 م بقيادة " دييغو دوفيرا " ،حيث انطلقت من وهران باتجاه الجزائر في أواخر سبتمبر 1516 م ، وكانت الهزيمة مهولة بالنسبة للإسبان وانتصار عظيما لعروج وإخوته **(204)** وللسكان الذّين عبروا عن فرحتهم وابتهاجهم **(205)**، وكان من نتيجة ذلك أن قام سكان البليدة والمدية ودلس والقبائل بمبايعة عروج وإعلان فروض الطاعة والولاء له **(206)**، وقد كلف عروج أخاه خير الدين بإدارة شرق البلاد متخذا من دلس مقرا لإقامته وعاصمة للشرق **(207)**.

في غضون هذه الأحداث ، كانت تلمسان تعيش هي الأخرى أوضاعا سياسية صعبة ،الأمر الذي دفع بسكانها إلى الاستنجاد بعروج وإخوته لإنقاذهم مما نزل بهم على يد سلطانهم أبي حمو موسى الثالث ، الذي زاد من تعسفه باعتماده على الإسبان الذين

---

(203) عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو ، المرجع السابق ، ص : 69 .

(204) يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص : 14 .

(205) محمد بن رقية التلمساني ، المصدر السابق ، ص : 5

(206) يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص : 14 .

(207) عبد الجليل التميمي ، **أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519 م** ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 6 ، تونس ، جويلية 1976 م ، ص : 117

أعادوه إلى عرش تلمسان وخلعوا أبا زيان ، وقد تبع ذلك صراعات مريرة واغتيالات كثيرة تسببت في حالة من الفوضى والاضطراب [208]. لبى عروج رغبة الوفد وتوجه نحو تلمسان ومرّ على قلعة بني راشد [209] قرب معسكر، وأبقى بها حامية كبيرة تحت قيادة أخيه " إسحاق " لكي تحمي ظهره وواصل المسير نحو تلمسان ، واستطاع بسهولة أن يتغلب على أبي حمو موسى الثالث ودخل المدينة ، وأعاد أبا زيان إلى عرشه ولكن هذا السلطان سرعان ما أراد أن ينقلب على عروج فقام هذا الأخير بقتله [210] أما أبو حمو فقد لاذ بالفرار باتجاه وهران واحتمى بالإسبان .

دخل عروج تلمسان ونصب نفسه أميرا عليها ، عندها سارع الإسبان بإرسال التعزيزات فشنوا حملة على قلعة بني راشد واحتلوها ،وقتلوا صاحبها إسحاق وواصلوا السير نحو تلمسان وبعد شهور من المقاومة ، حاول عروج الإنسحاب نحو الجزائر في ربيع ( 923 ه _ 1517 م ) لكنه اضطر إلى خوض معركة غير كاشفة ضد قوات " الماركيز دي كوماراس " بالوادي المالح نواحي عين تموشنت انتهت بمقتل عروج والقضاء على أنصاره [211].

## 3. رسالة الأهالي إلى السلطان سليم الأول وإعلان التبعية :

---

) بسام العسيلي ،خير الدين بربروس و الجهاد في البحر،ط:1، دار النفائس ،بيروت،1980 ، ص ص : 95 ، 96[208])

([209]) **قلعة بني راشد** : هي قلعة هوارة ، وهي بلدة صغيرة تبعد عن معسكر حوالي 25 كلم وعن مستغانم بـــــ 55 كلم ، وهي منطقة منيعة وحصينة يصعب على العدو احتلالها . **أنظر** : عبد الرحمان لجيلالي ، المرجع السابق ، ص : 43 .

( [210]) يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص ص : 14 ، 15

([211])وليام شالر ، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر ( 1816 _ 1824 ) ، تع :اسماعيل العربي ، سلسلة الدراسات الكبرى ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980 م ، ص : 40 .انظر أيضا: ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص ص : 26 ، 27

واجه خير الدين بعد استشهاد أخويه عروج وإسحاق مصاعب حقيقية كادت أن تحبط مخططه لإبعاد الخطر الإسباني وتوحيد البلاد الجزائرية تحت إدارة مركزية موحدة ، وقد تمثلت هذه المخاطر في المؤامرات التي حيكت ضده من طرف الحكام الزيانيين في الغرب وحلفائهم الإسبان بوهران ،وكذلك الحكام الحفصين في الشرق ، بالإضافة إلى عِداء السعديين وهجمات الإسبان المتكررة ، فقد أعلن حكام تلمسان العصيان عليه بتحريض من أبي حمو موسى الثالث ،وخرجت عن طاعته مدن تنس وشرشال وجاهرت قبائل جرجرة بالعداء بقيادة ابن القاضي المتواطئ مع الأمير الحفصي " أبي عبد الله محمد " [(212)] . هذا فضلا عن أن خير الدين كانت تعوزه الذخيرة الحربية والإطار العسكري الكفء مع الأخذ بعين الإعتبار عدم تمتعه بادئ الأمر بشعبية كبيرة ، كما ليست له صدقات مع المواطنين [(213)].

اضطر خير الدين إلى السفر لدار السلطنة العثمانية ، فجمع أهل الجزائر من العلماء والأعيان وقال لهم : " إني قد عزمت على السفر إلى حضرة السلطان وأمنت بلادكم من العدو بما تركت فيكم من المجاهدين ، ومن وصل إليكم من أهل الأندلس وما تركت عندكم من العدة لأني تركت في بلادكم أكثر من أربعا مائة مدفع ، و لم يكن في بلادكم ولا مدفع واحد " . فمنعوه من أن يخرج من بينهم ، وقالوا له : " يأيها الأمير لا تطيب أنفسنا بفراقك ولا نسمح لك بذلك فالله والله في أمة سيدنا محمد فإن الله يسألك عنهم "

---

([212]) جلال يحي ، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، 1983 م ، ص : 98 . انظر أيضا :ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص : 27 .

([213]) عبد الجليل التميمي ، المصدر السابق ، ص : 117

كما ألحوا عليه بالبقاء أنه : " يجب عليك المقام بهذه البلدة الإسلامية لحمايتها ولا رخصة لك في تركها نهبة للمفترس " [215].

في نص الرسالة ما يفيد ذلك حيث جاء مايلي : " أن خير الدين كان قد عزم قصد جنابكم العالي ، إلا ان عرفاء البلدة المذكورة رفعت أيديها متضرعة إليه حتى لايرتحل خوفا من الكفار ، إذ هدفهم هو النيل منا ونحن في غاية الضعف والبلاء " . [216]

استكان سكان مدينة الجزائر لقتراح خير الدين ورضوا به، وسيروا وفدا نحو إسطنبول بنيابة عنه ، حيث عمل هذا الوفد رسالة موجهة باسم أعيان وقضاة وفقهاء وسكان المدينة ، وكان هذا الوفد بزعامة " أحمد بن القاضي " هذه الشخصية الفذة كما عبر عنه الوفراني في كتابه نزهة الحادي ، حيث قال : " مارأيت أحدا قام قيام الإراثة النبوية على أصلها من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا رجلين سيدي أحمد بن القاضي في زواوة وسيدي سعيد بنو عبد المنعم في حاحة " [217].

بعد أن وصل الوفد إلى إسطنبول قابل الوزير الأعظم أولا ، ثم السلطان العثماني [218] وكانت الرسالة التي حملوها إليه تفيض بمعاني الطاعة والولاء العميق للدولة العثمانية ، وهو ما يظهر من فواتح الرسالة في القول : " ... فإن عبيدها بالجزائر يكتبون إلى مقامها العالي معبرين ومعترفين لمقامكم العالي بالإجلال والتعظيم أبدا " ، كما صورت

---

([214]) محمد بن رقية التلمساني ، المصدر السابق ، ص : 13 .

([215]) أحمد بن أبي الضياف ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، ج2 ، لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار ، المكتبة التاريخية ، تونس ، 1963 م ، ص : 10

([216]) عبد الجليل التميمي ، المصدر السابق ، ص : 120 .

([217]) محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الأفراني النجار المراكشي الوجار ، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، تح : هوداس ، مطبعة آنجي ، 1988 م ، ص : 57 .

([218]) عبد المنعم إبراهيم الجميعي ، الدولة العثمانية والمغرب ، موسوعة الثقافة التاريخية و الأثرية والحضارية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2006 م ، ص : 5

الرسالة أوضاع البلاد والخطر المحدق بها من كل جانب بعبارات تنم فعلا عن مدى صعوبة الموقف ، فقال : " ... بقية الجزائر بين الكفار كنقطة في وسط الدائرة وبقينا حيارى متأسفين يحفنا الكفار من كل جانب ... وقد نظرنا في الأمر ورئينا أن المحن والشدائد تشتد وأن الضرورة تقضي بحقن دماء أنفسنا ...فتصالحنا مع أهل التثليث وإن لله وإن إليه راجعون " ، كما أشاد الوفد بجهاد عروج ودوره في حرب الكفار ، وكيف خلفه أخوه خير الدين فكان خير خلف لخير سلف وهو ينظر إلي مقامكم العالي بالتعظيم والإجلال ، وختمت الرسالة بإعلان الولاء بالقول : " فنحن وأميرنا خدام أعتابكم العالية وأهالي بجاية والغربي والشرق خدمة مقامكم العالي " [219].

وما كان من الدولة العثمانية إلا أن قبلت التبعية الجزائرية لسلطانها ، حيث سارع السلطان سليم الأول إلى منح رتبة " بيـــــــلرباي " إلى خير الدين وأصبح القائد الأعلى لقوات في الإقليم ، وأصبح ممثلا للسلطان ، ودخلت الجزائر تحت نفوذ الدولة العثمانية وأصبح أي اعتداء خارجي على أرضها يعد اعتداءا على أملاك الدولة العثمانية ، ودعم السلطان العثماني هذا القرار بقررات تنفيذية أخرى ، فأرسل إلى الجزائر قوة من سلاح المدفعية ، و 2000 من جنود الإنكشارية ، وأذن لمن يشاء من رعاياه المسلمين في السفر إلى الجزائر والانخراط في صفوف المجاهدين ، وقرر منح المتطوعين الذين يذهبون إلى الجزائر كل الامتيازات المقررة لفايالق الإنكشارية تشجيعا لهم على الانضمام لكتائب المجاهدين [220] كما أوفد مع الوفد سِنجاقا ( علماً ) يُظهر التبعية للدولة العلية ،[221]وقد ترتب عن القرارات الصادرة عن السلطان العثماني عدة نتائج منها :

---

([219]) عبد الجليل التميمي ، المصدر السابق ، ص ص : 119 ، 120 .

([220]) علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص : 153

([221]) محمد بن رقية التلمساني ، المصدر السابق ، ص : 14

- دخول الجزائر رسميا تحت السيادة التركية إعتبارا من عام 1519 م ، والدعاء للسلطان العثماني سليم الأول في الخطب والمنابر ، كما ضربت السكة باسمه .
- أن إرسال القوات العثمانية للجزائر جاء نتيجة لستغاثة أهلها بالدولة العثمانية واستجابة لرغبتهم [222] .
- أن إقليم الجزائر كان أول إقليم في شمال إفريقيا يدخل تحت لواء الدولة العثمانية .
- أن انضمام الجزائر للدولة العثمانية كان طواعية ، فلم يكن غزوا عسكريا كما حدث للبلدان المشرق ، كسوريا ومصر عامي ( 1515 و 1517 م ) .
- رد فعل إسبانيا التي وجهت حملة عسكرية بقيادة " هيغو دي مونكادا " عام 1519 م والتي منيت بهزيمة نكراء أمام القوات الجزائرية ، حيث أسروا خلالها 3 آلاف مقاتل من بينهم رئيس الحملة ، وقتل منهم 4 آلاف آخرين [223].

أدت هذه التطورات في مسار أحداث إلى تخوف القوى المحلية والإقليمية على حد سواء من هذا النفوذ الجديد الذي يستند في دعمه إلى السلطان العثماني ، فلم تحل سنة 1520 م حتى ثار إبن القاضي فحاربه خير الدين بمنطقة القبائل فإضطر للإنسحاب وعقد الهدنة مع خير الدين ، ثم نكث عهده وهجم على مدينة الجزائر فانهزم أيضا وألتجئ إلى ناحية ثنية بني عائشة أين لقي مصرعه على أيدي أتباعه سنة 933 ه _ 1527 م [224].

عمل خير الدين على تثبيت حكمه بالجزائر فبسط نفوذه على الجهة الغربية بعد أن هزم حاكم تلمسان وأخضعه لدفع الضريبة سنوية قدرها 10 آلاف دوكا ذهبية ، كما أخمد تمرد أنصار الأمير الحفصي بقسنطينة عام 1527 م ، وتعاهد له حاكم تقرت بالطاعة

---

([222]) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ( 1500 _ 1830 ) ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1998 م ، ص : 141 .

([223]) عبد الرحمان بن محمد لجيلالي ، المرجع السابق ، ص : 45

([224]) عائشة غطاس وأخرون ، المرجع السابق ، ص : 25 .

و الالتزام بدفع ضريبة سنوية له ، وحتى يتمكن خير الدين من الاحتفاظ بمكاسبه بادر بتنظيم الإدارة المركزية بمدينة الجزائر ، وحدد صلاحيات الحامية الانكاشارية ونصب الديوان الكبير وأعطى صلاحيات الأعيان والأئمة وشيوخ الطرق الصوفية ، كما قرب إليه المورسكيين فكان خير مساعد له [225] .

بإستتاب الحكم العثماني بالجزائري أخذت الدولة تتطلع لبناء قوتها وتكوين أسطول يمنحها الهيبة والمكانة بين الدول ، كما سعت إلى فرض شخصيتها وهيبتها الدولية وسيظهر ذلك عند دراسة الفصل الثاني حول العلاقات الخارجية للدولة الجزائرية .

---

([225]) نصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص : 29

دأبت الدولة الجزائرية الناشئة حديثا في الحوض الغربي للبحر المتوسط إلى رسم معالمها وبناء قوتها ، معتمدة في ذلك على سند قوي خوّل لها كافة الصلاحيات للنهوض والتقدم ، فكان لإرتباط الجزائر بالخلافة العثمانية عظيم الأثر في بناء شخصية الجزائر الدولية التي ظهرت جلّيا فيما بعد في فترة استقلالية الجزائر عن الخلافة العثمانية .

إنّ مبدأ استقلالية القرار وحرية التعاقد وعدم الالتزام بمواثيق وعهود الدولة العثمانية مع الدول الاوروبية إذ لم يكن في الأمر مصلحة للبلد ، قد أفضى على الدولة شكلا من أشكال السيادة الكاملة والمطلقة ، وقد شكلت العلاقات الخارجية أهم مظاهر السيادة ، و أبرز سمات الاستقلالية ، ولعلنا نقول أن قوة الإيالة الجزائرية أهم مظاهر سيادتها ، وأبرز سمات الاستقلاليتها ، و أن قوة الإيالة البحرية قد انعكست على علاقتها الخارجية ، وأثرت فيها بشكل فعال ، هاته القوة التي فرضت على الخصوم هيبة وخشية جعلتهم يتهافتون إلى البلاط الجزائري لربط العلاقات وإرسال القناصل والسفرات .

إن المتتبع لمسار العلاقات الجزائرية في الفترة الحديثة سيدرك تماما أنها مبنية على ركائز هامة متمثلة في الأسطول البحري القوي ، وكذا التبادل التجاري النشيط وعمليات الجهاد البحري ، بالإضافة إلى الهيبة التي منحت لها بعد إلتحاقها بأعظم قوة آنذاك ، والمتمثلة في الدولة العثمانية ، وقد لعبت هذه الركائز الدور الأساسي في بلورة وتحديد مصير العلاقات الخارجية للجزائر ، إما أن تتسم بالسلم والتقارب أو العداء والتباعد فيما

بينها وبين سائر الدول المتوسطية ، وعلى هذا بنت الجزائر سياستها الخارجية على مجموعة من المبادئ الأساسية التي شكلت في جوهرها العام دستور الدولة ، فيما يخص علاقتها بالدول المجاورة ، وخاصة الأوروبية فكانت الشخصية والسيادة العامة للبلاد وكرامة السكان أهم مبادئها ، والذي كرّست هذه المبادئ في ايطار الولاء للدولة العثمانية ودون الخروج عن سياستها العامة [226].

هذا وقد سطرت الدولة لعلاقتها مع الدول التي ترتبط معها وتمثلت أساسا في :

- عدم التنازل عن حقوق السيادة والتمسك بمبدأ احترام شخصية الدولة .
- مراعاة أسس الصداقة في التعامل مع السفراء وتكريس مبدأ السيادة الوطنية في التعامل مع الأطراف الأوروبية .
- مراعاة حرية التعاقد وعدم الإلتزام بما توقعه الخلافة العثمانية من معاهدات في حال عدم خدمتها للمصلحة الجزائرية .
- مبدأ نبذ استعمال القوة في العلاقات الدولية ، وعدم الرضوخ للقوة مهما كان الأمر .
- تبني الحياد في الصراعات الدولية .
- الوفاء والإلتزام بنص الإتفاقيات مهما تغيرت الظروف .
- مراعاة حرية التعاقد ، وعدم الاكتراث لما توقعه الخلافة العثمانية من معاهدات في حال عدم خدمتها للمصلحة الجزائرية .

---

([226])محمد الأمين عطلى ، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2011 ، 2012 م ، ص : 120

- اعتماد مبدأ المساواة بين الدول ، فلا يوجد صديق مقرّب أو العكس بل مبدأ المصلحة ، وهذا ماجعل السياسة الخارجية لايالة الجزائر تتسم بالوضوح في سياستها ، وفي كيفية وطرق تعاملها مع الدول ، عامة سواء أكانت إسلامية أم مسيحية [227].

- **المبحث الأول : العلاقات الجزائرية الفرنسية**

كانت فرنسا أهم الدول الأوروبية التي حرصت على ربط علاقاتها بالجزائر ، ويتضح ذلك من خلال النشاط الدبلوماسي المكثف بين البلدين _ في حال السلم أو الحرب _ إذ يحصى جمال قنان في كتابه معاهدات الجزائر مع فرنسا حوالي 40 معاهدة مؤرخة من 21 مارس 1619 م ، وإلى غاية معاهدة الإستسلام 5 جويلية 1830 م ، ناهيك عن العدد الكبير من القناصل والسفرات والبعثات المرسلة [228] ، هذا الزخم والثراء في الروابط بين البلدين أكسى طابع الأهمية بالنسبة للعلاقات الدبلوماسية ، التي امتازت بنوع من الخصوصية مقارنة بسائر الدول والممالك الأوروبية ، ولعل السبب في ذلك هو تداخل المصالح وترابطها من جهة ، و الأمر الثاني هو ذلك التقارب العثماني _ الفرنسي الناجم عن وجود عدو مشترك ، مثل في إسبانيا من جهة أخرى .

ولد هذا التحالف الفرنسي العثماني أصداء مروعة في الأوساط المسحية الأوروبية ، وانعكس بدوره على الآلية الجزائرية التي سيتحتم عليها مجارة هذا التحالف ، واحترام مايتفق عليه البلدان من عقود ومواثيق ، وسرعان ما يتطور هذا التحالف ليكتسي أهمية اقتصادية تكون فرنسا فيه أكثر الدول المستفادة ، و الذي سيجر الجزائر فيما بعد إلى مساوئ وعواقب وخيمة ، فهذا النمو المطرد في العلاقات بين البلدين ولد ما يسمى بنظام

---

([227]) عطلى محمد الأمين ، المرجع السابق ، ص ص : 120 ، 121

([228]) جمال قنان ، معاهدات الجزائر مع فرنسا ( 1619 _ 1830 ) ، دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2010 ، ص ً : 414 ، 415

الإمتيازات التي ستصبح عنصرا بارزا ، ونقطة حساسة ومحورية في رسم العلاقات الدولية حتى إندلاع الحرب العالمية الأولى [229].

يمكن القول أن معاهدة الإمتيازات التي ربطت فرنسا بالدولة العثمانية ، كانت فاتحة العلاقات الجزائرية الفرنسية التي ستتطور أكثر خلال القرنين 17 و 18 الميلادي ، حيث استطاعت فرنسا بموجب ذلك أن تُأسس مراكز لصيد المرجان على إمتداد السواحل الشرقية من القالة ، عنابة و القُل بموافقة من السلطان العثماني ، وبالمقابل تدفع 1500 إيكود ذهبية لخزينة الجزائر ، كما إشترطت على أن لا تسلح أو تحصن حتى لاتبدوا بمثابة مراكز احتلال ، ونص الإتفاق على أن تكون في شكل منازل بسيطة يلتجيء إليها صيادوا المرجان من أجل الاستراحة [230] ، لكن التجار الفرنسيين خالفوا هذا البند ، و أقاموا التحصينات ونصبوا المدافع ، وقد ربطت بعض السفن الفرنسية على الشاطئ أمام الحصن ، وبذلك اصبح مصدر قلق و ازعاج بالنسبة للجزائريين الذين اعتبروه رمزا لوجود قوة مسيحية على أرضهم [231] .

طرحت معاهدات الامتيازات هذه اختيارا صعبا وعسيرا أمام الجزائر، إما بإتباع السياسة العثمانية و الإنقياد لها ، واعتبار نفسها ملزمة بتنفيذ وتطبيق كل ما أبرمه السلاطين من معاهدات مع الفرنسين أو غيرهم ، أو اتخاذ موقف مستقل تمليها عليها مصالحها ومعرفتها العميقة لطبيعة المشاكل والصعوبات التي تحيط بعلاقاتها مع الدول الأوروبية . ويبدوا أن هذا الخيار لم يكن مشكلة في عهد البيلربايات ، الذين واجهوا السياسة العثمانية في الحوض الغربي للمتوسط لمصالح الخلافة على غرار ما سيؤول إليه

---

([229]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 42 .

([230]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا ( 1500 _ 1830 م ) ويليه المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد ( 1780 _ 1798 ) ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009 م ، ص ص : 59 ، 60

([231]) يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ،ص : 100

الوضع بعد إلغاء هذا المنصب ، وما سينجر على ذلك من مشاكل وتوترات بداية نهاية القرن 16 م [232] .

كانت الاطماع الفرنسية كثيرا ما تحول دون تحقيق سلم دائم بين البلدين ، فقد اصطدمت أطماعها بغضب الجزائريين الرافضين لإستغلال خيرات بلدهم ، فأقدموا على هدم الحصن سنة 1568 م [233] ،و لم يسمحوا لأي كان بممارسة نشاط التجارة في تلك السواحل إلى أن تمكن نيقولا من الحصول على إذن من الباب العالي ، حصل بموجبه على حق ممارسة الأعمال التجارية وصيد المرجان في مكان الباستيون الذي هُدم سابقا [234] .

وفي عام 1578 م وجه الباب العالي فرمانا إلى بيلرباي الجزائر يقضي بالسماح للفرنسين بصيد المرجان في المناطق الواقة بين الجزائر ،وتونس ، شريطة دفع عشر المداخيل من الأرباح للحكومة الجزائرية ، كما طلب معاملتهم باللطف والإحسان [235] ، وإذا كان هذا هو حال الإمتيازات التي عكرت صفو العلاقات ، فإن التمثيل الدبلوماسي ( اعتماد القناصل ) قد أخذ نصيبه في التأثير على العلاقات بين البلدين .

لقد أعطت معاهدة الامتيازات الحق لفرنسا بإنشاء القنصليات في كامل الأراضي التابعة للدولة العثمانية بما في ذلك إيالة الجزائر ، والتي كانت توليها فرنسا اهتماما بالغا نظرا لقربها الجغرافي وموقعها الإستراتيجي [236] ، ولكن مسألة التمثيل هذه قوبلت

---

([232]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 47 .

([233]) يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ج2 ، المرجع السابق ، ص : 100

([234])عزيز سامح إلتر ، المرجع السابق ، ص 153

([235]) degrammont .histoir d algerdousladominasio turgue , raris , ernest leroux , 1887 , p 100

([236]) بركاهم دهان ، دور القناصل الفلرنسين في العلاقات الجزائرية الفرنسية ( 1689 م _ 1789 م ) ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2012 م ، ص : 18

بالرفض من طرف حكومة الجزائر ، و لم تُكلل بالنجاح إلا سنة 1578 م عندما تدخل الباب العالي ، حيث أرسل مراد الثالث ( 1574 م _ 1595 م ) أمر إستعجاليا يقضي بقبول موريس سورون قنصلا بالجزائر ، رغم توجيه رسالة من الباشا فينيريانو إلى قناصل وحكام مرسيليا التي ترفض هذا التمثيل ، إلا أن سفراء فرنسا بإسطنبول كانوا يصرون على ضرورة تعيين قنصلا لهم في الإيالة ، وذلك للحماية المصالح التجارية بالبلد [237] ، ومن المؤكد أنه حتى عام 1580 م لم يكن لفرنسا قنصل معتمد في الجزائر ، ولكن في العام الموالي أي في سنة 1581 م ، أصبح لهذه البلد قنصل بالمدينة [238] .

يمكن القول أن مسألة إنشاء قنصلية في الجزائر لم تكن بالعملية السهلة ، فقد استغرقت ما يزيد عن 14 عاما ، وربما يعود إصرار فرنسا في إلحاحها لإيجاد تمثيل دبلوماسي لها في الجزائر إلى عدة أسباب منها :

- تنفيذ الحق الذي خولته لها معاهدة الإمتيازات .

- تفادي الخسائر التي كان يلحقها البحارة الجزائريون بالتجارة الفرنسية خلال الفترة ( 1560 _ 1565 م ) ، فقد كتب " بوسكي " أنه لأسباب سياسية أكثر منها تجارية ألحت فرنسا على إنشاء القنصلية [239] ،وقد تمكنت فرنسا في نهاية القرن السادس عشر الميلادي من تثبيت قنصليتها بالجزائر ، إلا أن فاتحة القرن السابع عشر الميلادي ،

---

( [237]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص ص : 48 ، 49 .

( [238]) المرجع نفسه ، ص : 50 .

( [239]) بركاهم دهان ، المرجع السابق ، ص : 20

قد إبتدأت بالقطيعة والعداء ، وتعود أسباب هذه القطيعة إلى حادثين مهمين وهما : " حادثة تدمير الحصن و حادثة سيمون دانسا " [240] .

سّممت هاته الحادثتين صفو العلاقات السياسية بين البلدين بالرغم من تدخل الدولة العثمانية لحل النزاع بين الطرفين ، ففي عام 1604 م ، في فترة حكم " خيضر باشا " استولى هذا الأخير على مبلغ 6000 سكين من النقد أرسلها الباب العالي تعويضا للتجار الفرنسيين عن خسائرهم في حوادث البحار ، كما هدّد القنصل " دوفيا " عندما حاول أن يحتج ويطالب بالمال ، ثم قام بمهاجمة مراكز صيد المرجان في ساحل عنابة وخرّبها وأسر من بها من الفرنسين ، فتدخل الباب العالي لصالح فرنسا ، وقام بعزل " خيضر باشا " وعوضه بـــــــــ : " محمد قوصة " عام 1605 م ، وسمح بإعادة تأسيس الباستيون [241] .

أما حادثة سمون دانسا فقد أثارت هي الأخرى عدّة تعقيدات وحساسيات في مسار العلاقات الجزائرية الفرنسية ، فقد طلبت بارجاع المدفعين البرونزيين اللّذين سرقهما سيمون دانسا ، إلا أن مجلس الدولة الفرنسي رفض ذلك ، فأعلنت الجزائر الحرب على فرنسا ، وأخذ البحارة الجزائريون يتعرضون للسفن الفرنسية في البحر ، ونتج عن ذلك ضرر كبير للتجارة الفرنسية التي خسرت حوالي مليوني جنيه عام 1610 م .

استمر العداء قائما بين البلدين حتى عام 1618 م ، أين تم إيفاد وفد من طرف الجزائر بعد مساع سابقة لتجار مرسيليا لإحلال السلم والأمان ، والتي قوبلت بالرفض من قِبل الديوان ،وقد ضم هذا الوفد 46 شخصاً بقيادة " سِنان باشا " ، وعندما وصل الوفد

---

([240])**سيمون دانسا** : هو بحاره من أصل فلامنكي تجنس بالجنسية الفرنسية وإنظم إلى طائفة رياس البحر الجزائريين عام 1606م و حقق عدة إنتصارات ،لكن سرعان ما إرتد و سرق مدفعين برونزيين أودعهما عند الباشا مصطفى،أنظر :يحي بوعزيز علاقات الجزائر الخارجية ،المرجع السابق ، ص 40.

([241]) يحي بوعزيز ، العلاقات الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 61 .

إلى مارسيليا قادهم " بيار دوموستير " إلى مدينة tour لمقابلة الملك " لويس الثامن " فاعتذر له سنان باشا عن الخسائر التي لحقت بالفرنسيين من طرف البحارة الجزائريين ، وتم تسوية المشاكل وأبرمت معاهدة الصلح في 21 مارس 1619 م [(242)].

قبل عودة الوفد لأرض الوطن والمقررة يوم 14 مارس 1620 م، وقع حادث أليم راح ضحيته مابين 40 و 45 قتيلا من أعضاء الوفد ، ذلك أن أحد الرياس الجزائريين وهو " رجب رايس " ،كان قد استولى على سفينة نقل تجارا من مرسيليا ، فنهب مافيها وقتل طاقمها وترك السفينة في البحر بعد أن ألحق بها بعض التلف ، ولكن اثنين من الركاب كان متخفين داخل السفينة فنجيا من القتل ، وتمكن من الوصول إلى مرسيليا أين أذاعا خبر السفينة وما حلّ بها فزحفت جموع كبيرة من سكان المدينة على مكان إقامة الوفد الجزائري وحدثت مجزرة [(243)] .وتشير إحدى الرسائل التي وردت في المراسلات التي جمعها بلانتي ، أن العلاقة بين الجزائر وفرنسا تأذت كثيرا جرّاء هذه الحادثة ، وانعكس الأمر سلبا على التجار الفرنسين الذين ضغطوا على ملكهم للبحث عن حلٍّ لإعادة الأمور إلى نِصابها [(244)] .

لما اشتدّ الجزائريين للفرنسيين ، قرر الملك الفرنسي أن يراسل الباب العالي ويراجع معه الأمر ويرجوه للتدخل بينه وبين الجزائر ، فلبى الباب العالي الرغبة وأرسل " سليمان شاوش " لتنفيذ هذه المهمة عام 1623 م ، وقبل الديوان قرار الدولة العثمانية بالكف عن مهاجمة الفرنسين في البحر ، إلا أن الجزائريين لم يكونوا لينسوا ما حلّ بإخوانهم في مرسيليا عام 1620 م فضربوا بهذا القرار عرض الحائط وواصلوا نشاطهم ضد السفن

---

([242]) انظر نص المعاهدة كاملة في كتاب جمال قنان ، معاهدة الجزائر مع فرنسا ، المرجع السابق ، ص ص : 62 – 64

([243]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص ص : 66 ، 67 .

([244]) عطلى محمد الأمين ، المرجع السابق ، ص : 133

الفرنسية [245] وقد قدر القنصل الفرنسي خسائر بلاده بـــــ : 211900 فرنك وأسر حوالي 128 بحاراً [246].

عندما وصلت العلاقات إلى هذا الحد من التدهور رأت فرنسا أن تعدل عن أسلوب العنف وتسلك طريق الحوار والتفاوض فأرسل الملك الفرنسي " لويس الثالث عشر " المفاوض سانسون نابلون [247] ،الذي ذهب إلى القسطنطينية أولا أين حصل على رسالة موجهة للديوان يطلبُ منه فيها أن يحرر الأسرى الفرنسيين ويحقق السلام مع فرنسا ، وفي طريق عودته إلى الجزائر ذهب نابليون إلى فرنسا واشترى المدفعين البرونزين لإدراكه أن جهوده ستذهب سدى مادامت فرنسا لم ترد المدفعين [248] ووصل نابليون إلى الجزائر يوم 20 جوان 1626 م وأطلق المرسيليون سراح 200 أسير جزائري ، ووجههم إلى الجزائر فساد السلام بين البلدين وتم الإتفاق يوم 4 سبتمبر 1628 م على تحقيق الأمور التالية :

- تخصيص 30 ألف جنيه لشراء الأسرى ومدفعي البرونز
- تخصيص 30 ألف جنيه لشراء الأسرى الجزائريين الموجودين على ظهر السفن الفرنسية
- تخصيص 12 ألف جنيه للإنفاق على رحلة المركبين اللذين سيتوجهان إلى الجزائر .

---

([245]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص ص : 66 ، 67 .

([246]) جون ب . وولف ، المرجع السابق ، ص : 268 .

([247]) **سانسون نابلون :** من جزيرة كورسيكا يتمتع بتجربة واسعة في شؤون المشرق ، حيث عمل كقنصل وعميل سري وكتاجر ، وكان يتكلم التركية بطلاقة ، ويفهم التقاليد الإسلامية وكانت له مهارة فائقة في التفاوض . **أنظر** : جون . ب . وولف ، المرجع السابق ، ص : 270 .

([248]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 317 ، 318 .

لم تدم هذه المعاهدة طويلا ، وكانت فرنسا أوّل من نقض الإتفاق بالرغم من مساعيها الحثيثة لإبرام السلام ، فعاد مسلسل الاعتداءات الجزائرية على السفن الفرنسية من جديد وارتفعت خسائر تجار مرسيليا إلى حوالي 4,752,000 جنيها ، وتم أسر أكثر من 80 مركبا مابين سنتي ( 1634 – 1635 م ) [249] .

رضخت الحكومة الفرنسية لأمر الواقع وسعت مجددا لإحلال السلم بين البلدين فأوفد إمبراطور فرنسا مبعوثه " جون بانيست دي كولييل " كمبعوث إلى مدينة الجزائر لأجل العمل على تغير حالة العداء القائمة بين البلدين ، وتم إبرام معاهدة السلم يوم 7 جويلية 1640 م وتضمنت 16 بندا ، وقد جاء في البند الرابع منها : في المستقبل إذا ما التقت سفننا مع السفن الفرنسية فإنها ستتبادل التحية ، وكذلك الأخبار مع بعضها إذا رغبت في ذلك [250].

وفي عام 1657 م أسندت الإدارة الفرنسية رئاسة الباستيون إلى الفرنسي " طوماس بيكي " الذي جاء إلى الجزائر و لم يستقبل بحفاوة من طرف " الباشا إبراهيم " نظرا لأن الديوان كان يطالب بمبلغ 3 آلاف جنيه كديون ، فتوجه طوماس إلى القالة ولحق به 4 من الشواش و 50 جنديا إنكشاريا ليستخلصوا المبلغ منه ، إلا أن طوماس إعتقلهم وشحنهم في سفنه كأسرى وباعهم في ليفورن بإيطاليا وذلك بتاريخ 25 أكتوبر 1658 م ، وبالطبع فإن الجزائر لن تسكت عن هذا العمل ، لذلك أسرعت الحكومة الفرنسية إلى شراء أولائك الأسرى وأرجعتهم إلى الجزائر ودفعت الديون المترتبة 300 جنيه ، كما تم إستبدال طوماس بلويس كامبو مدير عام للباستيون عام 1659 [251].

---

([249]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص ص : 69 – 72 .

([250]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص ص : 317 ، 318

([251]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائرية الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 75

مع بداية حكم الملك " لويس الرابع عشر " سنة 1661 م [252] ،ستأخذ العلاقات الجزائرية الفرنسية منحى آخر ، حيث نصب هذا الأخير العداء الصريح للجزائر، واستقر لدى الجزائريين قناعة واضحة من عدم جدوى عقد أي معاهدة مع النصارى [253].

**مظاهر تأزم العلاقات الجزائرية الفرنسية**

**الحملات الفرنسية ضد الجزائر :**

أجمع المؤرخون أن سنة 1661 م بداية الحكم المطلق بفرنسا ، وذلك بتولي " لويس الرابع عشر " مقاليد الحكم بالبلاد ، أين تبنى هذا الأخير سياسة رامية للقضاء على إيالة الجزائر ، وتحطيم نفوذها وسطوتها عن طريق توجيه حملات بحرية ضدها ، واستخدام التدخل المسلح أين أصبحت الحرب العسكرية في هذه الفترة ميزة العلاقات الجزائرية الفرنسية [254].

**أ. حملة دي بوفورت على جيجل ( 1074 ه / 1664 م ) :**

سبق و أشرنا أن الجزائر كانت ترفض دوما الإعتراف لفرنسا بحقها المخول ضمن الإمتيازات، وكانت تعاملها معاملة الدول الأجنبية فتصالحها متى إنعقد الصلح ، وتحاربها مت تم أجله أو نقض ، وهكذا بقيت الحالة مرتبكة بين البلدين ،وخاصة إذا تعلق الأمر

---

([252]) **لويس الرابع عشر** : ولد في سان جرمان 1638 م وتوفي بفرساي عام 1715 ، إتلى عرش فرنسا في 5 من عمره وتحديدا عام 1635 ، ونظرا لصغر سنه وضع تحت وصاية مازاران حتى عام 1661 ، لقبه الفرنسيون بالملك الشمس نظرا لإهتمامه الكبير بالفن والأدب ، وقد عرف بعدائه الشديد للبروستانت . أنظر: محمد بن سعيدان ، علاقات الجزائر مع فرنسا ( 1070 _ 1170 ه / 1659 _ 1756 م ) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2011 م / 2012 ، ص :40

([253]) عطلى محمد الأمين ، المرجع نفسه ، ص : 136

([254])محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 64 .

بالمركز التجاري لصيد المرجان " الباستيون " الذي كان يفتتح أيام السلم ويحطم ويحتل أيام الحروب [255].

تعتبر هذه الحملة الموجهة ضد جيجل أولى العمليات العسكرية التي تبّينت وفضحت النوايا الفرنسية الخفية ، التي ترجح أغلب المصادر الغربية أنها جاءت كرد فعل انتفاضي لنشاط البحارة الجزائريين ، بينما أرجع بعضهم سبب ذلك إلى فشل المحاولات الدبلوماسية التي سعت إلى استعادة المؤسسات التجارية [256].

في سنة ( 1074 ه – 1664 م ) قرر الملك الفرنسي لويس الرابع عشر أن يغزو الجزائر بأسطوله ليتمركز بأحد شواطئها [257] ،وقد حاول كل من الديوان والقنصل " لوفاشي " ومدير الباستيون " دوسول " أن يتجنبوا الحرب ويصلوا إلى حلّ سلمي للمشاكل [258] ، وقد " أوعز شوفالي بول " وهو فرنسي من فرسان القديس يوحنا إلى الملك الفرنسي ، بأن الجزائريين يمتلكون مابين 54 سفينة حربية تحمل مابين 25 إلى 40 مدفعا لكل منها أشرعة جيدة ، وقد تكون هذه السفن خطيرة جدا [259] ،إلا أن الملك لويس الرابع عشر كان متحمسا لخوض هذه الحرب [260] .

بعد الإستعداد اللازم أذن للحملة بالمسير ، فانطلقت من ميناء " طولون " يوم 2 جويلية ، على رأس 83 سفينة يقودها الأمير " آلان بول " و " دوكين " ، أما القوة

---

([255]) أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر و إسبانيا ،ط :1، دار البصائر ،الجزائر ، ص : 395 .

([256]) محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 65 .

([257]) محمد بن ميمون الجزائري ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تق : محمد بن عبد الكريم ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 م ، ص : 17

([258]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 85 .

([259]) جون ب . وولف ، المرجع السابق ، ص : 316 .

([260]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 85

العسكرية التي يحملها الأسطول فمؤلفة من 8 آلاف رجل [261] تحت قيادة " الكونت قادابي " ،وكان الإشراف العام على العملية للدوق " دي بوفورن " [262] .

كان الملك الويس الرابع عشر مترددا في مسألة احتلال احدى المدينتين جيـــــجل أم بجايـــــــة [263] ، وقد وقع اختياره على مدينة جيجل لاعتبارات اقتصادية وعسكرية ، إلى جانب كون المدينة تشكل منفذا هاما للتجارة التي كانت مزدهرة ، كتجارة الشمع والجلود والزيت والأخشاب ، فإن المدينة سهلة المنال للسيطرة عليها ، إذ لا يوجد بها سوى حامية صغيرة مكونة من 20 جندي فقط ، ومن السهل القضاء عليهم واحتلالها وإذا ما تم تحصينها فإنها ستتحول إلى قلعة لا يمكن النيل منها ، كما أن بعدها من مدينة الجزائر التي هي مركز القوة الرئيسي سيجعل أمر الاحتفاظ بها أمرا ميسورا [264] .

وصلت الحملة إلى جيجل يوم 23 جويلية 1664 م ، بعد أن قضت أياما في جزر البليار ،وانضمت إليها 7 سفن من مالطة [265] ، واشتبك الطرفان في معركة **حامية الوطيس** أظهر فيها رجال المدينة قوة باسلة في التصدي لنزول العدو ، واستمرت المقاومة أسبوعا كاملا رغم عدم التكافؤ في العدة والعتاد ، و لم يستتب الأمر للفرنسيين بالمدينة إلا يوم 29 جويلية 1664 م [266] ،أين مكثوا بها قرابة شهرين من الزمن [267] .

---

([261]) اختلف في عدد جنود الحملة ، فيذكر أحمد توفيق المدني أن عددهم كان 8 آلاف جندي ، أما ابن ميمون الجزائري فيقول أن العدد كان 8 آلاف ومائتين . أنظر : أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص : 396 . ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 17 .

([262]) احمد التوفيق المدني ، المرجع السابق ، ص : 396

([263]) ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 17

([264]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 92

([265]) ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 17

([266]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 93 .

([267]) ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 17

كانت ولاية الجزائر يومها لشعبان آغا الذي بمجرد وصول نبأ سقوط جيجل حتى سارع لنجدتها وتحريرها ، واصطحب معه مدفعية قوية مكنته من تحقيق النصر ، وقد انضمت إليه جموع من المجاهدين ، فكان الجيش مخيما بعد فترة قصيرة على مشارف المدينة يوم 5 أكتوبر ، وبعد أن أحكم وضع مدفعيته على المرتفعات وضيق الحصار على الفرنسيين ، بادر بقصف المراكز الفرنسية بقوة وعنف يوم 25 أكتوبر ، وألحق بهم خسائر فادحة فعزموا على الإنسحاب ، ولم يسمح لهم الجزائريون بنقل أي شيئ من سلاحهم وأمتعتهم ، بل تركوا كل ذلك كغنيمة للجزائريين ، ومما زاد من فداحة النكبة والخسارة التي مني بها الفرنسيون ، أن السفينة الكبرى " لالون " التي كانت تحمل 1200 راكبا قد أغرقت أثناء عملية الإنسحاب [268].

أما عن آثار الحملة وما نجم عنها ، فيقول جون ب وولف : أنّ فرنسا خسرت جميع مدافعها 35 منها نحاسية و 15 من الحديد وجميع حقائبها ، بالإضافة إلى 400 رجل وقعوا في الأسر ، وقد أعقب هذا الإنتصار احتفالات عارمة في الجزائر ، أما الفرنسيون المقيمون في تونس فكانت تلاحقهم عبارات التهكم والسخرية بأصوات كعواء القطط " جيجل – بجاية " [269].

حرص لويس الرابع عشر على التقليل من قيمة الهزيمة التي مني بها ، وتبين ذلك من التعليمات التي أعطاها لقائد أسطوله " دي بوفورت " بالبقاء خلال الشتاء في البحر والعمل على الظهور ببعض قطع سفنه أمام الجزائر ، لكي لا يشعر الجزائريون بأنهم حققوا إنتصارا كبيرا [270] ، و بعد سنة من ذلك تمت تصفية الخلافات بين البلدين بإبرام معاهدة 17 ماي التي أعطت مرة أخرى دافعا جديدا للعلاقات الجزائرية الفرنسية ،أين

---

([268]) أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص : 397

([269]) جون ب وولف ، المرجع السابق ، ص : 317

([270]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 99

حاول الملك الويس الرابع عشر ، بعد هذه المعاهدة أن يتقرب من الجزائر و السعي لإبقاء حالة السلم معها نظرا لإنشغاله بحروب أوروبا [271].

استمرت حالة السلم بين البلدين ، إلا أنها لم تدم طويلا ، فقد بدأت تتعكر منذ 1672 م ، والتي شهدت قبلها بعام ظهور حكم " الدايـــــات 1671 " ، حيث تخلى هؤلاء عن أية ليونة اتجاه الفرنسيين ، ووصل الأمر بالداي الحاج محمد لإرسال رسالة بتاريخ 23 سبتمبر 1674 م ،إلى البلاط الفرنسي ضمنها الأسس التي تريد الجزائر أن تسير عليها لعقد أي معاهدة مع فرنسا [272] ،و مع أواخر سنة 1675 م ظهرت ملامح القطيعة في العلاقات بين البلدين ، فأخذت سفن البلدين تأسر وتغنم من بعضها البعض كلما سنحت الفرصة لذلك ، واستمر الأمر إلى غاية 1682 م ، أين ستقوم فرنسا بتأطير حملة أخرى ضد الجزائر [273].

**ب.حملة دوكين الأولى والثانية :**

مفاد قضية هاتان الحملتان ، أن مبعوثين فرنسيين قدموا إلى الجزائر للتفاوض مع الداي الحاج محمد من أجل تبادل الأسرى ، وقد تمت في سنة 1681 م المفاهمة على إطلاق سراح الأسرى من الجانبين ، لكن في الوقت الذي وفى فيه الجزائريون بالتزاماتهم ،وأطلقوا الأسرى رفض الفرنسيون من جانبهم إطلاق سراح الأسرى الجزائريين ، وأرسلوهم كعبيد لخدمة المراكب الفرنسية بالمشرق .

ثارت ثائرة الديوان الجزائري وأجمع على إعلان الحرب ضد فرنسا في 8 أكتوبر 1681 م ، فاستولى البحارة الجزائريون على 29 سفينة و 300 أسير ، إذ لذلك قرر

---

([271]) محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 66 .

([272]) عطلي محمد الأمين ، المرجع السابق ، ص : 139 .

([273]) المرجع نفسه ، ص : 141

الفرنسيون شن الهجوم على الجزائر ، وعهدوا بتنظيم الهجوم إلى الأميرال دوكين ، وما إن سمع الداي نبأ التحضير الفرنسي للهجوم على الجزائر حتى إعتزل الحكم وعهد به إلى صهره " بابا حسن " وكان ذلك سنة 1682 م [274].

جهزت فرنسا حملة عسكرية كبيرة بقيادة دوكين ، الذي أبحر على رأس أسطول عظيم في شهر جويلية ( 1095 ه – 1682 م ) ، متوجها صوب الجزائر مع أوامر بتخريب المدينة بأكملها ، وقد توجه الأسطول في البداية نحو مدينة شرشال وشرع في قصفها ، لكن المدينة لم تتضرر كثيرا [275] ، ولم يمت من أهلها ولو حتى نفس واحدة وقد مات من الفرنسيين أكثر من ألفين [276] .

بعد مضي شهر انتقل الأسطول الفرنسي نحو مدينة الجزائر ، وبدأ في قنبلتها فهدموا ما ينيف عن 200 مسكن وبعض المساجد [277] ،وقد استمر القصف حتى 12 سبتمبر دون أن تظهر أية بادرة للصلح [278] ،وبقي الأسطول الفرنسي راسيا في البحر حوالي شهر تقريبا، ثم أقلع عائدا إلى ميناء طولون ،بعدما خلف وراءه أضرارا طفيفة في ميناء الجزائر وعمران المدينة ، وقد كلفت هذه الغزوة الفرنسيين ميزانية ضخمة دون أن يحوزوا على أي نتيجة ، ورجع الفرنسيون إلى بلادهم خائبين خاسرين [279] . ولما صعب على هذه الحملة أن تحصل على ما تهدف إليه من تخريب المدينة وتحطيم أسطولها ، وبعد عودة

---

([274]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص :

([275]) محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 66 .

([276]) الزهرة النائرة ، المصدر السابق ، ص : 20

([277]) تاريخ تحرير مدينة وهران من الإحتلال الإسباني خلال القرن 18 ميلادي من خلال مخطوطتين ، ج1 ، فتح مدينة وهران للجامعي ، ج2 ، الرحلة القمرية لابني زرقة ، تر : مختار حساني ، جامعة الجزائر ، 2009 م ، ص : 226

([278]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 19 .

([279]) ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 20

دوكين إلى فرنسا أعادت الدولة تجهيز حملة أخرى في العام الموالي مكونة من 43 سفينة [280].

انطلقت الحملة أواخر جوان 1683 رجب 1095 من ميناء طولون ، وفي طريقها انضمت إليها 5 مراكب حربية تحت قيادة " لوماركيز دامفريفيل " ، وفي 28 جوان من نفس السنة وصل الأسطول للشواطئ الجزائرية ، وشرع في قصف المدينة والميناء فأحدثت أضرارا جسيمة [281]، أين هدمت أجزاء كبيرة من حصون المدينة ، وحتى قصر الباشا التركي لم يسلم من القصف ، وعند ذلك دخل في قلب بابا حسن الخوف وطلب الصلح من النصارى دون مشورة أصحابه ، ورضي بتسليم 550 أسيرا فرنسيا للأسطول المرابط في البحر [282] ، فثار عليه الرياس وقتلوه وبايعوا " حسين رايس ميزمورتو " دايا مكانه ، وبوصول هذا الأخير للحكم نصب المدافع ونشر الألوية وجدد الحرب [283] ، وبعث إلى دوكين قائلا : " إن أردت الصلح معنا فأعطنا أسرى المسلمين الذين عندك " [284].

عند بلوغ الخبر إلى دوكين سرع في قصف المدينة من جديد، فرماها تلك الليلة بـــــ 350 قنبلة ،ودام القصف 23 ليلة رموا خلالها حوالي 5 آلاف قنبلت خلفت خسائر كبيرة مات خلالها 40 شخصا من المسلمين [285] ، فرد الرياس على ذلك

---

([280]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 85

([281]) ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 20

([282]) علي عبد القادر الحليمي ، المرجع السابق ، ص : 172

([283]) بن عودة المزاري ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر ، تح : يحي بوعزيز ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1990 م ، ص : 172

([284]) الزهرة النائرة ، المصدر السابق ، ص : 22

([285]) المصدر نفسه ، ص : 22

واعتقلوا القنصل " لوفاشي " ووضعوه أمام فوهة المدفع وقذفوا به فتقطع أشلاء وفعلوا ذلك مع 20 فرنسيا آخر [286] ، فرجع دوكين إلى بلده خائبا خاسرا [287] .

وفي سنة 1684 م توسلت الحكومة الفرنسية لعقد الصلح ، فطلبت من السلطان العثماني " مراد الرابع " 1684 – 1687 أن يتدخل بينها وبين الجزائر إلا أن ميزومورتو لم يلتفت إليهم أصلا [288] . وبعد تدخلات كثيرة فتحت مفاوضات للصلح وكان " تروفيل " منسق المفاوضات بين البلدين ، وسميت معاهدة الصلح باسمه وكانت بتاريخ 25 أفريل 1684 م ، ونصت على أن تكون لمدة 100 عام وتحتوي على 29 مادة عالجت بنودها جل المشاكل السياسية والاقتصادية [289] .

### ج. حملة الماريشال ديستري " رجب 1100 ه / 26 جويلية 1688 م :

لم تمض ثلاثة سنوات على إمضاء معاهدة السلم المؤوي ، والتي كان لها الأثر الطيب في تاريخ العلاقات بين البلدين ، حتى تذرعت فرنسا لإعلان الحرب على الجزائر بحجة سماح الحكومة الجزائرية لغنيمة فرنسية من طرف أحد بحارة مدينة سلا .

انطلق دوستري على رأس حملة عسكرية قوامها 44 عمارة ،ووصل الأسطول إلى المياه الجزائرية في 1 جويلية، وشرع في قصف المدينة [290]، حيث رماها بأكثر من 10 آلاف قنبلة فدمر أكثر من 5 آلاف مترل ، فردّ عليه الديوان بإعتقال القنصل " بيول " وكل الرعايا الفرنسيين وقتلوهم جميعا وكان عددهم 43 شخصا [291] .

---

([286]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 86 .

([287]) الزهرة النائرة ، المصدر السابق ، ص : 20

([288]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 86 .

([289]) ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 20

([290]) محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 70 .

([291]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 86

بعد رحيل دوستري عن الجزائر وعدم تحقيق المساعي الفرنسية ، تخلت هذه الأخيرة عن سياسة العصا ، وحذت حذو الإنجليز والهولنديين ، ورغبت في عقد معاهدة للصلح ، فكان ذلك في 24 شعبان 1100 / الموافق لـــــ 24 سبتمبر 1689 م، التي تناولت مختلف النزاعات بين البلدين . وبعد فترة أوفد الداي " الحاج شعبان " بعثة بقيادة " محمد الأمين أفندي " إلى فرنسا للمباحثة في مسألة الأسرى الجزائريين الذين تزايد عددهم بفرنسا ،وتماطلت الحكومة في إطلاق سراحهم رغم المعاهدات المختلفة التي أبرمت بين البلدين [292]، وانتهت هذه المحادثات بتثبيت إتفاقية السلم بين البلدين ، والذي سيستمر لمدة 100 عام وهو مايعرف بالسلم المئوي [293].

تميزت فترة السلم المئوي هاته 1690 – 1790 بالاستقرار رغم وجود بعض الأحداث التي أدت إلى تشنج في العلاقات ، إلا أنها لم تؤد إلى القطيعة وتم حلها وفق معاهدة السلم المئوي ،التي كثيرا ماكان يضاف إليها بنود حسب ما تطلبه الظروف ، وستعرف العلاقات الجزائرية الفرنسية عدّة أحداث هامة ، ستنعكس حتما على مسار العلاقات بين البلدين، منها الثورة الفرنسية التي أثرت تأثيرا كبيرا وواضحا في أوروبا خاصة والعالم عامة ، نظرا لما حملته هذه الثورة من قيم ومفاهيم سياسية واقتصادية واجتماعية ، وما ترتب عنها من انعكاسات هامة في العلاقات الدولية [294]،والحدث الآخر المهم هو الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798 م ، وبما أن الجزائر جزء من الدولة العثمانية وأن الاعتداء عليها قد وقع على بلد مسلم [295] ،فقد أوفد السلطان العثماني "

---

([292]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص ص : 90 ، 91

([293]) محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 98 .

([294]) عبد الرحمان نواصر ، مسألة الديون الجزائرية على فرنسا وانعكساتها على العلاقات البلدين في أواخر عهد الدايات ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2010 – 2011 م ، ص ص : 96 ، 97

([295]) محمد العربي الزبيري ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابين ( 1792 – 1830 ) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1972 م ، ص : 225 .

سليم الثالث " فرمانا للجزائر يوم 6 أكتوبر 1798 ،يتضمن إعلان الحرب على فرنسا ، فاستجاب الداي للقرار وأعلن قطع العلاقات الدبلوماسية معها [296]، وكان غرض فرنسا من هذه الحملة كسر شوكة الإنجليز في الشرق [297] ، والسيطرة على تجارة الهند [298].

وكما أسلفنا استجاب الداي لأمر الدولة العثمانية ، وأعلن الحرب ضد فرنسا وألقى القبض على الفرنسيين وقناصلهم في السجن ، وخرّب مركز فرنسا التجاري بالقالة وأسر نحو 98 عاملا به ، كما أعلنت البحرية الجزائرية حربا شاملة ضد السفن الفرنسية في البحر، تجارية كانت أم عسكرية ، ولكن مالبث أن عاد السلم بين البلدين بعد انسحاب فرنسا من مصر ، أين أوفد " نابليون " مبعوثه تافيل إلى الجزائر ليتفاوض مع الداي لإبرام الصلح ، وفي 13 ماي 1800 م قابل تانفيل الداي " مصطفى باشا " ونجح في عقد هدنة معه يوم 30 سبتمبر 1800 م مقابل دفع مليون فرنك [299]، وستعرف السنوات القادمة انعكاسات حادة في مسار العلاقات بين البلدين، أين ستلعب مشكلة الديون دورا بارزا في تفعيل الأزمة التي ستجر البلدين إلى القطيعة والخلاف ،كما سيلعب الأخوان اليهوديان " بكري وبوشناق " على حبل العلاقات السياسية الفرنسية الجزائرية ، والتي ستنتهي بحملة كبرى تبتدأ بحصار الإيالة ثم احتلالها .

**المبحث الثاني : العلاقات الجزائرية الإنجليزية**

---

([296]) رشيد مريخي ، الجزائر في عهد الداي مصطفى باشا ( 1212 – 1220 ه / 1798 – 1805 م ) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، 2010 – 2011 م ، ص : 38

([297]) زينب عبد العزيز ، مائتا عام على حملة المنافقين الفرنسين ، كومبيوتر ستار ، مصر ، 1988 م ، ص : 14

([298]) محمد صبري ، تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلي اليوم ، ط1 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1926 م ، ص : 24

([299]) رشيد مريخي ، المرجع السابق ، ص : 38 .

جاء الانجليز إلى البحر الابيض المتوسط كتجار و بحارة خواص و قراصنة إبتداءا من أواخر القرن السادس عشر ، و قد حصلت الملكة إليزابيت على معاهدة من السلطان العثماني أعطت للتجار و البحارة الانجليز امتيازات مشابهة لتلك التي يتمتع بها الفرنسيون ، بالرغم من أن المعاهدات الفرنسية العثمانية جعلت الملك الفرنسي هو حامي التجار المسيحين في المشرق ،كما منحت القناصل الفرنسيين صلاحيات واسعة من السلطة الشرعية على جميع المسيحيين في الموانئ العثمانية ، و قد وجد بحارة السفن الخاصة و القراصنة الانجليز ملجأ أمنا لهم في موانئ الايالة الجزائرية و التونسية منذ وقت مبكر ، حيث كانوا يتبادلون تجارة كبيرة مع الجزائر من إمدادات عسكرية و بحرية ، مقابل الحبوب و الصوف و الزيوت و غيرها من المواد المصدرة و المعفية من الرسوم الجمركية.كما كانت حربهم مع الدولة الاسبانية ،و هذا ما جعلهم حلفاء أو على الاقل شركاء لرياس شمال افريقيا إذ كانت تجمعهم علاقات ودية [300].

إن اهتمام بريطانيا خلال القرنين السادس عشر و السابع عشر بالبحر الأبيض المتوسط كان محدود ، و يكاد يكون قاصرا على أعمال الشركة الانجليزية التركية – «شركة الشرق الأوسط-"الليفانت levant "» و التي تأسست سنة 989 ه - 1581م ، و لذلك كانت بريطانيا ثاني دولة تسعى إلى إنشاء قنصلية لها بالجزائر [301] ، وكانت المسؤولة في عهد الملكة اليزابيت على تعيين القناصل الانكليز في مدن الموانئ العثمانية ، و كان من الصعب تعيين قنصل في الجزائر عندئذ ،لعدم وجود نشاط تجاري هام في هذه المدينة التي كانت تكرس كل جهدها تقريبا لهجومات رياسها البحريين ، بعد وفاة اليزابيت أعلن خليفتها ، " جميس الأول " (1603 - 1625 م) أن زمن الحرب قد

---

([300]) مولود قاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830،ج1، دار الامة ، ط2 ،2007 ، ص ص : 181 ، 182 .

([301]) عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ،ج 4 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2010 ،ص : 102

انتهى و لم يكتف بتوقيع السلام مع اسبانيا ، بل أنه أيضا أعطى نفوذا كبيرا وسمعة إلى السفير الاسباني في البلاط الانجليزي ، و مع ذلك فان القراصنة الانجليز كانوا محل ترحيب في الموانئ الجزائرية و التونسية ،حيث كانوا هم و نظراؤهم الفلانديون و الهولانديون يُعلمون الرياس المسلمين كيفية بناء و تسير السفن الطويلة التي تعتمد في مسيرها على الرياح [302] .

لم يعد التجار الانجليز امنين على سفنهم كما كانوا من قبل ، إذا ما أبحروا عبر البحر الأبيض في اتجاههم إلى المشرق للتجارة ، حيث كان السفير الانكليزي في اسطنبول يعامل مثله مثل نظيره الفرنسي،و بعد أن وقع هنري الرابع السلام مع اسبانيا ، قد وجد نفسه يستطيع الضغط كثيرا على السلطات العثمانية لوقف النهب الغير شرعي الذي لحق بالسفن الانجليزية من قبل رياس شمال افريقية ، ذلك أن السلطة العثمانية لم تعد تحمي بسهولة سفن الدول التي يفترض أنها صديقة لنظامه ،و التي هي في نفس الوقت في سلام مع اسبانيا [303].

كما كان الفضل لبعض ضباط البحر الانجليز و الفرنسيين في تعليم البحار الجزائريين و التونسيين طريقة إبحار السفن التي يمكنها اختراق المحيط الأطلسي ،و من ثمة توسيع مجال أنشطة البحارة المغاربة بصفة كبيرة ،و هكذا نرى أن إنجلترا و فرنسا و نيوزلاندا المتحدة لم تكن تجد صعوبة مع البحارة العاملين في الايالات المغربية ،طالما كانت هذه الدول أيضا في حرب أو عداء مع المماليك الاسبانية. و لكن عندما وقعت هذه الدول الثلاث السلام مع اسبانيا ، فان بحارة المغاربة توقفوا عن النظر إليهم كحلفاء ، و سرعان ما استولوا على السفن التجارية التي تعود إلى أصدقاءهم السابقين واسترقوا طواقمها .إن تدخل إسطنبول قد يغير القرارات في العقد الأول من القرن السابع عشر ،

---

([302]) جون ب . وولف ، المرجع السابق ، ص : 242

([303]) جون ب . وولف ، المرجع السابق ، ص : 241

ولكن سرعان ما توقفت السلطة العثمانية عن توفير الأمن لأي سفينة تعبر البحر المتوسط .[304]

تزايد نشاط البحرية الجزائرية ضد السفن الإنجليزية وعليه قرر الملك الإنجليزي "جيمس الأول" توجيه حملة عسكرية لقنبلة مدينة الجزائر ، وأوكل أمرها إلى الأميرال "روبيرت مانسيل" (Robert Mansel ) ، وصل الأسطول الإنجليزي إلى المياه الجزائرية في 27 نوفمبر 1620 م [305] ، لكن الحملة فشلت في تحقيق مبتغاها في فك الأسرى وحرق الأسطول الجزائري.أكّد هذا الإخفاق العسكري ، عجز إنجلترا على الرد على البحرية الجزائرية لضعف الأسطول الإنجليزي ، و عدم تحمل الخزينة الإنجليزية لنفقات حرب و التي قد تطول [306].

مالت إنجلترا إلى الحل التفاوضي مع الجزائريين؛ فعقدت معاهدة سلام مع الجزائر في سنة 1622م ، وقعت معاهدة " توماس روي" بين الانجليز و الايالة العثمانية لتنظيم العلاقات الخارجية بينهما، و يشير جون وولف أن أول من أخل ببنود المعاهدة هم الانجليز ، فقد كان الحكام الأوائل خلال بداية القرن السابع عشر يجدون صعوبة في السيطرة على سلوك رعاياهم ، ذلك أن البحارة الخواص المرخص لهم يصبحون بسهولة قراصنة ، لا يمكن مراقبة سلوكهم في البحر ، و لكن الذي أزعج السلام مع الجزائر لم تكن ببساطة هذه الحجة و إنما السفن الحربية الانجليزية المرخص لها بانتظام قد نقضت أيضا السلام .[307]

---

([304]) المرجع نفسه ، ص ص : 241 – 243

([305]) وليام سبانسر ، المرجع السابق، ص : 180

([306]) جون ب . وولف ، المرجع السابق ، ص : 298

([307]) نفسه ،ص : 298

خلال حرب باكنغهام Buckingham مع اسبانيا سنة 1625م أجبرت سفينة إنجليزية خاصة ،أحد الرياس الجزائريين على تسليمهم السفينة الاسبانية التي كان الرايس قد استولى عليها كغنيمة له ، الامر الذي أدى إلى احتجاج من قبل الرايس ، كما وقعت حادثة مشابه لها ، حيث أن بحارة جزائريين استولوا على سفينة فرنسية كانت مبحرة ، غير أن البحرية الانجليزية طالبت باعطائها نصف الغنيمة ، و لعدم معرفتهم باللغة جعلت الطاقم الجزائري يخسر كل الغنيمة ، وعلى إثر هذه الانتهاكات أرسلت بعثة رسمية جزائرية إلى لندن تحمل معها (خيولا ، أسودا و فهودا ) قاصدة من هذا الحصول على تعويضات ، للانتهاكات المقصودة للمعاهدة من قبل البحارة الانجليز ، لكن حظ البعثة لم يكن كذلك حيث فشلت في مهمتها [308] .

استاء رياس البحر من المعاهدة التي تمنعهم من الانقضاض على السفن الانجليزية ، و خاصة أن العلم الانجليزي كثيرا ما شوهد في البحر المتوسط خلال عشرينات القرن السابع عشر ، و جاءت الفرصة المنتظرة لتبرير نقض المعاهدة و إعلان الحرب على إنجلترا ، و هذا عندما هاجمت سفينة حربية انجليزية سفينة جزائرية و احرقتها ، و كان من نتائجها وضع الأغلال للقنصل الانجليزي "جميس فرانزيل " franzel" و رميه بالسجن ، و اعلان الجزائر الحرب على انجلترا [309] ، و على اثر هذا الصراع باتت السفن الانجليزية في البحر المتوسط و في المحيط الاطلسي هدفا سهل المنال للرياس البحر الجزائريين ، و كان أجرأ هجوم هو الذي قام به العلج مراد رايس ، حيث أسر مئات الرجال الانجليز و النساء و الاطفال لبيعهم في سوق الرقيق بالجزائر ، و كانت هناك هجمات متكرر على السواحل الانجليزية و التي ساهمت في تحريك مشاعر انجلترا [310] .

---

([308]) المرجع نفسه ، ص ص : 298- 299

([309]) جون وولف ، المرجع السابق ، ص : 299

([310]) منور مروش ،ج2 ، المرجع السابق ، ص ص : 285-323

تهاطلت رسائل عائلات الاسرى على الملك و كبار المسؤوليين تناشدهم لنجدتهم ،غير أن الملك لا يملك المال لفدائهم ،كما استرشدت الحكومة لتشكيل لجنة تهتم بهذا الموضوع و التي رأت أن سياسة الفداء ستعطي للجزائريين فكرة بأن الانجليز بضاعة رابحة ،و هذا سيدفعهم إلى بذل مجهودات أخرى للاستيلاء على الاسرى ، و لهذا جعلت استمرار الحرب هو الحل الوحيد [311] . قدر عدد الاسرى بخمسة الاف أسير سنة 1640م ،و بسبب ارتفاع هذا العدد توالت موجات العرائض الموجهة للبرلمان ،و خلال هذه السنوات قام شارل الاول ببناء اسطول قوي يمكنه من فرض هيبته الانجليزية على البحر المتوسط ، و في سنة 1645م غادر " ادمون كاسن " "(cassen) من انجلترا على ظهر سفينة محملة بالبضائع و النقود لفداء الاسرى بالجزائر ، كما تم اعتماده كقنصل و أُعطيت له صلاحيات لعقد معاهدة سلم و صداقة مع ايالة الجزائر، و نتيجة لعاصفة هوجاء احترقت هذه السفينة قرب اسبانيا ،و على اثرها عاد كاسن إلى انجلترا ،و في سنة 1646م عاد إلى الجزائر و معه المال لفداء الاسرى و لعقد معاهدة السلام [312].

عرفت العلاقات الجزائرية الإنجليزية خلال عهد الجمهورية بما يمكن أن نسميه السلام المشوب بالحذر؛ إذ رغم السلام الذي أّكدته معاهدة 1646 م ، إّلا أّن التوجه الجديد لحكومة الجمهورية كان يقضي باستعمال الصرامة في التعامل مع الإيالات المغربية بشكل عام. وقد ظهر ذلك جليا في التعليمات التي زود بها القنصل الانجليزي الجديد "روبير براوني" (Robert Browne) ، وهي تعليمات تميزت بالوضوح والجفاء وعدم التساهل ، أو التسامح مع أي عمل يخل ببنود المعاهدة .وتدعيما لمهمة قنصلها أرسلت حكومة الجمهورية أسطولها بقيادة الأميرال" بلاك " (Blake) إلى البحر الأبيض المتوسط ،ليكون

---

([311]) جون وولف ، المرجع السابق ، ص ص : 299 - 300 ، 301

([312]) المرجع نفسه ، ص ص : 303 ، 304

على أهبة الاستعداد لأي طارئ [313] ،كما تشير مجلة العصور إلى حدوث هجوم بريطاني بأسطول حربي على مدينة الجزائر و كان هذا عام 1652م [314] ،وعندما عاد النظام الملكي إلى إنجلترا في سنة 1660م ،استهلّ الملك "شارل الثاني " عهده بتوجيه حملة عسكرية على مدينة الجزائر، لإرغام الحكومة الجزائرية على الانصياع لرغبته في تعديل المعاهدة السابقة ،وخاصة الشرط المتعلق بتفتيش السفن الإنجليزية . وفور وصول الأسطول الإنجليزي إلى ميناء الجزائر، شرع في قصف المدينة وأبراجها ،وردت عليه الحصون الجزائرية فأصابت السفينة التي تحمل الأميرال كما أصيبت بعض السفن بأعطاب فمات منهم مائة [315].

بعد فشل الحملة لجأت إنجلترا كالعادة إلى أسلوب التفاوض؛ فعقدت معاهدة سلم مع الجزائر في سنة 1662م [316] ،كما لا يمكن تجاهل الضربات التي تلقتها البحرية الجزائرية من طرف الانجليز، حيث تم قصف سواحل الايالة و ميناءها و كان هذا عام 1665م [317].

برز الصراع بين فرنسا و الجزائر لتنفرد فرنسا بشن اكبر عدد من الغارات البحرية على الجزائر خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر ، غير أن المدفعية الجزائرية تمكنت من صد هذه الهجمات و إلحاق الهزيمة بالأسطول الفرنسي ، و في عام 1669 م أبرمت

---

([313]) جون وولف ، المرجع السابق ، ص ص : 307 ، 308

([314])جبور محمد ، **البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني** ، مجلة العصور ، العدد 12-13/14-15،جامعة وهران ، 2008 -2009 ، ص : 120 .

([315]) جون وولف ، المرجع السابق ، ص : 308

([316]) جمال قنان ، نصوص و وثائق ، المرجع السابق ، ص ص : 91-97

([317]) المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق ، ص ص : 339-347

اتفاقية جديدة بين فرنسا و الجزائر ، الأمر الذي أغضب انجلترا لتشن بدورها هجوما على الجزائر لكن قدرة المدفعية الجزائرية أرجعتها من حيث أتت [318].

ظل تبادل التهم بخرق المعاهدات يعكر صفو العلاقات بين البلدين ،ليجد كل طرف المبرر للقيام بأعمال عدوانيه ففي 1770م قبضت وحدة بحرية إنجليزية بقيادة السير "ألن" "Allen " و أحرقت 3 طرادات قرصانية مجموعة ناريتها 248 بندقية [319] ، و في ربيع 1671م تعرض ميناء بجاية إلى هجوم إنجليزي ،قاده الضابط " إدوارد سبراغ " (Edward Spragge) [320]أسفر عن حرق إثنتي عشرة سفينة ، وأكثر من ثلاثة آلاف قتيل ثم توجه شطر مدينة الجزائر ، فأحرق بها تسع سفن ،وشرع في إملاء شروطه على حكومة الداي التي توّلت السلطة في البلاد بعد القضاء على نظام الآغوات ،لكنه لم يكمل المفاوضات وعاد على جناح السرعة إلى بلاده .

ساءت العلاقات الجزائرية الانجليزية هذا و أن القنصل الانجليزي كان يمارس ضغطه على الداي باستمرار للحصول على المزيد من المعاهدات التجارية ، و في النهاية طرد القنصل من قصر الداي لأنه أصر مقابلة الداي و الدخول إلى ديوانه ،و هو متقلدا سيفه الأمر الذي أثار غضب الداي ،و زيادة حدة توتر العلاقات بين البلدين. و في سنة 1774م/1188ه جاء القائد " دنيس" إلى الجزائر لتعيين قنصل جديد بها ، إلا أنه لم يسمح له بالنزول من سفينته ، و في 16 شباط 1775م تدخل السلطان و فرض على الجزائر قبول الصلح مع انجلترا، وفق فرمان بعث به إلى ايالة الجزائر ،غير أن هذه الأخيرة لم تعر أي إهتمام بهذا الفرمان نهائيا . [321]

---

([318]) عزيز سامح ،ا لمرجع السابق ، ص : 529

([319]) وليام سبانسر، المرجع السابق ، ص : 180

([320]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص : 184

([321]) عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص : 529

اغتنم الانجليز فرصة قيام الحرب بين الجزائر و فرنسا عام 1681م ،فابرموا مع الجزائر معاهدة سلام و كان ذلك سنة 1682 [322]، حيث يصفها أحد الفرنسيين بتقديم الانجليز تنازلات مزرية للجزائريين، إذا قبلوا بإعطائهم كمية معتبرة من البارود ،و من قنابل المدافع و من الحبال ،و كل مايستلزم لتجهيز السفن ،كما قامت انجلترا باطلاق سراح خمسين أسيرا ، في الوقت التي لم تتحصل فيه إنجلترا على أسير واحد من الأسرى الانجليز المتواجدين بالجزائر ،رغم عددهم الكبير ، كما قبل الانجليز بأن يتولى القراصنة الجزائريين حماية بواخرها في البحر المتوسط [323].

بقيت حالة الشد والجذب تطبع علاقات البلدين إلى مطلع عقد الثمانينات من القرن 17م ،حين وّقع البلدان معاهدة سلام في 22 أفريل 1682 م ؛ و يعود الفضل في ذلك إلى القنصل" صمويل مارتن " الذي وعد الديوان في 1676م ،بأن انجلترا ستحدد من عدد الأجانب المسافرين على متن سفنها ، و نجم عنها تحسن في العلاقات التي سوف تستمر إلى غاية القرن 18 وذلك إثر توطد التفوق البحري الإنجليزي و احتلال الإنجليز لجبل طارق أثناء حروب الوراثة الإسبانية [324] .

كانت سياسة بريطانيا اتجاه الجزائر تستهدف نفس الاهداف التي تسعى لتحقيقها غريمتها فرنسا ،غير أن إنجلترا في المناسبات العادية كانت تبدي الكثير من البخل في الهدايا التي كانت تقدمها للداي ، أما القناصل الذين كانت تختارهم لتمثيلها بالجزائر كثيرا ما كانوا من طبقة عادية و لايتمتعون إلا بمعرفة محدودة ، و عدم حنكتهم في الامور

---

([322]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 41

([323]) مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر العام ،ج3 ،ص ص: 186-187

([324]) وليام سبانسر، المرجع السابق ، ص : 180

الدبلوماسية هو السبب الذي جعل هؤلاء يقعون في أخطاء فادحة ،و في كثير من الأحيان كان يتم استدعائهم من قبل حكومتهم بناءا على شكوى الداي [325] .

لقد كانت انجلترا تنتهج سياسة لا تتسم بالمثابرة و المواظبة مثل فرنسا، فإنها كانت تطالب و باستمرار بنفس المكانة و الاعتبار التي كانت تتمتع بها نظيرتها [326] ، وقد تعرضت الجزائر إلى عدة هجمات من قبل الاسطول الانجليزي ، لكنها أقل عددا من الهجمات الفرنسية ، كما كان مجموع الاتفاقيات المبرمة بين الجزائر و انجلترا منذ 1619 م إلى 1830 م حوالي 27 معاهدة [327] .

إن موضوع العلاقات الجزائرية البريطانية تكتسي أهمية خاصة لدول البحر الأبيض المتوسط بصفة عامة ، كون أن بريطانيا لم تكن من دول البحر الأبيض المتوسط ،إلا أنها اقتحمت هذا المسطح المائي الهام ،بغرض السيطرة على الملاحة التجارية العالمية التي كان يحظى بها المتوسط ، وبالتالي فرضت نفسها كرقم أساسي في المعادلة التي حكمت وأطرت العلاقات السياسية للدول المتوسطية هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كانت الجزائر خلال هذه الفترة دولة بحريّة بالدّرجة الأولى ،فكان مفتاح عظمتها في " عصر القرصنة " يكمن في بحريّتها التي كانت توجّه سياستها الخارجيّة ، وتحدّد طبيعة علاقتها مع الدّول الأوربيّة ، بما فيها الإمبراطوريات العظمى التي كانت على رأسها بريطانيا. وبالتالي أولت المملكة البريطانية أهمية بالغة بالجزائر، خاصة أن هذه الأخيرة كانت تربطها علاقات يمكن أن نقيمها بالحسنة خلال هذه الفترة .

**المبحث الثالث : العلاقات الجزائرية الأمريكية**

---

([325]) وليام شالر ، المصدر السابق، ص : 134

([326]) نفسه ، ص : 135.

([327]) عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق ، ص ص : 103- 104

كانت أمريكا عبارة عن مستعمرة تخضع للنفوذ البريطاني ، تابعة سياسيا واقتصاديا للتاج الإنجليزي ،وبالتالي كانت علاقتها مع الجزائر منطوية تحت العلاقات الجزائرية البريطانية التي تتمّ بواسطتها ومن خلالها ،حيث كانت الجزائر تعامل السفن الأمريكية طبقا للدولة المستعمرة . [328] و في ظلها تمتعت السفن الأمريكية بالحماية من الجزائر، مانحة إياها جميع الامتيازات حيث كانت العلاقات الجزائرية البريطانية ودية ، وفي أواخر القرن الثامن عشر و بعد قيام الثورة الأمريكية [329] ، سحبت بريطانيا حمايتها من أمريكا ليبدأ تاريخ الولايات المتحدة الفعلي بموجب معاهدة فرساي في 3 سبتمبر سنة 1783م [330] ،حيث اعترفت الجزائر بحق الولايات المتحدة في الاستقلال [331] .

تعتبر العلاقات الأمريكية الجزائرية حديثة عهد و لم تبدأ الاتصالات فيما بين الدولتين إلاّ بعد 1783 م ،كما يؤيّد هذا الاتجاه مسارعة الجزائر إلى الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة، و أمام الوضعية الحرجة التي كانت تعيشها أمريكا قررت أن تنشد السلام مع الجزائر بطريقة غير مباشرة ، فلجأت إلى الأوروبيين لتحقيق هذا الهدف ، فالمعاهدة التي أبرمتها أمريكا مع فرنسا عام 1778 م ،نصت على مادة يتعهد بموجبها ملك فرنسا باستعمال وساطته لدى الجزائر لحماية المصالح الأمريكية [332]، و في معاهدات أمريكا مع هولندا عام 1782 م ، و التي كانت مماثلة للمعاهدة التي عقدتها مع فرنسا ،كما

---

([328]) وليام شالر، قنصل أمريكا بالجزائر، مقدمة المترجم ، ص ص : 5 ، 6

([329]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص216

([330])اسماعيل العربي ،**المعاهدات الجزائرية الأمريكية** ، **مجلة الثقافة** ،الجزائر،السنة السابعة العدد40،اوت – سبتمبر1977،ص23

([331]) عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق ، ص : 101

([332]) جيمس لندركاثكارت ، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا بالمغرب ، تر: إسماعيل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 ، ص : 196 . انظر ايضا: اروين ، ص : 44 .

فشلت مساعيها الأولى لعقد معاهدة مع بريطانيا . و تم توقيع معاهدة عام 1783 م [333] . حاولت أمريكا التحالف ضد الجزائر و لكن الدول الأوروبية رفضت تطبيق هذه المادة كفرنسا ،و أخرى رفضت إضافة هذه المادة أصلا كبريطانيا .إلا أن مساعي أمريكا فشلت لدى الدول الأوروبية [334] .

سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى عقد معاهدة صلح مع دول المغرب خاصة الجزائر التي كانت أقوى النيابات العثمانية آنذاك، حفاظاً على سلامة السفنها التجارية في البحر المتوسط.و قد أشار الوزير الفرنسي إلى استئناف المفاوضات مع دول المغرب ،و التي سوف تكلفها مبالغ طائلة،لان بدون هذه التضحية لا أمل لها في الحصول على السلام،فان تمكنت الولايات المتحدة من ابرام المعاهدة مع الجزائر و المغرب لتخذت كل من تونس و طرابلس حذو البلدين بسهولة و بمبالغ أقل [335] .

فبعد انتصار الجزائريين على الإسبان وعقد معاهدة معهم عام 1783م ، أُتيح للجزائريين التحرك بحرية أكبر في البحر المتوسط و المحيط الأطلنطي، بعدما فُتح أمامهم مضيق جبل طارق فاستولى الجزائريون على سفينتين أمريكيتين عام 1785 م ، و الذي كان على متنها 21 أسيرا و بالتالي ازدادت حصيلة الأسرى من الأمريكيين [336] .

أرسلت الولايات المتحدة مندوبا عام 1786م يدعى " جون لامب " فدخل في مفاوضات مع الداي " محمد باشا " ، إلا أن الداي رفض مقابلته [337] . وفي سنة 1791م توفي الداي محمد باشا ليحل محله الداي حسن باشا ،وأحست الولايات المتحدة

---

( [333] ) أروين راي ، تاريخ العلاقات الدبلوماسية الأمريكية المغربية ، تر : اسماعيل العربي، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص : 46- 48

( [334] ) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ، المرجع السابق ،ص : 219

( [335] ) أروين ، المرجع السابق ،ص : 54

([336]) اسماعيل العربي ، المعاهدات الجزائرية الامريكية ، المرجع السابق ، ص : 25 ، **انظر:** أروين ، ص : 63

( [337] ) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص : 219

أنه أكثر ميلا لها من سابقه فسارعت إلى فدية أسراها ،و عقد معاهدة ،فوافق الأمريكيون على دفع مبلغ 65 آلاف دولار [338].

استمر الصراع بين البرتغال و ايالة الجزائر الامر الذي دفع بهم إلى اتباع سياسة حراسة مضيق جبل طارق لمنع السفن الجزائرية من الخروج من البحر المتوسط ،و بذلك تكون البرتغال قد تحمي السفن الامريكية من قراصنة الجزائر في المحيط الاطلسي. ورغم غلقِ البرتغال لمضيق جبل طارق أمام البحرية الجزائرية ، و تقديم الحكومة البرتغالية الحماية للسفن الأمريكية ، إلا أنها ظلت تواجه التهديدات إلى غاية 1793م ، حينما قامت الحكومة البريطانية بعقد صلح بين ايالة الجزائر و البرتغال [339].

عقب ذلك انتشرت السفن الجزائرية التي زالت كل العوائق امامها ، و في غضون سنة تمكنت السفن الجزائرية من الإستيلاء على 11 سفينة أمريكية في عام 1793م ،وبلغ عدد الأسرى الأمريكيين مئة أسيرا [340] ،وقد أدى هذا إلى إحداث إثارة كبيرة في الولايات المتحدة خاصة وانها قد خرجت حديثا من مشاكل الناجمة عن حرب الاستقلال ، و بفضل دستورها الذي كان يبشر بمستقبل زاهر، وقعت البلد تحت عبئ ثقيل و هو عدم امتلاكها قوة بحرية ،و هكذا بذلت المساعي من أجل حل هذه المسألة. فأقر " الكونجرس " في عام 1794م إنشاء اسطول مكون من 6 سفن أمريكية لاستخدامها ضد الإعتداءات المعادية في البحر المتوسط [341].

رغم إقرار أسلوب القوة إلا أنها فضلت اسلوب التفاوض مع الجزائر و لهذه الغاية كلف الكلونيل" هامفري" ، الوزير الأمريكي في ليشبونة من قبل رئيس الولايات المتحدة

---

([338]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 129

([339]) أبو قاسم سعد الله ، أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر ،ج1، دار البصائر ، الجزائر ، 2007 ، ص: 289

([340]) مذكرات وليام شالر ، المصدر السابق ،ص : 128 ، 129

([341]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ، المرجع السابق ، ص : 227

الأمريكية بالدخول في مفاوضات مع الجزائر ،حيث اضطر وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية الجديد "ادمون راندلوف" لتخصيص مبلغ 800 ألف دولار لتحقيق السلام وتخليص الأسرى لدى الجزائر [342].

أرسلت أمريكا بعثة أخرى إلى الجزائر للمفاوضة عام 1795م ، تحت مسؤولية " **هامفري** " ، سافر المندوبان الأمريكيان " هامفري " و "جوزيف دونالدسون " إلى باريس حيث بقى هامفري وتابع دونالدسون طريقه إلى الجزائر . وبمساعدة فرنسا ، و بعد المحادثات بين الطرفان أدى إلى توقيع أول معاهدة سلام و صداقة بين البلدين بتاريخ 21 صفر 1210ه الموافق لـ 5 سبتمبر 1795م [343] ، التي نصت على أن تدفع أمريكا ما يعادل 725000 دولار منها 642500 دولار كفدية لمئة أسير، و 21600 دولار كجزية سنوية ،و تدفع لمعدات بحرية إلى الجزائر اضافة إلى هدايا تقدم إلى الداي [344] ،و بالمقابل تتعهد الجزائر بحماية التجارة الأمريكية في البحر المتوسط، و القيام بمساعيها الحميدة لدى باشا طربلس لتحقيق السلام مع أمريكا ، و بناءا على هذا أصبحت الجزائر طرفا ثالثا ضامنا للسلام حين وقعت معاهدة طرابلس أمريكا ، كما تعهدت الجزائر بالقيام بنفس لمساعي لدى الباشا تونس لصالحأمريكا [345] .

جاء في ديباجة المعاهدة ((من تاريخ إبرام هذه المعاهدة سيحل السلام الدائم و الصداقة المخلصة بين رئيس المتحدة الأمريكية و مواطنيها، و بين بابا حسن داي الجزائر و ديوانه و رعاياه و أن سفن و رعايا الأمتين سيتعاملون بكل شرف و احترام )) .و تطبيقا لهذه المعاهدة أطلقت الجزائر سراح أسرى الأمريكان في جوان 1796م ، أما أمريكا قد

---

([342]) وليام شالر ، المصدر السابق، ص : 129

([343]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص : 229

([344]) وليام سبانسر ، الجزائر في عهد رياس البحر، ص: 186

([345]) مذكرات شالر ، المصدر السابق ، ص : 129

قدمت للجزائر ثلاثة سفن " حسن باشا " و " سكجولد براند " ، للاعايشة و التي وصلت إلى ميناء الجزائر يوم 16 يناير 1799 ، أما السفينتين الأخريين وصلتا بعد ذلك بوقت قصير ، كانت تبلغ قيمة السفن في مجملها 9800000 دولار [346] ، و في هذه الأثناء تغير الجو السياسي بأوروبا بين انجلترا و فرنسا و بين امريكا وانجلترا و بالتالى تم تحريض الجزائر من قبل صديقتها الأولى طبقا لمصالحها [347].

تمّ الإمضاء على المعاهدة رغم تحريض بريطانيا للداي على الإستمرارية العمل ضد النشاط التجاري الأمريكي من أجل القضاء عليه من ناحية، وتحجيم دور فرنسا من ناحية أخرى [348] ، أما أهم مواد المعاهدة فهي أن تدفع الولايات المتحدة للجزائر إتاوة سنوية مقدارها 12 ألف من الذهب الجزائري مع إمكانية أن يتم الدفع عينيا، كأن يقوم الجانب الأمريكي بإعطاء الجزائر ما تحتاجه من معدات بحرية، و سواري السفن ولوازمها من حبال وأخشاب فضلا عن بعض المدافع والبارود على أن يتم حساب أثمانها من الأتاوة السنوية، وفي حالة الزيادة أو النقصان يتم التعويض [349].

كانت الحالة المالية و الثقة في الدولة متضعضعة في الولايات المتحدة ،بحيث أنها واجهت صعوبات كبيرة في جمع الأموال اللازمة للوفاء بالتزاماتها في نطاق المعاهدة ،وحدث تأخير من قبل الولايات المتحدة [350] في إرسال ما تم الإتفاق عليه مع الجزائر، حيث مرت ثمانية أشهر على توقيع معاهدة السلام دون تنفيذ بند واحد من بنودها [351] ،فظن الداي أن الأمريكيين غير جادين في تنفيذ المعاهدة .

---

([346])جيمس لاندر كاثكارت ، المصدر السابق، ص 276-277

([347]) مذكرات وليام شالر ، المرجع السابق ، ص : 129

([348]) نفسه ، ص : 129

([349]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص: 228-227

([350]) مذكرات شالر ، المصدر السابق ، ص : 130 .

([351]) جيمس لاندر كاثكارت ، المصدر السابق، ص : 194

أبلغ المندوبين الأمريكيين بضرورة المغادرة خلال أيام ،وإذا لم يتم التسليم خلال شهر فسيلغي المعاهدة ويعلن الحرب. فلجأ المندوبان إلى أحد كبار التجار اليهود من آل بكري للتوسط لدي الداي لزيادة المهلة بعد أن دفع له 18 ألف دولار ، و كان " بارلو " قد أعد بعض الهدايا الثمينة للداي ،أملاً منه في تمديد المهلة لوصول أموال المعاهدة التي بعثها مع اليهودي كوهين بكري لكي يحصل على مقابلة مع الداي غير انه رفض هذه الهدايا من الامريكيين و بعد محاولات عدة و متكررة [352] ، إلا أنّ الداي رفض استقبال بارلو لمدة لاتقل عن شهر بعد وصوله للجزائر، و أكثر من ذلك فقد أمر الاسطول بالتسلح و الاستعداد لإعلان الحرب على الولايات الامريكية المتحدة ، لكن لكسب الوقت و للخروج من هذه الورطة ، عرض بارلو على الداي تزويده ببارجة مسلحة بستة و ثلاثين مدفعا اذا رضي تمديد المهلة [353] ، فوافق الداي على زيادة المهلة إلى ثلاثة أشهر فقط. و وعدت الولايات المتحدة بإرسال اللازم في صيف عام 1797 . [354]

كانت التكلفة الحقيقية لمعاهدة الصلح هذه بالنسبة للولايات المتحدة تعادل أو تفوق المليون دولار ،وهي قيمة في غاية الارتفاع إذا نظرنا إلى حالتها المالية الكارثية بسبب الديون الخارجية ووضعها الاقتصادي المزري بسبب حرب الاستقلال، وضعف الدولة الحديثة النشأة تنظيميا وإداريا ،الراجح أنّ هذه المعاهدة تمّت سنة 1795م ،وأنّ أمريكا وجدت صعوبة في جمع هذه الأموال ولكنّها دفعتها بواسطة مفوضها "جويل بارلو" سنة 1796م [355] . بقيت مطالب الجزائر تزداد وتتفاقم كلـــّما تطوّرت التجارة الأمريكية

---

([352]) جيمس لاندر كاثكارت ، المصدر السابق، ص ص : 242 ، 243 .

([353]) المصدر نفسه ، ص : 257

([354]) أروين راي ،المرجع السابق ، ص110

([355]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 130

وازدهرت إلى أن وصلت في حسّ الأمريكيين إلى درجة لا تطاق، ولكن لم يكن لهم مفرّا ولا بديلا من دفع هذه الضرائب والغرامات [356].

و في عام 1800م وصلت السفينة الأمريكية جورج واشنطن الى الجزائر تحمل الإتاوة السنوية .استمرت العلاقة بين الجزائر و الولايات المتحدة تسير في ظل معاهدة 1795 م رغم حدوث بعض التوتر بسبب التأخر في إرسال الإتاوة الى الجزائر، أو المعدات الحربية، والذي وصل في بعض الأحيان إلى التهديد والإستيلاء على السفن الأمريكية [357].

استمرت العلاقة بين الجزائر و الولايات المتحدة تسير في ظل معاهدة 1795 م إلى غاية 1812م ،رغم حدوث بعض التوتر بسبب التأخر في إرسال الإتاوة الى الجزائر، أو المعدات الحربية، والذي وصل في بعض الأحيان إلى التهديد والاستيلاء على السفن الأمريكية ، [358] لم تكن أمريكا تستطيع خوض حرب مع الجزائر فاضطرت إلى محاولة مهادنتها وأرسلت سفينة (اللغاني) محمّلة بالذخيرة والعتاد الحربي.

أرست هذه السفينة في ميناء الجزائر يوم 17 جوان 1812م ولكن حمولتها كانت ناقصة عن القيمة المتفق عليها بين الطرفين [359] ،أبدى الداي غضبا شديدا وانزعاجا كبيرا بسبب هذا النقص الذي اعتبره عدم وفاء بالعهود والمواثيق ، وممّا زاد غضب الداي عندما علم أنّ نفس السفينة قد أنزلت شحنة مماثلة لملك المغرب ، وأنّها كانت محمّلة ببعض الأغراض الأخرى لأفراد وشركات خاصة ، رأى الداي في هذا التصرف اهانة لشخصه ولدولة الجزائر فأمر القنصل الأمريكي بمغادرة الأراضي الجزائرية رفقة عائلته ، وجميع

---

([356]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ،ص : 229

([357]) مذكرات وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 131

([358]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 129 .

([359]) نفسه ، ص : 130

الرعايا الأمريكيين وأمهلهم حوالي أسبوعا واحدا إلى غاية 25 جوان 1812م [360]، و في منتصف سبتمبر 1812 م ألقى الأسطول الجزائري القبض على سفينة أمريكية وأسرّ جميع من عليها في 1813م، حاولت الحكومة الأمريكية فدية أسراها ولكن المحاولة باءت بالفشل ، يزعم القنصل شالر أنّ الداي رفض فديتهم وقال أنّهم أهمّ عنده من أي مبلغ مالي مهما عظم [361].

ازداد الأمر سوءا عند اندلاع الحرب الأمريكية البريطانية عام (1812 – 1814) ،الأمر الذي أدى الى توقف التجارة الأمريكية البحرية في البحر المتوسط ، وبعد انتهاء الحرب الأمريكية البريطانية قررت الولايات المتحدة حل مسألة الجزائر بصفة نهائية ، حيث كانت متأكدة من أنها ستجبر الجزائر على الرضوخ لمطالبها بسبب تدهور الأوضاع الداخلية في الجزائر، نتيجة للصراع بين الدايات والإنكشارية ،فضلا عن أن الولايات المتحدة حاولت الإستفادة من قرارات مؤتمر فيينا عام 1815 م ، والذي قررت فيه الدول الأوروبية إنهاء الإعتداءات على السفن في البحر المتوسط [362].

## المبحث الرابع : العلاقات الجزائرية المغاربية

### أ مع تونس : إنظمام تونس للخلافة العثمانية

استفادت إسبانيا من التفكك والإنقسام الذي شهدته دول المغرب العربي [363] الثلاث ، التي عرفت كيف تتحين الفرصة وتستغل الظروف لصالحها ، فوجهت أنظارها

---

([360]) جيمس لاندر كاثكارت ، المصدر السابق، ص : 275 .

([361]) وليام شالر، المصدر السابق ، ص141-146

([362]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص: 604

([363]) عاطف عيد ، قصة وتاريخ الحضارات العربية ( أول موسوعة حديثة تعالج نشأة البلدان العربية وأحداثها حتى أيامنا هذه ) ج 21 – 22 ، 1998 - 1999 م ، ص : 51

صوب تونس ، التي كانت تتخبط في صراعات داخلية ظهرت في أوساط الدولة الحفصية حول كرسي العرش فاحتلت جل سواحلها ، ونظرا لموقع تونس الإستراتجي ، فقد أولتها الدولة العثمانية والإمبراطورية المقدسة بالغ الاهتمام ، حيث اشتد الصراع بينهما وتبادلت الدولتان أطراف الهزيمة والانتصار أكثر من مرة [364].

عملت الدولة العثمانية على تخليص تونس من السيطرة الإسبانية ، فاستغلت نشوب ثورة داخلية في تونس ضد حاكمها " أبو محمد الحسن الحفصي " حليف الإسبان ، فتوجه خير الدين نحو تونس لاقتحامها ، ولكن الحسن استنجد بالإسبان الذين هرعوا إلى تجميع أسطولهم عام 1535 م واصطدموا مع قوات خير الدين ، ونظرا لعدم التكافؤ بين القوتين قرر خير الدين الانسحاب نحو الجزائر ، وتمكن الإسبان من إعادة الحسن إلى عرشه بعد أن عقدوا معه اتفاقا يضمن مصالحهم [365] ،أين نص الإتفاق على منح الإسبان امتيازات واسعة والسماح لهم بسكن جميع أنحاء القطر التونسي ، بل وتنازل لهم السلطان الحفصي عن مدن هامة كـــــ : عنابة وبترت وحلق الوادي .

أدى هذا الوضع المتدهور إلى قيام ثورة وطنية بتونس ، انتهت بتولية السلطان الحفصي " أبي العباس الثاني " الذي حكم تونس ( 942 ه – 980 ه / 1535 – 1572 م ) ، لكن الأمور في تونس لم تستقر فأبو العباس الثاني لم يكن من القوة ، بحيث يستطيع أن يمسك بزمام الأمور ويقف في وجه الأطماع الإسبانية [366] .

حين اشتد الخلاف بين الأمير الحفصي أبي العباس ووزيره " أبي الطيب الخضار " ، اتصل هذا الأخير بالعلج " علي باشا " ، وحرضه على احتلال تونس فانتهز العلج علي

---

([364]) اسماعيل أحمد الياغي ، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، المرجع السابق ، ص : 238

([365]) جميل بيضون و شحادة الناظور وعلي عكاشة ، تاريخ العرب الحديث ، ط1 ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الأردن ، ص : 49

([366]) شوقي عطا الله الجمل ، المرجع السابق ، ص : 107

الفرصة وخرج على رأس جيشه أين التقى بجيش الأمير الحفصي عند سهل باجة ، وبعد قتال مرير انهزم أبو العباس وتقدم العلج على صوب المدينة فاستحوذ عليها سنة 1569 م ،ونصب عليها أحد قواده ، أما أبو العباس فالتجأ إلى الإسبان مستنجدا بهم ، فأعد الملك فليب الثاني [367] قوة كبيرة لمواجهة تونس على أن يقتسم مع أبي العباس حكم البلاد ، إلا أن أبا العباس رفض العرض في حين قبله أخوه " محمد بن الحسن " وتمكن بمساعدتهم من استرجاع تونس [368].

ولما تواصل الإعتداء الإسباني وجورهم وصاروا يكيدون بالمسلمين، ويقطعون الطريق على المسافرين وعم آذاهم جميع طوائف المسلمين ، جهز السلطان العثماني " سليم الثاني " قوة عثمانية كبيرة خرجت من القسطنطينية بقيادة " سنان باشا " [369] ، بالإضافة قوة بحرية من نحو ألف سفينة بقيادة " العلج علي " ، كما خرجت حاميات تركية من طرابلس والجزائر والقيروان ، وحاصر العثمانيون حلق الوادي برّاً وبحراً ، فأضطر الإسبان والأمير الحفصي إلى الهروب والإلتجاء إلى الحصون ، فلحق بهم الجيش التركي وضيق الخناق على الحاميات الإسبانية وألقى القبض على الأمير الحفصي " محمد بن الحسن " وأرسله إلى القسطنطينية [370] واعتقل هناك إلى أن توفي بها ، وبذلك تم تحرير تونس وضمت نهائيا للدولة العثمانية عام ( 981 ه / 1574 م ) ، وتم القضاء على

---

([367]) **فليب الثاني** : تولى حكم اسبانيا بعد إعتزال ابيه شارل الخامس للعرش ولجوءه إلى دير في اسبانيا سنة (1556 – 1598 م ) **أنظر** شوقي عطا الله الجمل ، المرجع السابق ، ص : 107 .

([368]) شوقي عطا الله الجمل ، المرجع نفسه ، ص : 108 .

([369]) **سنان باشا** : كان ضمن الجيش الاسباني الذي هاجم جزيرة جربة عام 1560 م ، ووقع أسيرا لدى الأتراك وكان إسمه الكونت سيكالا ، ولما أسلم وحسن إسلامه أصبح يعرف باسم سنان باشا ، وكان له دور كبير في تحرير تونس من الاسبان عام 1574 م . **أنظر** : جميل بيضون وآخرون ، المرجع السابق ، ص : 49

([370]) شوقي عطا الله الجمل ، المرجع السابق ، ص : 108 .

عهد الدولة الحفصية التي حكمت البلاد ما يقرب 350 عاما [371] ،والمستفيد الرئيسي منه إذ كانت تقع على عاتقه مهمة أساسية تتمثل في حماية البلد من كل عدوان خارجي ، كما تتمثل في فرض النظام التركي وكان لهذا العسكر مجلس أعلى يسمى الديوان، يتكون من ضباط ساميين من الأغوات وبلوكباشية ، وكان له شأن عظيم وسلطان قويم يعادل منزلة الباشا في الحاكم [372] .

لقد مرّ التواجد العثماني بتونس بعدة مراحل وتنظيمات وارتبط تطوره بجملة من الأزمات السياسية والعسكرية ، حيث ظهر نوعان من النظام بالبلاد هما نظام الدايات والبايات ،وكانت سنة 1591 م بداية نظام الدايات ، بعد ثورة أحدثها جند الإنكشارية كرّد فعل لتردي الأوضاع التي آلت إليها البلاد، بعد استئثار الديون بأمور الحكم والمال [373]، وقد كانت هذه الثورة بمثابة إنقلاب عسكري على الحكم ،أين أصبح تعين رئيس البلاد يتم من بين الدايات بينما أصبح الباشا شخصا شرفيا يلبس الخلعة السلطانية ، ويمثل مصالح الباب العالي [374]، وقد حكم تونس في هذا العهد ثلة من الدايات الأقوياء أمثال " عثمان داي – يوسف داي – أسطا مصطفى " وغيرهم ، لتنتقل تونس بعدها لنظام جديد هو نظام البايات الحسينين إبتداءا من 1705 م ،وقد شهدت العلاقات السياسية بين البلدين وقائع وأحداث هامة في كلا العهدين فبما تميزت هذه العلاقات ؟ وما هو الطابع الذي غلب عليها ؟

---

([371]) اسماعيل أحمد الياغي ومحمود شاعر ، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ( قارة إفريقيا ) ، ج2 ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، 1993 م ، ص : 93 .

([372]) محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال تع : محمد شاوش ، محمد عجينة ، ط3 ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993 م ، ص : 68 .

([373]) مبروكة خرنف ، العلاقات التونسية الفرنسية سياسيا – تجاريا خلال القرن 17 ( 1605 – 1705 م) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2011 – 2012 م ص : 13

([374])حسين خوجة ، ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان ، تر : طاهر العموري ، الدار العربية للكتاب ، ص : 22 .

**العلاقات السياسية بين إيالتي الجزائر وتونس :**

بعد أن انضوت الجزائر وتونس تحت لواء الدولة العثمانية ربطت بينهما علاقات سياسية اتسمت في مجملها بطابع التوتر ، فبالرغم من كونهما إيالتين عثمانيتين متجاورتين وخاضعتين بصورة مباشرة لحكم الخلافة الإسلامية ، إلا أنّ هذا الأمر لم يمنع من ظهور مناوشات وصراعات بينهما ، وكان لكل طرف مبرراته وأهدافه التي سطرها جراء تدخله في شؤون الآخر [375]، فالنظام الجزائري كان يعتبر تونس تابعة له ، أو يجب أن تكون بحكم أنه هو من حررها من الإسبان ، بينما كان النظام التونسي يعتبر نفسه مساويا للنظام الجزائري لأنه تابع للقسطنطينية [376].

ظهرت بوادر الصراع بين البلدين حول مشكلة الحدود التي تعد أهم مظاهر السيادة لدى الدول، وليس غريبا أن تنشب حولها النزاعات ، فكانت أولى مشاكل الحدود عام 1614 م ،أين سويت المسألة بتمديد أراضي القبائل التابعة لإقليم قسنطينة داخل التراب التونسي [377]، لتظهر مجددا في عهد يوسف أين تم إبرام معاهدة لضبطها سنة 1617 م ، فيكون واد سرا المتفرع من مجردة حدا فاصلا بين الإيالتين [378].

لعبت القبائل الحدودية القاطنة بين البلدين دورها في نشوب الصراع والخلاف ، ففي 1628 م إلتقى الجيشان الجزائري والتونسي في معركة انتهت بهزيمة الجيش التونسي قرب مدينة الكاف ، وتم إبرام إتفاق جديد بين البلدين نص على إبقاء وادي سرت حدا

---

([375]) كوثر العايب ، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات ( 1711 – 1830 ) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الوادي ، 2013 – 2014 م ، ص : 28 .

([376]) مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص : 195 .

([377]) كوثر العايب ، المرجع السابق ، 28 .

([378]) مبروكة خرنف ، المرجع السابق ، ص : 14 .

فاصلا [379] ، والمتتبع لسير العلاقات بين البلدين سيدرك حتما أن البلدان يستغلان نقاط ضعف بعضهما من أجل التدخل في شؤون الآخر ، فحكام الجزائر كانوا يغتنمون فرصة تطاحن الأمراء من التونسيين على الحكم ،فيعينون منهم بايا يكون مواليا لهم ويقبل شروطهم، [380] ونفس الأمر بالنسبة لبايات تونس أين استغلوا إنشغال الجزائر بحربها لفرنسا بمهاجمة الشرق الجزائري ، بالرغم من أن " محمد باي " الذي كان على عرش تونس في هذا الوقت قد عُين في منصبه بمساعدة الجزائريين ، فقام " الداي شعبان " بتنظيم حملة ضده نصّب على إثرها " أحمد بن شركس " بايا على تونس سنة 1681 م ، ولكن ما إن إنسحب الجيش الجزائري من تونس حتى ظهر محمد باي من جديد على رأس أنصاره وخلع أحمد بن شركس من العرش [381] .

بعد استرجاع محمد باي عرش تونس تحالف مع سلطان المغرب ضد داي الجزائر ، فقرر الداي الذي كان يناصره نظام طرابلس الغرب أن يطرد محمد باي من عرش تونس ، وأدرك محمد باي أن حليفه المغربي لا يستطيع أن يقدم له أدنى معونة ، فعرض على الداي تقديم جباية عنوانا عن خضوعه [382] ، وكان هذا التعهد سبيلا إلى نشوب حرب الإيالتين لعدم التزام الباي محمد بتنفيذه أين تتهجم الجزائر على تونس سنة 1693 م ،ويلتقي الجيشان في منطقة الكاف وتنتهي المعركة بخلع الباي محمد وتوليه " محمد شقير " بعد أن تعهد هذا الأخير بتعويض الجزائر لخسائرها في حرب الكاف ،ودفع الضرائب السنوية والهدايا المفروضة [383] .

---

([379])صورية حصام ، العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة وهران ، 2012 – 2013 م ، ص : 11 .

([380]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 17 .

([381]) مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص : 195 .

([382]) المرجع نفسه ، ص : 197 .

([383]) محمد بن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 26

وبمجرد خروج الداي شعبان من تونس قامت الرعية بخلع محمد شقير ، واتفقت الإنكشارية على منعه من اللجوء إلى الجزائر ، وتمت عودة محمد باي إلى منصبه بيدّ أن الداي شعبان قد صمم على محاربة تونس والإنتقام من المتمردين ، إلا أن القلاقل التي ظهرت في أوساط الجنود بالحدود الشرقية التونسية قد منعته ، وستؤدي إلى مقتله سنة ( 1106 – 1695 م ) ليخلفه " أحمد أعجي " دايا على البلاد [384] ،و بعد مرور عام على وفاة الداي شعبان ،توفي بتونس محمد باي سنة 1696 م ،وجاء بعده أخوه " رمضان باي " ، حيث قام هذا الأخير بإبعاد أخيه " مراد باي " عن الحكم وزّج به في السجن ، إلا أنه تمكن من الفرار واستطاع أن يجمع حوله عددا كبيرا من الأنصار ، كما قام بتحريض الإنكشارية ضد أخيه فقتل سنة 1699 م وتولى هو حكم الإيالة [385].

في عهده نظم حملة ضد قسنطينة فهاجمها وذبح حراس حصونها وحاصرها لفترة ، وبهذا الخبر إضطربت الإنكشارية الجزائرية ، فخاف حسن شاوش على نفسه وعين بدله " الحاج مصطفى أهجي " سنة 1700 ، فقام هذا الأخير بجمع صفوف الإنكشارية وتوجه بهم صوب الشرق القسنطيني لمحاربة الجيش التونسي الذي يقوده مراد باي ، وبعد معركة دارت بين الفرقين انتصرت الإنكشارية الجزائرية على التونسية ،وذبحت منهم قرابة 2000 شخص ،وشتت شمل الباقين وعادت إلى الجزائر رافعة الرأس [386].

وصلت أنباء القتال الدائر بين تونس والجزائر إلى الباب العالي ، فأمر السلطان العثماني كبير البوابين " أحمد " بالذهاب إلى هناك وإيقاف الاقتتال ، وبعدما تمكن هذا الأخير من النجاح في مهمته عاد إلى إسطنبول وأخبر السلطان بذلك ، وتقديرا منه على

---

([384]) المصدر نفسه ، ص : 26

([385]) حصام صورية ، المرجع السابق ، ص : 26

([386]) ابن المفتي حسين بن رجب شاوش ،تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر و علمائها،جمع و اعتناء :فارس كعوان،ط:1، بيت الحكمة،الجزائر ،2008،ص:69،أنظر أيضا : محمد بن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 26 .

استجابة الإيالتين لأمر السلطان أرسل هذا الأخير حُللاً فخرية لداي وباي الجزائر وتونس معا [387].

لم يعمر السلم طويلا بين البلدين حيث دام ثلاثة سنوات فقط بسبب نقض الباي

" إبراهيم الشريف" للإتفاق المبرم بين البلدين ،ورفضه لدفع الضريبة السنوية المتفق عليها [388] ،فكان ذلك سببا في توجيه الداي مصطفى لجيشه إلى تونس ،فإلتقى بجيش تونس بالقرب من منطقة الكاف ودارت معركة انتصر فيها الداي، وقبض على إبراهيم الشريف وسجنه فطلبت الرعية التونسية من الداي أن يكف عن الحرب مقابل 150 ألف ريال ، ولكن الداي رفض وقرر أن يدخل تونس ويغنم منها ، فتقدم إليها وحاصرها 40 يوما خسر خلالها التونسيون خلقا كثيرا ، ثم قرر الداي رفع الحصار وغادرها متجها إلى الجزائر [389].

بعد إلقاء القبض على الباي إبراهيم الشريف ، تولى زمام الأمور من بعده الباي " حسين بن علي " ومعه تتأسس الأسرة الحسينية ،أين ستتم الفترة الممتدة من سنة ( 1705 – 1728 م ) بنبوع السلم والتعاون ، ومن مظاهر ذلك التعاون ظهور التحالف التونسي الجزائري ضد قبيلة الحنانشة المتمردة 1724 م ، أين رفض شيخ هذه القبيلة " بوعزيز بن ناصر " دفع ما عليه من ضرائب سنوية ، فكانت تعلن ولائها لتونس تارة وللجزائر تارة أخرى، تهربا من دفعها للضريبة مما جعل حاكما الإيالتين ينتفضان على تأيدها [390] .

---

([387]) عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص : 453 .

([388]) حصام صورية ، المرجح السابق ، ص : 33

([389]) محمد بن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص :28

([390]) حصام صورية ، المرجح السابق ، ص : 43 .

كما ظهرت معالم السلم والصداقة أثناء الحرب الأهلية التونسية سنة 1728 م ، ومفادها أن الباي " حسين بن علي " قرر أن يجعل ابن أخيه " علي باشا " خليفة له من بعده ، لأنه يئس من الإنجاب فرباه على أصول الحكم ، إلا الباي حسين بن علي قد رزق بإبن وهو " محمد الرشيد " فقرر إلغاء ولاية العهد لإبن أخيه ، وصرح أن وريثه الشرعي هو ابنه " محمد الرشيد " ، إثر ذلك أعلن علي باشا ثورة ضد عمه وعمت الفوضى كافة البلاد التونسية ، وعندما أصبح علي باشا غير قادر على مجابهة عمه فرّ نحو الجزائر أين أحسّ بالأمان .

بعد التأكد من التحاقه بالجزائر راسل باي تونس داي الجزائر ، وشرح له الوضع الذي تسبب فيه ابن أخيه ، فطلب منه أن يلقي القبض عليه ويسجنه بالجزائر وتعهد باي تونس بدفع 50 ألف بياسترا سنويا ،فقبل داي الجزائر العرض [391] . هذا وقد شهدت سنة 1735م عودة الفوضى للإيالة التونسية بعد أن هاجمها علي باشا ،وهزم عمه ودخل تونس ونصب نفسه عليها ،ولجأ حسين بن علي إلى القيروان وصمد في وجه ابن أخيه طول خمس سنوات ، إلى أن رجحت الكفة لفائدة علي باشا وابنه يونس ، فأنهزم حسين داي وقطع رأسه في شهر ماي 1740 م ،فسلك إبناه بدورهما السبيل المؤدية إلى الجزائر ،حيث استقبلا استقبالا حسنا لأنهما كان يوفران للداي ورقة ضغط على باي تونس [392] ، وبرفض علي باشا دفع الضريبة المفروضة عليه بدأت علاقاته تتدهور مع الإيالة الجزائرية، إلى أن وصلت إلى حد القطيعة سنة 1740 م ،وشهدت سنة 1746 م ارسال حملة عسكرية بإتجاه تونس ، ولكنها أخفقت أمام أسوار مدينة الكاف ، ثم إنّ حملة أخرى بعشر سنوات بعدها 1756 م ،قد أفضت إلى احتلال تونس ونهبها واقصاء علي

---

([391]) حصام صورية ، المرجح السابق ، ص ص : 50 – 54

([392]) محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ، ص : 48 .

باشا عن الحكم ،وتعويضه بمحمد وعلي باشا إبنا عمه حسين بن علي في سبتمبر 1756 م [393].

بعد انتهاء حرب 1756 م بدأت مرحلة جديدة في مسار العلاقات السياسية بين البلدين أين تكللت بفترات السلم قاربت 20 عاما ، وفي سن ( 1096 – 1781 م ) لجأت بعض القبائل التونسية إلى الحدود الجزائرية في منطقة تبسة [394] ،بسبب رفضها للسيطرة وللخضوع للحكم التونسي واستنجدت " بصالح " باي قسنطينة ، وبعد مرور سنوات قليلة وبالضبط سنة 1783 م طالب صالح باي " حمودة باشا " بدفع تعويضات مالية للقبيلة لما لحقها من أضرار . رفض حمودة باشا هذا الطلب وكاتب الداي محمد بن عثمان يحذره من عقوبة مساندته لصالح باي ، إلا أن الداي عثمان ساند صالح باي فأضطر حمودة باشا للخضوع لأمر الواقع ،وامتثل لدفع تعويض مالي قدره 520,000 سكين للقبيلة المتضررة وكان ذلك في جوان 1748 م [395] .

استمر السلم بين البلدين إلى غاية 1800 م وذلك لعدة أسباب منها :

- إنشغال حمودة باشا بإخماد الحرب مع إيطاليا إلى غاية 1792 .
- انشغال الجزائر بقضية وهران واستعادتها من أيدي الإسبان عام 1792 .

بقية العلاقات الجزائرية التونسية في حالة من الترقب والحساسية ، وكان الشغل الشاغل للبايات التونسيين هو الخروج من هذه التبعية ، وقد وجدت تونس في الثورات

---

([393]) المرجع نفسه ، ص : 48 .

([394]) محمد صالح العنتري ، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها ( تاريخ قسنطينة ) ، تع : يحي بوعزيز ، دار هومة الجزائر ، 2007 ، ص : 80 .

([395]) حصام صورية ، المرجح السابق ، ص ص : 89 ، 90 .

الداخلية التي نشبت بالجزائر مابين 1803 و 1805 م، فرصة مناسبة للتخلص من هيمنة داي الجزائر ورفض ما كان يمليه عليها من أوامر وما يطلبه منها من إتاوات [396].

إجمالا للقول فيما يخص العلاقات الجزائرية التونسية ، أنها خضعت للعديد العوامل و الأسباب المتحكمة في سيرورتها ، والتي أفضت في النهاية إلى الإصطدام العسكري بينهما لأكثر من مرة وستنعكس بنتائجها على الإيالتين على حد سواء ،خاصة تلك المناطق التي كانت حلبة للصراع كقسنطينة والكاف ، وستبقى هذه المواجهات والإصطدمات التي تمت بين حكام الإيالتين محدودة في السلطة الحاكمة والسلم والتعاون ، فكان التواصل الثقافي والتبادل التجاري النشطين خير دليل على ذلك [397].

**ب مع المغرب :**

امتازت العلاقة الجزائرية المغربية بالتنافس الشديد نتيجة الخلافات المستمرة بينهما خاصة خلال القرن 16 ، و التي تدور حول منطقة تلمسان و المناطق المحيطة بها ، وصل التدخل الجزائري في الشؤون المغربية أوجه في النصف الاخير من القرن 17 مع اعتلاء العلويين حكم المغرب ، و بعد ذلك دخل المغرب في عزلة استمرت حتى نهاية القرن 19م [398].

تميزت العلاقات في العقود الخمسة الأولى للقرن 11ه/17م ، بين الجزائر والمغرب بطابعها السلمي أما العقد السادس فقد شهد تجدد الصراع بين الدولتين ، بسبب أطماع المغرب في الغرب الجزائري ،بعد ظهور الأسرة العلوية التي تمكنت من إخراج المغرب من ضعفه.

---

([396]) محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ، ص : 90 .

([397]) كوثر العايب ، المرجع السابق ، ص : 50

([398]) وليام سبانسر ، المرجع السابق ، ص: 166

كان المنصور يخشى أتراك الجزائر و لا يأمنهم بالرغم من الأوضاع الداخلية لهذا البلد ، فقد تقرب المنصور من حلفاءه التقليديين الإسبان، وخاصة ملكها "فيليب الثالث" لصد خطر الأتراك العثمانيين ،وذلك في شهر ربيع الاول1012ه/أوت 1603م [399]. ثم توجه إلى مهاجمة ولده في مدينة فاس، لكن هذا الأخير قام بتهديد والده المولى إسماعيل بالتوجه إلى مدينة تلمسان ،واللجوء إلى الأتراك حيث تم القبض عليه ووضعه في سجن بمكناس [400] .

إثر حروب أبناء أحمد المنصور زيدان وأبي فارس وصراعهم على الحكم بعد وفاة أبيهم ، انهزم زيدان في المعركة الأولى التي جرت بينه وبين عبد الملك بن أبي فارس ، وأخيه الشيخ في بداية جانفي1013 ه/1604م ، بتادلا ولاحقه الجيش إلى فاس ففر إلى تلمسان [401]، ليستعين بأتراك الجزائر حيث أقام عندهم بضعة أشهر [402] ،وخلال هذه الفترة كانت حكومة الجزائر بقيادة الباشا "خضر باشا " في عداء شديد مع الحكومة الفرنسية ، وهي الفترة التي قدم زيدان فيها هدية ثمينة تقدر بـــ 300000 أوقية من الذهب إلى السلطان العثماني، وبالرغم من ذلك لم يحقق ما كان يصبو إليه ، وعاد إلى المغرب عبر سجلماسة و لم يكن معه سوى 1200 فارس [403] ،وخلال هذه الفترة حرك المغاربة ثورتين في تلمسان ،الأولى كانت في سنة 1625 م ، والثانية

---

([399]) بن القايد عمر ، **أضواء على علاقة الجزائر بالمغرب الأقصى** ، **مجلة الواحة للبحوث و الدراسات** ، جامعة غرداية ، العدد17، 2012، ص 141

([400]) محمد الصغير بن الحاج الأفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، تح : هوداس ،مطبعة أرنست لوروا ، باريس ،1889 ، ص 18

([401]) نفسه ، ص : 193

([402])نفسه ، ص : 222 ، 223

([403]) ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، ص : 213

في 1627م /1037ه والتي كان يقودها السويسي المغربي وقد باءت الحملتان بالفشل الذريع [404].

عمل المغاربة على توسيع سلطتهم على حساب الأراضي الجزائرية، فقد استولى المولى الشريف على وجدة ،وشن غارات على تلمسان و نواحيها ،وسيطر على بني يزناسن ونهب أموالهم ومواشيهم ، ثم سار إلى مدينة ندرومة وقد عاود الغارة عليها وعلى القبائل المحيطة بها (مطهرة وولهاصة ) ، ثم أعاد الغارة على تلمسان وقتل الكثير من عسكر الترك ومن الأهالي الجزائريين ، كما هاجم القبائل العربية كجعافرة ، وحميان وزغبة ، ووصل إلى الأغواط وعين ماضي والغاسول [405].

عزم عثمان باشا داي الجزائر على القيام له ،سحب أتباعه إلى داخل المغرب ،وقد تبادل مع عثمان باشا رسائل [406] ،والتي أدت إلى مفاوضات واتفاقيات بين الطرفين بخصوص رسم الحدود بينهما ، وجعل وادي التافنة حدا فاصلا للحدود [407] ،وتعهد الشريف المغربي بالتزام ذلك قائلا : «...إني أعاهد الله تعالى لا أتعرض بعد اليوم ببلادكم و لا لرعيتكم بسوء ...لا قطعت وادي التافنة إلى ناحيتكم إلا فيما يرضي الله ورسوله... » ،و قد وفى في قطعه على نفسه واحترم أخوه الرشيد تلك الاتفاقية حتى جاء السلطان مولاي إسماعيل العلوي وفسخ تلك المعاهدة [408]، بعدما استفحل أمر لمحمد بن الشريف في توسعه بنواحي المغرب اتجه في سنة 1063 ه/1653م إلى نواحي تلمسان من الأراضي الجزائرية ،وهاجم القبائل المقيمة في هذه المناطق، فتصدى له "عثمان باشا"

---

([404]) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ،ج6 ، تح و تع : جعفر الناصري و محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ،1955م،ص : 190

([405]) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، نفسه ،ج6 ، ص : 107

([406]) نفسه ، ص : 109 ، 110

([407]) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، ج7 ، ص : 22

([408]) الناصري ،ج7،نفسه، ص : 107

الحاكم العثماني بالجزائر [409] ،و بدأ الصدام جليا في عهد المولى اسماعيل حيث قاد عمليات تأديبية ضد قبائل الشراقة و توجه بجيشه إلى تلمسان ، و حين بلغ أسوارها علم بأن الاتراك في الجزائر منشغلين بحملة دوكين.

و لما بلغ الأمر إلى الديوان علم بتحركات المولى اسماعيل ، أرسلت له رسالة للكف و الانسحاب [410] ،حيث وقع الصدام بينه و بين الجيش الجزائري سنة 1679م . و تفرق الجيش المغربي أمام هدير المدفعية العثمانية ،حيث طالبوا المولى اسماعيل بالكف عن التعرض لهم و التزام بالحدود التي أقرها أسلافهم ، و ردا على تصرفات المغرب الاقصى ، ساهم حكام الجزائر في تغذية النزاعات الداخلية في المغرب ، حيث عاضد الجزائريون غيلان الزعيم القبلي من شمال المغرب ضد المولى اسماعيل ، و قد هزم غيلان و قتل وكان ذلك سنة 1673م [411] ، و انتهزوا فرصة انشغال السلطان المغربي في اخماد الفتن فاستولوا على بني يزناسن سنة 1682م ،حيث تمكن الجيش المغربي من صدها [412] ،وفي سنة 1089ه/1681م و هنا تقابل الجيشان لكن لم يحدث أي اشتباك بين الطرفين وبعد مراسلات ومفاوضات دبلوماسية أدت إلى إتفاق على رسم الحدود و تم توقيع معاهدة الصلح بينهما [413].

كما حدث اتفاق بين التونسيون و المغاربة لشن هجوم على الجزائر ، عَلِم الجزائريون بالاتفاق ، و بغية افشاله هاجم الداي شعبان تونس اين انتصر عليهم ، ثم توجه

---

([409]) أحمد بن محمد بن عبد السلام الرباطي ،تاريخ الضعيف الرباطي ، تح: محمد البوزيدي ،ج1 ، ط : 2، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء ،2007 ، ص : 107

([410]) عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص: 440

([411]) وليام سبانسر ، المرجع السابق ، ص : 166

([412]) محمود علي عامر ومحمد خير فارس ، تاريخ المغرب العربي الحديث « المغرب الأقصى - ليبية » ، حقوق التأليف منشورات لجامعة دمشق، 1999 ،ص : 95

([413]) محمد امين محمد و محمد علي الرحماني ، المفيد في تاريخ المغرب ، دار الكتاب ، ص : 217

إلى المغرب فتحرك المولى اسماعيل بجيشه إلى اسوار تلمسان مدعيا تأديب قبيلة "غويا فزاز"(guya fazaz) ، و لدى و صوله علم بوصول جيش الاتراك و المتآلف من عشرة ألاف جندي و ثلاثة ألاف خيالة ،و على اثر هذا انسحب الجيش المغربي الذي استمر في ملاحقته الجيش العثماني، فهزم المولى اسماعيل بعد خسرانه خمسة الاف من الجند ، ثم استمرت مطاردته حتى أسوار مدينة فاس عام 1693م / 1104ه [414] ،و كادت تنشب معركة جديدة لولا استسلام المولى اسماعيل و ترجيه الداي لقبول المفاوضات [415] .

وأثناء حكم المولى إسماعيل 1083ه- 1140ه /1672م-1727 م ، تميزت العلاقات الجزائرية المغربية بنوع من الحذر ،الذي غذته الأطماع الإسماعيلية في التوسع شرقا على حساب الأراضي الجزائرية ، ونقض المعاهدات التي أبرمها أخويه من قبله .

كما تميزت أيامه بجملة من المنازعات والإعتداءات على الجزائر ،وقد إزداد حذر المولى إسماعيل من الأتراك العثمانيين في الجزائر لما رآهم يقفون إلى جانب تمرد ابن أخيه "الأمير محرز " بجنوب المغرب ، وتأكد له وجود إتفاق بينهما يهدف إلى كسر شوكة المولى إسماعيل [416]، وإثر الأزمة الداخلية التي عمت الجزائر وتصعيد الحملات الفرنسية عليها ومقتل الباشا "علي الحاج حسين باشا " أغار المولى إسماعيل على تلمسان، بتحريض من الإنجليز الذين أزعجتهم المعاهدة المئوية بين الجزائر وفرنسا سنة 1101ه/1689 م وخلال هذه الفترة الحرجة كان الجيش الجزائري مشغولا في حربه مع تونس في 1104ه/1692م و قد استغل الوضع وهجم على الأراضي الجزائرية [417].

---

([414]) عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص : 440-441

([415]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ،ج3 ، ص : 196

([416]) عبد الهادي التازي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ، ص : 16

([417]) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، المصدر السابق ، ص ص : 159- 169

استفحل الإعتداء الإسماعيلي علىالأراضي الجزائرية حيث امتدت إلى جنوب تلمسان وهاجم قبائل حميان وبني عامر ومنطقة الشلف ، ثم نزل جنوبا إلى منطقة جبال لعمور ووصل إلى عين ماضي والغاسول بجنوب الجزائر [418]، وأمام هذا الوضع الخطير كان لزاما على" الداي شعبان " ، أن يقوم بتجهيز قوة لدحر هذا الإعتداء ،حيث جاء في رسالة بعثها إلى الوزير الفرنسي"بونتشارترين" (Ponchantrain) بتاريخ 3 رجب 1103 ه /21 مارس1692 م ، وأخرى إلى لويس الرابع عشر مؤرخة في 11 محرم 1106ه/01 سبتمبر 1694 م ،والتي جاء فيها :«...لقد قصد القلعة التي هي لنا"كريستل قرب وهران "حوالي 500 فارس مع 10000 ،من أشجع جنودنا تصحبهم أفتك المدافع وكل الأسلحة والذخائر والمؤن...وعن طريق البر أرسلنا 5000 من الفرسان و 30000 من الأهالي بقيادة أمرائهم ولن يمضي عشرون يوما حتى أخرج أنا لألتحق بهم...» [419]

.

ولما سمع السلطان مولاي إسماعيل بما يعده الداي شعبان ، طلب العودة إلى السلم فلم يقبل الداي منه ذلك فسارع إلى لقائه في 19 شوال 1103 ه / 4 جويلة 1692 م ، في معركة على الضفة الشمالية لنهر ملوية، فأنهزم المغاربة فيها وواصل الداي زحفه حتى اقترب من فاس فوجد في طريقه جيشا بقيادة السلطان نفسه ،وبعد تدخل علماء من الجانبين هدأ الجو وحصل الإتفاق وتعهد السلطان المغربي بإحترام الحدود [420].

أرسل السلطان إلى الجزائر ولده مولاي عبد الملك برفقة كاتبه وقائده ومفتيه وعدد من التجار بلغوا 120 شخصية لأبرام الصلح ، ومع كل ماحصل إلا أن السلطان لم يرتدع وعاود الكرة مرة أخرى ،عندما أوعز لابنه مولاي زيدان فأغار على مدينة معسكر

---

([418]) عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، ص : 21 .

([419]) عبد الهادي التازي، المرجع السابق ، ص : 21

([420]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ص : 96

بعدما إتفق مع باي تونس على ذلك [421] ، تجددت الإشتباكات في سنة 1700م /1111 ه وتوترت العلاقات وتأزمت بينهما [422].

قام المولى زيدان بعدة غارات على الاراضي الجزائرية و لكنه لم يستطيع استثمار نجاحه فغضب منه أباه و قام بعزله ،كما توجه المولى اسماعيل ليشرف شخصيا على هذه العمليات حيث خرج بنفسه حتى بلغ إلى أفره " Efere " ،كما ان المولى اسماعيل لم يكترث لتهديد السلطان العثماني حيث التقى الطرفان في منطقة مضيق ( بوغاز اكشي ) في واد جديوية و بدأت المعركة في 20 ذو القعدة 1112ه/28 نيسان 1700م ،و في الساعة الرابعة انهزم الجيش الفاسي [423] و جرح المولى اسماعيل و كاد أن يقع في قبضة العثمانيين ،و لم تثنه هذه الهزيمة وحول مشروعه الهجومي من الجنوب ،و استطاع السيطرة على عين مهدي غرب الاغواط [424] ، وبصراع السلاطين العلويين على الحكم تركت حدود الجزائر حرة و خالية من أي اعتداءات ،أو هجمات قاسية كالتي تلقتها من قبل ظل العثمانيين يرقبون بحذر شديد تطلعات السلاطين فاس و لهذا واجهوا محاولاتهم مواجهة علنية و صريحة .

تحسنت العلاقات الجزائرية المغربية في أواخر القرن 18 ،حيث قام السلطان المغربي ببعث قافلة محملة بالهدايا الثمينة إلى الجزائر، غير أنها تعرضت للسلب و النهب في وجده و كان المسؤول عليها ابو القاسم أحمد الزياني ،الذي تقدم بشكوى إلى الباي محمد الكبير حيث قاد حملة تأديبية ضد اشقياء وجدة وحاصرها ، و لدى وصول موظف المولى

---

([421]) بن قايد عمر ، المرجع السابق ، ص : 146

([422]) عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، ص : 21

([423]) عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص : 442 ، 443

([424]) محمود علي عامرو محمد خير فارس، المرجع السابق ، ص : 95

سليمان انسحب الباي محمد الكبير راجعا إلى الجزائر [425] كما كان لسلطان فاس دورا بارزا في تغذية النعرات و تحريض الطرق الصوفية ضد النظام القائم بالجزائر.

# الفصل الثالث

## الجزائر بين الأزمات والصراعات الدولية

المبحث الأول : **الاضطرابات السياسية و الازمات الداخلية**

المبحث الثاني : **الجزائر في المؤتمرات الأوروبية**

1. **مؤتمر فينا**
2. **مؤتمر آكس لاشبيل**

المبحث الثالث : **الحملة الأوروبية على مدينة الجزائر**

## المبحث الاول : الاضطرابات السياسية و الازمات الداخلية

عرفت الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر ، حركات تمرد شملت الجهتين الشرقية والغربية معا ، ساعدها في ذلك حالة عدم الاستقرار الناجم عن انتشار الفوضى وكثرة الاغتيالات وانتشار المؤامرات داخل السلطة وأجهزة الحكم ، وتفاقمت الأوضاع نحو الأسوء مع تذمر الأهالي من جراء تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، وهو ما أدى في نهاية المطاف إلى اندلاع عديد الثورات ضد نظام الحكم العثماني التي كادت أن تعصف بالسلطة الحاكمة ، ولعلّ من أبرزها وأشهرها " ثورة ابن الأحرش " في الشرق الجزائري و " ثورة درقاوة " في الغرب وبالرغم من تمكن السلطة من إخمادها ، إلا أنها خلفت خسائر فادحة بالنسبة لخزينة البلد .

### أ. ثورة ابن الأحرش في شرق البلاد :

يعد ابن الأحرش من أهم الشخصيات التي لعبت دورا هاما في أحداث مستهل القرن التاسع عشر ، من خلال تزعمه لثورة عنيفة ضد النظام العثماني في الشرق الجزائري عام 1804 م ، ورغم هذا لا نعرف الكثير عن حياته الخاصة إلا بعض الإشارات التي أوردها المؤرخون ، فقد ذكره أحمد بن مبارك في كتابه تاريخ قسنطينة بأنه رجل مغربي

يزعم أنه من شرفاء فاس ، وأشار إليه محمد بن يوسف الزياني في دليل الحيران أنه فتى مغربي مالكي المذهب درقاوي الطريقة [426] أما صالح العنتري فقال أنه رجل يدّعي الشرف [427].

في أواخر سنة ( 1218 ه / 1803 م ) وقع هول بالوطن سببه رجل يدّعي الشرف ناحية أعراش وادي الزهور اسمه " سي محمد بن عبد الله الشريف " المدعو بـــــ : " ابن الأحرش " وكان قد سار إلى الحج ، وعند عودته من الحجاز عن طريق مصر صادف الحملة الفرنسية عليها ، الأمر الذي دفع بإبن الأحرش أن يشارك على رأس جيش من المغاربة إلى جانب المصريين في مواجهة الجيش الفرنسي بقيادة " نابليون بونابرت " ، فأظهر شجاعته وأبلى بلاءا حسنا في الحرب الذي أكسبته شهرة كبيرة في أوساط الناس [428] ،وبعد الانسحاب الفرنسي من مصر قفل راجعا نحو المغرب مع جماعته من الحجاج .

نزل بتونس وعملت الأطراف الخارجية عملها في تغذية ابن الأحرش على التمرد وخاصة بريطانيا وفرنسا ، حيث عملت هذه الأخيرة على دعم وتشجيع القبائل الناقمة على السلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر انطلاقا من الشرق ، وذلك بإمدادها بالذخيرة والسلاح وتحريضها على الثورة ، كما لا يمكن تجاهل الدور الذي لعبته كل من الجارتين تونس والمغرب الأقصى في تدعيم التمردات ، وفي هذا الصدد يروي صاحب كتاب تحفة الزائر ما مفاده : " أن ابن الأحرش عندما كان راجعا من مصر مرّ على تونس فلقيه

---

([426]) محمد بن يونسف الزياني ، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تقديم وتحقيق : المهدي البوعبدلي ، الجزائر ، 1979 ، ص : 209 .

([427]) رشيد مريخي ، المرجع السابق ، ص : 25 .

([428]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 194 .

صاحبها " حمودة باشا " الذي أكرم منزلته وفاوضه في القيام على حكومة الجزائر ووعده بالظاهر بالمال فإستكان له ابن الأحرش " . [429]

كما يورد أحمد الشريف الزهار في مذكراته أن باي تونس حمودة باشا استقبل ابن الأحرش وأكرمه ،وأوعز له بإمكانية القيام على حكومة العثمانيين ووعده بالمساعدة ، وقد أورد ذلك بقوله : " وبلغ خبره أمير تونس يومئذ حمودة باشا ، فبعث له واستقدمه فلما قدم عليه لقيه بالبشر وعظمه ووسوس له قائلا إنّ رجلا شجاعا مثلك يجب أن يذهب إلى ملك الترك بالجزائر ويترعه من أيديهم ونحن نمدك بما يخصك والعرب يتبعونك لكثرة ما ظلمهم الأتراك ، وكان مقصد حمودة باشا أن يشغلهم لا غير " [430] .

بعد أن نزل ابن الأحرش بتونس انتقل منها إلى عنابة على متن سفينة إنجليزية ، ثم عرج على قسنطينة وتعرف على الأوضاع العامة التي كانت قائمة آنذاك [431]، واستقر المقام به في جيجل ، ومنها بدأ دعوته للثورة ضد العثمانيين ، وقد استعمل عدّة طرق لإقناع الناس بشرعية دعوته بإيهامهم أنه المهدي المنتظر وأنه المخلص الذي سيحرر الناس من جور الأتراك ، وأن دعوته مستجابة والنصر يتبعه حيثما يتوجه، وبارود عدوه لايضره وما إلى ذلك من الدعوات الكاذبة [432].

وقد استعان بدهائه وبلاغة لسانه ومقدرته على الإقناع حيث يقول فاسيت : " وقد التف الناس حوله خاصة بعد إعلانه للجهاد ضد النصارى ، حيث كان يمارس القرصنة البحرية بمدينة جيجل " ، وأثناء مقامه بالمدينة شغل منصب مدرس بزاوية سيدي الزيتوني،

---

([429]) محمد عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 117 .

([430]) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص : 85 .

([431]) ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية ( دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ) ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2000 م ، ص : 312

([432]) جمال قنان ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث ، المرجع السابق ، ص : 312 .

أين أخذ يفقه الناس في أمور دينهم ، كما أسس مدرسة لتعليم القرآن الكريم وأصول الفقه ببني فرقان ، واكتسب بذلك احترام الكثير من السكان المنطقة الجبلية الواقعة بين جيجل والقل وميلة ، وأصبحت كلمته مطاعة عند قبائل الوادي الكبير وجبال زواغة ووادي زهور [433] ، وعلى كل حال فقبائل هاته النواحي وخاصة أولاد عيدون وبنو سليم وبنو خطاب وغيرهم كلّهم صدّقوه ، وبعد أن كسب ود رجال دينهم الساخطين على الحكام الأتراك [434] .

بدأت تصرفات ابن الأحرش تثير مخاوف الحكومة الجزائرية ، خاصة بعد أن نجح هذا الأخير في أسر عديد السفن الأوروبية التي كانت تتردد على سواحل جيجل والقل لصيد المرجان وممارسة التجارة ، وتمكن فعلا من حجز سفينة فرنسية قتل البعض من طاقمها وأسر الباقي ، وكان عددهم 34 شخصا [435]، وقد ساهمت أعماله هاته في ازدياد شعبيته خاصة لما رفع لواء الجهاد ضد الأتراك واصفا إياهم بالظلم والجور ، مما دفع بحامية جيجل الإنسحاب من المدينة مخافة القتل .

أصبح ابن الأحرش في المدينة كالملك فعين مساعدا له ولقبه بآغا جيجل وهو من عشيرة بني قايد واسمه " حمزة بن حمادوش " ، وشرع ابن الأحرش يستعد للحرب فنظم المدفعية ووضع على رأسها أحد الكراغلة وهو " أحمد بن درنالي " ، ثم واصل زحفه نحو القبائل المجاورة ، فكانت محطته الأولى " جرّاح " في وادي الزهور أين قضى على قائدها " سي محمد الغوشي " ، وفي جراح توافد عليه خلق كثير من قسنطينة وعنابة وسطيف وبجاية ، ومن هنا أظهر ابن الأحرش نيّته في الهجوم على مدينة قسنطينة ، فكان يقول

---

([433]) رشيد مريخي ، المرجع السابق ، ص : 26 .

([434]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 312 .

([435]) رشيد مريخي ، المرجع السابق ، ص : 26 .

لأتباعه : " لنسر إلى قسنطينة وحين ندخلها ننهبها فتصبح ثرواتهم ثروتنا وبيوتهم بيوتنا " [436].

أما عن تعداد جموعه وأتباعه فقد اختلف المؤرخون في تحديدهم ، فقدرها حمدان خوجة بـــــ 60 ألفا ، وحددها العنتري في كتابه مجاعات قسنطينة بـــــ 10 آلاف ، وهنالك من أوصلها إلى سقف 100 ألف ومنهم أحمد بن مبارك الميلي في كتابه تاريخ قسنطينة .

لما تنامت شوكة ابن الأحرش في الشرق الجزائري لم يجد الباي " مصطفى عثمان " بدّا إلا أن يطلع الداي مصطفى على الأمر ويوضح له تحركات ابن الاحرش الخطيرة ، فأرسل هذا الأخير أربع سفن حربية إلى مرسى الزيتون قرب مصب وادي الزهور للقبض على المتمرد وإحلال النظام ، لكن هذه الحملة باءت بالفشل حيث عادت هذه السفن إلى عاصمة الإيالة دون أن تتمكن من إلقاء القبض عليه ، ولم تزد هذه العملية إلا في اشتداد حركة التمرد ابن الأحرش الذي استولى على القل وأعلن عن نيته في أخذ مدينة عنابة ، فما كان من أمر الحامية المرابطة بها إلا أن انسحبت بمجرد علمها أن ابن الأحرش ينوي مهاجمتها [437].

سار ابن الأحرش إلى قسنطينة عاصمة البايلك ، وكان " عثمان باي " غائبا عنها اذ كان وقتئذ في المحلة بناحية سطيف يستخلص ضرائبها ، فلما وصل إلى قسنطينة رفقة أعوانه تكلموا مع سكانها قائلين لهم : " يأهل البلد هذا الشريف قدم إليكم ونحن قدمنا معه في جنود كبيرة وجيوش عريضة لا تقدروا على مقاتلتها ، فإن سلمتم لنا البلاد فلا حرج عليكم وإن امتنعتم نقاتلكم وندخل بلادكم بالقوة " ، فأجابهم سكان المدينة قائلين : " نحن لا نسلم بلادنا وسنقاتل حتى نهزمكم أو نموت بأجماعنا " ، فعندئذ انضرمت نار

---

([436]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 195 .

([437]) رشيد مريخي ، المرجع السابق ، ص : 27

الحرب وكان الشيخ ابن فكون هو الواقف على البلاد في غيبة الباي وتم النصر للشيخ ابن فكون [438] ،أما ابن الأحرش فقد أصيب بجرح بليغ فحمله أصحابه فورا به نحو جبال ميلة ، وتطاير الخبر إلى عثمان باي فقفل مسرعا إلى قسنطينة [439].

بعد الحادثة أخبر الباي عثمان الباشا بشأن قدوم ابن الأحرش إلى قسنطينة وبما حل به وبجيوشه من القتل والهزيمة ، فرد الباشا قائلا : " أنت باي ذلك الأوطان، وهذا الشريف ظهر في حكم عمالتك ،فواجب عليك أن تمشي إليه بنفسك وتأخذ منه ثأرك وأقصده أينما كان فأقتله، أو أطرده من ذلك الأوطان. " [440] ولما وصل الجواب لعثمان باي جمع على عجلة كل الفرق والفرسان ، وخرج لملاحقة ابن الأحرش وكان ذلك شهر أوت 1804 م [441] .

تقدم عثمان باي نحو ابن الأحرش ، وكان ذلك الوقت مستقرا في واد الزهور كونه موطنا حصينا لكثرة أشجاره وتشعب طرقاته ، ولما وصل قريبا منه أبقى المحلة والأثقال وسار بالجند والمدافع نحو المتمرد ، ولما وصل انفصل عن محلته ووقعت عليه الفتن من أمامه ومن خلفه وقطع عليه ابن الأحرش الطريق المؤدية إلى المحلة ، ولما أراد الباي عثمان الرجوع لم يستطع فهجم عليه ابن الأحرش ومنعه ، فقتله واستولى على جميع مافي الخزائن من سلاح وأموال [442] . بعد هذه الهزيمة أمر الداي قبطانه الرايس " حميدوا " بالسير إلى جيجل على متن 4 مراكب حربية فلما وصل قبالة المدينة طالب أهلها بأن يسلموه ابن

---

([438]) محمد صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص : 89

([439]) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص : 28 .

([440]) محمد صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص : 90 .

([441]) رشيد مريخي ، المرجع السابق ، ص : 27 .

([442]) محمد صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص : 90 .

الأحرش ، ولكن السكان رفضوا ذلك وردّوا عليه بإطلاق النار ، فرد حميدوا بقصف المدينة وأحرق سفنها ولكنه لم يظفر بعدّوه [443] .

قرر الداي مصطفى أن يخرج لملاقاة ابن الأحرش بنفسه ، فأشار عليه بعض وزراءه ببطلان ذلك . [444] فأرسل بدل ذلك قائد الجيش " الحاج علي آغا " لتهدئة الأوضاع في شرق البلاد وكلفه بملاحقة ابن الأحرش والقضاء عليه فجهز هذا الأخير حملة خرج على إثرها في طلب هذا الثائر، فألحق به الهزيمة بنواحي ميلة ثم بجهات بجاية ثم بالرابطة بالقرب من سطيف بعد أن لقي العداء من أتباع الطريقة الرحمانية ، وتم القضاء على ثورته بنواحي بجاية عام 1806 م [445].

قتل ابن الأحرش على يد " ابن الشريف الدرقاوي " لما استنجد به بعد هزيمته على يد الأتراك ، وبالرغم من الصدى الكبير الذي لقيته ثورة ابن الأحرش و التفاف الناس حولها ، إلا أنه فشل في تحقيق أهدافه الرامية إلى الانقلاب ضد حكومة الأتراك ، بالرغم من كافة الأساليب التي استعملها لكسب القبائل في الشرق الجزائري [446] هذا وقد خلفت هذه الثورة آثارا سلبية انعكست على أوضاع البلاد ، حيث وصفها الشريف الزهار بنار الفتنة التي أكلت الأخضر واليابس [447] ،وكانت أخطر النتائج المترتبة عن هذه الثورة هي انتشار الفوضى والاضطراب في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وانعدم الأمن والاستقرار .

---

([443]) محمد العربي الزبيري ، المرجع السابق ، ص : 65 .

([444]) محمد صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص: 91 .

([445]) ابن سحنون أحمد بن علي الراشدي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تح : المهدي بو عبدلي ، الجزائر ، 1983 م ، ص : 43

([446]) التر عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 587 . ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص : 320 .

([447]) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص : 87 .

## ب.ثورة درقاوة [448] في الغرب الجزائري :

شهد بايلك الغرب في مطلع القرن التاسع عشر ظروفا صعبة نجمت عن السياسة الغير الوجيهة للحكام ، أين تنامت مشاعر الحقد والضغينة في صدور الأهالي وأصحاب الطرق الصوفية من جرّاء السياسة الضريبية المجحفة التي كان يفرضها هؤلاء ، وقد وجدوا في ثورة درقاوة مبتغاهم في النيل من حكومة الأتراك فإتبعوها وانظموا إليها بل ودعموها أيضا .

تعود هذه الطريقة إلى الشيخ " محمد العربي الدرقاوي " ، وكان هذا الشيخ من متصوفة المغرب الأقصى ، ولكن أتباعه كانوا منتشرين في الجزائر وخصوصا بغربها وكان مقدم طريقته في وهران ونواحيها هو الشيخ " عبد القادر بن الشريف " [449] فمن هو عبد القادر بن الشريف؟

انه معروف لدى العامة بإبن الدرقاوي ويعود أصله إلى قبيلة كسانة المقيمة على ضفاف واد العبد [450]، ولد بقرية أولا بليل بفرندة، أين تعلم بها مبادئ اللغة ،ثم التحق بزاوية القيطنة بمعسكر التابعة للطريقة القادرية، [451] وفي هذا يقول الآغا بن عودة المزاري : " وكان في أول حاله عالما متفننا في سائر العلوم ومحققها لها ورعا زاهدا متعبدا

---

([448]) **درقاوة** : مستمدة من الدرقة وهي الترس الذي يحمله المقاتل في ذراعه اليسرى وهو يقاتل بالسيف أو الحربة ، وكان الذي اشتهر بأبي درقة هو الجد الثامن عشر لمؤسس الطريقة وهو محمد دفين وادي قبال بقبيلة بني مسكين قرب وادي أن الربيع . **أنظر** : عبد الكريم الفيلالي ، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير ، ج5 ، ط1 ، شركة فاس للطباعة ، القاهرة ، 2006 م ، ص : 08

([449]) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ( 1500 – 1830 ) ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1998 م ، ص : 220

([450]) قايد عمر ، محاضرات في تاريخ الجزائر المعاصر ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، 2014 / 2015 م ، ص : 03

([451]) أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 221 .

راكعا ساجدا صائما قائما ، أستاذ يقرء القرآن ويزيل بتعلمه لكل جاهل جهله والناس يشرون إليه بالصلاح والنجاح "[452].

وقد تابع دراسته بعد ذلك بالمغرب الأقصى وتحديدا بفاس وببني زروال ، حيث دخل في طريقة الشيخ محمد العربي الدرقاوي ، ثم عاد إلى مسقط رأسه ومنه انطلق يبث تعاليم الطريقة الدرقاوية التي قدمه عليها شيخه ليتولاها بالجزائر ، وقيل أنه إدعى المهدوية عندئذ أي أنه المهدي المنتظر [453] ومن جملة ما قاله عبد القادر الشريف لشيخه الدرقاوي : " أن في وطننا قوما يقال لهم الترك لا شيئ لهم من دعوتهم للإسلام ويظلمون الناس ولا يعبئون بالعلماء والأولياء ، ونسأل منك أن يكون هلاكهم على يدي ليستريح منهم العباد وتطهر منهم البلاد " [454].

ولما عاد ابن الشريف إلى بلاده ، بدأ يخطط لثورته المناوئة للحكم التركي وابتدع أمورا ينكرها العقل و الشرع ، واقتدى به في ذلك الجل من الناس وفي ذلك يقول محمد بن عبد القادر : " أنه جاء إلى حضرة سيدي الجدّ وتكلم في حضرته بما يوجب تأديته شرعا ، فأدبه سيدي الجدّ بالسياط واستتابه " [455] غير أن هذا لم يصد الناس عن دعوته ، فذاع صيته وانتشر خبره وسيفت له الهاديا من كل فج ، ويقول الزهار : " ظهر

---

([452]) الآغا بن عودة المزاري ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19 ، تح : يحي بوعزيز ، ج 1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1990 م ، ص : 299 .

([453]) إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ( عرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ماقبل الإسلام إلى العصر الحاضر من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية ) ج3 ، ط2 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1994 م ، ص : 150 .

([454]) جمال قنان ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث ، المرجع السابق ، ص : 314 .

([455]) محمد بن عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق ، ص ص : 76 ، 77 .

الشريف وكاتب العرب في أمر القيام على الترك وادعى أنه صاحب الوقت واتبعه العرب وسارت إليه القبائل وظهرت له الكرامات " [456] .

ويبدوا أن باي وهران لم يكن غافلا عن هذه التحركات ، فقد أحس أن حركة ابن الشريف الدرقاوي لم تكن دينية محضة ، بل كان لها هدف سياسي يدعمه المغرب الأقصى وأن ابن الشريف ليس له سوى أداة لتنفيذ مشروع سياسي ضد الحكومة العثمانية بالجزائر، [457] وبينما الناس في غفلة إذ بإبن الشريف أصبح قائما بأقوالهم معلنا بجهاده الترك ومحللا لدمائهم وأموالهم فاجتمعت عليه الغوغاء من كل جانب ، وهبط مع وادي مينا قاصدا المخزن وأذن لأتباعه في النهب والسلب [458] ،مستغلا فرصة هزيمة إحدى الحاميات التركية أمام قبائل الانجاد المتمردة ضد السلطة العثمانية [459] ،ولما سمع الباي بخبر الدرقاوي جمع له الجيوش وخرج للقائه ،فبلغه أن ابن الشريف بالقرب من تاقدمت ، وهو في طريقه إليه فالتقى الجيشان بفرطاسة واشتد القتال بينهما على الماء وصارت نار الحرب بينهما سجالا إلى أن انهزم الباي مصطفى العجمي وفر راجعا إلى وهران ، وبقيت محلة الباي بما فيها من ممتلكات في يد الدرقاوي [460].

تقدم الدرقاوي باتجاه وهران لأجل محاصرتها ، فسار بجموعه حتى وصلها وكانت قد أغلقت أبوابها [461] فتطاير الخبر إلى الجزائر، فجهز الباشا مستشاره " علي آغا " وبعثه إلى ابن الشريف لكن البربر في نواحي وادي الشلف صدوه عن المرور في بلادهم ومنعوه ورود الماء حتى كاد يهلك مع جيوشه عطشا ، فلاذ بشيخ العطاف وأستجاره

---

([456]) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص : 87 .

([457]) أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص: 221 .

([458]) الآغا بن عودة المزاري ، المصدر السابق ، ص : 304 .

([459]) سفيان صغيري ، المرجع السابق ، ص : 163 .

([460]) الآغا بن عودة المزاري ، المصدر السابق ، ص: 304 .

([461]) عبد الكريم الفيلالي ، المرجع السابق ، ص : 15 .

فمشى له هذا الأخير في القبائل على أن يكفوا عنه فأبوا عليه إلا بمال يؤدى إليهم ، فأدى لهم ما طلبوه وانقلب راجعا إلى الجزائر واستمر ابن الشريف في مكانه محاصرا وهران وضيق على أهلها حتى نفذت منهم أقواتهم [462] ،وقد دام الحصار مدة 8 أشهر [463] ،انقطعت خلاله كل الإمدادات والطرق نحو الداخل ماعدا الطريق البحري الذي كان منفذ الوحيد للولوج إلى وهران ، وبفعل هذا الحصار المحكم الذي ضربه ابن الشريف على المدينة وقع الغلاء في المعيشة وبخاصة مادة الحبوب [464] وكذا فعل أيضا مع أهل تلمسان الذي انقلب عليهم الحضر والحوزية [465] .

حاول الشيخ محمد العربي الدرقاوي شيخ الدرقاوية بالمغرب الأقصى أن يخضع مريده ابن الشريف لقواعد وسلوك الطريقة ، فبعث إليه بعدّة رسائل ومبعوثين لإقناعه بفكرة العدول عن الثورة ، إلا أن ابن الشريف رفض ذلك فإنتقل إليه الشيخ بنفسه لكن دون جدوى ، عندئذ أخذ هذا الأخير حفنة من التراب ورماها للريح قائلا : " هكذا سيكون مصير ابن الشريف " وعاد إلى المغرب الأقصى ساحبا حجابه من ابن الشريف [466].

لما رأى أهل الجزائر عجز الباي مصطفى العجمي عند الدفاع عزلوه ، وعينوا بدله الباي محمد المقلش الذي زودوه بقوات كبيرة ، فركب هذا الأخير الأسطول من شرشال إلى وهران وبوصوله ألقى القبض على حاكمها مصطفى باي وأرسله إلى الجزائر ،وكتب إلى الآفاق بقدومه وتلطف في جمع الكلمة ، فأجابه أكثر القبائل وركنوا إلى طاعته

---

([462]) محمد بن عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 76 .

([463]) قايد عمر ، المرجع السابق ، ص : 3 .

([464]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 204 .

([465]) عبد الكريم الفيلالي ، المرجع السابق ، ص : 15 .

([466]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 204 .

وأمرهم بالمعسكر فأجابوه وفرق فيهم الأموال [467] ،حينئذ أدرك الدرقاويين استحالة فتح وهران فأتفق رأيهم على الارتحال عنها والتوجه لغيرها من مدن الشرق ، ولما وصل الدرقاوي لمزارع سيق قرب سيدي داود قامت عليه الغرابة متجمعة يرمون منه أخذ الثأثر بما فعله بهم من قتل وسبي ، فتعرضوا له ونالوا منه جزاء مافعل بهم ، ثم لما وصل لسيدي مبارك قرب وادي الهبرة لقيته فرسان البرجية مع من انظم إليهم من بني شقران وصيرورة فهزموه شر هزيمة [468].

توالت هزائم ابن الشريف على يد الباي محمد المقلش الذي حقق انتصارات كثيرة ، كما استطاع تهدئة الاضطرابات بمدينة تلمسان أين أقام بها قرابة الشهر ثم عاد بعدها إلى عاصمته وهران [469] ،وبينما هو كذلك حتى بلغه خبر قدوم الدرقاوي إلى غريس بأرض عين السدرة ومعه جموع درقاوة وجميع مالها ونسائها ، وكان يومها ابن الأحرش قدقدم من الشرق إليهم ، فحصل لهم به الفرح والسرور ، فخرج الباي لملاقاتهم وقد دارت بين الجمعان معركة حامية الوطيس خرج منها الباي منتصرا ، وكذلك فعل في عدة معارك أخرى في جديوية والتوتة وغيرها [470].

لم تشفع الأعمال البطولية لهذا الباي لدى حكومة الجزائر التي أمرت بعزله وقتله بعد أن أذيق ألوانا من العذاب [471] ،ليحل محله الباي السابق مصطفى العجمي، الذي عجز عن مقاومة درقاوة ، فكان ذلك في صالح هؤلاء بسبب الدعاية التي انتشرت ضد المقتول " مصطفى المقلش " وأن الله انتقم منه لدرقاوة ، فكان مصير مصطفى في هذا الجوّ الفشل

---

([467]) محمد بن عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 76 .

([468]) الآغا بن عودة المزاري ، المصدر السابق ، ص : 323 .

([469]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص ص : 205 ، 206 .

([470]) الآغا بن عودة المزاري ، المصدر السابق ، ص: 323 .

([471]) المصدر نفسه ، ص : 325 .

مما عرضه للعزل ليحل محله الباي " أبوكابوس " سنة ( 1223 ه / 1803 م ) وكان هذا الأخير مثل المقلش ، حيث طار ابن الشريف الذي كان قد توجه إلى عين ماضي أين تحالف مع صهره أبو ترفاس لكنه تعرض لهزيمته شنعاء ألحقها به أبوكابوس [(472)].

لما ضعف أمر درقاوة وتراجع عنه أتباعه ، انتقل إلى قبيلة بني يزناسن على الحدود المغربية وتوارى عن مسرح الأحداث وبقي مقيما هنالك حتى توفي ، وكان من نتائج هذه الثورة أنها خلفت العديد من الخسائر المادية والبشرية وراح ضحيتها عدد من رجال العلم والدين ، كما انتشرت الفوضى والاضطرابات وأعمال السلب والنهب الذي مارسه رجال الدرقاوي الثائر .

وفي الأخير فإن الثورة التي قادها ابن الأحرش في الشرق ، والدرقاوي في الغرب وإن كانت دينية فهدفها كان سياسيا واضحا ، كما كانت في الحقيقة منفذا للسكان للتعبير عن سخطهم إزاء تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، كما أظهرت هذه الثورات مدى فعالية الأطراف الخارجية والدور الذي تقوم به من أجل زعزعة النظام في البلد وتجلى ذلك من خلال دعمها لهذه الثورات .

## المبحث الثاني : المؤتمرات الاوربية والقضية الجزائرية

أبرمت الجزائر عشرات المعاهدات مع دول العالم ، كما بلغ أسطولها البحري قوة عظيمة بحيث استطاع خلال القرن الثامن عشر إحداث نظام للملاحة في المتوسط يضمن أمن الدولة الجزائرية خاصة، والدولة العثمانية عامة وبصورة أعم بالنسبة للتجارة الدولية في هذا البحر، وهو ما جعل الدول الأوربية تعمل على إنهاء هذا النظام تحت غطاء إنهاء ما كان يسمى بـــ " **القرصنة** " التي كانت تمارسها جموع المغامرين الأوربيين بموافقة دولهم ومؤازرتها .

---

([472]) عبد الكريم الفيلالي ، المرجع السابق ، ص: 16 .

**1. مؤتمر فيينا :**

وقعت تسويات جزئية بالفعل خلال معاهدة باريس [473] بين فرنسا والتحالف الساداسي ،وخلال معاهدة كيل ،التي شملت القضايا التي أثيرت حول الدول الاسكندنافية ،قررت معاهدة باريس وجوب انعقاد مؤتمر عام 1815 م في فيينا ،وأنه سيتم توجيه الدعوات إلى جميع القوى الفاعلة في الحرب الحالية، قرر الافتتاح في يوليو / تموز 1814 م [474].

شكلت القوى الأربع العظمى سابقاً قلب التحالف السادس، ومع اقتراب هزيمة نابليون حددوا مواقفهم المشتركة والمذكورة في معاهدة شومو (آذار / مارس 1814 ) ، وتفاوضوا على معاهدة باريس مع آل بوربون ، و في هذه الظروف التي أصبحت فيها الدبلوماسية الأوروبية مهيأة للقيام بعمل مشترك ضد الجزائر ، انطلاقا من أفكار سدناي سميث [475].

---

([473]) **معاهدة باريس :** هي معاهدة الصلح الاولى عقدت في باريس 20 ماي 1814م بين فرنسا و النمسا وانجلترا و روسيا و بروسيا اثر تنازل الامبراطور و ذهابه و تمكنوا من رسم حدود فرنسا ، و بعقد هذه المعاهدة انتهت الحروب التي بدات في عهد الثورة الفرنسية.**انظر** :عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ اروبا الحديث ومعاصر1815-1919 ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ،2000 ، ص : 30

([474]) عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص : 31 ، 32 .

([475]) **سدناي سميث** : ولد سدناي سميث بلندن في 21 جوان 1764م ترعرع في وسط عائلة عسكرية اذ كان والده ضابطا في الحرس الملكي البريطاني درس في مدرسة تونبرج إلى غاية 1772 ، ثم انخرط في صفوف البحرية البريطانية عام 1777 وعمره لا يتجاوز 13سنة وتوفي بباريس في 26 ماي 1840م. **انظر** : زكية زهرة ، **الاميرال سدناي سميث و التحالف الاروبي المسيحي ضد الجزائر عام 1814م** ، مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة الجزائر، 2، العدد 15 – 16 ،2012 / 2013 م ، ص : 232 .

اجتمعت الدول الأوروبية لإيجاد حـــل للمشـــاكل المطروحة حول الحدود التي كانت تمثل عائقا للوفاق الأوروبي ،وإعـــادة بناء الخريطة السياسية[476]،واحلال الســـلام في القـــارة الأوروبية [477] حضر المؤتمر الحلفاء الأربعة وهم انكلترا وبروسيا وروسيا والنمسا ،و التي عرفت بلجنة الاربعة .

نجح تاليران في إقناع الدول بان توافق على انضمام فرنسا للمؤتمر [478] ،وكانت هذه اللجنة قد استأثرت بانجاز القرارات في المسائل المهمة و عندما انتهى المؤتمر من اعماله انضمت له السويد ، اسبانيا ، و البرتغال في التوقيع على قرار المؤتمر النهائي في 9 يونيو 1815 م [479] ، حيث مثل إنجلترا الدوق كاستليريث Lord Castlereath ، ثم عوض بالدوق ولينكتون Le duc de Wellington واللورد كاثير Lord Catheart واللـــورد كلوكـــارتي Lord Claucarty واللـــورد ستيوارت Lord Stewarts ومثل بروسيا الأمير هردنبرغ Le Prince Herdenberg [480] والبارون دي هومبولدت Le Baron de Humboldt [481] ومثـــل روســـيا القيصـــر الاســـكندر الأول Le Tsar Alexandre I والكونـــت رسيموفســـكي Le Comte Rasimovski والكونت دي ستاكلبرغ Le Comte de Stackelberg و

---

([476]) محمد علي القوزي ، العلاقات الدولية في التاريخ الحديث و المعاصر ، دار النهضة ، ط1 ، 2002 ، بيروت ، ص : 93 .

([477]) عبد العظيم رمضان ، حضارة أوروبا و العالم الحديث من ظهور البرجوازية الاروبية إلى الحرب الباردة ،ج2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص : 15 - 17

([478]) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، أروبا من عصر النهضة إلى الحرب الباردة ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، 2000 ، ص : 163، 164

([479]) عبد العظيم رمضان ، المرجع السابق ، ص : 17

([480]) زكية زهرة ، المرجع السابق ، ص : 226.

([481]) هو جول اوغست فرمو ماري دي بولينياك سياسي فرنسي تقلد عدة مناصب منها رئيس وزراء وسفير بلندن ووزير خارجية فرنسا عام 1828 بولينيلك من أكبر المتحمسين لإحتلال الجزائر. **انظر:** زكية زهرة ، المرجع السابق ، ص : 234.

والكونـــت دي نسلرود Le Comte de Nesselrode ، أما رابع الحلفاء أي بروسيا فلقد مثلها الأمـــير دي مترنيخ Le Prince de Metternich [482] والبارون واسنبرغ Le Baron Wassenberg .

اضافة الى هذه الدول الأربع التي انتصرت على نابليون ، حضرت المؤتمر فرنسا التي قبلت بالوضع الـــراهن الجديد وقد مثلـــها تـــاليران Talleyrand [483] ،والـــدوق دالـــبرغLe Duc d'Alberg والكونـــت لابريسناديار Bresnadiere ولاتور دي بان La Tour du Pinو الكونـــت ألكسي دي نؤاي .Le de Noailles Le Comte Alexis ، وسمح للدولة العثمانية حضور المؤتمر ومثلها الباشا مافروجني .Pacha Mavrojeni.

كما حرص ممثلو الدول الأوروبية الرئيسية على حضور بعض الدول الأوروبية التي لم تكن لها مشاركة فعالة في الأحداث التي عرفتها الساحة الأوروبية، مثل مملكة نـــابولي Naples والســـويد Suède واســـبانيا L'Espagne والفاتكـــان Le Vatican ، وحتى يكتمل الجمع لم يمانع منظمو المؤتمر من استقبال وفود مستقلة ليس لها طابع رسمي مثل الأقليات الدينية وبعض دور النشر [484] . انعقد المؤتمر فيينا بين فترتي سبتمبر 1814م ويونيو 1815في مدينة فيينا عاصمة النمسا تحت إشراف ورئاسة رجل الدولة النمساوي كليمنس فينتزل وقد شارك في هذا المؤتمر حوالي 100دولة وعائلة حاكمة [485] .

كان للمؤتمر عدّة أهداف أوّلها :

---

( [482] ) وزير النمسا للشؤون الخارجية

( [483] ) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، المرجع السابق ، ص :161 ، 162

( [484] ) زكية زهرة ، المرجع السابق ، ص : 227 .

( [485] ) عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص : 32

- تسوية العديد من القضايا الأوروبية والصراعات الداخلية الحدودية على وجه الخصوص الناشئة عن حروب الثورة الفرنسية والحروب النابولونية [486].
- تفكيك الأمبراطورية الرومانية المقدّسة .
- تحديد مناطق النفوذ البريطاني الفرنسي الروسي والنمساوي .
- تحريم تجارة الرقيق .
- حرية الملاحة البحرية [487]

ولعل ما يهمّ الجزائر حينئذ من هذه الأهداف والبنود المناقشة هي البنود الثلاثة الأخيرة ،فقد حاولت كلّ من فرنسا وإسبانيا ادّعاء الحقّ الحصري في النفوذ التجاري والاقتصادي بدول شمال إفريقيا ،مستندة بقربها الجغرافي وقدم وعظم مصالحها هناك ، وعارضت بريطانيا هذا الطرح بناء على أنّها في تلك الفترة هي التي كانت تملك مصالح كثيرة ومتنوعة في شمال إفريقيا وفي الجزائر على وجه الخصوص .

كان قصد الدول الأوروبية من تحريم الرقّ وحرية الملاحة البحرية ، هو محاولة ضرب الأسطول الجزائري والقضاء عليه ، ولكن الصراع الأوروبي الداخلي وخاصة بين فرنسا وبريطانيا حال دون ذلك [488]، ولعلّ من أهمّ أسباب فشل هذا التحالف على هذا المستوى هو السياسة الجزائرية العثمانية ،التي كانت منتهجة وغاية ما وصلوا إليه في هذا المجال هو **أوّلا** : تحريم الرقّ الأسود دون غيره **ثانيا :** حرية الملاحة في العديد من الأنهار الأوروبية دون الإشارة من قريب أو بعيد لمطلب الرقّ وخاصة أسرى الأسطول الجزائري ولا لحرية الملاحة في المتوسط [489] ، وممّا قاله الكاتب عن مؤتمر فيينا ممّا يتعلق

---

([486]) جفري براون ، تاريخ أروبا الحديث ، تر: علي المزروقي ، ، الاهلية للنشر و التوزيع ، عمان ، ص : 411

([487]) عبد العظيم رمضان ، المرجع السابق ، ص ص : 19 - 21

([488])وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 145

([489]) أحمد عزت عبد الكريم ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص : 326

بالجزائر ما يلي : " وفي نهاية 1814 م عقد مؤتمر في فيينا ضم جميع الدول المتحضرة في القارة الأوربية وهناك أرسيت قواعد واسعة ومتينة للعدالة والانصاف والاستقلال ورخاء جميع الأمم [490] ،فقد كان من الطبيعي أن ينتظر الناس من هذا المؤتمر أن يبحث إدّعاءات هؤلاء البربر المناقضة للسلوك الاجتماعي والذين كانوا حينئذ يحتجزون أكثر من ألفين من الأوروبيين في قيد العبودية هنا ، ويتّخذ إجراء بتحريم القرصنة التي هي لطخة مشينة للحضارة وإلغائها كلّيا [491].

كانت بريطانيا قد ألقت بكلّ ثقل نفوذها في هذا المؤتمر ،وأيّدت فكرة إلغاء الرّق الأسود ، ولكن فرنسا وأسبانيا والبرتغال كانت تعارض القرار بهذا الشأن بدافع من مصالحها الخاصة ، أما بريطانيا لم تعارض سوى معارضة مائعة فكرة إلغاء استقلال كلّ من إيطاليا وبولندا والبندقية وجنوة ، بل وحتى تقسيم حليفتها دولة ساكسون القديمة لارضاء شهوة حلفائها وشرّهم ، كما كانت بريطانيا تصغي بأذن صمّاء لكل اقتراح قدم أمام المؤتمر يستهدف تحريم قرصنة بلاد البربر ، ولما سئل رئيس وزراء بريطانيا في البرلمان بعد ذلك بشأن هذه القضية ادّعى أنّ معاهدات بريطانيا مع بلدان المغرب هي التي تبرر هذا الموقف ، ولكن المؤرخ الذي عالج مؤتمر فيينا لم يتردد في أن يصف موقف الوزير البريطاني فيه بأنه قد أوحت به الأنانية ويقوم على ضغط المصالح [492].

**مسار المؤتمر :**

---

([490]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 145 ، 146

([491]) عبد الكريم الفيلالي ، التاريخ السياسي المغرب العربي الكبير ،ج4 ، ط: 1، شركة الناس للطباعة،القاهرة ،2006 ، ص : 387

([492]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص ص : 145 ، 146 .

في البداية اجتمع ممثلوا القوى الأربع المنتصرة آملين في استبعاد الفرنسيين من المشاركة في مفاوضات جدية . استطاع تاليران بمهارته السياسية إدراج نفسه في المجالس الداخلية في الأسابيع الأولى من المفاوضات [493] ،حيث تحالف مع ثمانية من القوى الأوروبية الأصغر ( بما في ذلك إسبانيا والسويد والبرتغال) في لجنة للسيطرة على المفاوضات ،حالما نجح تاليران في إقحام اللجنة في المفاوضات الداخلية انسحب منها متخلياً عن حلفائه،و أدى تردد الحلفاء الكبير حول كيفية إدارة شؤون المؤتمر دون إثارة احتجاج موحد من القوى الأقل شأناً إلى الدعوة لعقد مؤتمر تمهيدي حول البروتوكول . دعي إلى هذا المؤتمر كل من تاليران وماركيز لابرادور ممثل إسبانيا، في 30 سبتمبر/ أيلول 1814.

**تقييم المؤتمر :** حرصت الدول المجتمعة في المؤتمر على تحقيق عدة أهداف أهمها :

- التوازن الدولي بحيث لاتصل أي دولة إلى درجة من القوة تسمح لها بتهديد بلد اخرِ،كما تسترد كل دولة املاكها السابقة .
- إعادة الحقوق الشرعية لأصحابها [494]

من الواضح أن المؤتمر كان يخدم مصالح الدول الكبرى كما لم يهتم بمطالب الشعوب القومية ، كما كانت ثورة بلجيكا اول صخرة سقطت من مؤتمر فيينا و الذي كان هدفه حماية أوروبا من الصراعات [495] كما أصدر قرار نهائي بوضع حد لمسالة

---

([493]) عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص : 33 .

([494]) محمد على القوزى ، العلاقات الدولية فى التاريخ الحديث و المعاصر ، دار النهضة الحديثة، ط1 ، بيروت ، 2002 ، ص : 93

([495]) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، المرجع السابق ، ص : 170 .

القرصنة و استرقاق المسيحين [496] انعقد مؤتمر فينا بطلب من انجلترا ، و تجسد التحالف الأوروبيين ضد الجزائر و ذلك بوضع حد نهائي لهيمنة الأسطول البحري الجزائري في البحر الأبيض المتوسط ولاسترقاق المسيحين [497] و كلفت بريطانيا بتطبيق مقررات المؤتمر حيث طالبت بتعويض مسبق عن مجهوداتها و الذي يتمثل في وضع الجزر الايونية تحت حمايتها [498].

## 2. مؤتمر اكس لاشابيل :

عندما فشلت الدول الأوروبية في إخضاع الجزائر، ووقف نشاط بحريتها عادت لطرح المسألة في مؤتمر اكس لاشابيل Aix la chapelle فعقدت الدول الأوروبية في 30 سبتمبر 1818 مؤتمرا جديدا [499] في منطقة في مدينة آخن أكس لاشبيل بألمانيا ، شاركت فيه كبرى الدول الأوروبية ، وهي بريطانيا فرنسا روسيا النمسا وبروسيا ، حيث مثل فرنسا في المؤتمر وزيرها الاول ريشيلو و زوده الملك لويس الثامن عشر بتعليمات توضح أسس السياسة الفرنسية في ذلك الوقت و خلاصتها ، أن فرنسا تنظر للمسالة القرصنة كجزء من السياسة الدولية العامة [500] و الذي قررت من خلاله القضاء النهائي للقرصنة و حفظ السلام المنبثق عن مؤتمر فيينا1815 م ، و تمسكت جل الدول تقريبا بارائها التي كانت في مؤتمر فيينا ، ولكنّ قراراته حفّت بسرّية كبيرة لتعلقها بمسألة الاستعمار وتقسيم مناطق النفوذ والعمل من أجل القضاء على الأسطول الجزائري [501].

---

([496]) هلايلي حنفي ، العلاقات الجزائرية الاروبية و نهاية الايالة ( 1815- 1830 ) ، ط1 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2007، ص : 13 .

([497]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ،ص : 262

([498]) يحي بوعزيز ، المرجع السابق ،ص : 120

([499]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص : 267

([500]) أحمد عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ،ص : 336

([501]) وليام شالر ، المصدر السابق، ص177 .

استقر الرأي على فكرة تكوين قوة موحدة ، تم تفويض فرنسا و وبريطانيا لدراسة المسألة مع الجزائريين بطريقة ودية في محاولة جادة لإقناعهم بضرورة التخلي عن القرصنة ، ووقف استرقاق الأوروبيين وإرجاعهم إلى أوطانهم ، كما سعت بقية الدول الأوروبية إلى محاولة إقناع السلطان العثماني حتى يتخلى عن دعمه للإيالة الجزائرية ، وقد اختلفت هذه الدول في طريقه كتابة رسائلها للسلطان العثماني ، وهذا ما أضعف من قيمة هذه الرسائل التي لم يول لها السلطان أية أهمية ، هذه الرسائل التي اعتبرت البحرية الجزائرية شبحا يهدد المصالح التجارية الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط .

وقد رد السلطان العثماني على هذه الرسائل برفضه التام لما جاء في قرارات مؤتمر إكس لاشابيل ، واعتبر التحالف الأوروبي على أية إيالة من الإيالات المغربية تدخلا مباشرا في شؤون الدولة العثمانية وسيادتها ، وهذا يتعارض تماما مع القانون الدولي الذي يضبط العلاقات الخارجية بين الدول ،علما بان الدولة العثمانية كانت تعلم بأن الإيالة كانت تربطها بالدول الأوروبية معاهدات سلام ، ولذلك قرر السلطان العثماني إرسال سفينة لدعم الإيالة عسكريا تضم اثنان وعشرون مدفعا وعدد كبير من الجنود في نوفمبر 1819 [502] ،كما تم تكوين أسطولين الاول انجليزي بقيادة توماس فريمانتل ، و الثاني فرنسي بقيادة جوريان ديلاغرافنير [503] وقد توجهت هذه الاساطيل إلى بلدان المغرب العربي ، حيث حذرت كل من تونس و الجزائر و طرابلس من عدم الماس بالتجارة الاوروبية و إلا سيكون الرد سريعا ، و كلفت كل من فرنسا و انجلترا بتبليغ قرارات المؤتمر. [504]

---

([502]) أحمد عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص : 338 .

([503]) وليام شالر، المصدر السابق ، ص : 313.

([504]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ،ص : 267 .

وفي هذا الشأن يقول الكاتب :" وفي أواخر نفس السنة 1818 م اجتمع ملوك الدول الأوربية الكبيرة في مدينة إيكس لاشابيل في مؤتمر جديد من أجل تجديد المصالح العامة للعالم المتحضر على أساس متين،فيما قيل

على أنّ نتائج المداولات التي جرت في هذا المؤتمر لم تنشر ويبدو أنّ مصالح الجنس البشري قد بقيت بدون تحديد ، كما كانت من قبل . ومع ذلك ، فإنّ أسطولا بريطانيا فرنسيا قد وصل إلى الجزائر في 5 سبتمبر1819 م، وأعلن قائداهما للداي عن قرارات مؤتمر إكس لاشابيل الذي قد قرّر أنه يجب على دول البربر أن تمتنع عن ممارسة القرصنة في المستقبل و الغاء الاسترقاق [505] .

وبعد بضعة أيام من التفكير والتروي رفض الداي هذا الإنذار محتجا بالحقوق التي تعترف بها للجزائر معاهدات دولية رسمية أقرّها العالم كلّه خلال قرون متوالية [506]، والمسألة هي ما إذا كان مؤتمر ايكس لاشبيل جادا حقيقة في هذه المناسبة أم أنّه وقع ضحية للمغالطة والتضليل بالتقارير التي قدّمها الأطراف التي كلّفت بتنفيذ قراراته التي تتعلق بدول البربر . وقال في موضع آخر : " إنني أحب أن أعتقد أنّ الحزم الذي أبدته الدول الكبيرة في مؤتمر ايكس لاشبيل سيكون من نتائجه تنفيذ قرارات ذلك المؤتمر ضدّ الدول البربرية " [507]. حيث إعتبر المؤتمر أخر المؤتمرات التي نوقشت فيه مسألة القرصنة.

### 3. مؤتمر تروباو :

---

([505]) محمد بوشنافي ، **الداي حسين و سقوط الايالة الجزائرية ( 1818-1830 )**، مجلة العصور ، العدد 6-7 ، ص ص : 103 ، 104

([506]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 177 .

([507]) المصدر نفسه ، ص : 183 .

كان قيصر روسيا قد اقترح على المؤتمرين في اكس لاشبيل إنشاء تحالف أوروبي عام، لكي تخول الدول الأوروبية قمع أي ثورة تحصل وتهدد الأمن والتوازن الأوربي ، خاصة بعد الثورة الاسبانية لأنه كان متخوف من انتشار العدوة في أوروبا ،فطالب بعقد مؤتمر لاستنكار دستور 1812 [508] ،ولكن قوبل برفض وخاصة من انجلترا بحجة رفض بلاده التدخل في الشؤون الداخليه لدول اخرى , وعند اندلاع الثوره وقيام النظام الدستوري عام 1820 م أصاب قيصر روسيا بالخوف ان تتأثر بلاده ،وطالب بعقد مؤتمر يضم ملوك أووربا بتدخل لإلغاء الدستور الاسباني الجديد ولو بالقوة ،وأيضا رفضت انجلترا بنفس الحجة وإفادة أن هذه الثورة لا تشكل خطر على الدول الاخرى، اما النمسا رفضت في البدايه ووافقه فيما بعد وفرنسا رفضت وانضمت الى انجلترا في الرأي وبروسيا وافقت وسرعان ما انضمت فرنسا لهم خوفا من العزله وتم التوقيع على البروتوكول ماعاد انجلترا في عام 19نوفمبر 1820 م. [509]

اقترحت الدول الأوروبية وفي مقدمتها بريطانيا تكوين قوة موحدة والنزول بها في البحر الأبيض المتوسط، وهذا ما تداولته الدول الأوروبية خلال المؤتمر فينا 1815، وكان الاقتراح الإنجليزي يتمثل في إجبار الجزائريين على التخلي عن البحرية، وذلك بمحاصرة الموانئ الجزائرية ومنع خروج سفنها، وإجبار الدولة العثمانية على وقف تجنيد البحارة وإرسالهم إلى الجزائر.[510]

---

([508]) عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص : 54 .

([509]) مدوح نصار واحمد وهبان ، التاريخ الدبلوماسي العلاقات السياسية بين القوى الكبرى ، قسم العلوم السياسية ،جامعة الاسكندرية ، ص : 53 ، 54.

([510]) وليام سبنسر ، المرجع السابق ، ص ص : 189-190.

وقد استاءت السلطنة العثمانية ، خاصة بعدما حمّلتها دول مسؤولية ما يقوم به البحارة الجزائريون من نشاط في البحر الأبيض المتوسط ،كما استاء الباب العالي من تدخل دول أوروبا في شؤون الإيالات المغربية وطرح المسألة الجزائرية ، واعتبر ذلك تدخلا مباشرا في مصالح وممتلكات الدولة العثمانية ، وقد بعث الباب العالي بعد ذلك فرمانا يحذر فيه الجزائريين من خطر التحالف الأوروبي على بلدهم. **(511)**

وابتداء من ( 1823- 1824 ) بينت المصالح المتباينة و المتضاربة للقوى الكبرى الطابع الهش أو الاصطناعي للتقسيم المنجز عام 1815 ،والذي لم يكف الثوار والقوميون في كل أوروبا و كذلك نابليون الثالث عن النضال ضده إلى درجة التمكين لانفجار جديد لأوروبا وإعادة توزيع القوميات في نهاية القرن التاسع عشر.

## المبحث الثالث : الحملات الأوربية على الجزائر مطلع القرن19 م وانعكاساتها

ظلت الولايات المتحدة الأمريكية تدفع ضريبة سنوية للجزائر منذ عام 1795م إلى غاية 1810م حيث توقفت عن دفع تلك الضريبة ، وذلك بسبب إدراكها لضعف الجزائر ، الأمر الذي تسبب في توتر العلاقات بين البلدين ، كما أن اليهود اقترحوا على الداي الاعتداء على السفن الأمريكية للحصول على مبلغ مالي كبير مقابل تجديد معاهدة السلم معها .

وقع خلاف بين البلدين سنة 1812م حول تنفيذ المعاهدة الخاصة بالضريبة،كما اثار الامريكان خلافا اخر يتعلق بالتقويم الهجري و الميلادي و الذي يكلفهم مبالغ اضافية ،و امتد الخلاف مدة سنتين **(512)** ،و عليه أعلن **الداي علي** الحرب على أمريكا ،و التي

---

( [511]) أحمد عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص :338.

( [512]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ،ص : 234 ، 235 .

تدخلت لتأييده كل من اسبانيا و السويد و انجلترا ، بعد أن وضعت الحرب أوزارها بين الولايات المتحدة و انجلترا ، وبمجرد التصديق على معاهدة " غانت " Ghant ، قرر الكونغرس الأمريكي إعلان الحرب على الإيالة الجزائرية [513].

جهز الأسطول حربي عهد بقياده إلى الأميرال " ستيفان ديكاتور" [514] ،وغادر الأسطول الولايات المتحدة في اتجاه البحر الأبيض المتوسط 20 ماي 1815م ، وقبل أن يقلع الأسطول أصدر وزير الخارجية تعليمات إلى القائدين البحريين و السيد شالر بعقد الصلح مع الجزائر، [515]وإطلاق سراح الأسرى الأمريكيين في الجزائر ،وذلك بدون تعهد بدفع أي نوع من الضريبة ولكنها تعهد بتقديم هدايا للداي مرة كل سنتين ، وكانت التعليمات التي يحملها " ديكاتور " تقضي بأن يسعى لدى وصوله إلى جبل طارق لمعرفة المنطقة التي يعمل فيها الأسطول الجزائري ، وفي حالة ما إذا كانت بعض قطعه تعمل في المحيط الأطلسي أن يقوم بأسر تلك القطع أو تدميرها ، كما كلف " ديكاتور " بأن يدخل في المفاوضات مع الداي مباشرة بعد وصوله إلى الجزائر كما يجب أن تكون شروط الصلح مشرفة بالولايات المتحدة الأمريكية.

وصل أسطول " ديكاتور " إلى جبل طارق في 15 جويلية ، ومن هناك أبحر صوب مدينة الجزائر والتقى في طريقه إليها بباخرة جزائرية فضيقوا عليها ، فاستسلمت لهم بعد مقاومة أبداها لهم طاقم الباخرة ، استشهد فيها الرايس حميدو وثلاثون بحارة من رجاله يوم 28 يونيو1815م [516] ،حملوا بقية المسلمين أسرى إلى مراكبهم وبعد يومين من المعركة أسر

---

([513]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 146 .

([514]) عزيز سامح ، الاتراك العثمانيون المرجع السابق ، ص : 604 .

([515]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 146 .

([516]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص : 236 ، 237 .

الأمريكيين سفينة حربية ذات ساريتين " استديو " وسفينة " مشهودة " ، ثم أرسلت كلتا السفينتين إلى قرطاجة .

وفي 29 جويلية 1815م وصل الأسطول الأمريكي ميناء الجزائر وأرادوا إجراء مفاوضات مع السلطات الجزائرية ، فصعد أمير البحر الجزائري البارجة الأمريكية وهناك أبلغه القائد الأمريكي خبر أسر السفينتين الجزائريتين ومقتل الرايس حميدو ، فتأثر أمير البحر الجزائري لهذه الفاجعة وتساءل عن شروط الصلح التي يريد الأمريكيون عرضها ، فجاء الرد في رسالة وجهها الرئيس الأمريكي إلى الداي عمر ( 1817 – 1818 م) ، فقدمها ديكاتور إلى الداي و في جويلية 1815.

توصل الطرفان إلى توقيع معاهدة صلح و صداق بعد ثلاث عشر يوما من المفاوضات نصت على إلغاء الضريبة السنوية وإطلاق صراح الأسرى الأمريكيين في الجزائر [517] ، ودفع تعويض مقداره عشرة آلاف دولار للاستيلاء على السفينة الأمريكية "إدوين" وغيرها من ممتلكات الأمريكيين في الجزائر ، كما نصت على طريقة معاملة الأسرى في حالة استئناف الحرب واعتبارهم أسرى حرب و ليسوا عبيدا ، وسعى الداي إلى استعادة السفينتين الأسيرتين وبعد أن ورد استجاب الأمريكيين لهذا الطلب وتم التوقيع على المعاهدة ، وتم تعيين شالر قنصلا للولايات المتحدة بالجزائر [518].

و أثناء هذه الأحداث لم تترك الولايات المتحدة الأمريكية دولة أوروبية لم تتصل بها من الصغرى كالبندقية إلى المتوسطة كهولندا إلى الكبرى كروسيا ،لتكون معهم حلفا ضد الجزائر و الدول المغربية.حيث استغلت الفرصة عام 1814م لتنظم لكل من هولندا و

---

([517]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 604 .

([518]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص : 237 .

الدنمرك وايطاليا اسبانيا وبروسيا،وروسيا لتكون الدولة السابعة في الحلف ضد الجزائر في وقت واحد، إذ رأت أن الوقت قد حان لتصفية الحسابات [519].

وفي شهر جويلية 1815م ظهر أمام الأسطول الجزائري الأسطول الهولندي بفرض تجديد معاهدة السلام ، التي تربط بين البلدين طبقا لنفس شروط المعاهدة القديمة بواسطة القنصل الانجليزي ، لكن الداي رفض هذه الاقتراحات قبل أن تقدم هولندا مؤخر الهدايا و الضرائب إلى إيالة الجزائر ،و الذي يمثل مبلغا ضخما و على إثرها انقطعت المفاوضات بين الطرفين [520].

### أ. حملة اللورد إكسماوث :

في مطلع 1816، قام إكسماوث بمهمة دبلوماسية ، مدعوماً بسرب صغير من سفن متجهة إلى تونس ، طرابلس ، والجزائر لإقناع حكامها بوقف استعباد المسيحيين وإطلاق سراحهم. وقد وافق دايات تونس وطرابلس [521] ،و تم إطلاق الأسرى دون أن يدفع اكسماوث عنهم الفدية [522] ،أما داي الجزائر كان متحجراً في آرائه وكانت المفاوضات معه عاصفة.

اعتقد إكسماوث أنه تمكن من التوصل إلى معاهدة لوقف استعباد المسيحيين وإعادتهم إلى انجلترا ، إلا أنه بسبب تضارب الأوامر ، قامت القوات الجزائرية بقتل 200 صياد من كورسيكا وصقلية وسردينيا ، وكانوا تحت الحماية البريطانية [523] وكانت المذبحة بعد

---

([519]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق، ص ص : 219-236 .

([520]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 149 .

([521]) يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص : 121 .

([522]) شويتام أرزقي،دراسات و وثائق في تاريخ الجزائر العسكري و السياسي (1519-1830) ، ط:1 ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، 2010 ، ص : 150.

([523]) وليام سبنسر ، المرجع السابق ، ص : 191 .

توقيع المعاهدة مباشرة. وقد تسببت المذبحة في غضب عارم في بريطانيا وأوروبا ، ورأى الناس أن مفاوضات اكسماوث باءت بالفشل [524] ، اضافة إلى تخريب المؤسسة التابعة لشركة صيد المرجان ، و اقتيل 800 عامل بها إلى السجن.

وجهت انجلترا حملة عسكرية بقيادة اللورد ايكسموث الذي كان على متن وحدات من الأسطول بحري الانجليزي، و التي غادرت ميناء بليموث في 28 جويلية عام 1816م إلى الجزائر ،و ذلك لمعاقبتها بشدة لأنها حصلت على الموافقة الرسمية من الدولة العثمانية بانزال العقاب الصارم بها [525] .و لما اقترب الأسطول الانجليزي من سواحل الجزائرية عرضت وحدات الأسطول الهولندي بقيادة الاميرال فون كابلان الانضمام إلى اللورد اكسموث [526] ،و سارت القوة المزدوجة البريطانية الهولندية إلى ان وصلت إلى ميناء الجزائر في مساء السادس و العشرون من شهر أوت 1816 م.

صادفت هذه الحادثة دخول الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إدريس [527] مدينة الجزائر المحروسة ،

---

([524]) صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم التركي1517-1830 ، دار الهومة للطباعة ، الجزائر ،2007 ،ص 241:

([525]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص605 .

([526])Devoulx (A): Tachrifat , Recueil d notes histiorique sur l'administration de l' ancienne régence d'Alger , Alger, 1852, pp19-20.

([527]) يعتبر الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إدريس بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني. واحدا من أبرز علماء الإقليم التواتي خلال القرن الثاني عشر الهجري . ولد سنة 1181هـ بتنلان وكان عالما في أصول الفقه والتفسير أخذ كل ذلك عن شيوخ عدة نذكر منهم تمثيلا : الشيخ سيدي محمد ، و الشيخ سيدي محمد بن احميد .سافر الشيخ التنلاني إلى فاس وأخذ هناك عن الشيخ سيدي عبد القادر بن شقرون وغيره من أعلام عصره حيث ماتا في يوم واحد وهو يوم الرابع عشر من جمادي الأولى سنة 1221هـ

وإقامته بها الذي أرخ لنا لحادثة تاريخية هامة في تاريخ الجزائر آنذاك، وهي الهجوم الإنجليزي الهولندي على مدينة الجزائر [528] بقيادة اللورد اكسموث ، و بتاريخ عصر الأحد الثامن من شهر شوال سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف (08 شوال 1231هـ/ الموافق 01 سبتمبر 1816 م) ، والتي شاهدها بأم عينه ووصفها وصفا دقيقا حين قال : " فلما كان يوم الأحد من شهر تاريخه عند العصر نزلت سفن عدو الله بدر لنجليز قرب الجزائر في البحر وهي أربعون سفينة ، وكل سفينة فيها مائة مدفع كبير ، كل مدفع عمارته قنطار بارود . ونزلوا بعيدا من المدينة بحيث لا تصلهم الرمية من الجزائر وأقاموا يومهم ذاك وغدهم كذلك ، وفي ضحى صبيحة الثلاثاء [529] بدلوا جميع أعلام سفنهم وجعلوها بيضا بعد أن كانت سودا .والأعلام البيض هي أعلام الصلح والعافية بخلاف السود فهي أعلام الحرب هذا هو اصطلاحهم .

وقبل أن يخوض قائد جيوش العدو معركته مع الجيش الجزائري بادر بمكاتبة قائد الجزائر في محاولة لخداعه واستمالته وتخويفه من نتائج المعركة عليه وعلى جنده. حيث قال القائد النصراني في نص رسالته : " اعلم أني جئتك ناصحا ومصلحا انظر هذا سلطان المغرب أحسن منك نسبا وأقوى مالا وأعظم جندا وأكثر بلادا ، كان مع جميع أجناس النصارى صلحا وعافية، هو على دينه وهم على أديانهم ، وانظر صاحب تونس وهو ضدك و أخوك صلحا مع جميع جنس النصارى ، وصاحب طرابلس كذلك ، كل واحد على دينه ، وكلهم صلحا وعافية وما فيهم من عادى النصارى وكأن الجهاد ما فرض إلا عليك ، ولو كنت عاقلا لاقتَدَيتَ بأمثالك . ولا تظن وإني مثل النصارى الذين تعرفهم وكنت تلاعبهم مثل افرنسيس ،واصبانيول وافلامينك .... وعدد عليه قبائل النصارى، بل

---

([528]) أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر .تحقيق أحمد توفيق المدني .الطبعة الثانية 1168هـ/1246م .ص .117. وكتاب مذكرات وليام شالر .قنصل أمريكا في الجزائر( 1824/1816)،ص: 289.

([529]) لثلاثاء 10 شوال الموافق ل:03 سبتمبر 1816 .

أنا بدْر.... وعندي ألفَي قلاع جئتك منها بأربعين ..... واليوم اترك عنك هذا وأبدله بالصلح ، وإن أبيت عن الصلح فنعم ولكن أخذ الأسارى لايكون بيننا وشاور على هذا نفسك وكبراء دولتك وأجلتك ساعتين." [530] و يشير عزيز سامح في كتابه الاتراك العثمانيون أن الداي رفض إعطاءه جواب نهائي في هذا الصدد و في الثانية و النصف خرج عضو البرلمان البريطاني من الميناء و أعطى إشارة عدم الاتفاق [531].

ويرى الشيخ التنلاني في معرض تعليقه على هذا الخطاب أن الرسالة لم يكن لها معنى أساسا على اعتبار أن القائد النصراني أمهل قائد الجزائر ساعتين فقط للرد وهو ما لم يكن كافيا أمام صاحب الجزائر لتحضير الرد بسبب انصراف أكابر البلد ورؤساء الجند إلى حقولهم لأن الوقت وقت خريف ، وهنا تعجل العدو الدخول فكان ما كان وفي ذلك كله يقول الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إدريس في معرض حديثه في رحلته : " ... وبعث بهذا الكتاب مع شاوش له فلما بلغ الكتاب صاحب الجزائر وجد أكابر البلاد ورؤساء الجند مفترقين في الجنانات لأن هذه الواقعة وقعت في فصل الخريف وعادة البلد أن كل من عنده جنان يكون سكنا فيه ذالك الوقت ،فتعطل الجواب على النصراني ودخل بسفنه لداخل مرسى الجزائر وأراد الذين هناك يضربونه بالمدافع فحلف لهم القائد عليهم ويسمى علي قائد المرسى لو مد أحدكم يده للضرب لقطعتها له. قيل إن النصراني رشاه على ذلك بخمسين قنطارا وقيل بخمس وعشرين وقيل بخمسة عشر .

فلما استقر النصراني بوسط المرسى كان أول ما بدأ به أسقط الماء الداخل لشرب البلد وما يتطهرون به ، رمى ساقية الماء بثلاثة مدافع ، ثم وَالَى على المدينة بالبارود وذلك بعد

---

([530]) أحمد جعفري ، **الحملة الإنجليزية الهولندية على مدينة الجزائر1231ه/1816م من خلال مخطوط التنلاني التواتي 1233هـ** ،مجلة " تراث" ، التابعة لهيئة أبوظبي للثقافة والإعلام ،مدينة العين الإمارات العربية المتحدة ، العدد 131، أغسطس 2010، ص : 140.

([531]) عزيز سامح الترا، المرجع السابق ، ص : 608 .

صلاة الظهر وقيل العصر فلم يزل يواليه عليها حتى قرب نصف الليل ومدة ذلك على التدقيق إحدى عشر ساعة غير سدس بالمكانة المحققة وعدة الكور الذي رمى بدر إحدى وأربعون ألف كورة على ما أخبر به شاوشه الذي عقد الصلح مع صاحب الجزائر. وبعد استقراره بالمرسى وتمكنه أحرق جميع سفن الجزائر وهي أربعة عشر سفينة كبار جدا ، فثلاثة عشر أحرقها حتى لم يبق لها أثر والربعة عشر بقي شيء منها [532] ولم تكن هذه المشاهد الأليمة والمفجعة جميعها لتمر أمام أعين الكاتب سيدي عبد الرحمان دون أن تتحرك لها مشاعره وتتدفق أحاسيسه ، فيترك العنان لخياله ليصف لنا جلل المصيبة وأثرها على نفسية كل مسلم "... وحرقه للسفن هو أعظم نكاية لم يبق فوقها نكاية ، وصارت تلك الليلة في الجزائر مع نهارها سواء ، ولولا شدة المبالغة لقيل ضوء تلك الليلة أشد من ضياء شمس نهارها ، ويالها من ليلة شابت فيها الولدان وأسقطت فيها الحوامل واشتد فيها البكاء والعويل وعظم فيها الكرب والهم والغم فوق ما يوصف ولا يخطر ببال ولا يقدر على الحقيقة شاعر ولا عاقل ولا فقيه ولا مداح ولا فصيح يصف هذه الواقعة بوصفها الحقيقي. ولا أدري بما أشبهها أمثل خرير الواد الكبير أو مثل الرحى أو مثل نزول البَرَد لا أدري ما يشبه ذلك وغايته أنه مثل الرعد القاصف من أول بدايته إلى نهايته متصلا كأنه مدفع واحد ، فلما كان نصف الليل نادى النصراني بالبيات إلى الصباح ، نادى في بوقه بعجميته حتى نصبح فسكت البارود ، فلما كان بعد صلاة الصبح نادى لعنه الله في بوقه نزيد في الحرب أم يكفينا هذا .

وعلم صاحب الجزائر أنه لا طاقة له به ولا بحربه فطلب منه العافية فأجابه إليها على شروط أولها أن يرد إليه كل أسير عنده وهم يحسبون عنده في زمامه ثلاثة عشر مائة أسير

---

([532]) أحمد جعفري ، **الحملة الإنجليزية الهولندية على مدينة الجزائر1231ه/1816م من خلال مخطوط التنلاني التواتي 1233هـ** ،مجلة " تراث" ، التابعة لهيئة أبوظبي للثقافة والإعلام ،مدينة العين الإمارات العربية المتحدة ، العدد 131، أغسطس 2010، ص : 140

واثنين وثلاثين أسيرا ، منها من قبيلة كذا وكذا ومن قبيلة كذا كذا وكذا وهكذا . وإن بقي أسير واحد فلا عافية . وثانيها أن النصارى خذلهم الله كانوا عام أول فادوا بعض أولادهم من أصحاب الجزائر وعددهم أحد عشر مائة أسير كل أسير بألف أريال دُرُ الكبير فشرط عليه أن يرد عليه جميع ما وقع به الفدى من الريال وإن بقي شيء من ذالك فلا عافية . وثالثها أن يطلق صاحب الجزائر لهم وهران وعنابه يكيلون منها الزرع ولا يدخل الأتراك بين النصارى وأرباب الزرع أهل الفلاحة في ذلك ." **(533)**

أمام هذا الوضع انخدعت البحرية الجزائرية بالراية البيضاء التي كانت تحملها السفن البريطانية ، التي تركتها تدخل ميناء الجزائري . ليتم بهذه الخدعة بقنبلة الأسطول البحري الجزائري بالمدفعية ، فألحقت بالجزائر أضرار جسيمة كما تحطمت في هذه المعركة عدة تحصينات ، و أضرمت النار في جميع البواخر الجزائرية الراسية في الميناء **(534)** ،كما بلغ عدد الضحايا حوالي خمسمائة جندي أما عدد القتلى من الأهالي فقدر بسبعين شخصا **(535)** و كنتيجة حتمية للأمر أجبر الداي عمر باشا على قبول شروط مؤتمر فينا .و التي كانت من بين نتائجه :

- وضع حد لاسترقاق المسيحين .
- إطلاق الأسرى المسيحيين و الذي يبلغ عددهم 1200 أسير .
- دفع تعويضات للأسر المسيحية التي افتدت أبناءها **(536)**.

---

(533) أحمد جعفري ، المرجع السابق ،ص : 142- 144 .

(534) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص ص : 262 ، 263 .

(535) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 609.

(536) Devoulx ¸ ibid¸p20

و الأمر الملفت للانتباه هو أن الانجليز استغلوا مؤتمر فيينا لخدمة مآربهم ،و لم يطالبوا بالمطلب الرئيسي هو وضع حد للقرصنة ،لأنهم كانوا يسعون إلى عرقلت التجارة الأروبية عامة و تجارة فرنسا خاصة [537].

إذا كان مؤتمر فيينا قد أدان تجارة الرقيق الأسود و ضمن حرية الملاحة في الأنهار العابرة عدة دول أو تشكل حدا سياسيا ، فإن همه الأكبر كان إعادة بناء توازن واسع بين الدول و الإمبراطوريات الأوروبية [538] ولكن هذا التقسيم ، الذي ضمن السلم للقارة العجوز الرازحة تحت الحكم المطلق على امتداد أربعين سنة ، غذى بداخله بذور فنائه . فكل المفاوضات و المحادثات جرت على حساب حقوق القوميات أو المذاهب الدينية . إذ ضمت شلزويغ بالقوة للدانمرك ، وأخضع الكاثوليك البلجيكيون لملك هولندي بروتستانتي المذهب و قسمت تقسيم إيطاليا و فككت ألمانيا [539].

بعدما تم انعقاد مؤتمر اكس لاشبيل تم إبلاغ الداي حسين بالالتزام بهذه القرارات ،و الذي أجاب على أنه لا يستطيع أن يتخلى عن حقه في التعرف على البواخر الأجنبية ل،أنها هي الوسيلة الوحيدة للتعرف على البواخر العدوة من الصديقة [540].

قرر الداي في أكتوبر1823 م القاء القبض على أبناء القبائل كرد فعل على الثورة التي نشبت في القبائل [541] ، و كان هناك عدة مستخدمين من أبناء القبائل يشتغلون في

---

([537]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص : 264.

([538]) وليام شالر، المصدر السابق ، ص: 145 .

([539]) عبد العظيم رمضان ، تاريخ أوروبا و العالم الحديث من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة ،ج 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ص : 19-20 .

([540]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص : 267 .

([541]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 622 .

القناصل الاجنبية ،فعمدت القنصلية الفرنسية و الهولندية إلى إنذار مستخدميها بالأمر و تركت لهم حرية القرار [542].

أما القنصل الانجليزي أراد أن يحمي مستخدميه محتجا بالحصانة القنصلية ،و رفض تسليمهم ، فهجم مترله و تم القبض على مستخدموه حيث تسبب هذا الحادث في قطع العلاقات بين الجزائر و انجلترا وعودة القنصل إلى بلده [543].

بعد بضع أسابيع من الحادثة و بالضبط في كانون الثاني سنة 1824 م ، في 23 شباط قدم الاميرال الانجليزي السير " هاري نيل " على رأس 23 باخرة ، يطلب تعويضا عن الإهانة التي لحقت بانجلترا في شخص القنصل و يطالب بغرامة مالية كبيرة ، و بالاعتراف بهيمنة بريطانيا على كل الدول الأخرى ، لكن الداي رفض هذا المطلب و على إثرها انصرف الأميرال [544] و الذي عاد مرة ثانية في 22 مارس 1824 م و انصرف كما جاء دون أن يتحصل على طائل [545] و رجع مرة أخرى في 12 جويلية من نفس السنة بعد أن صدرت إليه الأوامر بضرب العاصمة ، و استمر إطلاق النار إلى يوم 29 جويلية و هو يوم انصرافهم بعد أن نفذت لهم الذخيرة [546].

كما منيت هذه الحملة بالفشل الذريع لأن القصف كان بعيدا عن المدينة ،و تم التصدي لها، [547] و يشير مولود قاسم نايت بلقاسم إلى وجود غارتان عام 1825 م ، و اللذان رد عليهما الداي بتعال و لاذتا بالفرار و لم تعد بريطانيا بعد ذلك [548].

---

([542]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص : 268 .
([543]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 622 .
([544]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ،ص : 268.
([545]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ،ص : 210.
([546]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص : 268.
([547]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 623 .

تحالف الأوروبيون ضد الجزائر في مؤتمر فيينا و ذلك لوضع حد نهائي لأعمال القرصنة البحرية الجزائرية في البحر الأبيض المتوسط ، و استرقاق المسيحيين، و تسريح البحر الأبيض المتوسط للتجارة الحرة، و الاعتراف بأولوية انجلترا في التعامل مع القنصليات الأجنبية في الجزائر،و الجدير بالذكر أن حملة اكس ماوث كان ظاهرها تنفيذ لإرادة الدول الأوروبية و باطنها رغبة بريطانيا في فرض سيطرتها على البحار للاستحواذ على طرق المواصلات و الحفاظ على مصالحها التجارية ، بعد أن فقدت مستعمراتها في القارة الأمريكية .

## ب.الحصار الفرنسي والحملة على الجزائر ( 1827 – 1830 م ) :

امتازت العلاقات الجزائرية الفرنسية في عمومها بطابع الأهمية والخصوصية التي حضيت بها منذ الدولة دون غيرها من الدول الأوروبية ، وقد تطورت هذه العلاقات فكانت أفضل ماتكون في عهد الثورة الفرنسية ، حين اعترفت الجزائر بالجمهورية الفرنسية الجديدة ، في الوقت الذي كانت تعاني فرنسا من وطأة الحصار الأوروبي المحكم [549] ،والذي أصابها بانهيار إقتصاد كبير ومجاعة قاسية ، وأكثر من ذلك قامت حكومة الجزائر بإقراض فرنسا مبالغ مالية لتأمين شراء الحبوب وفتحت باب تصدير القمح الذي كان محظورا من قبل في عهد الداي محمد بن عثمان باشا .

وقد عبرّ عن موقف الجزائر الدّاعم لفرنسا خلال هذه الفترة الداي حسين في رسالة وجهها إلى محافظة العلاقات الخارجية الفرنسية بتاريخ 16 جوان 1795 م : " لن نرد أي طلب للجمهورية يكون في متناولنا المواد المعشية والخيول الجيدة ، هذه هي منتوجاتنا

---

([548]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص : 214.

([549]) أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ( بداية الإحتلال ) ، ط3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 م ، ص : 13

فالصديق الحقيقي هو ذلك الذي يظهر وقت الحاجة ... نحن على استعداد لأن نمدكم بالحبوب والمواد المعشية وباختصار كل ما تطلبوه منا " [550] .كانت عملية التموين تتم بطريقة مباشرة بين البلدين ، فتقوم الشركة الفرنسية المعنية ( الشركة الملكية ثم خليفتها الوكالة الوطنية الفرنسية ) بدفع الثمن إلى الحكومة الجزائرية بشكل مباشر ، ثم غير فرنسا طريقة الدفع أثناء حكومة المؤتمر، فلجأت إلى التاجرين اليهوديين بكري وبوشناق [551] ليقوما بالدفع بدلها إلى الحكومة الجزائرية [552] .

وقد توفرت الظروف لهؤلاء اليهوديين ليلعبا على حبل العلاقات السياسية والاقتصادية بين البلدين ، أين ازدهرت شركتهما وحققت أرباحا خيالية نظرا الارتفاع الفاحش لسعر الحبوب ، وتجدر الإشارة إلى أنه برغم من منع حكومة الجزائر رخصا للتجار الفرنسيين من أجل تصدير القمح ، إلا أنهم لاقوا صعوبة في ذلك بسبب الضغط الأوروبي في البحر المتوسط والحصار المفروض عليهم ، وبالتالي وجدت الشركة اليهودية فرصتها لإحتكار تجارة منتوج الحبوب خاصة وأنها كانت مضمونة التنقل لرفعها العلم الجزائري الذي يضمن لها الحماية في ظل هذا الصراع القائم [553].

بما أن الحكومة الفرنسية كانت عاجزة عن تسديد فواتير الإسترداد بسبب عجز خزينتها وتدهور اقتصادها ، تضاعفت ديونها تجاه اليهوديين الجزائرين اللذان كان بدورهما مدينان للدولة الجزائرية ، ومن هنا ارتبطت مسألة الديون بين اليهود وفرنسا بمسألة ديون

---

([550]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص : 106 .

([551]) بكري وبوشناق :كانا من أسرة لها تجارة في الخارج حققا معا ثروة طائلة ساعدهم في تكوينها النظام الفاسد للحكم أواخر العهد العثماني **انظر** : أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 14

([552]) محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 65 .

([553]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص : 107 .

اليهود للخزينة الجزائرية ، وهذا ما جعل المسألة تتحول إلى قضية حساسة بين دولة ودولة. [554]

نقول إذن أن أحد الأسباب الهامة التي سبقت الحصار ثم الحملة ، كانت المطالبة التي تقدمت بها الحكومة الجزائرية للحكومة الفرنسية فيما يخص ديونا يرجع تاريخها إلى الثورة الفرنسية قبل عهد الإمبراطورية ، والتي ترتبت عن تزويدات هائلة بمادة الحبوب كما أسلفنا بالذكر ، ولكن تماطل فرنسا في دفع المستحقات المالية جعلت المسألة تتجه إلى التأزم أكثر فأكثر [555] .

وبسقوط حكومة نابليون سعت حكومة الملك اللويس الثامن عشر البوربني إلى إعادة العلاقات مع الجزائر إلى ما كانت عليه من قبل ، فعملت الحكومة الفرنسية على تعين قنصل جديد لها في الجزائر هو " بيير دوفال " لكي يعمل على طمأنة الجزائر والتعبير لها عن إستعداد فرنسا لحل المشاكل العالقة ، ومن بينها مشكل الديون وكان دوفال هذا معروفا في كل موانئ البحر المتوسط بأنه شخص فاسد ورجل دسائس ومؤامرات أكثر منه رجل دبلوماسي ، وكانت سمعته سيئة في أوساط الجزائر ومرسيليا ، وسوف يلعب أدوارا خطيرة في العلاقات بين بلده والجزائر [556] كما قامت حكومة لويس الثامن عشر بتحديد قيمة الديون المترتبة بقرار 28 أكتوبر 1819 م وفق إتفاقية عقدت بين البلدين وأتفق الجانبان بموجبها على أن مبلغ الدين هو سبعة ملاين من الفرنكات الذهبية [557] .

---

([554]) المرجع نفسه ، ص : 108

([555]) جمال قنان ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث ( 1500 – 1830 م ) ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، 2010 م ، ص : 352

([556]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 241 .

([557]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ، ج2 ، المرجع السابق ، ص : 208

ولما طال أمد تسديد الديون وتبين لليهود أن تسوية القضية لا تزال بعيدة المنال شرعوا في مفاوضات مهلكة ، فوقعوا سندات بمائة ألف فرنك وتنازلوا عنها بعشرين ألف لأن المهم عند هؤلاء هو الحصول على المال ، وفي هذه الأثناء تقرب بكري من قنصل فرنسا دوفال ووعده بمبلغ هام إن هو عمل على إسراع التصفية في باريس ، ويزعم البعض أنه أعطى المال نقدا إلى القنصل المذكور ، ويقول آخرون بأن القنصل لم يحصل إلا على الوعود ويقول حمدان خوجة عن نفسه ، أني لا أعرف شيئا إيجابيا عن هذا الموضوع ، وعليه فإني أكتفي بما سمعته من الناس ولكني أعرف أن كثيرا من المناورات وقعت بشأن هذه القضية حتى أن حسين باشا قرر أن يرسل بنفسه إلى الحكومة الفرنسية للإسراع بالتصفية دون أن يعلم بأن أعمال غير لائقة قد تمت في هذا الموضوع وأن السبب الوحيد الذي جعله يقبل التدخل في هذا الموضوع ، أن بكري كان جزائريا وأنه مدين لخزينة الإيالة ، فكان الباشا يأمل بعمله هذا أن يسترجع أموال الدولة [558].

واصل الداي حسين مطلبه حول تسديد الديون أين أرسل عدّة برقيات إلى الحكومة الفرنسية ، لكن دون ردّ منها جاهلا أن هذه الأخيرة لم تطلع على أي واحد من مطالبه المختلفة [559]، بعدها قام الداي بمكاتبة الملك الفرنسي نفسه ، لكنه لم يحصل على أي رد كذلك ، يقول الشريف الزهار : " إن الداي كلم القنصل الفرنسي عن الديون كما كلمه عن البناء الذي أقامه الفرنسيون في القالة ووضعوا به المدافع وسلم له كتابا إلى الملك الفرنسي ،وقد أجاب القنصل الفرنسي دون أن يجيب الداي ، وأمر الملك قنصله بتبليغ

---

([558]) حمدان بن عثمان خوجة ، المرآة ، تقديم وتعريب وتحقيق : محمد العربي الزبيري ، منشورات anep ، الجزائر ، 2005 م ، ص : 177

([559]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص ص : 352 ، 353 .

الداي أن الملك لن يرد على خطابه ، فإن أراد شيئا لا يكتب إليه بل يكلم القنصل إلا أن القنصل لم يبلغ الداي بالخبر " [560].

تطورت مسألة الديون وبلغت ذروتها مابين ( 1820 و 1826 ) ، ومما زاد في تعكير الوضع سوء العلاقة بين الداي والقنصل دوفال الذي تبين تورطه في الكثير من المسائل ، وانتهى تصرفه الطائش في النهاية إلى ما يعرف بحادثة المروحة فكيف جرت حيثياتها ؟

جرت العادة يقوم قناصل الدول الأوروبية المعتمدين لدى الجزائر بزيارة إكرام إلى الداي بمناسبة عيد الفطر ، وكان القنصل الإنجليزي والفرنسي يتنافسان الصدارة في هذه المناسبات ولذلك وتجنبا لكل مناقشة ، قرر الداي أن يستقبل الواحد عشية الإحتفال والآخر في يوم العيد نفسه ، وعلى هذا الأساس جاء السيد دوفال عشية عيد الفطر المصادف ليوم 29 أفريل 1827 م ليؤدي زيارته للداي بمحضر جميع أعضاء الديوان ، وبعد الحفل سأل الباشا القنصل لماذا لم تجبه حكومته عن برقياته العديدة الخاصة بمطالب بكري ، فكان جواب دوفال في منتهى الوقاحة إذ جاء كالآتي : " إن حكومتي لا تتنازل لإجابة رجل مثلكم " ، فلم يتمالك الداي نفسه من الغضب وضربه بالمروحة ضربة واحدة [561] .

وفي رواية عن الداي نفسه من خلال الرسالة التي وجهها إلى الصدر الأعظم بتاريخ 19 ديسمبر 1827 م يقول : " أنه سأل القنصل دوفال لماذا لا يصلني أي رد عن الرسائل الموجهة لحكومتكم ؟ فأجابني القنصل بعبارات مهينة ، أنه لا يمكن للملك ودولة فرنسا إرسال أجوبة للرسائل التي وجهتها إليها وتجرأ على إضافة كلمات مشينة عن الدين

---

( [560]) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص ص : 163 ، 164 .

( [561]) محمد بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص : 142 .

الإسلامي وجلالة السلطان ، وبما أنه لا يسعني تحمل تلك الاهانة التي تتجاوز الحد المعقول ضربته مرتين أو ثلاثة ضربات خفيفة بالمروحة التي كانت في يدي" [562] .

كان رد فرنسا على ذلك بإرسال قطعة من أسطولها أمام الجزائر بقيادة القبطان " كولي " وقد وصلت القطعة يوم 12 جوان 1827 ، وصعد القنصل دوفال إلى السفينة المسماة لابروفانس ، وجاء كولي يطلب من الباشا أن يأتي شخصيا إلى السفينة ويعتذر من القنصل ولما كان معروفا أن الباشا لن يرضى بذلك ، فقد اشتملت تعليمات كولي على مطالب أخرى هي :

- أن يستقبل الباشا القبطان ورئيس أركانه والقنصل بمحضر الديوان والقناصل الأجانب ويعتذر أمامهم إلى دوفال [563].
- أن يرسل الداي وفدا إلى الباخرة لابروفانس لتقديم اعتذار رسمي عمّا حصل للقنصل ويتكون الوفد من وكيل الحرج ووزير البحرية وضابط الميناء وهيئة الكتاب الأربعة .
- أن تطلق المدافع 100 طلقة تحية له .
- يرفع العلم الفرنسي على قصر الداي وأبراج وحصون المدينة .

تقضي هذه التعليمات أنه في حال عدم استجابة الباشا لواحد من الإقتراحات المذكورة يعلن الحصار رسميا على الجزائر ، وقد سلّم هذا الإنذار إلى الداي من طرف قنصل سردينيا الكونت " داتيلي " الذي أصبح يرعى المصالح الفرنسية في الجزائر بعد انسحاب دوفال [564].

---

([562]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص : 131 .

([563]) أبو القـــــاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 24 .

([564]) عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص : 631 .

كان رد الداي على داتيلي : " أتساءل لماذا لا يطلب الفرنسيون مني زوجتي كذلك " وبعد انقضاء مهلة 24 ساعة ، أعلن كولي الحصار في 15 جوان 1827 م أما الداي حسين من جهته كاتب باي قسنطينة بالاستلاء على المؤسسات الفرنسية وتدميرها .

**فرض الحصار :**

كانت فرنسا عازمة على تطبيق قرار فرض الحصار، وما حادثة المروحة إلا مبرر وذريعة مفتعلة ، ويظهر ذلك من خلال الشروط التعجزية المسطرة من طرف الجنرال كولي والتي كانت الحكومة الفرنسية عى علم مسبق أنها سترفض جملة وتفصيلا ، وعند رفض الداي لهذه الشروط تقرر الحصار يوم 15 جوان 1827 .

وضعت فرنسا بندها أن الداي سيتراجع ويرضخ ، ولهذا أمرت دوفال بأن يبقى على ظهر السفينة لابروفانس على أمل أن يستجيب الداي للمطالب ، إلا أن هذا الأخير رفض رغم الحصار الذي دام 3 سنوات ، مكلفا فرنسا خسائر مالية فادحة [565] ، هذا الحصار الذي لم يهتم به الداي حسين ، كما لم يهتم به سكان مدينة الجزائر بالنسبة للسفن الفرنسية الراسية على السواحل الجزائرية ،والتي قامت بالحصار البحري موجهة مدافعها صوب المدينة ، لأنهم اعتادوا على الحمالات الأوروبية والاعتداءات المتواصلة على الجزائر والتي هاجمت السواحل خلال السنوات الماضية ، فأعتبروا الحصار البحري الفرنسي مجرد حربية سرعان ما تزول وترحل كسابقاتها تجر أذيال الخيبة والهزيمة [566] ومن أهم أسباب الحصار الفرنسي للجزائر :

---

([565]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص : 136 .

([566]) عمار هلال ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصر ( 1830 – 1966 م ) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995 م ، ص ص : 137 ، 138

- اعتقاد فرنسا أن الجزائريين سيستسلمون بسهولة، آخذة الحسبان الظروف الصعبة التي مرت بها الإيالة من كوارث طبيعية ابتداءا من القرن ،18 والتي أفقدت الجزائر أكثر من نصف سكانها .
- الوضع الذي كانت تعيشه فرنسا قبيل الحصار من فوضى واضطرابات سياسية واجتماعية فظنت أن الحصار سيشغل الرأي الفرنسي خاصة إذ انتهى بالإنتصار .
- استعادة فرنسا لهيبتها التي فقدتها في مؤتمر فيينا [567].

كانت عدة الأسطول المحاصر للجزائر يتكون من 12 سفينة ،كانت تقوم بمراقبة الموانئ الجزائرية، وكانوا يوقفون بعض السفن المشبوهة ويحتجزون بعض السفن الأخرى ، ولكن هذا الحصار لم ينه عمليات القرصنة نهائيا ، ففي 3 أكتوبر وقعت معركة بين الأسطول الجزائري المكون من 12 سفينة والأسطول الفرنسي ، وقد دامت المعركة حوالي 4 ساعات و لم تسفر عن أي نتيجة بين الطرفين [568].

كانت تكاليف الحصار باهضة سواءا من حيث تكاليف الأسطول والبالغة قيمتها سبعة ملايين فرنك سنويا ، أو من حيث الخسائر التي لحقت بالتجارة الفرنسية أو من حيث الخسائر البشرية أيضا [569] ،كل ذلك جعل فرنسا تفتح باب المفاوضات مع الجزائر هادفة بذلك إلى إلغاء الحصار بصورة مشرفة ، ففي يوم 29 أفريل 1828 م ذهبت إلى الجزائر بعثة للتفاوض بقيادة الضابط " بيزار " ولكنها فشلت بسبب رفض الداي دفع تعويضات لفرنسا ، وقد تلتها عدة مفاوضات أخرى باءت بالفشل .

ونظرا لوجود معارضة قوية في البرلمان والخسارة الاقتصادية الكبيرة التي تسبب فيها الحصار ، وكذا الظروف الدولية الحاصلة قررت الحكومة الفرنسية أن تفاوض من جديد

---

([567]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص ص : 137 ، 138 .
([568]) أبو القـــــاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 27 .
([569]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 244 .

سنة 1829 م ، فأرسلت القبطان " دين يرسيا de nerciat " إلى الجزائر في مهمة نحو الباشا حسين على أن يفتح طريق التفاوض لقائد الحصار الجديد " بريتونيير " الذي خلف كولي بعد وفاته ، وتم الإجتماع بين الباشا وقائد الحصار ، ولكن النتيجة كانت سلبية فقد طلب قائد الحصار من الباشا إرسال وفد سامي إلى باريس للإعتذار والتفاوض ، ولكن الباشا رفض وأمر على عقد الصلح قبل إرسال الوفد [570].

أثناء عودة سفينة قائد الحصار " لابروفانس " بعد الخيبة في المفاوضات أبحرت باتجاه فرنسا ، وبدلا من تأخذ طريقا مباشرا مالت كثيرا إلى الساحل واقتربت من التحصينات الحربية حتى ظن بعض القادة الجزائريين أنها تتجسس عليهم ، فأمر بإطلاق النار حولها لتبتعد و لم يكن الغرض هو تدميرها ، وإلا لما تعذر ذلك لأنها كانت قريبة جدا من مرمى المدفعية [571] ،وثم وصلت أنباء قصف الجزائريين للسفينة لابروفانس إلى الملك شارل العاشر فأغتاظ للأمر ، رغم اعتذار الداي وعزله للوزير ورئيس المدفعية [572] .

خلال هذه الفترة سقطت حكومة " مارتينياك " وخلفه " بولونياك " الذي اعتقد أنه سيجد حلا للمشكلة وذلك بتجريد حملة برية وعسكرية من الجزائر مع إشراك " محمد علي "حاكم مصر ، لكن هذا الأخير طلب من فرنسا أن تقرضه 20 مليون فرنك تدفع خلال عشر سنوات ،وأن تمنحه أربع بوارج حربية هبة كي يسعى للسيطرة على طرابلس وتونس والجزائر [573].

فشل هذا المشروع نظرا لهذه الشروط الباهضة التي فرضها محمد علي على فرنسا ، وكذا التخوف من بريطانيا والدولة العثمانية لمنع وصول الأسطول إلى الجزائر ، وعلى

---

([570]) أبو القـــــاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 29 .

([571]) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص : 146 .

([572]) المصدر نفسه ، ص : 146 .

([573]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 245 .

حسب الوثائق العثمانية أن شارل العاشر رفض أن تكون السفن الفرنسية تحت راية ملة أخرى ، وبهذا الرفض الملكي انقطعت المباحثات بين الطرفين ، وسعت فرنسا إلى تنفيذ حملتها على الجزائر بنفسها [574].

### ج. الحملة الفرنسية على الجزائر :

بعد الحصار الفرنسي على الجزائر والذي دام ثلاث سنوات ( 1827 م – 1830 م ) ،سحبت فرنسا سفنها بعدما لم تحقق النتائج المرجوة منها ، وقد كلفها الحصار خسائر مادية دون الحصول على اعتذار من طرف الحكومة الجزائرية ، فقررت ارسال حملة عسكرية إلى الجزائر في 31 جانفي 1830 م لإحتلالها بشكل مباشر ، وكانت أهداف الحملة حسب القنصل الفرنسي في لندن الدوق دوفال الذي صرح بها يوم 12 ماي 1830 م ،بأنها ترمي بشكل خاص إلى القضاء على القرصنة والإسترقاق في المتوسط ، وكذلك للتخلص من دفع الضرائب والإتاوات التي كانت تدفعها الدول الأوروبية نظير مرورها في البحر المتوسط تحت حماية الأسطول الجزائري ، وطبعا حسب ماقال بأن الحملة تهدف إلى تأديب الجزائر واسترجاع شرف فرنسا. [575]

وبعد ان تقررت الحملة عملت فرنسا على إقناع الرأي العام الداخلي والعالمي ، فأجرت عدة مباحثات واتصالات مع الدول الأوروبية تشرح لهم الدوافع التي أجبرت فرنسا على اتخاذ ذلك ، وكان الفرنسيون قد وضعوا خطة محكمة وجيدة ، فأظهرت روسيا تأيدها للعمل الفرنسي وشجعتها على ذلك ، أما بروسيا والنمسا فكانتا مسرورتين لذلك [576].

---

([574]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص : 147.

([575]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 147 .

([576]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 637 .

كما قبلت إسبانيا استعمال موانئها وإقامة مستشفى في ماهون بالبليار لعلاج المرضى والجرحى [577]، ولم تعترض سوى إنجلترا مخافة مصالحها بالبحر المتوسط وشمال إفريقيا ، فسعت جاهدة للتأثير على الجزائر وإسطنبول وأيضا باريس من أجل إيقاف هذا العمل الحربي ، أما فيما يخص دول الجوار تونس والمغرب الأقصى فقد أيدتا الحملة ضد الجزائر ، فباي تونس كان طامعا في أراضي الشرق الجزائري ، كما منع مرو " طاهر باشا " مبعوث السلطان إلى الجزائر عبر أراضيه وسمح أيضا بتموين الحملة من موانئه ومنع مرور البارود والجند الأتراك [578] ،وتوج أعماله بإرسال وفد لتهنئة " ديبرومون " بعد أن أطاح هذا الأخير بالحكومة الجزائرية ، أما المغرب الأقصى فكان مثل تونس طامعا في التوسع نحو غرب الجزائر وسمح بتموين الحملة من موانئه .

أما الدولة العثمانية فقد سعت جاهدة من أجل إيقاف الحملة ، فأرسلت " خليل أفندي " إلى الجزائر من أجل إيجاد حل للنزاع القائم بين البلدين ، إلا أنه لم يوفق فقرر الباب العالي إرسال مبعوث ثان هو " طاهر باشا " ومنحه صلاحيات واسعة في معالجة المسألة الجزائرية الفرنسية [579]، ولكن هذا الأخير منع من الدخول إلى الجزائر من طرف الفرنسيين دون حصوله على رخصة للمرور من طرف قائد الحصار ، لأجل ذلك غير طاهر باشا وجهته وقرر أن يدخل الجزائر عبر أرض تونس ، إلا أن باي تونس رفض ذلك خوفا من القوات الفرنسية وعلى إثر هذا الموقف الرافض اضطر طاهر باشا بالتوجه إلى

---

([577]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 246 .

([578]) أحمد بن أبي الضياف ، المصدر السابق ، ص : 213 .

([579]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص ص : 149 ، 150 .

فرنسا لمناقشة الوضع ، إلا أنه فشل أمام إصرار فرنسا في إرسال الحملة ، فرجع طاهر باشا إلى إسطنبول دون تحقيق أهدافه [580] .

باشرت فرنسا عملها الفعلي في الإعداد للغزو ، فبعثت الجنرال " بورمونت " قائدا عاما للجيش والأميرال " دوبري " قائدا للأسطول ، وقد تطلب الإعداد المادي حوالي 3 أشهر حشدت فيها كافة الإمكانيات اللازمة ، فبلغ عدد الجيش 30 ألف جندي و 4 ألاف حيوان [581]، وأصبح العتاد جاهزا في الأيام الأولى من شهر ماي أين تجمعت في ميناء طولون ومرسيليا حوالي مائة بارجة تمتلكها الدولة وخمسامائة سفينة تجارية ، كما جمعت كميات ضخمة من الملابس والخيام والأغطية والأغذية ، وكمية ضخمة من الخراطيش بلغت 5 ملاين خرطوشة و 280 ألف كلغ من البارود [582] ،وقد تم إحصاء أكثر من ألف وخمسين مدفعا محملة على سفن الأسطول .

كانت انطلاقة الحملة من ميناء طولون الحربي يوم 25 ماي 1830 م ووصلت طلائعها إلى الجزائر في أوائل شهر 1830 م ، فنزل الجنود بشاطئ " سيدي فرج " في 14 جوان دون أي مقاومة تذكر ومكثوا هناك 4 أيام في انتظار إمدادات أخرى. [583]

كان الداي حسين على علم بتفاصيل الحملة ، ولكنه اعتقد بأنها ستكون بحرية شأنها شأن باقي الحملات الأوروبية السابقة ، ومادامت الواجهة البحرية محصنة فلا خوف من عواقبها واعتقد أن الفرنسيين سيجنحون للتفاوض نظرا لكثرة مراسلاتهم السابقة [584]

---

([580]) سفيان صغيري ، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر ( 1671 – 1830 م ) ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة 2011 / 2012 م ، ص : 170

([581]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص ص : 638 ، 639 .

([582]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 247 .

) عمار عمورة ، موجز في تاريخ الجزائر ، ط1 ، دار الريحانة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2002 م ، ص : 14[583])

([584]) أبو القـــــاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 36 .

،وهذه الثقة هي التي منعته من تحصين سيدي فرج ، يقول حمدا خوجة : " في سيدي فرج لم تحضر المدفعية و لم تحفر الخنادق " [585] ضف إلى ذلك تعينيه للآغا إبراهيم مكان الآغا يحي الذي أعدم سنة 1828 بعد وشاية مفادها أنه يخطط للإنقلاب ضد الداي والحصول على السلطة [586] .

تولى صهر الداي الآغا إبراهيم مهمة قيادة الجيش في أوت 1829 م ، إلا أنه لم يكن بالقائد الكفئ ، حيث يقول عنه الزهار : " لم يكن قائدا ممتازا في يوم من الأيام و لم يعرف الشيئ الكثير عن التكتيك الحربي ، فقد كان مثل الحمار لا يعرف إلا الأكل والنكاح "، [587] بل أكثر من ذلك ، فبالإضافة إلى عدم قيامه بالإستعداد للحرب كان معارضا لمقترحات زملائه أمثال " الحاج أحمد " باي قسنطينة الذي نصحه بعدم تعريض الجيش كله إلى لقاء العدو ووجوب مقاومة العدو في حرب مناوشات وليس بحرب مواجهة ، إلا أن رد الآغا إبراهيم كان سلبيا ومثبطا ، فأجاب الباي بأنه لا يعرف التكتيك الحربي الأوروبي الذي يخالف التكتيك الحربي العربي [588].

لم يأخذ الآغا إبراهيم بنصيحة أحمد باي ، فكانت الهزيمة في اسطوالي يوم 19 جوان 1830 م يقول حمدان خوجة : " عندما وقعت هزيمة أسطوالي غادر الآغا المعسكر وكله يأس كما لو أنه فقد رأسه ، لقد ترك كل شيئ الخيم فرق الموسقى و جيشه بأكمله و لو أن دوبرمون سير جيشه في ذلك اليوم إلى حصن الإمبراطور لما لقي أية صعوبة " [589].

---

([585]) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص : 190 .
([586]) أبو القـــــاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 37 .
([587]) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص : 88 .
([588]) أبو القـــــاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 38 .
([589]) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص : 196 .

وبعد هزيمة اسطوالي اجتمع الداي بالبايات واتفق على تحصين حصن الإمبراطور " البرج مولاي الحسن " لمواصلة المقاومة ، إلا أن كثافة العتاد الفرنسي وقوة مدفعيته حالت دون انتصار الجزائريين ، يقول الزهار : " نصبت فرنسا مايزيد عن 200 مدفع وصارت تضرب الحصن وتهدم البرج وصار قتال كبير مات خلاله خلق كثير من الفرقين " (590) وانتهت المقاومة بعد سقوط حصن الإمبراطور يوم 4 جويلية فلم يبق للسلطة الجزائرية سوى أحد الأمرين ، إما مواصلة المواجهة و إما الاستسلام ، وكان الاستسلام قرار الداي الذي وقع عليه وفق معاهدة 5 جويلية 1830 م والتي تضمنت مايلي :

- تسليم القصبة وكل الحصون التابعة للجزائر وكذلك ميناء هذه المدينة للقوات الفرنسية هذا الصباح على الساعة العاشرة .
- يتعهد القائد العام للجيش الفرنسي لسمو داي الجزائر بأن يترك له حريته وكذا كل ثروته الشخصية .
- يستطيع الداي أن ينسحب مع عائلته وكل ثرواته الشخصية إلى أي مكان يختار الإستقرار فيه مادام مقيما في الجزائر ، فإنه يكون هو وعائلته تحت حماية القائد العام للجيش الفرنسي وستقوم فرقة من الحرس بضمان أمنه وعائلته .
- يؤمن القائد العام لجميع أفراد الميليشيا نفس الامتيازات ونفس الحماية .
- تبق ممارسة الديانة المحمدية حرّة ولن ينال من حرية السكان من جميع الطبقات ولا من ديانتهم وممتلكاتهم وتجارتهم وصناعتهم .
- إن القائد العام يتعهد بشرفه على احترام ذلك (591)

هكذا أثبتت الحملة الفرنسية مدى الضعف الذي آلت إليه الإيالة الجزائرية في هذه الفترة ، وشرع الأهالي في المقاومة بعد أن تأكد لهم سوء نية فرنسا وإخلالها ببنود الاتفاق

---

(590) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص : 174 .

(591) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 368 .

المبرم بين الداي حسين وقائد الحملة ، لتدخل الجزائر بعدها في عهد جديد خاضع للسيطرة الاستعمارية رغم المساعي الحثيثة من طرف الخلافة العثمانية لاسترجاع الجزائر ولكن دون جدوى فقد باءت جميع مساعيها الدبلوماسية بالفشل .

# خاتمة

بعد دراستنا لموضوع الصراع السياسي و العسكري بين الجزائر و الدول الأروبية في البحر الأبيض المتوسط خلال القرنين 17 و 18م توصلنا إلى عدة نتائج يمكن حصرها و عرضها في النقاط التالية :

- أن البحر الأبيض المتوسط منطقة حضارية بامتياز حيث شكل موقعه نقطة هامة في استراتيجية كل الدول المطلة عليه فهو الرابط بين ثلاث قارات وبين محيطين. وعلى ضفافه دول عظمى لها تاريخ .

- شكل البحر الأبيض المتوسط بؤرة الصراع و مركز التوتر خاصة بين الضفة الشمالية و الضفة الجنوبية ،ولعل أبرز دوافع هذا الصراع :الأهمية الجغرافية و التجارية للمتوسط كونه أهم طريق تجاري عالمي ربط بين أجزاء العالم القديم ،كما شكل أيضا منطقة صراع ديني بين المسيحية و الاسلام حيث لعب الدين دوره في تغيير موازين القوى في هذا الجزء من العالم.

- أن الصراع السياسي و العسكري على البحر الأبيض المتوسط ليس وليد الفترة الحديثة و إنما هو ضارب بجذوره في التاريخ فهو قديم قدم الحضارات التي استوطنت سواحله.

- أن ظهور الدولة العثمانية كقوة لها ثقلها و مركزها بالبحر المتوسط ،قد ساهم فيه عديد العوامل السياسية و الاقتصادية التي شهدتها منطقة الأناضول خاصة ،و أوروبا و باقي بلدان البحر المتوسط عامة.

- أن الدولة العثمانية منذ نشأتها و تأسيسها على يد عثمان بن أرطغرل ، قد اعتمدت على القوة و على السياسة الرشيدة لسلاطينها في توسيع رقعة الدولة متخذين من الإسلام هدفهم المنشود من أجل الدفاع عنه و نشره في الأقاليم الأوروبية ،و تمكنت بعد حوالي قرن و نصف من تأسيسها من أن تصبح قوة إقليمية يحسب لها ألف حساب ،خاصة و أنها وصلت بفتوحاتها إلى الجنوب الاوروبي، و كذا السيطرة الكاملة على البحر الابيض المتوسط و كافة مداخله.

- ظلت منطقة المغرب الاسلامي تتمتع بوحدتها إلى غاية القرن الثالث عشر ميلادي في ظل دولة الموحدين ،وما لبثت إلى أن إنقسمت إلى ثلاثة كيانات سياسية متصارعة ، حيث كانت الامارة الحفصية بتونس ،و الزيانية بالجزائر ،و الإمارة المرينية بالمغرب الأقصى .في حين شهدت إسبانيا تطورات هامة إزاء وحدتها عام 1467م من جراء الزواج السياسي للملك فرديناند و الملكة ايزابيلا، اللذان عملا على تصفية التواجد الإسلامي باسبانيا ،لتتواصل حروبهم و تضم احتلال السواحل الإفريقية كسبتة و مليلية و المرسى الكبير و غيرها .

- كادت إسبانيا أن تثبت أقدامها بسواحل المغرب، إلا أن بروز الإخوة بربروس في البحر المتوسط غير مسار الأحداث ،حيث استحدثوا لأنفسهم أسطولا بحريا و تمكنوا من اتخاذ جزيرة جربه قاعدة بحرية لنشاطاتهم.

- استنجاد الجزائريين بالإخوة بربروس لتخليصهم من بطش الاسبان عن طريق رسالة أوفدوها إلى السلطان سليم الأول ، حيث أثمرت جهود الأخوين على الاستقرار بمدينة الجزائر و ضمها للخلافة العثمانية كنيابة جديدة تابعة لها عام 1518م ، و بظهور هؤلاء الأخوة شهدت منطقة المغرب الإسلامي تطورات متسارعة ، تمخض عنها ميلاد دولة جزائرية فرضت نفسها كقوة جديدة و مؤثرة في تاريخ البحر

المتوسط ، حيث لعبت بذلك دورا هاما في الأحداث العالمية لهذا الحوض البحري طيلة ثلاثة قرون.

- إن الصراع السياسي و العسكري لايالة الجزائر مع القوى الأوروبية يفهم من علاقاتها الخارجية التي تراوحت بين السلم و الحرب فالدول الأوروبية كانت تحافظ على السلم في الوقت التي ترى فيه أنها ضعيفة ،أما إذا استقوت فتعلن الحرب و تنظم الحملات العسكرية.

- كانت فرنسا الدولة الأوروبية الوحيدة التي عرفت نوعا من الخصوصية في علاقاتها الدبلوماسية مع الجزائر و التي تعود إلى 1535م ،وقد اتسمت هذه العلاقة بالسلم و التعاون تارة و الحرب و القطيعة تارة أخرى .إذ تم ابرام العديد من المعاهدات التي فاقت في عددها جميع ما أبرمته الجزائر مع غيرها من الدول.

- عدم احترام فرنسا لنصوص المعاهدات المبرمة بين البلدين حيث كانت السباقة لنقضها ،فبمجرد وجود الفرصة السانحة حتى تسير حملة عسكرية ضد ايالة الجزائر ، و نخص بالذكر الحملة العسكرية التي استهدفت مدينة جيجل عام 1664م،و كذا حملتي دوكين عامي 1682م و 1683م ،و حملة المريشال دوستري عام 1688م، و الهدف المرجو من هذه الحملات هو ضرب قوة الأسطول الجزائري .

- الدور الفعال للأسطول البحري الجزائري في ردع الحملات الخارجية الموجهة ضد الجزائر، حيث واجهت الايالة بمفردها هذه الحملات دون التدخل من الباب العالي أو مساعدة من دول الجوار الذين اكتفوا بالتعبير عن رفضهم لتجاوزات الدول الأوروبية .

- أن العلاقات الجزائرية البريطانية اصطبغت بطابع السلام المشوب بالحذر ،و ذلك من أجل حماية مصالحها الاقتصادية ،حيث بلغ عدد المعاهدات المبرمة بين البلدين إلى ما يقارب 27 معاهدة.

- أن السياسة البريطانية اتجاه الجزائر كانت ترمي إلى نفس الأهداف التي كانت تسعى غريمتها فرنسا لتحقيقها . كما انتهجت بريطانيا نفس الأسلوب الفرنسي في تسيير حملات عسكرية ضد الجزائر إلا أنها أقل عددا من الهجمات الفرنسية.

- اعتراف الجزائر باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية بعدما كانت مستعمرة تخضع للنفوذ البريطاني ، و التي سعت كمثيلتها من الدول إلى إبرام معاهدات سلم و صداقة مع الجزائر من أجل حماية تجارتها في البحر الأبيض المتوسط.

- اتسمت العلاقات الجزائرية الامريكية بطابع الاستقرار إلى غاية 1812 م ،لتتحول بعد ذلك إلى توتر و خاصة بعد انتهاء الحرب الأمريكية البريطانية.

- قررت الولايات المتحدة حل مسألة الجزائر بصفة نهائية ،حيث كانت متأكدة من أنها ستجبر الجزائر على الرضوخ لمطالبها ، بسبب تدهور الأوضاع الداخلية في الجزائر نتيجة للصراع بين الدايات والإنكشارية ، فضلا عن أن الولايات المتحدة حاولت الاستفادة من قرارات مؤتمر فيينا عام 1815 م ، والذي قررت فيه الدول الأوروبية إنهاء الاعتداءات على سفنها في البحر المتوسط.

- أن العلاقات الجزائرية التونسية خضعت لمسألة الحدود مع البلدين و التي أثارتها في غالب الأحيان قبائل الحدود ،و التي انتهت في مجملها إلى تسيير حملات عسكرية برية عاد الانتصار في أغلبها إلى الجيش النظامي الجزائري.

- رفض تونس لمسألة التدخل الجزائري في الشأن الداخلي للبلاد في حين نجد هذ التدخل يكون بطلب من حكام تونس من أجل تثبيت سلطانهم ، أو حين تمتنع تونس من آداء الضريبة المفروضة عليها.

- أن هذه الصراعات الإقليمية بين البلدين قد أثرت سلبا عليهما و التي خلفت خسائر مادية و بشرية معتبرة.

- امتازت العلاقات الجزائرية المغربية بالعداء الشديد في معظم الأحيان نتيجة الخلافات المستمرة بينهما على مشكل الحدود.

- أن هذه العلاقات تخللتها فترات من السلم و التعاون المتبادل خاصة خلال القرن 17م، كما شهدت تجدد الصراع بين الدولتين لينتهي باتخاذ واد التافنة كحد فاصلا بين البلدين.

- أن الأطماع التوسعية لكل من تونس و المغرب على حساب الايالة الجزائرية قد قادتهما للاتفاق على شن هجوم موحد ضد الجزائر إلا أن هذا المخطط باء بالفشل .

- تميزت السياسة الضريبية المجحفة و تسلط الحكام ، إلى ظهور العديد من الفتن و التمردات المناهضة للسلطة كثورة ابن الاحرش و ثورة درقاوة ،و التي كادت ان تعصف بالحكم وكلفت الدولة الكثير لإخمادها .

- الدور الفعال لليهود في تأزم العلاقات الجزائرية الفرنسية و اتخاذ فرنسا من حادثة المروحة كذريعة لتمرير مشروع الاحتلال .

- فرض الحصار البحري على الجزائر بعد رفض الداي الانصياع إلى أوامر فرنسا ،و الذي دام ثلاث سنوات ،و الذي أثر على الاقتصاد الجزائري و كذا على الخزينة الفرنسية لغلاء تكاليف الحصار.

- إن الحملة الفرنسية قد قضت على سيادة الدولة الجزائرية و أثبتت مدى الضعف الذي ألت إليه هذه الايالة، لتدخل الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي عام 1830م.

و في الاخير نقول أن هذه الاستنتاجات التي خلصنا اليها لاتعدوا أن تكون مجرد أراء و نتائج قابلة للمناقشة و النقد و التعديل ، في انتظار دراسات مستقبلية مدعمة بوثائق جديدة .كما نرجو أن نكون قد وفقنا في انجاز عملنا هذا و لو بشكل جزئي .

## ملحق رقم ( 1 )

## صورة للأخوين عروج و خير الدين بربروس [592]

([592]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ، ص ص 132-134 .

ملحق رقم ( 2 )

**مدينة الجزائر في القرن 16 ميلادي** [593]

( [593]) مذكرات خير الدين بربروس ، المصدر السابق ، ص 127 .

ملحق رقم ( 3 )

**الرئيس الأمريكي جورج واشنطن [594]**

( [594]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ، ص : 117.

ملحق رقم ( 4 )

**رسالة مفاوضات بين الولايات الأمريكية و داي الجزائر** [595]

( [595]) وليام شالر ، مذكرات وليام شالر ،ص 321 .

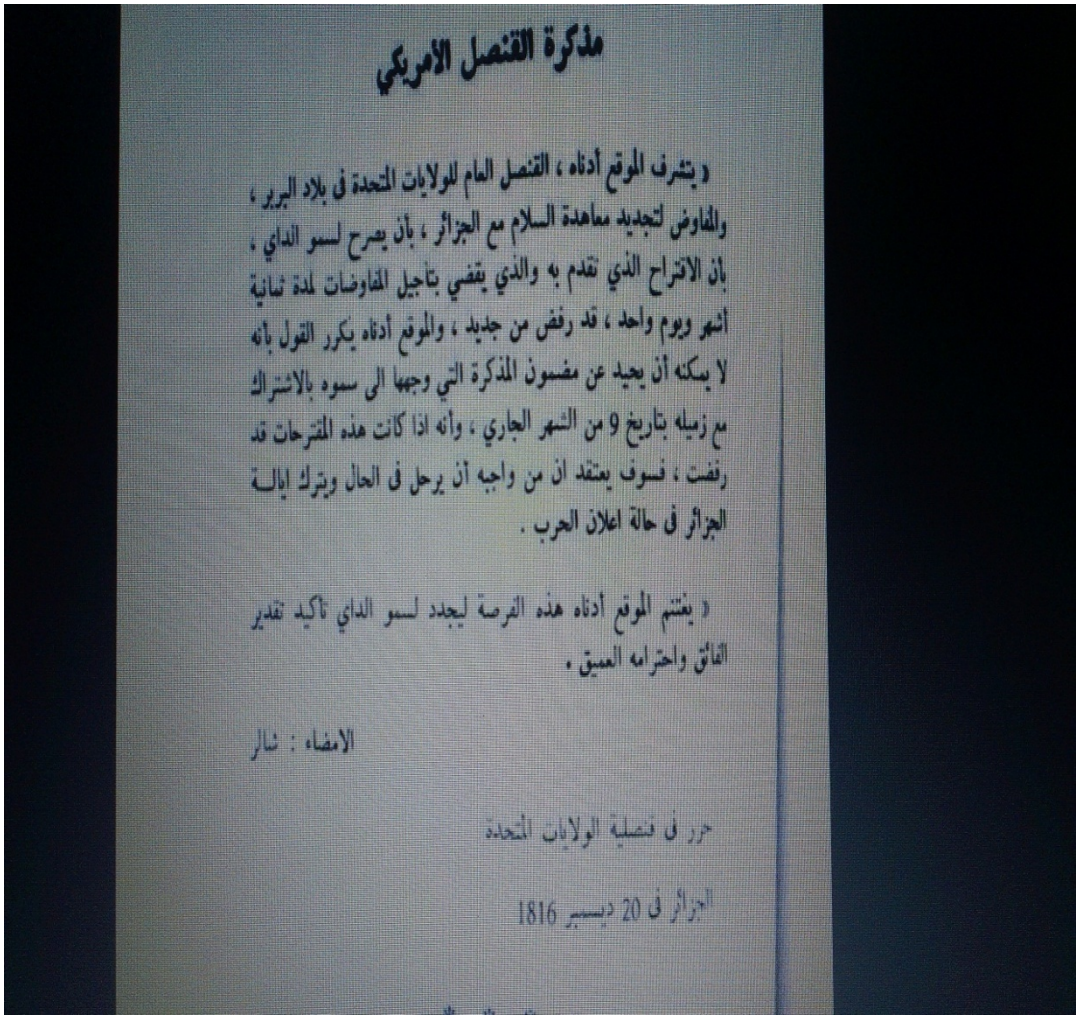

مذكرة القنصل الأمريكي

« يتشرف الموقع أدناه ، القنصل العام للولايات المتحدة فى بلاد البربر ، والمفاوض لتجديد معاهدة السلام مع الجزائر ، بأن يصرح لسمو الداي ، بأن الاقتراح الذي تقدم به والذي يقضي بتأجيل المفاوضات لمدة ثمانية أشهر ويوم واحد ، قد رفض من جديد ، والموقع أدناه يكرر القول بأنه لا يمكنه أن يحيد عن مضمون المذكرة التي وجهها الى سموه بالاشتراك مع زميله بتاريخ 9 من الشهر الجاري ، وأنه اذا كانت هذه المقترحات قد رفضت ، فسوف يعتقد ان من واجبه أن يرحل فى الحال ويترك اياله الجزائر فى حالة اعلان الحرب .

« يغتنم الموقع أدناه هذه الفرصة ليجدد لسمو الداي تأكيد تقدير الفائق واحترامه العميق .

الامضاء : شالر

حرر فى قنصلية الولايات المتحدة

الجزائر فى 20 ديسمبر 1816

ملحق رقم ( 5 )

**معاهدة سلم و صداق بين الولايات الامريكية و الجزائر** **(596)**

( [596]) مذكرات كاثكارت ، المصدر السابق ، ص 259.

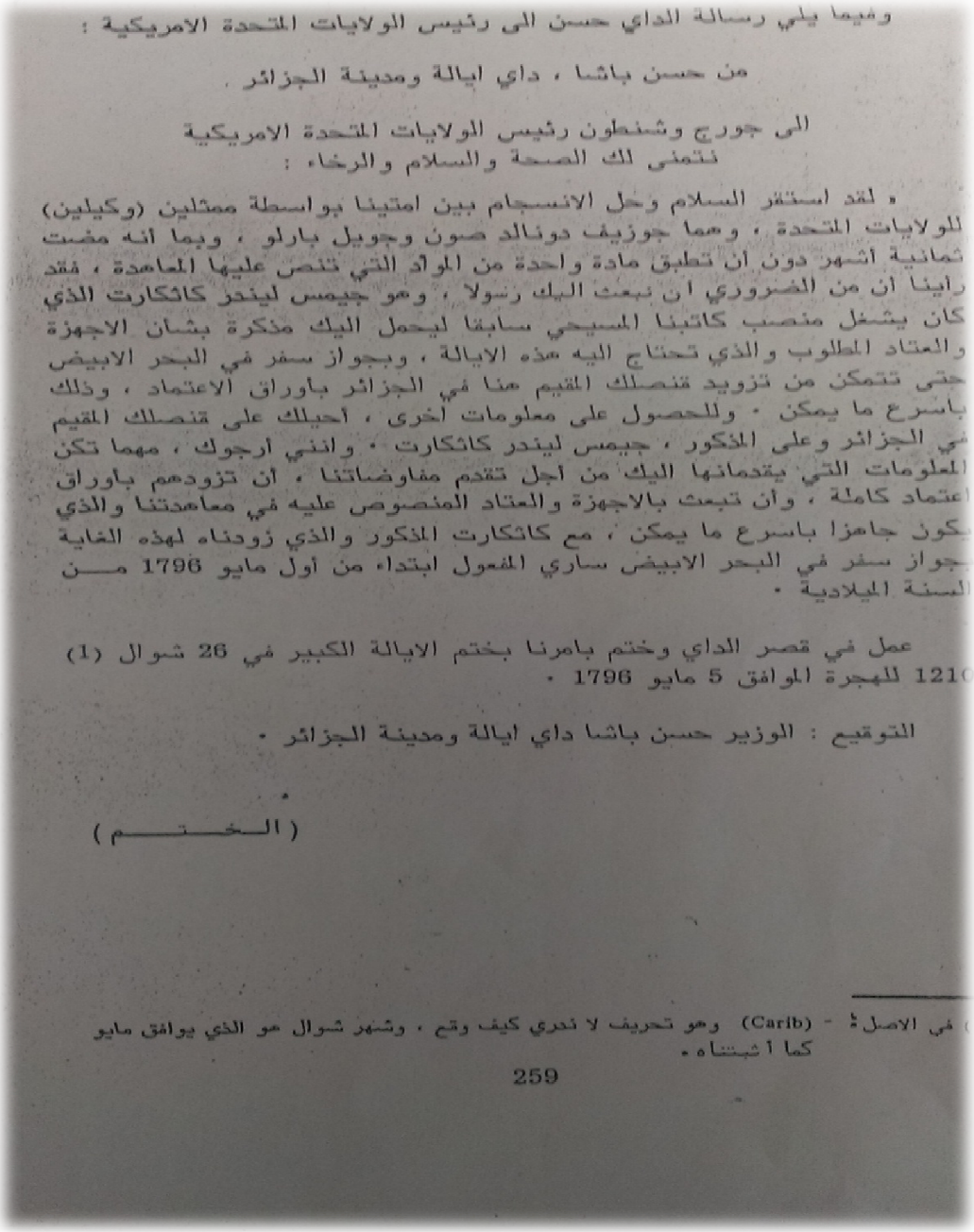

وفيما يلي رسالة الداي حسن الى رئيس الولايات المتحدة الامريكية :

من حسن باشا ، داي ايالة ومدينة الجزائر .

الى جورج وشنطون رئيس الولايات المتحدة الامريكية
نتمنى لك الصحة والسلام والرخاء :

« لقد استقر السلام وحل الانسجام بين امتينا بواسطة ممثلين (وكيلين) للولايات المتحدة ، وهما جوزيف دونالد صون وجويل بارلو ، وبما انه مضت ثمانية أشهر دون أن تطبق مادة واحدة من المواد التي تنص عليها المعاهدة ، فقد رأينا أن من الضروري أن نبعث اليك رسولا ، وهو جيمس ليندر كاثكارت الذي كان يشغل منصب كاتبنا المسيحي سابقا ليحمل اليك مذكرة بشأن الاجهزة والعتاد المطلوب والذي تحتاج اليه هذه الايالة ، وبجواز سفر في البحر الابيض حتى تتمكن من تزويد قنصلك المقيم هنا في الجزائر بأوراق الاعتماد ، وذلك باسرع ما يمكن . وللحصول على معلومات أخرى ، أحيلك على قنصلك المقيم في الجزائر وعلى المذكور ، جيمس ليندر كاثكارت . وانني ارجوك ، مهما تكن المعلومات التي يقدمانها اليك من أجل تقدم مفاوضاتنا ، أن تزودهم بأوراق اعتماد كاملة ، وأن تبعث بالاجهزة والعتاد المنصوص عليه في معاهدتنا والذي يكون جاهزا باسرع ما يمكن ، مع كاثكارت المذكور والذي زودناه لهذه الغاية بجواز سفر في البحر الابيض ساري المفعول ابتداء من أول مايو 1796 من السنة الميلادية .

عمل في قصر الداي وختم بامرنا بختم الايالة الكبير في 26 شوال (1) 1210 للهجرة الموافق 5 مايو 1796 .

التوقيع : الوزير حسن باشا داي ايالة ومدينة الجزائر .

( الختم )

(1) في الاصل : - (Carib) وهو تحريف لا ندري كيف وقع ، وشهر شوال هو الذي يوافق مايو كما أثبتناه .

259

ملحق رقم ( 6 )

**اللورد إيكسماوث [597]**

( [597]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ، ص : 203 .

ملحق رقم ( 7 )

**نص معاهدة الهدنة بين اللورد اكسماوث الانجليزي و الداي عمر باشا [598]**

( [598]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ،ج2 ، المرجع السابق ، ص : 199 .

نص المعاهدة العربي التي عقدت بين عمر باشا والبورد اكسموث .

الحمد لله .

العهد والشروط التي صارت وتمت فيما بين حضرة الجناب العلي عمر باشا متاع (74) ( كذا ) المدينة المجاهدة وبلاد الجزائر وبين حضرة الجناب العلي ادوارد بارون اكسموث كواليز ( كذا ) (75) علامة الصليب الكبير متاع ( كذا ) باشا المنسوب لاعلى الغزو وقبطان باشا على عمارة بيرق الانكلترة الازرق ، وراس حاكم على كل السفاين ( كذا ) والشقوف متاع دولة الانكليز العلية الموجودين في بحر الشرق وهذا اعتبارا وكذلك لعظم المنافع والفائدة التي اشتهرت من طرف حضرة الجناب العلي الامير الفاعل المفوض والوكيل السلطاني متاع دولة الانكلترة العلية في انتها ( كذا ) وعدم اسار (76) ( كذا ) النصارى حضرة الجناب العلي عمر باشا متاع الجزائر علامة لصدق ارادته بدوام صحبته مع دولة الانكليز العلية واشتهارا لودة وعظم اعتباره لطرف دول الاوروبة ( كذا ) قد يشهر ويبين على انه اذا امكنت وظهرت عداوة مع اي دولة كانت من دول الاوروبة لم يكون ( كذا ) احدا من الاسارا معدود تحت العبودية ، ولكن يكونوا مسجونين لاجل العداوة وينظروا لهم بكل حنان بحال اسارات الحرب ، الى ان يكونوا بالبدل كالعادة الجارية في الاوروبة في ذلك الامر ، وبعد انتهاء العداة يرسلوهم الى بلادهم من غير فداء . والعادة الاولى التي كانت تنص على اسارات النصارى متوع الحرب ، انهم يكونوا عبيدا ، فمن اليوم وقدام (77) تلك العادة المذكورة تكون باطلة ومكورة الى الابد وعلى ما دام والحق سبحانه وتعالى عالم وشاهد بذلك وهو خير الشاهدين .

هذا العهد قد تحرر ( كذا ) نسختين في المدينة المجاهدة محروسي بلاد الجزائر يوم الاثنين المبارك يوم رابع من شهر شوال سنة 1231 من الهجرة

ملحق رقم ( 8 )

## بروتوكول إيكس لاشابيل [599]

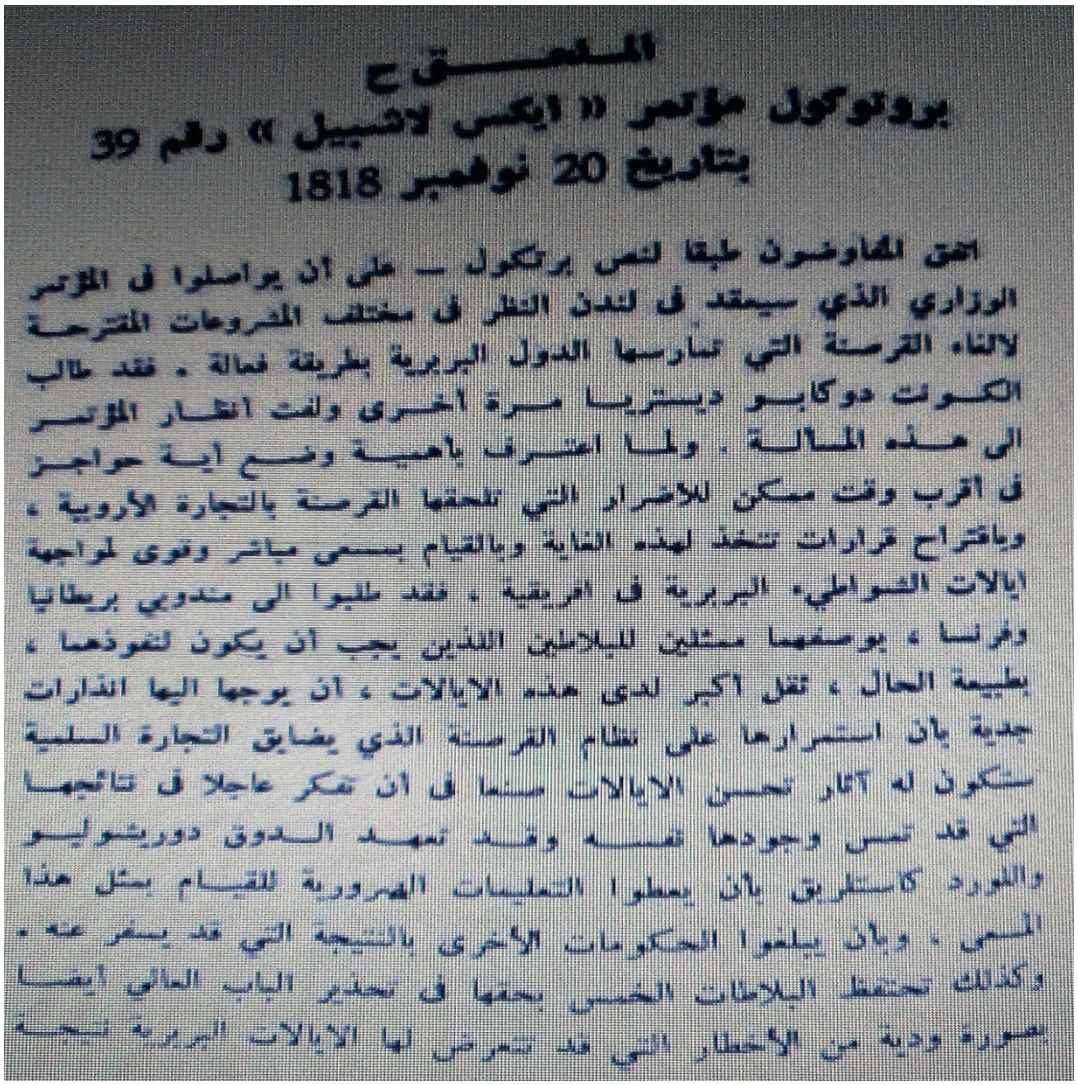

المحضر

بروتوكول مؤتمر « ايكس لاشبيل » رقم 39
بتاريخ 20 نوفمبر 1818

اتفق المفاوضون طبقا لنص بروتكول ــ على أن يواصلوا فى المؤتمر الوزاري الذي سيعقد فى لندن النظر فى مختلف المشروعات المقترحة لالغاء القرصنة التي تمارسها الدول البربرية بطريقة فعالة . فقد طالب الكونت دوكابو ديستريا مرة أخرى ولفت انظار المؤتمر الى هذه المسألة . ولما اعترف باهمية وضع اية حواجز فى أقرب وقت ممكن للاضرار التي تلحقها القرصنة بالتجارة الأوربية ، وباقتراح قرارات تتخذ لهذه الغاية وبالقيام بسعي مباشر وقوى لمواجهة ايالات الشواطيء البربرية فى افريقية ، فقد طلبوا الى مندوبي بريطانيا وفرنسا ، بوصفهما مستلين للبلاطين اللذين يجب أن يكون لتفوذهما ، بطبيعة الحال ، ثقل أكبر لدى هذه الايالات ، أن يوجها اليها انذارات جدية بأن استمرارها على نظام القرصنة الذي يضايق التجارة السلمية ستكون له آثار تحسن الايالات صنعا فى أن تفكر عاجلا فى نتائجها التي قد تمس وجودها نفسه وقد تعهد الدوق دوريشوليو واللورد كاستلريق بأن يعطوا التعليمات الضرورية للقيام بمثل هذا المسعى ، وبأن يبلغوا الحكومات الأخرى بالنتيجة التي قد يسفر عنه . وكذلك تحتفظ البلاطات الخمس بحقها فى تحذير الباب العالي أيضا بصورة ودية من الأخطار التي قد تتعرض لها الايالات البربرية نتيجة

( [599]) وليام شالر ، مذكرات وليام شالر ، ص : 323 .

ملحق رقم ( 9 )

## نص معاهدة بين اللورد اكسماوث و الداي [600]

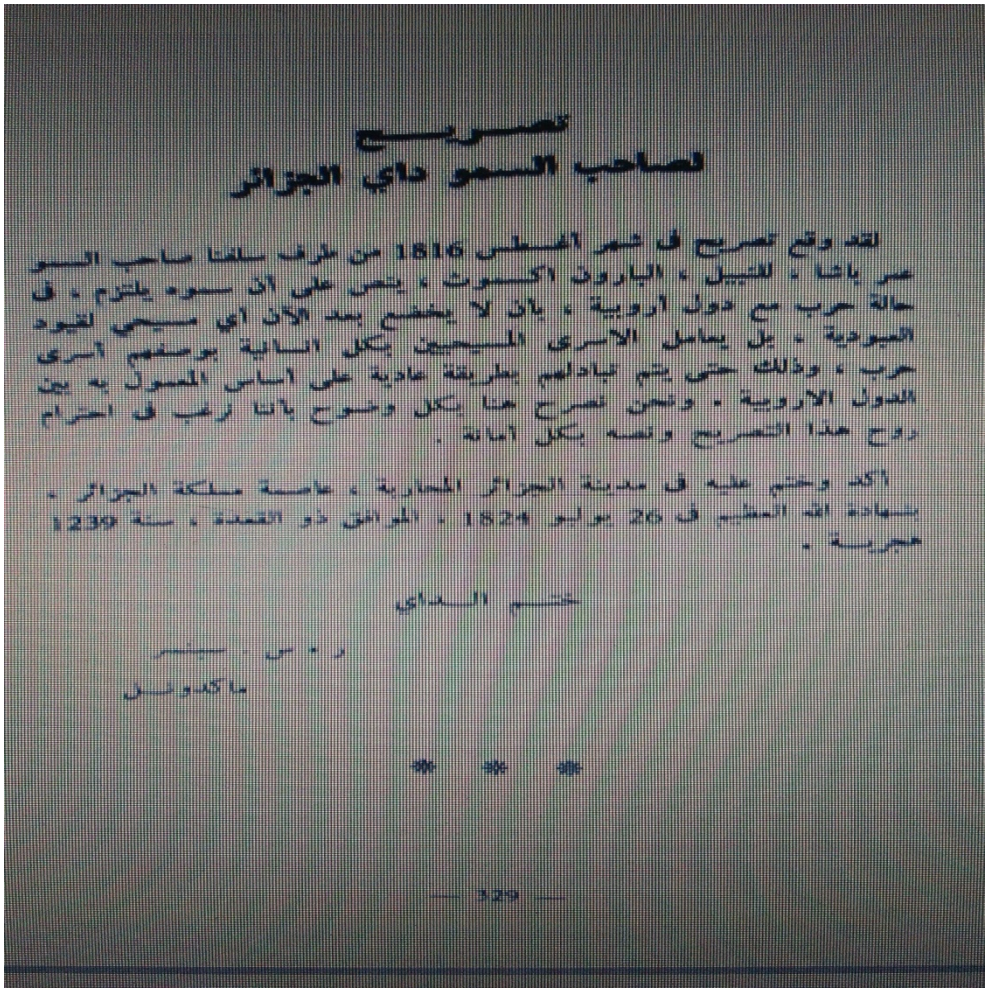

تصريح
لصاحب السمو داي الجزائر

لقد وقع تصريح في شهر افريل 1816 من طرف سلفنا صاحب السمو عمر باشا ، للنبيل ، البارون اكسموث ، ينص على أن سموه يلتزم ، في حالة حرب مع دول أوروبية ، بأن لا يخضع بعد الآن أي مسيحي لقيود العبودية ، بل يعامل الأسرى المسيحيين بكل انسانية بوصفهم أسرى حرب ، وذلك حتى يتم تبادلهم بطريقة عادية على أساس المعمول به بين الدول الاوروبية . ونحن نصرح هنا بكل وضوح بأننا نرغب في احترام روح هذا التصريح ونصه بكل أمانة .

أكد وختم عليه في مدينة الجزائر المحاربة ، عاصمة مملكة الجزائر ، بسعادة الله العظيم في 26 يوليو 1824 ، الموافق ذو القعدة ، سنة 1239 هجرية .

ختم الداي

ر . س
ماكدونل

* * *

— 329 —

---

([600]) وليام شالر ، مذكرات وليام شالر ، ص : 329.

## فهرس المصادر و المراجع:

**القرأن الكريم :** برواية ورش عن نافع.

**أ. المصادر :**


1. ابن المفتي حسين بن رجب شاوش ،تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر و علمائها،جمع و اعتناء :فارس كعوان،ط:1، بيت الحكمة،الجزائر ،2008
2. ابن حوقل أبي القاسم ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1972 م.
3. ابن خلدون عبد الرحمان ، المقدمة ، ج1 ، مر : سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 2001 م.
4. ابن سحنون أحمد بن علي الراشدي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تح : المهدي بو عبدلي ، الجزائر ، 1983 م.
5. آصاف حمزة عزتلو يوسف بك ، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الان ، تق : محمد زينهم محمد عزب ، ط : 1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1995 م.

6. الأفراني محمد الصغير بن الحاج ، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، تح : هوداس ،مطبعة أرنست لوروا ، باريس ،1889 .

7. بن أبي الضياف أحمد ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، ج2 ، لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار ، المكتبة التاريخية ، تونس ، 1963 م.

8. بن الوردي سراج الدين أبي حفص عمر ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب الجامع لما هو لطرف الدهر حور ولجيد الزمان.

9. بن عمر عماد الدين إسماعيل بن محمد المعروف بأبي الفداء صاحب حماه ، تقويم البلدان ، تص : رينود . ماك كوكسن ديسلان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1815 م .

10. التلمساني محمد بن رقية ، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة ، منشور ضمن مجلة التاريخ وحضارة المغرب ، 1967 م.

11. الجزائري محمد بن ميمون ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تق : محمد بن عبد الكريم ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 م.

12. حليم إبراهيم بك ، تاريخ الدولة العثمانية العلية المعروف بكتاب ( التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ) ، ط : 1 ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، 1988 م.

13. الحميري أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ، صفة جزيرة الأندلس ، منتخبة من كتاب الروض المعطار في أخبار الأقطار ، تع : ليفي بروفنسال ، ط2 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1988 م.

14. خوجة حسين ، ذيل بشائر أهل الإيمان بمقطوفات آل عثمان ، تر : طاهر العموري ، الدار العربية للكتاب.

15. خوجة حمدان بن عثمان ، المرآة ، تقديم وتعريب وتحقيق : محمد العربي الزبيري ، منشورات anep ، الجزائر ، 2005.

16. الراشدي ابن سحنون أحمد بن علي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تح : المهدي بو عبدلي ، الجزائر ، 1983 م.

17. الرباطي أحمد بن محمد بن عبد السلام ،تاريخ الضعيف الرباطي ، تح: محمد البوزيدي ،ج1 ، ط : 2، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء ،2007.

18. الزهري ابي عبد الله محمد بن ابي بكر ، الجغرافية وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة ومافي كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوي على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراسخ ، تر : محمد حاج صادق ، مطبعة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، مصر .

19. السليماني أبو عبد الله الأعرج ، تاريخ الجزائر من قيام الدولة الفاطمية ونهاية ثورة الأمير عبدالقادر نقلا عن كتاب الشماريخ ، تح : حساني مختار ، المكتبة الوطنية.

20. شالر وليام ، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر ( 1816 _ 1824 ) ، تع :اسماعيل العربي ، سلسلة الدراسات الكبرى ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980 م.

21. العنتري محمد صالح ، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها ( تاريخ قسنطينة ) ، تع : يحي بوعزيز ، دار هومة الجزائر ، 2007.

22. كاثكارت جيمس لندر ، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا بالمغرب ، تر: إسماعيل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982.

23. لويس أرشيبالد . ر ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ( 500 ه / 1100 م ) ، تح : أحمد محمد عيسى ، مر : محمد شفيق غربال ، مؤسسة فرانكلين للطباعة ، القاهرة .

24. مجهول ، مذكرات خير الدين بربروس ، تر: محمد دراج ، ط:1 ، شركة الاصالة للنشر ، الجزائر ، 2010.

25. المزاري بن عودة ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر ، تح : يحي بوعزيز ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1990 م.

26. المشرفي عبد القادر ، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر ، تق : محمد بن عبد الكريم ، مكتبة الحياة ، بيروت.

27. المغربي أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، تر : اسماعيل العربي ، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982م.

28. الناصري أبو الراس الجزائري ، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار،تح:بوركبة محمد ،ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ،2012.

29. الناصري أبي العباس أحمد بن خالد ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ،تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج6، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955 .

30. النصيبي ابن حوقل ابي القاسم ، صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1992.

31. الوجار محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الأفراني النجار المراكشي ، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، تح : هوداس ، مطبعة آنجي ، 1988 م.

32. الوزان حسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الافريقي ، وصف إفريقيا ، تر:محمد حجي، محمد الاخضر،ج2 ،ط:2 ،دار الغرب الاسلامي، بيروت ، لبنان،1983.

**ب.المراجع**

1. أباظة فاروق عثمان ، أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر و عالم البحر المتوسط أثناء القرن 16، دار المعارف، ط2، القاهرة.

2. أبو عيانة فتحي أحمد ، الجغرافيا الاقتصادية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1984 م.

3. التازي عبد الهادي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم.

4. ألتر عزيز سامح ، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا ،تر: محمود علي عامر، ط:1،دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان،1989.

5. آيدين محمد عاكف ، كمال بكديلي وآخرون ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، مج 1 ( الدولة والمجتمع والاقتصاد ) ،ت: صالح سعداوي، تق : أكمل الدين إحسان أوغلي ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، إسطنبول ، 1929 م.

6. اينالجيك خليل ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ، ت: محمد . م. الأرناؤوط ، ط : 1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2002 م.

**7.** باربارو نيقولو ، الفتح الإسلامي للقسطنطينية ( يوميات الحصار العثماني سنة 1453 م ) ، ت : حاتم عبدالرحمان الطحاوي ، ط : 1 ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة .

**8.** بايات فاضل ، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني ( رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية ) ، ط : 1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2003 م.

**9.** براون جفري ، تاريخ أروبا الحديث ، تر: علي المزروقي ، ، الاهلية للنشر و التوزيع ، عمان.

**10.**بن أشنهو عبد الحميد بن أبي زيان ، دخول الأتراك العثمانين إلى الجزائر ، دط ، الجزائر ، 1972.

**11.** بنحادة عبد الرحيم ، العثمانيون ( المؤسسات والاقتصاد والثقافة ) ، تق : عبد الرحمان المودن ، ط : 1 ، دار النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 2008.

**12.**بوحوش عمار ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962 م ، ط :2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2005 م .

**13.**بوعزيز يحي ، الموجز في تاريخ الجزائر ( العصور الحديثة ) ، ج2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007 م.

**14.**بوعزيز يحي ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا ( 1500 _ 1830 م ) ويليه المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد ( 1780 _ 1798 ) ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009 م .

**15.**بيضون جميل و الناظور شحادة و عكاشة علي ، تاريخ العرب الحديث ، ط1 ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الأردن.

**16.**بيضون جميل و شحادة الناظور وعلي عكاشة ، تاريخ العرب الحديث ، ط1 ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الأردن.

**17.**جاويش سليمان بن خليل بن بطرس ، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية ، ط 1 ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1987 م .

**18.**الجمل شوقي عطا الله ، المغرب العربي الكبير ( تونس _ الجزائر _ المغرب ) ، ط : 1 ، المكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1977.

**19.**الجمل شوقي عطا الله و ابراهيم عبد الله عبد الرزاق ، أوروبا من عصر النهضة إلى الحرب الباردة ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، 2000م.

**20.**جود جودة حسين و هارون علي أحمد ، جغرافية الدول الإسلامية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1993 م.

**21.**الجوهري يسرى ، جغرافية البحر المتوسط ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1984 م.

**22.**الجوهري يسرى عبد الرزاق ، الكشوف الجغرافية ( دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية ولتطور الفكر الجغرافي ) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1984 م.

**23.**الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام ،ج 3 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2010 .

**24.**الجيلالي عبد الرحمان بن محمد ، تاريخ الجزائر العام ، ج 4 ، دار الأمة ، الجزائر.

**25.**حركات إبراهيم ، المغرب عبر التاريخ ( عرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ماقبل الإسلام إلى العصر الحاضر من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية ) ج3 ، ط2 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1994 م.

**26.**حسن محمد إبراهيم ، دراسات في جغرافية أوروبا وحوض البحر المتوسط ، مركز الاسكندرية للكتاب ، القاهرة ، 1999 م.

**27.**حسين نمير طه ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ط : 1 ، دار الفكر ، المملكة الأردنية الهاشمية ، عمان ، 2010 .

**28.**الحليمي علي عبد القادر ، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830 م ، ط :1 ، المطبعة العربية ، دار الفكر الإسلامي ، الجزائر ، 1972 م .

**29.**حنفي هلايلي ، العلاقات الجزائرية الاروبية و نهاية الايالة ( 1815- 1830 ) ، ط1 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2007.

**30.**الحويري محمود محمد ، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى ، ط : 1 ، المكتب المصري للتوزيع ، القاهرة .

**31.**الخراشي سليمان بن صالح ، كيف سقطت الدولة العثمانية ، ط : 1 ، دار القسم ، الرياض السعودية ، 1420 ه .

**32.**الدغيم محمود السيد ، أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية ( الحضارة الإسلامية وعالم البحار ) ، منشورات إتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، 1994 م .

**33.**دوكريه فرانسوا ، قرطاجة الحضارة والتاريخ ، تر : يوسف شلب الشام ، مكتبة الأسد ، دار طلاس ، دمشق ، 1994 م.

**34.**راي أروين ، تاريخ العلاقات الدبلوماسية الأمريكية المغربية ، تر : اسماعيل العربي، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.

**35.**رفعت بك محمد ، التيارات السياسية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ملتزمة الطبع للنشر ، لجنة البيان العربي .

**36.**رمضان عبد العظيم ، تاريخ أوروبا و العالم الحديث من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة ،ج 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

**37.**ريمون أندريه ، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني ، تر : لطيف فرج ، ط : 1 ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1991 م.

**38.**الزبيري محمد العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابين ( 1792 – 1830 ) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1972 م.

**39.**الزوكة محمد خميس ، قارات العالم القديم ( دراسة في الجغرافيا الإقليمية ) ، ط1 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2008 م.

**40.** سبنسر وليام ، الجزائر في عهد رياس البحر، تع و تق : عبد القادر زبادية ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ، 1980.

**41.**سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ( 1500 – 1830 ) ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1998 م .

**42.**سعد الله أبو القاسم ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ( بداية الإحتلال ) ، ط3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 م.

**43.**سعد الله أبو قاسم ، أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر ،ج1، دار البصائر ، الجزائر ، 2007

**44.**سعيدوني ناصر الدين ، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية ( الجزائر تونس طرابلس المغرب ) ، ط2 ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013

**45.**سعيدوني ناصر الدين ، ورقات جزائرية ( دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ) ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2000 م.

**46.**الشريف محمد الهادي ، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال تع : محمد شاوش ، محمد عجينة ، ط3 ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993 م.

**47.**شريف محمد شريف ، جغرافية البحار والمحيطات ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1964 م.

**48.**شوفالييه كورين ، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر ( 1510 _ 1541 م ) ، تر : جمال حمادنة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007 م.

**49.**صبري محمد ، تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلي اليوم ، ط1 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1926 م.

**50.**الصلابي علي محمد محمد ، الدولة العثمانية ( عوامل النهوظ وأسباب السقوط ) ، ط : 1 ، دار التوزيع النشر الإسلامية ، مصر ، 2001 م.

**51.**طقوش سهيل محمد ، العثمانيون من قيام الدولة إلى الخلافة ( 1299 _ 1924 م ) ، ط1 ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، 1915.

**52.**عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي ( 1517 _ 1830 م ) ، ط 2 ، دار هومة ، الجزائر ، 2007 م.

**53.**عبد العزيز زينب ، مائتا عام على حملة المنافقين الفرنسين ، كومبيوتر ستار ، مصر ، 1988 م .

**54.**عبد القادر نور الدين ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر منذ أقدم العصور إلى إنتهاء العهد التركي ، نشر كلية الأدب الجزائرية ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1985 م.

**55.**عبده طلعت أحمد محمد ، جاد الله حوري محمد حسين ، جغرافية البحار والمحيطات ، ط2 ، دار المعرفة الجامعية .

**56.**عزت أحمد عبد الكريم ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت

**57.**العسيلي بسام ،خير الدين بربروس و الجهاد في البحر، ط:1، دار النفائس ،بيروت،1980.

**58.**عطا زبيدة ، بلاد الترك في العصور الوسطى ( بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون ) ، دار الفكر العربي ، الكويت .

**59.**عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ اروبا الحديث ومعاصر1815-1919 ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ،2000.

**60.**عمورة عمار ، موجز في تاريخ الجزائر ، ط1 ، دار الريحانة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2002 م.

**61.**العيسوي فايز محمد ، الجغرافيا السياسية المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2011 م.

**62.**غطاس عائشة وآخرون ، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 م ، سلسلة المشاريع الوطنية ، الجزائر ، 2007 م.

**63.**غلاب محمد السيد ، الساحل الفينيقي في الجغرافيا والتاريخ ، ط1 ، دار العلم للملاين ، بيروت ، لبنان ، 1969 م.

**64.**فريجريف جيمس ، الجغرافيا والسيادة العالمية ، تع : علي رفاعة الأنصاري ، مر : محمد عبد المنعم الشرقاوي ، مكتبة النهضة المصرية ، 1956 م .

**65.**فكاير عبد القادر ،الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية و أثاره (910-1206ه /1505-1792م )، دار هومه ، الجزائر ، 2012م .

**66.**الفليج أحمد عبدالله ، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية ، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر ، الكويت ، 1984 م.

**67.**الفندي جمال ، الجغرافيا عند المسلمين ، تر : إبراهيم خورشيد و عبد الحميد يونس وحسن عثمان ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 م.

**68.**الفيلالي عبد الكريم ، التاريخ السياسي المغرب العربي الكبير ،ج4 ، ط: 1، شركة الناس للطباعة،القاهرة ،2006 .

**69.**الفيلالي عبد الكريم ، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير ، ج5 ، ط1 ، شركة فاس للطباعة ، القاهرة ، 2006 م .

**70.**قايد عمر ، محاضرات في تاريخ الجزائر المعاصر ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، 2014 / 2015 م .

**71.**قنان جمال ، معاهدات الجزائر مع فرنسا ( 1619 _ 1830 ) ، دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2010 .

**72.**قنان جمال ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث ( 1500 – 1830 م ) ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، 2010 م.

**73.**القوزي محمد علي ، العلاقات الدولية في التاريخ الحديث و المعاصر ، دار النهضة الحديثة ، ط1 ، 2002 ، بيروت.

**74.**الكعاك عثمان ، موجز التاريخ العام للجزائر ، ( من العصر الحجري إلى الإحتلال الفرنسي ) ، تق و مر : أبو القاسم سعد الله ، ناصر الدين سعيدوني ، محمد البشير الشنيتي ، إبراهيم بحاز ، ط 1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 2003 م.

**75.**لويس برنارد ، اسطنبول وحضارة الخلافة الإسلامية ، تع : سيد رضوان علي ، ط : 2 ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، السعودية ، 1982 م .

**76.**مانتران روبير ، الدولة العثمانية ، تر : بشير السباعي ، ج : 1 ، ط : 1 ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1993 م.

**77.**ماهر ساعد ، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، الجيزة ، مصر ، 1967 م .

**78.**المحامي محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العثمانية العلية ، تح : إحسان حقي ، ط : 1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1981 م.

**79.**محمد امين محمد و الرحماني محمد علي ، المفيد في تاريخ المغرب ، دار الكتاب.

**80.**محمود علي عامر ومحمد خير فارس ، تاريخ المغرب العربي الحديث « المغرب الأقصى - ليبية » ، حقوق التأليف منشورات لجامعة دمشق، 1999.

**81.**المدني أحمد التوفيق ، هذه هي الجزائر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 2002 م.

**82.**المدني أحمد توفيق ، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر و إسبانيا ،ط :1، دار البصائر ،الجزائر

**83.**مصطفى أحمد عبد الرحيم ، أصول التاريخ العثماني ، ط : 1 ، دار الشروق ، مصر ، 1982 م.

**84.** الميلي مبارك بن محمد الهلالي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج 3 ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر.

**85.**نآيت بلقاسم مولود قاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830 م ، ج2 ، ط2 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2007 م.

**86.**نصار مدوح و وهبان احمد ، التاريخ الدبلوماسي العلاقات السياسية بين القوى الكبرى.

**87.**نوار عبدالعزيز سليمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة.

**88.**الترمانيني عبد السلام ، أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين ،ج 4،ط : 1 ،1997.

**89.**هاشم هشام سوادي ، تاريخ العرب الحديث ( 1516 _ 1918 م ) من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ط 1 ، دار الفكر المملكة الأردنية ، عمان ، 2010 م.

**90.**هريدي محمد عبد اللطيف ، الحروب العثمانية الفارسية و أثرها في انحصار المد الإسلامي عن أوروبا ، ط : 1 ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1987 م.

**91.**هلال عمار ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصر ( 1830 – 1966 م ) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995 م

**92.**الوذيناني خلف بن ديلان بن خضر ، الفتح العثماني لجزيرة رودس ( 929 ه _ 1523 م ) ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، السعودية ، 1997 م

**93.**وولف ب. جون ، الجزائر وأوروبا ( 1500 – 1830 م ) ، تر : أبو القاسم سعد الله ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009 م

**94.**الياغي إسماعيل أحمد ، العالم العربي في التاريخ الحديث ، ط : 1 ، المكتبة العربية ، الرياض ، 1997 م

**95.**الياغي اسماعيل أحمد و شاعر محمود ، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ( قارة إفريقيا ) ، ج2 ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، 1993 م.

**96.**يحي جلال ، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، 1983م.

**ج . الرسائل و الأطروحات :**

**1.** برد رتيبة ، الحوار المتوسطي من برشلونة إلى منتدى 5+5 ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، جامعة الجزائر ، 2009 / 2010 م .

2. بن خروف عمار ، العلاقات بين الجزائر والمغرب ( 923 _ 1069 ه / 1517 _ 1659 م ) ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق ، 1983 م.
3. بن سعيدان محمد ، علاقات الجزائر مع فرنسا ( 1070 _ 1170 ه / 1659 _ 1756 م ) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2011 م / 2012 .
4. التميمي عبد الجليل ، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519 م ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 6 ، تونس ، جويلية 1976 م.
5. حصام صورية ،العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة وهران ، 2012 – 2013 م
6. حمزة فائقة محمد ، أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 1989 م.
7. خرنف مبروكة ، العلاقات التونسية الفرنسية سياسيا – تجاريا خلال القرن 17 ( 1605 – 1705 م) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2011 – 2012 م.
8. دهان بركاهم ، دور القناصل الفلرنسين في العلاقات الجزائرية الفرنسية ( 1689 م _ 1789 م ) ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2012 م.

**9.** صغيري سفيان ، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر ( 1671 – 1830 م ) ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة 2011 / 2012 م.

**10.** العايب كوثر ، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات ( 1711 – 1830 ) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الوادي ، 2013 – 2014 م.

**11.** عطلى محمد الأمين ، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 11 ، 2012 .

**12.** مريخي رشيد ، الجزائر في عهد الداي مصطفى باشا ( 1212 – 1220 ه / 1798 – 1805 م ) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، 2010 – 2011 م.

**13.** نواصر عبد الرحمان ، مسألة الديون الجزائرية على فرنسا وانعكساتها على العلاقات البلدين في أواخر عهد الدايات ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2010 – 2011 م.

**د. الموسوعات :**

**1.** الجميعي عبد المنعم إبراهيم ، الدولة العثمانية والمغرب ، موسوعة الثقافة التاريخية و الأثرية والحضارية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2006 م.

**2.** الزيدي مفيد ، موسوعة التاريخ الإسلامي " العصر العثماني " ( 1516 م _ 1916 م ) ، دار أسامة للنشر ، عمان ، 2003 م.

3. عيد عاطف ، قصة وتاريخ الحضارات العربية ( أول موسوعة حديثة تعالج نشأة البلدان العربية وأحداثها حتى أيامنا هذه ) ج 21 – 22 ، 1998 - 1999 م.

4. ش . بدران ، أطلس دول العالم الكبير ،بيروت ،لبنان ،1999.

**ه. المجلات :**

1. بن القايد عمر ، أضواء على علاقة الجزائر بالمغرب الأقصى ، مجلة الواحة للبحوث و الدراسات ، جامعة غرداية ، العدد17، 2012.

2. بوشنافي محمد ، الداي حسين و سقوط الايالة الجزائرية ( 1818-1830 )، مجلة العصور ، العدد 6-7.

3. جبور محمد ، البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني ، مجلة العصور ، العدد 12-15-14/13،جامعة وهران ، 2008 -2009.

4. زهرة زكية ، الاميرال سدناي سميث و التحالف الاروبي المسيحي ضد الجزائر عام 1814م ، مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة الجزائر، 2، العدد 15 – 16 ،2012 / 2013م.

5. العربي اسماعيل ،المعاهدات الجزائرية الأمريكية، مجلة الثقافة،الجزائر،السنة السابعة العدد40،اوت –سبتمبر1977.

**و. المراجع باللغة الاجنبية :**

- . Grammont (H.D) :Histoire d’Alger sous la domination turque (1515-1830), Ernest Leroux ,paris, 1887.

- Devoulx (A): Tachrifat , Recueil d notes histiorique sur l'administration de l' ancienne régence d'Alger , Alger, 1852.

- Don Diego de Haedo , topographie,et histoire générale d’alger , traduit a léspagnol par monnereau et berbrugger, 1870.

-Ferdinand Broudel , - la mediterané et le mond méditeranien a l’époyue de phlipe tom : 02 , paris , 1976.

- Jean alengry,les relations franco-espagnoles et l 'affaire du maroc,la vie universitaire,paris.

# فهرس

**مقدمة** ..... **( أ – ز)**

**فصل تمهيدي :** الأهمية التاريخية والحضارية والاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط (10-25**)**

الأهمية التاريخية والحضارية للبحر الأبيض المتوسط ..... 16
الأهمية الاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط ..... 21

**الفصل الأول :** الأتراك العثمانيون و البحر الأبيض المتوسط ..... ( 27 – 71)

**المبحث الأول :** الدولة العثمانية كقوة ناشئة في البحر المتوسط ..... 27

**المبحث الثاني :** الإخـــــــوة بربروس
..... 42

العثمانيون في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ..... 49

**المبحث الثالث :** التحاق الجزائر بالخلافة العثمانية ..... 52

1. الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية ..... 55
2. الاستنجاد بالأخوين بربروس وإعلان التبعية للخلافة العثمانية ..... 61
3. رسالة الأهالي إلى السلطان سليم الأول وإعلان التبعية ..... 67

**الفصل الثاني :** العلاقات الخارجية لايالة الجزائـــــــــــــر ..... ( 73 – 124 )

**المبحث الأول :** العلاقات الجزائرية الفرنسية ..... 75

1. مظاهر تأزم العلاقات الجزائرية الفرنسية ..... 82

2. الحملات الفرنسية ضد الجزائر ..... 82
**أ.** حملة دي بوفورت على جيجل ( 1074 ه / 1664 م ) ..... 82
**ب.** حملة دوكين الأولى والثانية ..... 86
**ج.** حملة الماريشال ديستري " رجب 1100 ه / 26 جويلية 1688 " م ..... 89

**المبحث الثاني :** العلاقات الجزائرية الإنجليزية ..... 91
**المبحث الثالث :** العلاقات الجزائرية الأمريكية ..... 100
**المبحث الرابع :** العلاقات الجزائرية المغاربية ..... 108
**أ.** مع تونس : إنظمام تونس للخلافة العثمانية ..... 108
**ب.** العلاقات السياسية بين إيالتي الجزائر وتونس ..... 111
**ج.** مع المغرب ..... 117

**الفصل الثالث** تداعيات وانعكاسات الصراع السياسي والعسكري على الجزائر ( 126 – 171 )

**المبحث الأول :** ظهور الفتن والأزمات الداخلية ..... 126
**1.** ثورة ابن الأحرش في شرق البلاد ..... 126

**2.** ثورة درقاوة في الغرب الجزائري ..... 132

**المبحث الثاني :** المؤتمرات الأوروبية والقضية الجزائرية ..... 137

**1.** مؤتمر فيينا ..... 137

**أ.** مسار المؤتمر ..... 141

**ب.**تقييم المؤتمر ..... 142

**2.** مؤتمر اكس لاشابيل ..... 143

**3.** مؤتمر تروباو ..... 145

**المبحث الثالث :** الحملات الأوروبية على الجزائر مطلع القرن 19 م وانعكساتها ..... 149

- حملة اللورد اكسماوث ..... 149

**المبحث الرابع :** الحصار الفرنسي والحملة على الجزائر ( 1827 – 1830 م ) ..... 157

- فرض الحصار ..... 162
- الحملة الفرنسية على الجزائر ..... 164

**خاتمة** ..... 172

**ملاحق**

صورة للأخوين عروج و خير الدين بربروس .....
178
مدينة الجزائر في القرن 16 ميلادي .....
179
الرئيس الأمريكي جورج واشنطن .....
180
رسالة مفاوضات بين الولايات الأمريكية و داي الجزائر .....
181
معاهدة سلم و صداق بين الولايات الامريكية و الجزائر .....
182
اللورد إيكسماوث .....
183
نص معاهدة الهدنة بين اللورد اكسماوث الانجليزي و الداي عمر باشا .....
184
بروتوكول إيكس لاشابيل .....
185
نص معاهدة بين اللورد اكسماوث و الداي .....
186
قائمة المصادر والمراجع
**188**.....
الفهرسة العامة
207.....

**الجمهوريـــــــة الجزائريـــــــــة الديمقراطيـــــــة الشعبيـــــة**

**وزارة التعليم العالي والبحث العلمي**

**جـــــــــــامعة ابـــــن خـــلدون – تيـــــــــارت –**

**كليـــــة العلـــوم الإنسانيـــــــة والعلـــــــوم الإجتماعيـــة**

**قسم التاريخ**

# الصراع السياسي والعسكري في البحر الأبيض المتوسط بين الجزائر والقوى الأوروبية خلال القرنين ( 17 – 18 م )

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

**إعداد الطالبين :**

ربوح حكيمة

بوعمرة لجيلالي **إشراف الأستاذ :** بكاري عبد

القا

**اللجنة المناقشة**

**أ / بن حادة مصطفى..... قسم العلوم الإنسانية ..... رئيسا**

**أ / بكاري عبد القادر.....قسم العلوم الإنسانية .....مشرفا ومقررا**

**أ / بو سلامة محمد .....قسم العلوم الإنسانية .....مناقشا**

**2016 – 2017 م / 1437 – 1438 هـ**

# إهداء

**بســـــــــــــــم الله الرحمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــان**

**الرحيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــم**

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه سبحانك لا نحصي الثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، فلا حصرا لنعمتك ،ولا حدود لفضلك، الحمد لله الذي أنار لنا دروب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب.

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقهما

إلى من لا يمكن للأرقام أن تحصي فضائلهما

إلى **والدي العزيزين** أطال الله بقاءهما، وألبسهما ثوب الصحة والعافية، ومتعني ببرهما ورد جميلهما.

إلى كل الأصدقاء والأحباب من دون استثناء ... إلى كل من سقط من قلمي سهوا ... أهدي هذا العمل .

**بوعمرة جيلالي**

# إهداء

**بســـــــــــــــــم الله الرحمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــان**

**الرحيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــم**

**(( قُل إِعمَلوا فَسَيَرَى الله عَمَلَكُمْ وَرَسُوله وَالمؤُمنون ))**

إلاهي... لايطيب الليل إلا بشكرك... ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ... ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ... ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ... ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك

**" لله جلى وعلى "**

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ... إلى نبي الرحمة ونور العالمين

**" سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم "**

إلى التي رسمت بحنانها طريقي ولا تزال ... وكللت بدعائها سماء حياتي ولا تزال إلى الدرة الكامنة في قلبي **" أمـــــي "**

إلى الذي سعى في تربيتي جاهدا صابرا في كسب العيش ، حتى يمكنني من التفرغ للطلب العلم إلى **" روح أبي الطاهر "**

إلى كل الأصدقاء والأحباب من دون استثناء ... إلى أساتذتي الكرام وكل رفقاء الدراسة ... إلى كل من سقط من قلمي سهوا ... أهدي هذا العمل .

**ربوح حكيمة**

# شكر وتقدير

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة ، وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى انجاز هذا العمل

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على انجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهناه من صعوبات ، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف **" بكاري عبد القادر "** الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام هذا البحث

وشكر موصول إلى أعضاء اللجنة المناقشة التي تحملت عناء قراءة هذا البحث بطول بال وجميل صبر ...

الأستاذ : **بن صحراوي كمال**

الأستاذ : **بن خدة مصطفى**

كما نتقدم بالشكر إلى عمال مكتبة جامعة ابن خلدون _ تيارت _ على المساعدة التي قدموها لنا طيلة مشوار انجاز هذا البحث.

وفي الأخير أرجو من الله تعالى أن يجعل عملنا هذا نفعا يستفيد منه جميع الطلبة المقبلين على التخرج .

# مقدمة

**التعريف بالموضوع و أهميته :**

كان للتواجد العثماني في الجزائر دورا هاما في بروز معالم الحيز الجغرافي للدولة الجزائرية الحديثة التي ظهرت بتنظيم جديد أكثر قوة و فاعلية ، أين تحكمت في ظهورها عديد العوامل السياسية و الدينية الناجمة عن الرغبة الشديدة في توحيد العالم الإسلامي .و إحياء مجد الخلافة الإسلامية ،و حماية جناح مهم من أجنحة هذه الأمة و هي بلاد المغرب الإسلامي المهددة بالتنصير القسري مثلما حدث ببلاد الأندلس ،فكان للالتحاق بالخلافة العثمانية عام 1518م إيذانا على ميلاد دولة كان لها شأن عظيم في الحوض الغربي من البحر المتوسط ، و اكتسبت من الهيبة و السيادة ما أهلها لأن تحتل مكانة عالمية مرموقة .

بعد استكمال الدولة الجزائرية بناءها المؤسساتي كدولة كاملة السيادة و تحقيق الوحدة السياسية و الإقليمية ، بدأ دورها الحضاري في البروز كقوة فاعلة في البحر المتوسط ،ساعدها في ذلك قوة أسطولها البحري الذي شكل أهم مظاهر سيادتها ،ما أدى بالدول الأوروبية إلى الإسراع في إقامة علاقات دبلوماسية و تجارية مع الجزائر، و دفع ضرائب و هدايا معتبرة مقابل حماية مصالحها و سفنها التجارية من خطر القرصنة التي استفحل نشاطها بالبحر ،إلا أن هذا التفوق العسكري البحري للايالة جعلها مستهدفة من طرف القوى الأوروبية، أين ناصبت لها العداء و عملت دون هوادة من أجل كسر شوكتها و تقليص دورها و مكانتها بالبحر ، و في هذا السياق بالتحديد تندرج دراستنا الموسومة ب: « الصراع السياسي و العسكري بين الجزائر و الدول الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط خلال القرنين 17 و 18م » .

من أجل تسليط الضوء على هته الفترة الحساسة من تاريخ الجزائر الحديث و تحسس مدى الخطورة التي كانت فيها الجزائر وسط دول تسعى كلها من أجل التسيد و الهيمنة ،

و كمحاولة منا أيضا لفهم حيثيات هذا الصراع و كذا معرفة الأطراف الفاعلة فيه ،و مدى إسهامها في صياغة أحداثه و كيف تمكنت في نهاية المطاف من الإطاحة بدولة عمرت قرابة ثلاث قرون من الزمن.

**الهدف من البحث :**

- أن موضوع الصراع السياسي و العسكري مقترن بمكانة و هيبة الدولة الجزائرية ،لذلك دفعتنا الرغبة على أن نطلع على عوامل اكتساب هذه المكانة و كذا عوامل فقدانها.
- أن موضوع الصراع السياسي و العسكري بين الجزائر و الدول الاوروبية مقترن أيضا و بشكل وثيق بما حل بالجزائر ، و نعني بذلك الاحتلال الفرنسي عام 1830م.

كان الهدف من وراء هذه الدراسة هو الخوض في غمار هذا الصراع السياسي و العسكري ،و معرفة حيثياته و وقائعه و تطوراته و انعكاساته ،و ذلك لفهم مسار العلاقات الدولية في تلك الحقبة ،و كذا معرفة المعطيات التي قلبت موازين القوى و جعلت من أوروبا سيدة القرار.

**الإطار الزماني و المكاني للموضوع :**

يعالج الموضوع الصراع السياسي و العسكري بين الجزائر و الدول الأوروبية في البحر المتوسط خلال القرنين 17 و 18 م. و هي من أهم الفترات التاريخية في عمر الدولة الجزائرية .أما الإطار المكاني فهو الجزائر بالضفة الجنوبية للبحر المتوسط في مقابل أوروبا في الضفة الشمالية منه ،و قادنا هذا الموضوع لأن نطرح الإشكال التالي :

**فيما تمثلت دوافع الصراع السياسي و العسكري بين إيالة الجزائر و القوى الأوروبية ؟** و للإجابة على هذه الإشكالية قمنا بطرح مجموعة من التساؤلات الفرعية التي عالجناها في

كل فصل من فصول هذه الدراسة المتواضعة و هي كالتالي : **فيما تكمن الأهمية الجيو سياسية و الاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط ؟ و ما هي الركائز التي استندت عليها الدولة العثمانية لتظهر كقوة فاعلة في البحر الأبيض المتوسط ؟ و ما مدى إسهامات الإخوة بربروس في إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية ؟ و بما اتسمت العلاقات الجزائر الخارجية ؟ هل كان للصراع السياسي و العسكري للجزائر تدعيات على المستوى الداخلي والدولي ؟ و ما هي الدوافع الحقيقية لإنشاء تحالفات و عقد مؤتمرات أروبية ( فينا - اكس لاشابيل ) ؟ و هل أثرت قرارات هذه المؤتمرات على مستقبل الدولة الجزائرية ؟ و هل مثلت الحملة الفرنسية على الجزائر أخر فصول هذا الصراع ؟.**

**منهج البحث :**

و قد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي الوصفي ، الضروري لسرد الأحداث وفق تسلسلها الزماني و المكاني ، و الوقوف على جوانب هذا الصراع و تداعياته ،و كذا المنهج التحليلي في بعض الأحيان في الوقوف عند بعض الأحداث .

أما فيما يخص الدراسات السابقة في الموضوع فنقول ، أن الموضوع قد تعرضت له عديد المراجع و المصادر التي قدمت دراسة وافية عن عدة جوانب منه . مثل مخطوط الزهرة النائرة لابن رقية التلمساني ، و كذا تحفة الزائر لمحمد بن عبد القادر الجزائري ، و التحفة المرضية لابن ميمون ، و مذكرات الشريف الزهار ،و وليام شالر ، أما المراجع فعديدة أهمها كتب يحي بوعزيز تاريخ الجزائر الحديث .و كتاب علاقات الخارجية للجزائر مع دول و ممالك أوروبا .

أما الرسائل الجامعية فنذكر على سبيل المثال : مذكرة محمد بن سعيدان بعنوان علاقات الجزائر مع فرنسا ،و التي تحدث فيها عن جانب من جوانب الموضوع خاصة فيما يتعلق

بالحملات الفرنسية على الجزائر، ومذكرة الأستاذ رشيد مريخي بعنوان الجزائر في عهد الداي مصطفي باشا، أين خصص فصلا مرتبطا بالموضوع و هو السياسة الخارجية في عهد الداي مصطفى باشا.

و للإلمام بالموضوع اتبعنا الخطة التالية التي تضمنت مقدمة و فصل تمهيدي و ثلاث فصول رئيسية متبوعة ببعض الملاحق ثم خاتمة نهائية تضمنت مجموعة من الاستنتاجات المقتبسة من العمل المقدم و قد كانت الخطة بالشكل التالي :

**الفصل التمهيدي** :كان عبارة عن مدخل للموضوع و يتحدث عن الأهمية الجغرافية و التاريخية و الحضارية و الاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط ثم الفصل الأول ، و الذي يعالج في مضمونه العام : الدولة العثمانية و البحر الأبيض المتوسط ، و قد احتوى على ثلاثة مباحث تطرقنا في المبحث الأول بنشأة الدولة العثمانية كقوة فاعلة بالبحر المتوسط .أما المبحث الثاني تناولنا فيه ظهور الأخوة بربروس .و جاء المبحث الثالث ليتحدث عن التحاق الجزائر بالخلافة العثمانية .

**الفصل الثاني** فكان بعنوان العلاقات الخارجية و الصراعات الإقليمية للجزائر خلال القرنين 17 و18 و تضمن أربع مباحث عالجت أهم المسائل السياسية و الصراعات العسكرية بين الجزائر و الدول الأوروبية من جهة و الجزائر و الدول المغاربية من جهة أخرى .فتحدث المبحث الأول عن العلاقات الجزائرية الفرنسية و المبحث الثاني عن العلاقات الجزائرية البريطانية ،و المبحث الثالث عن العلاقات الجزائرية الأمريكية ، أما المبحث الرابع و الأخير عن الصراع الجزائري المغاربي مع تونس و المغرب الأقصى .أما الفصل الأخير فكان بعنوان تداعيات الصراع السياسي و العسكري على الجزائر و الذي اندرج ضمنه أربع مباحث ، المبحث الأول تحت عنوان الاضطرابات السياسية و الازمات الداخلية ،و الذي يتطرق إلى الأوضاع السياسية الداخلية و نشوب تمردات ضد

السلطة كثورة درقاوة و ابن الأحرش ، و المبحث الثاني بعنوان الجزائر في المؤتمرات الاروبية (فينا –اكس لاشابيل) ثم المبحث الثالث و المتضمن أهم الحملات الناجمة عن هذين المؤتمرين إلى غاية الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830م و في النهاية ختمنا بحثنا بخاتمة تضمنت عدة استنتاجات و التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة.

**نقد المصادر و المراجع :**

**المؤلفات المخطوطة :**

- مخطوط الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغار عليها جنود الكفرة، لمحمد بن عبد الرحمان بن رقية الجديري التلمساني الذي عاش في القرن الثامن عشر ميلادي ،و هو يتناول المغرب الاوسط منذ ظهور الإخوة بربروس إلى غاية انتصار الجزائر على قوات التحالف الأروبي 1541م، نشره سليم بابا عمر في مجلة تاريخ و حضارة المغرب العدد الثالث سنة 1967م ـــ.أفادنا في ذكر الحملات التي شنها الأوروبيون على مدينة الجزائر.

مخطوط رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمان التنلاني لسيدي عبد الرحمان بن إدريس بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني ، و هو من أبرز علماء الإقليم التواتي خلال القرن الثاني عشر الهجري . ولد سنة 1181 هـــ و توفي 1233ه و هذا المخطوط من أقدم وأندر مخطوطة في موضوع الحملة الإنجلزية الهولندية على مدينة الجزائر1231ه/1816م وأول شهادة عربية عينية حول الواقعة و هو المقال منشور للكاتب أحمد جعفري في مجلة " تراث" العدد 131 أغسطس 2010 .و الذي أفادنا في وصف الحملة الانجليزية الهولندية على مدينة الجزائر.

**مصادر عربية و معربة :**

- **مذكرات احمد شريف الزهار :** نقيب أشراف مدينة الجزائر ، الذي يعود تأليفه إلى القرن التاسع عشر ميلادي ، أفادني فيما يخص الحملات التي شنتها فرنسا على الجزائر خلال القرن الثامن عشر.

- **مجهول :** غزوات عروج و خير الدين و الذي صححها نور الدين عبد القادر ،فقد خصص هذا الكتاب لسرد أعمال الاخوة بربروس ،كما تطرق إلى الحملات العسكرية التي قام بها الاسبان على مدينة الجزائر في السنوات الأولى من إلتحاقها بالخلافة العثمانية.

- **مذكرات وليام شالر :** القنصل الأمريكي بالجزائر و الذي قام إسماعيل العربي بترجمته إلى العربية ،و الذي يضم شهادات و حقائق حية حول العلاقات الجزائرية الأوروبية ،و حول الحملات الاوروبية التي كانت من الفينة إلى أخرى .

- **مذكرات أسير الداي كاثكارت :** قنصل أمريكا في المغرب و الذي ترجمه اسماعيل العربي و يعود تأليفه إلى القرن الثامن عشر ميلادي ،و يشمل هذا الكتاب حياة و تجارب التي عاشها كاثكارت كما أفادنا في العلاقات الامريكية الجزائرية .

**مصادر أجنبية :**

- Fray Diego de Haedo: Topographie. et Histoire d'Alger ،la vie a Alger au xvi siècle ،trad et notes A .Berbrugger ،éd gronde Alger ،2004.

يعتبر هذا الكتاب في غاية الأهمية لهايدو الذي وقع أسيرا في مدينة الجزائر سنة 1578م إلى غاية 1581م و الذي أفادنا في في وصف الحملات الاسبانية على السواحل الجزائرية .

- De Grammont: Histoire d'Alger Sous La domination Turque1515 – 1830 ،paris،1887.

و الذي يتناول تاريخ الجزائر منذ مطلع القرن السادس عشر إلى غاية الاحتلال الفرنسي و الذي اعتمدنا عليه في عدة محطات أهمها التعرف على العلاقات الجزائرية الخارجية.

**المراجع العربية :**

كثيرة هي المراجع المعتمدة في هذه الدراسة و لعل أهمها:

- **عزيز سامح التر** : الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا ،و الذي عربه محمود علي عامر أفادنا بشكل كبير لأنه يؤرخ للتواجد العثماني و يركز كثيرا عن الجزائر، و أوضاعها السياسية و علاقاتها الخارجية .
- **عائشة غطاس** : الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها و الذي أفادنا في معرفة نشأت الدولة الجزائرية الحديثة و الغرات الاسبانية التي تعرضت لها .
- **يحي بوعزيز** ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول و مماليك أروبا و يتحدث بشكل مباشر عن علاقات الجزائر بالدول الأورو متوسطية و غيرها من الحملات العسكرية الأروبية ضد مدينة الجزائر.
- **مولود قاسم نايت بلقاسم** : شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل 1830م و الذي أفادنا في معرفة العلاقات الجزائرية الخارجية خاصة البريطانية و التكتلات الأوروبية ضدها .

- **صعوبات البحث :**

لا يكاد أي عمل يخلو من وجود صعوبات تعترضه و لعل أهم الصعوبات التي إعترضتنا هي:

- كثرة المادة العلمية و صعوبة التحكم بها
- ضيق الوقت للإحاطة الكافية بالموضوع.

# فصل تمهيدي

تعد البحار إحدى أهم المظاهر التضاريسية المشكلة لسطح الأرض ، فعلى ضفافها ظهرت أعظم الحضارات ونمت أرقى المدنيات ، وتطلع الإنسان منذ القدم بنباهته إلى ما للبحر من عظيم النفع ، والفائدة فجعل منه منبعا للحضارة ومقوما للاقتصاد وركيزة للتواصل والتعارف ، وقبل أن نبينّ أهمية هذا المسطح المائي وجب علينا أن نتعرف على البحر كمفهوم عام تقوم عليه هذه الدراسة المتواضعة .

فالبحر كمصطلح علمي هو مسطح مائي يختلف عن المحيط في عدّة جوانب من حيث السعة والمساحة والعمق ودرجة الملوحة وغيرها من الخصائص ، ويتخذ هذا الأخير عدّة أشكال وأصناف ، فهنالك البحار المفتوحة التي تتصل مباشرة بالمحيطات دون أي حاجز أو فاصل وهناك بحار شبه مغلقة تتصل بالمحيط عن طريق فتحات تعرف بالمضايق المائية مثل البحر الأبيض المتوسط ، وهناك نوع ثالث وهي البحار المغلقة التي تحيط بها اليابسة من كل جانب كالبحر الأسود . [1]

والبحر في طبيعتة إمتداد لليابسة ، فالاثنان معا يشكلان عالم الإنسان على هذا الكوكب وهما وإن اختلفا في طبيعة التكوين والأدوار ، إلا أنهما متكاملان من حيث تقديم الخدمة للإنسان وتحقيق أهدافه وغاياته ، بالبرغم مما تبدوا عليه هذه البحار ظاهريا من أنها أداة فصل بين اليابسة هنا وهنالك ، إلا أنها في الحقيقة أداة وصل لا فصل وهي ليست حواجز وإنما معابر صالحة لمن وفرّ لنفسه وسائل العبور والانتقال [2] ،وقد بينّ المولى عزوجل قيمة البحر للإنسان وما باستطاعته أن يقدم من خدمات جليلة ، قال تعالى

---

([1]) طلعت أحمد محمد عبده ، حوري محمد حسين جاد الله ، جغرافية البحار والمحيطات ، ط2 ، دار المعرفة الجامعية ، ص : 33 .

([2]) أرشيبالد . ر . لويس ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ( 500 ه / 1100 م ) ، تح : أحمد محمد عيسى ، مر : محمد شفيق غربال ، مؤسسة فرانكلين للطباعة ، القاهرة ، ص : 14 .

: (( و هو الذي سخرّ البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلّكم تشكرون )) [3] ، وعليه أدرك الإنسان دور البحر فربط حضارته به وأنشأ مدنيته عليه وتحصل على رزقه منه ، ومازالت علاقته به قائمة وستبقى إلى قيام الساعة ، ولعل أهم هذه البحار ما تعلق بدراستنا وهو البحر الأبيض المتوسط .

يعد البحر الأبيض المتوسط من أهم البحار ، فقد كان منذ أمد بعيد وسيلة فعّالة هيات لنشر الحضارات وأفسح المجال للاتصال وتبادل الثقافات [4]، وهو غني عن التعريف فشهرته لاتضاهيها شهرة أي بحر داخلي على الإطلاق ، وهو معروف لدى الأوائل من الشعوب التي عاشت على ضفافه ، لذا نلمح عنه تغير أسمائه عبر العصور فسماه المصريون القدامى بالبحر الأعلى ، وورد إسمه في الإنجيل باسم البحر الفلسطيني ، وسماه هيرودوتس بالبحر الكبير أما أفلاطون فسّماه بالبحر الهليني ، وأما التسمية اللاتينية التي أصطلحت عليه هي بحر الروم وكذا سماه العرب، وأطلق عليه الرومان إسم بحرنا ،وسماه الأتراك بالبحر الأبيض ، نظرا لزبده الأبيض ، إلى أن أصبح يعرف بالبحر الأبيض المتوسط [5] .

إنّ موقعه الجغرافي الممتاز ومجموعاته الجزرية المتناثرة في أرجاء العالم القديم [6] قد أكسبته أهمية إستراتجية كبيرة ، فكان محط عناية لدى الجغرافيين الذين خصّوه بالدراسة دون غيره من البحار ، فقد وقع ذكره في جلّ المصادر الجغرافية القديمة وبخاصة العربية منها ، أين حظي هذا البحر بالإهتمام البالغ من طرف الجغرافيين العرب وملاحيهم ،

---

([3]) سورة النحل ، الآية 14 .

([4]) الهادي مصطفى أبو لقمة ، محمد علي الأعور ، الجغرافيا البحرية ، ص : 167 .

([5]) المرجع نفسه ، ص : 167 .

([6]) محمد إبراهيم حسن ، دراسات في جغرافية أوروبا وحوض البحر المتوسط ، مركز الاسكندرية للكتاب ، القاهرة ، 1999 م ، ص : 209

فكانت معلوماتهم التي أوردوها عنه دقيقة على وجه العموم [7] في تحديد أبعاده ومقاييسه و مايحتويه من جزر وخلجان [8] .

إنّ ما قيده الجغرافيون العرب عن هذا البحر كثيرة، وتكاد أوصافهم له تتطابق ولعل الأمر يطول إذا ذكرنا ماكتبه هؤلاء ، ولذلك سنكتفي بذكر نموذج أو اثنين ممّا كتبوه فقط لتتبين المطابقة بينهما وبين الدراسات الحديثة التي حددت أبعاده ومعالمه . يقول ابن حوقل في كتابه صورة الأرض : " أنه خليج من البحر المحيط _ يقصد به المحيط الأطلسي _ عليه أكثر هذه الديار وقد أتيت به على التقريب لا على الحقيقة ، إذ بعضه أشبه بالدائرة المحددة ومخرجه بين أرض الأندلس وأرض طنجة وسبتة وهذه الناحية محاذية من الأندلس لجزيرة جبل طارق واشبيلية ، وعرض هذا المخرج نحو 12 ميلا أي حوالي 12.5 كلم ثم لا يزال يتسع ، ويمتد على سواحل المغرب ، ومما يلي شرقي هذا البحر حتى ينتهي إلى أقاصي أرض مصر ممتدا منها إلى الشام ، وتنعطف إلى بلدان الروم من جبال إقليمية إلى أنطاكية ، ثم يصير إلى خليج القسطنطينية ويمضي على سواحل أثيناس إلى افرنجة ورومية ويصير البحر حينئذ جنوبيا لأرض الإفرنج إلى أن يتصل بطرطوشة من أرض الأندلس " [9] .

ومن خلال تتبع وقراءة خريطة العالم السياسية يتبين لنا أن الأبعاد التي حددها ابن حوقل لهذا البحر ، تتطابق بصفة شبه دقيقة مع الأبعاد الجيو سياسية الحديثة للبحر المتوسط ، وليس ابن حوقل وحده من وفق في رسم معالم هذا البحر ، فكذا ابن الوردي

---

([7]) أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا ، تر : اسماعيل العربي ، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982م ، ص : 57 .

([8]) جمال الفندي ، الجغرافيا عند المسلمين ، تر : إبراهيم خورشيد و عبد الحميد يونس وحسن عثمان ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 م ، ص : 159.

([9]) ابن حوقل ابي القاسم النصيبي ، صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1992 ، ص : 174.

في كتابه خريدة العجائب ، أين بين حدوده الشمالية والجنوبية [10] والزهري الذي أضاف إلى وصفه عبارة مهمة تظهر مدى الأهمية التي يكتسيها البحر الأبيض المتوسط فقال : " ... ليس في معمور أكثر عمارة من هذا البحر "وذلك أنه معمور الجانبين يكاد الناس يتعاطون السراج عليه في الضفتين لكثرة المسكن [11] .

أما حديثا ونظرا لما آلت إليه المدينة من تطور وازدهار ، فلم يعد هناك مجال للفرضيات فقد صور الجغرافيون أبعاده وحدوده بدقة كبيرة وساعدت الخريطة في اظهاره على شكله المرسوم مما سمح باستخلاص تعاريف واضحة لهذا البحر ، فنقول عنه : " أنه بحر داخلي يربط بين قارات آسيا وأوروبا و إفريقيا وهو أوسع البحار مساحة وأكثرها إمتدادا وتشعبا وتأثيرا من الناحية الحضارية [12] يجمع بين ضفافه عددا لا متناهي من القوميات واللغات والثقافات المطلقة على ضفتيه الشمالية والجنوبية ، وهو مسطح مائي لا يضاهيه في الأهمية أي بحر على الإطلاق [13] .

---

([10]) سراج الدين أبي حفص عمر بن الوردي ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب الجامع لما هو لطرف الدهر حور ولجيد الزمان مقدور ، ص : 69 . للتعرف أكثر على جغرافية البحر المتوسط أنظر : أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، منتخبة من كتاب الروض المعطار في أخبار الأقطار ، تع : ليفي بروفنسال ، ط2 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1988 م ، ص : 83 . انظر أيضا : عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء صاحب حماه ، تقويم البلدان ، تص : رينود . ماك كوكسن ديسلان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1815 م ، ص ص : 27 ، 29 . أنظر أيضا : أبي القاسم ابن حوقل ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1972 م ، ص : 12

([11]) ابي عبد الله محمد بن ابي بكر الزهري ، الجغرافية وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة ومافي كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوي على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراسخ ، تر : محمد حاج صادق ، مطبعة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، مصر ، ص : 127 ، 128

([12]) محمد خميس الزوكة ، قارات العالم القديم ( دراسة في الجغرافيا الإقليمية ) ، ط1 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2008 م ، ص:35

([13]) محمد إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص : 210 .

يقع هذا البحر جميعه في المنطقة المعتدلة الشمالية، ويمتاز بتجانس حضاراته وثقافاته بين حوضيه الشرقي والغربي [14] ،فعلى قامت أرقى الحضارات مثل الآشوريين و البابليين والفينقيين والفراعنة والفرس واليونان والرومان والقوط والفرنجة واللومبارد والحضارة الإسلامية [15] .

تبلغ مساحته حوالي 2.510.000 مليون كلم مربع ، وهو كما سبق ذكره شبه مغلق يحد أوروبا من ناحية الجنوب ،ويحيط به اليابس من جميع الجهات تقريبا ، ولا يوجد له سوى منفذين ، أحدهما اصطناعي وهو قناة السويس التي تصله بالبحر الأحمر ،والآخر طبيعي وهو مضيق جبل طارق البالغ طوله 57.6 كلم ، ويبلغ البحر الأبيض المتوسط أقصى امتداد له بين الشرق والغرب بطول يقدر بحوالي 3680 كلم وعرض قدره 1400 كلم ، في حين يبلغ أقصى عمق لمياهه 16896 قدم تحت منسوب سطح البحر [16] .

وينقسم هذا البحر ظاهريا إلى قسمين غير متساوين في المساحة ،حيث تفصلهما منطقة ضحلة تمتد من تونس إلى صقلية ومن ثم إلى إيطاليا وتعرف بالحوض الغربي [17]، ومساحته حوالي 1.25 مليوم كلم [18] ،ويبدوا هذا الحوض في وصفه على شكل مثلث قاعدته في الشمال الإفريقي وقمته في خليج جنوة ، وهو في وضعه هذا يختلف من حيث الإتساع عن الحوض الشرقي [19] الذي يشمل على البحر الأدرياتيكي وبحر إيجة .

---

([14]) محمد السيد غلاب ، الساحل الفينيقي في الجغرافيا والتاريخ ، ط1 ، دار العلم للملاين ، بيروت ، لبنان ، 1969 م ، ص ص : 34 ، 35

([15]) عطلي محمد الأمين ، نشاط البحرية الجزائرية في القرن 17 م وأثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، 2011 / 2012 م ، ص : 20

([16]) محمد خميس زوكة ، المرجع السابق ، ص : 292 .

([17]) يسرى الجوهري ، جغرافية البحر المتوسط ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1984 م ، ص : 09 .

([18]) ش . بدران ، أطلس دول العالم الكبير ،بيروت ،لبنان ، 1999 ، ص : 176 .

([19]) يسرى الجوهري ، المرجع السابق ، ص : 09 .

وتعرف أجزاء من البحر المتوسط بأسماء معينة خاصة ،منها البحر الأيوني الواقع بين الساحل الجنوبي الشرقي لشبه جزيرة إيطاليا والساحل الغربي لليونان ، وبحر إيجة الواقع شرقي اليونان ،والتيراني الواقع غرب إيطاليا وجزيرتي سردينيا غربا وصقلية جنوبا [20] .

هذا ويحتوي البحر المتوسط على عدّة مضايق هامة ، منها مضيق البوسفور ومضيق الدردنيل ومضيق كارياثوس جنوب تركيا ، ومضيق كيثرا في اليونان ،ومضيق مسينا بين إيطاليا وجزيرة صقلية ،وأشهرها على الإطلاق مضيق جبل طارق [21] ،الذي سماه الرومان قديما بأعمدة " هرقل " نظرا لمناعة المرتفعات التي تقوم على جانبيه من الناحية الأوروبية والإفريقية ، إذ ليس بينهما سوى 14 كلم ، وكانت الصلات والروابط بين الجانبين من السهولة واليسر بمكان لدرجة دعت بعضهم إلى حسبان إسبانيا جزءا من إفريقيا ، وقد سمّاه العرب أيضا بإسم " الزقاق الضيق " وظل حاملا للتسمية إلى أن وصل القائد العربي " طارق بن زياد " إلى الأندلس لفتحها ، فكان أول من اكتشف أهمية المضيق الحربية والبحرية فبنى به قلعة منيعة على الجبل الذي حمل إسمه ، ومنذ ذلك الحين أصبح مضيق يعرف بمضيق جبل طارق وسيظل هذا المعبر حيوي محط صراعات ونزاعات دولية من أجل الهميمنة و السيطرة على البحر الأبيض المتوسط [22].

كما يحتوي هذا البحر على عدّة جزر هامة لها أثرها في التاريخ ، منها جزيرة صقلية في الحوض الشرقي ،و جزيرة كورفو وكريت وجزيرة رودس في الحوض الغربي [23]

.

---

([20]) محمد خميس زوكة ، المرجع السابق ، ص : 293

([21]) فايز محمد العيسوي ، الجغرافيا السياسية المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2011 م ، ص : 223.

([22]) محمد رفعت بك ، التيارات السياسية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ملتزمة الطبع للنشر ، لجنة البيان العربي ، ص : 07 .

([23]) جودة حسين جود و علي أحمد هارون ، جغرافية الدول الإسلامية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1993 م ، ص : 27

**الأهمية التاريخية والحضارية للبحر الأبيض المتوسط :**

إنّ من يتأمل في الحضارات الإنسانية ويحاول دراستها واستقراءها بطريقة موضوعية ،فإنه سيلاحظ أن معظم الحضارات المتعاقبة قد نشأت على ضفاف البحر الأبيض المتوسط ، لذلك يعد هذا البحر من أهم بقاع العالم [24] ،فهو منبع الحضارة الإنسانية وملتقى الثقافات ومواطن الشعوب والأعراق المختلفة ومهد الديانات السماوية ومنطلق النهضة والتكنولوجيا الحديثة وموطن الفكر والأدب والفلسفة والفنون ، وقد شهد هذا البحر منذ تاريخه ازدهار بعض الدول وامتداد دول قوية واضمحلال أخرى ، وكان شاهدا عيانا على العصور السالفة والحديثة وماشهدته المنطقة المتوسطية من أحداث وتواريخ في حالتي السلم والحرب والحوار والصدام والانفتاح والانغلاق ، ويقول بروديل في هذا الصدد متحدثا عن الأهمية الكبيرة للبحر المتوسط " بأنه لا يمكن للباحث معرفة تاريخ العالم وتاريخ البحار دون دراسة تاريخ البحر الأبيض المتوسط " [25]، ولعل هذه الخصوصية التي اكتسبها البحر المتوسط راجعة لموقعه الوسطي في قلب العالم القديم وتوفره على عوامل قيام الحضارة ونشاط الاقتصاد .

كان من أثر شيوع السلم والأمن في ربوع البحر الأبيض المتوسط في بعض حقب التاريخ أن نعم العالم بأثمن ما أنتجه الفكر الإنساني من حكمة وأدب وعلوم ، فعلى سواحله ظهرت أعظم المدنيات تأثيرا في التاريخ ، وهي المدنيات المصرية والإغريقية والرومانية والإسلامية ، وظل الناس يستمدون منها فنونهم وعلومهم حتى اكتشفوا العالم الجديد وطريق الرأس الرجاء الصالح الموصل لعالم الشرق أين تتوفر الأحجار الكريمة والعطور والتوابل والحرير ، إلا أن الأنظار بقيت مشدودة لهذه البحيرة الإستراتجية ،

---

([24]) جودة حسين جود و علي أحمد هارون ، المرجع السابق ، ص : 27 .

([25]) broudel ferdinand , la mediterané et le mond méditeranien a l'époyue de phlipe tom : 02 , paris , 1976 , p p : 24

فكانت كل دولة تنظر بعيون شاخصة متيقضة حريصة كل الحرص على أن لا تنفرد دولة كائنة من كانت بميزة السلطة والسيادة على البحر [26].

لإدراك هذه الدول أن من يسيطر على البحر المتوسط ساد العالم بأسره ، وفي ذلك يقدم لنا المفكر ماكيندر معادلة لنظريته المتعلقة بالسيطرة على العالم ،وقوام هذه المعادلة أنه من يسيطر على أوروبا الشرقية يسيطر على قلب الأرض ، ومن يحكم قلب الأرض يسيطر على الجزيرة العالمية، ومن يحكم الجزيرة العالمية يهيمن على العالم [27].

ويؤكد التاريخ صحة المعادلة فالإمبراطوريات العظمى التي سادت العالم قد أحكمت قبضتها على البحر وأخضعته لنفوذها ، ففي التاريخ القديم قامت حضارة مصر على نهر النيل ، وهذه الحضارة كانت على اتصال مباشر بالبحر الأبيض المتوسط ، إلا أنها بقيت مرتبطة بطابعها النهري حتى بعد أن بنى المصريون السفن واستولوا على بلاد الشام وسواحل فينيقية ، وعلى جميع موانئ شرق البحر الأبيض المتوسط حتى جزر إيجة [28].

كما ظهرت في الشمال حضارة بحرية عاصرت الحضارة المصرية ، وكان مركزها جزيرةكريت وعاصمتها مدينة " كنوسس " وقد ازدهرت هذه الحضارة في بحر إيجة حوالي 2500 سنة قبل الميلاد ، واتصلت بقبرص وشمالي إفريقيا وشرقي المتوسط وغربه ، ولكن حدث ماقوض دعائم هذه الحضارة فاندثرت آثارها ومعالمها ، إلى أن تمكن بعض العلماء الإنجليز في أوائل القرن العشرين من كشف معالمها ، وقد دلت هذه الحضارة عن

---

([26])محمد رفعت بك ، المرجع السابق ، ص : 06 .

([27]) برد رتيبة ، الحوار المتوسطي من برشلونة إلى منتدى 5+5 ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، جامعة الجزائر ، 2009 / 2010 م ، ص : 36 .

([28]) ساعد ماهر ، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، الجيزة ، مصر ، 1967 م ، ص : 23

قيام حضارة راقية في جزيرة كريت وبحر إيجة ، وبزوال هذه الدولة زالت آثار أوّل دولة بحرية سادت في مياه البحر الأبيض المتوسط قبل ألفي سنة قبل الميلاد [29] .

ولما ضعف سلطان الدولة المصرية أخذت شعوب شرق المتوسط تتحرر من الحكم المصري ، فظهر الفينيقيون في سواحل الشام ولبنان ،وكانوا أول من خاض البحر الأبيض المتوسط غربا وشرقا ،وأسسوا على سواحله عدّه مستعمرات وقواعد تجارية [30] .

ولما قامت دولة الآشوريين في القرن التاسع قبل الميلاد ، سعت هي الأخرى للسيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط ،على أن الفترة التي سادت فيها هذه الدولة لم تطل أكثر من قرن ونصف من الزمن ، فقد تعرضت لهجوم عنيف من طرف الفرس الذين استولوا عليها سنة 606 قبل الميلاد ، وأصبحوا هم أصحاب السيادة في الشرق ، وكونوا إمبراطورية عظيمة دانت لها غرب آسيا وشرق أوروبا حتى حدود مصر جنوبا ، وعاصر دولة الفرس قيام المدينة الإغريقية القديمة وظهور المدن اليونانية التي اتخذت من البحر ميدانا خصبا لنشاطهم ، ولذلك سرعان ما اصطدمت المصالح بين دولة الفرس واليونان ونشب صراع هائل استمر أكثر من قرن من الزمن ، وكان ذلك أول صراع بين الشرق والغرب تناول الاحتكام والسيطرة في البحر المتوســـــــــــط [31].

وسرعان ما انتقل الصراع من شرق البحر المتوسط إلى غربه ، وذلك إثر ظهور روما في شبه جزيرة إيطاليا التي تقسم البحر المتوسط إلى حوضين شرقي وغربي ، وسيشهد القرن الثالث قبل الميلاد اصطدام المصالح بين روما والإغريق في جنوب إيطاليا ، ثم مع القرطاجين الذين يتواجدون في السواحل الإغريقية ، وكان الصراع بين روما

---

([29]) محمد رفعت بك ، المرجع السابق ، ص: 07 .

([30]) يسرى عبد الرزاق الجوهري ، الكشوف الجغرافية ( دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية ولتطور الفكر الجغرافي ) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1984 م ، ص : 29

([31]) محمد رفعت بك ، المرجع السابق ، ص : 27 .

وقرطاجة صراعا هائلا بين مجتمعين عظيمين أحدهما في قرطاجة يقوم على المال والتجارة والبحر ،والآخر في روما يقوم على الزراعة والأرض ،وتعرف الحرب التي نشبت بينهما بالحروب البونية وكان موضوع التزاع بينهما يدور حول التسلط على جزيرة صقلية و مضيق مسينيا بالخصوص وعلى البحر المتوسط على وجه العموم [32] وقد انتهت بالغلبة لصالح روما التي سيطرت على البحر قرابة خمسة قرون من الزمن.

وبداية من عهد قسطنطين بدأت الأخطار تظهر حول حدود الدولة الرومانية ، خاصة على الحدود الشرقية المتاخمة لدولة الفرس الساسانية، أين ظهرت الهجومات الفارسية على الدولة البيزنطية والتي استمرت قرابة مائة سنة ، وبينما كان الفرس والروم في صراع مرير ، ظهرت دولة الإسلام في شبه الجزيرة العربية ، والتي سيكتب لها أن تسود في البحر المتوسط ، و لم يطل بهم الزمن حتى استطاعوا في عهد الأمويين أن يخضعوا جزيرة قبرص ويهاجموا بيزنطة .

كما استطاعوا فتح الأندلس واحتلال جزر البليار وصقلية وجنوبي إيطاليا [33] ،وليس معنى هذا أن البحر الأبيض المتوسط قد صار بحيرة إسلامية ،كما كان بحيرة رومانية في عهد الرومان ، فإن الدولة البيزنطية الشرقية ظلت مسيطرة على سواحل آسيا الصغرى، المضايق وبحر إيجة وشبه جزيرة البلقان ، كما ظلت الدولة الرومانية المقدسة التي أنشأها شارلمان تسيطر على شمال ووسط إيطاليا وجنوب فرنسا ، ولكن الأمر المحقق هو أن فتوح العرب في الشرق والجنوب قد قسمت حوض البحر الأبيض المتوسط إلى

---

([32]) فرانسوا دوكريه ، قرطاجة الحضارة والتاريخ ، تر : يوسف شلب الشام ، مكتبة الأسد ، دار طلاس ، دمشق ، 1994 م ، ص : 65 .

([33]) محمد رفعت بك ، المرجع السابق ، ص : 28 .

قسمين متميزين ، فقد طبع العرب القسم الشرقي منه بالطابع الإسلامي العربي وبقي القسم الغربي ذا طابع مسيحي [34] .

وابتداءا من القرن الحادي عشر سيتغير الوضع بالبحر المتوسط ، حيث سيشهد سيطرة الأوروبيين عليه خاصة الحوض الغربي منه ، وكانت هذه السيطرة تامة على جزر كورسيكا وسردينيا وصقلية ومالطة وجنوب إيطاليا ، كما زاد ضغطهم على جزر البليار وكانت أساطيلهم تغير على السواحل الإسلامية في إسبانيا وإفريقيا ، وبفضل الحملات الصليبية إستطاع الغرب أنت يحصل أيضا على سيادة مماثلة في سوريا وفلسطين ، وسمح الوضع بسيطرة الأوروبيين على طريق التجارة البحرية الرابطة بين شرق المتوسط وغربه ، كما سيطروا على جل المراكز الإستراتجية الهامة التي كانت قبلا في قبضة المسلمين [35].

وبعد مضي حوالي قرنين من الزمن سيتأيد سلطان المسلمين من جديد ،وذلك بظهور الأتراك العثمانيين في بلاد الأناضول ، وستقلب دولتهم ميزان القوة في شرق المتوسط وفي غربه أيضا ، وقد أدرك العثمانيون بعد فتحهم للقسطنطينية وإحكام قبضتهم على المضايق ، ما للقوة البحرية من عظيم النفع والأهمية ، فوجهوا عنايتهم بالأسطول البحري، واستولوا على جزر بحر إيجة وأخضعوا البنادقة لدفع الجزية ، وقد قوي مركزهم بالبحر المتوسط إثر فتح مصر والشام وفتح جزيرة رودس وسواحل إفريقيا ،وبذلك أصبحت سيادة تركيا البحرية غير مقصورة على شرقي البحر المتوسط بل تجاوزته إلى الغرب أيضا [36] .

ونتيجة لظهور الدولة العثمانية وازدياد نشاط بحريتها بشكل مكثف ، شهد هذا البحر صراعا مريرا بين حوضيه الشرقي والغربي ، وكذا ضفتيه الشمالية والجنوبية وذلك

---

([34]) المرجع نفسه ، ص : 29 .

([35]) أرشيبالد ر. لويس ، المصدر السابق ، ص : 384 .

([36]) محمد رفعت بك ، المرجع السابق ، ص : 42 .

إثر الاصطدام الحاصل بين القوة العثمانية وإسبانيا أكبر قوة بحرية أوروبية آنذاك ، ومما زاد في إذكاء هذا الصراع هو قدوم الإخوة بربروس إلى الحوض الغربي وخوضهم الحرب ضد الصليبين والتي أخذت عدّة صفات منها ، إنقاذ أهل الأندلس من الاضطهاد الحاصل لهم بإسبانيا ، وكذا تحرير الشمال الإفريقي من الاحتلال الإسباني [37].

ومما زاد في حدة هذا الصراع على المتوسط ، منع الملك " جيمس الأول " أعمال القرصنة والغارات في البحار في القرن الخامس عشر ميلاد ( 15 م ) ، فغير القراصنة الأوروبيون موانئهم في إنجلترا و إيرلندا واتجه كثير منهم نحو سواحل شمال إفريقيا ، كما قام قراصنة هولندا وإنجلترا بالإبحار نحو المتوسط ووصلوا إلى جبل طارق ، وبوصول إنجلترا إلى الحوض الغربي للمتوسط ، أصبحت تشكل تهديدا على القوى الأوروبية والمغاربة واحتدم الصراع بين هذه القوة ، وأصبحت كل قوة بحرية في الحوض الغربي تسعى للتسديد وممارسة السلطة ، ولم يتوقف الصراع في الحوض الغربي للمتوسط طيلة ثلاث قرون كاملة، في الفترة الحديثة بين أمم أوروبا فيما بينها تارة ومع الأمم الإسلامية في شمال إفريقيا تارة أخرى . وبما أن هذا البحر كان محل ظهور الديانات السماوية ، فقد شهد صراعا دينيا مريرا بين الإسلام والنصرانية ، فقد أظهرت الكنيسة تأثيرها المادي والمعنوي في ترجيح كفة الصراع لصالحها ، كما لعبت الديانة دورها إبان الحروب الصليبية على بلاد الإسلام [38].

**الأهمية الاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط :**

كان من الأهمية البالغة أن يكون البحر الأبيض المتوسط أول البحار التي إكتشفها الإنسان ، وقد أجمع الكثيرون على أنه كان المدرسة الأولى لتعلم الملاحة البحرية ، فهو

---

( [37]) محمد الأمين عطلي ، المرجع السابق ، ص : 22 .

( [38]) نفسه ، ص : 23 .

كما يدل عليه إسمه يقع وسط اليابس فهو بحر داخلي يخلوا من آثار العواصف التي تكثر في عرض المحيطات ، أضف إلى ذلك أن أهميته بالنسبة لملاحي العهود الغابرة ترجع إلى خلوه من حركات المد والجزر ، حتى أنه مهما اختلف المكان وفي أي وقت من الأوقات كانت السفن الصغيرة تستطيع أن ترسوا على شواطئه في سهولة ويسر ، ويتشارك المتوسط هذه الميزة مع البحر الأحمر والأسود والخليج الفارسي ، ولكنه يفوقها جميعا في مساحته الواسعة وينفرد دونها بمزايا لم تتوفر لأي من البحرين الآخرين ، ذلك أن شواطئه على العموم أكثر خصبا و لاتنقصها المرافئ الطبيعية الجيدة ، وتتصف بوجود الرؤوس الأرضية البارزة والسواحل الكثيرة التعاريج ،والجزر المبعثرة ظاهرة فوق سطح المياه ولايغيب البر فيه عن ناظر الملاح والمأوى قريب دائما إن جدّ الخطر فهو بهذه المزايا أهم البحار [39] .

ولذلك شكل البحر المتوسط فضاءا اقتصاديا هاما إذ لايمكن لأحد أن يتجاهل أهميته الكبيرة في مجال النقل البحري والتجاري ، كما يعد موردا هاما للثروة لتوفره على الكثير من المصادر الثمينة والمعادن [40] ، وقبل أن نخوض في الأهمية الاقتصادية لهذا البحر يتوجب علينا أن نشير إلى أمر مهم ، وهو أن حركة الملاحة والسفن التجارية في مياه المتوسط كانت واضحة المعالم و لم تتغير و لم تتأثر بتغير الأنظمة السياسية وتبدل القوى المسيطرة عليه [41] .

فعبر التاريخ شكلت الحركة التجارية في هذا المسطح المائي الدافع الرئيسي والمحرك الأساسي لتفاعل العلاقات في المنطقة ، كما أن العامل الاقتصادي كان المنطلق لكثير

---

([39]) جيمس فريجريف ، الجغرافيا والسيادة العالمية ، تع : علي رفاعة الأنصاري ، مر : محمد عبد المنعم الشرقاوي ، مكتبة النهضة المصرية ، 1956 م ، ص : 56.

([40]) شريف محمد شريف ، جغرافية البحار والمحيطات ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1964 م ، ص : 65 .

([41]) عطلي محمد الأمين ، المرجع السابق ، ص : 24 .

الصدامات التي شهدتها المنطقة [42]، وفي ذلك يقول بروديل : " إن تاريخ البحر المتوسط لعب فيه الاقتصاد دورا حاسما في أغلب الأحيان في الثروات التي يأتي بها البحر كمسطح ، فسيد هذه الثروات هو من سيطر على البحر ، و لم يكن هذا البحر على سعته يقبل بسيد واحد في وقت واحد ، وليس من الضروري أن يكون هذا السيد سياسيا وإنما سيد المبادلات والحياة التجارية " [43] .

إنّ الأهمية الاقتصادية لحوض المتوسط حتمت على شعوبه العيش بلا إستقرار نتيجة لكثرة الصراعات ، يقول ابن خلدون : " الساكنون بسيف هذا البحر وسواحله وعدوتيه يعانون من أحواله مالا تعانيه أمة من أمم البحار " [44] ،والمتتبع لمسار التاريخ سيدرك حتما مدى الاصطدامات التي وقعت والنزاعات التي حدثت بين شعوبه من أجل السيطرة والتملك ووضع اليد على أهم السواحل والمضايق ، وقد كان الفينقيون أهم شعب استشعر الأهمية الاقتصادية للبحر المتوسط ، فأسسوا على ضفافه عديد الموانئ والمدن التجارية كصور وصيدا وقرطاجة ، واحتكروا بفضل خبرتهم البحرية طرق التجارة وتحكموا في المبادلات التجارية والأسواق العالمية التي فاضت بمنتجات إفريقيا والبلدان الآسياوية [45].

جاء الرومان الذين سيطروا على كافة البحر المتوسط وتحكموا في مضايقه وسيروا العلاقات التجارية في المنطقة، فجعلوا منه معبرا رئيسيا نحو مستعمراتهم وخاصة نحو شمال إفريقيا التي كانت بمثابة مخزن للحبوب بالنسبة لروما، والتي خففت عنها حدّة الأزمات

---

([42]) جيمس فريجريف ، المرجع السابق ، ص : 57 .

([43]) broudel ferdinand , op.ct : p 133

([44]) عبد الرحمان ابن خلدون ، المقدمة ، ج1 ، مر : سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 2001 م ، ص : 34 .

([45]) محمد أبو المحاسن عصفور ، المرجع السابق ، ص : 116 .

الاقتصادية في العديد من الفترات [46]،والمتتبع لحركة الفتح الإسلامي بعد ذلك والتي امتدت من المحيط الهندي إلى المحيط الأطلسي ،سيدرك أنها استفادت اقتصاديا من جرّاء استخدامها للبحر في عمليات الفتوح ، كما ساهم الفتح الإسلامي في تنشيط الحركة التجارية العالمية بالبحر المتوسط ،حيث نمت عديد المدن المتوسطية كالقيروان وفاس وعادت أخرى للحياة كإشبلية وقرطبة [47].

وبقي البحر المتوسط محافظا على مكانته كممر تجاري هام بالنسبة لكافة دول العالم، فجميع الدول تحتاج للمرور عبره عندما تريد نقل بضائع الشرق إلى الغرب أو العكس [48]، وقد ساعده في ذلك موقعه الوسطي في العالم وتوفره على المضايق الإستراتجية ،وأهم طريق فيه ذلك الذي ينطلق من شرق آسيا في المحيط الهادي عابرا المحيط الهندي عند ميناء سنغافورة ليجتاز البحر الأحمر وباب المندب ثم قناة السويس ، وعبر مضيق جبل طارق نحو أوروبا الشمالية و الأمريكيتين ، ليقلص المسافة التي تقطعها الأساطيل التجارية إلى النصف بالمقارنة مع تلك التي تعبر نحو إفريقيا الجنوبية [49].

ظل البحر المتوسط يحتفظ بأهميته الاقتصادية طيلة العصور الوسطى لتركز الطرق التجارية به ،واستمر الحال كذلك إلى غاية الفترة الحديثة أين أخذت أهميته تتراجع بعد ظهور الإسبان والبرتغال كقوى تجارية وبحرية ، حيث قاموا بتنشيط حركة الكشوف الجغرافية من أجل الوصول إلى الشرق وكسر الهيمنة العربية على تجار التوابل والحرير والعطور [50] ،وسيعرف البحر المتوسط ركودا اقتصاديا بعد اكتشاف العالم الجديد سنة

---

([46]) يسرى عبد الرزاق الجوهري ، المرجع السابق ، ص : 29 .

([47]) عطلي محمد الأمين ، المرجع السابق ، ص : 25 .

([48]) أرشيبالد ر. لويس ، المصدر السابق ، ص : 14 .

([49]) محمد إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص : 20 .

([50]) يسرى عبد الرزاق الجوهري ، المرجع السابق ، ص ص : 127 - 132 .

1492 م ،وتحول المسار التجاري نحو رأس الرجاء الصالح انطلاقا من سنة 1497 م [51] ،وبالرغم من ذلك فقد اجتمعت عدة عوامل أعادت للبحر المتوسط هيبته الاقتصادية ، ومن بين هذه العوامل :

- ظهور الثورة الصناعية التي جعلت من المتوسط جسر وممر عبور نحو المستعمرات لنقل المواد الأولية إلى مصانعها في الشمال .
- شق قناة السويس والتي زادت من أهمية البحر المتوسط ، من خلال تسهيل حركة التنقل .

وكنتيجة عامة فإن البحر المتوسط بأهميته الجغرافية والتاريخية والحضارية والاقتصادية قد شكل فصلا من فصول الصراع منذ أقدم العصور إلى اليوم ، وقد عانت الأمم الناشئة بضفافه من تبعات هذا الصراع وتأثرت به بشكل كبير وخاصة بلاد المغرب الإسلامي على وجه العموم والجزائر على وجه الخصوص ، ولذا ارتئينا أن نتحدث عن الجزائر بتلميح بسيط كونها موضوع بحثنا لنردف أهميتها بأهمية البحر المتوسط .

إن من يتأمل في الخرائط الجغرافية سيدرك حتما أن الجزائر من أهم الدول المتوسطية نظرا لموقعها الجغرافي الممتاز ، فهي تطل على البحر المتوسط من ناحية الشمال وضاربة بعمقها في الصحراء من ناحية الجنوب ، وقد ساعدها ذلك كي تكون مرتعا للعديد من الحضارات .

إن موقع الجزائر المطل على البحر جعل أنظمتها السياسية طول فترات تواجدها تعيش في حالة تأهب واستعداد لرّد أي عدوان والوقوف في وجه كل من يحاول ضرب الاستقرار وما يمكن أن نستخلصه أن الجزائر قد عانت وتضررت كثيرا من جراء موقعها

---

([51]) فتحي أحمد أبو عيانة ، الجغرافيا الاقتصادية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1984 م ، ص : 65 .

الاستراتجي ، إذ كلفها خسائر مادية وبشرية وكذا فقدان أمنها واستقرارها [52]، وعلى العموم فإن البحر الأبيض المتوسط ، قد أعطى لهذه البلاد هيبة لا تضاهى خلال الفترة الحديثة ، فكان البحر سببا في قوتها وعاملا في سقوطها واحتلالها .

# الفصل الأول

## الأتراك العثمانيون و البحر الأبيض المتوسط

المبحث الأول : **الدولة العثمانية كقوة ناشئة في البحر المتوسط**

المبحث الثاني : **ظهور الإخـــــوة بـــــــــــــــــــــــــــــربروس**

المبحث الثالث : **التحاق الجزائر بالخلافة العثمانية**

## المبحث الأول : الدولة العثمانية كقوة ناشئة في البحر المتوسط

تتعدد الروايات حول قيام الدولة العثمانية كقوة لها شئنها ببلاد الاناضول ، حيث ساهمت العديد من العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها المنطقة في توفير المناخ الملائم لهذه الدولة كي تنشأ وتترعرع ، فبدأت كإمارة صغيرة لتصبح فيما بعد أعظم إمبراطورية ورثت خلافة الإسلام ودافعت عن المسلمين ، وستتمكن بفضل سلاطينها الأقوياء أن تفرض هيبتها وتصنع القرار في مسار التاريخ الحديث [53].

قال الحسن البصري في أصل هذه الدولة ونسبها ، أنّهم يعودون إلى يافث بن نوح عليه السلام ، فيافث هو أبو الترك ويأجوج ومأجوج بنو عمٍ لهم ، وسُمى الترك تركاً أنّ ذى القرنين لما بنى السد على يأجوج ومأجوج ، كان منهم طائفة غائبة وقت بناء السد و لم يعلموا ببناءه فتركوا خارجا عنه ، فسميت هذه الطائفة تركاً لكونهم تُركوا خارج السد ، في حين يرى مؤرخو الدولة العثمانية من الأتراك -ولا شك أنهم أعلم الناس بتاريخ بلادهم- أن أصل شجرة آل عثمان متصل بيافث ابن نوح عليه السلام ، فيقلون

---

([53]) محمد عاكف آيدين ، كمال بكديلي وآخرون ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، مج 1 ( الدولة والمجتمع والاقتصاد ) ،ت: صالح سعداوي، تق : أكمل الدين إحسان أوغلي ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، إسطنبول ، 1929 م ، ص : 5 .

أنها تبتدأ بعثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه بن قيالب بن قزل بوغا بن باتيمور ابن قايلعة بن طغرا بن قرانيو بن ماينفر بن يولعاي بايسنقور بن توفتحور بن ياسان بن حميدة بن افتلق بن قاري جالتمور بن طورج بن قزل بوغا بن باشبوي بن جورمز بن بايو بن طغرا بن سونج بن جارينا بن تورلست بن فوخان بن بالحق بن خاس بن قرعلان بن سليمان شاه بن فرحلو بن بورلوعان بن تيمور بن تورمسن بن كولوالب ابن ادعون بن مورخان بن قابي خان بن ابولجاي بن أبي الحارث بن يافث بن نوح عليه السلام [54] .

إن كثرة المصادر والمراجع التي تحدثت عن نشأة دولة الأتراك العثمانيين ، تكاد تتفق في أغلبها أن نسبها يعود إلى يافث بن نوح عليه السلام [55] ،وهي تنتمي في الأصل إلى إحدى القبائل الغزية ، وبالتحديد قبيلة " قابي " وهي قبيلة تركمانية حكمت منطقة ماهات الصغيرة في الجزء الشمالي الغربي من إيران حاليا ، وعندما استولى المغول بقيادة جنكيزخان على تركستان ، هاجرت القبائل التركية التي كانت تعيش في المنطقة ومن ضمنها قبيلة " قابي " بزعامة سليمان شاه ، الذي فرّ من المغول رفقة آلاف الأتراك مخافة من أن يقع في خطر العبودية أو الموت المحتم على يد هؤلاء الغزاة الجدد [56] ،فأستقر في أخلاط الواقعة في شرقي تركيا الحالية ، ولكن إقامته بها لم تدم طويلا حيث قرر هذا الأخير مغادرة المكان قاصدا وجهة جديدة نحو عربستان ، فمر بجماعته على نهر الفرات وبينما كان يعبره سقط فيه غريقا فمات ودفن بقربه في مكان يعرف إلى الأن بمزار الأتراك

---

([54]) سليمان بن خليل بن بطرس جاويش ، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية ، ط 1 ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1987 م ، ص : 43 .

([55]) سليمان بن صالح الخراشي ، كيف سقطت الدولة العثمانية ، ط : 1 ، دار القسم ، الرياض السعودية ، 1420 ه ، ص : 11 ,

([56]) محمود محمد الحويري ، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى ، ط : 1 ، المكتب المصري للتوزيع ، القاهرة ، ص : 35 .

، وترك خلفه أربعة أبناء هم : ( سنقور تكين ، كون طوغدي ، دوندر و أرطغرل ) [57] .

انقسم أفراد العشيرة بعد وفاة زعيمها سليمان شاه بين أبنائه الأربعة ، فقاد اثنان منهم معظم القوم عائدين إلى خرسان للدخول في خدمة المغول ، بينما تابع الأخوان الباقيان المسير غربا إلى الاناضول ، وتولى أرطغل زعامة هذا الجزء من القبيلة [58] ، وتقول الرواية التاريخية أن أرطغرل هذا قاد جماعة قومه المؤلفة من أربعمئة فارس وعائلاتهم وسار بهم باتجاه الأناضول وفي طريقه شاهد معركة دائرة بين فريقين لايعرفهما فحث أتباعه على نصرة الفريق الخاسر ،الذي تبين بعد التمكين له بالنصر أنه لسلطان دولة السلاجقة " علاء الدين السلجوقي " ، فما كان من هذا الأخير إلا أن كافئ أرطغرل بمنحه أرضاً تسمى " أسكي شهر " ، وهي أرض تقع بين الروم البزنطين وإمارة قونية السلجوقية [59] وبالتحديد في شمال غربي الأناضول [60] .

بعد وفاة أرطغرل سنة **1281** م ، انتقلت زعامة القبيلة إلى أكبر أبنائه وهو عثمان ( **1281** م _ **1362** م ) مؤسس الدولة العثمانية فانحصرت اهتماماته في تأسيس قواعد الدولة العثمانية وتوسعيها على حساب البزنطيين ،مستغلا الفوضى والإهمال المسيطرين على الاراضي البزنطية بالأناضول ، وكان عثمان مواليا للسلطان علاء الدين ومساعده في افتتاح العديد من المدن الحصينة والمنيعة ، فأكرمه بأن سمح له بضرب السكة بإسمه وأمر له

---

([57]) حمزة عزتلو يوسف بك آصاف ، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الان ، تق : محمد زينهم محمد عزب ، ط : 1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1995 م ، ص : 29 .

([58]) نيقولو باربارو ، الفتح الإسلامي للقسطنطينية ( يوميات الحصار العثماني سنة 1453 م ) ، ت : حاتم عبدالرحمان الطحاوي ، ط : 1 ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، ص : 15 .

([59]) محمود السيد الدغيم ، أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية ( الحضارة الإسلامية وعالم البحار ) ، منشورات إتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، 1994 م ، ص : 13.

([60]) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، أصول التاريخ العثماني ، ط : 1 ، دار الشروق ، مصر ، 1982 م ، ص : 14 .

بأن تخطب صلوات الجمعة بإسمه ويدعى له في المنابر ومنحه لقب " بـــــــــــــــكْ " [61] ، وفي حوالي عام **1300** م ، زحف جيش التتار على سلطنة علاء الدين، و انتهى الأمر بوفاته فقام الأهالي بمبايعة عثمان بن أرطغرل سلطانا عليهم [62] ،ومن هنا انفتح المجال للدولة بأن تتوسع فقام هذا الأخير بالتمركز في مدينة "قره حصار" واستولى على القلاع الحصينة " لاسكي شهر " ، ومالبث أن استولى أيضا على مدينة "بني شهر" [63] أين أصبحت هذه المدينة مقرا لحكمه ، ولقب نفسه بادشاه آل عثمان أي سلطان العثمانيين [64] .

قام عثمان بحصين المدينة وتمصيرها وتجميلها وعمل على تأمينها من العدو ، ولما تم له ذلك شرع في تنفيذ مشروعه التوسعي ، فأرسل إلى أمراء الروم بآسيا الصغرى يخيرهم بين الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب كما هي عادة المسلمين في حروبهم فأسلم بعضهم وقبِل البعض الآخر دفع الجزية ، بينما استعانت البقية عليه بالتتار فندب إليهم عثمان ابنه أورخان فشتت شملهم وتمكن من الانتصار عليهم ، وفي السادس من أبريل 1326 م سقطت في يده مدينة بورصة بعدما دام حصارها قرابة العشر سنوات [65] ، والواقع أن استلاء العثمانيين على بورصة كان خطوة هامة حولت إمارتهم إلى دولة حقيقية ذات عاصمة وشعب مستقر وجيش نظامي وإدارة منظمة تشرف على مهام الدولة ، حدث هذا في وقت شهد فيه البيزنطيون فتناً داخلية وحروبا أهلية ومنازعات سياسية بين أفراد

---

([61]) محمود محمد الحويري ، المرجع السابق ، ص : 38 .

([62]) حضرة عزتلو يوسف بك آصاف ، المصدر السابق ، ص : 34 .

([63]) **بني شهر** : أويكي شهر ، ومعناها البلد الحديث وتقع شمال الشرقي من بورصة ، أنظر : فائقة محمد حمزة ، أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 1989 م ، ص : 12

([64]) محمود محمد الحويري ، المرجع السابق ، ص : 38 .

([65]) محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العثمانية العلية ، تح : إحسان حقي ، ط : 1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1981 م ، ص : 63 .

الأسر الحاكمة ، فأصبح العثمانيون يتدخلون بدافع المصلحة بين الأباطرة البيزنطيين المتنافسين فيما بينهم [66]، فأرسلوا بإنتظام قوات كمرتزقة إلى القسطنطينية وتراقيا ، حيث وقعت عيونهم على مدى ضعف بيزنطة من جهة واغتنام فرصة الغزو والتوسع على حساب أراضيهم من جهة أخرى [67] .

بوفاة عثمان بن ارطغرل في بورصة عام ( 726 ه _ 1365 م ) أوصى بالملك لثاني أولاده وهو " أورخان ( 1324 م _ 1362 م ) لما يتصف به من علو الهمة والشجاعة والإقدام ، و لم يوصي به لأكبرهم " علاء الدين " لميل هذا الأخير للورع والعزلة ، [68] وقد سار أورخان على نهج والده في الحكم ، فعين أخاه علاء الدين وزيراً وأمره بوضع الشرائع وسنِ الأنظمة ونقل كرسي الحكومة إلى مدينة بورصة وجعلها عاصمة للدولة [69] ،وقد استمر اورخان في مسيرة الفتح والعمران ، فأرسل جيشا بقيادة إبنه سليمان إلى بلاد الروم ففتح كل من قلعة **ملعزة وأبسالة** ، كما سقطت في يده **نيقوميديا** وهي أزمير حاليا فأنشأ بها أول جامعة عثمانية [70] .

كما أن السلطان أورخان كان أول من صك العملة من الفضة ، فكتب على أحد وجوهها " محمد رسول الله " وعلى الوجه الآخر اسمه ، وقام بترتيب طبقات الجند فجعل منه جيشا دائما بعد أن كان يجمع أيام الحرب ثم يصرف بإنقضاءها ، وقد سمي هذا الجيش " يني تشاري " أي الجيش الجديد ، ثم عرف فيما بعد بالإنكشارية وهم من

---

([66]) محمد عبد اللطيف هريدي ، الحروب العثمانية الفارسية و أثرها في انحصار المد الإسلامي عن أوروبا ، ط : 1 ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1987 م ، ص : 17 .

([67]) محمود محمد الحويري ، المرجع السابق ، ص : 38 .

([68]) محمد فريد بك المحامي ، المصدر السابق ، ص : 71 .

([69]) حضرة عزتلو يوسف بك آصاف ، المصدر السابق ، ص : 34 .

([70]) علي محمد محمد الصلابي ، الدولة العثمانية ( عوامل النهوظ وأسباب السقوط ) ، ط : 1 ، دار التوزيع النشر الإسلامية ، مصر ، 2001 م ، ص : 52

رعايا الدول المسحية من الأطفال الذين يؤخذون صغاراً ويربون تربية إسلامية ويدربون تدريباً عسكرياً [71] .

واستكمالا لإنجازات أورخان التوسعية فقد قام ابنه سليمان باشا من الاستلاء على قلعة " تراقيا " ، كما حقق نصراً كبيراً ضد الإمبراطور البيزنطي **أندرونيق الثالث** ، وألحق به هزيمة فادحة عام **1328** م ،أين استولى بعدها على معظم شبه جزيرة **نيقية** [72] ،وبعد هذه الانتصارات توفي أورخان **1362** م في بورصة بعد أن أنجز العديد من الأعمال والخدمات الجليلة للدولة ، وآل الحكم من بعده إلى ابنه مراد سنة ( **1362** م _ **1389** م ) وكان عمره حين ذاك **34** سنة واستمرت مدة حكمه **31** عاماً ، أي كانت وفاته عام ( **792** ه _ **1389** م ) ، وفي عهد السلطان مراد كانت الإمارات المتاخمة له تنظر إليه بعين الخوف والترقب ، نظرا للنمو السريع الذي شهدته الدولة العثمانية ، فقام هذا الأخير بتوجيه ضربات موجعة إلى خصومه أقعدتهم عن التحرك ضده ، وفي القسطنطينية كان الإمبراطور " امانويل باليولوج " يسعى للإنقضاض عليه [73] لكن السلطان لم يمهلهم ، فقام بضرب **أدرنة** سنة ( **768** ه _ **1366** م ) وجعل منها عاصمة له ، فكان لذلك صدى سيئ لدى عموم العواصم الأوروبية التي دعت إلى قيام حروب صليبية موحدة ضد العثمانيين ، إلا أن مراد تمكن من دحرهم في معركة قوصوه سنة ( **792** ه _ **1389** م ) وسقط شهيدا بأرض المعركة [74].

كانت الإمارة العثمانية في الوقت الذي استشهد فيه السلطان مراد الأول عام **1389** م قد أخذت على عاتقها دورا هاما في أراضي الأناضول ، فتحولت إلى دولة

---

([71]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص : 15 .

([72]) محمود محمد الحويري ، المرجع السابق ، ص : 39 .

([73]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص : 16

([74]) علي محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص : 60

كاملة الأركان [75] ومع اعتلاء بايزيد الأول للعرش ( **1389** م _ **1402** م ) واصل في توسيع رقعة الدولة فجرد جيشا كبيرا زحف به نحو الصرب ،واصطدم هذا الأخير مع تيمورلنك الذي أخذ يتسلط على أملاك الدولة العثمانية ، فالتقى الجيشان في منطقة **توقاد** أين دارت رحى الحرب وانتهت بهزيمة بايزيد وأُخذ كأسير ليتوفى بعد أربعة أشهر من الأسر [76] .

بإنتصار تيمورلنك في هذه المعركة أعاد لجميع إمارت الغزية استقلالها وأعادها إلى سابق عهدها وأعطاها الحماية بعد أن ساعدته في حربه ضد العثمانيين ، وستشهد المرحلة الثانية من مراحل قيام الدولة العثمانية والممتدة من ( **1403** م _ **1566** م ) أزهى فترات الدولة ،حيث قام العثمانيون بإعادة بناء دولتهم من جديد، وتوسعوا بشكل كبير وسريع في كل من آسيا وأوروبا وإفريقيا ، وحكم الدولة في هذه الفترة ستة سلاطيين أقوياء وهم : محمد الأول ، مراد الثاني ، محمد الفاتح ، بايزيد الثاني ، سليم الأول وسليمان القانوني [77] .

عمل محمد الأول ( 1413 م _ 1421 م ) أو كما يعرف في كتب التاريخ العثماني بالسلطان " محمد جلبي " ، على إطفاء الحروب الداخلية وإرجاع الإمارات التي إنفصلت في أيام الفوضى التي تلت وفاة السلطان بايزيد الأول ، ومما يؤثر على استعماله للحزم والحلم في ممارسة الحكم ، فكانت سياسته هادفة إلى توطيد أركان الدولة وتقويتها من الداخل، ولأجل ذلك صالح إمبراطور القسطنطينية وحالفه ، وأعاد إليه بعض المدن على شواطئ البحر الأسود ،كما صالح البندقية بعد هزيمته أمام أسطولها ، وقام بقمع الفتن

---

([75]) محمد عكاف آيدين وآخرون ، المصدر السابق ، ص : 18 .

([76]) إبراهيم بك حليم ، تاريخ الدولة العثمانية العلية المعروف بكتاب ( التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ) ، ط : 1 ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، 1988 م ، ص : 49 .

([77]) مفيد الزيدي ، موسوعة التاريخ الإسلامي " العصر العثماني " ( 1516 م _ 1916 م ) ، دار أسامة للنشر ، عمان ، 2003 م ، ص ص : 73 – 75 .

والثورات وأخضع جُل الإمارات التي أحياها تيمورلنك ، فدانت له بالطاعة والولاء فأستطاع بفضل حنكته وعبقريته في القيادة أن يحافظ على كيان الدولة حين هددتها أخطار التتار وكذا الفتن الداخلية [78] .

بعد وفاة السلطان محمد الأول خلفه من بعده ابنه مراد الثاني ( 1421 م _ 1451 م ) الذي افتتح أعماله بإبرام الصلح مع ملك المجر ،و الاتفاق على الهدنة البالغ أجلها خمس سنوات ، إلا أنّ " إيمانويل " ملك المجر أرادها هدنة دائمة مع تسليم اثنين من اخوة السلطان كضمان لذلك وإلا سيطلق سراح عمّه " مصطفى بن بايزيد " من سجنه لينافسه على العرش وبرفض مراد الثاني للأمر . أطلق إيمانويل سراح " مصطفى " وأمدّه بمراكب حربية ليواجه بها ابن أخيه ، إلا أن مراد الثاني تمكنّ منه وقضى عليه [79] .

ردّ مراد الثاني على عمل إيمانويل العدائي ، حيث قام مراد بمحاصرة القسطنطينية ومهاجمتها في أوت 1422 م ، إلا أنه لم يتمكن من فتحها بسبب ظهور عصيان أخ له اسمه مصطفى ، و لم تلبث هذه الفتنة أن أخمدت بقتله مع الكثير من مناوئيه ، هذا وقد أعاد مراد الثاني للدولة العثمانية ولايات آيدين وصاروخان وغيرها من الإمارات التي انفصلت بمساعدة تيمورلنك [80] .

---

([78]) علي محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص ص : 73 - 75

([79]) روبير مانتران ، الدولة العثمانية ، تر : بشير السباعي ، ج : 1 ، ط : 1 ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1993 م ، ص : 92 .

([80]) محمد فريد بك المحامي ، المصدر السابق ، ص ص : 107 – 109 .

توالت الفتوحات العثمانية واتسع نطاقها وأصبحت الدولة قوية كفاية لتمتلك زمام الأمور ، خاصة في عهد السلطان الجديد محمد الفاتح ( 1451 ه _ 1481 م ) الذي دّك أسوار القسطنطينية بعد أن استعصت على أسلافه من السلاطين [81] .

تمتعت هذه المدينة بأهمية عظمى أين أولاها سلاطين آل عثمان درجة عالية من الاهتمام لأنهم أدركوا تماما أن فتحها سيمكنهم من تأسيس إمبراطوريتهم التي يسعون لبنائها خاصة وأن هذه المدينة تمتلك حصانة طبيعية كبرى ، حيث تحيط بها المياه من ثلاث جهات من الشمال مياه القرن الذهبي ، ومن الشرق مياه البوسفور ومن الجنوب مياه بحر مرمرة فكانت بذلك على درجة كبيرة من المنعة ، وقد أعطاها الإمبراطور قسطنطين اسمه وبنى بها أعظم كنيسة وهي " آية صوفيـــــا " .

تعرضت هذه المدينة للحصار من طرف العثمانيين لأكثر من تسعة وعشرون مرة كان آخرها الفتح المؤزر للسلطان " محمد الفاتح " يوم 29 ماي 1453 م ، والذي اتخذها عاصمة للدولة ، وأصبح اسمها " إسلام بول " أي مدينة الإسلام وقام بتحويل كنيستها الشهيرة آية صوفيا إلى مسجد ، فأقام على أركانها أربعة مآذن وأضاف إلى عمرانها نمطا إسلامياً كما زين جدرانها بآيات قرآنية من الذكر الحكيم [82] .

بهذا الإنجاز سقط أهم معاقل المسحية في الشرق أمام القوة الإسلامية العثمانية ، كما دانت للسلطان محمد الفاتح كل من المورة والصرب والبوسنة وحاصر جزيرة رودس إلا أنه لم يتمكن من فتحها وقد وافته المنية سنة 1481 م [83] .

---

([81]) خليل اينالجيك ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ، ت: محمد . م. الأرناؤوط ، ط : 1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2002 م ، ص : 39 .

([82]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص ص : 28 ، 29 .

([83]) زبيدة عطا ، بلاد الترك في العصور الوسطى ( بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون ) ، دار الفكر العربي ، الكويت ، ص : 195 .

تولى الحكم من بعده ابنه بايزيد الثاني ( 1481 م _ 1512 م ) و لم يحدث في عهده أي تطور حيث يُذكر ،دلك أن بايزيد كان يميل إلى حياة القناعة والزهد ، ويعرف عند الأتراك بإسم " دالولي " ، وقد كان حكمه بوجه عام فترة توقف عن الفتوح أعاد خلالها العثمانيون بناء وتطوير عاصمتهم الجديدة ، كما قاموا بتحسين أنظمة إمبراطوريتهم ، ففي أوروبا انتهت الحروب المتكررة ضد البولنديين والمجر وحلفائهم البنادقة ، كما منح السلطان لحلفائه من النصارى هدنة لمدة سبع سنوات لأنه كان مضطرا للاهتمام والتركيز على ناحية الشرق لظهور تطورات خطيرة تمثلت في ظهور الصفويين بإيران . [84]

هذا وقد شهدت فترة حكمه بداية ظهور العلاقات العثمانية الأوروبية ، أين أوفدت روسيا عام ( 898 ه _ 1493 م ) أول سفير لها إلى القسطنطينية ومعه الهدايا للسلطان بايزيد الثاني ، كما ربطت الدولة العثمانية في عهده علاقة صداقة مع مملكة بولونيا حيث عقد بينهما معاهدة سنة ( 896 ه _ 1490 م ) كما ابتدأت في عهده اتصالات مع البابا اسكندر السادس وملك نابولي ودولة ميلانو وجمهورية فلورنسا ، إلا أن صفو حياته تكدر بسبب عصيان أبنائه وتمردهم فاستقال عن الخلافة وتنازل بها لابنه سليم الأول ( 1512 م _ 1520 م ) [85] .

يعتبر عهد السلطان سليم الأول من أهم فترات التاريخ في عهد الدولة العثمانية لارتباطه المباشر بتاريخ الدول العربية ، حيث اقتضت الإستراتجية العسكرية للدولة أن توجه أنظارها إلى المشرق العربي لأسباب عدة في مقدمتها ، ظهور الصفوين بإيران وكذا ظهور الغزو الأوروبي وتوجهه نحو الوطن العربي حيث ظهر الاحتلال الاسباني في بلاد المغرب الإسلامي وكذا البرتغالي في البحر الأحمر والمحيط الهندي ، ثم قيام الأوروبيين

---

([84]) برنارد لويس ، اسطنبول وحضارة الخلافة الإسلامية ، تع : سيد رضوان علي ، ط : 2 ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، السعودية ، 1982 م ، ص ص : 50 ، 51 .

([85]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص: 34

بإكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وتحويل تجارة الهند والشرق الأقصى عبره ، وكذا قيام الأسطول البرتغالي بمحاصرة الطرق التجارية بالبحر الأحمر والخليج العربي وإرغام التجار على استخدام الطريق الجديد . [86]

كان على السلطان سليم الأول أن يأخذ هذه الأحداث بعين الاعتبار، فكانت أولى أعماله درء الخطر الصفوي عن دولته ،فقام بشن حرب ضد الشاه إسماعيل الصفوي في إيران ،وكان تاريخ 23 أوت 1514 م إعلانا عن هزيمة الصفويين في سهل **جالدران** قرب الحدود التركية الإيرانية ، أين احتل السلطان عاصمتها **تبريز** ثم تركها منسحبا إلى الأناضول بعد أن ترك الشاه مهزوما [87] .

وأكمل سليم الأول مسيرة الفتح ، فحارب المماليك ببلاد الشام وانتصر عليهم في معركة **مرج دابق** سنة ( 923 ه _ 1516 م ) حيث هزم السلطان الغوري ، ثم تابع زحفه جنوبا واستولى على **يـــافا وغزة والعريش** ثم عبر سيناء ودخل الدلتا زاحفا نحو القاهرة ،أين اجتمع المماليك الجراكسة على طومان باي الذي هزم في معركة **الريدانية** عام 1517 م ،وألقى عليه القبض ،وأمر السلطان العثماني بشنقه وخضعت بذلك مصر للسيادة العثمانية ،ومكث بها سليم الأول قرابة ثمانية أشهر ، درس فيها وضع البلاد وإدارتها ليسهل عليه تسيرها وغادرها فيما بعد متجها إلى عاصمته بإسطنبول بتاريخ 10 سبتمبر 1517 م [88] .

---

([86]) نمير طه حسين ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ط : 1 ، دار الفكر ، المملكة الأردنية الهاشمية ، عمان ، 2010 م ، ص : 13 .

([87]) برنارد لويس ، المرجع السابق ، ص : 52 .

([88]) إسماعيل أحمد ياغي ، العالم العربي في التاريخ الحديث ، ط : 1 ، المكتبة العربية ، الرياض ، 1997 م ، ص ص : 39 ، 40

هذا وقد تلا سقوط مصر في يد العثمانيين عام 1517 م خضوع بلاد الحجاز أيضا وذلك بسبب التبعية التي كانت توليها الحجاز لمصر ، حيث كانت هذه الأخيرة توفر الحماية للحجاز بالإضافة إلى الأموال والإعانات التي ترسلها إلى فقراء مكة والمدينة ، وعلى إثر ذلك أسرع شريف مكة " الشريف بركات " بإرسال ابنه إلى القاهرة لكي يقدم التهاني وفروض الطاعة والولاء للسلطان العثماني ، إلى جانب تقديم مفاتيح الحرمين الشريفين ، ومن هنا بدأ نجم العثمانيين يعلوا في الأفق ، وقد دعي للسلطان سليم الأول في المنابر والخطب ولُقب بخادم الحرمين الشريفين [89] .

بهذا التاريخ كان العثمانيون قد وصلوا إلى الحوض الغربي للمتوسط بفضل بحارتهم المتمثلين في الإخوة " بربروس " ، أين استطاع الإخوة ضم الجزائر للدولة العثمانية بعد أن طلب أعيان الجزائر يد المساعدة من سلطانها سليم الأول ، ولاقت تونس نفس المصير وكذا طرابلس الغرب بعد أن حررت من أيدي فرسان مالطة عام 1551 م [90].

بعد وفاة السلطان سليم الأول سنة ( 926 ه _ 1520 م ) خلفه ابنه سليم الثاني المعروف بـــــ " القانوني " ( 1520 م _ 1566 م ) ، وكان له من العمر ستة وعشرون عاما وقد حكم لمدة 48 سنة ، وهي أطول فترة حكم قضاها سلطان عثماني .

يعتبر عصر السلطان سليمان من أزهى العصور في العهد العثماني ، حيث وفق في فتوحاته في الجانب الغربي ، كما وفق في فتوحاته شرقا قد أطلق عليه العثمانيون اسم القـــــانوني لكثرة القوانين والنظم التي صدرت في عهده ، كما أطلق عليه الأوروبيون

---

([89]) فاضل بايات ، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني ( رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية ) ، ط : 1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2003 م ، ص : 84 . **انظر** أيضا : إسماعيل أحمد الياغي ، المرجع السابق ، ص : 42 .

([90]) أندريه ريمون ، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني ، تر : لطيف فرج ، ط : 1 ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1991 م ، ص : 21 .

لقب العظيـــــــم ، ويرجع السبب في ذلك إلى شجاعته ، حيث استطاع أن يفرض هيبته في عصر كان يعيش فيه الكثير من المشاهير أمثال " فرانسوا الأول " ملك فرنسا و " هنري الثامن " ملك إنجلترا و " شارل الخامس " ملك إسبانيا وألمانيا [91]، هذا وقد صادفت أيام السلطان سليمان القانوني نهضة شاملة في أوروبا في القرن السادس عشر الميلادي 16 م ، وقد سايرهم العثمانيون في ذلك بل فاوقهم في المضمار الحربي ، و لم يوجد في أوروبا كلها من يفوقهم حربيا أو سياسيا أو إداريا وقد قطعت الدولة العثمانية شوطا كبيرا في التفوق والعظمة ، بالإضافة إلى فتوحاتها البحرية .

كانت لها العديد من الإنجازات البحرية ، خاصة بعد أن نمّت بحريتها بشكل كبير بفضل عديد القادة الأكفاء أمثال "سنان باشا ودرغوث و الإخوة بربروس " ، حيث لعِب هؤلاء دوراً هاما في تحويل البحرية العثمانية إلى قوة فعالة في البحر المتوسط بأكمله [92].

حققت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني نجاحات باهرة في الحوض المتوسط ، حيث تمكن هذا الأخير من فتح بلغراد ( 926 ه _ 1521 م ) كما فتح جزيرة رودس التي كانت بمثابة قاعدة عسكرية منيعة لفرسان المحاربين الذين يمارسون القرصنة البحرية في أرجاء المتوسط ،ويهددون الطرق التجارية الموصلة والرابطة بين إسطنبول وسائر ايالاتها [93] .

بإخضاع رودس جرى تأمين الطريق البحري ،ولم يبق في طريق السيادة في شرق المتوسط إلا عقبة واحدة وهي جزيرة قبرص ، واستطاع " خير الدين " إخضاعها عام

---

([91]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص : 35 .

([92]) المرجع نفســــــــــه ، ص : 37 .

([93]) خلف بن ديلان بن خضر الوذيناني ، الفتح العثماني لجزيرة رودس ( 929 ه _ 1523 م ) ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، السعودية ، 1997 م ، ص ص : 43 ، 44

1538 م [94] كما غزى السلطان سليمان بلاد المجر والتقى بجيوشهم في معركة " موهاكس " ( 932 ه _ 1526 م ) وقتل ملكهم " لويس الثاني " ، كما حاصر فيينا عشرين يوماً عام 1529 م إلا أنه لم يتمكن من فتحها [95] .

وتجدر الإشارة إلى جزيرة مالطة لأهمية موقعها ، فنقول أنه رغم قوة الأساطيل العثمانية وشّدة بأسها ، لم تقدر أن تتغلب على فرسان القديس يوحنا أصحاب هذه الجزيرة ، وقد كانت هذه الجزيرة هبة لهم من طرف " شارل الخامس " بعد أن قام العثمانيون بطردهم من جزيرة رودس بعد فتحها عام 1522 م ، ففي عهد السلطان سليمان القانوني سيرّ إليها أسطولا عظيما عام 1565 م بقيادة " مصطفى ودرغوث باشا " فحاصروها مدة أربعة أشهر ، ثم اضطروا للجلاء عنها بعد قتال مرير أبداه فرسان القديس يوحنا دِفاعاً عن جزيرتهم حتى لم يبق من حاميتهم سوى 600 فارس بعد أن كان عددهم قرابة تسعة آلاف فارس [96] .

وعلى العموم كشف العثمانيون عن تفوقهم بالبحر المتوسط بحوضيه الشرقي والغربي ، وظلت الدولة العثمانية بعد وفاة سليمان القانوني بأكثر من قرن قوة جبارة ومهابة من القوى الأوروبية [97] .

آل الحكم بعد وفاة السلطان سليمان القانوني إلى ابنه " سليم الثاني " 1566 م وكان له من العمر خمسة وأربعون عاما ، حيث عمل السلطان سليم الثاني على إتمام فتح ممالك اليمن التي كان والده قد بدأ بفتحها [98] ،وعمل السلطان سليم الثاني على إرسال

---

( [94]) محمد عكاف آيدين و كمال بكديلي وآخرون ، المرجع السابق ، ص ص : 42 – 43 .

( [95]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص :37 .

([96]) أحمد عبدالله الفليج ، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية ، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر ، الكويت ، 1984 م ، ص : 42 .

( [97]) برنارد لويس ، المرجع السابق ، ص : 57 .

( [98]) عبدالعزيز سليمان نوار ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص : 100 .

النجدة لمسلمي غرناطة ، بعد أن استنجدوا به من ظلم وقهر مسحي إسبانيا حيث لبى طلبهم بأن أرسل لأمير ايالة الجزائر بمد يد العون [99] ،وفي عهده أيضا توجهت أنظار العثمانيين صوب البحر الأحمر لإعادة الحياة إلى طرق التجارة القديمة لكسر شوكة البرتغاليين الذين وصلوا إلى الهند، وتحكموا في تجارة التوابل والعطور وعطلوا التجارة في البحر المتوسط .

سيطر العثمانيون على نقاط مهمة في البحر الأحمر ، كـــــــ : " عدن في اليمن وخليج البصرة " ، وكانت هذه السيطرة بمثابة ضربة موجعة للبرتغاليين الذين كانوا يحققون أرباحا طائلة من تجارة التوابل ، وقد ساهمت سيطرة العثمانيين على البحر الأحمر في عودة التجارة إلى البحر المتوسط أين انتعشت وازدهرت عديد المدن الإسلامية على غرار الإسكندرية ومدن الشام [100].

بعد هذه الإنتصارات التي حُقِقَت للدولة العثمانية أيام محمد الفاتح وسليم الأول وسليمان القانوني ، ورثت الدولة واقعاً جديداً فعلى الرغم من أن نظام الدولة كان قويا إلا أنه شهد الضعف في بعض جوانبه ، وذلك للاتساع رقعة الدولة الجغرافية ، وبدأ دور الدولة يتراجع تدريجيا نحو الضعف والانحطاط ، بعد وفاة السلطان سليمان القانوني حيث حكم 18 سلطانا مابين ( 1520 م _ 1808 م ) لم يكن أحد منهم يمارس الحكم بنفسه ،بل بواسطة الوزراء الذين أشفق عليهم بعضهم على الدولة وحافظ عليها ، في حين كان البعض الآخر مثلا للرشوة والفساد [101] .

بدأ الوهن والضعف يظهر في الدولة من خلال ضياع النفوذ والسيطرة على البحر المتوسط ، حيث تراجع العثمانيون عن مخططاتهم التوسعية فبرغم من الانتصار الذي

---

([99]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص : 38 .

([100]) محمد عكاف آيدين وكمال بكديلي وآخرون ، المصدر السابق ، ص ص : 43 ، 44 .

([101]) نمير طه حسين ، المرجع السابق ، ص : 15 .

حققوه في حلق الوادي في تونس عام 1574 م ، إلا أنه كان نصرا بدون نتائج فمباشرة بعد الانتصار شرع العثمانيون في التفاوض مع الإسبان بشأن عقد معاهدة سلام ، وقد كان للانسحاب العثمانيين من الساحة المتوسطية عواقب وخيمة يمكن أن نختزلها في ضعف السيطرة العثمانية على ولاياتها في الشمال الإفريقي ، وسيادة أعمال القراصنة حيث عاد فرسان مالطة ليشكلوا خطرا على التجارة العثمانية والحجاج ، وأصبح من الصعب على العثمانيين أن يتصلوا بمصر والشام ، ولم يقتصر فقدان السيطرة على البحر المتوسط فحسب بل بدأ العثمانيون يفقدون سيطرتهم على البحر الأسود ، ففي الفترة الممتدة مابين ( 1614 م _ 1625 م ) فقدوا السيطرة على " سينوب ويكي كوي " وانعدم الأمن في البحر الأسود وهو ما وجه ضربة قوية للتجارة العثمانية [102].

## المبحث الثاني : ظهور الإخـــــــوة بربروس

استولى العثمانيون إثر حملتهم ببحر إيجه على جزيرة ميديلي [103] في سنة 1458م ،و لكي يثبت الأتراك وجودهم بها ،أرسل السلطان العثماني طائفة من جنده و أمرهم بالاستقرار نهائيا في جزيرة ميديلي ،وعندما اعترض الجنود على ذلك أذن لهم بالزواج من مسيحيات [104]، و كان من بين هؤلاء الجند جندي اسمه يعقوب و هو شاب من

---

([102]) عبد الرحيم بنحادة ، العثمانيون ( المؤسسات والاقتصاد والثقافة ) ، تق : عبد الرحمان المودن ، ط : 1 ، دار النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 2008 ، ص : 49 .

([103]) **جزيرة مديلي** : تطلق هذه التسمية على الولاية التركية التي كانت تضم تراقيا ومقونيا وبلغاريا والصرب وألبانيا وجميع جزر بحر إيجة . **أنظر** : عبد السلام الترمانيني ، أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين ،ج 4،ط : 1 ،1997 ، ص : 822 .

([104]) أبو الراس الناصري الجزائري ، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار،تح:بوركبة محمد ،ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ،2012،ص330 .

روميلي [105] ، من فرقة الخيالة (سبايهيا) ،و بناءا على ذلك فقد تعرف يعقوب من مسيحية تدعى كاتالينا فتزوجها و كان له منها أربعة أولاد [106]، أكبرهم إسحاق867ه _ 1462م ، ويليه عروج 869ه/1464م ثم خضر [107]871 ه-1466م ، و كان أصغرهم إلياس [108] ،ومن المحتمل أن تكون هذه التواريخ قريبة من الحقيقة [109].

كما يذكر مبارك الميلي في كتابه تاريخ الجزائر أن يعقوب كانت مهنته قبل الدخول في الجندية تتمثل في صنع أواني الخزف، فاستأنف هذه المهنة و أثناء مباشرته لها تعرف على (أيم) المسيحية ،ويذكر عروج في مذكرته انه عندما فتح السلطان محمد الفاتح جزيرة ميديلي كان أباه أحد فرسان السبايهية [110] ،و عندما انتظمت أموره تزوج من إحدى بنات الجزيرة ،حيث كان أنيقا شجاعا .

و قد استقر إسحاق في قلعة ميديلي أما خير الدين و عروج فقد كان مولعين بركوب البحر، و عليه اقتنى عروج سفينة و انطلق بها للتجارة في البحر ، حيث كانوا في بداية الأمر يجلبون البضاعة من سلانيك و اغريبوز و يبعونها في ميديلي، إلا أن عروج كان يرغب دوما في الذهاب إلى أكبر من هذه المسافة ، و ذات يوم ذهب عروج مع إلياس إلى

---

) مبارك بن محمد الهلالي الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج 3 ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ، ص 32 :[105]

([106]) مبارك الميلي، المرجع السابق ، ص: 32

([107]) اسمه الخضر و لقب بخير الدين

([108]) عزيز سامح ألتر، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا ،تر: محمود علي عامر، ط:1،دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان،1989، ص27 .

([109]) عزيز سامح ألتر ، نفسه ، ص : 27

([110]) مصطلح يطلق على فرسان

طرابلس الشام غير أنهما لم يتمكنا من الوصول [111] ،حيث صادفا في طريقهما سفن فرسان جزيرة رودس [112] وهناك اشتبكا معهم ،و على إثرها سقط إلياس شهيدا بينما استولى فرسان رودس على السفينة و أخذوا عروج أسيرا و كان هذا عام 1501م [113]

.

إزاء هذا الشأن اقسم عروج على منازعة قطاع الطرق المسيحيين ،و نذر نفسه لذلك و كانت جزيرة رودس تحكم من قبل احد القباطنة ،إلى جانب عدد كبير من العساكر ،و مهمتهم حراسة الجزيرة و حفظ الأمن فيها ، وكان حاكمها يطلق عليه قبطان أو القائد ، حيث كبل عروج بالأغلال و تركه يتجول بالجزيرة.

تأثر خير الدين بسماع خبر اسر أخيه عروج فاخذ يجمع المال لفديته [114] و إنقاذه حيث تعرف خير الدين على تاجر مسيحي من أصل رودسي ،و الذي كان ينتقل بتجارته بين رودس و ميديلي يدعى « غريقو » حيث طلب منه خير الدين أن يتوسط لفك اسر أخيه ، و قد قدرت الفدية بـــــ : ألف أقجة ذهبية ، و بعد اتفاق ذهبا معا إلى جزيرة بودروم و من هناك تابع التاجر طريقه إلى رودس للإطلاع على أحوال عروج حيث تقابل معه و أطلعه عن أمر فديته، فسر بهذا ،ثم جلس منفردا يفكر في الأمر ،وأثناء تواجده بالجزيرة تعرف على رجل غني و لطيف يقال له ابن سانتري أو سانترلو اوغلو ، فشاوره عروج بالأمر و طلب منه أن يشتريه ثم يبيعه للتاجر الرودسي ،فقبل هذا الأخير طلب

---

([111]) مجهول ، مذكرات خير الدين بربروس ، تر: محمد دراج ، ط:1 ، شركة الاصالة للنشر ، الجزائر ، 2010 ، ص 21 .

([112]) **رودس** : جزيرة تقع في البحر المتوسط عند مدخل بحر إيجه جنوب غرب الاناضول.**أنظر:**كتاب عبد السلام ، المرجع السابق،ص822.

([113]) وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر،تع :عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006،ص.38 )

([114]) مبارك الميلي ، مرجع السابق ، ج3 ، ص : 33

عروج و توصلا إلى خطة لايعلمها غيرهما. [115] لكن قبل أن تتم عملية البيع ألغيت الصفقة ، لان فرسان رودس قد بلغهم مجيء أخيه خير الدين إلى بودروم و هو مستعد للدفع ، هذا و قد اختلف شريكاه على بيعه [116]، حيث أن أحد المالكين قد اظهر استعداده لبيعه غير أن الملك الثاني قد كابر في الأمر، و اشترى حصة صاحبه [117] ،و قدر ثمنه ب خمس وعشرون ألف أقجة ذهبية ،حيث نقل المالك الجديد عروج إلى بيته و كبله بالحديد و تركه في خندق [118].

كما مورست عليه شتى أنواع التعذيب و الظلم ، لم يتمكن عروج من تحمل هذا العناء وفي ليلة من الليالي وقد إشتد كربه ، فرفع يداه إلى رب العالمين راجيا منه أن يفك أسره و يخلصه من ظلم المسيحيين ،و أمضى عروج الليلة يدعوا في ذل و انكسار حتى غص في النوم، وإذا به يرى في منامه شيخا مشرق الوجه يقول له :" يا عروج لا تحزن بسبب ما أصابك من أذى في سبيل الإسلام فان خلاصك قريب" ، فسر عروج كثيرا لهذه الرؤيا و انشرح صدره . كلف عروج بالتجديف في السفن المسيحية [119]، و في هذه الأثناء كان السلطان شيخ زادة قرقود واليا على أنطاكيا ، و كان يهتم بفداء الأسرى المسلمين من أيدي النصارى فهو يجمع بكل ما لديه من ماله تبرعا لوجه الله و يرسله لافتداء الأسرى المسلمين ، حيث كلف أحد عماله بالسفر إلى رودس و زوده بمبلغ من المال لافتداء أربعين أسير مسلما و نقلهم بسفينة رودسية حتى سواحل انطاليا، حيث وقع

---

([115]) عزيز سامح ألتر ، المرجع السابق ، ص : 30

([116]) مذكرات خير الدين، المصدر السابق، ص : 26

([117]) مبارك الميلي، المرجع السابق ،ج3 ، ص : 33

([118]) عزيز سامح ألتر ، المرجع السابق ، ص : 31

([119]) مذكرات خير الدين ، المصدر السابق، ص ص : 27،28

الاختيار على السفينة التي كان يشتغل بها عروج و هو من جملة أسرى الذين كلفوا بالتجديف ،حيث أصبح في هذا العمل الشاق منذ ثلاثة سنوات [120].

كان عروج رجلا خفيف المزاج يتكلم كثيرا من اللغات ولا سيما اللغة الرومية التي كان يتقنها ،و كان في كثير من الأحيان يتبادل أطراف الحديث مع القباطنة الرودسيين ،و ذات يوم قال القباطنة لعروج " أنت رجل حلو الحديث خاصة بلساننا الذي تعرفه جيدا ما الذي وجدته في الإسلام ؟ تعال و ادخل في ديننا، و سوف يكون لك شان كبير بيننا " فأجابهم عروج قائلا:" أيها المجانين كل شخص يروقه دينه هل يوجد نبي أفضل من النبي محمد صلى الله عليه و سلم لأومن به ؟ ،"فردوا عليه إذن فلتبقى على حالك، و ننظر كيف يخلصك نبيك من أيدينا [121]، و الآن فلتستمر في الجدف. و انطلقت السفينة المحملة بالأسرى،و في الطريق كسرت إحدى قيوده ، حيث رست السفينة في مكان قريب من انطاليا و نزل الحاجب و معه مئة أسير ،و في تلك الليلة هبت رياح معاكسة قرر الرودسيون بسببها الانتظار حتى الصباح .

و في أثناء الليل هبت عاصفة قوية أجبرت الجميع على الخلود للنوم بعد إرهاق شديد ،حيث استغل عروج الموقف و الظلام الدامس ، و رمى نفسه بين الأمواج ليصل إلى قرية قريبة من الساحل بسلام ليسجد شاكرا لله ، حيث حضي بترحيب واستضافت عجوز في بيتها و التي أكرمته بالطعام و اللباس و جميع ما يلزمه ، فأمضى عشرة أيام في تلك القرية التي كان أهلها يتخاصمون على ضيافته في كل ليلة ، و الذين زودوه بالأكل و المال و كل ما يلزمه ، أما الرودسيون عندما حل الصباح وجدوا مكان عروج خاليا فأدركوا انه قد تمكن من الفرار. و عندما فقدوا امل العثور عليه رجعوا إلى رودس و الحسرة بادية على وجوههم .أما قسيس السفينة فقد أعلمهم أن معرفة عروج بالسحر قد

---

([120]) عزيز سامح ألتر ، المرجع السابق ، ص ص : 30،31

([121]) نفسه ، ص : 31

مكنته من الهرب [122] ، و في هذه الأثناء كان خير الدين في بودروم ينتظر خبرا من رودس عن أخيه ،حيث اعلمه التاجر أن أخاه قد هرب لكن خير الدين لم يصدق الخبر في بادئ الأمر غير أن البحارة الموجودين في الميناء أكدوا له صحة الخبر . [123]

توجه عروج إلى انطاليا حيث بدأ في البحث عن عمل في السفن ،و بعدها عينه « الرايس علي » على متن سفينته من نوع غاليون ، [124] و الذي كان متأهبا للسفر إلى مصر ،حيث أسندت له مهمة القبطان، و عند وصولهم إلي الإسكندرية استقر عروج بها و بعث برسالة إلى ميديلي شرح فيها مغامرته ،حيث سر كثيرا خير الدين لنجاة أخيه. و كان عروج قد عرض على سلطان مصر العمل عنده فقبل السلطان و سلمه سفينة من نوع قادرغة [125] [126].

تمكن البرتغاليين من اكتشاف طريق إلى الهند عن طريق الالتفاف حول قارة إفريقيا ، وجعل القراصنة البرتغاليين يعترضون سفن الحجاج المسلمين ويستولون عليها ،ويقتلون من فيها من حجاج أو يبيعونهم كرقيق ، وكانوا يهاجمون السواحل الإسلامية في الهند و شرق إفريقيا المطلة على المحيط الهندي و البحر الأحمر .فشكلوا خطراً على الملاحة الإسلامية وهذا الأمر جعل السلطان المملوكي يسعى إلى بناء أسطول قادر على حماية

---

([122]) مذكرات خير الدين ، المصدر السابق ، ص ص : 31، 32

([123]) عزيز سامح ألتر ، المرجع السابق ، ص : 32

([124]) هي سفينة حربية ذات أشرعة هوائية يقوم بدفعها الجدافون الأسرى و كانت تستعمل قبل اكتشاف السفن البخارية

([125]) هي نوع من أنواع السفن الحربية المستعملة آنذاك و هذا النوع مخصص لمهاجمة السفن المعادية تحتوي على 25 مقعدا يعمل عليها 49 مجدفا يبلغ طولها من 165- 168 قدما عرضها من 21-22 قدما **أنظر** : عزيز سامح ألتر ،المرجع السابق ، ص : 32

([126]) مبارك الميلي، المرجع السابق ،ج3 ، ص : 34

السواحل الإسلامية. فسمع سلطان مصر بشهرة عروج ودعاه للقدوم وعرض عليه الدخول في خدمته ، وإذا وافق عروج على هذا العرض عينه قائداً للأسطول.

كتب السلطان مرسوماً إلى والي أضنة بأن يرسل إلى ميناء بياس بخليج الإسكندون من الأخشاب ما يكفي لصناعة أربعين قطعة بحرية، ففعل الوالي المطلوب وأرسله إلى الميناء ، في هذه الأثناء كان سلطان مصر يقوم بتجهيز أسطول بحري بهدف إرساله إلى الهند ، فكلف عدة سفن بالذهاب إلى خليج بياس (payas) لإحضار الخشب اللازم لإنشاء هذا الأسطول ،و قد خرج عروج بستة عشر سفينة إلى بياس على أن يأخذ الخشب ثم يتجه به إلى مصر . لقد علم الرودسيون بان عروج قد صار قائدا لأسطول ملك مصر ففرحوا كثيرا و صاروا يترقبون الفرصة المواتية للنيل منه ، و عندما بلغهم مجيئه إلى بياس جهزوا أسطولهم و تحركوا صوبه ، و حينما كان البحارة منشغلون بجمع الخشب أغار عليهم المسيحيين و هاجموا سفنهم الراسية ،و احرقوها فاضطر البحارة للفرار في البر داخل الأراضي العثمانية [127] .

عاد عروج ثانية إلى انطاليا و هناك اتصل بواليها الشيخ زاده قرقود ،و شرح له حالته فأمر بإعطائه سفينة تسع لثماني عشر مقعدا ، و بعد أن جهزت سلمت لعروج ونزل بها البحر متجها إلى جزيرة رودس ، و في طريقه كلما مر على جزيرة إلا هاجمها فدب الرعب فيها ولا يكاد احد ينجو منه ، فهم وشكى سكانها أمرهم إلى قائد رودس الذي أمر بملاحقة عروج، و بدأت السفن الرودسية في ملاحقته و البحث عنه في كل مكان، و أخيرا عثروا على سفينته راسية في إحدى المراسي على إحدى الجزر فهاجمه الرودسيون ، هرب عروج رفقة أصحابه إلى اليابسة مصطحبا معه أبناء أسرى مسيحيين ،و إلتجأ مرة ثانية إلى قرقود الذي كان بمنيسا و هناك التقى بالسلطان قرقود الذي قلده

---

([127]) مذكرات خير الدين، المصدر السابق، ص ص: 34 ، 35

حلة رياسة جديدة ووضع تحت أمره سفينة من نوع قاليتة [128] ،و أذن له بالسفر داعيا له بالتوفيق كما وضع يبالي بك سفينته الخاصة تحت تصرف عروج [129].

انطلق عروج في عرض البحر بعدما تسلم السفينتين في الوقت المطلوب ،و في طريقه التقى بسفينتين من سفن البندقية فاستولى عليهما ، فمر على جزيرة ميديلي واصل طريقه في البحر، فالتقى بسفينتين فهاجمهما و استولى عليهما في سواحل بوليا ،ثم توجه إلى جزيرة اغريبوز و فيها استولى على ثلاثة سفن أخرى تابعة للبندقية، بعدما اخذوا مائتين و خمسة و ثمانين أسيرا و قتلوا مئة و عشرون بحارا ثم عاد إلى ميديلي و هناك حضي باستقبال كبير من قبل إخوته خير الدين وإسحاق .

قرر عروج العودة إلى أزمير لمقابلة ولي نعمته قرقود ،و في هذه الأثناء بلغهم نبأ الصراع الذي نشب بين السلطان قرقود و أخيه سليم، قرر عروج التعجيل في مغادرة الجزيرة لأنه كان من المقربين من السلطان قرقود ، حيث قرر توجه إلى مصر ،و لما بلغها قدّم إلى سلطانها الاشرف قانصوه الغوري [130] عدد من الأسرى، حيث سمح له ملك مصر بقضاء الشتاء فيها ،و مع قدوم ربيع 1513 استاذن عروج للخروج للغزو، فأذن له سلطان مصر بذلك خرج عروج بسفنه إلى البحر ليصطاد من هنا و هناك، و حصل من جراء هذا على غنائم كثيرة حيث استولى على خمس مراكب تابعة للبنادقة ،و من هناك توجه إلى جزيرة جربة حيث باع غنائمه هناك،و قد استقر رأيه على اتخاذ جزيرة جربة كمقرا له ،و بعدما استقر بها اخذ يهاجم السواحل المسيحية . [131]

---

([128]) احدى السفن الحربية بها من 20- 25 مقعدا عادة ما تستعمل في مطاردة سفن العدو **أنظر** : عزيز سامح ألتر ،المرجع السابق ، ص : 32

([129]) عزيز سامح ألتر ،المرجع السابق ، ص:33.

([130]) عبد السلام الترمانيني ، المرجع السابق، ص ص : 605 -606 .

([131]) مذكرات خير الدين، المصدر السابق، ص ص :41-42.

عندما جلس السلطان سليم الأول [132] على العرش ،وقع خلاف بينه و بين أخيه قرقود الذي أرسل جيشا للبحث عليه إلا أنه لم يتمكن من العثور عليه ، وفي ذلك الوقت جاء الإسكندر باشا إلى جزيرة ميديلي ليضايق خير الدين ،و هذا لان أخاه عروج هو من أنصار السلطان قرقود ، فاضطر خير الدين إلى تحميل سفينته بالقمح و التوجه إلى طرابلس الشام ،حيث استبدل القمح بالشعير ، و بعد مروره بجزيرة أياماوري استهوته سفينة راسية فسال عن صاحبها و اشتراها ، و كان في قمة السعادة لاقتنائها حيث جاب البحر المتوسط إلا ان وصل إلى جزيرة جربه ، و هناك التقى باخاه عروج وكان ذلك سنة 919ه/1513م ،و بعدها توجه الأخوان إلى تونس حيث وضع نفسهما تحت تصرف السلطان الحفصي .

**العثمانيون في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط :**

بعد أن كون الأتراك دولتهم بآسيا الصغرى(الأناضول ) أواخر القرن 13م على حساب الدولة البزنطية ،عبروا بحر مرمرة ومضيقي البوسفور و الدردنيل و رموا بكل ثقلهم في شرق أوروبا ،كما أطاحوا بالدولة البزنطية و استولوا على عاصمتها في عهد السلطان محمد الفاتح عام 1453م، و اتخذوها عاصمة لهم ،ثم أخذوا يوسعون في دولتهم على حساب الإمارات المسيحية الأخرى ، و في عهد السلطان سليمان القانوني توغل العثمانيون في شرق أوروبا عبر نهر الدانوب وصولا إلى مدينة فينا ، ففرضوا عليها الحصار مرتين ،الحصار الأول كان عام 1529م ، و الثاني عام 1683.

---

([132]) هو السلطان سليم ابن السلطان بايزيد ابن السلطان محمد الفاتح ،كان أبوه يريد أن يولى أخاه الأكبر أحمد الذي تنازل على الملك لأخيه سليم و توفى بعد عشرين يوما من ذلك ،و دخل في صراع مرير بين الصفويين بايران و الملك قنصوه بمصر توفي سنة 926ه/1520م للمزيد أنظر :كتاب عبد السلام الترمانيني،المرجع السابق ،ص ص228-229

توغلت أساطيل العثمانيين في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط [133]، حتى وصلت إلى شواطئ اسبانيا ،و بلغ الأتراك أوج قوتهم ،في الوقت الذي أشتد فيه الصراع بين فرانسوا الأول ملك فرنسا، و شارلكان أو كارلوس الخامس ملك اسبانيا ،و إمبراطور الرومانية المقدسة.و كانت شعوب أوروبا الشرقية في هذه الفترة ضعيفة اكتفت فقط بالدفاع و المقاومة المحدودة ،و استعانت بقراصنة البحر و قوات شارلكان الاسباني وبعض الدويلات و إمارات الايطالية و الصقلية ،و على رأسها فرنسا ومالطا و البندقية .فاحتاط الأتراك للأمر و أذنوا لبعض رياس البحر بارتياد الحوض الغربي للبحر المتوسط من أجل مقاومة أساطيل القراصنة الأوروبيين و اعتداءاتهم وذلك لهدفين رئيسيين هما :

- الدفاع على موانئ المغرب العربي وحماية سكانها وتقديم المساعدة لمسلمي أندلس المضطهدين.
- إشغال أساطيل أوروبية عامة واسبانية خاصة عن المشاركة في حرب شرق البحر المتوسط التي يتحمس لها البابوات ويدعون لعالميتها ضد المسلمين عامة و الأتراك خاصة.

كادت اسبانيا أن تثبت أقدامها بسواحل المغرب ، إلا أن برز الإخوة بربروس على مسرح الأحداث فالتحق أبناء الفخارجي يعقوب بن يوسف الثلاثة : عروج وخيرالدين وإسحاق منذ حوالي 1504م بالبحر المتوسط ،و استحدثوا لأنفسهم أسطولا بحريا و شرعوا في مواجهة القراصنة الأوروبيين [134] ، انطلاقا من جزيرة جربة و حلق الوادي [135] وتمكنوا من تكوين إمارة مستقلة بجزيرة جربة [136] و اتخاذها قاعدة بحرية

---

([133]) يحي بوعزيز، مختصر في تاريخ الجزائر،ج 2 ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،2007 ، ص : 6

([134]) يحي بوعزيز، موضوعات و قضايا..، المرجع السابق، ص : 336

([135]) هو ميناء تونس العاصمة و الذي يصب فيه نهر تونس .**أنظر :** كتاب عبد السلام ، المرجع السابق ،ص821 )

لنشاطاتهم [137] ،حيث طلب عروج من السلطان الحفصي بتونس أبو عبد الله محمد بن الحسن أن يمنحه بعض مراسيه لاتخاذها مركزا لأسطوله ،فوافق السلطان الحفصي على ذلك مقابل حصوله على ثمن الغنائم [138] ، وقالوا له «: نريد أن تتفضل علينا بمكان نحمي فيه سفننا بينما نقوم بالجهاد في سبيل الله ،وسوف نبيع غنائمنا في أسواق تونس ، فيستفيد المسلمون من ذلك وتنتعش التجارة ،كما ندفع لخزينة الدولة ثُمُن ما نحوزه من الغنائم » .

فقبل سلطان تونس ورحب بهم. وأذن السلطان لهم بالرسو في ميناء حلق الوادي وقضوا الشتاء هناك.وعند حلول الربيع بدأوا بغزواتهم البحرية حتى بلغوا جزيرة سردينيا، وهناك استولوا على سفينة أحد القراصنة كان فيها مائة وخمسون أسيراً. واستولوا على سفينة أخرى كانت محملة بالقمح، وقد وجدوا القراصنة الموجودون عليها قد هربوا ولاذوا بالفرار، وفي الصباح اليوم التالي استولوا أيضاً على سفينتين أخريين إحداهما مشحونة بالعسل والزيتون والجبن، والأخرى سفينة جنوية كانت محملة بالحديد [139] .

كما جمع الكثير من المتطوعين حيث بدأ ممارسة نشاطه البحري انطلاقا من هذه القاعدة ،فذاع صيتهم في الجهاد ضد الأسبان، التي لطالما طالت غاراتهم المستمرة السواحل المغربية ، [140] و أثمرت جهودهم و أعمالهم على الاستقرار بمدينة الجزائر عام 1516م و

---

([136]) جزيرة تونسية في خليج قابس تشتهر بصناعة الخزف و الحلي و النسيج الصوفي و الحريري و السجاد و فيها مصائد للاسماك و الإسفنج.من كتاب عبد السلام الترمانيني ، المرجع السابق ،ص : 820

([137]) عاطف عيد وحليم ميشال حداد ، قصة و تاريخ الحضارات العربية بين الأمس و اليوم تونس و الجزائر، موسوعة عدد 21-22 ، ص 118

([138]) مجهول ،غزوات خير الدين بربروس ، المصدر السابق ، ص : 46

([139]) مذكرات خير الدين ، المصدر نفسه، ص : 47-48

([140]) فاروق عثمان أباظة ، أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر و عالم البحر المتوسط أثناء القرن 16، دار المعارف، ط2، القاهرة، ص: 97

ضمها إلى الخلافة العثمانية كنيابة جديدة تابعة لها ابتداء من عام 1518 م ، و بظهور هؤلاء الإخوة شهدت منطقة المغرب الإسلامي تطورات متسارعة تمخض عنها ميلاد دولة جزائرية ، و التي فرضت نفسها كقوة جديدة مؤثرة في تاريخ البحر المتوسط ،و لعبت بذلك دورا هاما في الأحداث العالمية لهذا الحوض البحري طيلة 3 قرون [141] .

**المبحث الثالث : التحاق الجزائر بالخلافة العثمانية**

إن الضعف الذي أصاب الدولة الموحدية جعلها تنقسم وتتفكك وتفقد السيطرة ، نتج عن ذلك سقوط آخر معاقل للسلميين في الأندلس في يد الإسبان والمتمثل في سقوط غرناطة عام 1492 م ، ومن جهة أخرى انقسم الشمال الإفريقي إلى ثلاثة دويلات إسلامية ظلت تتنازع السلطان فيما بينها ، وتحاول كل دولة منها أن توسع رقعتها على حساب الأخرى [142] الأمر الذي جعل بلاد المغرب الإسلامي يعيش في مرحلة في غاية الخطورة .

إنّ الدول الثلاثة التي كانت تتنافس الحكم فيما بينها ، ونعني بذلك : **" الدولة الحفصية "** بالمغرب الأدنى ( 627 ه _ 948 ه / 1229 م _ 1541 م ) و **" الدولة الزيانية "** بالمغرب الأوسط ( 633 ه _ 936 ه / 1236 م _ 1530 م ) و **" الدولة المرينية "** بالمغرب الأقصى ( 592 ه _ 691 ه / 1196 م _ 1554 م ) قد أنهكتها الحروب الداخلية واستنزفت طاقتها المالية والمعنوية ، ضف إلى ذلك نشوب الثورات الداخلية بها والصراعات المتواصلة بين زعماء القبائل المتقاتلين فيما بينهم على السلطة .

---

([141]) يحي بوعزيز، موضوعات و قضايا..، المرجع السابق، ص 337-336

([142]) شوقي عطا الله الجمل ، المغرب العربي الكبير ( تونس _ الجزائر _ المغرب ) ، ط : 1 ، المكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1977 ، ص : 26 .

قد جعلت المغرب العربي يبتعد عن حياة الاستقرار ، ويغفل عن قضايا التنمية والازدهار التي تشهده الدول الأجنبية المسحية التي عرفت كيف تتوحد ضد المسلمين وتقضي عليهم ببلاد الأندلس وتتتبعهم بالشواطئ المغربية [143]، هذا التطاحن والصراع الإقليمي قد تأثر به بشكل كبير وفعلي عامة المغرب العربي ، ولكن بالخصوص المغرب الأوسط بحكم موقعه الوسطي بين الجارتين الحفصية والمرينية ، فكانت الإصطدامات تارة مع الحفصيين الذين اعتبروا أنفسهم الورثة الشرعيين للدولة الموحدية ، وتارة مع المرنيين الطامحين في توحيد المغرب قاطبة تحت سلطتهم ، مما جعل لاتعرف الاستقرار إجمالاً وتكون في حالة شبيهة بالمد والجزر [144] .

والقول الصائب حول الوضع السياسي للمغرب الأوسط ، أنه كان مترديا قبل 1519 م فضعف بني زيان قد أثر بشكل سيئ وسلبي على أوضاع البلاد، فانقسمت على نفسها في شكل إمارات صغيرة مفككة ومتناحرة كـــــ : " إمارة جبل كوكو ببلاد القبائل ، الإمارة الحفصية بقسنطينة و إمارة الدواودة بالحضنة والزاب وإمارة بني جلاب بتقرت [145] ،ووادي ريغ وإمارة بني يزناسن [146] وفجيج [147] بالحدود الغربية و إمارة الثعالبة بالجزائر بني مزغنة ومتيجة [148].

---

([143]) عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962 م ، ط :2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2005 م ، ، ص : 49 .

([144]) عائشة غطاس وآخرون ، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 م ، سلسلة المشاريع الوطنية ، الجزائر ، 2007 م ، ص : 11 .

([145]) **تقرت** : مدينة قديمة بناها النوميديون على جبل في شكل نتوء ، وهي مسورة بسور من الطوب والطين وتقع على بعد 500 ميل من جنوب البحر المتوسط وهي بلاد عامرة بالصناع النبلاء الذين يملكون حدائق التمور والنخيل ، في البداية كانت خاضعة لملوك مراكش ثم تلمسان وأخيرا لملك تونس أين كانت تؤدى له 50 ألف مثقال سنويا . **أنظر** : حسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الافريقي ، وصف إفريقيا ، تر:محمد حجي، محمد الاخضر،ج2 ،ط:2 ،دار الغرب الاسلامي، بيروت ، لبنان،1983، ص 135.

إن هذا التفكك و الانقسام اللذّان ميزا المغرب الأوسط ،وتردي الأوضاع والفوضى السياسية العارمة ، كنت من أهم العوامل المشجعة للأطماع الصليبية ،ونلمس هذا بكل جلاء فيما كتبه فرناندو دي زافرا الذي كان كاتبا بالبلاط الإسباني ومكلف بحراسة الشواطئ الإسبانية ومراقبة حركة الأندلسيين المتوجهين نحو المغرب العربي قائلا : " إن بلاد المغرب بأكملها تجتاز حالة انهيار نفسي ،يظهر معها أن الله قد أراد أن يمنحها لصاحبي الجلالة [149]. وبناءا على ذلك تشجع الإسبان لفكرة الغزو والسيطرة خاصة بعد النكبة المؤلمة الناجمة عن فقدان الأندلس والتي خلفت آثارا مؤلمة في نفسية المسلمين ومعنوياتهم .

كان الإسبان على علم بكل مايجري في الشمال الإفريقي من أحداث ، وكذا الضعف الحاصل في صفوف المسلمين وتفرقهم ، لذلك انتهز " الدون فرناند " [150] ملك إسبانيا الفرصة في طرد المسلمين عام 1492 م ،وأصدر قانونا يمنع ممارسة الديانة الإسلامية في الأندلس ،ونظم لذلك مراقبة شديدة من أجل تتبع المسلمين وإرغامهم على اعتناق المسحية أو الخروج من إسبانيا [151]، ولعل عملية الغزو هاته قد بنيت أفق مشروع

---

([146]) **يزناسن** : هو في الأصل جبل يقع على بعد 50 ميلا غربي تلمسان ، يضم هذا الجبل مداشر عديدة يسكنها قوم ذو بأس شديد وفي أعلى الجبل قلعة حصينة يقيم بها أمراء البلاد ولو أنهم غالبا مايتحاربون فيما بينهم تنافسا على الحكم . انظر : حسن الوزان ، نفس المصدر ، ج 2 ، ص : 43 .

([147]) **فجيج** : عبارة عن ثلاثة قصور في وسط الصحراء ، وهذه القصور على بعد نحو عشرون ميلا شرقي سجلماسة . **أنظر** : نفســـــه ، ص : 132 .

([148]) يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص : 8

([149]) عائشة غطاس وآخرون ، المرجع السابق ، ص : 12 .

([150]) **الملك فرناند** : ( 1452 _ 1516 م ) هو فرناند الثاني ابن فرناند الأول ، أصبح ملك أرغون سنة 1452 م ثم ملك صقلية ( 1479 _ 1516 م ) ثم نابولي ( 1504 _ 1516 م ) ، تميز حكمه بالقسوة والشدة . **أنظر** : عائشة غطاس وآخرون ، المرجع نفسه ، ص : 12 .

([151]) علي عبد القادر الحليمي ، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830 م ، ط :1 ، المطبعة العربية ، دار الفكر الإسلامي ، الجزائر ، 1972 م ، ص : 161 .

استعماري واسع يهدف إلى السيطرة على المغرب العربي ككل ،وتحيق جملة من الأهداف يمكن إيجازها فيمايلي :

أ. **الدينية :** محاولة نشر المسحية في المنطقة وتعميرها بالمسيح وإبعاد حدود دولة الإسلام عن إسبانيا عن طريق ملاحقة الفارين بإتجاه شمال إفريقيا . [152]

ب. **الأمنية :** إقامة قواعد عسكرية تحُول دون اتصال المسلمين بإخوانهم في إسبانيا ، وبذلك يضعون حدا للأضرار التي يمكن أن تقع من طرف الغزاة الجزائريين والأندلسيين ويؤمنوا بذلك خطوط مواصلاتهم التجارية نحو الدويلات الإيطالية .[153]

ج. **السياسية :** بغية تحقيق السيادة في البحر الغربي للبحر المتوسط ، ولا يتم ذلك دون إخضاع ساحل الشمال الإفريقي الذي يحتل شطرا واسعا في الضفة الجنوبية منه .

د. **الإقتصادية :** محاولة السيطرة على المراكز التجارية واحتكار طرق التجارة ، وحق الولوج نحو إفريقيا العميقة كبلاد السودان الغنية بالتبر والذهب [154] وقد اتسم الغزو الإسباني في مجمله بالطابع الديني التعميمي فضلا عن منهجه الإستعماري ، إذ بدأو بمطاردة العرب المسلمين وتتبعهم في شمال إفريقيا والهيمنة على مصادر ثروتهم ، وقد بارك " البابا ألكسندر السادس " توجهات الإسبان نحو الساحل الإفريقي [155] .

## 1. الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية:

---

([152])عبد القادر فكاير ، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية و أثاره ، ط:1 ، دار الهومة ، الجزائر، 2012 ، ص ص : 28 ،29 .

([153]) نفسه ، ص :34

([154]) عمار بن خروف ، العلاقات بين الجزائر والمغرب ( 923 _ 1069 ه / 1517 _ 1659 م ) ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق ، 1983 م ، ص : 21 .

([155]) نمير طه حسين ، المرجع السابق ، ص : 100 .

كان أهم حدث عاشته إسبانيا المسحية هو الوحدة السياسية التي تمت بزواج " فردناند " ملك آرغون و " إليزابيث " ملكة قشتالة ، وهو الأمر الذي سمح للإسبان بتركيز جهودهم على محاربة المسلمين بالأندلس وإخراجهم من آخر معقل لهم وهو غرناطة .

إنّ سقوط غرناطة بيد الإسبان في 02 جانفي 1492 م ،أسفر عن بدء مرحلة جديدة في برنامج التوسع الإسباني ، ذلك أن إسبانيا قد رأت أنه لا مناص من نقل الحرب إلى بلاد المغرب، بل ذلك أمر ضروري وإستراتيجي بهدف تطويق بلاد المغرب خوفا من إعادة الكرة عليهم ، وقد خشي الكاردينال خمينس **(156)** أن يكون سقوط غرناطة وفرار فلول العرب والمسلمين من الأندلس إيذانا بتوقف الهجومات ضد العرب والمسلمين ، لذلك قام هذا الأخير بإثارة مخاوف الملكة إليزابيث، وأستعمل في ذلك كل لهجة من شأنها أن تحز الخوف والقلق في نفسيتها ، والواقع أنه لم يكن صعبا على الكاردينال خمينس أن يثير هذه المخاوف ، فقد كان يكفيه التذكير ببعض الحقائق التاريخية بأن فتح الأندلس كان عن طريق المغرب **(157)** .ومن بين حججه أنه قال : " أن المغرب والمسلمين لايعتبرون خروجهم من الأندلس هزيمة نهائية ، لقد أخفوا سلاحهم ، ومعظم رؤسائهم تظاهروا بالهزيمة في إنتظار الفرصة المواتية لينقضوا من جديد على الأندلس ، و أنه لابد من القضاء على أوكار القرصنة في شمال إفريقيا " .

استجابت الملكة إليزابيث لنصائح خمينس وكلفت " لورانزودي بادليا " حاكم القلعة بالأندلس، بمهمة سرية أداها بكل كفاءة ونجاح جيث كلفته بإستطلاع الأمور

---

([156]) **الكاردينال خمينس دي سيسنيروس** : كردينال إسباني عرف بتطرفه وتعصبه ضد المسلمين ، ولد بقشتالة عام 1436 م كان من الموظفين السامين في بلاط الملكة إليزابيث ، وفي عام 1507 م أنيطت به مهمة الإشراف على محاكم التفتيش التي زرعت الرعب في نفوس مسلمي الأندلس . أنظر : عائشة غطاس وآخرون ، المرجع السابق ، ص : 36 .

([157]) مبارك بن محمد لجيلالي الميلي ، المرجع السابق ، ص : 19.

والمواقع في تلمسان من أجل الإعداد لإحتلالها وجعلها منطلقا لعمليات الغزو ببلاد المغرب العربي ، فذهب هذا الأخير متنكرا في زي تاجر إلى مملكة تلمسان حيث أمضى بها أكثر من عام رجع بعدها بكل المعلومات المطلوبة والضرورية للحملة ، كما عين خمينس جيرونيمو فيانيللي المهندس البحري البندقي ليكون إلى جانبه ، وكان هذا الأخير ذا معرفة ثاقبة بسواحل الشمال الإفريقي التي زارها بحارا وتاجرا ، إلا أن موت الملكة إليزابيث المفاجئ كان أحد الأسباب الرئيسية في تعطل نمشروع الغزو ، وقد أوصت بمواصلة الحرب ضد المسلمين قائلة : " أنه لاينبغي إيقاف غزو إفريقيا ولا إنهاء الصراع ضد الكفار ( تقصد المسلمين ) من أجل العقيدة " [158].

أخذ الإسبان بعد موت ملكتهم يتطلعون الاستلاء على شمال إفريقيا [159]، حيث صمم الملك فردناند تنفيذ وصية زوجته إليزابيث ، وقد اتخذت الأطماع التوسعية في عهده شكل اجتياح منظم لسواحل المغرب العربي ، بعد أن بوركت هذه المساعي من طرف الكرسي البابوي الذي بادر بتقسيم مجال نفوذ الإسبان والبرتغاليين في معاهدة طورد يسلاس عام ( 900 ه _ 1494 م )، تم معاهدة سينترا ( 915 ه _ 1509 م ) ،أين أطلقت يد الإسبان على سواحل المغرب بدءا من شرق حجر بادس وأما البرتغاليون ففي غربها [160].

لقد وجد الاسبان في ملاحقة الأندلسين النازحين إلى بلاد المغرب وإبعاد خطرهم عن إسبانيا، وفي البحث عن طرق تجارية توصلهم إلى الشرق الأقصى قبل تعرفهم على

---

([158]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830 م ، ج2 ، ط2 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2007 م ، ص : 51

([159]) محمد سهيل طقوش ، العثمانيون من قيام الدولة إلى الخلافة ( 1299 _ 1924 م ) ، ط1 ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، 1915 ، ص : 203

([160]) ناصر الدين سعيدوني ، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية ( الجزائر تونس طرابلس المغرب) ، ط2 ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013 ، ص : 15 .

رأس الرجاء الصالح، دافعا ومبررا للتحقيق أهدافهم التوسعية ببلاد المغرب، والتي اتخذت شكل حملات صليبية ابتدءت بتخريب تطوان ( 803 ه _ 1400 م ) تم الاستلاء عليها عام ( 906 ه _ 1501 م ) تم احتلال مليلية ( 903 ه _ 1497 م )، وتوجهت الأنظار بعدها نحو السواحل الجزائرية [161] ،وتجدر الإشارة أيضا إلى النهضة التي شهدتها أوروبا ،حيث صنعت الفارق الكبير في اختلاف ميزان القوة ،وساهمت بشكل كبير في توجه أنظار المسحية نحو الساحل المغربي ، حيث أسفرت النهضة في تطور الأسلحة الإسبانية مقارنة بالسلاح الجزائريين ووسائل دفاعهم ، فبينما كان الإسبان يحاربون بالسلاح الناري والمدفعية الثقيلة ، كان الجزائريون كما يقول بروديل كرفاق عقبة يحاربون بالسيف والرماح [162].

كانت أول نقطة احتلها الإسبان بالمغرب الأوسط هي المرسى الكبير [163] ،ووقع اختيار الملك فرديناد على الدون دييغو فرناندیز ليكون قائدا عاما للحملة ، ووضع تحت قيادته جيشا

يزيد عن عشرة آلاف جندي ونحو سبعة بواخر حربية و مائة وأربعون زورقا مختلفة الأحجام [164]

استعدت القوات الإسبانية لمغادرة **مالقة** في أواخر أوت 1505 م ، لكن ريحا عنيفة أجلتها ، وقد أفاد هذا التأخير في وصول خبر الحملة إلى المرسى الكبير ، فأستعد سكانه

---

([161]) المرجع نفسه ، ص : 16 .

([162]) عمار بالخروف ، المرجع السابق ، ص : 22 .

([163]) **المرسى الكبير** : مدينة صغيرة أسسها ملوك تلمسان على ساحل البحر المتوسط ، بعيدة بضعة أميال عن وهران ومعناها الميناء الكبير ، يقول الوزان : " ما أظن أن في الدنيا أكبر منه فيمكن أن ترسوا فيه بسهولة مئات المراكب والسفن الحربية " ، استولى عليه الإسبان عنوة قبل سقوط وهران . **أنظر** : حسن الوزان ، المصدر السابق ، ص : 31 .

([164]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص ص : 20،21

لمواجهتها ، إلا أن تأخرها يوما بعد يوم جعلهم يظنون أن الإسبان قد تخلوا عن مخططهم في غزو المرسى الكبير ، إلا أن الهجوم عليه قد وقع وتمكن الإسبان من احتلاله وأسفرت المعركة به عن مقتل قائد الحامية المتواجدة به والمـــــُشكلة من خمسمائة جندي ، وقرر الدون دييغو تحويل مسجد المرسى الكبير إلى كنيسة وأخذ يرسل طلائعه نحو الداخل لكي تجلب له مايموّن به جنـــــــــــــده [165].

يرجع الفضل في الانتصار المحقق في المعركة إلى خيانة بعض عرب بني عامر وحميان وكيزة والشفع الموالين الاسبان ، وكانوا يسمون بالمغاطيس كما عرفوا بإسم " لوس موروس ديل ري " LOS MOROS DEL REY أي الدلائل [166] ،وكانت هذه القبائل في خدمة الإسبان وعون لهم [167]، هذا وارتكب الإسبان مجازر رهيبة تؤكد مدى الحقد الدفين ضد الإسلام والمسلمين ، وعندما سمعت إسبانيا بنبأ الإنتصار قررت إعلان الإحتفال لمدة ثمانية أيام متوالية وطلبت من الدون دييغو فرناندیز القدوم للبلد من أجل التهنيئة ، وبعد مضي حوالي خمسة سنوات وجه الإسبان ضربتهم الثانية لمدينة وهران ، فأعدوا لها حملة ضخمة خرجت من قرطاجنة بإسبانيا يوم 16 ماي 1509 م بقيادة الكاردينال خيميسن ووصلت وهران يوم 19 من نفس الشهر [168] وكان قوام الحملة 15 ألف جندي إقترف خلالها الاسبان أبشع المجازر بعد أن ساعدهم في ذلك خيانة اليهودي " أشطورا " [169] ، حيث قتلوا مايزيد عن 4 آلاف من سكانها وأسروا نحو 8

---

([165]) Jean alengry,les relations franco-espagnoles et l 'affaire du maroc,la vie universitaire,paris,p 35-36

([166]) عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو ، دخول الأتراك العثمانين إلى الجزائر ، دط ، الجزائر ، 1972 ، ص : 23 .

([167]) عبد القادر المشرفي ، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر ، تق : محمد بن عبد الكريم ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ص : 140

([168]) يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص : 9 .

([169]) عائشة غطاس وآخرون ، المرجع السابق ، ص : 16 .

آلاف ، كما خربوا مساجدها وبنوا بأحجارها كنائسهم واستبدلوا المآذن بالأجراس .[170]

بعد هذا النجاح عيّن الإسبان أحد قراصنتهم وهو " بيدرو نافاروا " [171] حاكما عليها وعلى المرسى الكبير ومملكة تلمسان الزيانية التي أعلنت خضوعها لهم ، ومن الغرب توجهت الأنظار نحو مدينة بجاية [172] ،وكانت أوضاعها السياسية مساعدة للغاية لعملية الغزو ،وقد أعدّ الحملة الكاردينال خيمينس أيضا وأسندت القيادة إلى بيدرونافار [173] ، وكان وصولها لبجاية يوم 5 جانفي 1510 م ، وتمكنوا من احتلالها بعد مقاومة مستميتة من سكانها أين عاث فيها الإسبان فساداً وقتل مايربوا عن 4100 شخص ، كما خرب معالم المدينة وآثارها التاريخية الإسلامية [174] ،كما احتل الإسبان في نفس العام مدينة عنابة ،وخافت الدولة الحفصية مغبة الأمر فأعلن السلطان الحفصي " أبو عبد الله " قبوله للدفع إتاوات مالية لهم كعنوان للروضوخ والاستسلام ، كما ارتاع سكان مدينة الجزائر أيضا وتوجسوا خفيفة من أن يهاجمهم الإسبان بين الفينة وضحاها ، فبمجرد الإعلان عن سقوط بجاية حتى قام " سالم التومي " بجمع أعيان المدينة أين قرروا توقيع معاهدة الاستسلام بدل الوقوع في الحصار .

---

([170]) عبد القادر الحليمي ، المرجع السابق ، ص ص : 163 ، 164 .

([171]) **بيدرو نافاروا** : أصله من بيسكاي جلبه الملكان فردناند وإليزابيث واستعملاه لتوسعهما في الشواطئ الإفريقية ، كان بحارا مغامرا ، وكان أول والي على وهران ولكن بعد الحرب بين فرانسوا الأول والإسبان أسره الملك فرانسوا سنة 1512 م و لم يفتده الإسبان فغاضه الأمر واختار التجنيد في الجيش الفرنسي ثم قبض عليه الملك شارل الخامس وشنقه عام 1522 م . **أنظر** : عبد الحميد بن أشنهوا ، المرجع السابق ، ص : 63 .

([172]) **بجاية** : سميت بجاية نسبة لقبيلة بربرية تقطن بها ، وقد ورثت بجاية حاضرة بني حماد واتسع عمرانها بعد أن أصبحت عاصمة لهم ، واستمرت إلى أن حطمها الإسبان وخربوها . أنظر : أحمد التوفيق المداني ، هذه هي الجزائر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 2002 م ، ص ص : 196 ، 197 .

([173]) Don diego de haedo , topographie,et histoire générale d'alger , traduit a léspagnol par monnereau et berbrugger, 1870,p 19

([174]) عائشة غطاس وآخرون ، المرجع السابق ، ص ص : 17،18

على إثر ذلك توجه " سالم التومي " في 31 جانفي 1510 م نحو بجاية لإعلان الولاء للقائد الاسباني بيدرو نافارو فإشترط هذا الأخير ، دفع ضريبة باهضة وإطلاق سراح كل العبيد المسحيين الموجودين في أيدي سكان المدينة ، ومن جهة أخرى فرض عليه بناء قلعة على تلال الجزر المقابلة لمدينة الجزائر [175] ،وزيادة على ذلك فإنه يتوجب على حاكم مدينة الجزائر أن يذهب شخصيا لإعلان خضوعه لملك إسبانيا رفقة عبد الله حاكم مدينة تنس الذي أعلن هو الآخر ولائه وخضوعه ، فذهبوا لإسبانيا محملين بالهدايا الثمينة ومعهم 130 من الأسرى المحررين [176].

حذّت مستغانم [177] ومزغران حذّو تنس والجزائر ، حيث أعلنتا الولاء الإسبان مقابل الأمان وقد نصت معاهدة الولاء المبرمة على استرجاع كافة المسحيين العبيد ، وتزويد الحاميات الإسبانية بوهران والمرسى الكبير بالمواد الغذائية وكذا أن لايسمحوا بشحن أو تفريغ أي باخرة في الميناء دون الحصول على إذن من الملك [178]، وكان أهم حدث طرأ بعد الغزو الإسباني للسواحل أن ظهر بها الأخوان عروج وخير الدين، واللذان سيعملان على تحرير البلاد من قبضة الإسبان وإلحاقها بالخلافة العثمانية .

## 2. الاستنجاد بالأخوين بربروس وإعلان التبعية للخلافة العثمانية :

كان للظروف السائدة بأقصار المشرق في مستهل القرن السادس عشر للميلاد تأثير مباشر على تطورات الوضع بالجزائر ، فقد كان لوقف النشاط البحري الإسلامي لفترة

---

([175]) أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص 68 .

([176]) **كورين شوفالييه** ، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر ( 1510 _ 1541 م ) ، تر : جمال حمادنة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007 م ، ص : 23 .

([177]) **مستغانم** : مدينة بناها الأفارقة على ساحل البحر ، كان لها في القديم حضارة كبيرة بها مسجد في غاية الحسن ودورها جميلة وسقايتها عديدة وفي خارجها عدة بساتين وأراضيها جيدة للفلاحة وخصبة ولها ميناء صغير . أنظر : حسن الوزان ، المصدر السابق ، ص : 32

([178]) كورين شوفاليه ، المرجع السابق ، ص : 24 .

بالمياه الشرقية للمتوسط نتيجة الإتفاق العثماني البندقي ( 908 ه _ 1502 م ) ،بالإضافة إلى وصول سليم الأول للعرش العثماني ( 915 ه _ 1509 م )، دخل كبير في تحول جماعات من المجاهدين الأتراك وعلى رأسهم الإخوة بربروس إلى غرب البحر المتوسط [179].

إن مجئ الإخوة بربروس إلى الحوض الغربي للمتوسط، قد تزامن مع ظهور الإسبان في الساحل الشمال الإفريقي ، إذ احتلوا كما أسلفنا جلّ موانئه من الغرب حتى الشرق وتجاه هذا الخطر المحدق والمتمثل في الإسبان ، كان لزاما على الأهالي أن يواجهوا عدّوهم ويحرروا بلادهم ولعلّ هذا السبب الذي دفعهم إلى طلب نجدة والحماية من الأشخاص القادرين على تقديم يد العون والمساعدة .

كانت شهرة الأخوين قد سبقت وجودهما ، حيث لعب المهاجرون الاندلسيون دورا بارزا في نشر سمعتهم الطيبة في الأوساط الجزائرية [180]، وسيلعب الاخوان دورا رئيسيا في تعجيل الأحداث السياسية بالمغرب العربي ، فحملاتهما المتواصلة في البحر المتوسط وعلى السواحل الإسبانية وجنوة وفرنسا وسردينيا ومايورقة ومينورقة وغيرها ، لاشك أنها علامات تعكس مدى بأس وشجاعة الإخوة [181] .

تسامع أهل بجاية خبر هؤلاء ،وملكها يومئذٍ عبد الله مع عمه عبدالرحمان المتنازعان والمستندان للإسبان ، فقام علماء وأعيان المدينة بتشكيل وفد يطلب من الإخوة المساعدة والنصرة، وقد تشجعهم في ذلك الأمير الحفصي بقسنطينة ليبعدهم عن عاصمته . تمت المقابلة في حلق الوادي [182] ،ولبى الإخوة بربروس الرغبة وزحفوا على المدينة ، وكان

---

([179]) ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص : 25 .

([180]) علي عبد القادر الحليمي ، المرجع السابق ، ص ص : 163 ، 164 .

([181]) عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهوا ، المصدر السابق ، ص : 34

([182]) مولود قاسم ، المرجع السابق ، ص :58

هذا أول صدام عثماني مع الإسبان في البلاد الجزائرية ، إلا أن عروج وجماعته لم يوفقوا في هجومهم على المدينة حيث كانت مدافعهم غير فعالة ، كما أن عروج ورجاله لم يكونوا على استعداد لمواجهة شراسة المدفعية الإسبانية ، وقد تحطمت ذراع عروج بكرة مدفع وانسحب مع رجـــــاله في فوضـــــــــــى كبيـــــــرة [183] ،هذا وقد اضطر المشرفون على علاجه إلى بترها بعد أن استعص عليهم علاجها وجعل عوضها ذراعا من فضة [184] .

بعد هذه الخيبة تحولت أنظار عروج إلى جيجل [185]، واتخذها عاصمة له ( 920 ه _ 1514 م ) بعد أن افتكها بمعونة رجال القبائل من الجنويين الذين كانوا يحتلونها منذ مدة طويلة ( 658 ه _ 1260 م ) ، وقد كانت الغنائم التي حصل عليها كثيرة حيث بلغ عدد الأسرى حوالي 600 أسير ،وجههم عروج إلى السلطان العثماني تحت رقابة أحد قراصنته المعروف بإسم محي الدين رايس ، وكانت هذه أولى الإتصالات التي تمت بين عروج والدولة العثمانية [186] كما أوفد إليه عروج رسالة عرض له فيها أوضاع بلاد المغرب ،وأخبره بالصعوبات التي تواجهه من أجل إنقاذ مسلمي الأندلس، وبيّن له الحاجة إلى الدعم والتأييد ، فرحب السلطان بذلك وأمدّه ورفاقه بالعدّة والعتاد فزودهم بعدد من

---

([183]) جون ب . وولف ، الجزائر وأوروبا ( 1500 – 1830 م ) ، تر : أبو القاسم سعد الله ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009 م ، ص : 29 .

([184]) نور الدين عبد القادر ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر منذ أقدم العصور إلى إنتهاء العهد التركي ، نشر كلية الأدب الجزائرية ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1985 م ، ص : 44 .

([185]) **جيجل** : مدينة من تأسيس القرطاجيين الذين كانوا يدعونها ايجلجيلي وتقع حاليا في شبه جزيرة منخفضة بعيدة عن بجاية بحوالي 96 كلم . **أنظر** : أحمد التوفيق المدني ، المرجع السابق ، ص : 51 .

([186]) صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم التركي ( 1517 _ 1830 م ) ، ط 2 ، دار هومة ، الجزائر ، 2007 م ، ص : 45 .

السفن والرجال وكميات من السلاح ، فأعطاهم ذلك دعما معنويا وتصميما على شن حملة أخرى ضد بجاية من أجل تحريرها [187].

ظلت بجاية تجتذب أنظار عروج لمركزها الهام وموقعها الإستراتيجي ، فنضم عروج حملة ثانية ضدها عام 1514 م بمساندة شيوخ القبائل وأمير جبل كوكو " أحمد بن القاضي " [188] على أن يكون مخطط الحملة الهجوم عليها من البر والبحر .

ضرب عروج حصارا على المدينة وشرع في قصفها بمدفعية مراكبه ، وكانت القبائل بقيادة ابن القاضي تحاصرها من البر بـــ 20 ألف محارب ، وتمكن من السيطرة على إحدى قلعتيها لكن المدينة استعصت عليه [189] ،ودام حصار بجاية 3 أشهر خسر فيها عروج عددا من جنوده كما تناقصت مؤونته [190] في حين وصلت الإمدادات الإسبانية لبجاية ممثلة في 5 آلاف رجل يقودهم " ماثين دي فانتورا " ، وأمام هذه الوضعية الجديدة طلب عروج من السلطان الحفصي أن يدعمه ويزوده بالبارود فامتنع، وأظهر عداوته للأتراك .

كما أن القبائل الجبلية التي ذهبت لنصرته ، قد انصرفت دون إذنه لأجل زراعة الحقول ، فاضطر عروج إلى الإنسحاب وقبل أن ينصرف أحرق سفنه التي كانت راسية بنهر الصومام ، حتى لايتقوى بها عدوه من بعده ، وذهب برا باتجاه جيجل ، وهناك

---

([187]) هشام سوادي هاشم ، تاريخ العرب الحديث ( 1516 _ 1918 م ) من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ط 1 ، دار الفكر المملكة الأردنية ، عمان ، 2010 م ، ص : 42

([188])**ابن القاضي** : هو رجل من أعيان بيوتات الجزائر الساكن بناحية بلاد القبائل ، شغل منصب قاضي بجاية وفي سنة ( 917 ه _ 1511 م ) أسس إمارة جبل كوكو الواقع عند منابع واد سباو ، ولما تولى خير الدين أمر البلد ولاه رئاسة قومه في تلك الناحية . أنظر : عبد الرحمان بن محمد لجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 3 ، دار الأمة ، الجزائر ،2010، ص : 48

([189]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 45

([190]) هشام سوادي هشام ، المرجع السابق ، ص : 42

استقبل مبعوث السلطان العثماني سليم الأول الذي بعث إليهم 14 سفينة ومجموعة من المجدفين المهرة وكمية من الأسلحة والذخيرة جزاءا لهم على أعمالهم البطولية وعلى هديتهم الثمينة التي كانوا أرسلوها له بعد فتحهم لجيجل [191].

استقبل الإخوة بربروس وسكان المدن المغربية المهددة من طرف الإسبان نبأ وفاة الملك فردناند يوم 23 جانفي 1516 م ، حيث وجد سكان مدينة الجزائر في ذلك فرصة سانحة لنقض معاهدة الولاء التي ربطتهم بهذا الملك الظالم [192]، وأوفدوا إلى عروج ورفقائه عدة شخصيات بارزة لإقناعهم وترجيهم للقدوم من أجل تخليصهم من ظلم المسحين، وتهديم تلك القلعة المشؤومة المعروفة باسم " قلعة البنيون " [193] ،وقالو لهم : " ...سمعنا بكم أناس تحبون الجهاد ،وأخذتم بجاية وجيجل من أيدي النصارى ونصرتم الدين ، فهنيئا لكم أيها المجاهدون لابد أن تقدموا إلينا لتخلصونا من أيدي هؤلاء الملاعين الكفرة، لأنا نحن في محنة عظيمة وذلة وشدة " [194].

قبل الإخوة بربروس هذا الطلب ،حيث رأو فيه فرصة لهم للإستلاء على مدينة الجزائر الهامة والغنية جدا والمناسبة لعماليات القرصنة [195]، وبناءا على ذلك جهز عروج سفنه وشحنها بالمجاهدين والعتاد الحربي ، وأمر آخاه خير الدين بأن يأتيه بالأسطول أما هو فتوجه نحو الجزائر برا ومر دون أن يقف بها متوجها نحو شرشال ، حيث التقى

---

([191]) عثمان الكعاك ، موجز التاريخ العام للجزائر ، ( من العصر الحجري إلى الإحتلال الفرنسي ) ، تق و مر : أبو القاسم سعد الله ، ناصر الدين سعيدوني ، محمد البشير الشنيتي ، إبراهيم بحاز ، ط 1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 2003 م ، ص ص : 272 ، 273 .

([192]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 46

([193]) كورين شوفالييه ، المصدر السابق ، ص : 27 .

([194]) محمد بن رقية التلمساني ، **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة** ، منشور ضمن مجلة التاريخ وحضارة المغرب ، 1967 م ص : 4

([195]) كورين شوفالييه ، المصدر السابق ، ص : 27 .

بصاحبها " قارة حسن " [196] الذي كان ضمن رؤسائه العاملين تحت سلطته لكنه إنفرد بالحكم وقويت شوكته فقتله عروج ليستريح من شره وقفل راجعا نحو مدينة الجزائر [197] وعندما علم " سالم التومي " بقدومه خرج لإستقباله وتم اللقاء على بعد مسيرة يوم من مدينة الجزائر [198] .

نزل عروج بمدينة الجزائر أين استقبل بحفاوة من طرف سكانها ،وحاول من يومه القضاء على حصن البنيون [199] ،وقد تلقى المساعدة من طرف أخيه خير الدين وأحمد بن القاضي [200] وبدأ عروج برفع الحصون وحفر الخنادق وتركيب المدافع ،وأخذ يضرب الحصن ويلّح عليه بالقنابل ليل نهار لمدة 20 يوماً ، إلا أنه لم يتمكن من فتحه بسبب ضعف المدفعيته [201] فشدد الحصار وقطع عنه المؤن والمياه التي كانت تأتيه من مدينة الجزائر ، إلى أن ضطر من بالحامية إلى الذهاب نحو مايوركا للتزويد بالمياه ، ويحوي الأرشيف الإسباني على حسب ما أورده كورين شوفالييه بعض الرسائل التي بعثها " نيكولاس الخامس " حاكم الحصن إلى إسبانيا والتي يذكر فيها بتاريخ 8 أوت 1516 م أنه لم يكن يوجد سوى 15 قربة ماء لمؤونة أكثر من 200 شخص محاصر داخل القلعة [202] .

---

([196]) **قارة حسن** : قارة كلمة تركية معناها الأسود كان من رؤساء العاملين تحت سلطة عروج وبعد أن قويت شوكته تخلص منه عروج وقتله . **أنظر** : عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو ، المرجع السابق ، ص : 68

([197]) عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو ، المرجع السابق ، ص : 68

([198]) محمد بن عبد القادر الجزائري،تحفة الزائر في ماثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر ،ج1،المطبعة التجارية، الاسكندرية ،1903،ص63.

([199]) عبد الرحمان بن محمد لجيلالي ، المرجع السابق ، ص : 40 .

([200]) عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو ، المرجع السابق ، ص : 69 .

([201]) أبو عبد الله الأعرج السليماني ، تاريخ الجزائر من قيام الدولة الفاطمية ونهاية ثورة الأمير عبدالقادر نقلا عن كتاب الشماريخ ، تح : حساني مختار ، المكتبة الوطنية ، ص : 194

([202]) كورين شوفالييه ، المصدر السابق ، ص ص : 30 ، 31 .

عبر سكان مدينة الجزائر على خيبة أملهم من عدم فتح الحصن ، ولعِّبت الدسائس والحيك عملها ، فرام أهل المدينة التمرد عليه بالإستعانة بالجيوش الإسبانية ، لكنه تفطن للأمر وقام بإعتقال سالم التومي ونصب نفسه حاكما على المدينة ، أما يحي بن سالم التومي ففر إلى وهران عند الإسبان خوفا على نفسه من أن يقتل مثل أبيه ، فوجهه حاكمها إلى إسبانيا أين التقى بالكردينال خيمينس الذي وعده بالنجدة وإرجاعه إلى عرش أبيه ، وكان خيميسن إذ ذاك وصيا على عرش إسبانيا نظرا لصغر سن شارل الخامس **(203)**.

لعلّ تحالف القبائل العربية مع الإسبان وتنسيق الجهود بينهم قد أثمر تلك الحملة التي نظمها هؤلاء ضد المدينة سنة 1516 م بقيادة " دييغو دوفيرا " ،حيث انطلقت من وهران باتجاه الجزائر في أواخر سبتمبر 1516 م ، وكانت الهزيمة مهولة بالنسبة للإسبان وانتصار عظيما لعروج وإخوته **(204)** وللسكان الذّين عبروا عن فرحتهم وابتهاجهم **(205)**، وكان من نتيجة ذلك أن قام سكان البليدة والمدية ودلس والقبائل بمبايعة عروج وإعلان فروض الطاعة والولاء له **(206)**، وقد كلف عروج أخاه خير الدين بإدارة شرق البلاد متخذا من دلس مقرا لإقامته وعاصمة للشرق **(207)**.

في غضون هذه الأحداث ، كانت تلمسان تعيش هي الأخرى أوضاعا سياسية صعبة ،الأمر الذي دفع بسكانها إلى الاستنجاد بعروج وإخوته لإنقاذهم مما نزل بهم على يد سلطانهم أبي حمو موسى الثالث ، الذي زاد من تعسفه باعتماده على الإسبان الذين

---

(203) عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو ، المرجع السابق ، ص : 69 .

(204) يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص : 14 .

(205) محمد بن رقية التلمساني ، المصدر السابق ، ص : 5

(206) يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص : 14 .

(207) عبد الجليل التميمي ، **أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519 م** ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 6 ، تونس ، جويلية 1976 م ، ص : 117

أعادوه إلى عرش تلمسان وخلعوا أبا زيان ، وقد تبع ذلك صراعات مريرة واغتيالات كثيرة تسببت في حالة من الفوضى والاضطراب [208]. لبى عروج رغبة الوفد وتوجه نحو تلمسان ومرّ على قلعة بني راشد [209] قرب معسكر، وأبقى بها حامية كبيرة تحت قيادة أخيه " إسحاق " لكي تحمي ظهره وواصل المسير نحو تلمسان ، واستطاع بسهولة أن يتغلب على أبي حمو موسى الثالث ودخل المدينة ، وأعاد أبا زيان إلى عرشه ولكن هذا السلطان سرعان ما أراد أن ينقلب على عروج فقام هذا الأخير بقتله [210] أما أبو حمو فقد لاذ بالفرار باتجاه وهران واحتمى بالإسبان .

دخل عروج تلمسان ونصب نفسه أميرا عليها ، عندها سارع الإسبان بإرسال التعزيزات فشنوا حملة على قلعة بني راشد واحتلوها ،وقتلوا صاحبها إسحاق وواصلوا السير نحو تلمسان وبعد شهور من المقاومة ، حاول عروج الإنسحاب نحو الجزائر في ربيع ( 923 ه _ 1517 م ) لكنه اضطر إلى خوض معركة غير كاشفة ضد قوات " الماركيز دي كوماراس " بالوادي المالح نواحي عين تموشنت انتهت بمقتل عروج والقضاء على أنصاره [211].

## 3. رسالة الأهالي إلى السلطان سليم الأول وإعلان التبعية :

---

) بسام العسيلي ،خير الدين بربروس و الجهاد في البحر،ط:1، دار النفائس ،بيروت،1980 ، ص ص : 95 ، 96[208])

([209]) **قلعة بني راشد** : هي قلعة هوارة ، وهي بلدة صغيرة تبعد عن معسكر حوالي 25 كلم وعن مستغانم بـــــ 55 كلم ، وهي منطقة منيعة وحصينة يصعب على العدو احتلالها . **أنظر** : عبد الرحمان لجيلالي ، المرجع السابق ، ص : 43 .

( [210]) يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص ص : 14 ، 15

([211])وليام شالر ، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر ( 1816 _ 1824 ) ، تع :اسماعيل العربي ، سلسلة الدراسات الكبرى ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980 م ، ص : 40 .انظر أيضا: ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص ص : 26 ، 27

واجه خير الدين بعد استشهاد أخويه عروج وإسحاق مصاعب حقيقية كادت أن تحبط مخططه لإبعاد الخطر الإسباني وتوحيد البلاد الجزائرية تحت إدارة مركزية موحدة ، وقد تمثلت هذه المخاطر في المؤامرات التي حيكت ضده من طرف الحكام الزيانيين في الغرب وحلفائهم الإسبان بوهران ،وكذلك الحكام الحفصين في الشرق ، بالإضافة إلى عِداء السعديين وهجمات الإسبان المتكررة ، فقد أعلن حكام تلمسان العصيان عليه بتحريض من أبي حمو موسى الثالث ،وخرجت عن طاعته مدن تنس وشرشال وجاهرت قبائل جرجرة بالعداء بقيادة ابن القاضي المتواطئ مع الأمير الحفصي " أبي عبد الله محمد " [(212)] . هذا فضلا عن أن خير الدين كانت تعوزه الذخيرة الحربية والإطار العسكري الكفء مع الأخذ بعين الإعتبار عدم تمتعه بادئ الأمر بشعبية كبيرة ، كما ليست له صدقات مع المواطنين [(213)].

اضطر خير الدين إلى السفر لدار السلطنة العثمانية ، فجمع أهل الجزائر من العلماء والأعيان وقال لهم : " إني قد عزمت على السفر إلى حضرة السلطان وأمنت بلادكم من العدو بما تركت فيكم من المجاهدين ، ومن وصل إليكم من أهل الأندلس وما تركت عندكم من العدة لأني تركت في بلادكم أكثر من أربعا مائة مدفع ، و لم يكن في بلادكم ولا مدفع واحد " . فمنعوه من أن يخرج من بينهم ، وقالوا له : " يأيها الأمير لا تطيب أنفسنا بفراقك ولا نسمح لك بذلك فالله والله في أمة سيدنا محمد فإن الله يسألك عنهم "

---

([212]) جلال يحي ، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، 1983 م ، ص : 98 . انظر أيضا :ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص : 27 .

([213]) عبد الجليل التميمي ، المصدر السابق ، ص : 117

كما ألحوا عليه بالبقاء أنه : " يجب عليك المقام بهذه البلدة الإسلامية لحمايتها ولا رخصة لك في تركها نهبة للمفترس " [215].

في نص الرسالة ما يفيد ذلك حيث جاء مايلي : " أن خير الدين كان قد عزم قصد جنابكم العالي ، إلا ان عرفاء البلدة المذكورة رفعت أيديها متضرعة إليه حتى لايرتحل خوفا من الكفار ، إذ هدفهم هو النيل منا ونحن في غاية الضعف والبلاء " . [216]

استكان سكان مدينة الجزائر لقتراح خير الدين ورضوا به، وسيروا وفدا نحو إسطنبول بنيابة عنه ، حيث عمل هذا الوفد رسالة موجهة باسم أعيان وقضاة وفقهاء وسكان المدينة ، وكان هذا الوفد بزعامة " أحمد بن القاضي " هذه الشخصية الفذة كما عبر عنه الوفراني في كتابه نزهة الحادي ، حيث قال : " مارأيت أحدا قام قيام الإراثة النبوية على أصلها من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا رجلين سيدي أحمد بن القاضي في زواوة وسيدي سعيد بنو عبد المنعم في حاحة " [217].

بعد أن وصل الوفد إلى إسطنبول قابل الوزير الأعظم أولا ، ثم السلطان العثماني [218] وكانت الرسالة التي حملوها إليه تفيض بمعاني الطاعة والولاء العميق للدولة العثمانية ، وهو ما يظهر من فواتح الرسالة في القول : " ... فإن عبيدها بالجزائر يكتبون إلى مقامها العالي معبرين ومعترفين لمقامكم العالي بالإجلال والتعظيم أبدا " ، كما صورت

---

([214]) محمد بن رقية التلمساني ، المصدر السابق ، ص : 13 .

([215]) أحمد بن أبي الضياف ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، ج2 ، لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار ، المكتبة التاريخية ، تونس ، 1963 م ، ص : 10

([216]) عبد الجليل التميمي ، المصدر السابق ، ص : 120 .

([217]) محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الأفراني النجار المراكشي الوجار ، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، تح : هوداس ، مطبعة آنجي ، 1988 م ، ص : 57 .

([218]) عبد المنعم إبراهيم الجميعي ، الدولة العثمانية والمغرب ، موسوعة الثقافة التاريخية و الأثرية والحضارية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2006 م ، ص : 5

الرسالة أوضاع البلاد والخطر المحدق بها من كل جانب بعبارات تنم فعلا عن مدى صعوبة الموقف ، فقال : " ... بقية الجزائر بين الكفار كنقطة في وسط الدائرة وبقينا حيارى متأسفين يحفنا الكفار من كل جانب ... وقد نظرنا في الأمر ورئينا أن المحن والشدائد تشتد وأن الضرورة تقضي بحقن دماء أنفسنا ...فتصالحنا مع أهل التثليث وإن لله وإن إليه راجعون " ، كما أشاد الوفد بجهاد عروج ودوره في حرب الكفار ، وكيف خلفه أخوه خير الدين فكان خير خلف لخير سلف وهو ينظر إلي مقامكم العالي بالتعظيم والإجلال ، وختمت الرسالة بإعلان الولاء بالقول : " فنحن وأميرنا خدام أعتابكم العالية وأهالي بجاية والغربي والشرق خدمة مقامكم العالي " [219].

وما كان من الدولة العثمانية إلا أن قبلت التبعية الجزائرية لسلطانها ، حيث سارع السلطان سليم الأول إلى منح رتبة " بيـــــــلرباي " إلى خير الدين وأصبح القائد الأعلى لقوات في الإقليم ، وأصبح ممثلا للسلطان ، ودخلت الجزائر تحت نفوذ الدولة العثمانية وأصبح أي اعتداء خارجي على أرضها يعد اعتداءا على أملاك الدولة العثمانية ، ودعم السلطان العثماني هذا القرار بقررات تنفيذية أخرى ، فأرسل إلى الجزائر قوة من سلاح المدفعية ، و 2000 من جنود الإنكشارية ، وأذن لمن يشاء من رعاياه المسلمين في السفر إلى الجزائر والانخراط في صفوف المجاهدين ، وقرر منح المتطوعين الذين يذهبون إلى الجزائر كل الامتيازات المقررة لفايالق الإنكشارية تشجيعا لهم على الانضمام لكتائب المجاهدين [220] كما أوفد مع الوفد سِنجاقا ( علماً ) يُظهر التبعية للدولة العلية ،[221]وقد ترتب عن القرارات الصادرة عن السلطان العثماني عدة نتائج منها :

---

([219]) عبد الجليل التميمي ، المصدر السابق ، ص ص : 119 ، 120 .

([220]) علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص : 153

([221]) محمد بن رقية التلمساني ، المصدر السابق ، ص : 14

- دخول الجزائر رسميا تحت السيادة التركية إعتبارا من عام 1519 م ، والدعاء للسلطان العثماني سليم الأول في الخطب والمنابر ، كما ضربت السكة باسمه .
- أن إرسال القوات العثمانية للجزائر جاء نتيجة لستغاثة أهلها بالدولة العثمانية واستجابة لرغبتهم [222] .
- أن إقليم الجزائر كان أول إقليم في شمال إفريقيا يدخل تحت لواء الدولة العثمانية .
- أن انضمام الجزائر للدولة العثمانية كان طواعية ، فلم يكن غزوا عسكريا كما حدث للبلدان المشرق ، كسوريا ومصر عامي ( 1515 و 1517 م ) .
- رد فعل إسبانيا التي وجهت حملة عسكرية بقيادة " هيغو دي مونكادا " عام 1519 م والتي منيت بهزيمة نكراء أمام القوات الجزائرية ، حيث أسروا خلالها 3 آلاف مقاتل من بينهم رئيس الحملة ، وقتل منهم 4 آلاف آخرين [223].

أدت هذه التطورات في مسار أحداث إلى تخوف القوى المحلية والإقليمية على حد سواء من هذا النفوذ الجديد الذي يستند في دعمه إلى السلطان العثماني ، فلم تحل سنة 1520 م حتى ثار إبن القاضي فحاربه خير الدين بمنطقة القبائل فإضطر للإنسحاب وعقد الهدنة مع خير الدين ، ثم نكث عهده وهجم على مدينة الجزائر فانهزم أيضا وألتجئ إلى ناحية ثنية بني عائشة أين لقي مصرعه على أيدي أتباعه سنة 933 ه _ 1527 م [224].

عمل خير الدين على تثبيت حكمه بالجزائر فبسط نفوذه على الجهة الغربية بعد أن هزم حاكم تلمسان وأخضعه لدفع الضريبة سنوية قدرها 10 آلاف دوكا ذهبية ، كما أخمد تمرد أنصار الأمير الحفصي بقسنطينة عام 1527 م ، وتعاهد له حاكم تقرت بالطاعة

---

([222]) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ( 1500 _ 1830 ) ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1998 م ، ص : 141 .

([223]) عبد الرحمان بن محمد لجيلالي ، المرجع السابق ، ص : 45

([224]) عائشة غطاس وأخرون ، المرجع السابق ، ص : 25 .

و الالتزام بدفع ضريبة سنوية له ، وحتى يتمكن خير الدين من الاحتفاظ بمكاسبه بادر بتنظيم الإدارة المركزية بمدينة الجزائر ، وحدد صلاحيات الحامية الانكاشارية ونصب الديوان الكبير وأعطى صلاحيات الأعيان والأئمة وشيوخ الطرق الصوفية ، كما قرب إليه المورسكيين فكان خير مساعد له [225] .

بإستتاب الحكم العثماني بالجزائري أخذت الدولة تتطلع لبناء قوتها وتكوين أسطول يمنحها الهيبة والمكانة بين الدول ، كما سعت إلى فرض شخصيتها وهيبتها الدولية وسيظهر ذلك عند دراسة الفصل الثاني حول العلاقات الخارجية للدولة الجزائرية .

---

([225]) نصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص : 29

دأبت الدولة الجزائرية الناشئة حديثا في الحوض الغربي للبحر المتوسط إلى رسم معالمها وبناء قوتها ، معتمدة في ذلك على سند قوي خوّل لها كافة الصلاحيات للنهوض والتقدم ، فكان لإرتباط الجزائر بالخلافة العثمانية عظيم الأثر في بناء شخصية الجزائر الدولية التي ظهرت جلّيا فيما بعد في فترة استقلالية الجزائر عن الخلافة العثمانية .

إنّ مبدأ استقلالية القرار وحرية التعاقد وعدم الالتزام بمواثيق وعهود الدولة العثمانية مع الدول الاوروبية إذ لم يكن في الأمر مصلحة للبلد ، قد أفضى على الدولة شكلا من أشكال السيادة الكاملة والمطلقة ، وقد شكلت العلاقات الخارجية أهم مظاهر السيادة ، و أبرز سمات الاستقلالية ، ولعلنا نقول أن قوة الإيالة الجزائرية أهم مظاهر سيادتها ، وأبرز سمات الاستقلاليتها ، و أن قوة الإيالة البحرية قد انعكست على علاقتها الخارجية ، وأثرت فيها بشكل فعال ، هاته القوة التي فرضت على الخصوم هيبة وخشية جعلتهم يتهافتون إلى البلاط الجزائري لربط العلاقات وإرسال القناصل والسفرات .

إن المتتبع لمسار العلاقات الجزائرية في الفترة الحديثة سيدرك تماما أنها مبنية على ركائز هامة متمثلة في الأسطول البحري القوي ، وكذا التبادل التجاري النشيط وعمليات الجهاد البحري ، بالإضافة إلى الهيبة التي منحت لها بعد إلتحاقها بأعظم قوة آنذاك ، والمتمثلة في الدولة العثمانية ، وقد لعبت هذه الركائز الدور الأساسي في بلورة وتحديد مصير العلاقات الخارجية للجزائر ، إما أن تتسم بالسلم والتقارب أو العداء والتباعد فيما

بينها وبين سائر الدول المتوسطية ، وعلى هذا بنت الجزائر سياستها الخارجية على مجموعة من المبادئ الأساسية التي شكلت في جوهرها العام دستور الدولة ، فيما يخص علاقتها بالدول المجاورة ، وخاصة الأوروبية فكانت الشخصية والسيادة العامة للبلاد وكرامة السكان أهم مبادئها ، والذي كرّست هذه المبادئ في ايطار الولاء للدولة العثمانية ودون الخروج عن سياستها العامة [226].

هذا وقد سطرت الدولة لعلاقتها مع الدول التي ترتبط معها وتمثلت أساسا في :

- عدم التنازل عن حقوق السيادة والتمسك بمبدأ احترام شخصية الدولة .
- مراعاة أسس الصداقة في التعامل مع السفراء وتكريس مبدأ السيادة الوطنية في التعامل مع الأطراف الأوروبية .
- مراعاة حرية التعاقد وعدم الإلتزام بما توقعه الخلافة العثمانية من معاهدات في حال عدم خدمتها للمصلحة الجزائرية .
- مبدأ نبذ استعمال القوة في العلاقات الدولية ، وعدم الرضوخ للقوة مهما كان الأمر .
- تبني الحياد في الصراعات الدولية .
- الوفاء والإلتزام بنص الإتفاقيات مهما تغيرت الظروف .
- مراعاة حرية التعاقد ، وعدم الاكتراث لما توقعه الخلافة العثمانية من معاهدات في حال عدم خدمتها للمصلحة الجزائرية .

---

([226])محمد الأمين عطلى ، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2011 ، 2012 م ، ص : 120

- اعتماد مبدأ المساواة بين الدول ، فلا يوجد صديق مقرّب أو العكس بل مبدأ المصلحة ، وهذا ماجعل السياسة الخارجية لايالة الجزائر تتسم بالوضوح في سياستها ، وفي كيفية وطرق تعاملها مع الدول ، عامة سواء أكانت إسلامية أم مسيحية [227].

- **المبحث الأول : العلاقات الجزائرية الفرنسية**

كانت فرنسا أهم الدول الأوروبية التي حرصت على ربط علاقاتها بالجزائر ، ويتضح ذلك من خلال النشاط الدبلوماسي المكثف بين البلدين _ في حال السلم أو الحرب _ إذ يحصى جمال قنان في كتابه معاهدات الجزائر مع فرنسا حوالي 40 معاهدة مؤرخة من 21 مارس 1619 م ، وإلى غاية معاهدة الإستسلام 5 جويلية 1830 م ، ناهيك عن العدد الكبير من القناصل والسفرات والبعثات المرسلة [228] ، هذا الزخم والثراء في الروابط بين البلدين أكسى طابع الأهمية بالنسبة للعلاقات الدبلوماسية ، التي امتازت بنوع من الخصوصية مقارنة بسائر الدول والممالك الأوروبية ، ولعل السبب في ذلك هو تداخل المصالح وترابطها من جهة ، و الأمر الثاني هو ذلك التقارب العثماني _ الفرنسي الناجم عن وجود عدو مشترك ، مثل في إسبانيا من جهة أخرى .

ولد هذا التحالف الفرنسي العثماني أصداء مروعة في الأوساط المسحية الأوروبية ، وانعكس بدوره على الآلية الجزائرية التي سيتحتم عليها مجارة هذا التحالف ، واحترام مايتفق عليه البلدان من عقود ومواثيق ، وسرعان ما يتطور هذا التحالف ليكتسي أهمية اقتصادية تكون فرنسا فيه أكثر الدول المستفادة ، و الذي سيجر الجزائر فيما بعد إلى مساوئ وعواقب وخيمة ، فهذا النمو المطرد في العلاقات بين البلدين ولد ما يسمى بنظام

---

([227]) عطلى محمد الأمين ، المرجع السابق ، ص ص : 120 ، 121

([228]) جمال قنان ، معاهدات الجزائر مع فرنسا ( 1619 _ 1830 ) ، دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2010 ، ص ً : 414 ، 415

الإمتيازات التي ستصبح عنصرا بارزا ، ونقطة حساسة ومحورية في رسم العلاقات الدولية حتى إندلاع الحرب العالمية الأولى [229].

يمكن القول أن معاهدة الإمتيازات التي ربطت فرنسا بالدولة العثمانية ، كانت فاتحة العلاقات الجزائرية الفرنسية التي ستتطور أكثر خلال القرنين 17 و 18 الميلادي ، حيث استطاعت فرنسا بموجب ذلك أن تُأسس مراكز لصيد المرجان على إمتداد السواحل الشرقية من القالة ، عنابة و القُل بموافقة من السلطان العثماني ، وبالمقابل تدفع 1500 إيكود ذهبية لخزينة الجزائر ، كما إشترطت على أن لا تسلح أو تحصن حتى لاتبدوا بمثابة مراكز احتلال ، ونص الإتفاق على أن تكون في شكل منازل بسيطة يلتجيء إليها صيادوا المرجان من أجل الاستراحة [230] ، لكن التجار الفرنسيين خالفوا هذا البند ، و أقاموا التحصينات ونصبوا المدافع ، وقد ربطت بعض السفن الفرنسية على الشاطئ أمام الحصن ، وبذلك اصبح مصدر قلق و ازعاج بالنسبة للجزائريين الذين اعتبروه رمزا لوجود قوة مسيحية على أرضهم [231] .

طرحت معاهدات الامتيازات هذه اختيارا صعبا وعسيرا أمام الجزائر، إما بإتباع السياسة العثمانية و الإنقياد لها ، واعتبار نفسها ملزمة بتنفيذ وتطبيق كل ما أبرمه السلاطين من معاهدات مع الفرنسين أو غيرهم ، أو اتخاذ موقف مستقل تمليها عليها مصالحها ومعرفتها العميقة لطبيعة المشاكل والصعوبات التي تحيط بعلاقاتها مع الدول الأوروبية . ويبدوا أن هذا الخيار لم يكن مشكلة في عهد البيلربايات ، الذين واجهوا السياسة العثمانية في الحوض الغربي للمتوسط لمصالح الخلافة على غرار ما سيؤول إليه

---

([229]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 42 .

([230]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا ( 1500 _ 1830 م ) ويليه المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد ( 1780 _ 1798 ) ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009 م ، ص ص : 59 ، 60

([231]) يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ،ص : 100

الوضع بعد إلغاء هذا المنصب ، وما سينجر على ذلك من مشاكل وتوترات بداية نهاية القرن 16 م [232] .

كانت الاطماع الفرنسية كثيرا ما تحول دون تحقيق سلم دائم بين البلدين ، فقد اصطدمت أطماعها بغضب الجزائريين الرافضين لإستغلال خيرات بلدهم ، فأقدموا على هدم الحصن سنة 1568 م [233] ،و لم يسمحوا لأي كان بممارسة نشاط التجارة في تلك السواحل إلى أن تمكن نيقولا من الحصول على إذن من الباب العالي ، حصل بموجبه على حق ممارسة الأعمال التجارية وصيد المرجان في مكان الباستيون الذي هُدم سابقا [234] .

وفي عام 1578 م وجه الباب العالي فرمانا إلى بيلرباي الجزائر يقضي بالسماح للفرنسين بصيد المرجان في المناطق الواقة بين الجزائر ،وتونس ، شريطة دفع عشر المداخيل من الأرباح للحكومة الجزائرية ، كما طلب معاملتهم باللطف والإحسان [235] ، وإذا كان هذا هو حال الإمتيازات التي عكرت صفو العلاقات ، فإن التمثيل الدبلوماسي ( اعتماد القناصل ) قد أخذ نصيبه في التأثير على العلاقات بين البلدين .

لقد أعطت معاهدة الامتيازات الحق لفرنسا بإنشاء القنصليات في كامل الأراضي التابعة للدولة العثمانية بما في ذلك إيالة الجزائر ، والتي كانت توليها فرنسا اهتماما بالغا نظرا لقربها الجغرافي وموقعها الإستراتيجي [236] ، ولكن مسألة التمثيل هذه قوبلت

---

([232]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 47 .

([233]) يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ج2 ، المرجع السابق ، ص : 100

([234])عزيز سامح إلتر ، المرجع السابق ، ص 153

([235]) degrammont .histoir d algerdousladominasio turgue , raris , ernest leroux , 1887 , p 100

([236]) بركاهم دهان ، دور القناصل الفلرنسين في العلاقات الجزائرية الفرنسية ( 1689 م _ 1789 م ) ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2012 م ، ص : 18

بالرفض من طرف حكومة الجزائر ، و لم تُكلل بالنجاح إلا سنة 1578 م عندما تدخل الباب العالي ، حيث أرسل مراد الثالث ( 1574 م _ 1595 م ) أمر إستعجاليا يقضي بقبول موريس سورون قنصلا بالجزائر ، رغم توجيه رسالة من الباشا فينيريانو إلى قناصل وحكام مرسيليا التي ترفض هذا التمثيل ، إلا أن سفراء فرنسا بإسطنبول كانوا يصرون على ضرورة تعيين قنصلا لهم في الإيالة ، وذلك للحماية المصالح التجارية بالبلد [237] ، ومن المؤكد أنه حتى عام 1580 م لم يكن لفرنسا قنصل معتمد في الجزائر ، ولكن في العام الموالي أي في سنة 1581 م ، أصبح لهذه البلد قنصل بالمدينة [238] .

يمكن القول أن مسألة إنشاء قنصلية في الجزائر لم تكن بالعملية السهلة ، فقد استغرقت ما يزيد عن 14 عاما ، وربما يعود إصرار فرنسا في إلحاحها لإيجاد تمثيل دبلوماسي لها في الجزائر إلى عدة أسباب منها :

- تنفيذ الحق الذي خولته لها معاهدة الإمتيازات .

- تفادي الخسائر التي كان يلحقها البحارة الجزائريون بالتجارة الفرنسية خلال الفترة ( 1560 _ 1565 م ) ، فقد كتب " بوسكي " أنه لأسباب سياسية أكثر منها تجارية ألحت فرنسا على إنشاء القنصلية [239] ،وقد تمكنت فرنسا في نهاية القرن السادس عشر الميلادي من تثبيت قنصليتها بالجزائر ، إلا أن فاتحة القرن السابع عشر الميلادي ،

---

( [237]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص ص : 48 ، 49 .

( [238]) المرجع نفسه ، ص : 50 .

( [239]) بركاهم دهان ، المرجع السابق ، ص : 20

قد إبتدأت بالقطيعة والعداء ، وتعود أسباب هذه القطيعة إلى حادثين مهمين وهما : " حادثة تدمير الحصن و حادثة سيمون دانسا " [240] .

سّممت هاته الحادثتين صفو العلاقات السياسية بين البلدين بالرغم من تدخل الدولة العثمانية لحل النزاع بين الطرفين ، ففي عام 1604 م ، في فترة حكم " خيضر باشا " استولى هذا الأخير على مبلغ 6000 سكين من النقد أرسلها الباب العالي تعويضا للتجار الفرنسيين عن خسائرهم في حوادث البحار ، كما هدّد القنصل " دوفيا " عندما حاول أن يحتج ويطالب بالمال ، ثم قام بمهاجمة مراكز صيد المرجان في ساحل عنابة وخرّبها وأسر من بها من الفرنسين ، فتدخل الباب العالي لصالح فرنسا ، وقام بعزل " خيضر باشا " وعوضه بـــــــــ : " محمد قوصة " عام 1605 م ، وسمح بإعادة تأسيس الباستيون [241] .

أما حادثة سمون دانسا فقد أثارت هي الأخرى عدّة تعقيدات وحساسيات في مسار العلاقات الجزائرية الفرنسية ، فقد طلبت بارجاع المدفعين البرونزيين اللّذين سرقهما سيمون دانسا ، إلا أن مجلس الدولة الفرنسي رفض ذلك ، فأعلنت الجزائر الحرب على فرنسا ، وأخذ البحارة الجزائريون يتعرضون للسفن الفرنسية في البحر ، ونتج عن ذلك ضرر كبير للتجارة الفرنسية التي خسرت حوالي مليوني جنيه عام 1610 م .

استمر العداء قائما بين البلدين حتى عام 1618 م ، أين تم إيفاد وفد من طرف الجزائر بعد مساع سابقة لتجار مرسيليا لإحلال السلم والأمان ، والتي قوبلت بالرفض من قِبل الديوان ،وقد ضم هذا الوفد 46 شخصاً بقيادة " سِنان باشا " ، وعندما وصل الوفد

---

([240])**سيمون دانسا** : هو بحاره من أصل فلامنكي تجنس بالجنسية الفرنسية وإنظم إلى طائفة رياس البحر الجزائريين عام 1606م و حقق عدة إنتصارات ،لكن سرعان ما إرتد و سرق مدفعين برونزيين أودعهما عند الباشا مصطفى،أنظر :يحي بوعزيز علاقات الجزائر الخارجية ،المرجع السابق ، ص 40.

([241]) يحي بوعزيز ، العلاقات الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 61 .

إلى مارسيليا قادهم " بيار دوموستير " إلى مدينة tour لمقابلة الملك " لويس الثامن " فاعتذر له سنان باشا عن الخسائر التي لحقت بالفرنسيين من طرف البحارة الجزائريين ، وتم تسوية المشاكل وأبرمت معاهدة الصلح في 21 مارس 1619 م [(242)].

قبل عودة الوفد لأرض الوطن والمقررة يوم 14 مارس 1620 م، وقع حادث أليم راح ضحيته مابين 40 و 45 قتيلا من أعضاء الوفد ، ذلك أن أحد الرياس الجزائريين وهو " رجب رايس " ،كان قد استولى على سفينة نقل تجارا من مرسيليا ، فنهب مافيها وقتل طاقمها وترك السفينة في البحر بعد أن ألحق بها بعض التلف ، ولكن اثنين من الركاب كان متخفين داخل السفينة فنجيا من القتل ، وتمكن من الوصول إلى مرسيليا أين أذاعا خبر السفينة وما حلّ بها فزحفت جموع كبيرة من سكان المدينة على مكان إقامة الوفد الجزائري وحدثت مجزرة [(243)] .وتشير إحدى الرسائل التي وردت في المراسلات التي جمعها بلانتي ، أن العلاقة بين الجزائر وفرنسا تأذت كثيرا جرّاء هذه الحادثة ، وانعكس الأمر سلبا على التجار الفرنسين الذين ضغطوا على ملكهم للبحث عن حلٍّ لإعادة الأمور إلى نِصابها [(244)] .

لما اشتدّ الجزائريين للفرنسيين ، قرر الملك الفرنسي أن يراسل الباب العالي ويراجع معه الأمر ويرجوه للتدخل بينه وبين الجزائر ، فلبى الباب العالي الرغبة وأرسل " سليمان شاوش " لتنفيذ هذه المهمة عام 1623 م ، وقبل الديوان قرار الدولة العثمانية بالكف عن مهاجمة الفرنسين في البحر ، إلا أن الجزائريين لم يكونوا لينسوا ما حلّ بإخوانهم في مرسيليا عام 1620 م فضربوا بهذا القرار عرض الحائط وواصلوا نشاطهم ضد السفن

---

([242]) انظر نص المعاهدة كاملة في كتاب جمال قنان ، معاهدة الجزائر مع فرنسا ، المرجع السابق ، ص ص : 62 – 64

([243]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص ص : 66 ، 67 .

([244]) عطلى محمد الأمين ، المرجع السابق ، ص : 133

الفرنسية [245] وقد قدر القنصل الفرنسي خسائر بلاده بـــــ : 211900 فرنك وأسر حوالي 128 بحاراً [246].

عندما وصلت العلاقات إلى هذا الحد من التدهور رأت فرنسا أن تعدل عن أسلوب العنف وتسلك طريق الحوار والتفاوض فأرسل الملك الفرنسي " لويس الثالث عشر " المفاوض سانسون نابلون [247] ،الذي ذهب إلى القسطنطينية أولا أين حصل على رسالة موجهة للديوان يطلبُ منه فيها أن يحرر الأسرى الفرنسيين ويحقق السلام مع فرنسا ، وفي طريق عودته إلى الجزائر ذهب نابليون إلى فرنسا واشترى المدفعين البرونزين لإدراكه أن جهوده ستذهب سدى مادامت فرنسا لم ترد المدفعين [248] ووصل نابليون إلى الجزائر يوم 20 جوان 1626 م وأطلق المرسيليون سراح 200 أسير جزائري ، ووجههم إلى الجزائر فساد السلام بين البلدين وتم الإتفاق يوم 4 سبتمبر 1628 م على تحقيق الأمور التالية :

- تخصيص 30 ألف جنيه لشراء الأسرى ومدفعي البرونز
- تخصيص 30 ألف جنيه لشراء الأسرى الجزائريين الموجودين على ظهر السفن الفرنسية
- تخصيص 12 ألف جنيه للإنفاق على رحلة المركبين اللذين سيتوجهان إلى الجزائر .

---

([245]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص ص : 66 ، 67 .

([246]) جون ب . وولف ، المرجع السابق ، ص : 268 .

([247]) **سانسون نابلون :** من جزيرة كورسيكا يتمتع بتجربة واسعة في شؤون المشرق ، حيث عمل كقنصل وعميل سري وكتاجر ، وكان يتكلم التركية بطلاقة ، ويفهم التقاليد الإسلامية وكانت له مهارة فائقة في التفاوض . **أنظر** : جون . ب . وولف ، المرجع السابق ، ص : 270 .

([248]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 317 ، 318 .

لم تدم هذه المعاهدة طويلا ، وكانت فرنسا أوّل من نقض الإتفاق بالرغم من مساعيها الحثيثة لإبرام السلام ، فعاد مسلسل الاعتداءات الجزائرية على السفن الفرنسية من جديد وارتفعت خسائر تجار مرسيليا إلى حوالي 4,752,000 جنيها ، وتم أسر أكثر من 80 مركبا مابين سنتي ( 1634 – 1635 م ) [249] .

رضخت الحكومة الفرنسية لأمر الواقع وسعت مجددا لإحلال السلم بين البلدين فأوفد إمبراطور فرنسا مبعوثه " جون بانيست دي كولييل " كمبعوث إلى مدينة الجزائر لأجل العمل على تغير حالة العداء القائمة بين البلدين ، وتم إبرام معاهدة السلم يوم 7 جويلية 1640 م وتضمنت 16 بندا ، وقد جاء في البند الرابع منها : في المستقبل إذا ما التقت سفننا مع السفن الفرنسية فإنها ستتبادل التحية ، وكذلك الأخبار مع بعضها إذا رغبت في ذلك [250].

وفي عام 1657 م أسندت الإدارة الفرنسية رئاسة الباستيون إلى الفرنسي " طوماس بيكي " الذي جاء إلى الجزائر و لم يستقبل بحفاوة من طرف " الباشا إبراهيم " نظرا لأن الديوان كان يطالب بمبلغ 3 آلاف جنيه كديون ، فتوجه طوماس إلى القالة ولحق به 4 من الشواش و 50 جنديا إنكشاريا ليستخلصوا المبلغ منه ، إلا أن طوماس إعتقلهم وشحنهم في سفنه كأسرى وباعهم في ليفورن بإيطاليا وذلك بتاريخ 25 أكتوبر 1658 م ، وبالطبع فإن الجزائر لن تسكت عن هذا العمل ، لذلك أسرعت الحكومة الفرنسية إلى شراء أولائك الأسرى وأرجعتهم إلى الجزائر ودفعت الديون المترتبة 300 جنيه ، كما تم إستبدال طوماس بلويس كامبو مدير عام للباستيون عام 1659 [251].

---

([249]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص ص : 69 – 72 .

([250]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص ص : 317 ، 318

([251]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائرية الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 75

مع بداية حكم الملك " لويس الرابع عشر " سنة 1661 م [252] ،ستأخذ العلاقات الجزائرية الفرنسية منحى آخر ، حيث نصب هذا الأخير العداء الصريح للجزائر، واستقر لدى الجزائريين قناعة واضحة من عدم جدوى عقد أي معاهدة مع النصارى [253].

**مظاهر تأزم العلاقات الجزائرية الفرنسية**

**الحملات الفرنسية ضد الجزائر :**

أجمع المؤرخون أن سنة 1661 م بداية الحكم المطلق بفرنسا ، وذلك بتولي " لويس الرابع عشر " مقاليد الحكم بالبلاد ، أين تبنى هذا الأخير سياسة رامية للقضاء على إيالة الجزائر ، وتحطيم نفوذها وسطوتها عن طريق توجيه حملات بحرية ضدها ، واستخدام التدخل المسلح أين أصبحت الحرب العسكرية في هذه الفترة ميزة العلاقات الجزائرية الفرنسية [254].

**أ. حملة دي بوفورت على جيجل ( 1074 ه / 1664 م ) :**

سبق و أشرنا أن الجزائر كانت ترفض دوما الإعتراف لفرنسا بحقها المخول ضمن الإمتيازات، وكانت تعاملها معاملة الدول الأجنبية فتصالحها متى إنعقد الصلح ، وتحاربها مت تم أجله أو نقض ، وهكذا بقيت الحالة مرتبكة بين البلدين ،وخاصة إذا تعلق الأمر

---

([252]) **لويس الرابع عشر** : ولد في سان جرمان 1638 م وتوفي بفرساي عام 1715 ، إتلى عرش فرنسا في 5 من عمره وتحديدا عام 1635 ، ونظرا لصغر سنه وضع تحت وصاية مازاران حتى عام 1661 ، لقبه الفرنسيون بالملك الشمس نظرا لإهتمامه الكبير بالفن والأدب ، وقد عرف بعدائه الشديد للبروستانت . أنظر: محمد بن سعيدان ، علاقات الجزائر مع فرنسا ( 1070 _ 1170 ه / 1659 _ 1756 م ) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2011 م / 2012 ، ص :40

([253]) عطلى محمد الأمين ، المرجع نفسه ، ص : 136

([254])محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 64 .

بالمركز التجاري لصيد المرجان " الباستيون " الذي كان يفتتح أيام السلم ويحطم ويحتل أيام الحروب [255].

تعتبر هذه الحملة الموجهة ضد جيجل أولى العمليات العسكرية التي تبّينت وفضحت النوايا الفرنسية الخفية ، التي ترجح أغلب المصادر الغربية أنها جاءت كرد فعل انتفاضي لنشاط البحارة الجزائريين ، بينما أرجع بعضهم سبب ذلك إلى فشل المحاولات الدبلوماسية التي سعت إلى استعادة المؤسسات التجارية [256].

في سنة ( 1074 ه – 1664 م ) قرر الملك الفرنسي لويس الرابع عشر أن يغزو الجزائر بأسطوله ليتمركز بأحد شواطئها [257] ،وقد حاول كل من الديوان والقنصل " لوفاشي " ومدير الباستيون " دوسول " أن يتجنبوا الحرب ويصلوا إلى حلّ سلمي للمشاكل [258] ، وقد " أوعز شوفالي بول " وهو فرنسي من فرسان القديس يوحنا إلى الملك الفرنسي ، بأن الجزائريين يمتلكون مابين 54 سفينة حربية تحمل مابين 25 إلى 40 مدفعا لكل منها أشرعة جيدة ، وقد تكون هذه السفن خطيرة جدا [259] ،إلا أن الملك لويس الرابع عشر كان متحمسا لخوض هذه الحرب [260] .

بعد الإستعداد اللازم أذن للحملة بالمسير ، فانطلقت من ميناء " طولون " يوم 2 جويلية ، على رأس 83 سفينة يقودها الأمير " آلان بول " و " دوكين " ، أما القوة

---

([255]) أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر و إسبانيا ،ط :1، دار البصائر ،الجزائر ، ص : 395 .

([256]) محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 65 .

([257]) محمد بن ميمون الجزائري ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تق : محمد بن عبد الكريم ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 م ، ص : 17

([258]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 85 .

([259]) جون ب . وولف ، المرجع السابق ، ص : 316 .

([260]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 85

العسكرية التي يحملها الأسطول فمؤلفة من 8 آلاف رجل [261] تحت قيادة " الكونت قادابي " ،وكان الإشراف العام على العملية للدوق " دي بوفورن " [262] .

كان الملك الويس الرابع عشر مترددا في مسألة احتلال احدى المدينتين جيـــــجل أم بجايـــــــة [263] ، وقد وقع اختياره على مدينة جيجل لاعتبارات اقتصادية وعسكرية ، إلى جانب كون المدينة تشكل منفذا هاما للتجارة التي كانت مزدهرة ، كتجارة الشمع والجلود والزيت والأخشاب ، فإن المدينة سهلة المنال للسيطرة عليها ، إذ لا يوجد بها سوى حامية صغيرة مكونة من 20 جندي فقط ، ومن السهل القضاء عليهم واحتلالها وإذا ما تم تحصينها فإنها ستتحول إلى قلعة لا يمكن النيل منها ، كما أن بعدها من مدينة الجزائر التي هي مركز القوة الرئيسي سيجعل أمر الاحتفاظ بها أمرا ميسورا [264] .

وصلت الحملة إلى جيجل يوم 23 جويلية 1664 م ، بعد أن قضت أياما في جزر البليار ،وانضمت إليها 7 سفن من مالطة [265] ، واشتبك الطرفان في معركة **حامية الوطيس** أظهر فيها رجال المدينة قوة باسلة في التصدي لنزول العدو ، واستمرت المقاومة أسبوعا كاملا رغم عدم التكافؤ في العدة والعتاد ، و لم يستتب الأمر للفرنسيين بالمدينة إلا يوم 29 جويلية 1664 م [266] ،أين مكثوا بها قرابة شهرين من الزمن [267] .

---

([261]) اختلف في عدد جنود الحملة ، فيذكر أحمد توفيق المدني أن عددهم كان 8 آلاف جندي ، أما ابن ميمون الجزائري فيقول أن العدد كان 8 آلاف ومائتين . أنظر : أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص : 396 . ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 17 .

([262]) احمد التوفيق المدني ، المرجع السابق ، ص : 396

([263]) ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 17

([264]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 92

([265]) ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 17

([266]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 93 .

([267]) ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 17

كانت ولاية الجزائر يومها لشعبان آغا الذي بمجرد وصول نبأ سقوط جيجل حتى سارع لنجدتها وتحريرها ، واصطحب معه مدفعية قوية مكنته من تحقيق النصر ، وقد انضمت إليه جموع من المجاهدين ، فكان الجيش مخيما بعد فترة قصيرة على مشارف المدينة يوم 5 أكتوبر ، وبعد أن أحكم وضع مدفعيته على المرتفعات وضيق الحصار على الفرنسيين ، بادر بقصف المراكز الفرنسية بقوة وعنف يوم 25 أكتوبر ، وألحق بهم خسائر فادحة فعزموا على الإنسحاب ، ولم يسمح لهم الجزائريون بنقل أي شيئ من سلاحهم وأمتعتهم ، بل تركوا كل ذلك كغنيمة للجزائريين ، ومما زاد من فداحة النكبة والخسارة التي مني بها الفرنسيون ، أن السفينة الكبرى " لالون " التي كانت تحمل 1200 راكبا قد أغرقت أثناء عملية الإنسحاب [268].

أما عن آثار الحملة وما نجم عنها ، فيقول جون ب وولف : أنّ فرنسا خسرت جميع مدافعها 35 منها نحاسية و 15 من الحديد وجميع حقائبها ، بالإضافة إلى 400 رجل وقعوا في الأسر ، وقد أعقب هذا الإنتصار احتفالات عارمة في الجزائر ، أما الفرنسيون المقيمون في تونس فكانت تلاحقهم عبارات التهكم والسخرية بأصوات كعواء القطط " جيجل – بجاية " [269].

حرص لويس الرابع عشر على التقليل من قيمة الهزيمة التي مني بها ، وتبين ذلك من التعليمات التي أعطاها لقائد أسطوله " دي بوفورت " بالبقاء خلال الشتاء في البحر والعمل على الظهور ببعض قطع سفنه أمام الجزائر ، لكي لا يشعر الجزائريون بأنهم حققوا إنتصارا كبيرا [270] ، و بعد سنة من ذلك تمت تصفية الخلافات بين البلدين بإبرام معاهدة 17 ماي التي أعطت مرة أخرى دافعا جديدا للعلاقات الجزائرية الفرنسية ،أين

---

([268]) أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص : 397

([269]) جون ب وولف ، المرجع السابق ، ص : 317

([270]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 99

حاول الملك الويس الرابع عشر ، بعد هذه المعاهدة أن يتقرب من الجزائر و السعي لإبقاء حالة السلم معها نظرا لإنشغاله بحروب أوروبا [271].

استمرت حالة السلم بين البلدين ، إلا أنها لم تدم طويلا ، فقد بدأت تتعكر منذ 1672 م ، والتي شهدت قبلها بعام ظهور حكم " الدايـــــات 1671 " ، حيث تخلى هؤلاء عن أية ليونة اتجاه الفرنسيين ، ووصل الأمر بالداي الحاج محمد لإرسال رسالة بتاريخ 23 سبتمبر 1674 م ،إلى البلاط الفرنسي ضمنها الأسس التي تريد الجزائر أن تسير عليها لعقد أي معاهدة مع فرنسا [272] ،و مع أواخر سنة 1675 م ظهرت ملامح القطيعة في العلاقات بين البلدين ، فأخذت سفن البلدين تأسر وتغنم من بعضها البعض كلما سنحت الفرصة لذلك ، واستمر الأمر إلى غاية 1682 م ، أين ستقوم فرنسا بتأطير حملة أخرى ضد الجزائر [273].

**ب.حملة دوكين الأولى والثانية :**

مفاد قضية هاتان الحملتان ، أن مبعوثين فرنسيين قدموا إلى الجزائر للتفاوض مع الداي الحاج محمد من أجل تبادل الأسرى ، وقد تمت في سنة 1681 م المفاهمة على إطلاق سراح الأسرى من الجانبين ، لكن في الوقت الذي وفى فيه الجزائريون بالتزاماتهم ،وأطلقوا الأسرى رفض الفرنسيون من جانبهم إطلاق سراح الأسرى الجزائريين ، وأرسلوهم كعبيد لخدمة المراكب الفرنسية بالمشرق .

ثارت ثائرة الديوان الجزائري وأجمع على إعلان الحرب ضد فرنسا في 8 أكتوبر 1681 م ، فاستولى البحارة الجزائريون على 29 سفينة و 300 أسير ، إذ لذلك قرر

---

([271]) محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 66 .

([272]) عطلي محمد الأمين ، المرجع السابق ، ص : 139 .

([273]) المرجع نفسه ، ص : 141

الفرنسيون شن الهجوم على الجزائر ، وعهدوا بتنظيم الهجوم إلى الأميرال دوكين ، وما إن سمع الداي نبأ التحضير الفرنسي للهجوم على الجزائر حتى إعتزل الحكم وعهد به إلى صهره " بابا حسن " وكان ذلك سنة 1682 م [274].

جهزت فرنسا حملة عسكرية كبيرة بقيادة دوكين ، الذي أبحر على رأس أسطول عظيم في شهر جويلية ( 1095 ه – 1682 م ) ، متوجها صوب الجزائر مع أوامر بتخريب المدينة بأكملها ، وقد توجه الأسطول في البداية نحو مدينة شرشال وشرع في قصفها ، لكن المدينة لم تتضرر كثيرا [275] ، ولم يمت من أهلها ولو حتى نفس واحدة وقد مات من الفرنسيين أكثر من ألفين [276] .

بعد مضي شهر انتقل الأسطول الفرنسي نحو مدينة الجزائر ، وبدأ في قنبلتها فهدموا ما ينيف عن 200 مسكن وبعض المساجد [277] ،وقد استمر القصف حتى 12 سبتمبر دون أن تظهر أية بادرة للصلح [278] ،وبقي الأسطول الفرنسي راسيا في البحر حوالي شهر تقريبا، ثم أقلع عائدا إلى ميناء طولون ،بعدما خلف وراءه أضرارا طفيفة في ميناء الجزائر وعمران المدينة ، وقد كلفت هذه الغزوة الفرنسيين ميزانية ضخمة دون أن يحوزوا على أي نتيجة ، ورجع الفرنسيون إلى بلادهم خائبين خاسرين [279] . ولما صعب على هذه الحملة أن تحصل على ما تهدف إليه من تخريب المدينة وتحطيم أسطولها ، وبعد عودة

---

([274]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص :

([275]) محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 66 .

([276]) الزهرة النائرة ، المصدر السابق ، ص : 20

([277]) تاريخ تحرير مدينة وهران من الإحتلال الإسباني خلال القرن 18 ميلادي من خلال مخطوطتين ، ج1 ، فتح مدينة وهران للجامعي ، ج2 ، الرحلة القمرية لابني زرقة ، تر : مختار حساني ، جامعة الجزائر ، 2009 م ، ص : 226

([278]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 19 .

([279]) ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 20

دوكين إلى فرنسا أعادت الدولة تجهيز حملة أخرى في العام الموالي مكونة من 43 سفينة [280].

انطلقت الحملة أواخر جوان 1683 رجب 1095 من ميناء طولون ، وفي طريقها انضمت إليها 5 مراكب حربية تحت قيادة " لوماركيز دامفريفيل " ، وفي 28 جوان من نفس السنة وصل الأسطول للشواطئ الجزائرية ، وشرع في قصف المدينة والميناء فأحدثت أضرارا جسيمة [281]، أين هدمت أجزاء كبيرة من حصون المدينة ، وحتى قصر الباشا التركي لم يسلم من القصف ، وعند ذلك دخل في قلب بابا حسن الخوف وطلب الصلح من النصارى دون مشورة أصحابه ، ورضي بتسليم 550 أسيرا فرنسيا للأسطول المرابط في البحر [282] ، فثار عليه الرياس وقتلوه وبايعوا " حسين رايس ميزمورتو " دايا مكانه ، وبوصول هذا الأخير للحكم نصب المدافع ونشر الألوية وجدد الحرب [283] ، وبعث إلى دوكين قائلا : " إن أردت الصلح معنا فأعطنا أسرى المسلمين الذين عندك " [284].

عند بلوغ الخبر إلى دوكين سرع في قصف المدينة من جديد، فرماها تلك الليلة بـــــ 350 قنبلة ،ودام القصف 23 ليلة رموا خلالها حوالي 5 آلاف قنبلت خلفت خسائر كبيرة مات خلالها 40 شخصا من المسلمين [285] ، فرد الرياس على ذلك

---

([280]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 85

([281]) ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 20

([282]) علي عبد القادر الحليمي ، المرجع السابق ، ص : 172

([283]) بن عودة المزاري ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر ، تح : يحي بوعزيز ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1990 م ، ص : 172

([284]) الزهرة النائرة ، المصدر السابق ، ص : 22

([285]) المصدر نفسه ، ص : 22

واعتقلوا القنصل " لوفاشي " ووضعوه أمام فوهة المدفع وقذفوا به فتقطع أشلاء وفعلوا ذلك مع 20 فرنسيا آخر [286] ، فرجع دوكين إلى بلده خائبا خاسرا [287] .

وفي سنة 1684 م توسلت الحكومة الفرنسية لعقد الصلح ، فطلبت من السلطان العثماني " مراد الرابع " 1684 – 1687 أن يتدخل بينها وبين الجزائر إلا أن ميزومورتو لم يلتفت إليهم أصلا [288] . وبعد تدخلات كثيرة فتحت مفاوضات للصلح وكان " تروفيل " منسق المفاوضات بين البلدين ، وسميت معاهدة الصلح باسمه وكانت بتاريخ 25 أفريل 1684 م ، ونصت على أن تكون لمدة 100 عام وتحتوي على 29 مادة عالجت بنودها جل المشاكل السياسية والاقتصادية [289] .

### ج. حملة الماريشال ديستري " رجب 1100 ه / 26 جويلية 1688 م :

لم تمض ثلاثة سنوات على إمضاء معاهدة السلم المؤوي ، والتي كان لها الأثر الطيب في تاريخ العلاقات بين البلدين ، حتى تذرعت فرنسا لإعلان الحرب على الجزائر بحجة سماح الحكومة الجزائرية لغنيمة فرنسية من طرف أحد بحارة مدينة سلا .

انطلق دوستري على رأس حملة عسكرية قوامها 44 عمارة ،ووصل الأسطول إلى المياه الجزائرية في 1 جويلية، وشرع في قصف المدينة [290]، حيث رماها بأكثر من 10 آلاف قنبلة فدمر أكثر من 5 آلاف مترل ، فردّ عليه الديوان بإعتقال القنصل " بيول " وكل الرعايا الفرنسيين وقتلوهم جميعا وكان عددهم 43 شخصا [291] .

---

([286]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 86 .

([287]) الزهرة النائرة ، المصدر السابق ، ص : 20

([288]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 86 .

([289]) ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 20

([290]) محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 70 .

([291]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 86

بعد رحيل دوستري عن الجزائر وعدم تحقيق المساعي الفرنسية ، تخلت هذه الأخيرة عن سياسة العصا ، وحذت حذو الإنجليز والهولنديين ، ورغبت في عقد معاهدة للصلح ، فكان ذلك في 24 شعبان 1100 / الموافق لـــــ 24 سبتمبر 1689 م، التي تناولت مختلف النزاعات بين البلدين . وبعد فترة أوفد الداي " الحاج شعبان " بعثة بقيادة " محمد الأمين أفندي " إلى فرنسا للمباحثة في مسألة الأسرى الجزائريين الذين تزايد عددهم بفرنسا ،وتماطلت الحكومة في إطلاق سراحهم رغم المعاهدات المختلفة التي أبرمت بين البلدين [292]، وانتهت هذه المحادثات بتثبيت إتفاقية السلم بين البلدين ، والذي سيستمر لمدة 100 عام وهو مايعرف بالسلم المئوي [293].

تميزت فترة السلم المئوي هاته 1690 – 1790 بالاستقرار رغم وجود بعض الأحداث التي أدت إلى تشنج في العلاقات ، إلا أنها لم تؤد إلى القطيعة وتم حلها وفق معاهدة السلم المئوي ،التي كثيرا ماكان يضاف إليها بنود حسب ما تطلبه الظروف ، وستعرف العلاقات الجزائرية الفرنسية عدّة أحداث هامة ، ستنعكس حتما على مسار العلاقات بين البلدين، منها الثورة الفرنسية التي أثرت تأثيرا كبيرا وواضحا في أوروبا خاصة والعالم عامة ، نظرا لما حملته هذه الثورة من قيم ومفاهيم سياسية واقتصادية واجتماعية ، وما ترتب عنها من انعكاسات هامة في العلاقات الدولية [294]،والحدث الآخر المهم هو الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798 م ، وبما أن الجزائر جزء من الدولة العثمانية وأن الاعتداء عليها قد وقع على بلد مسلم [295] ،فقد أوفد السلطان العثماني "

---

([292]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص ص : 90 ، 91

([293]) محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 98 .

([294]) عبد الرحمان نواصر ، مسألة الديون الجزائرية على فرنسا وانعكساتها على العلاقات البلدين في أواخر عهد الدايات ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2010 – 2011 م ، ص ص : 96 ، 97

([295]) محمد العربي الزبيري ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابين ( 1792 – 1830 ) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1972 م ، ص : 225 .

سليم الثالث " فرمانا للجزائر يوم 6 أكتوبر 1798 ،يتضمن إعلان الحرب على فرنسا ، فاستجاب الداي للقرار وأعلن قطع العلاقات الدبلوماسية معها [296]، وكان غرض فرنسا من هذه الحملة كسر شوكة الإنجليز في الشرق [297] ، والسيطرة على تجارة الهند [298].

وكما أسلفنا استجاب الداي لأمر الدولة العثمانية ، وأعلن الحرب ضد فرنسا وألقى القبض على الفرنسيين وقناصلهم في السجن ، وخرّب مركز فرنسا التجاري بالقالة وأسر نحو 98 عاملا به ، كما أعلنت البحرية الجزائرية حربا شاملة ضد السفن الفرنسية في البحر، تجارية كانت أم عسكرية ، ولكن مالبث أن عاد السلم بين البلدين بعد انسحاب فرنسا من مصر ، أين أوفد " نابليون " مبعوثه تافيل إلى الجزائر ليتفاوض مع الداي لإبرام الصلح ، وفي 13 ماي 1800 م قابل تانفيل الداي " مصطفى باشا " ونجح في عقد هدنة معه يوم 30 سبتمبر 1800 م مقابل دفع مليون فرنك [299]، وستعرف السنوات القادمة انعكاسات حادة في مسار العلاقات بين البلدين، أين ستلعب مشكلة الديون دورا بارزا في تفعيل الأزمة التي ستجر البلدين إلى القطيعة والخلاف ،كما سيلعب الأخوان اليهوديان " بكري وبوشناق " على حبل العلاقات السياسية الفرنسية الجزائرية ، والتي ستنتهي بحملة كبرى تبتدأ بحصار الإيالة ثم احتلالها .

**المبحث الثاني : العلاقات الجزائرية الإنجليزية**

---

([296]) رشيد مريخي ، الجزائر في عهد الداي مصطفى باشا ( 1212 – 1220 ه / 1798 – 1805 م ) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، 2010 – 2011 م ، ص : 38

([297]) زينب عبد العزيز ، مائتا عام على حملة المنافقين الفرنسين ، كومبيوتر ستار ، مصر ، 1988 م ، ص : 14

([298]) محمد صبري ، تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلي اليوم ، ط1 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1926 م ، ص : 24

([299]) رشيد مريخي ، المرجع السابق ، ص : 38 .

جاء الانجليز إلى البحر الابيض المتوسط كتجار و بحارة خواص و قراصنة إبتداءا من أواخر القرن السادس عشر ، و قد حصلت الملكة إليزابيت على معاهدة من السلطان العثماني أعطت للتجار و البحارة الانجليز امتيازات مشابهة لتلك التي يتمتع بها الفرنسيون ، بالرغم من أن المعاهدات الفرنسية العثمانية جعلت الملك الفرنسي هو حامي التجار المسيحين في المشرق ،كما منحت القناصل الفرنسيين صلاحيات واسعة من السلطة الشرعية على جميع المسيحيين في الموانئ العثمانية ، و قد وجد بحارة السفن الخاصة و القراصنة الانجليز ملجأ أمنا لهم في موانئ الايالة الجزائرية و التونسية منذ وقت مبكر ، حيث كانوا يتبادلون تجارة كبيرة مع الجزائر من إمدادات عسكرية و بحرية ، مقابل الحبوب و الصوف و الزيوت و غيرها من المواد المصدرة و المعفية من الرسوم الجمركية.كما كانت حربهم مع الدولة الاسبانية ،و هذا ما جعلهم حلفاء أو على الاقل شركاء لرياس شمال افريقيا إذ كانت تجمعهم علاقات ودية [300].

إن اهتمام بريطانيا خلال القرنين السادس عشر و السابع عشر بالبحر الأبيض المتوسط كان محدود ، و يكاد يكون قاصرا على أعمال الشركة الانجليزية التركية – «شركة الشرق الأوسط-"الليفانت levant "» و التي تأسست سنة 989 ه - 1581م ، و لذلك كانت بريطانيا ثاني دولة تسعى إلى إنشاء قنصلية لها بالجزائر [301] ، وكانت المسؤولة في عهد الملكة اليزابيت على تعيين القناصل الانكليز في مدن الموانئ العثمانية ، و كان من الصعب تعيين قنصل في الجزائر عندئذ ،لعدم وجود نشاط تجاري هام في هذه المدينة التي كانت تكرس كل جهدها تقريبا لهجومات رياسها البحريين ، بعد وفاة اليزابيت أعلن خليفتها ، " جميس الأول " (1603 - 1625 م) أن زمن الحرب قد

---

([300]) مولود قاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830،ج1، دار الامة ، ط2 ،2007 ، ص ص : 181 ، 182 .

([301]) عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ،ج 4 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2010 ،ص : 102

انتهى و لم يكتف بتوقيع السلام مع اسبانيا ، بل أنه أيضا أعطى نفوذا كبيرا وسمعة إلى السفير الاسباني في البلاط الانجليزي ، و مع ذلك فان القراصنة الانجليز كانوا محل ترحيب في الموانئ الجزائرية و التونسية ،حيث كانوا هم و نظراؤهم الفلانديون و الهولانديون يُعلمون الرياس المسلمين كيفية بناء و تسير السفن الطويلة التي تعتمد في مسيرها على الرياح [302] .

لم يعد التجار الانجليز امنين على سفنهم كما كانوا من قبل ، إذا ما أبحروا عبر البحر الأبيض في اتجاههم إلى المشرق للتجارة ، حيث كان السفير الانكليزي في اسطنبول يعامل مثله مثل نظيره الفرنسي،و بعد أن وقع هنري الرابع السلام مع اسبانيا ، قد وجد نفسه يستطيع الضغط كثيرا على السلطات العثمانية لوقف النهب الغير شرعي الذي لحق بالسفن الانجليزية من قبل رياس شمال افريقية ، ذلك أن السلطة العثمانية لم تعد تحمي بسهولة سفن الدول التي يفترض أنها صديقة لنظامه ،و التي هي في نفس الوقت في سلام مع اسبانيا [303].

كما كان الفضل لبعض ضباط البحر الانجليز و الفرنسيين في تعليم البحار الجزائريين و التونسيين طريقة إبحار السفن التي يمكنها اختراق المحيط الأطلسي ،و من ثمة توسيع مجال أنشطة البحارة المغاربة بصفة كبيرة ،و هكذا نرى أن إنجلترا و فرنسا و نيوزلاندا المتحدة لم تكن تجد صعوبة مع البحارة العاملين في الايالات المغربية ،طالما كانت هذه الدول أيضا في حرب أو عداء مع المماليك الاسبانية. و لكن عندما وقعت هذه الدول الثلاث السلام مع اسبانيا ، فان بحارة المغاربة توقفوا عن النظر إليهم كحلفاء ، و سرعان ما استولوا على السفن التجارية التي تعود إلى أصدقاءهم السابقين واسترقوا طواقمها .إن تدخل إسطنبول قد يغير القرارات في العقد الأول من القرن السابع عشر ،

---

([302]) جون ب . وولف ، المرجع السابق ، ص : 242

([303]) جون ب . وولف ، المرجع السابق ، ص : 241

ولكن سرعان ما توقفت السلطة العثمانية عن توفير الأمن لأي سفينة تعبر البحر المتوسط .[304]

تزايد نشاط البحرية الجزائرية ضد السفن الإنجليزية وعليه قرر الملك الإنجليزي "جيمس الأول" توجيه حملة عسكرية لقنبلة مدينة الجزائر ، وأوكل أمرها إلى الأميرال "روبيرت مانسيل" (Robert Mansel ) ، وصل الأسطول الإنجليزي إلى المياه الجزائرية في 27 نوفمبر 1620 م [305] ، لكن الحملة فشلت في تحقيق مبتغاها في فك الأسرى وحرق الأسطول الجزائري.أكّد هذا الإخفاق العسكري ، عجز إنجلترا على الرد على البحرية الجزائرية لضعف الأسطول الإنجليزي ، و عدم تحمل الخزينة الإنجليزية لنفقات حرب و التي قد تطول [306].

مالت إنجلترا إلى الحل التفاوضي مع الجزائريين؛ فعقدت معاهدة سلام مع الجزائر في سنة 1622م ، وقعت معاهدة " توماس روي" بين الانجليز و الايالة العثمانية لتنظيم العلاقات الخارجية بينهما، و يشير جون وولف أن أول من أخل ببنود المعاهدة هم الانجليز ، فقد كان الحكام الأوائل خلال بداية القرن السابع عشر يجدون صعوبة في السيطرة على سلوك رعاياهم ، ذلك أن البحارة الخواص المرخص لهم يصبحون بسهولة قراصنة ، لا يمكن مراقبة سلوكهم في البحر ، و لكن الذي أزعج السلام مع الجزائر لم تكن ببساطة هذه الحجة و إنما السفن الحربية الانجليزية المرخص لها بانتظام قد نقضت أيضا السلام .[307]

---

([304]) المرجع نفسه ، ص ص : 241 – 243

([305]) وليام سبانسر ، المرجع السابق، ص : 180

([306]) جون ب . وولف ، المرجع السابق ، ص : 298

([307]) نفسه ،ص : 298

خلال حرب باكنغهام Buckingham مع اسبانيا سنة 1625م أجبرت سفينة إنجليزية خاصة ،أحد الرياس الجزائريين على تسليمهم السفينة الاسبانية التي كان الرايس قد استولى عليها كغنيمة له ، الامر الذي أدى إلى احتجاج من قبل الرايس ، كما وقعت حادثة مشابه لها ، حيث أن بحارة جزائريين استولوا على سفينة فرنسية كانت مبحرة ، غير أن البحرية الانجليزية طالبت باعطائها نصف الغنيمة ، و لعدم معرفتهم باللغة جعلت الطاقم الجزائري يخسر كل الغنيمة ، وعلى إثر هذه الانتهاكات أرسلت بعثة رسمية جزائرية إلى لندن تحمل معها (خيولا ، أسودا و فهودا ) قاصدة من هذا الحصول على تعويضات ، للانتهاكات المقصودة للمعاهدة من قبل البحارة الانجليز ، لكن حظ البعثة لم يكن كذلك حيث فشلت في مهمتها [308] .

استاء رياس البحر من المعاهدة التي تمنعهم من الانقضاض على السفن الانجليزية ، و خاصة أن العلم الانجليزي كثيرا ما شوهد في البحر المتوسط خلال عشرينات القرن السابع عشر ، و جاءت الفرصة المنتظرة لتبرير نقض المعاهدة و إعلان الحرب على إنجلترا ، و هذا عندما هاجمت سفينة حربية انجليزية سفينة جزائرية و احرقتها ، و كان من نتائجها وضع الأغلال للقنصل الانجليزي "جميس فرانزيل " franzel" و رميه بالسجن ، و اعلان الجزائر الحرب على انجلترا [309] ، و على اثر هذا الصراع باتت السفن الانجليزية في البحر المتوسط و في المحيط الاطلسي هدفا سهل المنال للرياس البحر الجزائريين ، و كان أجرأ هجوم هو الذي قام به العلج مراد رايس ، حيث أسر مئات الرجال الانجليز و النساء و الاطفال لبيعهم في سوق الرقيق بالجزائر ، و كانت هناك هجمات متكرر على السواحل الانجليزية و التي ساهمت في تحريك مشاعر انجلترا [310] .

---

([308]) المرجع نفسه ، ص ص : 298- 299

([309]) جون وولف ، المرجع السابق ، ص : 299

([310]) منور مروش ،ج2 ، المرجع السابق ، ص ص : 285-323

تهاطلت رسائل عائلات الاسرى على الملك و كبار المسؤوليين تناشدهم لنجدتهم ،غير أن الملك لا يملك المال لفدائهم ،كما استرشدت الحكومة لتشكيل لجنة تهتم بهذا الموضوع و التي رأت أن سياسة الفداء ستعطي للجزائريين فكرة بأن الانجليز بضاعة رابحة ،و هذا سيدفعهم إلى بذل مجهودات أخرى للاستيلاء على الاسرى ، و لهذا جعلت استمرار الحرب هو الحل الوحيد [311] . قدر عدد الاسرى بخمسة الاف أسير سنة 1640م ،و بسبب ارتفاع هذا العدد توالت موجات العرائض الموجهة للبرلمان ،و خلال هذه السنوات قام شارل الاول ببناء اسطول قوي يمكنه من فرض هيبته الانجليزية على البحر المتوسط ، و في سنة 1645م غادر " ادمون كاسن " "(cassen) من انجلترا على ظهر سفينة محملة بالبضائع و النقود لفداء الاسرى بالجزائر ، كما تم اعتماده كقنصل و أُعطيت له صلاحيات لعقد معاهدة سلم و صداقة مع ايالة الجزائر، و نتيجة لعاصفة هوجاء احترقت هذه السفينة قرب اسبانيا ،و على اثرها عاد كاسن إلى انجلترا ،و في سنة 1646م عاد إلى الجزائر و معه المال لفداء الاسرى و لعقد معاهدة السلام [312].

عرفت العلاقات الجزائرية الإنجليزية خلال عهد الجمهورية بما يمكن أن نسميه السلام المشوب بالحذر؛ إذ رغم السلام الذي أّكدته معاهدة 1646 م ، إّلا أّن التوجه الجديد لحكومة الجمهورية كان يقضي باستعمال الصرامة في التعامل مع الإيالات المغربية بشكل عام. وقد ظهر ذلك جليا في التعليمات التي زود بها القنصل الانجليزي الجديد "روبير براوني" (Robert Browne) ، وهي تعليمات تميزت بالوضوح والجفاء وعدم التساهل ، أو التسامح مع أي عمل يخل ببنود المعاهدة .وتدعيما لمهمة قنصلها أرسلت حكومة الجمهورية أسطولها بقيادة الأميرال" بلاك " (Blake) إلى البحر الأبيض المتوسط ،ليكون

---

([311]) جون وولف ، المرجع السابق ، ص ص : 299 - 300 ، 301

([312]) المرجع نفسه ، ص ص : 303 ، 304

على أهبة الاستعداد لأي طارئ [313] ،كما تشير مجلة العصور إلى حدوث هجوم بريطاني بأسطول حربي على مدينة الجزائر و كان هذا عام 1652م [314] ،وعندما عاد النظام الملكي إلى إنجلترا في سنة 1660م ،استهلّ الملك "شارل الثاني " عهده بتوجيه حملة عسكرية على مدينة الجزائر، لإرغام الحكومة الجزائرية على الانصياع لرغبته في تعديل المعاهدة السابقة ،وخاصة الشرط المتعلق بتفتيش السفن الإنجليزية . وفور وصول الأسطول الإنجليزي إلى ميناء الجزائر، شرع في قصف المدينة وأبراجها ،وردت عليه الحصون الجزائرية فأصابت السفينة التي تحمل الأميرال كما أصيبت بعض السفن بأعطاب فمات منهم مائة [315].

بعد فشل الحملة لجأت إنجلترا كالعادة إلى أسلوب التفاوض؛ فعقدت معاهدة سلم مع الجزائر في سنة 1662م [316] ،كما لا يمكن تجاهل الضربات التي تلقتها البحرية الجزائرية من طرف الانجليز، حيث تم قصف سواحل الايالة و ميناءها و كان هذا عام 1665م [317].

برز الصراع بين فرنسا و الجزائر لتنفرد فرنسا بشن اكبر عدد من الغارات البحرية على الجزائر خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر ، غير أن المدفعية الجزائرية تمكنت من صد هذه الهجمات و إلحاق الهزيمة بالأسطول الفرنسي ، و في عام 1669 م أبرمت

---

([313]) جون وولف ، المرجع السابق ، ص ص : 307 ، 308

([314])جبور محمد ، **البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني** ، مجلة العصور ، العدد 12-13/14-15،جامعة وهران ، 2008 -2009 ، ص : 120 .

([315]) جون وولف ، المرجع السابق ، ص : 308

([316]) جمال قنان ، نصوص و وثائق ، المرجع السابق ، ص ص : 91-97

([317]) المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق ، ص ص : 339-347

اتفاقية جديدة بين فرنسا و الجزائر ، الأمر الذي أغضب انجلترا لتشن بدورها هجوما على الجزائر لكن قدرة المدفعية الجزائرية أرجعتها من حيث أتت [318].

ظل تبادل التهم بخرق المعاهدات يعكر صفو العلاقات بين البلدين ،ليجد كل طرف المبرر للقيام بأعمال عدوانيه ففي 1770م قبضت وحدة بحرية إنجليزية بقيادة السير "ألن" "Allen " و أحرقت 3 طرادات قرصانية مجموعة ناريتها 248 بندقية [319] ، و في ربيع 1671م تعرض ميناء بجاية إلى هجوم إنجليزي ،قاده الضابط " إدوارد سبراغ " (Edward Spragge) [320]أسفر عن حرق إثنتي عشرة سفينة ، وأكثر من ثلاثة آلاف قتيل ثم توجه شطر مدينة الجزائر ، فأحرق بها تسع سفن ،وشرع في إملاء شروطه على حكومة الداي التي توّلت السلطة في البلاد بعد القضاء على نظام الآغوات ،لكنه لم يكمل المفاوضات وعاد على جناح السرعة إلى بلاده .

ساءت العلاقات الجزائرية الانجليزية هذا و أن القنصل الانجليزي كان يمارس ضغطه على الداي باستمرار للحصول على المزيد من المعاهدات التجارية ، و في النهاية طرد القنصل من قصر الداي لأنه أصر مقابلة الداي و الدخول إلى ديوانه ،و هو متقلدا سيفه الأمر الذي أثار غضب الداي ،و زيادة حدة توتر العلاقات بين البلدين. و في سنة 1774م/1188ه جاء القائد " دنيس" إلى الجزائر لتعيين قنصل جديد بها ، إلا أنه لم يسمح له بالنزول من سفينته ، و في 16 شباط 1775م تدخل السلطان و فرض على الجزائر قبول الصلح مع انجلترا، وفق فرمان بعث به إلى ايالة الجزائر ،غير أن هذه الأخيرة لم تعر أي إهتمام بهذا الفرمان نهائيا . [321]

---

([318]) عزيز سامح ،ا لمرجع السابق ، ص : 529

([319]) وليام سبانسر، المرجع السابق ، ص : 180

([320]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص : 184

([321]) عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص : 529

اغتنم الانجليز فرصة قيام الحرب بين الجزائر و فرنسا عام 1681م ،فابرموا مع الجزائر معاهدة سلام و كان ذلك سنة 1682 [322]، حيث يصفها أحد الفرنسيين بتقديم الانجليز تنازلات مزرية للجزائريين، إذا قبلوا بإعطائهم كمية معتبرة من البارود ،و من قنابل المدافع و من الحبال ،و كل مايستلزم لتجهيز السفن ،كما قامت انجلترا باطلاق سراح خمسين أسيرا ، في الوقت التي لم تتحصل فيه إنجلترا على أسير واحد من الأسرى الانجليز المتواجدين بالجزائر ،رغم عددهم الكبير ، كما قبل الانجليز بأن يتولى القراصنة الجزائريين حماية بواخرها في البحر المتوسط [323].

بقيت حالة الشد والجذب تطبع علاقات البلدين إلى مطلع عقد الثمانينات من القرن 17م ،حين وّقع البلدان معاهدة سلام في 22 أفريل 1682 م ؛ و يعود الفضل في ذلك إلى القنصل" صمويل مارتن " الذي وعد الديوان في 1676م ،بأن انجلترا ستحدد من عدد الأجانب المسافرين على متن سفنها ، و نجم عنها تحسن في العلاقات التي سوف تستمر إلى غاية القرن 18 وذلك إثر توطد التفوق البحري الإنجليزي و احتلال الإنجليز لجبل طارق أثناء حروب الوراثة الإسبانية [324] .

كانت سياسة بريطانيا اتجاه الجزائر تستهدف نفس الاهداف التي تسعى لتحقيقها غريمتها فرنسا ،غير أن إنجلترا في المناسبات العادية كانت تبدي الكثير من البخل في الهدايا التي كانت تقدمها للداي ، أما القناصل الذين كانت تختارهم لتمثيلها بالجزائر كثيرا ما كانوا من طبقة عادية و لايتمتعون إلا بمعرفة محدودة ، و عدم حنكتهم في الامور

---

([322]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 41

([323]) مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر العام ،ج3 ،ص ص: 186-187

([324]) وليام سبانسر، المرجع السابق ، ص : 180

الدبلوماسية هو السبب الذي جعل هؤلاء يقعون في أخطاء فادحة ،و في كثير من الأحيان كان يتم استدعائهم من قبل حكومتهم بناءا على شكوى الداي [325] .

لقد كانت انجلترا تنتهج سياسة لا تتسم بالمثابرة و المواظبة مثل فرنسا، فإنها كانت تطالب و باستمرار بنفس المكانة و الاعتبار التي كانت تتمتع بها نظيرتها [326] ، وقد تعرضت الجزائر إلى عدة هجمات من قبل الاسطول الانجليزي ، لكنها أقل عددا من الهجمات الفرنسية ، كما كان مجموع الاتفاقيات المبرمة بين الجزائر و انجلترا منذ 1619 م إلى 1830 م حوالي 27 معاهدة [327] .

إن موضوع العلاقات الجزائرية البريطانية تكتسي أهمية خاصة لدول البحر الأبيض المتوسط بصفة عامة ، كون أن بريطانيا لم تكن من دول البحر الأبيض المتوسط ،إلا أنها اقتحمت هذا المسطح المائي الهام ،بغرض السيطرة على الملاحة التجارية العالمية التي كان يحظى بها المتوسط ، وبالتالي فرضت نفسها كرقم أساسي في المعادلة التي حكمت وأطرت العلاقات السياسية للدول المتوسطية هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كانت الجزائر خلال هذه الفترة دولة بحريّة بالدّرجة الأولى ،فكان مفتاح عظمتها في " عصر القرصنة " يكمن في بحريّتها التي كانت توجّه سياستها الخارجيّة ، وتحدّد طبيعة علاقتها مع الدّول الأوربيّة ، بما فيها الإمبراطوريات العظمى التي كانت على رأسها بريطانيا. وبالتالي أولت المملكة البريطانية أهمية بالغة بالجزائر، خاصة أن هذه الأخيرة كانت تربطها علاقات يمكن أن نقيمها بالحسنة خلال هذه الفترة .

**المبحث الثالث : العلاقات الجزائرية الأمريكية**

---

([325]) وليام شالر ، المصدر السابق، ص : 134

([326]) نفسه ، ص : 135.

([327]) عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق ، ص ص : 103- 104

كانت أمريكا عبارة عن مستعمرة تخضع للنفوذ البريطاني ، تابعة سياسيا واقتصاديا للتاج الإنجليزي ،وبالتالي كانت علاقتها مع الجزائر منطوية تحت العلاقات الجزائرية البريطانية التي تتمّ بواسطتها ومن خلالها ،حيث كانت الجزائر تعامل السفن الأمريكية طبقا للدولة المستعمرة . [328] و في ظلها تمتعت السفن الأمريكية بالحماية من الجزائر، مانحة إياها جميع الامتيازات حيث كانت العلاقات الجزائرية البريطانية ودية ، وفي أواخر القرن الثامن عشر و بعد قيام الثورة الأمريكية [329] ، سحبت بريطانيا حمايتها من أمريكا ليبدأ تاريخ الولايات المتحدة الفعلي بموجب معاهدة فرساي في 3 سبتمبر سنة 1783م [330] ،حيث اعترفت الجزائر بحق الولايات المتحدة في الاستقلال [331] .

تعتبر العلاقات الأمريكية الجزائرية حديثة عهد و لم تبدأ الاتصالات فيما بين الدولتين إلاّ بعد 1783 م ،كما يؤيّد هذا الاتجاه مسارعة الجزائر إلى الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة، و أمام الوضعية الحرجة التي كانت تعيشها أمريكا قررت أن تنشد السلام مع الجزائر بطريقة غير مباشرة ، فلجأت إلى الأوروبيين لتحقيق هذا الهدف ، فالمعاهدة التي أبرمتها أمريكا مع فرنسا عام 1778 م ،نصت على مادة يتعهد بموجبها ملك فرنسا باستعمال وساطته لدى الجزائر لحماية المصالح الأمريكية [332]، و في معاهدات أمريكا مع هولندا عام 1782 م ، و التي كانت مماثلة للمعاهدة التي عقدتها مع فرنسا ،كما

---

([328]) وليام شالر، قنصل أمريكا بالجزائر، مقدمة المترجم ، ص ص : 5 ، 6

([329]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص216

([330])اسماعيل العربي ،**المعاهدات الجزائرية الأمريكية** ، **مجلة الثقافة** ،الجزائر،السنة السابعة العدد40،اوت – سبتمبر1977،ص23

([331]) عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق ، ص : 101

([332]) جيمس لندركاثكارت ، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا بالمغرب ، تر: إسماعيل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 ، ص : 196 . انظر ايضا: اروين ، ص : 44 .

فشلت مساعيها الأولى لعقد معاهدة مع بريطانيا . و تم توقيع معاهدة عام 1783 م [333] . حاولت أمريكا التحالف ضد الجزائر و لكن الدول الأوروبية رفضت تطبيق هذه المادة كفرنسا ،و أخرى رفضت إضافة هذه المادة أصلا كبريطانيا .إلا أن مساعي أمريكا فشلت لدى الدول الأوروبية [334] .

سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى عقد معاهدة صلح مع دول المغرب خاصة الجزائر التي كانت أقوى النيابات العثمانية آنذاك، حفاظاً على سلامة السفنها التجارية في البحر المتوسط.و قد أشار الوزير الفرنسي إلى استئناف المفاوضات مع دول المغرب ،و التي سوف تكلفها مبالغ طائلة،لان بدون هذه التضحية لا أمل لها في الحصول على السلام،فان تمكنت الولايات المتحدة من ابرام المعاهدة مع الجزائر و المغرب لتخذت كل من تونس و طرابلس حذو البلدين بسهولة و بمبالغ أقل [335] .

فبعد انتصار الجزائريين على الإسبان وعقد معاهدة معهم عام 1783م ، أُتيح للجزائريين التحرك بحرية أكبر في البحر المتوسط و المحيط الأطلنطي، بعدما فُتح أمامهم مضيق جبل طارق فاستولى الجزائريون على سفينتين أمريكيتين عام 1785 م ، و الذي كان على متنها 21 أسيرا و بالتالي ازدادت حصيلة الأسرى من الأمريكيين [336] .

أرسلت الولايات المتحدة مندوبا عام 1786م يدعى " جون لامب " فدخل في مفاوضات مع الداي " محمد باشا " ، إلا أن الداي رفض مقابلته [337] . وفي سنة 1791م توفي الداي محمد باشا ليحل محله الداي حسن باشا ،وأحست الولايات المتحدة

---

( [333] ) أروين راي ، تاريخ العلاقات الدبلوماسية الأمريكية المغربية ، تر : اسماعيل العربي، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص : 46- 48

( [334] ) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ، المرجع السابق ،ص : 219

( [335] ) أروين ، المرجع السابق ،ص : 54

([336]) اسماعيل العربي ، المعاهدات الجزائرية الامريكية ، المرجع السابق ، ص : 25 ، **انظر:** أروين ، ص : 63

( [337] ) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص : 219

أنه أكثر ميلا لها من سابقه فسارعت إلى فدية أسراها ،و عقد معاهدة ،فوافق الأمريكيون على دفع مبلغ 65 آلاف دولار [338].

استمر الصراع بين البرتغال و ايالة الجزائر الامر الذي دفع بهم إلى اتباع سياسة حراسة مضيق جبل طارق لمنع السفن الجزائرية من الخروج من البحر المتوسط ،و بذلك تكون البرتغال قد تحمي السفن الامريكية من قراصنة الجزائر في المحيط الاطلسي. ورغم غلقِ البرتغال لمضيق جبل طارق أمام البحرية الجزائرية ، و تقديم الحكومة البرتغالية الحماية للسفن الأمريكية ، إلا أنها ظلت تواجه التهديدات إلى غاية 1793م ، حينما قامت الحكومة البريطانية بعقد صلح بين ايالة الجزائر و البرتغال [339].

عقب ذلك انتشرت السفن الجزائرية التي زالت كل العوائق امامها ، و في غضون سنة تمكنت السفن الجزائرية من الإستيلاء على 11 سفينة أمريكية في عام 1793م ،وبلغ عدد الأسرى الأمريكيين مئة أسيرا [340] ،وقد أدى هذا إلى إحداث إثارة كبيرة في الولايات المتحدة خاصة وانها قد خرجت حديثا من مشاكل الناجمة عن حرب الاستقلال ، و بفضل دستورها الذي كان يبشر بمستقبل زاهر، وقعت البلد تحت عبئ ثقيل و هو عدم امتلاكها قوة بحرية ،و هكذا بذلت المساعي من أجل حل هذه المسألة. فأقر " الكونجرس " في عام 1794م إنشاء اسطول مكون من 6 سفن أمريكية لاستخدامها ضد الإعتداءات المعادية في البحر المتوسط [341].

رغم إقرار أسلوب القوة إلا أنها فضلت اسلوب التفاوض مع الجزائر و لهذه الغاية كلف الكلونيل" هامفري" ، الوزير الأمريكي في ليشبونة من قبل رئيس الولايات المتحدة

---

([338]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 129

([339]) أبو قاسم سعد الله ، أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر ،ج1، دار البصائر ، الجزائر ، 2007 ، ص: 289

([340]) مذكرات وليام شالر ، المصدر السابق ،ص : 128 ، 129

([341]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ، المرجع السابق ، ص : 227

الأمريكية بالدخول في مفاوضات مع الجزائر ،حيث اضطر وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية الجديد "ادمون راندلوف" لتخصيص مبلغ 800 ألف دولار لتحقيق السلام وتخليص الأسرى لدى الجزائر [342].

أرسلت أمريكا بعثة أخرى إلى الجزائر للمفاوضة عام 1795م ، تحت مسؤولية " **هامفري** " ، سافر المندوبان الأمريكيان " هامفري " و "جوزيف دونالدسون " إلى باريس حيث بقى هامفري وتابع دونالدسون طريقه إلى الجزائر . وبمساعدة فرنسا ، و بعد المحادثات بين الطرفان أدى إلى توقيع أول معاهدة سلام و صداقة بين البلدين بتاريخ 21 صفر 1210ه الموافق لـ 5 سبتمبر 1795م [343] ، التي نصت على أن تدفع أمريكا ما يعادل 725000 دولار منها 642500 دولار كفدية لمئة أسير، و 21600 دولار كجزية سنوية ،و تدفع لمعدات بحرية إلى الجزائر اضافة إلى هدايا تقدم إلى الداي [344] ،و بالمقابل تتعهد الجزائر بحماية التجارة الأمريكية في البحر المتوسط، و القيام بمساعيها الحميدة لدى باشا طربلس لتحقيق السلام مع أمريكا ، و بناءا على هذا أصبحت الجزائر طرفا ثالثا ضامنا للسلام حين وقعت معاهدة طرابلس أمريكا ، كما تعهدت الجزائر بالقيام بنفس لمساعي لدى الباشا تونس لصالحأمريكا [345] .

جاء في ديباجة المعاهدة ((من تاريخ إبرام هذه المعاهدة سيحل السلام الدائم و الصداقة المخلصة بين رئيس المتحدة الأمريكية و مواطنيها، و بين بابا حسن داي الجزائر و ديوانه و رعاياه و أن سفن و رعايا الأمتين سيتعاملون بكل شرف و احترام )) .و تطبيقا لهذه المعاهدة أطلقت الجزائر سراح أسرى الأمريكان في جوان 1796م ، أما أمريكا قد

---

([342]) وليام شالر ، المصدر السابق، ص : 129

([343]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص : 229

([344]) وليام سبانسر ، الجزائر في عهد رياس البحر، ص: 186

([345]) مذكرات شالر ، المصدر السابق ، ص : 129

قدمت للجزائر ثلاثة سفن " حسن باشا " و " سكجولد براند " ، للاعايشة و التي وصلت إلى ميناء الجزائر يوم 16 يناير 1799 ، أما السفينتين الأخريين وصلتا بعد ذلك بوقت قصير ، كانت تبلغ قيمة السفن في مجملها 9800000 دولار [346] ، و في هذه الأثناء تغير الجو السياسي بأوروبا بين انجلترا و فرنسا و بين امريكا وانجلترا و بالتالى تم تحريض الجزائر من قبل صديقتها الأولى طبقا لمصالحها [347].

تمّ الإمضاء على المعاهدة رغم تحريض بريطانيا للداي على الإستمرارية العمل ضد النشاط التجاري الأمريكي من أجل القضاء عليه من ناحية، وتحجيم دور فرنسا من ناحية أخرى [348] ، أما أهم مواد المعاهدة فهي أن تدفع الولايات المتحدة للجزائر إتاوة سنوية مقدارها 12 ألف من الذهب الجزائري مع إمكانية أن يتم الدفع عينيا، كأن يقوم الجانب الأمريكي بإعطاء الجزائر ما تحتاجه من معدات بحرية، و سواري السفن ولوازمها من حبال وأخشاب فضلا عن بعض المدافع والبارود على أن يتم حساب أثمانها من الأتاوة السنوية، وفي حالة الزيادة أو النقصان يتم التعويض [349].

كانت الحالة المالية و الثقة في الدولة متضعضعة في الولايات المتحدة ،بحيث أنها واجهت صعوبات كبيرة في جمع الأموال اللازمة للوفاء بالتزاماتها في نطاق المعاهدة ،وحدث تأخير من قبل الولايات المتحدة [350] في إرسال ما تم الإتفاق عليه مع الجزائر، حيث مرت ثمانية أشهر على توقيع معاهدة السلام دون تنفيذ بند واحد من بنودها [351] ،فظن الداي أن الأمريكيين غير جادين في تنفيذ المعاهدة .

---

([346])جيمس لاندر كاثكارت ، المصدر السابق، ص 276-277

([347]) مذكرات وليام شالر ، المرجع السابق ، ص : 129

([348]) نفسه ، ص : 129

([349]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص: 228-227

([350]) مذكرات شالر ، المصدر السابق ، ص : 130 .

([351]) جيمس لاندر كاثكارت ، المصدر السابق، ص : 194

أبلغ المندوبين الأمريكيين بضرورة المغادرة خلال أيام ،وإذا لم يتم التسليم خلال شهر فسيلغي المعاهدة ويعلن الحرب. فلجأ المندوبان إلى أحد كبار التجار اليهود من آل بكري للتوسط لدي الداي لزيادة المهلة بعد أن دفع له 18 ألف دولار ، و كان " بارلو " قد أعد بعض الهدايا الثمينة للداي ،أملاً منه في تمديد المهلة لوصول أموال المعاهدة التي بعثها مع اليهودي كوهين بكري لكي يحصل على مقابلة مع الداي غير انه رفض هذه الهدايا من الامريكيين و بعد محاولات عدة و متكررة [352] ، إلا أنّ الداي رفض استقبال بارلو لمدة لاتقل عن شهر بعد وصوله للجزائر، و أكثر من ذلك فقد أمر الاسطول بالتسلح و الاستعداد لإعلان الحرب على الولايات الامريكية المتحدة ، لكن لكسب الوقت و للخروج من هذه الورطة ، عرض بارلو على الداي تزويده ببارجة مسلحة بستة و ثلاثين مدفعا اذا رضي تمديد المهلة [353] ، فوافق الداي على زيادة المهلة إلى ثلاثة أشهر فقط. و وعدت الولايات المتحدة بإرسال اللازم في صيف عام 1797 . [354]

كانت التكلفة الحقيقية لمعاهدة الصلح هذه بالنسبة للولايات المتحدة تعادل أو تفوق المليون دولار ،وهي قيمة في غاية الارتفاع إذا نظرنا إلى حالتها المالية الكارثية بسبب الديون الخارجية ووضعها الاقتصادي المزري بسبب حرب الاستقلال، وضعف الدولة الحديثة النشأة تنظيميا وإداريا ،الراجح أنّ هذه المعاهدة تمّت سنة 1795م ،وأنّ أمريكا وجدت صعوبة في جمع هذه الأموال ولكنّها دفعتها بواسطة مفوضها "جويل بارلو" سنة 1796م [355] . بقيت مطالب الجزائر تزداد وتتفاقم كلـــّما تطوّرت التجارة الأمريكية

---

([352]) جيمس لاندر كاثكارت ، المصدر السابق، ص ص : 242 ، 243 .

([353]) المصدر نفسه ، ص : 257

([354]) أروين راي ،المرجع السابق ، ص110

([355]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 130

وازدهرت إلى أن وصلت في حسّ الأمريكيين إلى درجة لا تطاق، ولكن لم يكن لهم مفرّا ولا بديلا من دفع هذه الضرائب والغرامات [356].

و في عام 1800م وصلت السفينة الأمريكية جورج واشنطن الى الجزائر تحمل الإتاوة السنوية .استمرت العلاقة بين الجزائر و الولايات المتحدة تسير في ظل معاهدة 1795 م رغم حدوث بعض التوتر بسبب التأخر في إرسال الإتاوة الى الجزائر، أو المعدات الحربية، والذي وصل في بعض الأحيان إلى التهديد والإستيلاء على السفن الأمريكية [357].

استمرت العلاقة بين الجزائر و الولايات المتحدة تسير في ظل معاهدة 1795 م إلى غاية 1812م ،رغم حدوث بعض التوتر بسبب التأخر في إرسال الإتاوة الى الجزائر، أو المعدات الحربية، والذي وصل في بعض الأحيان إلى التهديد والاستيلاء على السفن الأمريكية ، [358] لم تكن أمريكا تستطيع خوض حرب مع الجزائر فاضطرت إلى محاولة مهادنتها وأرسلت سفينة (اللغاني) محمّلة بالذخيرة والعتاد الحربي.

أرست هذه السفينة في ميناء الجزائر يوم 17 جوان 1812م ولكن حمولتها كانت ناقصة عن القيمة المتفق عليها بين الطرفين [359] ،أبدى الداي غضبا شديدا وانزعاجا كبيرا بسبب هذا النقص الذي اعتبره عدم وفاء بالعهود والمواثيق ، وممّا زاد غضب الداي عندما علم أنّ نفس السفينة قد أنزلت شحنة مماثلة لملك المغرب ، وأنّها كانت محمّلة ببعض الأغراض الأخرى لأفراد وشركات خاصة ، رأى الداي في هذا التصرف اهانة لشخصه ولدولة الجزائر فأمر القنصل الأمريكي بمغادرة الأراضي الجزائرية رفقة عائلته ، وجميع

---

([356]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ،ص : 229

([357]) مذكرات وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 131

([358]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 129 .

([359]) نفسه ، ص : 130

الرعايا الأمريكيين وأمهلهم حوالي أسبوعا واحدا إلى غاية 25 جوان 1812م [360]، و في منتصف سبتمبر 1812 م ألقى الأسطول الجزائري القبض على سفينة أمريكية وأسرّ جميع من عليها في 1813م، حاولت الحكومة الأمريكية فدية أسراها ولكن المحاولة باءت بالفشل ، يزعم القنصل شالر أنّ الداي رفض فديتهم وقال أنّهم أهمّ عنده من أي مبلغ مالي مهما عظم [361].

ازداد الأمر سوءا عند اندلاع الحرب الأمريكية البريطانية عام (1812 – 1814) ،الأمر الذي أدى الى توقف التجارة الأمريكية البحرية في البحر المتوسط ، وبعد انتهاء الحرب الأمريكية البريطانية قررت الولايات المتحدة حل مسألة الجزائر بصفة نهائية ، حيث كانت متأكدة من أنها ستجبر الجزائر على الرضوخ لمطالبها بسبب تدهور الأوضاع الداخلية في الجزائر، نتيجة للصراع بين الدايات والإنكشارية ،فضلا عن أن الولايات المتحدة حاولت الإستفادة من قرارات مؤتمر فيينا عام 1815 م ، والذي قررت فيه الدول الأوروبية إنهاء الإعتداءات على السفن في البحر المتوسط [362].

## المبحث الرابع : العلاقات الجزائرية المغاربية

### أ مع تونس : إنظمام تونس للخلافة العثمانية

استفادت إسبانيا من التفكك والإنقسام الذي شهدته دول المغرب العربي [363] الثلاث ، التي عرفت كيف تتحين الفرصة وتستغل الظروف لصالحها ، فوجهت أنظارها

---

([360]) جيمس لاندر كاثكارت ، المصدر السابق، ص : 275 .

([361]) وليام شالر، المصدر السابق ، ص141-146

([362]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص: 604

([363]) عاطف عيد ، قصة وتاريخ الحضارات العربية ( أول موسوعة حديثة تعالج نشأة البلدان العربية وأحداثها حتى أيامنا هذه ) ج 21 – 22 ، 1998 - 1999 م ، ص : 51

صوب تونس ، التي كانت تتخبط في صراعات داخلية ظهرت في أوساط الدولة الحفصية حول كرسي العرش فاحتلت جل سواحلها ، ونظرا لموقع تونس الإستراتجي ، فقد أولتها الدولة العثمانية والإمبراطورية المقدسة بالغ الاهتمام ، حيث اشتد الصراع بينهما وتبادلت الدولتان أطراف الهزيمة والانتصار أكثر من مرة [364].

عملت الدولة العثمانية على تخليص تونس من السيطرة الإسبانية ، فاستغلت نشوب ثورة داخلية في تونس ضد حاكمها " أبو محمد الحسن الحفصي " حليف الإسبان ، فتوجه خير الدين نحو تونس لاقتحامها ، ولكن الحسن استنجد بالإسبان الذين هرعوا إلى تجميع أسطولهم عام 1535 م واصطدموا مع قوات خير الدين ، ونظرا لعدم التكافؤ بين القوتين قرر خير الدين الانسحاب نحو الجزائر ، وتمكن الإسبان من إعادة الحسن إلى عرشه بعد أن عقدوا معه اتفاقا يضمن مصالحهم [365] ،أين نص الإتفاق على منح الإسبان امتيازات واسعة والسماح لهم بسكن جميع أنحاء القطر التونسي ، بل وتنازل لهم السلطان الحفصي عن مدن هامة كـــــ : عنابة وبترت وحلق الوادي .

أدى هذا الوضع المتدهور إلى قيام ثورة وطنية بتونس ، انتهت بتولية السلطان الحفصي " أبي العباس الثاني " الذي حكم تونس ( 942 ه – 980 ه / 1535 – 1572 م ) ، لكن الأمور في تونس لم تستقر فأبو العباس الثاني لم يكن من القوة ، بحيث يستطيع أن يمسك بزمام الأمور ويقف في وجه الأطماع الإسبانية [366] .

حين اشتد الخلاف بين الأمير الحفصي أبي العباس ووزيره " أبي الطيب الخضار " ، اتصل هذا الأخير بالعلج " علي باشا " ، وحرضه على احتلال تونس فانتهز العلج علي

---

([364]) اسماعيل أحمد الياغي ، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، المرجع السابق ، ص : 238

([365]) جميل بيضون و شحادة الناظور وعلي عكاشة ، تاريخ العرب الحديث ، ط1 ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الأردن ، ص : 49

([366]) شوقي عطا الله الجمل ، المرجع السابق ، ص : 107

الفرصة وخرج على رأس جيشه أين التقى بجيش الأمير الحفصي عند سهل باجة ، وبعد قتال مرير انهزم أبو العباس وتقدم العلج على صوب المدينة فاستحوذ عليها سنة 1569 م ،ونصب عليها أحد قواده ، أما أبو العباس فالتجأ إلى الإسبان مستنجدا بهم ، فأعد الملك فليب الثاني [367] قوة كبيرة لمواجهة تونس على أن يقتسم مع أبي العباس حكم البلاد ، إلا أن أبا العباس رفض العرض في حين قبله أخوه " محمد بن الحسن " وتمكن بمساعدتهم من استرجاع تونس [368].

ولما تواصل الإعتداء الإسباني وجورهم وصاروا يكيدون بالمسلمين، ويقطعون الطريق على المسافرين وعم آذاهم جميع طوائف المسلمين ، جهز السلطان العثماني " سليم الثاني " قوة عثمانية كبيرة خرجت من القسطنطينية بقيادة " سنان باشا " [369] ، بالإضافة قوة بحرية من نحو ألف سفينة بقيادة " العلج علي " ، كما خرجت حاميات تركية من طرابلس والجزائر والقيروان ، وحاصر العثمانيون حلق الوادي برّاً وبحراً ، فأضطر الإسبان والأمير الحفصي إلى الهروب والإلتجاء إلى الحصون ، فلحق بهم الجيش التركي وضيق الخناق على الحاميات الإسبانية وألقى القبض على الأمير الحفصي " محمد بن الحسن " وأرسله إلى القسطنطينية [370] واعتقل هناك إلى أن توفي بها ، وبذلك تم تحرير تونس وضمت نهائيا للدولة العثمانية عام ( 981 ه / 1574 م ) ، وتم القضاء على

---

([367]) **فليب الثاني** : تولى حكم اسبانيا بعد إعتزال ابيه شارل الخامس للعرش ولجوءه إلى دير في اسبانيا سنة (1556 – 1598 م ) **أنظر** شوقي عطا الله الجمل ، المرجع السابق ، ص : 107 .

([368]) شوقي عطا الله الجمل ، المرجع نفسه ، ص : 108 .

([369]) **سنان باشا** : كان ضمن الجيش الاسباني الذي هاجم جزيرة جربة عام 1560 م ، ووقع أسيرا لدى الأتراك وكان إسمه الكونت سيكالا ، ولما أسلم وحسن إسلامه أصبح يعرف باسم سنان باشا ، وكان له دور كبير في تحرير تونس من الاسبان عام 1574 م . **أنظر** : جميل بيضون وآخرون ، المرجع السابق ، ص : 49

([370]) شوقي عطا الله الجمل ، المرجع السابق ، ص : 108 .

عهد الدولة الحفصية التي حكمت البلاد ما يقرب 350 عاما [371] ،والمستفيد الرئيسي منه إذ كانت تقع على عاتقه مهمة أساسية تتمثل في حماية البلد من كل عدوان خارجي ، كما تتمثل في فرض النظام التركي وكان لهذا العسكر مجلس أعلى يسمى الديوان، يتكون من ضباط ساميين من الأغوات وبلوكباشية ، وكان له شأن عظيم وسلطان قويم يعادل منزلة الباشا في الحاكم [372] .

لقد مرّ التواجد العثماني بتونس بعدة مراحل وتنظيمات وارتبط تطوره بجملة من الأزمات السياسية والعسكرية ، حيث ظهر نوعان من النظام بالبلاد هما نظام الدايات والبايات ،وكانت سنة 1591 م بداية نظام الدايات ، بعد ثورة أحدثها جند الإنكشارية كرّد فعل لتردي الأوضاع التي آلت إليها البلاد، بعد استئثار الديون بأمور الحكم والمال [373]، وقد كانت هذه الثورة بمثابة إنقلاب عسكري على الحكم ،أين أصبح تعين رئيس البلاد يتم من بين الدايات بينما أصبح الباشا شخصا شرفيا يلبس الخلعة السلطانية ، ويمثل مصالح الباب العالي [374]، وقد حكم تونس في هذا العهد ثلة من الدايات الأقوياء أمثال " عثمان داي – يوسف داي – أسطا مصطفى " وغيرهم ، لتنتقل تونس بعدها لنظام جديد هو نظام البايات الحسينين إبتداءا من 1705 م ،وقد شهدت العلاقات السياسية بين البلدين وقائع وأحداث هامة في كلا العهدين فبما تميزت هذه العلاقات ؟ وما هو الطابع الذي غلب عليها ؟

---

([371]) اسماعيل أحمد الياغي ومحمود شاعر ، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ( قارة إفريقيا ) ، ج2 ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، 1993 م ، ص : 93 .

([372]) محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال تع : محمد شاوش ، محمد عجينة ، ط3 ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993 م ، ص : 68 .

([373]) مبروكة خرنف ، العلاقات التونسية الفرنسية سياسيا – تجاريا خلال القرن 17 ( 1605 – 1705 م) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2011 – 2012 م ص : 13

([374])حسين خوجة ، ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان ، تر : طاهر العموري ، الدار العربية للكتاب ، ص : 22 .

**العلاقات السياسية بين إيالتي الجزائر وتونس :**

بعد أن انضوت الجزائر وتونس تحت لواء الدولة العثمانية ربطت بينهما علاقات سياسية اتسمت في مجملها بطابع التوتر ، فبالرغم من كونهما إيالتين عثمانيتين متجاورتين وخاضعتين بصورة مباشرة لحكم الخلافة الإسلامية ، إلا أنّ هذا الأمر لم يمنع من ظهور مناوشات وصراعات بينهما ، وكان لكل طرف مبرراته وأهدافه التي سطرها جراء تدخله في شؤون الآخر [375]، فالنظام الجزائري كان يعتبر تونس تابعة له ، أو يجب أن تكون بحكم أنه هو من حررها من الإسبان ، بينما كان النظام التونسي يعتبر نفسه مساويا للنظام الجزائري لأنه تابع للقسطنطينية [376].

ظهرت بوادر الصراع بين البلدين حول مشكلة الحدود التي تعد أهم مظاهر السيادة لدى الدول، وليس غريبا أن تنشب حولها النزاعات ، فكانت أولى مشاكل الحدود عام 1614 م ،أين سويت المسألة بتمديد أراضي القبائل التابعة لإقليم قسنطينة داخل التراب التونسي [377]، لتظهر مجددا في عهد يوسف أين تم إبرام معاهدة لضبطها سنة 1617 م ، فيكون واد سرا المتفرع من مجردة حدا فاصلا بين الإيالتين [378].

لعبت القبائل الحدودية القاطنة بين البلدين دورها في نشوب الصراع والخلاف ، ففي 1628 م إلتقى الجيشان الجزائري والتونسي في معركة انتهت بهزيمة الجيش التونسي قرب مدينة الكاف ، وتم إبرام إتفاق جديد بين البلدين نص على إبقاء وادي سرت حدا

---

([375]) كوثر العايب ، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات ( 1711 – 1830 ) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الوادي ، 2013 – 2014 م ، ص : 28 .

([376]) مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص : 195 .

([377]) كوثر العايب ، المرجع السابق ، 28 .

([378]) مبروكة خرنف ، المرجع السابق ، ص : 14 .

فاصلا [379] ، والمتتبع لسير العلاقات بين البلدين سيدرك حتما أن البلدان يستغلان نقاط ضعف بعضهما من أجل التدخل في شؤون الآخر ، فحكام الجزائر كانوا يغتنمون فرصة تطاحن الأمراء من التونسيين على الحكم ،فيعينون منهم بايا يكون مواليا لهم ويقبل شروطهم، [380] ونفس الأمر بالنسبة لبايات تونس أين استغلوا إنشغال الجزائر بحربها لفرنسا بمهاجمة الشرق الجزائري ، بالرغم من أن " محمد باي " الذي كان على عرش تونس في هذا الوقت قد عُين في منصبه بمساعدة الجزائريين ، فقام " الداي شعبان " بتنظيم حملة ضده نصّب على إثرها " أحمد بن شركس " بايا على تونس سنة 1681 م ، ولكن ما إن إنسحب الجيش الجزائري من تونس حتى ظهر محمد باي من جديد على رأس أنصاره وخلع أحمد بن شركس من العرش [381] .

بعد استرجاع محمد باي عرش تونس تحالف مع سلطان المغرب ضد داي الجزائر ، فقرر الداي الذي كان يناصره نظام طرابلس الغرب أن يطرد محمد باي من عرش تونس ، وأدرك محمد باي أن حليفه المغربي لا يستطيع أن يقدم له أدنى معونة ، فعرض على الداي تقديم جباية عنوانا عن خضوعه [382] ، وكان هذا التعهد سبيلا إلى نشوب حرب الإيالتين لعدم التزام الباي محمد بتنفيذه أين تتهجم الجزائر على تونس سنة 1693 م ،ويلتقي الجيشان في منطقة الكاف وتنتهي المعركة بخلع الباي محمد وتوليه " محمد شقير " بعد أن تعهد هذا الأخير بتعويض الجزائر لخسائرها في حرب الكاف ،ودفع الضرائب السنوية والهدايا المفروضة [383] .

---

([379])صورية حصام ، العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة وهران ، 2012 – 2013 م ، ص : 11 .

([380]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 17 .

([381]) مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص : 195 .

([382]) المرجع نفسه ، ص : 197 .

([383]) محمد بن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 26

وبمجرد خروج الداي شعبان من تونس قامت الرعية بخلع محمد شقير ، واتفقت الإنكشارية على منعه من اللجوء إلى الجزائر ، وتمت عودة محمد باي إلى منصبه بيدّ أن الداي شعبان قد صمم على محاربة تونس والإنتقام من المتمردين ، إلا أن القلاقل التي ظهرت في أوساط الجنود بالحدود الشرقية التونسية قد منعته ، وستؤدي إلى مقتله سنة ( 1106 – 1695 م ) ليخلفه " أحمد أعجي " دايا على البلاد [384] ،و بعد مرور عام على وفاة الداي شعبان ،توفي بتونس محمد باي سنة 1696 م ،وجاء بعده أخوه " رمضان باي " ، حيث قام هذا الأخير بإبعاد أخيه " مراد باي " عن الحكم وزّج به في السجن ، إلا أنه تمكن من الفرار واستطاع أن يجمع حوله عددا كبيرا من الأنصار ، كما قام بتحريض الإنكشارية ضد أخيه فقتل سنة 1699 م وتولى هو حكم الإيالة [385].

في عهده نظم حملة ضد قسنطينة فهاجمها وذبح حراس حصونها وحاصرها لفترة ، وبهذا الخبر إضطربت الإنكشارية الجزائرية ، فخاف حسن شاوش على نفسه وعين بدله " الحاج مصطفى أهجي " سنة 1700 ، فقام هذا الأخير بجمع صفوف الإنكشارية وتوجه بهم صوب الشرق القسنطيني لمحاربة الجيش التونسي الذي يقوده مراد باي ، وبعد معركة دارت بين الفرقين انتصرت الإنكشارية الجزائرية على التونسية ،وذبحت منهم قرابة 2000 شخص ،وشتت شمل الباقين وعادت إلى الجزائر رافعة الرأس [386].

وصلت أنباء القتال الدائر بين تونس والجزائر إلى الباب العالي ، فأمر السلطان العثماني كبير البوابين " أحمد " بالذهاب إلى هناك وإيقاف الاقتتال ، وبعدما تمكن هذا الأخير من النجاح في مهمته عاد إلى إسطنبول وأخبر السلطان بذلك ، وتقديرا منه على

---

([384]) المصدر نفسه ، ص : 26

([385]) حصام صورية ، المرجع السابق ، ص : 26

([386]) ابن المفتي حسين بن رجب شاوش ،تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر و علمائها،جمع و اعتناء :فارس كعوان،ط:1، بيت الحكمة،الجزائر ،2008،ص:69،أنظر أيضا : محمد بن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 26 .

استجابة الإيالتين لأمر السلطان أرسل هذا الأخير حُللاً فخرية لداي وباي الجزائر وتونس معا [387].

لم يعمر السلم طويلا بين البلدين حيث دام ثلاثة سنوات فقط بسبب نقض الباي

" إبراهيم الشريف" للإتفاق المبرم بين البلدين ،ورفضه لدفع الضريبة السنوية المتفق عليها [388] ،فكان ذلك سببا في توجيه الداي مصطفى لجيشه إلى تونس ،فإلتقى بجيش تونس بالقرب من منطقة الكاف ودارت معركة انتصر فيها الداي، وقبض على إبراهيم الشريف وسجنه فطلبت الرعية التونسية من الداي أن يكف عن الحرب مقابل 150 ألف ريال ، ولكن الداي رفض وقرر أن يدخل تونس ويغنم منها ، فتقدم إليها وحاصرها 40 يوما خسر خلالها التونسيون خلقا كثيرا ، ثم قرر الداي رفع الحصار وغادرها متجها إلى الجزائر [389].

بعد إلقاء القبض على الباي إبراهيم الشريف ، تولى زمام الأمور من بعده الباي " حسين بن علي " ومعه تتأسس الأسرة الحسينية ،أين ستتم الفترة الممتدة من سنة ( 1705 – 1728 م ) بنبوع السلم والتعاون ، ومن مظاهر ذلك التعاون ظهور التحالف التونسي الجزائري ضد قبيلة الحنانشة المتمردة 1724 م ، أين رفض شيخ هذه القبيلة " بوعزيز بن ناصر " دفع ما عليه من ضرائب سنوية ، فكانت تعلن ولائها لتونس تارة وللجزائر تارة أخرى، تهربا من دفعها للضريبة مما جعل حاكما الإيالتين ينتفضان على تأيدها [390] .

---

([387]) عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص : 453 .

([388]) حصام صورية ، المرجح السابق ، ص : 33

([389]) محمد بن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص :28

([390]) حصام صورية ، المرجح السابق ، ص : 43 .

كما ظهرت معالم السلم والصداقة أثناء الحرب الأهلية التونسية سنة 1728 م ، ومفادها أن الباي " حسين بن علي " قرر أن يجعل ابن أخيه " علي باشا " خليفة له من بعده ، لأنه يئس من الإنجاب فرباه على أصول الحكم ، إلا الباي حسين بن علي قد رزق بإبن وهو " محمد الرشيد " فقرر إلغاء ولاية العهد لإبن أخيه ، وصرح أن وريثه الشرعي هو ابنه " محمد الرشيد " ، إثر ذلك أعلن علي باشا ثورة ضد عمه وعمت الفوضى كافة البلاد التونسية ، وعندما أصبح علي باشا غير قادر على مجابهة عمه فرّ نحو الجزائر أين أحسّ بالأمان .

بعد التأكد من التحاقه بالجزائر راسل باي تونس داي الجزائر ، وشرح له الوضع الذي تسبب فيه ابن أخيه ، فطلب منه أن يلقي القبض عليه ويسجنه بالجزائر وتعهد باي تونس بدفع 50 ألف بياسترا سنويا ،فقبل داي الجزائر العرض [391] . هذا وقد شهدت سنة 1735م عودة الفوضى للإيالة التونسية بعد أن هاجمها علي باشا ،وهزم عمه ودخل تونس ونصب نفسه عليها ،ولجأ حسين بن علي إلى القيروان وصمد في وجه ابن أخيه طول خمس سنوات ، إلى أن رجحت الكفة لفائدة علي باشا وابنه يونس ، فأنهزم حسين داي وقطع رأسه في شهر ماي 1740 م ،فسلك إبناه بدورهما السبيل المؤدية إلى الجزائر ،حيث استقبلا استقبالا حسنا لأنهما كان يوفران للداي ورقة ضغط على باي تونس [392] ، وبرفض علي باشا دفع الضريبة المفروضة عليه بدأت علاقاته تتدهور مع الإيالة الجزائرية، إلى أن وصلت إلى حد القطيعة سنة 1740 م ،وشهدت سنة 1746 م ارسال حملة عسكرية بإتجاه تونس ، ولكنها أخفقت أمام أسوار مدينة الكاف ، ثم إنّ حملة أخرى بعشر سنوات بعدها 1756 م ،قد أفضت إلى احتلال تونس ونهبها واقصاء علي

---

([391]) حصام صورية ، المرجح السابق ، ص ص : 50 – 54

([392]) محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ، ص : 48 .

باشا عن الحكم ،وتعويضه بمحمد وعلي باشا إبنا عمه حسين بن علي في سبتمبر 1756 م [393].

بعد انتهاء حرب 1756 م بدأت مرحلة جديدة في مسار العلاقات السياسية بين البلدين أين تكللت بفترات السلم قاربت 20 عاما ، وفي سن ( 1096 – 1781 م ) لجأت بعض القبائل التونسية إلى الحدود الجزائرية في منطقة تبسة [394] ،بسبب رفضها للسيطرة وللخضوع للحكم التونسي واستنجدت " بصالح " باي قسنطينة ، وبعد مرور سنوات قليلة وبالضبط سنة 1783 م طالب صالح باي " حمودة باشا " بدفع تعويضات مالية للقبيلة لما لحقها من أضرار . رفض حمودة باشا هذا الطلب وكاتب الداي محمد بن عثمان يحذره من عقوبة مساندته لصالح باي ، إلا أن الداي عثمان ساند صالح باي فأضطر حمودة باشا للخضوع لأمر الواقع ،وامتثل لدفع تعويض مالي قدره 520,000 سكين للقبيلة المتضررة وكان ذلك في جوان 1748 م [395] .

استمر السلم بين البلدين إلى غاية 1800 م وذلك لعدة أسباب منها :

- إنشغال حمودة باشا بإخماد الحرب مع إيطاليا إلى غاية 1792 .
- انشغال الجزائر بقضية وهران واستعادتها من أيدي الإسبان عام 1792 .

بقية العلاقات الجزائرية التونسية في حالة من الترقب والحساسية ، وكان الشغل الشاغل للبايات التونسيين هو الخروج من هذه التبعية ، وقد وجدت تونس في الثورات

---

([393]) المرجع نفسه ، ص : 48 .

([394]) محمد صالح العنتري ، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها ( تاريخ قسنطينة ) ، تع : يحي بوعزيز ، دار هومة الجزائر ، 2007 ، ص : 80 .

([395]) حصام صورية ، المرجح السابق ، ص ص : 89 ، 90 .

الداخلية التي نشبت بالجزائر مابين 1803 و 1805 م، فرصة مناسبة للتخلص من هيمنة داي الجزائر ورفض ما كان يمليه عليها من أوامر وما يطلبه منها من إتاوات [396].

إجمالا للقول فيما يخص العلاقات الجزائرية التونسية ، أنها خضعت للعديد العوامل و الأسباب المتحكمة في سيرورتها ، والتي أفضت في النهاية إلى الإصطدام العسكري بينهما لأكثر من مرة وستنعكس بنتائجها على الإيالتين على حد سواء ،خاصة تلك المناطق التي كانت حلبة للصراع كقسنطينة والكاف ، وستبقى هذه المواجهات والإصطدمات التي تمت بين حكام الإيالتين محدودة في السلطة الحاكمة والسلم والتعاون ، فكان التواصل الثقافي والتبادل التجاري النشطين خير دليل على ذلك [397].

**ب مع المغرب :**

امتازت العلاقة الجزائرية المغربية بالتنافس الشديد نتيجة الخلافات المستمرة بينهما خاصة خلال القرن 16 ، و التي تدور حول منطقة تلمسان و المناطق المحيطة بها ، وصل التدخل الجزائري في الشؤون المغربية أوجه في النصف الاخير من القرن 17 مع اعتلاء العلويين حكم المغرب ، و بعد ذلك دخل المغرب في عزلة استمرت حتى نهاية القرن 19م [398].

تميزت العلاقات في العقود الخمسة الأولى للقرن 11ه/17م ، بين الجزائر والمغرب بطابعها السلمي أما العقد السادس فقد شهد تجدد الصراع بين الدولتين ، بسبب أطماع المغرب في الغرب الجزائري ،بعد ظهور الأسرة العلوية التي تمكنت من إخراج المغرب من ضعفه.

---

([396]) محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ، ص : 90 .

([397]) كوثر العايب ، المرجع السابق ، ص : 50

([398]) وليام سبانسر ، المرجع السابق ، ص: 166

كان المنصور يخشى أتراك الجزائر و لا يأمنهم بالرغم من الأوضاع الداخلية لهذا البلد ، فقد تقرب المنصور من حلفاءه التقليديين الإسبان، وخاصة ملكها "فيليب الثالث" لصد خطر الأتراك العثمانيين ،وذلك في شهر ربيع الاول1012ه/أوت 1603م [399]. ثم توجه إلى مهاجمة ولده في مدينة فاس، لكن هذا الأخير قام بتهديد والده المولى إسماعيل بالتوجه إلى مدينة تلمسان ،واللجوء إلى الأتراك حيث تم القبض عليه ووضعه في سجن بمكناس [400] .

إثر حروب أبناء أحمد المنصور زيدان وأبي فارس وصراعهم على الحكم بعد وفاة أبيهم ، انهزم زيدان في المعركة الأولى التي جرت بينه وبين عبد الملك بن أبي فارس ، وأخيه الشيخ في بداية جانفي1013 ه/1604م ، بتادلا ولاحقه الجيش إلى فاس ففر إلى تلمسان [401]، ليستعين بأتراك الجزائر حيث أقام عندهم بضعة أشهر [402] ،وخلال هذه الفترة كانت حكومة الجزائر بقيادة الباشا "خضر باشا " في عداء شديد مع الحكومة الفرنسية ، وهي الفترة التي قدم زيدان فيها هدية ثمينة تقدر بـــ 300000 أوقية من الذهب إلى السلطان العثماني، وبالرغم من ذلك لم يحقق ما كان يصبو إليه ، وعاد إلى المغرب عبر سجلماسة و لم يكن معه سوى 1200 فارس [403] ،وخلال هذه الفترة حرك المغاربة ثورتين في تلمسان ،الأولى كانت في سنة 1625 م ، والثانية

---

([399]) بن القايد عمر ، **أضواء على علاقة الجزائر بالمغرب الأقصى** ، **مجلة الواحة للبحوث و الدراسات** ، جامعة غرداية ، العدد17، 2012، ص 141

([400]) محمد الصغير بن الحاج الأفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، تح : هوداس ،مطبعة أرنست لوروا ، باريس ،1889 ، ص 18

([401]) نفسه ، ص : 193

([402])نفسه ، ص : 222 ، 223

([403]) ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، ص : 213

في 1627م /1037ه والتي كان يقودها السويسي المغربي وقد باءت الحملتان بالفشل الذريع [404].

عمل المغاربة على توسيع سلطتهم على حساب الأراضي الجزائرية، فقد استولى المولى الشريف على وجدة ،وشن غارات على تلمسان و نواحيها ،وسيطر على بني يزناسن ونهب أموالهم ومواشيهم ، ثم سار إلى مدينة ندرومة وقد عاود الغارة عليها وعلى القبائل المحيطة بها (مطهرة وولهاصة ) ، ثم أعاد الغارة على تلمسان وقتل الكثير من عسكر الترك ومن الأهالي الجزائريين ، كما هاجم القبائل العربية كجعافرة ، وحميان وزغبة ، ووصل إلى الأغواط وعين ماضي والغاسول [405].

عزم عثمان باشا داي الجزائر على القيام له ،سحب أتباعه إلى داخل المغرب ،وقد تبادل مع عثمان باشا رسائل [406] ،والتي أدت إلى مفاوضات واتفاقيات بين الطرفين بخصوص رسم الحدود بينهما ، وجعل وادي التافنة حدا فاصلا للحدود [407] ،وتعهد الشريف المغربي بالتزام ذلك قائلا : «...إني أعاهد الله تعالى لا أتعرض بعد اليوم ببلادكم و لا لرعيتكم بسوء ...لا قطعت وادي التافنة إلى ناحيتكم إلا فيما يرضي الله ورسوله... » ،و قد وفى في قطعه على نفسه واحترم أخوه الرشيد تلك الاتفاقية حتى جاء السلطان مولاي إسماعيل العلوي وفسخ تلك المعاهدة [408]، بعدما استفحل أمر لمحمد بن الشريف في توسعه بنواحي المغرب اتجه في سنة 1063 ه/1653م إلى نواحي تلمسان من الأراضي الجزائرية ،وهاجم القبائل المقيمة في هذه المناطق، فتصدى له "عثمان باشا"

---

([404]) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ،ج6 ، تح و تع : جعفر الناصري و محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ،1955م،ص : 190

([405]) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، نفسه ،ج6 ، ص : 107

([406]) نفسه ، ص : 109 ، 110

([407]) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، ج7 ، ص : 22

([408]) الناصري ،ج7،نفسه، ص : 107

الحاكم العثماني بالجزائر [409] ،و بدأ الصدام جليا في عهد المولى اسماعيل حيث قاد عمليات تأديبية ضد قبائل الشراقة و توجه بجيشه إلى تلمسان ، و حين بلغ أسوارها علم بأن الاتراك في الجزائر منشغلين بحملة دوكين.

و لما بلغ الأمر إلى الديوان علم بتحركات المولى اسماعيل ، أرسلت له رسالة للكف و الانسحاب [410] ،حيث وقع الصدام بينه و بين الجيش الجزائري سنة 1679م . و تفرق الجيش المغربي أمام هدير المدفعية العثمانية ،حيث طالبوا المولى اسماعيل بالكف عن التعرض لهم و التزام بالحدود التي أقرها أسلافهم ، و ردا على تصرفات المغرب الاقصى ، ساهم حكام الجزائر في تغذية النزاعات الداخلية في المغرب ، حيث عاضد الجزائريون غيلان الزعيم القبلي من شمال المغرب ضد المولى اسماعيل ، و قد هزم غيلان و قتل وكان ذلك سنة 1673م [411] ، و انتهزوا فرصة انشغال السلطان المغربي في اخماد الفتن فاستولوا على بني يزناسن سنة 1682م ،حيث تمكن الجيش المغربي من صدها [412] ،وفي سنة 1089ه/1681م و هنا تقابل الجيشان لكن لم يحدث أي اشتباك بين الطرفين وبعد مراسلات ومفاوضات دبلوماسية أدت إلى إتفاق على رسم الحدود و تم توقيع معاهدة الصلح بينهما [413].

كما حدث اتفاق بين التونسيون و المغاربة لشن هجوم على الجزائر ، عَلِم الجزائريون بالاتفاق ، و بغية افشاله هاجم الداي شعبان تونس اين انتصر عليهم ، ثم توجه

---

([409]) أحمد بن محمد بن عبد السلام الرباطي ،تاريخ الضعيف الرباطي ، تح: محمد البوزيدي ،ج1 ، ط : 2، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء ،2007 ، ص : 107

([410]) عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص: 440

([411]) وليام سبانسر ، المرجع السابق ، ص : 166

([412]) محمود علي عامر ومحمد خير فارس ، تاريخ المغرب العربي الحديث « المغرب الأقصى - ليبية » ، حقوق التأليف منشورات لجامعة دمشق، 1999 ،ص : 95

([413]) محمد امين محمد و محمد علي الرحماني ، المفيد في تاريخ المغرب ، دار الكتاب ، ص : 217

إلى المغرب فتحرك المولى اسماعيل بجيشه إلى اسوار تلمسان مدعيا تأديب قبيلة "غويا فزاز"(guya fazaz) ، و لدى و صوله علم بوصول جيش الاتراك و المتآلف من عشرة ألاف جندي و ثلاثة ألاف خيالة ،و على اثر هذا انسحب الجيش المغربي الذي استمر في ملاحقته الجيش العثماني، فهزم المولى اسماعيل بعد خسرانه خمسة الاف من الجند ، ثم استمرت مطاردته حتى أسوار مدينة فاس عام 1693م / 1104ه [414] ،و كادت تنشب معركة جديدة لولا استسلام المولى اسماعيل و ترجيه الداي لقبول المفاوضات [415] .

وأثناء حكم المولى إسماعيل 1083ه- 1140ه /1672م-1727 م ، تميزت العلاقات الجزائرية المغربية بنوع من الحذر ،الذي غذته الأطماع الإسماعيلية في التوسع شرقا على حساب الأراضي الجزائرية ، ونقض المعاهدات التي أبرمها أخويه من قبله .

كما تميزت أيامه بجملة من المنازعات والإعتداءات على الجزائر ،وقد إزداد حذر المولى إسماعيل من الأتراك العثمانيين في الجزائر لما رآهم يقفون إلى جانب تمرد ابن أخيه "الأمير محرز " بجنوب المغرب ، وتأكد له وجود إتفاق بينهما يهدف إلى كسر شوكة المولى إسماعيل [416]، وإثر الأزمة الداخلية التي عمت الجزائر وتصعيد الحملات الفرنسية عليها ومقتل الباشا "علي الحاج حسين باشا " أغار المولى إسماعيل على تلمسان، بتحريض من الإنجليز الذين أزعجتهم المعاهدة المئوية بين الجزائر وفرنسا سنة 1101ه/1689 م وخلال هذه الفترة الحرجة كان الجيش الجزائري مشغولا في حربه مع تونس في 1104ه/1692م و قد استغل الوضع وهجم على الأراضي الجزائرية [417].

---

([414]) عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص : 440-441

([415]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ،ج3 ، ص : 196

([416]) عبد الهادي التازي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ، ص : 16

([417]) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، المصدر السابق ، ص ص : 159- 169

استفحل الإعتداء الإسماعيلي علىالأراضي الجزائرية حيث امتدت إلى جنوب تلمسان وهاجم قبائل حميان وبني عامر ومنطقة الشلف ، ثم نزل جنوبا إلى منطقة جبال لعمور ووصل إلى عين ماضي والغاسول بجنوب الجزائر [418]، وأمام هذا الوضع الخطير كان لزاما على" الداي شعبان " ، أن يقوم بتجهيز قوة لدحر هذا الإعتداء ،حيث جاء في رسالة بعثها إلى الوزير الفرنسي"بونتشارترين" (Ponchantrain) بتاريخ 3 رجب 1103 ه /21 مارس1692 م ، وأخرى إلى لويس الرابع عشر مؤرخة في 11 محرم 1106ه/01 سبتمبر 1694 م ،والتي جاء فيها :«...لقد قصد القلعة التي هي لنا"كريستل قرب وهران "حوالي 500 فارس مع 10000 ،من أشجع جنودنا تصحبهم أفتك المدافع وكل الأسلحة والذخائر والمؤن...وعن طريق البر أرسلنا 5000 من الفرسان و 30000 من الأهالي بقيادة أمرائهم ولن يمضي عشرون يوما حتى أخرج أنا لألتحق بهم...» [419]

.

ولما سمع السلطان مولاي إسماعيل بما يعده الداي شعبان ، طلب العودة إلى السلم فلم يقبل الداي منه ذلك فسارع إلى لقائه في 19 شوال 1103 ه / 4 جويلة 1692 م ، في معركة على الضفة الشمالية لنهر ملوية، فأنهزم المغاربة فيها وواصل الداي زحفه حتى اقترب من فاس فوجد في طريقه جيشا بقيادة السلطان نفسه ،وبعد تدخل علماء من الجانبين هدأ الجو وحصل الإتفاق وتعهد السلطان المغربي بإحترام الحدود [420].

أرسل السلطان إلى الجزائر ولده مولاي عبد الملك برفقة كاتبه وقائده ومفتيه وعدد من التجار بلغوا 120 شخصية لأبرام الصلح ، ومع كل ماحصل إلا أن السلطان لم يرتدع وعاود الكرة مرة أخرى ،عندما أوعز لابنه مولاي زيدان فأغار على مدينة معسكر

---

([418]) عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، ص : 21 .

([419]) عبد الهادي التازي، المرجع السابق ، ص : 21

([420]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ص : 96

بعدما إتفق مع باي تونس على ذلك [421] ، تجددت الإشتباكات في سنة 1700م /1111 ه وتوترت العلاقات وتأزمت بينهما [422].

قام المولى زيدان بعدة غارات على الاراضي الجزائرية و لكنه لم يستطيع استثمار نجاحه فغضب منه أباه و قام بعزله ،كما توجه المولى اسماعيل ليشرف شخصيا على هذه العمليات حيث خرج بنفسه حتى بلغ إلى أفره " Efere " ،كما ان المولى اسماعيل لم يكترث لتهديد السلطان العثماني حيث التقى الطرفان في منطقة مضيق ( بوغاز اكشي ) في واد جديوية و بدأت المعركة في 20 ذو القعدة 1112ه/28 نيسان 1700م ،و في الساعة الرابعة انهزم الجيش الفاسي [423] و جرح المولى اسماعيل و كاد أن يقع في قبضة العثمانيين ،و لم تثنه هذه الهزيمة وحول مشروعه الهجومي من الجنوب ،و استطاع السيطرة على عين مهدي غرب الاغواط [424] ، وبصراع السلاطين العلويين على الحكم تركت حدود الجزائر حرة و خالية من أي اعتداءات ،أو هجمات قاسية كالتي تلقتها من قبل ظل العثمانيين يرقبون بحذر شديد تطلعات السلاطين فاس و لهذا واجهوا محاولاتهم مواجهة علنية و صريحة .

تحسنت العلاقات الجزائرية المغربية في أواخر القرن 18 ،حيث قام السلطان المغربي ببعث قافلة محملة بالهدايا الثمينة إلى الجزائر، غير أنها تعرضت للسلب و النهب في وجده و كان المسؤول عليها ابو القاسم أحمد الزياني ،الذي تقدم بشكوى إلى الباي محمد الكبير حيث قاد حملة تأديبية ضد اشقياء وجدة وحاصرها ، و لدى وصول موظف المولى

---

([421]) بن قايد عمر ، المرجع السابق ، ص : 146

([422]) عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، ص : 21

([423]) عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص : 442 ، 443

([424]) محمود علي عامرو محمد خير فارس، المرجع السابق ، ص : 95

سليمان انسحب الباي محمد الكبير راجعا إلى الجزائر [425] كما كان لسلطان فاس دورا بارزا في تغذية النعرات و تحريض الطرق الصوفية ضد النظام القائم بالجزائر.

# الفصل الثالث

## الجزائر بين الأزمات والصراعات الدولية

المبحث الأول : **الاضطرابات السياسية و الازمات الداخلية**

المبحث الثاني : **الجزائر في المؤتمرات الأوروبية**

1. **مؤتمر فينا**
2. **مؤتمر آكس لاشبيل**

المبحث الثالث : **الحملة الأوروبية على مدينة الجزائر**

## المبحث الاول : الاضطرابات السياسية و الازمات الداخلية

عرفت الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر ، حركات تمرد شملت الجهتين الشرقية والغربية معا ، ساعدها في ذلك حالة عدم الاستقرار الناجم عن انتشار الفوضى وكثرة الاغتيالات وانتشار المؤامرات داخل السلطة وأجهزة الحكم ، وتفاقمت الأوضاع نحو الأسوء مع تذمر الأهالي من جراء تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، وهو ما أدى في نهاية المطاف إلى اندلاع عديد الثورات ضد نظام الحكم العثماني التي كادت أن تعصف بالسلطة الحاكمة ، ولعلّ من أبرزها وأشهرها " ثورة ابن الأحرش " في الشرق الجزائري و " ثورة درقاوة " في الغرب وبالرغم من تمكن السلطة من إخمادها ، إلا أنها خلفت خسائر فادحة بالنسبة لخزينة البلد .

### أ. ثورة ابن الأحرش في شرق البلاد :

يعد ابن الأحرش من أهم الشخصيات التي لعبت دورا هاما في أحداث مستهل القرن التاسع عشر ، من خلال تزعمه لثورة عنيفة ضد النظام العثماني في الشرق الجزائري عام 1804 م ، ورغم هذا لا نعرف الكثير عن حياته الخاصة إلا بعض الإشارات التي أوردها المؤرخون ، فقد ذكره أحمد بن مبارك في كتابه تاريخ قسنطينة بأنه رجل مغربي

يزعم أنه من شرفاء فاس ، وأشار إليه محمد بن يوسف الزياني في دليل الحيران أنه فتى مغربي مالكي المذهب درقاوي الطريقة [426] أما صالح العنتري فقال أنه رجل يدّعي الشرف [427].

في أواخر سنة ( 1218 ه / 1803 م ) وقع هول بالوطن سببه رجل يدّعي الشرف ناحية أعراش وادي الزهور اسمه " سي محمد بن عبد الله الشريف " المدعو بـــــ : " ابن الأحرش " وكان قد سار إلى الحج ، وعند عودته من الحجاز عن طريق مصر صادف الحملة الفرنسية عليها ، الأمر الذي دفع بإبن الأحرش أن يشارك على رأس جيش من المغاربة إلى جانب المصريين في مواجهة الجيش الفرنسي بقيادة " نابليون بونابرت " ، فأظهر شجاعته وأبلى بلاءا حسنا في الحرب الذي أكسبته شهرة كبيرة في أوساط الناس [428] ،وبعد الانسحاب الفرنسي من مصر قفل راجعا نحو المغرب مع جماعته من الحجاج .

نزل بتونس وعملت الأطراف الخارجية عملها في تغذية ابن الأحرش على التمرد وخاصة بريطانيا وفرنسا ، حيث عملت هذه الأخيرة على دعم وتشجيع القبائل الناقمة على السلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر انطلاقا من الشرق ، وذلك بإمدادها بالذخيرة والسلاح وتحريضها على الثورة ، كما لا يمكن تجاهل الدور الذي لعبته كل من الجارتين تونس والمغرب الأقصى في تدعيم التمردات ، وفي هذا الصدد يروي صاحب كتاب تحفة الزائر ما مفاده : " أن ابن الأحرش عندما كان راجعا من مصر مرّ على تونس فلقيه

---

([426]) محمد بن يونسف الزياني ، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تقديم وتحقيق : المهدي البوعبدلي ، الجزائر ، 1979 ، ص : 209 .

([427]) رشيد مريخي ، المرجع السابق ، ص : 25 .

([428]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 194 .

صاحبها " حمودة باشا " الذي أكرم منزلته وفاوضه في القيام على حكومة الجزائر ووعده بالظاهر بالمال فإستكان له ابن الأحرش " . [429]

كما يورد أحمد الشريف الزهار في مذكراته أن باي تونس حمودة باشا استقبل ابن الأحرش وأكرمه ،وأوعز له بإمكانية القيام على حكومة العثمانيين ووعده بالمساعدة ، وقد أورد ذلك بقوله : " وبلغ خبره أمير تونس يومئذ حمودة باشا ، فبعث له واستقدمه فلما قدم عليه لقيه بالبشر وعظمه ووسوس له قائلا إنّ رجلا شجاعا مثلك يجب أن يذهب إلى ملك الترك بالجزائر ويترعه من أيديهم ونحن نمدك بما يخصك والعرب يتبعونك لكثرة ما ظلمهم الأتراك ، وكان مقصد حمودة باشا أن يشغلهم لا غير " [430] .

بعد أن نزل ابن الأحرش بتونس انتقل منها إلى عنابة على متن سفينة إنجليزية ، ثم عرج على قسنطينة وتعرف على الأوضاع العامة التي كانت قائمة آنذاك [431]، واستقر المقام به في جيجل ، ومنها بدأ دعوته للثورة ضد العثمانيين ، وقد استعمل عدّة طرق لإقناع الناس بشرعية دعوته بإيهامهم أنه المهدي المنتظر وأنه المخلص الذي سيحرر الناس من جور الأتراك ، وأن دعوته مستجابة والنصر يتبعه حيثما يتوجه، وبارود عدوه لايضره وما إلى ذلك من الدعوات الكاذبة [432].

وقد استعان بدهائه وبلاغة لسانه ومقدرته على الإقناع حيث يقول فاسيت : " وقد التف الناس حوله خاصة بعد إعلانه للجهاد ضد النصارى ، حيث كان يمارس القرصنة البحرية بمدينة جيجل " ، وأثناء مقامه بالمدينة شغل منصب مدرس بزاوية سيدي الزيتوني،

---

([429]) محمد عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 117 .

([430]) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص : 85 .

([431]) ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية ( دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ) ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2000 م ، ص : 312

([432]) جمال قنان ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث ، المرجع السابق ، ص : 312 .

أين أخذ يفقه الناس في أمور دينهم ، كما أسس مدرسة لتعليم القرآن الكريم وأصول الفقه ببني فرقان ، واكتسب بذلك احترام الكثير من السكان المنطقة الجبلية الواقعة بين جيجل والقل وميلة ، وأصبحت كلمته مطاعة عند قبائل الوادي الكبير وجبال زواغة ووادي زهور [433] ، وعلى كل حال فقبائل هاته النواحي وخاصة أولاد عيدون وبنو سليم وبنو خطاب وغيرهم كلّهم صدّقوه ، وبعد أن كسب ود رجال دينهم الساخطين على الحكام الأتراك [434] .

بدأت تصرفات ابن الأحرش تثير مخاوف الحكومة الجزائرية ، خاصة بعد أن نجح هذا الأخير في أسر عديد السفن الأوروبية التي كانت تتردد على سواحل جيجل والقل لصيد المرجان وممارسة التجارة ، وتمكن فعلا من حجز سفينة فرنسية قتل البعض من طاقمها وأسر الباقي ، وكان عددهم 34 شخصا [435]، وقد ساهمت أعماله هاته في ازدياد شعبيته خاصة لما رفع لواء الجهاد ضد الأتراك واصفا إياهم بالظلم والجور ، مما دفع بحامية جيجل الإنسحاب من المدينة مخافة القتل .

أصبح ابن الأحرش في المدينة كالملك فعين مساعدا له ولقبه بآغا جيجل وهو من عشيرة بني قايد واسمه " حمزة بن حمادوش " ، وشرع ابن الأحرش يستعد للحرب فنظم المدفعية ووضع على رأسها أحد الكراغلة وهو " أحمد بن درنالي " ، ثم واصل زحفه نحو القبائل المجاورة ، فكانت محطته الأولى " جرّاح " في وادي الزهور أين قضى على قائدها " سي محمد الغوشي " ، وفي جراح توافد عليه خلق كثير من قسنطينة وعنابة وسطيف وبجاية ، ومن هنا أظهر ابن الأحرش نيّته في الهجوم على مدينة قسنطينة ، فكان يقول

---

([433]) رشيد مريخي ، المرجع السابق ، ص : 26 .

([434]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 312 .

([435]) رشيد مريخي ، المرجع السابق ، ص : 26 .

لأتباعه : " لنسر إلى قسنطينة وحين ندخلها ننهبها فتصبح ثرواتهم ثروتنا وبيوتهم بيوتنا " [436].

أما عن تعداد جموعه وأتباعه فقد اختلف المؤرخون في تحديدهم ، فقدرها حمدان خوجة بـــــ 60 ألفا ، وحددها العنتري في كتابه مجاعات قسنطينة بـــــ 10 آلاف ، وهنالك من أوصلها إلى سقف 100 ألف ومنهم أحمد بن مبارك الميلي في كتابه تاريخ قسنطينة .

لما تنامت شوكة ابن الأحرش في الشرق الجزائري لم يجد الباي " مصطفى عثمان " بدّا إلا أن يطلع الداي مصطفى على الأمر ويوضح له تحركات ابن الاحرش الخطيرة ، فأرسل هذا الأخير أربع سفن حربية إلى مرسى الزيتون قرب مصب وادي الزهور للقبض على المتمرد وإحلال النظام ، لكن هذه الحملة باءت بالفشل حيث عادت هذه السفن إلى عاصمة الإيالة دون أن تتمكن من إلقاء القبض عليه ، ولم تزد هذه العملية إلا في اشتداد حركة التمرد ابن الأحرش الذي استولى على القل وأعلن عن نيته في أخذ مدينة عنابة ، فما كان من أمر الحامية المرابطة بها إلا أن انسحبت بمجرد علمها أن ابن الأحرش ينوي مهاجمتها [437].

سار ابن الأحرش إلى قسنطينة عاصمة البايلك ، وكان " عثمان باي " غائبا عنها اذ كان وقتئذ في المحلة بناحية سطيف يستخلص ضرائبها ، فلما وصل إلى قسنطينة رفقة أعوانه تكلموا مع سكانها قائلين لهم : " يأهل البلد هذا الشريف قدم إليكم ونحن قدمنا معه في جنود كبيرة وجيوش عريضة لا تقدروا على مقاتلتها ، فإن سلمتم لنا البلاد فلا حرج عليكم وإن امتنعتم نقاتلكم وندخل بلادكم بالقوة " ، فأجابهم سكان المدينة قائلين : " نحن لا نسلم بلادنا وسنقاتل حتى نهزمكم أو نموت بأجماعنا " ، فعندئذ انضرمت نار

---

([436]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 195 .

([437]) رشيد مريخي ، المرجع السابق ، ص : 27

الحرب وكان الشيخ ابن فكون هو الواقف على البلاد في غيبة الباي وتم النصر للشيخ ابن فكون [438] ،أما ابن الأحرش فقد أصيب بجرح بليغ فحمله أصحابه فورا به نحو جبال ميلة ، وتطاير الخبر إلى عثمان باي فقفل مسرعا إلى قسنطينة [439].

بعد الحادثة أخبر الباي عثمان الباشا بشأن قدوم ابن الأحرش إلى قسنطينة وبما حل به وبجيوشه من القتل والهزيمة ، فرد الباشا قائلا : " أنت باي ذلك الأوطان، وهذا الشريف ظهر في حكم عمالتك ،فواجب عليك أن تمشي إليه بنفسك وتأخذ منه ثأرك وأقصده أينما كان فأقتله، أو أطرده من ذلك الأوطان. " [440] ولما وصل الجواب لعثمان باي جمع على عجلة كل الفرق والفرسان ، وخرج لملاحقة ابن الأحرش وكان ذلك شهر أوت 1804 م [441] .

تقدم عثمان باي نحو ابن الأحرش ، وكان ذلك الوقت مستقرا في واد الزهور كونه موطنا حصينا لكثرة أشجاره وتشعب طرقاته ، ولما وصل قريبا منه أبقى المحلة والأثقال وسار بالجند والمدافع نحو المتمرد ، ولما وصل انفصل عن محلته ووقعت عليه الفتن من أمامه ومن خلفه وقطع عليه ابن الأحرش الطريق المؤدية إلى المحلة ، ولما أراد الباي عثمان الرجوع لم يستطع فهجم عليه ابن الأحرش ومنعه ، فقتله واستولى على جميع مافي الخزائن من سلاح وأموال [442] . بعد هذه الهزيمة أمر الداي قبطانه الرايس " حميدوا " بالسير إلى جيجل على متن 4 مراكب حربية فلما وصل قبالة المدينة طالب أهلها بأن يسلموه ابن

---

([438]) محمد صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص : 89

([439]) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص : 28 .

([440]) محمد صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص : 90 .

([441]) رشيد مريخي ، المرجع السابق ، ص : 27 .

([442]) محمد صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص : 90 .

الأحرش ، ولكن السكان رفضوا ذلك وردّوا عليه بإطلاق النار ، فرد حميدوا بقصف المدينة وأحرق سفنها ولكنه لم يظفر بعدّوه [443] .

قرر الداي مصطفى أن يخرج لملاقاة ابن الأحرش بنفسه ، فأشار عليه بعض وزراءه ببطلان ذلك . [444] فأرسل بدل ذلك قائد الجيش " الحاج علي آغا " لتهدئة الأوضاع في شرق البلاد وكلفه بملاحقة ابن الأحرش والقضاء عليه فجهز هذا الأخير حملة خرج على إثرها في طلب هذا الثائر، فألحق به الهزيمة بنواحي ميلة ثم بجهات بجاية ثم بالرابطة بالقرب من سطيف بعد أن لقي العداء من أتباع الطريقة الرحمانية ، وتم القضاء على ثورته بنواحي بجاية عام 1806 م [445].

قتل ابن الأحرش على يد " ابن الشريف الدرقاوي " لما استنجد به بعد هزيمته على يد الأتراك ، وبالرغم من الصدى الكبير الذي لقيته ثورة ابن الأحرش و التفاف الناس حولها ، إلا أنه فشل في تحقيق أهدافه الرامية إلى الانقلاب ضد حكومة الأتراك ، بالرغم من كافة الأساليب التي استعملها لكسب القبائل في الشرق الجزائري [446] هذا وقد خلفت هذه الثورة آثارا سلبية انعكست على أوضاع البلاد ، حيث وصفها الشريف الزهار بنار الفتنة التي أكلت الأخضر واليابس [447] ،وكانت أخطر النتائج المترتبة عن هذه الثورة هي انتشار الفوضى والاضطراب في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وانعدم الأمن والاستقرار .

---

([443]) محمد العربي الزبيري ، المرجع السابق ، ص : 65 .

([444]) محمد صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص: 91 .

([445]) ابن سحنون أحمد بن علي الراشدي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تح : المهدي بو عبدلي ، الجزائر ، 1983 م ، ص : 43

([446]) التر عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 587 . ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص : 320 .

([447]) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص : 87 .

## ب.ثورة درقاوة [448] في الغرب الجزائري :

شهد بايلك الغرب في مطلع القرن التاسع عشر ظروفا صعبة نجمت عن السياسة الغير الوجيهة للحكام ، أين تنامت مشاعر الحقد والضغينة في صدور الأهالي وأصحاب الطرق الصوفية من جرّاء السياسة الضريبية المجحفة التي كان يفرضها هؤلاء ، وقد وجدوا في ثورة درقاوة مبتغاهم في النيل من حكومة الأتراك فإتبعوها وانظموا إليها بل ودعموها أيضا .

تعود هذه الطريقة إلى الشيخ " محمد العربي الدرقاوي " ، وكان هذا الشيخ من متصوفة المغرب الأقصى ، ولكن أتباعه كانوا منتشرين في الجزائر وخصوصا بغربها وكان مقدم طريقته في وهران ونواحيها هو الشيخ " عبد القادر بن الشريف " [449] فمن هو عبد القادر بن الشريف؟

انه معروف لدى العامة بإبن الدرقاوي ويعود أصله إلى قبيلة كسانة المقيمة على ضفاف واد العبد [450]، ولد بقرية أولا بليل بفرندة، أين تعلم بها مبادئ اللغة ،ثم التحق بزاوية القيطنة بمعسكر التابعة للطريقة القادرية، [451] وفي هذا يقول الآغا بن عودة المزاري : " وكان في أول حاله عالما متفننا في سائر العلوم ومحققها لها ورعا زاهدا متعبدا

---

([448]) **درقاوة** : مستمدة من الدرقة وهي الترس الذي يحمله المقاتل في ذراعه اليسرى وهو يقاتل بالسيف أو الحربة ، وكان الذي اشتهر بأبي درقة هو الجد الثامن عشر لمؤسس الطريقة وهو محمد دفين وادي قبال بقبيلة بني مسكين قرب وادي أن الربيع . **أنظر** : عبد الكريم الفيلالي ، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير ، ج5 ، ط1 ، شركة فاس للطباعة ، القاهرة ، 2006 م ، ص : 08

([449]) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ( 1500 – 1830 ) ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1998 م ، ص : 220

([450]) قايد عمر ، محاضرات في تاريخ الجزائر المعاصر ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، 2014 / 2015 م ، ص : 03

([451]) أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 221 .

راكعا ساجدا صائما قائما ، أستاذ يقرء القرآن ويزيل بتعلمه لكل جاهل جهله والناس يشرون إليه بالصلاح والنجاح "[452].

وقد تابع دراسته بعد ذلك بالمغرب الأقصى وتحديدا بفاس وببني زروال ، حيث دخل في طريقة الشيخ محمد العربي الدرقاوي ، ثم عاد إلى مسقط رأسه ومنه انطلق يبث تعاليم الطريقة الدرقاوية التي قدمه عليها شيخه ليتولاها بالجزائر ، وقيل أنه إدعى المهدوية عندئذ أي أنه المهدي المنتظر [453] ومن جملة ما قاله عبد القادر الشريف لشيخه الدرقاوي : " أن في وطننا قوما يقال لهم الترك لا شيئ لهم من دعوتهم للإسلام ويظلمون الناس ولا يعبئون بالعلماء والأولياء ، ونسأل منك أن يكون هلاكهم على يدي ليستريح منهم العباد وتطهر منهم البلاد " [454].

ولما عاد ابن الشريف إلى بلاده ، بدأ يخطط لثورته المناوئة للحكم التركي وابتدع أمورا ينكرها العقل و الشرع ، واقتدى به في ذلك الجل من الناس وفي ذلك يقول محمد بن عبد القادر : " أنه جاء إلى حضرة سيدي الجدّ وتكلم في حضرته بما يوجب تأديته شرعا ، فأدبه سيدي الجدّ بالسياط واستتابه " [455] غير أن هذا لم يصد الناس عن دعوته ، فذاع صيته وانتشر خبره وسيفت له الهاديا من كل فج ، ويقول الزهار : " ظهر

---

([452]) الآغا بن عودة المزاري ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19 ، تح : يحي بوعزيز ، ج 1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1990 م ، ص : 299 .

([453]) إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ( عرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ماقبل الإسلام إلى العصر الحاضر من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية ) ج3 ، ط2 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1994 م ، ص : 150 .

([454]) جمال قنان ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث ، المرجع السابق ، ص : 314 .

([455]) محمد بن عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق ، ص ص : 76 ، 77 .

الشريف وكاتب العرب في أمر القيام على الترك وادعى أنه صاحب الوقت واتبعه العرب وسارت إليه القبائل وظهرت له الكرامات " [456] .

ويبدوا أن باي وهران لم يكن غافلا عن هذه التحركات ، فقد أحس أن حركة ابن الشريف الدرقاوي لم تكن دينية محضة ، بل كان لها هدف سياسي يدعمه المغرب الأقصى وأن ابن الشريف ليس له سوى أداة لتنفيذ مشروع سياسي ضد الحكومة العثمانية بالجزائر، [457] وبينما الناس في غفلة إذ بإبن الشريف أصبح قائما بأقوالهم معلنا بجهاده الترك ومحللا لدمائهم وأموالهم فاجتمعت عليه الغوغاء من كل جانب ، وهبط مع وادي مينا قاصدا المخزن وأذن لأتباعه في النهب والسلب [458] ،مستغلا فرصة هزيمة إحدى الحاميات التركية أمام قبائل الانجاد المتمردة ضد السلطة العثمانية [459] ،ولما سمع الباي بخبر الدرقاوي جمع له الجيوش وخرج للقائه ،فبلغه أن ابن الشريف بالقرب من تاقدمت ، وهو في طريقه إليه فالتقى الجيشان بفرطاسة واشتد القتال بينهما على الماء وصارت نار الحرب بينهما سجالا إلى أن انهزم الباي مصطفى العجمي وفر راجعا إلى وهران ، وبقيت محلة الباي بما فيها من ممتلكات في يد الدرقاوي [460].

تقدم الدرقاوي باتجاه وهران لأجل محاصرتها ، فسار بجموعه حتى وصلها وكانت قد أغلقت أبوابها [461] فتطاير الخبر إلى الجزائر، فجهز الباشا مستشاره " علي آغا " وبعثه إلى ابن الشريف لكن البربر في نواحي وادي الشلف صدوه عن المرور في بلادهم ومنعوه ورود الماء حتى كاد يهلك مع جيوشه عطشا ، فلاذ بشيخ العطاف وأستجاره

---

([456]) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص : 87 .

([457]) أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص: 221 .

([458]) الآغا بن عودة المزاري ، المصدر السابق ، ص : 304 .

([459]) سفيان صغيري ، المرجع السابق ، ص : 163 .

([460]) الآغا بن عودة المزاري ، المصدر السابق ، ص: 304 .

([461]) عبد الكريم الفيلالي ، المرجع السابق ، ص : 15 .

فمشى له هذا الأخير في القبائل على أن يكفوا عنه فأبوا عليه إلا بمال يؤدى إليهم ، فأدى لهم ما طلبوه وانقلب راجعا إلى الجزائر واستمر ابن الشريف في مكانه محاصرا وهران وضيق على أهلها حتى نفذت منهم أقواتهم [462] ،وقد دام الحصار مدة 8 أشهر [463] ،انقطعت خلاله كل الإمدادات والطرق نحو الداخل ماعدا الطريق البحري الذي كان منفذ الوحيد للولوج إلى وهران ، وبفعل هذا الحصار المحكم الذي ضربه ابن الشريف على المدينة وقع الغلاء في المعيشة وبخاصة مادة الحبوب [464] وكذا فعل أيضا مع أهل تلمسان الذي انقلب عليهم الحضر والحوزية [465] .

حاول الشيخ محمد العربي الدرقاوي شيخ الدرقاوية بالمغرب الأقصى أن يخضع مريده ابن الشريف لقواعد وسلوك الطريقة ، فبعث إليه بعدّة رسائل ومبعوثين لإقناعه بفكرة العدول عن الثورة ، إلا أن ابن الشريف رفض ذلك فإنتقل إليه الشيخ بنفسه لكن دون جدوى ، عندئذ أخذ هذا الأخير حفنة من التراب ورماها للريح قائلا : " هكذا سيكون مصير ابن الشريف " وعاد إلى المغرب الأقصى ساحبا حجابه من ابن الشريف [466].

لما رأى أهل الجزائر عجز الباي مصطفى العجمي عند الدفاع عزلوه ، وعينوا بدله الباي محمد المقلش الذي زودوه بقوات كبيرة ، فركب هذا الأخير الأسطول من شرشال إلى وهران وبوصوله ألقى القبض على حاكمها مصطفى باي وأرسله إلى الجزائر ،وكتب إلى الآفاق بقدومه وتلطف في جمع الكلمة ، فأجابه أكثر القبائل وركنوا إلى طاعته

---

([462]) محمد بن عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 76 .

([463]) قايد عمر ، المرجع السابق ، ص : 3 .

([464]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 204 .

([465]) عبد الكريم الفيلالي ، المرجع السابق ، ص : 15 .

([466]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 204 .

وأمرهم بالمعسكر فأجابوه وفرق فيهم الأموال [467] ،حينئذ أدرك الدرقاويين استحالة فتح وهران فأتفق رأيهم على الارتحال عنها والتوجه لغيرها من مدن الشرق ، ولما وصل الدرقاوي لمزارع سيق قرب سيدي داود قامت عليه الغرابة متجمعة يرمون منه أخذ الثأثر بما فعله بهم من قتل وسبي ، فتعرضوا له ونالوا منه جزاء مافعل بهم ، ثم لما وصل لسيدي مبارك قرب وادي الهبرة لقيته فرسان البرجية مع من انظم إليهم من بني شقران وصيرورة فهزموه شر هزيمة [468].

توالت هزائم ابن الشريف على يد الباي محمد المقلش الذي حقق انتصارات كثيرة ، كما استطاع تهدئة الاضطرابات بمدينة تلمسان أين أقام بها قرابة الشهر ثم عاد بعدها إلى عاصمته وهران [469] ،وبينما هو كذلك حتى بلغه خبر قدوم الدرقاوي إلى غريس بأرض عين السدرة ومعه جموع درقاوة وجميع مالها ونسائها ، وكان يومها ابن الأحرش قدقدم من الشرق إليهم ، فحصل لهم به الفرح والسرور ، فخرج الباي لملاقاتهم وقد دارت بين الجمعان معركة حامية الوطيس خرج منها الباي منتصرا ، وكذلك فعل في عدة معارك أخرى في جديوية والتوتة وغيرها [470].

لم تشفع الأعمال البطولية لهذا الباي لدى حكومة الجزائر التي أمرت بعزله وقتله بعد أن أذيق ألوانا من العذاب [471] ،ليحل محله الباي السابق مصطفى العجمي، الذي عجز عن مقاومة درقاوة ، فكان ذلك في صالح هؤلاء بسبب الدعاية التي انتشرت ضد المقتول " مصطفى المقلش " وأن الله انتقم منه لدرقاوة ، فكان مصير مصطفى في هذا الجوّ الفشل

---

([467]) محمد بن عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 76 .

([468]) الآغا بن عودة المزاري ، المصدر السابق ، ص : 323 .

([469]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص ص : 205 ، 206 .

([470]) الآغا بن عودة المزاري ، المصدر السابق ، ص: 323 .

([471]) المصدر نفسه ، ص : 325 .

مما عرضه للعزل ليحل محله الباي " أبوكابوس " سنة ( 1223 ه / 1803 م ) وكان هذا الأخير مثل المقلش ، حيث طار ابن الشريف الذي كان قد توجه إلى عين ماضي أين تحالف مع صهره أبو ترفاس لكنه تعرض لهزيمته شنعاء ألحقها به أبوكابوس [(472)].

لما ضعف أمر درقاوة وتراجع عنه أتباعه ، انتقل إلى قبيلة بني يزناسن على الحدود المغربية وتوارى عن مسرح الأحداث وبقي مقيما هنالك حتى توفي ، وكان من نتائج هذه الثورة أنها خلفت العديد من الخسائر المادية والبشرية وراح ضحيتها عدد من رجال العلم والدين ، كما انتشرت الفوضى والاضطرابات وأعمال السلب والنهب الذي مارسه رجال الدرقاوي الثائر .

وفي الأخير فإن الثورة التي قادها ابن الأحرش في الشرق ، والدرقاوي في الغرب وإن كانت دينية فهدفها كان سياسيا واضحا ، كما كانت في الحقيقة منفذا للسكان للتعبير عن سخطهم إزاء تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، كما أظهرت هذه الثورات مدى فعالية الأطراف الخارجية والدور الذي تقوم به من أجل زعزعة النظام في البلد وتجلى ذلك من خلال دعمها لهذه الثورات .

## المبحث الثاني : المؤتمرات الاوربية والقضية الجزائرية

أبرمت الجزائر عشرات المعاهدات مع دول العالم ، كما بلغ أسطولها البحري قوة عظيمة بحيث استطاع خلال القرن الثامن عشر إحداث نظام للملاحة في المتوسط يضمن أمن الدولة الجزائرية خاصة، والدولة العثمانية عامة وبصورة أعم بالنسبة للتجارة الدولية في هذا البحر، وهو ما جعل الدول الأوربية تعمل على إنهاء هذا النظام تحت غطاء إنهاء ما كان يسمى بـــ " **القرصنة** " التي كانت تمارسها جموع المغامرين الأوربيين بموافقة دولهم ومؤازرتها .

---

([472]) عبد الكريم الفيلالي ، المرجع السابق ، ص: 16 .

**1. مؤتمر فيينا :**

وقعت تسويات جزئية بالفعل خلال معاهدة باريس [473] بين فرنسا والتحالف الساداسي ،وخلال معاهدة كيل ،التي شملت القضايا التي أثيرت حول الدول الاسكندنافية ،قررت معاهدة باريس وجوب انعقاد مؤتمر عام 1815 م في فيينا ،وأنه سيتم توجيه الدعوات إلى جميع القوى الفاعلة في الحرب الحالية، قرر الافتتاح في يوليو / تموز 1814 م [474].

شكلت القوى الأربع العظمى سابقاً قلب التحالف السادس، ومع اقتراب هزيمة نابليون حددوا مواقفهم المشتركة والمذكورة في معاهدة شومو (آذار / مارس 1814 ) ، وتفاوضوا على معاهدة باريس مع آل بوربون ، و في هذه الظروف التي أصبحت فيها الدبلوماسية الأوروبية مهيأة للقيام بعمل مشترك ضد الجزائر ، انطلاقا من أفكار سدناي سميث [475].

---

([473]) **معاهدة باريس :** هي معاهدة الصلح الاولى عقدت في باريس 20 ماي 1814م بين فرنسا و النمسا وانجلترا و روسيا و بروسيا اثر تنازل الامبراطور و ذهابه و تمكنوا من رسم حدود فرنسا ، و بعقد هذه المعاهدة انتهت الحروب التي بدات في عهد الثورة الفرنسية.**انظر** :عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ اروبا الحديث ومعاصر1815-1919 ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ،2000 ، ص : 30

([474]) عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص : 31 ، 32 .

([475]) **سدناي سميث** : ولد سدناي سميث بلندن في 21 جوان 1764م ترعرع في وسط عائلة عسكرية اذ كان والده ضابطا في الحرس الملكي البريطاني درس في مدرسة تونبرج إلى غاية 1772 ، ثم انخرط في صفوف البحرية البريطانية عام 1777 وعمره لا يتجاوز 13سنة وتوفي بباريس في 26 ماي 1840م. **انظر** : زكية زهرة ، **الاميرال سدناي سميث و التحالف الاروبي المسيحي ضد الجزائر عام 1814م** ، مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة الجزائر، 2، العدد 15 – 16 ،2012 / 2013 م ، ص : 232 .

اجتمعت الدول الأوروبية لإيجاد حـــل للمشـــاكل المطروحة حول الحدود التي كانت تمثل عائقا للوفاق الأوروبي ،وإعـــادة بناء الخريطة السياسية[476]،واحلال الســـلام في القـــارة الأوروبية [477] حضر المؤتمر الحلفاء الأربعة وهم انكلترا وبروسيا وروسيا والنمسا ،و التي عرفت بلجنة الاربعة .

نجح تاليران في إقناع الدول بان توافق على انضمام فرنسا للمؤتمر [478] ،وكانت هذه اللجنة قد استأثرت بانجاز القرارات في المسائل المهمة و عندما انتهى المؤتمر من اعماله انضمت له السويد ، اسبانيا ، و البرتغال في التوقيع على قرار المؤتمر النهائي في 9 يونيو 1815 م [479] ، حيث مثل إنجلترا الدوق كاستليريث Lord Castlereath ، ثم عوض بالدوق ولينكتون Le duc de Wellington واللورد كاثير Lord Catheart واللـــورد كلوكـــارتي Lord Claucarty واللـــورد ستيوارت Lord Stewarts ومثل بروسيا الأمير هردنبرغ Le Prince Herdenberg [480] والبارون دي هومبولدت Le Baron de Humboldt [481] ومثـــل روســـيا القيصـــر الاســـكندر الأول Le Tsar Alexandre I والكونـــت رسيموفســـكي Le Comte Rasimovski والكونت دي ستاكلبرغ Le Comte de Stackelberg و

---

([476]) محمد علي القوزي ، العلاقات الدولية في التاريخ الحديث و المعاصر ، دار النهضة ، ط1 ، 2002 ، بيروت ، ص : 93 .

([477]) عبد العظيم رمضان ، حضارة أوروبا و العالم الحديث من ظهور البرجوازية الاروبية إلى الحرب الباردة ،ج2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص : 15 - 17

([478]) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، أروبا من عصر النهضة إلى الحرب الباردة ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، 2000 ، ص : 163، 164

([479]) عبد العظيم رمضان ، المرجع السابق ، ص : 17

([480]) زكية زهرة ، المرجع السابق ، ص : 226.

([481]) هو جول اوغست فرمو ماري دي بولينياك سياسي فرنسي تقلد عدة مناصب منها رئيس وزراء وسفير بلندن ووزير خارجية فرنسا عام 1828 بولينيلك من أكبر المتحمسين لإحتلال الجزائر. **انظر:** زكية زهرة ، المرجع السابق ، ص : 234.

والكونـــت دي نسلرود Le Comte de Nesselrode ، أما رابع الحلفاء أي بروسيا فلقد مثلها الأمـــير دي مترنيخ Le Prince de Metternich [482] والبارون واسنبرغ Le Baron Wassenberg .

اضافة الى هذه الدول الأربع التي انتصرت على نابليون ، حضرت المؤتمر فرنسا التي قبلت بالوضع الـــراهن الجديد وقد مثلـــها تـــاليران Talleyrand [483] ،والـــدوق دالـــبرغLe Duc d'Alberg والكونـــت لابريسناديار Bresnadiere ولاتور دي بان La Tour du Pinو الكونـــت ألكسي دي نؤاي .Le de Noailles Le Comte Alexis ، وسمح للدولة العثمانية حضور المؤتمر ومثلها الباشا مافروجني .Pacha Mavrojeni.

كما حرص ممثلو الدول الأوروبية الرئيسية على حضور بعض الدول الأوروبية التي لم تكن لها مشاركة فعالة في الأحداث التي عرفتها الساحة الأوروبية، مثل مملكة نـــابولي Naples والســـويد Suède واســـبانيا L'Espagne والفاتكـــان Le Vatican ، وحتى يكتمل الجمع لم يمانع منظمو المؤتمر من استقبال وفود مستقلة ليس لها طابع رسمي مثل الأقليات الدينية وبعض دور النشر [484] . انعقد المؤتمر فيينا بين فترتي سبتمبر 1814م ويونيو 1815في مدينة فيينا عاصمة النمسا تحت إشراف ورئاسة رجل الدولة النمساوي كليمنس فينتزل وقد شارك في هذا المؤتمر حوالي 100دولة وعائلة حاكمة [485] .

كان للمؤتمر عدّة أهداف أوّلها :

---

( [482] ) وزير النمسا للشؤون الخارجية

( [483] ) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، المرجع السابق ، ص :161 ، 162

( [484] ) زكية زهرة ، المرجع السابق ، ص : 227 .

( [485] ) عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص : 32

- تسوية العديد من القضايا الأوروبية والصراعات الداخلية الحدودية على وجه الخصوص الناشئة عن حروب الثورة الفرنسية والحروب النابولونية [486].
- تفكيك الأمبراطورية الرومانية المقدّسة .
- تحديد مناطق النفوذ البريطاني الفرنسي الروسي والنمساوي .
- تحريم تجارة الرقيق .
- حرية الملاحة البحرية [487]

ولعل ما يهمّ الجزائر حينئذ من هذه الأهداف والبنود المناقشة هي البنود الثلاثة الأخيرة ،فقد حاولت كلّ من فرنسا وإسبانيا ادّعاء الحقّ الحصري في النفوذ التجاري والاقتصادي بدول شمال إفريقيا ،مستندة بقربها الجغرافي وقدم وعظم مصالحها هناك ، وعارضت بريطانيا هذا الطرح بناء على أنّها في تلك الفترة هي التي كانت تملك مصالح كثيرة ومتنوعة في شمال إفريقيا وفي الجزائر على وجه الخصوص .

كان قصد الدول الأوروبية من تحريم الرقّ وحرية الملاحة البحرية ، هو محاولة ضرب الأسطول الجزائري والقضاء عليه ، ولكن الصراع الأوروبي الداخلي وخاصة بين فرنسا وبريطانيا حال دون ذلك [488]، ولعلّ من أهمّ أسباب فشل هذا التحالف على هذا المستوى هو السياسة الجزائرية العثمانية ،التي كانت منتهجة وغاية ما وصلوا إليه في هذا المجال هو **أوّلا** : تحريم الرقّ الأسود دون غيره **ثانيا :** حرية الملاحة في العديد من الأنهار الأوروبية دون الإشارة من قريب أو بعيد لمطلب الرقّ وخاصة أسرى الأسطول الجزائري ولا لحرية الملاحة في المتوسط [489] ، وممّا قاله الكاتب عن مؤتمر فيينا ممّا يتعلق

---

([486]) جفري براون ، تاريخ أروبا الحديث ، تر: علي المزروقي ، ، الاهلية للنشر و التوزيع ، عمان ، ص : 411

([487]) عبد العظيم رمضان ، المرجع السابق ، ص ص : 19 - 21

([488])وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 145

([489]) أحمد عزت عبد الكريم ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص : 326

بالجزائر ما يلي : " وفي نهاية 1814 م عقد مؤتمر في فيينا ضم جميع الدول المتحضرة في القارة الأوربية وهناك أرسيت قواعد واسعة ومتينة للعدالة والانصاف والاستقلال ورخاء جميع الأمم [490] ،فقد كان من الطبيعي أن ينتظر الناس من هذا المؤتمر أن يبحث إدّعاءات هؤلاء البربر المناقضة للسلوك الاجتماعي والذين كانوا حينئذ يحتجزون أكثر من ألفين من الأوروبيين في قيد العبودية هنا ، ويتّخذ إجراء بتحريم القرصنة التي هي لطخة مشينة للحضارة وإلغائها كلّيا [491].

كانت بريطانيا قد ألقت بكلّ ثقل نفوذها في هذا المؤتمر ،وأيّدت فكرة إلغاء الرّق الأسود ، ولكن فرنسا وأسبانيا والبرتغال كانت تعارض القرار بهذا الشأن بدافع من مصالحها الخاصة ، أما بريطانيا لم تعارض سوى معارضة مائعة فكرة إلغاء استقلال كلّ من إيطاليا وبولندا والبندقية وجنوة ، بل وحتى تقسيم حليفتها دولة ساكسون القديمة لارضاء شهوة حلفائها وشرّهم ، كما كانت بريطانيا تصغي بأذن صمّاء لكل اقتراح قدم أمام المؤتمر يستهدف تحريم قرصنة بلاد البربر ، ولما سئل رئيس وزراء بريطانيا في البرلمان بعد ذلك بشأن هذه القضية ادّعى أنّ معاهدات بريطانيا مع بلدان المغرب هي التي تبرر هذا الموقف ، ولكن المؤرخ الذي عالج مؤتمر فيينا لم يتردد في أن يصف موقف الوزير البريطاني فيه بأنه قد أوحت به الأنانية ويقوم على ضغط المصالح [492].

**مسار المؤتمر :**

---

([490]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 145 ، 146

([491]) عبد الكريم الفيلالي ، التاريخ السياسي المغرب العربي الكبير ،ج4 ، ط: 1، شركة الناس للطباعة،القاهرة ،2006 ، ص : 387

([492]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص ص : 145 ، 146 .

في البداية اجتمع ممثلوا القوى الأربع المنتصرة آملين في استبعاد الفرنسيين من المشاركة في مفاوضات جدية . استطاع تاليران بمهارته السياسية إدراج نفسه في المجالس الداخلية في الأسابيع الأولى من المفاوضات [493] ،حيث تحالف مع ثمانية من القوى الأوروبية الأصغر ( بما في ذلك إسبانيا والسويد والبرتغال) في لجنة للسيطرة على المفاوضات ،حالما نجح تاليران في إقحام اللجنة في المفاوضات الداخلية انسحب منها متخلياً عن حلفائه،و أدى تردد الحلفاء الكبير حول كيفية إدارة شؤون المؤتمر دون إثارة احتجاج موحد من القوى الأقل شأناً إلى الدعوة لعقد مؤتمر تمهيدي حول البروتوكول . دعي إلى هذا المؤتمر كل من تاليران وماركيز لابرادور ممثل إسبانيا، في 30 سبتمبر/ أيلول 1814.

**تقييم المؤتمر :** حرصت الدول المجتمعة في المؤتمر على تحقيق عدة أهداف أهمها :

- التوازن الدولي بحيث لاتصل أي دولة إلى درجة من القوة تسمح لها بتهديد بلد اخرِ،كما تسترد كل دولة املاكها السابقة .
- إعادة الحقوق الشرعية لأصحابها [494]

من الواضح أن المؤتمر كان يخدم مصالح الدول الكبرى كما لم يهتم بمطالب الشعوب القومية ، كما كانت ثورة بلجيكا اول صخرة سقطت من مؤتمر فيينا و الذي كان هدفه حماية أوروبا من الصراعات [495] كما أصدر قرار نهائي بوضع حد لمسالة

---

([493]) عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص : 33 .

([494]) محمد على القوزى ، العلاقات الدولية فى التاريخ الحديث و المعاصر ، دار النهضة الحديثة، ط1 ، بيروت ، 2002 ، ص : 93

([495]) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، المرجع السابق ، ص : 170 .

القرصنة و استرقاق المسيحين [496] انعقد مؤتمر فينا بطلب من انجلترا ، و تجسد التحالف الأوروبيين ضد الجزائر و ذلك بوضع حد نهائي لهيمنة الأسطول البحري الجزائري في البحر الأبيض المتوسط ولاسترقاق المسيحين [497] و كلفت بريطانيا بتطبيق مقررات المؤتمر حيث طالبت بتعويض مسبق عن مجهوداتها و الذي يتمثل في وضع الجزر الايونية تحت حمايتها [498].

## 2. مؤتمر اكس لاشابيل :

عندما فشلت الدول الأوروبية في إخضاع الجزائر، ووقف نشاط بحريتها عادت لطرح المسألة في مؤتمر اكس لاشابيل Aix la chapelle فعقدت الدول الأوروبية في 30 سبتمبر 1818 مؤتمرا جديدا [499] في منطقة في مدينة آخن أكس لاشبيل بألمانيا ، شاركت فيه كبرى الدول الأوروبية ، وهي بريطانيا فرنسا روسيا النمسا وبروسيا ، حيث مثل فرنسا في المؤتمر وزيرها الاول ريشيلو و زوده الملك لويس الثامن عشر بتعليمات توضح أسس السياسة الفرنسية في ذلك الوقت و خلاصتها ، أن فرنسا تنظر للمسالة القرصنة كجزء من السياسة الدولية العامة [500] و الذي قررت من خلاله القضاء النهائي للقرصنة و حفظ السلام المنبثق عن مؤتمر فيينا1815 م ، و تمسكت جل الدول تقريبا بارائها التي كانت في مؤتمر فيينا ، ولكنّ قراراته حفّت بسرّية كبيرة لتعلقها بمسألة الاستعمار وتقسيم مناطق النفوذ والعمل من أجل القضاء على الأسطول الجزائري [501].

---

([496]) هلايلي حنفي ، العلاقات الجزائرية الاروبية و نهاية الايالة ( 1815- 1830 ) ، ط1 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2007، ص : 13 .

([497]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ،ص : 262

([498]) يحي بوعزيز ، المرجع السابق ،ص : 120

([499]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص : 267

([500]) أحمد عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ،ص : 336

([501]) وليام شالر ، المصدر السابق، ص177 .

استقر الرأي على فكرة تكوين قوة موحدة ، تم تفويض فرنسا و وبريطانيا لدراسة المسألة مع الجزائريين بطريقة ودية في محاولة جادة لإقناعهم بضرورة التخلي عن القرصنة ، ووقف استرقاق الأوروبيين وإرجاعهم إلى أوطانهم ، كما سعت بقية الدول الأوروبية إلى محاولة إقناع السلطان العثماني حتى يتخلى عن دعمه للإيالة الجزائرية ، وقد اختلفت هذه الدول في طريقه كتابة رسائلها للسلطان العثماني ، وهذا ما أضعف من قيمة هذه الرسائل التي لم يول لها السلطان أية أهمية ، هذه الرسائل التي اعتبرت البحرية الجزائرية شبحا يهدد المصالح التجارية الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط .

وقد رد السلطان العثماني على هذه الرسائل برفضه التام لما جاء في قرارات مؤتمر إكس لاشابيل ، واعتبر التحالف الأوروبي على أية إيالة من الإيالات المغربية تدخلا مباشرا في شؤون الدولة العثمانية وسيادتها ، وهذا يتعارض تماما مع القانون الدولي الذي يضبط العلاقات الخارجية بين الدول ،علما بان الدولة العثمانية كانت تعلم بأن الإيالة كانت تربطها بالدول الأوروبية معاهدات سلام ، ولذلك قرر السلطان العثماني إرسال سفينة لدعم الإيالة عسكريا تضم اثنان وعشرون مدفعا وعدد كبير من الجنود في نوفمبر 1819 [502] ،كما تم تكوين أسطولين الاول انجليزي بقيادة توماس فريمانتل ، و الثاني فرنسي بقيادة جوريان ديلاغرافنير [503] وقد توجهت هذه الاساطيل إلى بلدان المغرب العربي ، حيث حذرت كل من تونس و الجزائر و طرابلس من عدم الماس بالتجارة الاوروبية و إلا سيكون الرد سريعا ، و كلفت كل من فرنسا و انجلترا بتبليغ قرارات المؤتمر. [504]

---

([502]) أحمد عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص : 338 .

([503]) وليام شالر، المصدر السابق ، ص : 313.

([504]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ،ص : 267 .

وفي هذا الشأن يقول الكاتب :" وفي أواخر نفس السنة 1818 م اجتمع ملوك الدول الأوربية الكبيرة في مدينة إيكس لاشابيل في مؤتمر جديد من أجل تجديد المصالح العامة للعالم المتحضر على أساس متين،فيما قيل

على أنّ نتائج المداولات التي جرت في هذا المؤتمر لم تنشر ويبدو أنّ مصالح الجنس البشري قد بقيت بدون تحديد ، كما كانت من قبل . ومع ذلك ، فإنّ أسطولا بريطانيا فرنسيا قد وصل إلى الجزائر في 5 سبتمبر1819 م، وأعلن قائداهما للداي عن قرارات مؤتمر إكس لاشابيل الذي قد قرّر أنه يجب على دول البربر أن تمتنع عن ممارسة القرصنة في المستقبل و الغاء الاسترقاق [505] .

وبعد بضعة أيام من التفكير والتروي رفض الداي هذا الإنذار محتجا بالحقوق التي تعترف بها للجزائر معاهدات دولية رسمية أقرّها العالم كلّه خلال قرون متوالية [506]، والمسألة هي ما إذا كان مؤتمر ايكس لاشبيل جادا حقيقة في هذه المناسبة أم أنّه وقع ضحية للمغالطة والتضليل بالتقارير التي قدّمها الأطراف التي كلّفت بتنفيذ قراراته التي تتعلق بدول البربر . وقال في موضع آخر : " إنني أحب أن أعتقد أنّ الحزم الذي أبدته الدول الكبيرة في مؤتمر ايكس لاشبيل سيكون من نتائجه تنفيذ قرارات ذلك المؤتمر ضدّ الدول البربرية " [507]. حيث إعتبر المؤتمر أخر المؤتمرات التي نوقشت فيه مسألة القرصنة.

### 3. مؤتمر تروباو :

---

([505]) محمد بوشنافي ، **الداي حسين و سقوط الايالة الجزائرية ( 1818-1830 )**، مجلة العصور ، العدد 6-7 ، ص ص : 103 ، 104

([506]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 177 .

([507]) المصدر نفسه ، ص : 183 .

كان قيصر روسيا قد اقترح على المؤتمرين في اكس لاشبيل إنشاء تحالف أوروبي عام، لكي تخول الدول الأوروبية قمع أي ثورة تحصل وتهدد الأمن والتوازن الأوربي ، خاصة بعد الثورة الاسبانية لأنه كان متخوف من انتشار العدوة في أوروبا ،فطالب بعقد مؤتمر لاستنكار دستور 1812 [508] ،ولكن قوبل برفض وخاصة من انجلترا بحجة رفض بلاده التدخل في الشؤون الداخليه لدول اخرى , وعند اندلاع الثوره وقيام النظام الدستوري عام 1820 م أصاب قيصر روسيا بالخوف ان تتأثر بلاده ،وطالب بعقد مؤتمر يضم ملوك أووربا بتدخل لإلغاء الدستور الاسباني الجديد ولو بالقوة ،وأيضا رفضت انجلترا بنفس الحجة وإفادة أن هذه الثورة لا تشكل خطر على الدول الاخرى، اما النمسا رفضت في البدايه ووافقه فيما بعد وفرنسا رفضت وانضمت الى انجلترا في الرأي وبروسيا وافقت وسرعان ما انضمت فرنسا لهم خوفا من العزله وتم التوقيع على البروتوكول ماعاد انجلترا في عام 19نوفمبر 1820 م. [509]

اقترحت الدول الأوروبية وفي مقدمتها بريطانيا تكوين قوة موحدة والنزول بها في البحر الأبيض المتوسط، وهذا ما تداولته الدول الأوروبية خلال المؤتمر فينا 1815، وكان الاقتراح الإنجليزي يتمثل في إجبار الجزائريين على التخلي عن البحرية، وذلك بمحاصرة الموانئ الجزائرية ومنع خروج سفنها، وإجبار الدولة العثمانية على وقف تجنيد البحارة وإرسالهم إلى الجزائر.[510]

---

([508]) عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص : 54 .

([509]) مدوح نصار واحمد وهبان ، التاريخ الدبلوماسي العلاقات السياسية بين القوى الكبرى ، قسم العلوم السياسية ،جامعة الاسكندرية ، ص : 53 ، 54.

([510]) وليام سبنسر ، المرجع السابق ، ص ص : 189-190.

وقد استاءت السلطنة العثمانية ، خاصة بعدما حمّلتها دول مسؤولية ما يقوم به البحارة الجزائريون من نشاط في البحر الأبيض المتوسط ،كما استاء الباب العالي من تدخل دول أوروبا في شؤون الإيالات المغربية وطرح المسألة الجزائرية ، واعتبر ذلك تدخلا مباشرا في مصالح وممتلكات الدولة العثمانية ، وقد بعث الباب العالي بعد ذلك فرمانا يحذر فيه الجزائريين من خطر التحالف الأوروبي على بلدهم. **(511)**

وابتداء من ( 1823- 1824 ) بينت المصالح المتباينة و المتضاربة للقوى الكبرى الطابع الهش أو الاصطناعي للتقسيم المنجز عام 1815 ،والذي لم يكف الثوار والقوميون في كل أوروبا و كذلك نابليون الثالث عن النضال ضده إلى درجة التمكين لانفجار جديد لأوروبا وإعادة توزيع القوميات في نهاية القرن التاسع عشر.

## المبحث الثالث : الحملات الأوربية على الجزائر مطلع القرن19 م وانعكاساتها

ظلت الولايات المتحدة الأمريكية تدفع ضريبة سنوية للجزائر منذ عام 1795م إلى غاية 1810م حيث توقفت عن دفع تلك الضريبة ، وذلك بسبب إدراكها لضعف الجزائر ، الأمر الذي تسبب في توتر العلاقات بين البلدين ، كما أن اليهود اقترحوا على الداي الاعتداء على السفن الأمريكية للحصول على مبلغ مالي كبير مقابل تجديد معاهدة السلم معها .

وقع خلاف بين البلدين سنة 1812م حول تنفيذ المعاهدة الخاصة بالضريبة،كما اثار الامريكان خلافا اخر يتعلق بالتقويم الهجري و الميلادي و الذي يكلفهم مبالغ اضافية ،و امتد الخلاف مدة سنتين **(512)** ،و عليه أعلن **الداي علي** الحرب على أمريكا ،و التي

---

( [511]) أحمد عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص :338.

( [512]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ،ص : 234 ، 235 .

تدخلت لتأييده كل من اسبانيا و السويد و انجلترا ، بعد أن وضعت الحرب أوزارها بين الولايات المتحدة و انجلترا ، وبمجرد التصديق على معاهدة " غانت " Ghant ، قرر الكونغرس الأمريكي إعلان الحرب على الإيالة الجزائرية [513].

جهز الأسطول حربي عهد بقياده إلى الأميرال " ستيفان ديكاتور" [514] ،وغادر الأسطول الولايات المتحدة في اتجاه البحر الأبيض المتوسط 20 ماي 1815م ، وقبل أن يقلع الأسطول أصدر وزير الخارجية تعليمات إلى القائدين البحريين و السيد شالر بعقد الصلح مع الجزائر، [515]وإطلاق سراح الأسرى الأمريكيين في الجزائر ،وذلك بدون تعهد بدفع أي نوع من الضريبة ولكنها تعهد بتقديم هدايا للداي مرة كل سنتين ، وكانت التعليمات التي يحملها " ديكاتور " تقضي بأن يسعى لدى وصوله إلى جبل طارق لمعرفة المنطقة التي يعمل فيها الأسطول الجزائري ، وفي حالة ما إذا كانت بعض قطعه تعمل في المحيط الأطلسي أن يقوم بأسر تلك القطع أو تدميرها ، كما كلف " ديكاتور " بأن يدخل في المفاوضات مع الداي مباشرة بعد وصوله إلى الجزائر كما يجب أن تكون شروط الصلح مشرفة بالولايات المتحدة الأمريكية.

وصل أسطول " ديكاتور " إلى جبل طارق في 15 جويلية ، ومن هناك أبحر صوب مدينة الجزائر والتقى في طريقه إليها بباخرة جزائرية فضيقوا عليها ، فاستسلمت لهم بعد مقاومة أبداها لهم طاقم الباخرة ، استشهد فيها الرايس حميدو وثلاثون بحارة من رجاله يوم 28 يونيو1815م [516] ،حملوا بقية المسلمين أسرى إلى مراكبهم وبعد يومين من المعركة أسر

---

([513]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 146 .

([514]) عزيز سامح ، الاتراك العثمانيون المرجع السابق ، ص : 604 .

([515]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 146 .

([516]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص : 236 ، 237 .

الأمريكيين سفينة حربية ذات ساريتين " استديو " وسفينة " مشهودة " ، ثم أرسلت كلتا السفينتين إلى قرطاجة .

وفي 29 جويلية 1815م وصل الأسطول الأمريكي ميناء الجزائر وأرادوا إجراء مفاوضات مع السلطات الجزائرية ، فصعد أمير البحر الجزائري البارجة الأمريكية وهناك أبلغه القائد الأمريكي خبر أسر السفينتين الجزائريتين ومقتل الرايس حميدو ، فتأثر أمير البحر الجزائري لهذه الفاجعة وتساءل عن شروط الصلح التي يريد الأمريكيون عرضها ، فجاء الرد في رسالة وجهها الرئيس الأمريكي إلى الداي عمر ( 1817 – 1818 م) ، فقدمها ديكاتور إلى الداي و في جويلية 1815.

توصل الطرفان إلى توقيع معاهدة صلح و صداق بعد ثلاث عشر يوما من المفاوضات نصت على إلغاء الضريبة السنوية وإطلاق صراح الأسرى الأمريكيين في الجزائر [517] ، ودفع تعويض مقداره عشرة آلاف دولار للاستيلاء على السفينة الأمريكية "إدوين" وغيرها من ممتلكات الأمريكيين في الجزائر ، كما نصت على طريقة معاملة الأسرى في حالة استئناف الحرب واعتبارهم أسرى حرب و ليسوا عبيدا ، وسعى الداي إلى استعادة السفينتين الأسيرتين وبعد أن ورد استجاب الأمريكيين لهذا الطلب وتم التوقيع على المعاهدة ، وتم تعيين شالر قنصلا للولايات المتحدة بالجزائر [518].

و أثناء هذه الأحداث لم تترك الولايات المتحدة الأمريكية دولة أوروبية لم تتصل بها من الصغرى كالبندقية إلى المتوسطة كهولندا إلى الكبرى كروسيا ،لتكون معهم حلفا ضد الجزائر و الدول المغربية.حيث استغلت الفرصة عام 1814م لتنظم لكل من هولندا و

---

([517]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 604 .

([518]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص : 237 .

الدنمرك وايطاليا اسبانيا وبروسيا،وروسيا لتكون الدولة السابعة في الحلف ضد الجزائر في وقت واحد، إذ رأت أن الوقت قد حان لتصفية الحسابات [519].

وفي شهر جويلية 1815م ظهر أمام الأسطول الجزائري الأسطول الهولندي بفرض تجديد معاهدة السلام ، التي تربط بين البلدين طبقا لنفس شروط المعاهدة القديمة بواسطة القنصل الانجليزي ، لكن الداي رفض هذه الاقتراحات قبل أن تقدم هولندا مؤخر الهدايا و الضرائب إلى إيالة الجزائر ،و الذي يمثل مبلغا ضخما و على إثرها انقطعت المفاوضات بين الطرفين [520].

### أ. حملة اللورد إكسماوث :

في مطلع 1816، قام إكسماوث بمهمة دبلوماسية ، مدعوماً بسرب صغير من سفن متجهة إلى تونس ، طرابلس ، والجزائر لإقناع حكامها بوقف استعباد المسيحيين وإطلاق سراحهم. وقد وافق دايات تونس وطرابلس [521] ،و تم إطلاق الأسرى دون أن يدفع اكسماوث عنهم الفدية [522] ،أما داي الجزائر كان متحجراً في آرائه وكانت المفاوضات معه عاصفة.

اعتقد إكسماوث أنه تمكن من التوصل إلى معاهدة لوقف استعباد المسيحيين وإعادتهم إلى انجلترا ، إلا أنه بسبب تضارب الأوامر ، قامت القوات الجزائرية بقتل 200 صياد من كورسيكا وصقلية وسردينيا ، وكانوا تحت الحماية البريطانية [523] وكانت المذبحة بعد

---

([519]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق، ص ص : 219-236 .

([520]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 149 .

([521]) يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص : 121 .

([522]) شويتام أرزقي،دراسات و وثائق في تاريخ الجزائر العسكري و السياسي (1519-1830) ، ط:1 ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، 2010 ، ص : 150.

([523]) وليام سبنسر ، المرجع السابق ، ص : 191 .

توقيع المعاهدة مباشرة. وقد تسببت المذبحة في غضب عارم في بريطانيا وأوروبا ، ورأى الناس أن مفاوضات اكسماوث باءت بالفشل [524] ، اضافة إلى تخريب المؤسسة التابعة لشركة صيد المرجان ، و اقتيل 800 عامل بها إلى السجن.

وجهت انجلترا حملة عسكرية بقيادة اللورد ايكسموث الذي كان على متن وحدات من الأسطول بحري الانجليزي، و التي غادرت ميناء بليموث في 28 جويلية عام 1816م إلى الجزائر ،و ذلك لمعاقبتها بشدة لأنها حصلت على الموافقة الرسمية من الدولة العثمانية بانزال العقاب الصارم بها [525] .و لما اقترب الأسطول الانجليزي من سواحل الجزائرية عرضت وحدات الأسطول الهولندي بقيادة الاميرال فون كابلان الانضمام إلى اللورد اكسموث [526] ،و سارت القوة المزدوجة البريطانية الهولندية إلى ان وصلت إلى ميناء الجزائر في مساء السادس و العشرون من شهر أوت 1816 م.

صادفت هذه الحادثة دخول الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إدريس [527] مدينة الجزائر المحروسة ،

---

([524]) صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم التركي1517-1830 ، دار الهومة للطباعة ، الجزائر ،2007 ،ص 241:

([525]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص605 .

([526])Devoulx (A): Tachrifat , Recueil d notes histiorique sur l'administration de l' ancienne régence d'Alger , Alger, 1852, pp19-20.

([527]) يعتبر الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إدريس بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني. واحدا من أبرز علماء الإقليم التواتي خلال القرن الثاني عشر الهجري . ولد سنة 1181هـ بتنلان وكان عالما في أصول الفقه والتفسير أخذ كل ذلك عن شيوخ عدة نذكر منهم تمثيلا : الشيخ سيدي محمد ، و الشيخ سيدي محمد بن احميد .سافر الشيخ التنلاني إلى فاس وأخذ هناك عن الشيخ سيدي عبد القادر بن شقرون وغيره من أعلام عصره حيث ماتا في يوم واحد وهو يوم الرابع عشر من جمادي الأولى سنة 1221هـ

وإقامته بها الذي أرخ لنا لحادثة تاريخية هامة في تاريخ الجزائر آنذاك، وهي الهجوم الإنجليزي الهولندي على مدينة الجزائر [528] بقيادة اللورد اكسموث ، و بتاريخ عصر الأحد الثامن من شهر شوال سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف (08 شوال 1231هـ/ الموافق 01 سبتمبر 1816 م) ، والتي شاهدها بأم عينه ووصفها وصفا دقيقا حين قال : " فلما كان يوم الأحد من شهر تاريخه عند العصر نزلت سفن عدو الله بدر لنجليز قرب الجزائر في البحر وهي أربعون سفينة ، وكل سفينة فيها مائة مدفع كبير ، كل مدفع عمارته قنطار بارود . ونزلوا بعيدا من المدينة بحيث لا تصلهم الرمية من الجزائر وأقاموا يومهم ذاك وغدهم كذلك ، وفي ضحى صبيحة الثلاثاء [529] بدلوا جميع أعلام سفنهم وجعلوها بيضا بعد أن كانت سودا .والأعلام البيض هي أعلام الصلح والعافية بخلاف السود فهي أعلام الحرب هذا هو اصطلاحهم .

وقبل أن يخوض قائد جيوش العدو معركته مع الجيش الجزائري بادر بمكاتبة قائد الجزائر في محاولة لخداعه واستمالته وتخويفه من نتائج المعركة عليه وعلى جنده. حيث قال القائد النصراني في نص رسالته : " اعلم أني جئتك ناصحا ومصلحا انظر هذا سلطان المغرب أحسن منك نسبا وأقوى مالا وأعظم جندا وأكثر بلادا ، كان مع جميع أجناس النصارى صلحا وعافية، هو على دينه وهم على أديانهم ، وانظر صاحب تونس وهو ضدك و أخوك صلحا مع جميع جنس النصارى ، وصاحب طرابلس كذلك ، كل واحد على دينه ، وكلهم صلحا وعافية وما فيهم من عادى النصارى وكأن الجهاد ما فرض إلا عليك ، ولو كنت عاقلا لاقتَدَيتَ بأمثالك . ولا تظن وإني مثل النصارى الذين تعرفهم وكنت تلاعبهم مثل افرنسيس ،واصبانيول وافلامينك .... وعدد عليه قبائل النصارى، بل

---

([528]) أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر .تحقيق أحمد توفيق المدني .الطبعة الثانية 1168هـ/1246م .ص .117. وكتاب مذكرات وليام شالر .قنصل أمريكا في الجزائر( 1824/1816)،ص: 289.

([529]) لثلاثاء 10 شوال الموافق ل:03 سبتمبر 1816 .

أنا بدْر.... وعندي ألفَي قلاع جئتك منها بأربعين ..... واليوم اترك عنك هذا وأبدله بالصلح ، وإن أبيت عن الصلح فنعم ولكن أخذ الأسارى لايكون بيننا وشاور على هذا نفسك وكبراء دولتك وأجلتك ساعتين." [530] و يشير عزيز سامح في كتابه الاتراك العثمانيون أن الداي رفض إعطاءه جواب نهائي في هذا الصدد و في الثانية و النصف خرج عضو البرلمان البريطاني من الميناء و أعطى إشارة عدم الاتفاق [531].

ويرى الشيخ التنلاني في معرض تعليقه على هذا الخطاب أن الرسالة لم يكن لها معنى أساسا على اعتبار أن القائد النصراني أمهل قائد الجزائر ساعتين فقط للرد وهو ما لم يكن كافيا أمام صاحب الجزائر لتحضير الرد بسبب انصراف أكابر البلد ورؤساء الجند إلى حقولهم لأن الوقت وقت خريف ، وهنا تعجل العدو الدخول فكان ما كان وفي ذلك كله يقول الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إدريس في معرض حديثه في رحلته : " ... وبعث بهذا الكتاب مع شاوش له فلما بلغ الكتاب صاحب الجزائر وجد أكابر البلاد ورؤساء الجند مفترقين في الجنانات لأن هذه الواقعة وقعت في فصل الخريف وعادة البلد أن كل من عنده جنان يكون سكنا فيه ذالك الوقت ،فتعطل الجواب على النصراني ودخل بسفنه لداخل مرسى الجزائر وأراد الذين هناك يضربونه بالمدافع فحلف لهم القائد عليهم ويسمى علي قائد المرسى لو مد أحدكم يده للضرب لقطعتها له. قيل إن النصراني رشاه على ذلك بخمسين قنطارا وقيل بخمس وعشرين وقيل بخمسة عشر .

فلما استقر النصراني بوسط المرسى كان أول ما بدأ به أسقط الماء الداخل لشرب البلد وما يتطهرون به ، رمى ساقية الماء بثلاثة مدافع ، ثم وَالَى على المدينة بالبارود وذلك بعد

---

([530]) أحمد جعفري ، **الحملة الإنجليزية الهولندية على مدينة الجزائر1231ه/1816م من خلال مخطوط التنلاني التواتي 1233هـ** ،مجلة " تراث" ، التابعة لهيئة أبوظبي للثقافة والإعلام ،مدينة العين الإمارات العربية المتحدة ، العدد 131، أغسطس 2010، ص : 140.

([531]) عزيز سامح الترا، المرجع السابق ، ص : 608 .

صلاة الظهر وقيل العصر فلم يزل يواليه عليها حتى قرب نصف الليل ومدة ذلك على التدقيق إحدى عشر ساعة غير سدس بالمكانة المحققة وعدة الكور الذي رمى بدر إحدى وأربعون ألف كورة على ما أخبر به شاوشه الذي عقد الصلح مع صاحب الجزائر. وبعد استقراره بالمرسى وتمكنه أحرق جميع سفن الجزائر وهي أربعة عشر سفينة كبار جدا ، فثلاثة عشر أحرقها حتى لم يبق لها أثر والربعة عشر بقي شيء منها [532] ولم تكن هذه المشاهد الأليمة والمفجعة جميعها لتمر أمام أعين الكاتب سيدي عبد الرحمان دون أن تتحرك لها مشاعره وتتدفق أحاسيسه ، فيترك العنان لخياله ليصف لنا جلل المصيبة وأثرها على نفسية كل مسلم "... وحرقه للسفن هو أعظم نكاية لم يبق فوقها نكاية ، وصارت تلك الليلة في الجزائر مع نهارها سواء ، ولولا شدة المبالغة لقيل ضوء تلك الليلة أشد من ضياء شمس نهارها ، ويالها من ليلة شابت فيها الولدان وأسقطت فيها الحوامل واشتد فيها البكاء والعويل وعظم فيها الكرب والهم والغم فوق ما يوصف ولا يخطر ببال ولا يقدر على الحقيقة شاعر ولا عاقل ولا فقيه ولا مداح ولا فصيح يصف هذه الواقعة بوصفها الحقيقي. ولا أدري بما أشبهها أمثل خرير الواد الكبير أو مثل الرحى أو مثل نزول البَرَد لا أدري ما يشبه ذلك وغايته أنه مثل الرعد القاصف من أول بدايته إلى نهايته متصلا كأنه مدفع واحد ، فلما كان نصف الليل نادى النصراني بالبيات إلى الصباح ، نادى في بوقه بعجميته حتى نصبح فسكت البارود ، فلما كان بعد صلاة الصبح نادى لعنه الله في بوقه نزيد في الحرب أم يكفينا هذا .

وعلم صاحب الجزائر أنه لا طاقة له به ولا بحربه فطلب منه العافية فأجابه إليها على شروط أولها أن يرد إليه كل أسير عنده وهم يحسبون عنده في زمامه ثلاثة عشر مائة أسير

---

([532]) أحمد جعفري ، **الحملة الإنجليزية الهولندية على مدينة الجزائر1231ه/1816م من خلال مخطوط التنلاني التواتي 1233هـ** ،مجلة " تراث" ، التابعة لهيئة أبوظبي للثقافة والإعلام ،مدينة العين الإمارات العربية المتحدة ، العدد 131، أغسطس 2010، ص : 140

واثنين وثلاثين أسيرا ، منها من قبيلة كذا وكذا ومن قبيلة كذا كذا وكذا وهكذا . وإن بقي أسير واحد فلا عافية . وثانيها أن النصارى خذلهم الله كانوا عام أول فادوا بعض أولادهم من أصحاب الجزائر وعددهم أحد عشر مائة أسير كل أسير بألف أريال دُرُ الكبير فشرط عليه أن يرد عليه جميع ما وقع به الفدى من الريال وإن بقي شيء من ذالك فلا عافية . وثالثها أن يطلق صاحب الجزائر لهم وهران وعنابه يكيلون منها الزرع ولا يدخل الأتراك بين النصارى وأرباب الزرع أهل الفلاحة في ذلك ." **(533)**

أمام هذا الوضع انخدعت البحرية الجزائرية بالراية البيضاء التي كانت تحملها السفن البريطانية ، التي تركتها تدخل ميناء الجزائري . ليتم بهذه الخدعة بقنبلة الأسطول البحري الجزائري بالمدفعية ، فألحقت بالجزائر أضرار جسيمة كما تحطمت في هذه المعركة عدة تحصينات ، و أضرمت النار في جميع البواخر الجزائرية الراسية في الميناء **(534)** ،كما بلغ عدد الضحايا حوالي خمسمائة جندي أما عدد القتلى من الأهالي فقدر بسبعين شخصا **(535)** و كنتيجة حتمية للأمر أجبر الداي عمر باشا على قبول شروط مؤتمر فينا .و التي كانت من بين نتائجه :

- وضع حد لاسترقاق المسيحين .
- إطلاق الأسرى المسيحيين و الذي يبلغ عددهم 1200 أسير .
- دفع تعويضات للأسر المسيحية التي افتدت أبناءها **(536)**.

---

(533) أحمد جعفري ، المرجع السابق ،ص : 142- 144 .

(534) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص ص : 262 ، 263 .

(535) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 609.

(536) Devoulx ¸ ibid¸p20

و الأمر الملفت للانتباه هو أن الانجليز استغلوا مؤتمر فيينا لخدمة مآربهم ،و لم يطالبوا بالمطلب الرئيسي هو وضع حد للقرصنة ،لأنهم كانوا يسعون إلى عرقلت التجارة الأروبية عامة و تجارة فرنسا خاصة [537].

إذا كان مؤتمر فيينا قد أدان تجارة الرقيق الأسود و ضمن حرية الملاحة في الأنهار العابرة عدة دول أو تشكل حدا سياسيا ، فإن همه الأكبر كان إعادة بناء توازن واسع بين الدول و الإمبراطوريات الأوروبية [538] ولكن هذا التقسيم ، الذي ضمن السلم للقارة العجوز الرازحة تحت الحكم المطلق على امتداد أربعين سنة ، غذى بداخله بذور فنائه . فكل المفاوضات و المحادثات جرت على حساب حقوق القوميات أو المذاهب الدينية . إذ ضمت شلزويغ بالقوة للدانمرك ، وأخضع الكاثوليك البلجيكيون لملك هولندي بروتستانتي المذهب و قسمت تقسيم إيطاليا و فككت ألمانيا [539].

بعدما تم انعقاد مؤتمر اكس لاشبيل تم إبلاغ الداي حسين بالالتزام بهذه القرارات ،و الذي أجاب على أنه لا يستطيع أن يتخلى عن حقه في التعرف على البواخر الأجنبية ل،أنها هي الوسيلة الوحيدة للتعرف على البواخر العدوة من الصديقة [540].

قرر الداي في أكتوبر1823 م القاء القبض على أبناء القبائل كرد فعل على الثورة التي نشبت في القبائل [541] ، و كان هناك عدة مستخدمين من أبناء القبائل يشتغلون في

---

([537]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص : 264.

([538]) وليام شالر، المصدر السابق ، ص: 145 .

([539]) عبد العظيم رمضان ، تاريخ أوروبا و العالم الحديث من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة ،ج 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ص : 19-20 .

([540]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص : 267 .

([541]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 622 .

القناصل الاجنبية ،فعمدت القنصلية الفرنسية و الهولندية إلى إنذار مستخدميها بالأمر و تركت لهم حرية القرار [542].

أما القنصل الانجليزي أراد أن يحمي مستخدميه محتجا بالحصانة القنصلية ،و رفض تسليمهم ، فهجم مترله و تم القبض على مستخدموه حيث تسبب هذا الحادث في قطع العلاقات بين الجزائر و انجلترا وعودة القنصل إلى بلده [543].

بعد بضع أسابيع من الحادثة و بالضبط في كانون الثاني سنة 1824 م ، في 23 شباط قدم الاميرال الانجليزي السير " هاري نيل " على رأس 23 باخرة ، يطلب تعويضا عن الإهانة التي لحقت بانجلترا في شخص القنصل و يطالب بغرامة مالية كبيرة ، و بالاعتراف بهيمنة بريطانيا على كل الدول الأخرى ، لكن الداي رفض هذا المطلب و على إثرها انصرف الأميرال [544] و الذي عاد مرة ثانية في 22 مارس 1824 م و انصرف كما جاء دون أن يتحصل على طائل [545] و رجع مرة أخرى في 12 جويلية من نفس السنة بعد أن صدرت إليه الأوامر بضرب العاصمة ، و استمر إطلاق النار إلى يوم 29 جويلية و هو يوم انصرافهم بعد أن نفذت لهم الذخيرة [546].

كما منيت هذه الحملة بالفشل الذريع لأن القصف كان بعيدا عن المدينة ،و تم التصدي لها، [547] و يشير مولود قاسم نايت بلقاسم إلى وجود غارتان عام 1825 م ، و اللذان رد عليهما الداي بتعال و لاذتا بالفرار و لم تعد بريطانيا بعد ذلك [548].

---

([542]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص : 268 .
([543]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 622 .
([544]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ،ص : 268.
([545]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ،ص : 210.
([546]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص : 268.
([547]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 623 .

تحالف الأوروبيون ضد الجزائر في مؤتمر فيينا و ذلك لوضع حد نهائي لأعمال القرصنة البحرية الجزائرية في البحر الأبيض المتوسط ، و استرقاق المسيحيين، و تسريح البحر الأبيض المتوسط للتجارة الحرة، و الاعتراف بأولوية انجلترا في التعامل مع القنصليات الأجنبية في الجزائر،و الجدير بالذكر أن حملة اكس ماوث كان ظاهرها تنفيذ لإرادة الدول الأوروبية و باطنها رغبة بريطانيا في فرض سيطرتها على البحار للاستحواذ على طرق المواصلات و الحفاظ على مصالحها التجارية ، بعد أن فقدت مستعمراتها في القارة الأمريكية .

## ب.الحصار الفرنسي والحملة على الجزائر ( 1827 – 1830 م ) :

امتازت العلاقات الجزائرية الفرنسية في عمومها بطابع الأهمية والخصوصية التي حضيت بها منذ الدولة دون غيرها من الدول الأوروبية ، وقد تطورت هذه العلاقات فكانت أفضل ماتكون في عهد الثورة الفرنسية ، حين اعترفت الجزائر بالجمهورية الفرنسية الجديدة ، في الوقت الذي كانت تعاني فرنسا من وطأة الحصار الأوروبي المحكم [549] ،والذي أصابها بانهيار إقتصاد كبير ومجاعة قاسية ، وأكثر من ذلك قامت حكومة الجزائر بإقراض فرنسا مبالغ مالية لتأمين شراء الحبوب وفتحت باب تصدير القمح الذي كان محظورا من قبل في عهد الداي محمد بن عثمان باشا .

وقد عبرّ عن موقف الجزائر الدّاعم لفرنسا خلال هذه الفترة الداي حسين في رسالة وجهها إلى محافظة العلاقات الخارجية الفرنسية بتاريخ 16 جوان 1795 م : " لن نرد أي طلب للجمهورية يكون في متناولنا المواد المعشية والخيول الجيدة ، هذه هي منتوجاتنا

---

([548]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص : 214.

([549]) أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ( بداية الإحتلال ) ، ط3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 م ، ص : 13

فالصديق الحقيقي هو ذلك الذي يظهر وقت الحاجة ... نحن على استعداد لأن نمدكم بالحبوب والمواد المعشية وباختصار كل ما تطلبوه منا " [550] .كانت عملية التموين تتم بطريقة مباشرة بين البلدين ، فتقوم الشركة الفرنسية المعنية ( الشركة الملكية ثم خليفتها الوكالة الوطنية الفرنسية ) بدفع الثمن إلى الحكومة الجزائرية بشكل مباشر ، ثم غير فرنسا طريقة الدفع أثناء حكومة المؤتمر، فلجأت إلى التاجرين اليهوديين بكري وبوشناق [551] ليقوما بالدفع بدلها إلى الحكومة الجزائرية [552] .

وقد توفرت الظروف لهؤلاء اليهوديين ليلعبا على حبل العلاقات السياسية والاقتصادية بين البلدين ، أين ازدهرت شركتهما وحققت أرباحا خيالية نظرا الارتفاع الفاحش لسعر الحبوب ، وتجدر الإشارة إلى أنه برغم من منع حكومة الجزائر رخصا للتجار الفرنسيين من أجل تصدير القمح ، إلا أنهم لاقوا صعوبة في ذلك بسبب الضغط الأوروبي في البحر المتوسط والحصار المفروض عليهم ، وبالتالي وجدت الشركة اليهودية فرصتها لإحتكار تجارة منتوج الحبوب خاصة وأنها كانت مضمونة التنقل لرفعها العلم الجزائري الذي يضمن لها الحماية في ظل هذا الصراع القائم [553].

بما أن الحكومة الفرنسية كانت عاجزة عن تسديد فواتير الإسترداد بسبب عجز خزينتها وتدهور اقتصادها ، تضاعفت ديونها تجاه اليهوديين الجزائرين اللذان كان بدورهما مدينان للدولة الجزائرية ، ومن هنا ارتبطت مسألة الديون بين اليهود وفرنسا بمسألة ديون

---

([550]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص : 106 .

([551]) بكري وبوشناق :كانا من أسرة لها تجارة في الخارج حققا معا ثروة طائلة ساعدهم في تكوينها النظام الفاسد للحكم أواخر العهد العثماني **انظر** : أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 14

([552]) محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 65 .

([553]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص : 107 .

اليهود للخزينة الجزائرية ، وهذا ما جعل المسألة تتحول إلى قضية حساسة بين دولة ودولة. [554]

نقول إذن أن أحد الأسباب الهامة التي سبقت الحصار ثم الحملة ، كانت المطالبة التي تقدمت بها الحكومة الجزائرية للحكومة الفرنسية فيما يخص ديونا يرجع تاريخها إلى الثورة الفرنسية قبل عهد الإمبراطورية ، والتي ترتبت عن تزويدات هائلة بمادة الحبوب كما أسلفنا بالذكر ، ولكن تماطل فرنسا في دفع المستحقات المالية جعلت المسألة تتجه إلى التأزم أكثر فأكثر [555] .

وبسقوط حكومة نابليون سعت حكومة الملك اللويس الثامن عشر البوربني إلى إعادة العلاقات مع الجزائر إلى ما كانت عليه من قبل ، فعملت الحكومة الفرنسية على تعين قنصل جديد لها في الجزائر هو " بيير دوفال " لكي يعمل على طمأنة الجزائر والتعبير لها عن إستعداد فرنسا لحل المشاكل العالقة ، ومن بينها مشكل الديون وكان دوفال هذا معروفا في كل موانئ البحر المتوسط بأنه شخص فاسد ورجل دسائس ومؤامرات أكثر منه رجل دبلوماسي ، وكانت سمعته سيئة في أوساط الجزائر ومرسيليا ، وسوف يلعب أدوارا خطيرة في العلاقات بين بلده والجزائر [556] كما قامت حكومة لويس الثامن عشر بتحديد قيمة الديون المترتبة بقرار 28 أكتوبر 1819 م وفق إتفاقية عقدت بين البلدين وأتفق الجانبان بموجبها على أن مبلغ الدين هو سبعة ملاين من الفرنكات الذهبية [557] .

---

([554]) المرجع نفسه ، ص : 108

([555]) جمال قنان ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث ( 1500 – 1830 م ) ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، 2010 م ، ص : 352

([556]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 241 .

([557]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ، ج2 ، المرجع السابق ، ص : 208

ولما طال أمد تسديد الديون وتبين لليهود أن تسوية القضية لا تزال بعيدة المنال شرعوا في مفاوضات مهلكة ، فوقعوا سندات بمائة ألف فرنك وتنازلوا عنها بعشرين ألف لأن المهم عند هؤلاء هو الحصول على المال ، وفي هذه الأثناء تقرب بكري من قنصل فرنسا دوفال ووعده بمبلغ هام إن هو عمل على إسراع التصفية في باريس ، ويزعم البعض أنه أعطى المال نقدا إلى القنصل المذكور ، ويقول آخرون بأن القنصل لم يحصل إلا على الوعود ويقول حمدان خوجة عن نفسه ، أني لا أعرف شيئا إيجابيا عن هذا الموضوع ، وعليه فإني أكتفي بما سمعته من الناس ولكني أعرف أن كثيرا من المناورات وقعت بشأن هذه القضية حتى أن حسين باشا قرر أن يرسل بنفسه إلى الحكومة الفرنسية للإسراع بالتصفية دون أن يعلم بأن أعمال غير لائقة قد تمت في هذا الموضوع وأن السبب الوحيد الذي جعله يقبل التدخل في هذا الموضوع ، أن بكري كان جزائريا وأنه مدين لخزينة الإيالة ، فكان الباشا يأمل بعمله هذا أن يسترجع أموال الدولة [558].

واصل الداي حسين مطلبه حول تسديد الديون أين أرسل عدّة برقيات إلى الحكومة الفرنسية ، لكن دون ردّ منها جاهلا أن هذه الأخيرة لم تطلع على أي واحد من مطالبه المختلفة [559]، بعدها قام الداي بمكاتبة الملك الفرنسي نفسه ، لكنه لم يحصل على أي رد كذلك ، يقول الشريف الزهار : " إن الداي كلم القنصل الفرنسي عن الديون كما كلمه عن البناء الذي أقامه الفرنسيون في القالة ووضعوا به المدافع وسلم له كتابا إلى الملك الفرنسي ،وقد أجاب القنصل الفرنسي دون أن يجيب الداي ، وأمر الملك قنصله بتبليغ

---

([558]) حمدان بن عثمان خوجة ، المرآة ، تقديم وتعريب وتحقيق : محمد العربي الزبيري ، منشورات anep ، الجزائر ، 2005 م ، ص : 177

([559]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص ص : 352 ، 353 .

الداي أن الملك لن يرد على خطابه ، فإن أراد شيئا لا يكتب إليه بل يكلم القنصل إلا أن القنصل لم يبلغ الداي بالخبر " [560].

تطورت مسألة الديون وبلغت ذروتها مابين ( 1820 و 1826 ) ، ومما زاد في تعكير الوضع سوء العلاقة بين الداي والقنصل دوفال الذي تبين تورطه في الكثير من المسائل ، وانتهى تصرفه الطائش في النهاية إلى ما يعرف بحادثة المروحة فكيف جرت حيثياتها ؟

جرت العادة يقوم قناصل الدول الأوروبية المعتمدين لدى الجزائر بزيارة إكرام إلى الداي بمناسبة عيد الفطر ، وكان القنصل الإنجليزي والفرنسي يتنافسان الصدارة في هذه المناسبات ولذلك وتجنبا لكل مناقشة ، قرر الداي أن يستقبل الواحد عشية الإحتفال والآخر في يوم العيد نفسه ، وعلى هذا الأساس جاء السيد دوفال عشية عيد الفطر المصادف ليوم 29 أفريل 1827 م ليؤدي زيارته للداي بمحضر جميع أعضاء الديوان ، وبعد الحفل سأل الباشا القنصل لماذا لم تجبه حكومته عن برقياته العديدة الخاصة بمطالب بكري ، فكان جواب دوفال في منتهى الوقاحة إذ جاء كالآتي : " إن حكومتي لا تتنازل لإجابة رجل مثلكم " ، فلم يتمالك الداي نفسه من الغضب وضربه بالمروحة ضربة واحدة [561] .

وفي رواية عن الداي نفسه من خلال الرسالة التي وجهها إلى الصدر الأعظم بتاريخ 19 ديسمبر 1827 م يقول : " أنه سأل القنصل دوفال لماذا لا يصلني أي رد عن الرسائل الموجهة لحكومتكم ؟ فأجابني القنصل بعبارات مهينة ، أنه لا يمكن للملك ودولة فرنسا إرسال أجوبة للرسائل التي وجهتها إليها وتجرأ على إضافة كلمات مشينة عن الدين

---

( [560]) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص ص : 163 ، 164 .

( [561]) محمد بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص : 142 .

الإسلامي وجلالة السلطان ، وبما أنه لا يسعني تحمل تلك الاهانة التي تتجاوز الحد المعقول ضربته مرتين أو ثلاثة ضربات خفيفة بالمروحة التي كانت في يدي" [562] .

كان رد فرنسا على ذلك بإرسال قطعة من أسطولها أمام الجزائر بقيادة القبطان " كولي " وقد وصلت القطعة يوم 12 جوان 1827 ، وصعد القنصل دوفال إلى السفينة المسماة لابروفانس ، وجاء كولي يطلب من الباشا أن يأتي شخصيا إلى السفينة ويعتذر من القنصل ولما كان معروفا أن الباشا لن يرضى بذلك ، فقد اشتملت تعليمات كولي على مطالب أخرى هي :

- أن يستقبل الباشا القبطان ورئيس أركانه والقنصل بمحضر الديوان والقناصل الأجانب ويعتذر أمامهم إلى دوفال [563].
- أن يرسل الداي وفدا إلى الباخرة لابروفانس لتقديم اعتذار رسمي عمّا حصل للقنصل ويتكون الوفد من وكيل الحرج ووزير البحرية وضابط الميناء وهيئة الكتاب الأربعة .
- أن تطلق المدافع 100 طلقة تحية له .
- يرفع العلم الفرنسي على قصر الداي وأبراج وحصون المدينة .

تقضي هذه التعليمات أنه في حال عدم استجابة الباشا لواحد من الإقتراحات المذكورة يعلن الحصار رسميا على الجزائر ، وقد سلّم هذا الإنذار إلى الداي من طرف قنصل سردينيا الكونت " داتيلي " الذي أصبح يرعى المصالح الفرنسية في الجزائر بعد انسحاب دوفال [564].

---

([562]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص : 131 .

([563]) أبو القـــــاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 24 .

([564]) عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص : 631 .

كان رد الداي على داتيلي : " أتساءل لماذا لا يطلب الفرنسيون مني زوجتي كذلك " وبعد انقضاء مهلة 24 ساعة ، أعلن كولي الحصار في 15 جوان 1827 م أما الداي حسين من جهته كاتب باي قسنطينة بالاستلاء على المؤسسات الفرنسية وتدميرها .

**فرض الحصار :**

كانت فرنسا عازمة على تطبيق قرار فرض الحصار، وما حادثة المروحة إلا مبرر وذريعة مفتعلة ، ويظهر ذلك من خلال الشروط التعجزية المسطرة من طرف الجنرال كولي والتي كانت الحكومة الفرنسية عى علم مسبق أنها سترفض جملة وتفصيلا ، وعند رفض الداي لهذه الشروط تقرر الحصار يوم 15 جوان 1827 .

وضعت فرنسا بندها أن الداي سيتراجع ويرضخ ، ولهذا أمرت دوفال بأن يبقى على ظهر السفينة لابروفانس على أمل أن يستجيب الداي للمطالب ، إلا أن هذا الأخير رفض رغم الحصار الذي دام 3 سنوات ، مكلفا فرنسا خسائر مالية فادحة [565] ، هذا الحصار الذي لم يهتم به الداي حسين ، كما لم يهتم به سكان مدينة الجزائر بالنسبة للسفن الفرنسية الراسية على السواحل الجزائرية ،والتي قامت بالحصار البحري موجهة مدافعها صوب المدينة ، لأنهم اعتادوا على الحمالات الأوروبية والاعتداءات المتواصلة على الجزائر والتي هاجمت السواحل خلال السنوات الماضية ، فأعتبروا الحصار البحري الفرنسي مجرد حربية سرعان ما تزول وترحل كسابقاتها تجر أذيال الخيبة والهزيمة [566] ومن أهم أسباب الحصار الفرنسي للجزائر :

---

([565]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص : 136 .

([566]) عمار هلال ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصر ( 1830 – 1966 م ) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995 م ، ص ص : 137 ، 138

- اعتقاد فرنسا أن الجزائريين سيستسلمون بسهولة، آخذة الحسبان الظروف الصعبة التي مرت بها الإيالة من كوارث طبيعية ابتداءا من القرن ،18 والتي أفقدت الجزائر أكثر من نصف سكانها .
- الوضع الذي كانت تعيشه فرنسا قبيل الحصار من فوضى واضطرابات سياسية واجتماعية فظنت أن الحصار سيشغل الرأي الفرنسي خاصة إذ انتهى بالإنتصار .
- استعادة فرنسا لهيبتها التي فقدتها في مؤتمر فيينا [567].

كانت عدة الأسطول المحاصر للجزائر يتكون من 12 سفينة ،كانت تقوم بمراقبة الموانئ الجزائرية، وكانوا يوقفون بعض السفن المشبوهة ويحتجزون بعض السفن الأخرى ، ولكن هذا الحصار لم ينه عمليات القرصنة نهائيا ، ففي 3 أكتوبر وقعت معركة بين الأسطول الجزائري المكون من 12 سفينة والأسطول الفرنسي ، وقد دامت المعركة حوالي 4 ساعات و لم تسفر عن أي نتيجة بين الطرفين [568].

كانت تكاليف الحصار باهضة سواءا من حيث تكاليف الأسطول والبالغة قيمتها سبعة ملايين فرنك سنويا ، أو من حيث الخسائر التي لحقت بالتجارة الفرنسية أو من حيث الخسائر البشرية أيضا [569] ،كل ذلك جعل فرنسا تفتح باب المفاوضات مع الجزائر هادفة بذلك إلى إلغاء الحصار بصورة مشرفة ، ففي يوم 29 أفريل 1828 م ذهبت إلى الجزائر بعثة للتفاوض بقيادة الضابط " بيزار " ولكنها فشلت بسبب رفض الداي دفع تعويضات لفرنسا ، وقد تلتها عدة مفاوضات أخرى باءت بالفشل .

ونظرا لوجود معارضة قوية في البرلمان والخسارة الاقتصادية الكبيرة التي تسبب فيها الحصار ، وكذا الظروف الدولية الحاصلة قررت الحكومة الفرنسية أن تفاوض من جديد

---

([567]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص ص : 137 ، 138 .
([568]) أبو القـــــاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 27 .
([569]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 244 .

سنة 1829 م ، فأرسلت القبطان " دين يرسيا de nerciat " إلى الجزائر في مهمة نحو الباشا حسين على أن يفتح طريق التفاوض لقائد الحصار الجديد " بريتونيير " الذي خلف كولي بعد وفاته ، وتم الإجتماع بين الباشا وقائد الحصار ، ولكن النتيجة كانت سلبية فقد طلب قائد الحصار من الباشا إرسال وفد سامي إلى باريس للإعتذار والتفاوض ، ولكن الباشا رفض وأمر على عقد الصلح قبل إرسال الوفد [570].

أثناء عودة سفينة قائد الحصار " لابروفانس " بعد الخيبة في المفاوضات أبحرت باتجاه فرنسا ، وبدلا من تأخذ طريقا مباشرا مالت كثيرا إلى الساحل واقتربت من التحصينات الحربية حتى ظن بعض القادة الجزائريين أنها تتجسس عليهم ، فأمر بإطلاق النار حولها لتبتعد و لم يكن الغرض هو تدميرها ، وإلا لما تعذر ذلك لأنها كانت قريبة جدا من مرمى المدفعية [571] ،وثم وصلت أنباء قصف الجزائريين للسفينة لابروفانس إلى الملك شارل العاشر فأغتاظ للأمر ، رغم اعتذار الداي وعزله للوزير ورئيس المدفعية [572] .

خلال هذه الفترة سقطت حكومة " مارتينياك " وخلفه " بولونياك " الذي اعتقد أنه سيجد حلا للمشكلة وذلك بتجريد حملة برية وعسكرية من الجزائر مع إشراك " محمد علي "حاكم مصر ، لكن هذا الأخير طلب من فرنسا أن تقرضه 20 مليون فرنك تدفع خلال عشر سنوات ،وأن تمنحه أربع بوارج حربية هبة كي يسعى للسيطرة على طرابلس وتونس والجزائر [573].

فشل هذا المشروع نظرا لهذه الشروط الباهضة التي فرضها محمد علي على فرنسا ، وكذا التخوف من بريطانيا والدولة العثمانية لمنع وصول الأسطول إلى الجزائر ، وعلى

---

([570]) أبو القـــــاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 29 .

([571]) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص : 146 .

([572]) المصدر نفسه ، ص : 146 .

([573]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 245 .

حسب الوثائق العثمانية أن شارل العاشر رفض أن تكون السفن الفرنسية تحت راية ملة أخرى ، وبهذا الرفض الملكي انقطعت المباحثات بين الطرفين ، وسعت فرنسا إلى تنفيذ حملتها على الجزائر بنفسها [574].

### ج. الحملة الفرنسية على الجزائر :

بعد الحصار الفرنسي على الجزائر والذي دام ثلاث سنوات ( 1827 م – 1830 م ) ،سحبت فرنسا سفنها بعدما لم تحقق النتائج المرجوة منها ، وقد كلفها الحصار خسائر مادية دون الحصول على اعتذار من طرف الحكومة الجزائرية ، فقررت ارسال حملة عسكرية إلى الجزائر في 31 جانفي 1830 م لإحتلالها بشكل مباشر ، وكانت أهداف الحملة حسب القنصل الفرنسي في لندن الدوق دوفال الذي صرح بها يوم 12 ماي 1830 م ،بأنها ترمي بشكل خاص إلى القضاء على القرصنة والإسترقاق في المتوسط ، وكذلك للتخلص من دفع الضرائب والإتاوات التي كانت تدفعها الدول الأوروبية نظير مرورها في البحر المتوسط تحت حماية الأسطول الجزائري ، وطبعا حسب ماقال بأن الحملة تهدف إلى تأديب الجزائر واسترجاع شرف فرنسا. [575]

وبعد ان تقررت الحملة عملت فرنسا على إقناع الرأي العام الداخلي والعالمي ، فأجرت عدة مباحثات واتصالات مع الدول الأوروبية تشرح لهم الدوافع التي أجبرت فرنسا على اتخاذ ذلك ، وكان الفرنسيون قد وضعوا خطة محكمة وجيدة ، فأظهرت روسيا تأيدها للعمل الفرنسي وشجعتها على ذلك ، أما بروسيا والنمسا فكانتا مسرورتين لذلك [576].

---

([574]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص : 147.

([575]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 147 .

([576]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 637 .

كما قبلت إسبانيا استعمال موانئها وإقامة مستشفى في ماهون بالبليار لعلاج المرضى والجرحى [577]، ولم تعترض سوى إنجلترا مخافة مصالحها بالبحر المتوسط وشمال إفريقيا ، فسعت جاهدة للتأثير على الجزائر وإسطنبول وأيضا باريس من أجل إيقاف هذا العمل الحربي ، أما فيما يخص دول الجوار تونس والمغرب الأقصى فقد أيدتا الحملة ضد الجزائر ، فباي تونس كان طامعا في أراضي الشرق الجزائري ، كما منع مرو " طاهر باشا " مبعوث السلطان إلى الجزائر عبر أراضيه وسمح أيضا بتموين الحملة من موانئه ومنع مرور البارود والجند الأتراك [578] ،وتوج أعماله بإرسال وفد لتهنئة " ديبرومون " بعد أن أطاح هذا الأخير بالحكومة الجزائرية ، أما المغرب الأقصى فكان مثل تونس طامعا في التوسع نحو غرب الجزائر وسمح بتموين الحملة من موانئه .

أما الدولة العثمانية فقد سعت جاهدة من أجل إيقاف الحملة ، فأرسلت " خليل أفندي " إلى الجزائر من أجل إيجاد حل للنزاع القائم بين البلدين ، إلا أنه لم يوفق فقرر الباب العالي إرسال مبعوث ثان هو " طاهر باشا " ومنحه صلاحيات واسعة في معالجة المسألة الجزائرية الفرنسية [579]، ولكن هذا الأخير منع من الدخول إلى الجزائر من طرف الفرنسيين دون حصوله على رخصة للمرور من طرف قائد الحصار ، لأجل ذلك غير طاهر باشا وجهته وقرر أن يدخل الجزائر عبر أرض تونس ، إلا أن باي تونس رفض ذلك خوفا من القوات الفرنسية وعلى إثر هذا الموقف الرافض اضطر طاهر باشا بالتوجه إلى

---

([577]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 246 .

([578]) أحمد بن أبي الضياف ، المصدر السابق ، ص : 213 .

([579]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص ص : 149 ، 150 .

فرنسا لمناقشة الوضع ، إلا أنه فشل أمام إصرار فرنسا في إرسال الحملة ، فرجع طاهر باشا إلى إسطنبول دون تحقيق أهدافه [580] .

باشرت فرنسا عملها الفعلي في الإعداد للغزو ، فبعثت الجنرال " بورمونت " قائدا عاما للجيش والأميرال " دوبري " قائدا للأسطول ، وقد تطلب الإعداد المادي حوالي 3 أشهر حشدت فيها كافة الإمكانيات اللازمة ، فبلغ عدد الجيش 30 ألف جندي و 4 ألاف حيوان [581]، وأصبح العتاد جاهزا في الأيام الأولى من شهر ماي أين تجمعت في ميناء طولون ومرسيليا حوالي مائة بارجة تمتلكها الدولة وخمسامائة سفينة تجارية ، كما جمعت كميات ضخمة من الملابس والخيام والأغطية والأغذية ، وكمية ضخمة من الخراطيش بلغت 5 ملاين خرطوشة و 280 ألف كلغ من البارود [582] ،وقد تم إحصاء أكثر من ألف وخمسين مدفعا محملة على سفن الأسطول .

كانت انطلاقة الحملة من ميناء طولون الحربي يوم 25 ماي 1830 م ووصلت طلائعها إلى الجزائر في أوائل شهر 1830 م ، فنزل الجنود بشاطئ " سيدي فرج " في 14 جوان دون أي مقاومة تذكر ومكثوا هناك 4 أيام في انتظار إمدادات أخرى. [583]

كان الداي حسين على علم بتفاصيل الحملة ، ولكنه اعتقد بأنها ستكون بحرية شأنها شأن باقي الحملات الأوروبية السابقة ، ومادامت الواجهة البحرية محصنة فلا خوف من عواقبها واعتقد أن الفرنسيين سيجنحون للتفاوض نظرا لكثرة مراسلاتهم السابقة [584]

---

([580]) سفيان صغيري ، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر ( 1671 – 1830 م ) ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة 2011 / 2012 م ، ص : 170

([581]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص ص : 638 ، 639 .

([582]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 247 .

) عمار عمورة ، موجز في تاريخ الجزائر ، ط1 ، دار الريحانة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2002 م ، ص : 14[583])

([584]) أبو القـــــاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 36 .

،وهذه الثقة هي التي منعته من تحصين سيدي فرج ، يقول حمدا خوجة : " في سيدي فرج لم تحضر المدفعية و لم تحفر الخنادق " [585] ضف إلى ذلك تعينيه للآغا إبراهيم مكان الآغا يحي الذي أعدم سنة 1828 بعد وشاية مفادها أنه يخطط للإنقلاب ضد الداي والحصول على السلطة [586] .

تولى صهر الداي الآغا إبراهيم مهمة قيادة الجيش في أوت 1829 م ، إلا أنه لم يكن بالقائد الكفئ ، حيث يقول عنه الزهار : " لم يكن قائدا ممتازا في يوم من الأيام و لم يعرف الشيئ الكثير عن التكتيك الحربي ، فقد كان مثل الحمار لا يعرف إلا الأكل والنكاح "، [587] بل أكثر من ذلك ، فبالإضافة إلى عدم قيامه بالإستعداد للحرب كان معارضا لمقترحات زملائه أمثال " الحاج أحمد " باي قسنطينة الذي نصحه بعدم تعريض الجيش كله إلى لقاء العدو ووجوب مقاومة العدو في حرب مناوشات وليس بحرب مواجهة ، إلا أن رد الآغا إبراهيم كان سلبيا ومثبطا ، فأجاب الباي بأنه لا يعرف التكتيك الحربي الأوروبي الذي يخالف التكتيك الحربي العربي [588].

لم يأخذ الآغا إبراهيم بنصيحة أحمد باي ، فكانت الهزيمة في اسطوالي يوم 19 جوان 1830 م يقول حمدان خوجة : " عندما وقعت هزيمة أسطوالي غادر الآغا المعسكر وكله يأس كما لو أنه فقد رأسه ، لقد ترك كل شيئ الخيم فرق الموسقى و جيشه بأكمله و لو أن دوبرمون سير جيشه في ذلك اليوم إلى حصن الإمبراطور لما لقي أية صعوبة " [589].

---

([585]) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص : 190 .
([586]) أبو القـــــاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 37 .
([587]) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص : 88 .
([588]) أبو القـــــاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 38 .
([589]) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص : 196 .

وبعد هزيمة اسطوالي اجتمع الداي بالبايات واتفق على تحصين حصن الإمبراطور " البرج مولاي الحسن " لمواصلة المقاومة ، إلا أن كثافة العتاد الفرنسي وقوة مدفعيته حالت دون انتصار الجزائريين ، يقول الزهار : " نصبت فرنسا مايزيد عن 200 مدفع وصارت تضرب الحصن وتهدم البرج وصار قتال كبير مات خلاله خلق كثير من الفرقين " (590) وانتهت المقاومة بعد سقوط حصن الإمبراطور يوم 4 جويلية فلم يبق للسلطة الجزائرية سوى أحد الأمرين ، إما مواصلة المواجهة و إما الاستسلام ، وكان الاستسلام قرار الداي الذي وقع عليه وفق معاهدة 5 جويلية 1830 م والتي تضمنت مايلي :

- تسليم القصبة وكل الحصون التابعة للجزائر وكذلك ميناء هذه المدينة للقوات الفرنسية هذا الصباح على الساعة العاشرة .
- يتعهد القائد العام للجيش الفرنسي لسمو داي الجزائر بأن يترك له حريته وكذا كل ثروته الشخصية .
- يستطيع الداي أن ينسحب مع عائلته وكل ثرواته الشخصية إلى أي مكان يختار الإستقرار فيه مادام مقيما في الجزائر ، فإنه يكون هو وعائلته تحت حماية القائد العام للجيش الفرنسي وستقوم فرقة من الحرس بضمان أمنه وعائلته .
- يؤمن القائد العام لجميع أفراد الميليشيا نفس الامتيازات ونفس الحماية .
- تبق ممارسة الديانة المحمدية حرّة ولن ينال من حرية السكان من جميع الطبقات ولا من ديانتهم وممتلكاتهم وتجارتهم وصناعتهم .
- إن القائد العام يتعهد بشرفه على احترام ذلك (591)

هكذا أثبتت الحملة الفرنسية مدى الضعف الذي آلت إليه الإيالة الجزائرية في هذه الفترة ، وشرع الأهالي في المقاومة بعد أن تأكد لهم سوء نية فرنسا وإخلالها ببنود الاتفاق

---

(590) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص : 174 .

(591) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 368 .

المبرم بين الداي حسين وقائد الحملة ، لتدخل الجزائر بعدها في عهد جديد خاضع للسيطرة الاستعمارية رغم المساعي الحثيثة من طرف الخلافة العثمانية لاسترجاع الجزائر ولكن دون جدوى فقد باءت جميع مساعيها الدبلوماسية بالفشل .

# خاتمة

بعد دراستنا لموضوع الصراع السياسي و العسكري بين الجزائر و الدول الأروبية في البحر الأبيض المتوسط خلال القرنين 17 و 18م توصلنا إلى عدة نتائج يمكن حصرها و عرضها في النقاط التالية :

- أن البحر الأبيض المتوسط منطقة حضارية بامتياز حيث شكل موقعه نقطة هامة في استراتيجية كل الدول المطلة عليه فهو الرابط بين ثلاث قارات وبين محيطين. وعلى ضفافه دول عظمى لها تاريخ .

- شكل البحر الأبيض المتوسط بؤرة الصراع و مركز التوتر خاصة بين الضفة الشمالية و الضفة الجنوبية ،ولعل أبرز دوافع هذا الصراع :الأهمية الجغرافية و التجارية للمتوسط كونه أهم طريق تجاري عالمي ربط بين أجزاء العالم القديم ،كما شكل أيضا منطقة صراع ديني بين المسيحية و الاسلام حيث لعب الدين دوره في تغيير موازين القوى في هذا الجزء من العالم.

- أن الصراع السياسي و العسكري على البحر الأبيض المتوسط ليس وليد الفترة الحديثة و إنما هو ضارب بجذوره في التاريخ فهو قديم قدم الحضارات التي استوطنت سواحله.

- أن ظهور الدولة العثمانية كقوة لها ثقلها و مركزها بالبحر المتوسط ،قد ساهم فيه عديد العوامل السياسية و الاقتصادية التي شهدتها منطقة الأناضول خاصة ،و أوروبا و باقي بلدان البحر المتوسط عامة.

- أن الدولة العثمانية منذ نشأتها و تأسيسها على يد عثمان بن أرطغرل ، قد اعتمدت على القوة و على السياسة الرشيدة لسلاطينها في توسيع رقعة الدولة متخذين من الإسلام هدفهم المنشود من أجل الدفاع عنه و نشره في الأقاليم الأوروبية ،و تمكنت بعد حوالي قرن و نصف من تأسيسها من أن تصبح قوة إقليمية يحسب لها ألف حساب ،خاصة و أنها وصلت بفتوحاتها إلى الجنوب الاوروبي، و كذا السيطرة الكاملة على البحر الابيض المتوسط و كافة مداخله.

- ظلت منطقة المغرب الاسلامي تتمتع بوحدتها إلى غاية القرن الثالث عشر ميلادي في ظل دولة الموحدين ،وما لبثت إلى أن إنقسمت إلى ثلاثة كيانات سياسية متصارعة ، حيث كانت الامارة الحفصية بتونس ،و الزيانية بالجزائر ،و الإمارة المرينية بالمغرب الأقصى .في حين شهدت إسبانيا تطورات هامة إزاء وحدتها عام 1467م من جراء الزواج السياسي للملك فرديناند و الملكة ايزابيلا، اللذان عملا على تصفية التواجد الإسلامي باسبانيا ،لتتواصل حروبهم و تضم احتلال السواحل الإفريقية كسبتة و مليلية و المرسى الكبير و غيرها .

- كادت إسبانيا أن تثبت أقدامها بسواحل المغرب، إلا أن بروز الإخوة بربروس في البحر المتوسط غير مسار الأحداث ،حيث استحدثوا لأنفسهم أسطولا بحريا و تمكنوا من اتخاذ جزيرة جربه قاعدة بحرية لنشاطاتهم.

- استنجاد الجزائريين بالإخوة بربروس لتخليصهم من بطش الاسبان عن طريق رسالة أوفدوها إلى السلطان سليم الأول ، حيث أثمرت جهود الأخوين على الاستقرار بمدينة الجزائر و ضمها للخلافة العثمانية كنيابة جديدة تابعة لها عام 1518م ، و بظهور هؤلاء الأخوة شهدت منطقة المغرب الإسلامي تطورات متسارعة ، تمخض عنها ميلاد دولة جزائرية فرضت نفسها كقوة جديدة و مؤثرة في تاريخ البحر

المتوسط ، حيث لعبت بذلك دورا هاما في الأحداث العالمية لهذا الحوض البحري طيلة ثلاثة قرون.

- إن الصراع السياسي و العسكري لايالة الجزائر مع القوى الأوروبية يفهم من علاقاتها الخارجية التي تراوحت بين السلم و الحرب فالدول الأوروبية كانت تحافظ على السلم في الوقت التي ترى فيه أنها ضعيفة ،أما إذا استقوت فتعلن الحرب و تنظم الحملات العسكرية.

- كانت فرنسا الدولة الأوروبية الوحيدة التي عرفت نوعا من الخصوصية في علاقاتها الدبلوماسية مع الجزائر و التي تعود إلى 1535م ،وقد اتسمت هذه العلاقة بالسلم و التعاون تارة و الحرب و القطيعة تارة أخرى .إذ تم ابرام العديد من المعاهدات التي فاقت في عددها جميع ما أبرمته الجزائر مع غيرها من الدول.

- عدم احترام فرنسا لنصوص المعاهدات المبرمة بين البلدين حيث كانت السباقة لنقضها ،فبمجرد وجود الفرصة السانحة حتى تسير حملة عسكرية ضد ايالة الجزائر ، و نخص بالذكر الحملة العسكرية التي استهدفت مدينة جيجل عام 1664م،و كذا حملتي دوكين عامي 1682م و 1683م ،و حملة المريشال دوستري عام 1688م، و الهدف المرجو من هذه الحملات هو ضرب قوة الأسطول الجزائري .

- الدور الفعال للأسطول البحري الجزائري في ردع الحملات الخارجية الموجهة ضد الجزائر، حيث واجهت الايالة بمفردها هذه الحملات دون التدخل من الباب العالي أو مساعدة من دول الجوار الذين اكتفوا بالتعبير عن رفضهم لتجاوزات الدول الأوروبية .

- أن العلاقات الجزائرية البريطانية اصطبغت بطابع السلام المشوب بالحذر ،و ذلك من أجل حماية مصالحها الاقتصادية ،حيث بلغ عدد المعاهدات المبرمة بين البلدين إلى ما يقارب 27 معاهدة.

- أن السياسة البريطانية اتجاه الجزائر كانت ترمي إلى نفس الأهداف التي كانت تسعى غريمتها فرنسا لتحقيقها . كما انتهجت بريطانيا نفس الأسلوب الفرنسي في تسيير حملات عسكرية ضد الجزائر إلا أنها أقل عددا من الهجمات الفرنسية.

- اعتراف الجزائر باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية بعدما كانت مستعمرة تخضع للنفوذ البريطاني ، و التي سعت كمثيلتها من الدول إلى إبرام معاهدات سلم و صداقة مع الجزائر من أجل حماية تجارتها في البحر الأبيض المتوسط.

- اتسمت العلاقات الجزائرية الامريكية بطابع الاستقرار إلى غاية 1812 م ،لتتحول بعد ذلك إلى توتر و خاصة بعد انتهاء الحرب الأمريكية البريطانية.

- قررت الولايات المتحدة حل مسألة الجزائر بصفة نهائية ،حيث كانت متأكدة من أنها ستجبر الجزائر على الرضوخ لمطالبها ، بسبب تدهور الأوضاع الداخلية في الجزائر نتيجة للصراع بين الدايات والإنكشارية ، فضلا عن أن الولايات المتحدة حاولت الاستفادة من قرارات مؤتمر فيينا عام 1815 م ، والذي قررت فيه الدول الأوروبية إنهاء الاعتداءات على سفنها في البحر المتوسط.

- أن العلاقات الجزائرية التونسية خضعت لمسألة الحدود مع البلدين و التي أثارتها في غالب الأحيان قبائل الحدود ،و التي انتهت في مجملها إلى تسيير حملات عسكرية برية عاد الانتصار في أغلبها إلى الجيش النظامي الجزائري.

- رفض تونس لمسألة التدخل الجزائري في الشأن الداخلي للبلاد في حين نجد هذ التدخل يكون بطلب من حكام تونس من أجل تثبيت سلطانهم ، أو حين تمتنع تونس من آداء الضريبة المفروضة عليها.

- أن هذه الصراعات الإقليمية بين البلدين قد أثرت سلبا عليهما و التي خلفت خسائر مادية و بشرية معتبرة.

- امتازت العلاقات الجزائرية المغربية بالعداء الشديد في معظم الأحيان نتيجة الخلافات المستمرة بينهما على مشكل الحدود.

- أن هذه العلاقات تخللتها فترات من السلم و التعاون المتبادل خاصة خلال القرن 17م، كما شهدت تجدد الصراع بين الدولتين لينتهي باتخاذ واد التافنة كحد فاصلا بين البلدين.

- أن الأطماع التوسعية لكل من تونس و المغرب على حساب الايالة الجزائرية قد قادتهما للاتفاق على شن هجوم موحد ضد الجزائر إلا أن هذا المخطط باء بالفشل .

- تميزت السياسة الضريبية المجحفة و تسلط الحكام ، إلى ظهور العديد من الفتن و التمردات المناهضة للسلطة كثورة ابن الاحرش و ثورة درقاوة ،و التي كادت ان تعصف بالحكم وكلفت الدولة الكثير لإخمادها .

- الدور الفعال لليهود في تأزم العلاقات الجزائرية الفرنسية و اتخاذ فرنسا من حادثة المروحة كذريعة لتمرير مشروع الاحتلال .

- فرض الحصار البحري على الجزائر بعد رفض الداي الانصياع إلى أوامر فرنسا ،و الذي دام ثلاث سنوات ،و الذي أثر على الاقتصاد الجزائري و كذا على الخزينة الفرنسية لغلاء تكاليف الحصار.

- إن الحملة الفرنسية قد قضت على سيادة الدولة الجزائرية و أثبتت مدى الضعف الذي ألت إليه هذه الايالة، لتدخل الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي عام 1830م.

و في الاخير نقول أن هذه الاستنتاجات التي خلصنا اليها لاتعدوا أن تكون مجرد أراء و نتائج قابلة للمناقشة و النقد و التعديل ، في انتظار دراسات مستقبلية مدعمة بوثائق جديدة .كما نرجو أن نكون قد وفقنا في انجاز عملنا هذا و لو بشكل جزئي .

## ملحق رقم ( 1 )

## صورة للأخوين عروج و خير الدين بربروس [592]

([592]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ، ص ص 132-134 .

ملحق رقم ( 2 )

**مدينة الجزائر في القرن 16 ميلادي** [593]

( [593]) مذكرات خير الدين بربروس ، المصدر السابق ، ص 127 .

ملحق رقم ( 3 )

**الرئيس الأمريكي جورج واشنطن [594]**

( [594]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ، ص : 117.

ملحق رقم ( 4 )

**رسالة مفاوضات بين الولايات الأمريكية و داي الجزائر** [595]

( [595]) وليام شالر ، مذكرات وليام شالر ،ص 321 .

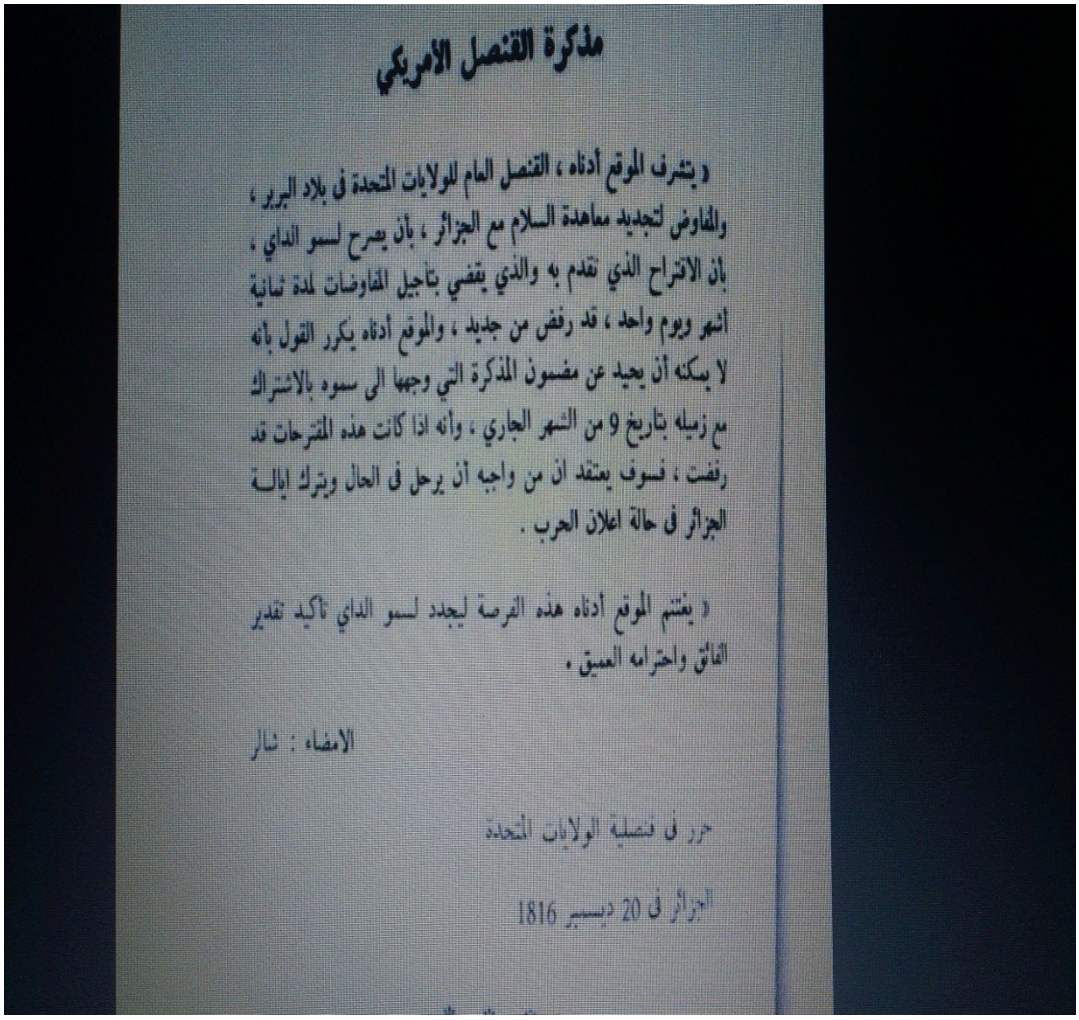

مذكرة القنصل الأمريكي

« يتشرف الموقع أدناه ، القنصل العام للولايات المتحدة فى بلاد البربر ، والمفاوض لتجديد معاهدة السلام مع الجزائر ، بأن يصرح لسمو الداي ، بأن الاقتراح الذي تقدم به والذي يقضي بتأجيل المفاوضات لمدة ثمانية أشهر ويوم واحد ، قد رفض من جديد ، والموقع أدناه يكرر القول بأنه لا يمكنه أن يحيد عن مضمون المذكرة التي وجهها الى سموه بالاشتراك مع زميله بتاريخ 9 من الشهر الجاري ، وأنه اذا كانت هذه المقترحات قد رفضت ، فسوف يعتقد ان من واجبه أن يرحل فى الحال ويترك اياله الجزائر فى حالة اعلان الحرب .

« يغتنم الموقع أدناه هذه الفرصة ليجدد لسمو الداي تأكيد تقدير الفائق واحترامه العميق .

الامضاء : شالر

حرر فى قنصلية الولايات المتحدة

الجزائر فى 20 ديسمبر 1816

ملحق رقم ( 5 )

**معاهدة سلم و صداق بين الولايات الامريكية و الجزائر** **(596)**

( [596]) مذكرات كاثكارت ، المصدر السابق ، ص 259.

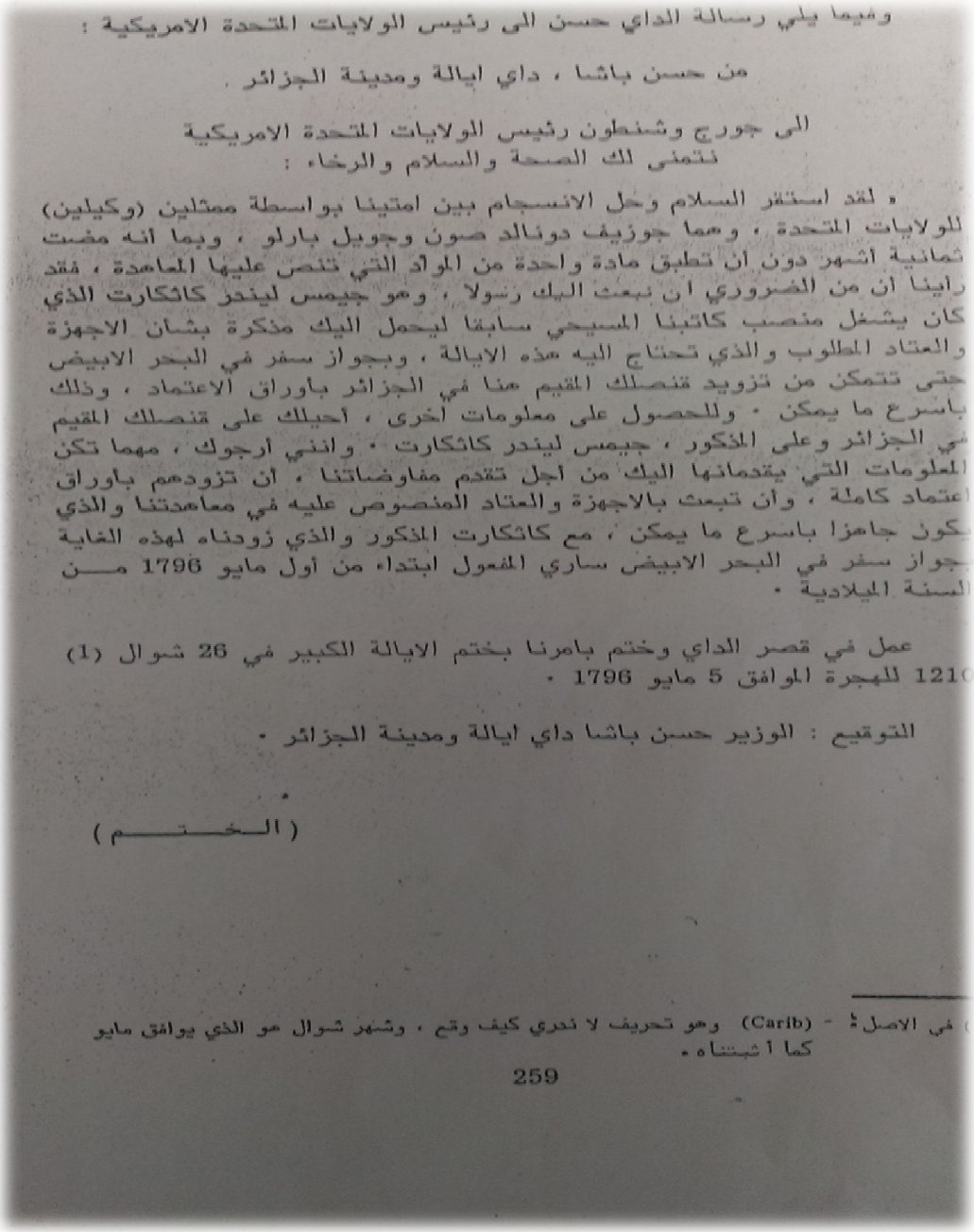

وفيما يلي رسالة الداي حسن الى رئيس الولايات المتحدة الامريكية :

من حسن باشا ، داي ايالة ومدينة الجزائر .

الى جورج وشنطون رئيس الولايات المتحدة الامريكية
نتمنى لك الصحة والسلام والرخاء :

« لقد استقر السلام وحل الانسجام بين امتينا بواسطة ممثلين (وكيلين) للولايات المتحدة ، وهما جوزيف دونالد صون وجويل بارلو ، وبما انه مضت ثمانية أشهر دون أن تطبق مادة واحدة من المواد التي تنص عليها المعاهدة ، فقد رأينا أن من الضروري أن نبعث اليك رسولا ، وهو جيمس ليندر كاثكارت الذي كان يشغل منصب كاتبنا المسيحي سابقا ليحمل اليك مذكرة بشأن الاجهزة والعتاد المطلوب والذي تحتاج اليه هذه الايالة ، وبجواز سفر في البحر الابيض حتى تتمكن من تزويد قنصلك المقيم هنا في الجزائر بأوراق الاعتماد ، وذلك باسرع ما يمكن . وللحصول على معلومات أخرى ، أحيلك على قنصلك المقيم في الجزائر وعلى المذكور ، جيمس ليندر كاثكارت . وانني ارجوك ، مهما تكن المعلومات التي يقدمانها اليك من أجل تقدم مفاوضاتنا ، أن تزودهم بأوراق اعتماد كاملة ، وأن تبعث بالاجهزة والعتاد المنصوص عليه في معاهدتنا والذي يكون جاهزا باسرع ما يمكن ، مع كاثكارت المذكور والذي زودناه لهذه الغاية بجواز سفر في البحر الابيض ساري المفعول ابتداء من أول مايو 1796 من السنة الميلادية .

عمل في قصر الداي وختم بامرنا بختم الايالة الكبير في 26 شوال (1) 1210 للهجرة الموافق 5 مايو 1796 .

التوقيع : الوزير حسن باشا داي ايالة ومدينة الجزائر .

( الختم )

(1) في الاصل : - (Carib) وهو تحريف لا ندري كيف وقع ، وشهر شوال هو الذي يوافق مايو كما أثبتناه .

259

ملحق رقم ( 6 )

**اللورد إيكسماوث [597]**

( [597]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ، ص : 203 .

ملحق رقم ( 7 )

**نص معاهدة الهدنة بين اللورد اكسماوث الانجليزي و الداي عمر باشا [598]**

( [598]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ،ج2 ، المرجع السابق ، ص : 199 .

نص المعاهدة العربي التي عقدت بين عمر باشا والبورد اكسموث .

الحمد لله .

العهد والشروط التي صارت وتمت فيما بين حضرة الجناب العلي عمر باشا متاع (74) ( كذا ) المدينة المجاهدة وبلاد الجزائر وبين حضرة الجناب العلي ادوارد بارون اكسموث كواليز ( كذا ) (75) علامة الصليب الكبير متاع ( كذا ) باشا المنسوب لاعلى الغزو وقبطان باشا على عمارة بيرق الانكلترة الازرق ، وراس حاكم على كل السفاين ( كذا ) والشقوف متاع دولة الانكليز العلية الموجودين في بحر الشرق وهذا اعتبارا وكذلك لعظم المنافع والفائدة التي اشتهرت من طرف حضرة الجناب العلي الامير الفاعل المفوض والوكيل السلطاني متاع دولة الانكلترة العلية في انتها ( كذا ) وعدم اسار (76) ( كذا ) النصارى حضرة الجناب العلي عمر باشا متاع الجزائر علامة لصدق ارادته بدوام صحبته مع دولة الانكليز العلية واشتهارا لودة وعظم اعتباره لطرف دول الاوروبة ( كذا ) قد يشهر ويبين على انه اذا امكنت وظهرت عداوة مع اي دولة كانت من دول الاوروبة لم يكون ( كذا ) احدا من الاسارا معدود تحت العبودية ، ولكن يكونوا مسجونين لاجل العداوة وينظروا لهم بكل حنان بحال اسارات الحرب ، الى ان يكونوا بالبدل كالعادة الجارية في الاوروبة في ذلك الامر ، وبعد انتهاء العداة يرسلوهم الى بلادهم من غير فداء . والعادة الاولى التي كانت تنص على اسارات النصارى متوع الحرب ، انهم يكونوا عبيدا ، فمن اليوم وقدام (77) تلك العادة المذكورة تكون باطلة ومكورة الى الابد وعلى ما دام والحق سبحانه وتعالى عالم وشاهد بذلك وهو خير الشاهدين .

هذا العهد قد تحرر ( كذا ) نسختين في المدينة المجاهدة محروسي بلاد الجزائر يوم الاثنين المبارك يوم رابع من شهر شوال سنة 1231 من الهجرة

ملحق رقم ( 8 )

## بروتوكول إيكس لاشابيل [599]

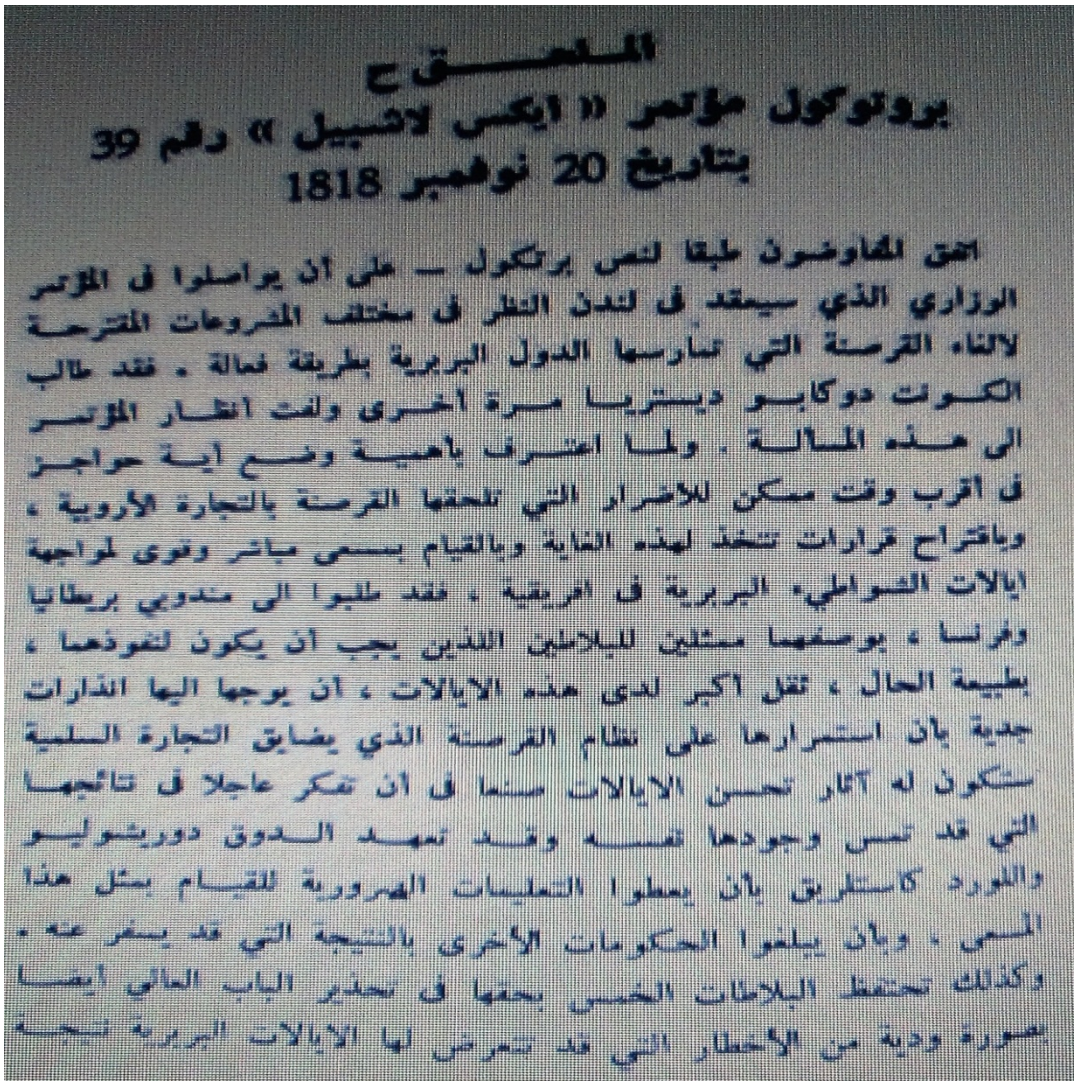

المحضر

بروتوكول مؤتمر « ايكس لاشبيل » رقم 39
بتاريخ 20 نوفمبر 1818

اتفق المفاوضون طبقا لنص بروتكول ــ على أن يواصلوا فى المؤتمر الوزاري الذي سيعقد فى لندن النظر فى مختلف المشروعات المقترحة لالغاء القرصنة التي تمارسها الدول البربرية بطريقة فعالة . فقد طالب الكونت دوكابو ديستريا مرة أخرى ولفت انظار المؤتمر الى هذه المسألة . ولما اعترف باهمية وضع اية حواجز فى أقرب وقت ممكن للاضرار التي تلحقها القرصنة بالتجارة الأوربية ، وباقتراح قرارات تتخذ لهذه الغاية وبالقيام بسعي مباشر وقوى لمواجهة ايالات الشواطيء البربرية فى افريقية ، فقد طلبوا الى مندوبي بريطانيا وفرنسا ، بوصفهما مستلين للبلاطين اللذين يجب أن يكون لتفوذهما ، بطبيعة الحال ، ثقل أكبر لدى هذه الايالات ، أن يوجها اليها انذارات جدية بأن استمرارها على نظام القرصنة الذي يضايق التجارة السلمية ستكون له آثار تحسن الايالات صنعا فى أن تفكر عاجلا فى نتائجها التي قد تمس وجودها نفسه وقد تعهد الدوق دوريشوليو واللورد كاستلريق بأن يعطوا التعليمات الضرورية للقيام بمثل هذا المسعى ، وبأن يبلغوا الحكومات الأخرى بالنتيجة التي قد يسفر عنه . وكذلك تحتفظ البلاطات الخمس بحقها فى تحذير الباب العالي أيضا بصورة ودية من الأخطار التي قد تتعرض لها الايالات البربرية نتيجة

( [599]) وليام شالر ، مذكرات وليام شالر ، ص : 323 .

ملحق رقم ( 9 )

## نص معاهدة بين اللورد اكسماوث و الداي [600]

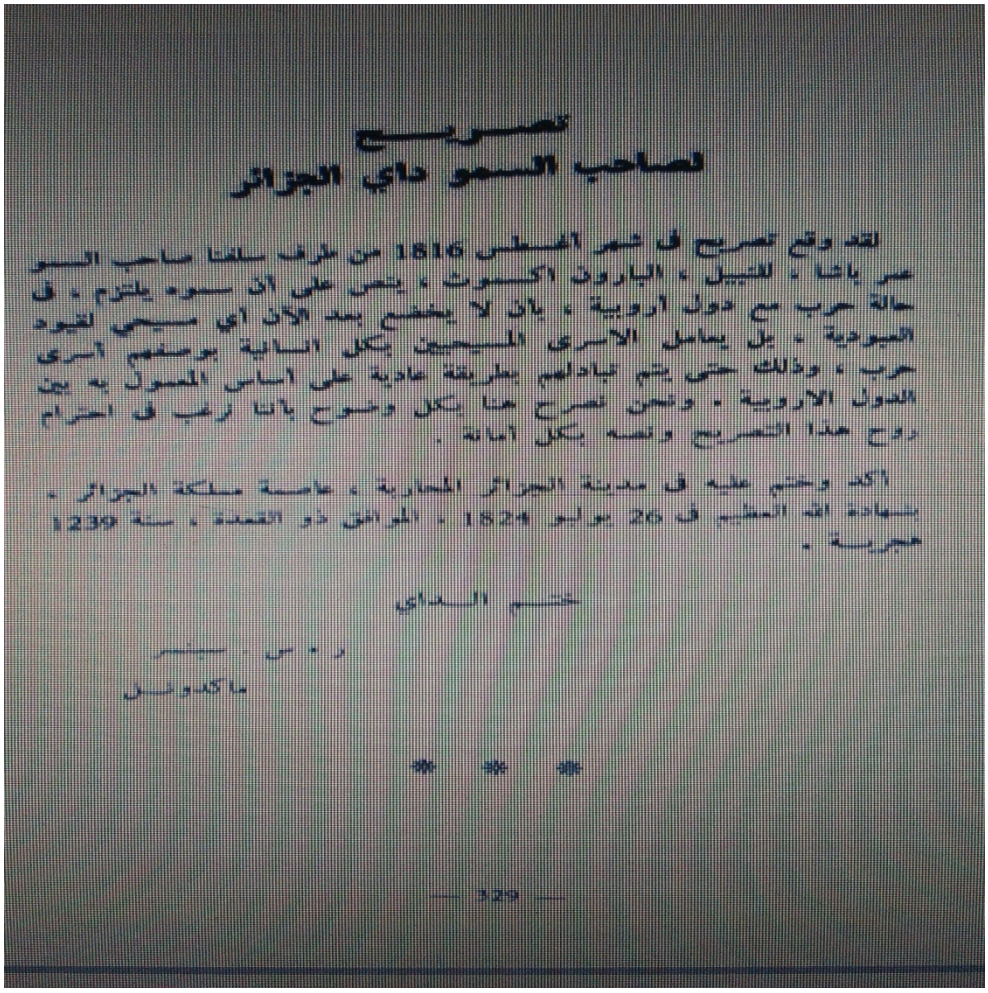

تصريح
لصاحب السمو داي الجزائر

لقد وقع تصريح في شهر افريل 1816 من طرف سلفنا صاحب السمو عمر باشا ، للنبيل ، البارون اكسموث ، ينص على أن سموه يلتزم ، في حالة حرب مع دول أوروبية ، بأن لا يخضع بعد الآن أي مسيحي لقيود العبودية ، بل يعامل الأسرى المسيحيين بكل انسانية بوصفهم أسرى حرب ، وذلك حتى يتم تبادلهم بطريقة عادية على أساس المعمول به بين الدول الاوروبية . ونحن نصرح هنا بكل وضوح بأننا نرغب في احترام روح هذا التصريح ونصه بكل أمانة .

أكد وختم عليه في مدينة الجزائر المحاربة ، عاصمة مملكة الجزائر ، بسعادة الله العظيم في 26 يوليو 1824 ، الموافق ذو القعدة ، سنة 1239 هجرية .

ختم الداي

ر . س
ماكدونل

* * *

— 329 —

---

([600]) وليام شالر ، مذكرات وليام شالر ، ص : 329.

## فهرس المصادر و المراجع:

**القرأن الكريم :** برواية ورش عن نافع.

**أ. المصادر :**


1. ابن المفتي حسين بن رجب شاوش ،تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر و علمائها،جمع و اعتناء :فارس كعوان،ط:1، بيت الحكمة،الجزائر ،2008
2. ابن حوقل أبي القاسم ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1972 م.
3. ابن خلدون عبد الرحمان ، المقدمة ، ج1 ، مر : سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 2001 م.
4. ابن سحنون أحمد بن علي الراشدي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تح : المهدي بو عبدلي ، الجزائر ، 1983 م.
5. آصاف حمزة عزتلو يوسف بك ، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الان ، تق : محمد زينهم محمد عزب ، ط : 1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1995 م.

6. الأفراني محمد الصغير بن الحاج ، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، تح : هوداس ،مطبعة أرنست لوروا ، باريس ،1889 .

7. بن أبي الضياف أحمد ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، ج2 ، لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار ، المكتبة التاريخية ، تونس ، 1963 م.

8. بن الوردي سراج الدين أبي حفص عمر ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب الجامع لما هو لطرف الدهر حور ولجيد الزمان.

9. بن عمر عماد الدين إسماعيل بن محمد المعروف بأبي الفداء صاحب حماه ، تقويم البلدان ، تص : رينود . ماك كوكسن ديسلان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1815 م .

10. التلمساني محمد بن رقية ، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة ، منشور ضمن مجلة التاريخ وحضارة المغرب ، 1967 م.

11. الجزائري محمد بن ميمون ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تق : محمد بن عبد الكريم ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 م.

12. حليم إبراهيم بك ، تاريخ الدولة العثمانية العلية المعروف بكتاب ( التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ) ، ط : 1 ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، 1988 م.

13. الحميري أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ، صفة جزيرة الأندلس ، منتخبة من كتاب الروض المعطار في أخبار الأقطار ، تع : ليفي بروفنسال ، ط2 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1988 م.

14. خوجة حسين ، ذيل بشائر أهل الإيمان بمقطوفات آل عثمان ، تر : طاهر العموري ، الدار العربية للكتاب.

15. خوجة حمدان بن عثمان ، المرآة ، تقديم وتعريب وتحقيق : محمد العربي الزبيري ، منشورات anep ، الجزائر ، 2005.

16. الراشدي ابن سحنون أحمد بن علي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تح : المهدي بو عبدلي ، الجزائر ، 1983 م.

17. الرباطي أحمد بن محمد بن عبد السلام ،تاريخ الضعيف الرباطي ، تح: محمد البوزيدي ،ج1 ، ط : 2، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء ،2007.

18. الزهري ابي عبد الله محمد بن ابي بكر ، الجغرافية وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة ومافي كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوي على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراسخ ، تر : محمد حاج صادق ، مطبعة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، مصر .

19. السليماني أبو عبد الله الأعرج ، تاريخ الجزائر من قيام الدولة الفاطمية ونهاية ثورة الأمير عبدالقادر نقلا عن كتاب الشماريخ ، تح : حساني مختار ، المكتبة الوطنية.

20. شالر وليام ، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر ( 1816 _ 1824 ) ، تع :اسماعيل العربي ، سلسلة الدراسات الكبرى ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980 م.

21. العنتري محمد صالح ، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها ( تاريخ قسنطينة ) ، تع : يحي بوعزيز ، دار هومة الجزائر ، 2007.

22. كاثكارت جيمس لندر ، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا بالمغرب ، تر: إسماعيل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982.

23. لويس أرشيبالد . ر ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ( 500 ه / 1100 م ) ، تح : أحمد محمد عيسى ، مر : محمد شفيق غربال ، مؤسسة فرانكلين للطباعة ، القاهرة .

24. مجهول ، مذكرات خير الدين بربروس ، تر: محمد دراج ، ط:1 ، شركة الاصالة للنشر ، الجزائر ، 2010.

25. المزاري بن عودة ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر ، تح : يحي بوعزيز ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1990 م.

26. المشرفي عبد القادر ، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر ، تق : محمد بن عبد الكريم ، مكتبة الحياة ، بيروت.

27. المغربي أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، تر : اسماعيل العربي ، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982م.

28. الناصري أبو الراس الجزائري ، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار،تح:بوركبة محمد ،ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ،2012.

29. الناصري أبي العباس أحمد بن خالد ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ،تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج6، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955 .

30. النصيبي ابن حوقل ابي القاسم ، صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1992.

31. الوجار محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الأفراني النجار المراكشي ، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، تح : هوداس ، مطبعة آنجي ، 1988 م.

32. الوزان حسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الافريقي ، وصف إفريقيا ، تر:محمد حجي، محمد الاخضر،ج2 ،ط:2 ،دار الغرب الاسلامي، بيروت ، لبنان،1983.

**ب.المراجع**

1. أباظة فاروق عثمان ، أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر و عالم البحر المتوسط أثناء القرن 16، دار المعارف، ط2، القاهرة.

2. أبو عيانة فتحي أحمد ، الجغرافيا الاقتصادية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1984 م.

3. التازي عبد الهادي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم.

4. ألتر عزيز سامح ، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا ،تر: محمود علي عامر، ط:1،دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان،1989.

5. آيدين محمد عاكف ، كمال بكديلي وآخرون ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، مج 1 ( الدولة والمجتمع والاقتصاد ) ،ت: صالح سعداوي، تق : أكمل الدين إحسان أوغلي ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، إسطنبول ، 1929 م.

6. اينالجيك خليل ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ، ت: محمد . م. الأرناؤوط ، ط : 1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2002 م.

**7.** باربارو نيقولو ، الفتح الإسلامي للقسطنطينية ( يوميات الحصار العثماني سنة 1453 م ) ، ت : حاتم عبدالرحمان الطحاوي ، ط : 1 ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة .

**8.** بايات فاضل ، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني ( رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية ) ، ط : 1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2003 م.

**9.** براون جفري ، تاريخ أروبا الحديث ، تر: علي المزروقي ، ، الاهلية للنشر و التوزيع ، عمان.

**10.**بن أشنهو عبد الحميد بن أبي زيان ، دخول الأتراك العثمانين إلى الجزائر ، دط ، الجزائر ، 1972.

**11.** بنحادة عبد الرحيم ، العثمانيون ( المؤسسات والاقتصاد والثقافة ) ، تق : عبد الرحمان المودن ، ط : 1 ، دار النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 2008.

**12.**بوحوش عمار ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962 م ، ط :2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2005 م .

**13.**بوعزيز يحي ، الموجز في تاريخ الجزائر ( العصور الحديثة ) ، ج2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007 م.

**14.**بوعزيز يحي ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا ( 1500 _ 1830 م ) ويليه المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد ( 1780 _ 1798 ) ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009 م .

**15.**بيضون جميل و الناظور شحادة و عكاشة علي ، تاريخ العرب الحديث ، ط1 ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الأردن.

**16.**بيضون جميل و شحادة الناظور وعلي عكاشة ، تاريخ العرب الحديث ، ط1 ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الأردن.

**17.**جاويش سليمان بن خليل بن بطرس ، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية ، ط 1 ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1987 م .

**18.**الجمل شوقي عطا الله ، المغرب العربي الكبير ( تونس _ الجزائر _ المغرب ) ، ط : 1 ، المكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1977.

**19.**الجمل شوقي عطا الله و ابراهيم عبد الله عبد الرزاق ، أوروبا من عصر النهضة إلى الحرب الباردة ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، 2000م.

**20.**جود جودة حسين و هارون علي أحمد ، جغرافية الدول الإسلامية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1993 م.

**21.**الجوهري يسرى ، جغرافية البحر المتوسط ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1984 م.

**22.**الجوهري يسرى عبد الرزاق ، الكشوف الجغرافية ( دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية ولتطور الفكر الجغرافي ) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1984 م.

**23.**الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام ،ج 3 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2010 .

**24.**الجيلالي عبد الرحمان بن محمد ، تاريخ الجزائر العام ، ج 4 ، دار الأمة ، الجزائر.

**25.**حركات إبراهيم ، المغرب عبر التاريخ ( عرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ماقبل الإسلام إلى العصر الحاضر من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية ) ج3 ، ط2 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1994 م.

**26.**حسن محمد إبراهيم ، دراسات في جغرافية أوروبا وحوض البحر المتوسط ، مركز الاسكندرية للكتاب ، القاهرة ، 1999 م.

**27.**حسين نمير طه ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ط : 1 ، دار الفكر ، المملكة الأردنية الهاشمية ، عمان ، 2010 .

**28.**الحليمي علي عبد القادر ، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830 م ، ط :1 ، المطبعة العربية ، دار الفكر الإسلامي ، الجزائر ، 1972 م .

**29.**حنفي هلايلي ، العلاقات الجزائرية الاروبية و نهاية الايالة ( 1815- 1830 ) ، ط1 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2007.

**30.**الحويري محمود محمد ، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى ، ط : 1 ، المكتب المصري للتوزيع ، القاهرة .

**31.**الخراشي سليمان بن صالح ، كيف سقطت الدولة العثمانية ، ط : 1 ، دار القسم ، الرياض السعودية ، 1420 ه .

**32.**الدغيم محمود السيد ، أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية ( الحضارة الإسلامية وعالم البحار ) ، منشورات إتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، 1994 م .

**33.**دوكريه فرانسوا ، قرطاجة الحضارة والتاريخ ، تر : يوسف شلب الشام ، مكتبة الأسد ، دار طلاس ، دمشق ، 1994 م.

**34.**راي أروين ، تاريخ العلاقات الدبلوماسية الأمريكية المغربية ، تر : اسماعيل العربي، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.

**35.**رفعت بك محمد ، التيارات السياسية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ملتزمة الطبع للنشر ، لجنة البيان العربي .

**36.**رمضان عبد العظيم ، تاريخ أوروبا و العالم الحديث من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة ،ج 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

**37.**ريمون أندريه ، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني ، تر : لطيف فرج ، ط : 1 ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1991 م.

**38.**الزبيري محمد العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابين ( 1792 – 1830 ) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1972 م.

**39.**الزوكة محمد خميس ، قارات العالم القديم ( دراسة في الجغرافيا الإقليمية ) ، ط1 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2008 م.

**40.** سبنسر وليام ، الجزائر في عهد رياس البحر، تع و تق : عبد القادر زبادية ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ، 1980.

**41.**سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ( 1500 – 1830 ) ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1998 م .

**42.**سعد الله أبو القاسم ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ( بداية الإحتلال ) ، ط3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 م.

**43.**سعد الله أبو قاسم ، أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر ،ج1، دار البصائر ، الجزائر ، 2007

**44.**سعيدوني ناصر الدين ، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية ( الجزائر تونس طرابلس المغرب ) ، ط2 ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013

**45.**سعيدوني ناصر الدين ، ورقات جزائرية ( دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ) ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2000 م.

**46.**الشريف محمد الهادي ، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال تع : محمد شاوش ، محمد عجينة ، ط3 ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993 م.

**47.**شريف محمد شريف ، جغرافية البحار والمحيطات ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1964 م.

**48.**شوفالييه كورين ، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر ( 1510 _ 1541 م ) ، تر : جمال حمادنة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007 م.

**49.**صبري محمد ، تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلي اليوم ، ط1 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1926 م.

**50.**الصلابي علي محمد محمد ، الدولة العثمانية ( عوامل النهوظ وأسباب السقوط ) ، ط : 1 ، دار التوزيع النشر الإسلامية ، مصر ، 2001 م.

**51.**طقوش سهيل محمد ، العثمانيون من قيام الدولة إلى الخلافة ( 1299 _ 1924 م ) ، ط1 ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، 1915.

**52.**عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي ( 1517 _ 1830 م ) ، ط 2 ، دار هومة ، الجزائر ، 2007 م.

**53.**عبد العزيز زينب ، مائتا عام على حملة المنافقين الفرنسين ، كومبيوتر ستار ، مصر ، 1988 م .

**54.**عبد القادر نور الدين ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر منذ أقدم العصور إلى إنتهاء العهد التركي ، نشر كلية الأدب الجزائرية ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1985 م.

**55.**عبده طلعت أحمد محمد ، جاد الله حوري محمد حسين ، جغرافية البحار والمحيطات ، ط2 ، دار المعرفة الجامعية .

**56.**عزت أحمد عبد الكريم ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت

**57.**العسيلي بسام ،خير الدين بربروس و الجهاد في البحر، ط:1، دار النفائس ،بيروت،1980.

**58.**عطا زبيدة ، بلاد الترك في العصور الوسطى ( بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون ) ، دار الفكر العربي ، الكويت .

**59.**عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ اروبا الحديث ومعاصر1815-1919 ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ،2000.

**60.**عمورة عمار ، موجز في تاريخ الجزائر ، ط1 ، دار الريحانة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2002 م.

**61.**العيسوي فايز محمد ، الجغرافيا السياسية المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2011 م.

**62.**غطاس عائشة وآخرون ، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 م ، سلسلة المشاريع الوطنية ، الجزائر ، 2007 م.

**63.**غلاب محمد السيد ، الساحل الفينيقي في الجغرافيا والتاريخ ، ط1 ، دار العلم للملاين ، بيروت ، لبنان ، 1969 م.

**64.**فريجريف جيمس ، الجغرافيا والسيادة العالمية ، تع : علي رفاعة الأنصاري ، مر : محمد عبد المنعم الشرقاوي ، مكتبة النهضة المصرية ، 1956 م .

**65.**فكاير عبد القادر ،الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية و أثاره (910-1206ه /1505-1792م )، دار هومه ، الجزائر ، 2012م .

**66.**الفليج أحمد عبدالله ، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية ، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر ، الكويت ، 1984 م.

**67.**الفندي جمال ، الجغرافيا عند المسلمين ، تر : إبراهيم خورشيد و عبد الحميد يونس وحسن عثمان ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 م.

**68.**الفيلالي عبد الكريم ، التاريخ السياسي المغرب العربي الكبير ،ج4 ، ط: 1، شركة الناس للطباعة،القاهرة ،2006 .

**69.**الفيلالي عبد الكريم ، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير ، ج5 ، ط1 ، شركة فاس للطباعة ، القاهرة ، 2006 م .

**70.**قايد عمر ، محاضرات في تاريخ الجزائر المعاصر ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، 2014 / 2015 م .

**71.**قنان جمال ، معاهدات الجزائر مع فرنسا ( 1619 _ 1830 ) ، دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2010 .

**72.**قنان جمال ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث ( 1500 – 1830 م ) ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، 2010 م.

**73.**القوزي محمد علي ، العلاقات الدولية في التاريخ الحديث و المعاصر ، دار النهضة الحديثة ، ط1 ، 2002 ، بيروت.

**74.**الكعاك عثمان ، موجز التاريخ العام للجزائر ، ( من العصر الحجري إلى الإحتلال الفرنسي ) ، تق و مر : أبو القاسم سعد الله ، ناصر الدين سعيدوني ، محمد البشير الشنيتي ، إبراهيم بحاز ، ط 1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 2003 م.

**75.**لويس برنارد ، اسطنبول وحضارة الخلافة الإسلامية ، تع : سيد رضوان علي ، ط : 2 ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، السعودية ، 1982 م .

**76.**مانتران روبير ، الدولة العثمانية ، تر : بشير السباعي ، ج : 1 ، ط : 1 ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1993 م.

**77.**ماهر ساعد ، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، الجيزة ، مصر ، 1967 م .

**78.**المحامي محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العثمانية العلية ، تح : إحسان حقي ، ط : 1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1981 م.

**79.**محمد امين محمد و الرحماني محمد علي ، المفيد في تاريخ المغرب ، دار الكتاب.

**80.**محمود علي عامر ومحمد خير فارس ، تاريخ المغرب العربي الحديث « المغرب الأقصى - ليبية » ، حقوق التأليف منشورات لجامعة دمشق، 1999.

**81.**المدني أحمد التوفيق ، هذه هي الجزائر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 2002 م.

**82.**المدني أحمد توفيق ، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر و إسبانيا ،ط :1، دار البصائر ،الجزائر

**83.**مصطفى أحمد عبد الرحيم ، أصول التاريخ العثماني ، ط : 1 ، دار الشروق ، مصر ، 1982 م.

**84.** الميلي مبارك بن محمد الهلالي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج 3 ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر.

**85.**نآيت بلقاسم مولود قاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830 م ، ج2 ، ط2 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2007 م.

**86.**نصار مدوح و وهبان احمد ، التاريخ الدبلوماسي العلاقات السياسية بين القوى الكبرى.

**87.**نوار عبدالعزيز سليمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة.

**88.**الترمانيني عبد السلام ، أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين ،ج 4،ط : 1 ،1997.

**89.**هاشم هشام سوادي ، تاريخ العرب الحديث ( 1516 _ 1918 م ) من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ط 1 ، دار الفكر المملكة الأردنية ، عمان ، 2010 م.

**90.**هريدي محمد عبد اللطيف ، الحروب العثمانية الفارسية و أثرها في انحصار المد الإسلامي عن أوروبا ، ط : 1 ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1987 م.

**91.**هلال عمار ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصر ( 1830 – 1966 م ) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995 م

**92.**الوذيناني خلف بن ديلان بن خضر ، الفتح العثماني لجزيرة رودس ( 929 ه _ 1523 م ) ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، السعودية ، 1997 م

**93.**وولف ب. جون ، الجزائر وأوروبا ( 1500 – 1830 م ) ، تر : أبو القاسم سعد الله ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009 م

**94.**الياغي إسماعيل أحمد ، العالم العربي في التاريخ الحديث ، ط : 1 ، المكتبة العربية ، الرياض ، 1997 م

**95.**الياغي اسماعيل أحمد و شاعر محمود ، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ( قارة إفريقيا ) ، ج2 ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، 1993 م.

**96.**يحي جلال ، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، 1983م.

**ج . الرسائل و الأطروحات :**

**1.** برد رتيبة ، الحوار المتوسطي من برشلونة إلى منتدى 5+5 ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، جامعة الجزائر ، 2009 / 2010 م .

2. بن خروف عمار ، العلاقات بين الجزائر والمغرب ( 923 _ 1069 ه / 1517 _ 1659 م ) ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق ، 1983 م.
3. بن سعيدان محمد ، علاقات الجزائر مع فرنسا ( 1070 _ 1170 ه / 1659 _ 1756 م ) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2011 م / 2012 .
4. التميمي عبد الجليل ، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519 م ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 6 ، تونس ، جويلية 1976 م.
5. حصام صورية ،العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة وهران ، 2012 – 2013 م
6. حمزة فائقة محمد ، أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 1989 م.
7. خرنف مبروكة ، العلاقات التونسية الفرنسية سياسيا – تجاريا خلال القرن 17 ( 1605 – 1705 م) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2011 – 2012 م.
8. دهان بركاهم ، دور القناصل الفلرنسين في العلاقات الجزائرية الفرنسية ( 1689 م _ 1789 م ) ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2012 م.

**9.** صغيري سفيان ، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر ( 1671 – 1830 م ) ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة 2011 / 2012 م.

**10.** العايب كوثر ، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات ( 1711 – 1830 ) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الوادي ، 2013 – 2014 م.

**11.** عطلى محمد الأمين ، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 11 ، 2012 .

**12.** مريخي رشيد ، الجزائر في عهد الداي مصطفى باشا ( 1212 – 1220 ه / 1798 – 1805 م ) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، 2010 – 2011 م.

**13.** نواصر عبد الرحمان ، مسألة الديون الجزائرية على فرنسا وانعكساتها على العلاقات البلدين في أواخر عهد الدايات ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2010 – 2011 م.

**د. الموسوعات :**

**1.** الجميعي عبد المنعم إبراهيم ، الدولة العثمانية والمغرب ، موسوعة الثقافة التاريخية و الأثرية والحضارية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2006 م.

**2.** الزيدي مفيد ، موسوعة التاريخ الإسلامي " العصر العثماني " ( 1516 م _ 1916 م ) ، دار أسامة للنشر ، عمان ، 2003 م.

3. عيد عاطف ، قصة وتاريخ الحضارات العربية ( أول موسوعة حديثة تعالج نشأة البلدان العربية وأحداثها حتى أيامنا هذه ) ج 21 – 22 ، 1998 - 1999 م.

4. ش . بدران ، أطلس دول العالم الكبير ،بيروت ،لبنان ،1999.

**ه. المجلات :**

1. بن القايد عمر ، أضواء على علاقة الجزائر بالمغرب الأقصى ، مجلة الواحة للبحوث و الدراسات ، جامعة غرداية ، العدد17، 2012.

2. بوشنافي محمد ، الداي حسين و سقوط الايالة الجزائرية ( 1818-1830 )، مجلة العصور ، العدد 6-7.

3. جبور محمد ، البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني ، مجلة العصور ، العدد 12-15-14/13،جامعة وهران ، 2008 -2009.

4. زهرة زكية ، الاميرال سدناي سميث و التحالف الاروبي المسيحي ضد الجزائر عام 1814م ، مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة الجزائر، 2، العدد 15 – 16 ،2012 / 2013م.

5. العربي اسماعيل ،المعاهدات الجزائرية الأمريكية، مجلة الثقافة،الجزائر،السنة السابعة العدد40،اوت –سبتمبر1977.

**و. المراجع باللغة الاجنبية :**

- . Grammont (H.D) :Histoire d’Alger sous la domination turque (1515-1830), Ernest Leroux ,paris, 1887.

- Devoulx (A): Tachrifat , Recueil d notes histiorique sur l'administration de l' ancienne régence d'Alger , Alger, 1852.

- Don Diego de Haedo , topographie,et histoire générale d’alger , traduit a léspagnol par monnereau et berbrugger, 1870.

-Ferdinand Broudel , - la mediterané et le mond méditeranien a l’époyue de phlipe tom : 02 , paris , 1976.

- Jean alengry,les relations franco-espagnoles et l 'affaire du maroc,la vie universitaire,paris.

# فهرس

**مقدمة** ..... **( أ – ز)**

**فصل تمهيدي :** الأهمية التاريخية والحضارية والاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط (10-25**)**

الأهمية التاريخية والحضارية للبحر الأبيض المتوسط ..... 16
الأهمية الاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط ..... 21

**الفصل الأول :** الأتراك العثمانيون و البحر الأبيض المتوسط ..... ( 27 – 71)

**المبحث الأول :** الدولة العثمانية كقوة ناشئة في البحر المتوسط ..... 27

**المبحث الثاني :** الإخـــــــوة بربروس
..... 42

العثمانيون في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ..... 49

**المبحث الثالث :** التحاق الجزائر بالخلافة العثمانية ..... 52

1. الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية ..... 55
2. الاستنجاد بالأخوين بربروس وإعلان التبعية للخلافة العثمانية ..... 61
3. رسالة الأهالي إلى السلطان سليم الأول وإعلان التبعية ..... 67

**الفصل الثاني :** العلاقات الخارجية لايالة الجزائـــــــــــــر ..... ( 73 – 124 )

**المبحث الأول :** العلاقات الجزائرية الفرنسية ..... 75

1. مظاهر تأزم العلاقات الجزائرية الفرنسية ..... 82

2. الحملات الفرنسية ضد الجزائر ..... 82
**أ.** حملة دي بوفورت على جيجل ( 1074 ه / 1664 م ) ..... 82
**ب.** حملة دوكين الأولى والثانية ..... 86
**ج.** حملة الماريشال ديستري " رجب 1100 ه / 26 جويلية 1688 " م ..... 89

**المبحث الثاني :** العلاقات الجزائرية الإنجليزية ..... 91
**المبحث الثالث :** العلاقات الجزائرية الأمريكية ..... 100
**المبحث الرابع :** العلاقات الجزائرية المغاربية ..... 108
**أ.** مع تونس : إنظمام تونس للخلافة العثمانية ..... 108
**ب.** العلاقات السياسية بين إيالتي الجزائر وتونس ..... 111
**ج.** مع المغرب ..... 117

**الفصل الثالث** تداعيات وانعكاسات الصراع السياسي والعسكري على الجزائر ( 126 – 171 )

**المبحث الأول :** ظهور الفتن والأزمات الداخلية ..... 126
**1.** ثورة ابن الأحرش في شرق البلاد ..... 126

**2.** ثورة درقاوة في الغرب الجزائري ..... 132

**المبحث الثاني :** المؤتمرات الأوروبية والقضية الجزائرية ..... 137

**1.** مؤتمر فيينا ..... 137

**أ.** مسار المؤتمر ..... 141

**ب.**تقييم المؤتمر ..... 142

**2.** مؤتمر اكس لاشابيل ..... 143

**3.** مؤتمر تروباو ..... 145

**المبحث الثالث :** الحملات الأوروبية على الجزائر مطلع القرن 19 م وانعكساتها ..... 149

- حملة اللورد اكسماوث ..... 149

**المبحث الرابع :** الحصار الفرنسي والحملة على الجزائر ( 1827 – 1830 م ) ..... 157

- فرض الحصار ..... 162
- الحملة الفرنسية على الجزائر ..... 164

**خاتمة** ..... 172

**ملاحق**

صورة للأخوين عروج و خير الدين بربروس .....
178
مدينة الجزائر في القرن 16 ميلادي .....
179
الرئيس الأمريكي جورج واشنطن .....
180
رسالة مفاوضات بين الولايات الأمريكية و داي الجزائر .....
181
معاهدة سلم و صداق بين الولايات الامريكية و الجزائر .....
182
اللورد إيكسماوث .....
183
نص معاهدة الهدنة بين اللورد اكسماوث الانجليزي و الداي عمر باشا .....
184
بروتوكول إيكس لاشابيل .....
185
نص معاهدة بين اللورد اكسماوث و الداي .....
186
قائمة المصادر والمراجع
**188**.....
الفهرسة العامة
207.....

**الجمهوريـــــــة الجزائريـــــــــة الديمقراطيـــــــة الشعبيـــــة**

**وزارة التعليم العالي والبحث العلمي**

**جـــــــــــامعة ابـــــن خـــلدون – تيـــــــــارت –**

**كليـــــة العلـــوم الإنسانيـــــــة والعلـــــــوم الإجتماعيـــة**

**قسم التاريخ**

# الصراع السياسي والعسكري في البحر الأبيض المتوسط بين الجزائر والقوى الأوروبية خلال القرنين ( 17 – 18 م )

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

**إعداد الطالبين :**

ربوح حكيمة

بوعمرة لجيلالي **إشراف الأستاذ :** بكاري عبد

القا

**اللجنة المناقشة**

**أ / بن حادة مصطفى..... قسم العلوم الإنسانية ..... رئيسا**

**أ / بكاري عبد القادر.....قسم العلوم الإنسانية .....مشرفا ومقررا**

**أ / بو سلامة محمد .....قسم العلوم الإنسانية .....مناقشا**

**2016 – 2017 م / 1437 – 1438 هـ**

# إهداء

**بســـــــــــــــم الله الرحمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــان**

**الرحيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــم**

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه سبحانك لا نحصي الثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، فلا حصرا لنعمتك ،ولا حدود لفضلك، الحمد لله الذي أنار لنا دروب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب.

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقهما

إلى من لا يمكن للأرقام أن تحصي فضائلهما

إلى **والدي العزيزين** أطال الله بقاءهما، وألبسهما ثوب الصحة والعافية، ومتعني ببرهما ورد جميلهما.

إلى كل الأصدقاء والأحباب من دون استثناء ... إلى كل من سقط من قلمي سهوا ... أهدي هذا العمل .

**بوعمرة جيلالي**

# إهداء

**بســـــــــــــــــم الله الرحمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــان**

**الرحيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــم**

**(( قُل إِعمَلوا فَسَيَرَى الله عَمَلَكُمْ وَرَسُوله وَالمؤُمنون ))**

إلاهي... لايطيب الليل إلا بشكرك... ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ... ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ... ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ... ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك

**" لله جلى وعلى "**

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ... إلى نبي الرحمة ونور العالمين

**" سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم "**

إلى التي رسمت بحنانها طريقي ولا تزال ... وكللت بدعائها سماء حياتي ولا تزال إلى الدرة الكامنة في قلبي **" أمـــــي "**

إلى الذي سعى في تربيتي جاهدا صابرا في كسب العيش ، حتى يمكنني من التفرغ للطلب العلم إلى **" روح أبي الطاهر "**

إلى كل الأصدقاء والأحباب من دون استثناء ... إلى أساتذتي الكرام وكل رفقاء الدراسة ... إلى كل من سقط من قلمي سهوا ... أهدي هذا العمل .

**ربوح حكيمة**

# شكر وتقدير

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة ، وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى انجاز هذا العمل

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على انجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهناه من صعوبات ، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف **" بكاري عبد القادر "** الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام هذا البحث

وشكر موصول إلى أعضاء اللجنة المناقشة التي تحملت عناء قراءة هذا البحث بطول بال وجميل صبر ...

الأستاذ : **بن صحراوي كمال**

الأستاذ : **بن خدة مصطفى**

كما نتقدم بالشكر إلى عمال مكتبة جامعة ابن خلدون _ تيارت _ على المساعدة التي قدموها لنا طيلة مشوار انجاز هذا البحث.

وفي الأخير أرجو من الله تعالى أن يجعل عملنا هذا نفعا يستفيد منه جميع الطلبة المقبلين على التخرج .

# مقدمة

**التعريف بالموضوع و أهميته :**

كان للتواجد العثماني في الجزائر دورا هاما في بروز معالم الحيز الجغرافي للدولة الجزائرية الحديثة التي ظهرت بتنظيم جديد أكثر قوة و فاعلية ، أين تحكمت في ظهورها عديد العوامل السياسية و الدينية الناجمة عن الرغبة الشديدة في توحيد العالم الإسلامي .و إحياء مجد الخلافة الإسلامية ،و حماية جناح مهم من أجنحة هذه الأمة و هي بلاد المغرب الإسلامي المهددة بالتنصير القسري مثلما حدث ببلاد الأندلس ،فكان للالتحاق بالخلافة العثمانية عام 1518م إيذانا على ميلاد دولة كان لها شأن عظيم في الحوض الغربي من البحر المتوسط ، و اكتسبت من الهيبة و السيادة ما أهلها لأن تحتل مكانة عالمية مرموقة .

بعد استكمال الدولة الجزائرية بناءها المؤسساتي كدولة كاملة السيادة و تحقيق الوحدة السياسية و الإقليمية ، بدأ دورها الحضاري في البروز كقوة فاعلة في البحر المتوسط ،ساعدها في ذلك قوة أسطولها البحري الذي شكل أهم مظاهر سيادتها ،ما أدى بالدول الأوروبية إلى الإسراع في إقامة علاقات دبلوماسية و تجارية مع الجزائر، و دفع ضرائب و هدايا معتبرة مقابل حماية مصالحها و سفنها التجارية من خطر القرصنة التي استفحل نشاطها بالبحر ،إلا أن هذا التفوق العسكري البحري للايالة جعلها مستهدفة من طرف القوى الأوروبية، أين ناصبت لها العداء و عملت دون هوادة من أجل كسر شوكتها و تقليص دورها و مكانتها بالبحر ، و في هذا السياق بالتحديد تندرج دراستنا الموسومة ب: « الصراع السياسي و العسكري بين الجزائر و الدول الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط خلال القرنين 17 و 18م » .

من أجل تسليط الضوء على هته الفترة الحساسة من تاريخ الجزائر الحديث و تحسس مدى الخطورة التي كانت فيها الجزائر وسط دول تسعى كلها من أجل التسيد و الهيمنة ،

و كمحاولة منا أيضا لفهم حيثيات هذا الصراع و كذا معرفة الأطراف الفاعلة فيه ،و مدى إسهامها في صياغة أحداثه و كيف تمكنت في نهاية المطاف من الإطاحة بدولة عمرت قرابة ثلاث قرون من الزمن.

**الهدف من البحث :**

- أن موضوع الصراع السياسي و العسكري مقترن بمكانة و هيبة الدولة الجزائرية ،لذلك دفعتنا الرغبة على أن نطلع على عوامل اكتساب هذه المكانة و كذا عوامل فقدانها.
- أن موضوع الصراع السياسي و العسكري بين الجزائر و الدول الاوروبية مقترن أيضا و بشكل وثيق بما حل بالجزائر ، و نعني بذلك الاحتلال الفرنسي عام 1830م.

كان الهدف من وراء هذه الدراسة هو الخوض في غمار هذا الصراع السياسي و العسكري ،و معرفة حيثياته و وقائعه و تطوراته و انعكاساته ،و ذلك لفهم مسار العلاقات الدولية في تلك الحقبة ،و كذا معرفة المعطيات التي قلبت موازين القوى و جعلت من أوروبا سيدة القرار.

**الإطار الزماني و المكاني للموضوع :**

يعالج الموضوع الصراع السياسي و العسكري بين الجزائر و الدول الأوروبية في البحر المتوسط خلال القرنين 17 و 18 م. و هي من أهم الفترات التاريخية في عمر الدولة الجزائرية .أما الإطار المكاني فهو الجزائر بالضفة الجنوبية للبحر المتوسط في مقابل أوروبا في الضفة الشمالية منه ،و قادنا هذا الموضوع لأن نطرح الإشكال التالي :

**فيما تمثلت دوافع الصراع السياسي و العسكري بين إيالة الجزائر و القوى الأوروبية ؟** و للإجابة على هذه الإشكالية قمنا بطرح مجموعة من التساؤلات الفرعية التي عالجناها في

كل فصل من فصول هذه الدراسة المتواضعة و هي كالتالي : **فيما تكمن الأهمية الجيو سياسية و الاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط ؟ و ما هي الركائز التي استندت عليها الدولة العثمانية لتظهر كقوة فاعلة في البحر الأبيض المتوسط ؟ و ما مدى إسهامات الإخوة بربروس في إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية ؟ و بما اتسمت العلاقات الجزائر الخارجية ؟ هل كان للصراع السياسي و العسكري للجزائر تدعيات على المستوى الداخلي والدولي ؟ و ما هي الدوافع الحقيقية لإنشاء تحالفات و عقد مؤتمرات أروبية ( فينا - اكس لاشابيل ) ؟ و هل أثرت قرارات هذه المؤتمرات على مستقبل الدولة الجزائرية ؟ و هل مثلت الحملة الفرنسية على الجزائر أخر فصول هذا الصراع ؟.**

**منهج البحث :**

و قد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي الوصفي ، الضروري لسرد الأحداث وفق تسلسلها الزماني و المكاني ، و الوقوف على جوانب هذا الصراع و تداعياته ،و كذا المنهج التحليلي في بعض الأحيان في الوقوف عند بعض الأحداث .

أما فيما يخص الدراسات السابقة في الموضوع فنقول ، أن الموضوع قد تعرضت له عديد المراجع و المصادر التي قدمت دراسة وافية عن عدة جوانب منه . مثل مخطوط الزهرة النائرة لابن رقية التلمساني ، و كذا تحفة الزائر لمحمد بن عبد القادر الجزائري ، و التحفة المرضية لابن ميمون ، و مذكرات الشريف الزهار ،و وليام شالر ، أما المراجع فعديدة أهمها كتب يحي بوعزيز تاريخ الجزائر الحديث .و كتاب علاقات الخارجية للجزائر مع دول و ممالك أوروبا .

أما الرسائل الجامعية فنذكر على سبيل المثال : مذكرة محمد بن سعيدان بعنوان علاقات الجزائر مع فرنسا ،و التي تحدث فيها عن جانب من جوانب الموضوع خاصة فيما يتعلق

بالحملات الفرنسية على الجزائر، ومذكرة الأستاذ رشيد مريخي بعنوان الجزائر في عهد الداي مصطفي باشا، أين خصص فصلا مرتبطا بالموضوع و هو السياسة الخارجية في عهد الداي مصطفى باشا.

و للإلمام بالموضوع اتبعنا الخطة التالية التي تضمنت مقدمة و فصل تمهيدي و ثلاث فصول رئيسية متبوعة ببعض الملاحق ثم خاتمة نهائية تضمنت مجموعة من الاستنتاجات المقتبسة من العمل المقدم و قد كانت الخطة بالشكل التالي :

**الفصل التمهيدي** :كان عبارة عن مدخل للموضوع و يتحدث عن الأهمية الجغرافية و التاريخية و الحضارية و الاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط ثم الفصل الأول ، و الذي يعالج في مضمونه العام : الدولة العثمانية و البحر الأبيض المتوسط ، و قد احتوى على ثلاثة مباحث تطرقنا في المبحث الأول بنشأة الدولة العثمانية كقوة فاعلة بالبحر المتوسط .أما المبحث الثاني تناولنا فيه ظهور الأخوة بربروس .و جاء المبحث الثالث ليتحدث عن التحاق الجزائر بالخلافة العثمانية .

**الفصل الثاني** فكان بعنوان العلاقات الخارجية و الصراعات الإقليمية للجزائر خلال القرنين 17 و18 و تضمن أربع مباحث عالجت أهم المسائل السياسية و الصراعات العسكرية بين الجزائر و الدول الأوروبية من جهة و الجزائر و الدول المغاربية من جهة أخرى .فتحدث المبحث الأول عن العلاقات الجزائرية الفرنسية و المبحث الثاني عن العلاقات الجزائرية البريطانية ،و المبحث الثالث عن العلاقات الجزائرية الأمريكية ، أما المبحث الرابع و الأخير عن الصراع الجزائري المغاربي مع تونس و المغرب الأقصى .أما الفصل الأخير فكان بعنوان تداعيات الصراع السياسي و العسكري على الجزائر و الذي اندرج ضمنه أربع مباحث ، المبحث الأول تحت عنوان الاضطرابات السياسية و الازمات الداخلية ،و الذي يتطرق إلى الأوضاع السياسية الداخلية و نشوب تمردات ضد

السلطة كثورة درقاوة و ابن الأحرش ، و المبحث الثاني بعنوان الجزائر في المؤتمرات الاروبية (فينا –اكس لاشابيل) ثم المبحث الثالث و المتضمن أهم الحملات الناجمة عن هذين المؤتمرين إلى غاية الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830م و في النهاية ختمنا بحثنا بخاتمة تضمنت عدة استنتاجات و التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة.

**نقد المصادر و المراجع :**

**المؤلفات المخطوطة :**

- مخطوط الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغار عليها جنود الكفرة، لمحمد بن عبد الرحمان بن رقية الجديري التلمساني الذي عاش في القرن الثامن عشر ميلادي ،و هو يتناول المغرب الاوسط منذ ظهور الإخوة بربروس إلى غاية انتصار الجزائر على قوات التحالف الأروبي 1541م، نشره سليم بابا عمر في مجلة تاريخ و حضارة المغرب العدد الثالث سنة 1967م ـــ.أفادنا في ذكر الحملات التي شنها الأوروبيون على مدينة الجزائر.

مخطوط رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمان التنلاني لسيدي عبد الرحمان بن إدريس بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني ، و هو من أبرز علماء الإقليم التواتي خلال القرن الثاني عشر الهجري . ولد سنة 1181 هـــ و توفي 1233ه و هذا المخطوط من أقدم وأندر مخطوطة في موضوع الحملة الإنجلزية الهولندية على مدينة الجزائر1231ه/1816م وأول شهادة عربية عينية حول الواقعة و هو المقال منشور للكاتب أحمد جعفري في مجلة " تراث" العدد 131 أغسطس 2010 .و الذي أفادنا في وصف الحملة الانجليزية الهولندية على مدينة الجزائر.

**مصادر عربية و معربة :**

- **مذكرات احمد شريف الزهار :** نقيب أشراف مدينة الجزائر ، الذي يعود تأليفه إلى القرن التاسع عشر ميلادي ، أفادني فيما يخص الحملات التي شنتها فرنسا على الجزائر خلال القرن الثامن عشر.

- **مجهول :** غزوات عروج و خير الدين و الذي صححها نور الدين عبد القادر ،فقد خصص هذا الكتاب لسرد أعمال الاخوة بربروس ،كما تطرق إلى الحملات العسكرية التي قام بها الاسبان على مدينة الجزائر في السنوات الأولى من إلتحاقها بالخلافة العثمانية.

- **مذكرات وليام شالر :** القنصل الأمريكي بالجزائر و الذي قام إسماعيل العربي بترجمته إلى العربية ،و الذي يضم شهادات و حقائق حية حول العلاقات الجزائرية الأوروبية ،و حول الحملات الاوروبية التي كانت من الفينة إلى أخرى .

- **مذكرات أسير الداي كاثكارت :** قنصل أمريكا في المغرب و الذي ترجمه اسماعيل العربي و يعود تأليفه إلى القرن الثامن عشر ميلادي ،و يشمل هذا الكتاب حياة و تجارب التي عاشها كاثكارت كما أفادنا في العلاقات الامريكية الجزائرية .

**مصادر أجنبية :**

- Fray Diego de Haedo: Topographie. et Histoire d'Alger ،la vie a Alger au xvi siècle ،trad et notes A .Berbrugger ،éd gronde Alger ،2004.

يعتبر هذا الكتاب في غاية الأهمية لهايدو الذي وقع أسيرا في مدينة الجزائر سنة 1578م إلى غاية 1581م و الذي أفادنا في في وصف الحملات الاسبانية على السواحل الجزائرية .

- De Grammont: Histoire d'Alger Sous La domination Turque1515 – 1830 ،paris،1887.

و الذي يتناول تاريخ الجزائر منذ مطلع القرن السادس عشر إلى غاية الاحتلال الفرنسي و الذي اعتمدنا عليه في عدة محطات أهمها التعرف على العلاقات الجزائرية الخارجية.

**المراجع العربية :**

كثيرة هي المراجع المعتمدة في هذه الدراسة و لعل أهمها:

- **عزيز سامح التر** : الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا ،و الذي عربه محمود علي عامر أفادنا بشكل كبير لأنه يؤرخ للتواجد العثماني و يركز كثيرا عن الجزائر، و أوضاعها السياسية و علاقاتها الخارجية .
- **عائشة غطاس** : الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها و الذي أفادنا في معرفة نشأت الدولة الجزائرية الحديثة و الغرات الاسبانية التي تعرضت لها .
- **يحي بوعزيز** ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول و مماليك أروبا و يتحدث بشكل مباشر عن علاقات الجزائر بالدول الأورو متوسطية و غيرها من الحملات العسكرية الأروبية ضد مدينة الجزائر.
- **مولود قاسم نايت بلقاسم** : شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل 1830م و الذي أفادنا في معرفة العلاقات الجزائرية الخارجية خاصة البريطانية و التكتلات الأوروبية ضدها .

- **صعوبات البحث :**

لا يكاد أي عمل يخلو من وجود صعوبات تعترضه و لعل أهم الصعوبات التي إعترضتنا هي:

- كثرة المادة العلمية و صعوبة التحكم بها
- ضيق الوقت للإحاطة الكافية بالموضوع.

# فصل تمهيدي

تعد البحار إحدى أهم المظاهر التضاريسية المشكلة لسطح الأرض ، فعلى ضفافها ظهرت أعظم الحضارات ونمت أرقى المدنيات ، وتطلع الإنسان منذ القدم بنباهته إلى ما للبحر من عظيم النفع ، والفائدة فجعل منه منبعا للحضارة ومقوما للاقتصاد وركيزة للتواصل والتعارف ، وقبل أن نبينّ أهمية هذا المسطح المائي وجب علينا أن نتعرف على البحر كمفهوم عام تقوم عليه هذه الدراسة المتواضعة .

فالبحر كمصطلح علمي هو مسطح مائي يختلف عن المحيط في عدّة جوانب من حيث السعة والمساحة والعمق ودرجة الملوحة وغيرها من الخصائص ، ويتخذ هذا الأخير عدّة أشكال وأصناف ، فهنالك البحار المفتوحة التي تتصل مباشرة بالمحيطات دون أي حاجز أو فاصل وهناك بحار شبه مغلقة تتصل بالمحيط عن طريق فتحات تعرف بالمضايق المائية مثل البحر الأبيض المتوسط ، وهناك نوع ثالث وهي البحار المغلقة التي تحيط بها اليابسة من كل جانب كالبحر الأسود . [1]

والبحر في طبيعتة إمتداد لليابسة ، فالاثنان معا يشكلان عالم الإنسان على هذا الكوكب وهما وإن اختلفا في طبيعة التكوين والأدوار ، إلا أنهما متكاملان من حيث تقديم الخدمة للإنسان وتحقيق أهدافه وغاياته ، بالبرغم مما تبدوا عليه هذه البحار ظاهريا من أنها أداة فصل بين اليابسة هنا وهنالك ، إلا أنها في الحقيقة أداة وصل لا فصل وهي ليست حواجز وإنما معابر صالحة لمن وفرّ لنفسه وسائل العبور والانتقال [2] ،وقد بينّ المولى عزوجل قيمة البحر للإنسان وما باستطاعته أن يقدم من خدمات جليلة ، قال تعالى

---

([1]) طلعت أحمد محمد عبده ، حوري محمد حسين جاد الله ، جغرافية البحار والمحيطات ، ط2 ، دار المعرفة الجامعية ، ص : 33 .

([2]) أرشيبالد . ر . لويس ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ( 500 ه / 1100 م ) ، تح : أحمد محمد عيسى ، مر : محمد شفيق غربال ، مؤسسة فرانكلين للطباعة ، القاهرة ، ص : 14 .

: (( و هو الذي سخرّ البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلّكم تشكرون )) [3] ، وعليه أدرك الإنسان دور البحر فربط حضارته به وأنشأ مدنيته عليه وتحصل على رزقه منه ، ومازالت علاقته به قائمة وستبقى إلى قيام الساعة ، ولعل أهم هذه البحار ما تعلق بدراستنا وهو البحر الأبيض المتوسط .

يعد البحر الأبيض المتوسط من أهم البحار ، فقد كان منذ أمد بعيد وسيلة فعّالة هيات لنشر الحضارات وأفسح المجال للاتصال وتبادل الثقافات [4]، وهو غني عن التعريف فشهرته لاتضاهيها شهرة أي بحر داخلي على الإطلاق ، وهو معروف لدى الأوائل من الشعوب التي عاشت على ضفافه ، لذا نلمح عنه تغير أسمائه عبر العصور فسماه المصريون القدامى بالبحر الأعلى ، وورد إسمه في الإنجيل باسم البحر الفلسطيني ، وسماه هيرودوتس بالبحر الكبير أما أفلاطون فسّماه بالبحر الهليني ، وأما التسمية اللاتينية التي أصطلحت عليه هي بحر الروم وكذا سماه العرب، وأطلق عليه الرومان إسم بحرنا ،وسماه الأتراك بالبحر الأبيض ، نظرا لزبده الأبيض ، إلى أن أصبح يعرف بالبحر الأبيض المتوسط [5] .

إنّ موقعه الجغرافي الممتاز ومجموعاته الجزرية المتناثرة في أرجاء العالم القديم [6] قد أكسبته أهمية إستراتجية كبيرة ، فكان محط عناية لدى الجغرافيين الذين خصّوه بالدراسة دون غيره من البحار ، فقد وقع ذكره في جلّ المصادر الجغرافية القديمة وبخاصة العربية منها ، أين حظي هذا البحر بالإهتمام البالغ من طرف الجغرافيين العرب وملاحيهم ،

---

([3]) سورة النحل ، الآية 14 .

([4]) الهادي مصطفى أبو لقمة ، محمد علي الأعور ، الجغرافيا البحرية ، ص : 167 .

([5]) المرجع نفسه ، ص : 167 .

([6]) محمد إبراهيم حسن ، دراسات في جغرافية أوروبا وحوض البحر المتوسط ، مركز الاسكندرية للكتاب ، القاهرة ، 1999 م ، ص : 209

فكانت معلوماتهم التي أوردوها عنه دقيقة على وجه العموم [7] في تحديد أبعاده ومقاييسه و مايحتويه من جزر وخلجان [8] .

إنّ ما قيده الجغرافيون العرب عن هذا البحر كثيرة، وتكاد أوصافهم له تتطابق ولعل الأمر يطول إذا ذكرنا ماكتبه هؤلاء ، ولذلك سنكتفي بذكر نموذج أو اثنين ممّا كتبوه فقط لتتبين المطابقة بينهما وبين الدراسات الحديثة التي حددت أبعاده ومعالمه . يقول ابن حوقل في كتابه صورة الأرض : " أنه خليج من البحر المحيط _ يقصد به المحيط الأطلسي _ عليه أكثر هذه الديار وقد أتيت به على التقريب لا على الحقيقة ، إذ بعضه أشبه بالدائرة المحددة ومخرجه بين أرض الأندلس وأرض طنجة وسبتة وهذه الناحية محاذية من الأندلس لجزيرة جبل طارق واشبيلية ، وعرض هذا المخرج نحو 12 ميلا أي حوالي 12.5 كلم ثم لا يزال يتسع ، ويمتد على سواحل المغرب ، ومما يلي شرقي هذا البحر حتى ينتهي إلى أقاصي أرض مصر ممتدا منها إلى الشام ، وتنعطف إلى بلدان الروم من جبال إقليمية إلى أنطاكية ، ثم يصير إلى خليج القسطنطينية ويمضي على سواحل أثيناس إلى افرنجة ورومية ويصير البحر حينئذ جنوبيا لأرض الإفرنج إلى أن يتصل بطرطوشة من أرض الأندلس " [9] .

ومن خلال تتبع وقراءة خريطة العالم السياسية يتبين لنا أن الأبعاد التي حددها ابن حوقل لهذا البحر ، تتطابق بصفة شبه دقيقة مع الأبعاد الجيو سياسية الحديثة للبحر المتوسط ، وليس ابن حوقل وحده من وفق في رسم معالم هذا البحر ، فكذا ابن الوردي

---

([7]) أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا ، تر : اسماعيل العربي ، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982م ، ص : 57 .

([8]) جمال الفندي ، الجغرافيا عند المسلمين ، تر : إبراهيم خورشيد و عبد الحميد يونس وحسن عثمان ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 م ، ص : 159.

([9]) ابن حوقل ابي القاسم النصيبي ، صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1992 ، ص : 174.

في كتابه خريدة العجائب ، أين بين حدوده الشمالية والجنوبية [10] والزهري الذي أضاف إلى وصفه عبارة مهمة تظهر مدى الأهمية التي يكتسيها البحر الأبيض المتوسط فقال : " ... ليس في معمور أكثر عمارة من هذا البحر "وذلك أنه معمور الجانبين يكاد الناس يتعاطون السراج عليه في الضفتين لكثرة المسكن [11] .

أما حديثا ونظرا لما آلت إليه المدينة من تطور وازدهار ، فلم يعد هناك مجال للفرضيات فقد صور الجغرافيون أبعاده وحدوده بدقة كبيرة وساعدت الخريطة في اظهاره على شكله المرسوم مما سمح باستخلاص تعاريف واضحة لهذا البحر ، فنقول عنه : " أنه بحر داخلي يربط بين قارات آسيا وأوروبا و إفريقيا وهو أوسع البحار مساحة وأكثرها إمتدادا وتشعبا وتأثيرا من الناحية الحضارية [12] يجمع بين ضفافه عددا لا متناهي من القوميات واللغات والثقافات المطلقة على ضفتيه الشمالية والجنوبية ، وهو مسطح مائي لا يضاهيه في الأهمية أي بحر على الإطلاق [13] .

---

([10]) سراج الدين أبي حفص عمر بن الوردي ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب الجامع لما هو لطرف الدهر حور ولجيد الزمان مقدور ، ص : 69 . للتعرف أكثر على جغرافية البحر المتوسط أنظر : أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، منتخبة من كتاب الروض المعطار في أخبار الأقطار ، تع : ليفي بروفنسال ، ط2 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1988 م ، ص : 83 . انظر أيضا : عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء صاحب حماه ، تقويم البلدان ، تص : رينود . ماك كوكسن ديسلان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1815 م ، ص ص : 27 ، 29 . أنظر أيضا : أبي القاسم ابن حوقل ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1972 م ، ص : 12

([11]) ابي عبد الله محمد بن ابي بكر الزهري ، الجغرافية وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة ومافي كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوي على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراسخ ، تر : محمد حاج صادق ، مطبعة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، مصر ، ص : 127 ، 128

([12]) محمد خميس الزوكة ، قارات العالم القديم ( دراسة في الجغرافيا الإقليمية ) ، ط1 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2008 م ، ص:35

([13]) محمد إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص : 210 .

يقع هذا البحر جميعه في المنطقة المعتدلة الشمالية، ويمتاز بتجانس حضاراته وثقافاته بين حوضيه الشرقي والغربي [14] ،فعلى قامت أرقى الحضارات مثل الآشوريين و البابليين والفينقيين والفراعنة والفرس واليونان والرومان والقوط والفرنجة واللومبارد والحضارة الإسلامية [15] .

تبلغ مساحته حوالي 2.510.000 مليون كلم مربع ، وهو كما سبق ذكره شبه مغلق يحد أوروبا من ناحية الجنوب ،ويحيط به اليابس من جميع الجهات تقريبا ، ولا يوجد له سوى منفذين ، أحدهما اصطناعي وهو قناة السويس التي تصله بالبحر الأحمر ،والآخر طبيعي وهو مضيق جبل طارق البالغ طوله 57.6 كلم ، ويبلغ البحر الأبيض المتوسط أقصى امتداد له بين الشرق والغرب بطول يقدر بحوالي 3680 كلم وعرض قدره 1400 كلم ، في حين يبلغ أقصى عمق لمياهه 16896 قدم تحت منسوب سطح البحر [16] .

وينقسم هذا البحر ظاهريا إلى قسمين غير متساوين في المساحة ،حيث تفصلهما منطقة ضحلة تمتد من تونس إلى صقلية ومن ثم إلى إيطاليا وتعرف بالحوض الغربي [17]، ومساحته حوالي 1.25 مليوم كلم [18] ،ويبدوا هذا الحوض في وصفه على شكل مثلث قاعدته في الشمال الإفريقي وقمته في خليج جنوة ، وهو في وضعه هذا يختلف من حيث الإتساع عن الحوض الشرقي [19] الذي يشمل على البحر الأدرياتيكي وبحر إيجة .

---

([14]) محمد السيد غلاب ، الساحل الفينيقي في الجغرافيا والتاريخ ، ط1 ، دار العلم للملاين ، بيروت ، لبنان ، 1969 م ، ص ص : 34 ، 35

([15]) عطلي محمد الأمين ، نشاط البحرية الجزائرية في القرن 17 م وأثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، 2011 / 2012 م ، ص : 20

([16]) محمد خميس زوكة ، المرجع السابق ، ص : 292 .

([17]) يسرى الجوهري ، جغرافية البحر المتوسط ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1984 م ، ص : 09 .

([18]) ش . بدران ، أطلس دول العالم الكبير ،بيروت ،لبنان ، 1999 ، ص : 176 .

([19]) يسرى الجوهري ، المرجع السابق ، ص : 09 .

وتعرف أجزاء من البحر المتوسط بأسماء معينة خاصة ،منها البحر الأيوني الواقع بين الساحل الجنوبي الشرقي لشبه جزيرة إيطاليا والساحل الغربي لليونان ، وبحر إيجة الواقع شرقي اليونان ،والتيراني الواقع غرب إيطاليا وجزيرتي سردينيا غربا وصقلية جنوبا [20] .

هذا ويحتوي البحر المتوسط على عدّة مضايق هامة ، منها مضيق البوسفور ومضيق الدردنيل ومضيق كارياثوس جنوب تركيا ، ومضيق كيثرا في اليونان ،ومضيق مسينا بين إيطاليا وجزيرة صقلية ،وأشهرها على الإطلاق مضيق جبل طارق [21] ،الذي سماه الرومان قديما بأعمدة " هرقل " نظرا لمناعة المرتفعات التي تقوم على جانبيه من الناحية الأوروبية والإفريقية ، إذ ليس بينهما سوى 14 كلم ، وكانت الصلات والروابط بين الجانبين من السهولة واليسر بمكان لدرجة دعت بعضهم إلى حسبان إسبانيا جزءا من إفريقيا ، وقد سمّاه العرب أيضا بإسم " الزقاق الضيق " وظل حاملا للتسمية إلى أن وصل القائد العربي " طارق بن زياد " إلى الأندلس لفتحها ، فكان أول من اكتشف أهمية المضيق الحربية والبحرية فبنى به قلعة منيعة على الجبل الذي حمل إسمه ، ومنذ ذلك الحين أصبح مضيق يعرف بمضيق جبل طارق وسيظل هذا المعبر حيوي محط صراعات ونزاعات دولية من أجل الهميمنة و السيطرة على البحر الأبيض المتوسط [22].

كما يحتوي هذا البحر على عدّة جزر هامة لها أثرها في التاريخ ، منها جزيرة صقلية في الحوض الشرقي ،و جزيرة كورفو وكريت وجزيرة رودس في الحوض الغربي [23]

.

---

([20]) محمد خميس زوكة ، المرجع السابق ، ص : 293

([21]) فايز محمد العيسوي ، الجغرافيا السياسية المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2011 م ، ص : 223.

([22]) محمد رفعت بك ، التيارات السياسية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ملتزمة الطبع للنشر ، لجنة البيان العربي ، ص : 07 .

([23]) جودة حسين جود و علي أحمد هارون ، جغرافية الدول الإسلامية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1993 م ، ص : 27

**الأهمية التاريخية والحضارية للبحر الأبيض المتوسط :**

إنّ من يتأمل في الحضارات الإنسانية ويحاول دراستها واستقراءها بطريقة موضوعية ،فإنه سيلاحظ أن معظم الحضارات المتعاقبة قد نشأت على ضفاف البحر الأبيض المتوسط ، لذلك يعد هذا البحر من أهم بقاع العالم [24] ،فهو منبع الحضارة الإنسانية وملتقى الثقافات ومواطن الشعوب والأعراق المختلفة ومهد الديانات السماوية ومنطلق النهضة والتكنولوجيا الحديثة وموطن الفكر والأدب والفلسفة والفنون ، وقد شهد هذا البحر منذ تاريخه ازدهار بعض الدول وامتداد دول قوية واضمحلال أخرى ، وكان شاهدا عيانا على العصور السالفة والحديثة وماشهدته المنطقة المتوسطية من أحداث وتواريخ في حالتي السلم والحرب والحوار والصدام والانفتاح والانغلاق ، ويقول بروديل في هذا الصدد متحدثا عن الأهمية الكبيرة للبحر المتوسط " بأنه لا يمكن للباحث معرفة تاريخ العالم وتاريخ البحار دون دراسة تاريخ البحر الأبيض المتوسط " [25]، ولعل هذه الخصوصية التي اكتسبها البحر المتوسط راجعة لموقعه الوسطي في قلب العالم القديم وتوفره على عوامل قيام الحضارة ونشاط الاقتصاد .

كان من أثر شيوع السلم والأمن في ربوع البحر الأبيض المتوسط في بعض حقب التاريخ أن نعم العالم بأثمن ما أنتجه الفكر الإنساني من حكمة وأدب وعلوم ، فعلى سواحله ظهرت أعظم المدنيات تأثيرا في التاريخ ، وهي المدنيات المصرية والإغريقية والرومانية والإسلامية ، وظل الناس يستمدون منها فنونهم وعلومهم حتى اكتشفوا العالم الجديد وطريق الرأس الرجاء الصالح الموصل لعالم الشرق أين تتوفر الأحجار الكريمة والعطور والتوابل والحرير ، إلا أن الأنظار بقيت مشدودة لهذه البحيرة الإستراتجية ،

---

([24]) جودة حسين جود و علي أحمد هارون ، المرجع السابق ، ص : 27 .

([25]) broudel ferdinand , la mediterané et le mond méditeranien a l'époyue de phlipe tom : 02 , paris , 1976 , p p : 24

فكانت كل دولة تنظر بعيون شاخصة متيقضة حريصة كل الحرص على أن لا تنفرد دولة كائنة من كانت بميزة السلطة والسيادة على البحر [26].

لإدراك هذه الدول أن من يسيطر على البحر المتوسط ساد العالم بأسره ، وفي ذلك يقدم لنا المفكر ماكيندر معادلة لنظريته المتعلقة بالسيطرة على العالم ،وقوام هذه المعادلة أنه من يسيطر على أوروبا الشرقية يسيطر على قلب الأرض ، ومن يحكم قلب الأرض يسيطر على الجزيرة العالمية، ومن يحكم الجزيرة العالمية يهيمن على العالم [27].

ويؤكد التاريخ صحة المعادلة فالإمبراطوريات العظمى التي سادت العالم قد أحكمت قبضتها على البحر وأخضعته لنفوذها ، ففي التاريخ القديم قامت حضارة مصر على نهر النيل ، وهذه الحضارة كانت على اتصال مباشر بالبحر الأبيض المتوسط ، إلا أنها بقيت مرتبطة بطابعها النهري حتى بعد أن بنى المصريون السفن واستولوا على بلاد الشام وسواحل فينيقية ، وعلى جميع موانئ شرق البحر الأبيض المتوسط حتى جزر إيجة [28].

كما ظهرت في الشمال حضارة بحرية عاصرت الحضارة المصرية ، وكان مركزها جزيرةكريت وعاصمتها مدينة " كنوسس " وقد ازدهرت هذه الحضارة في بحر إيجة حوالي 2500 سنة قبل الميلاد ، واتصلت بقبرص وشمالي إفريقيا وشرقي المتوسط وغربه ، ولكن حدث ماقوض دعائم هذه الحضارة فاندثرت آثارها ومعالمها ، إلى أن تمكن بعض العلماء الإنجليز في أوائل القرن العشرين من كشف معالمها ، وقد دلت هذه الحضارة عن

---

([26])محمد رفعت بك ، المرجع السابق ، ص : 06 .

([27]) برد رتيبة ، الحوار المتوسطي من برشلونة إلى منتدى 5+5 ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، جامعة الجزائر ، 2009 / 2010 م ، ص : 36 .

([28]) ساعد ماهر ، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، الجيزة ، مصر ، 1967 م ، ص : 23

قيام حضارة راقية في جزيرة كريت وبحر إيجة ، وبزوال هذه الدولة زالت آثار أوّل دولة بحرية سادت في مياه البحر الأبيض المتوسط قبل ألفي سنة قبل الميلاد [29] .

ولما ضعف سلطان الدولة المصرية أخذت شعوب شرق المتوسط تتحرر من الحكم المصري ، فظهر الفينيقيون في سواحل الشام ولبنان ،وكانوا أول من خاض البحر الأبيض المتوسط غربا وشرقا ،وأسسوا على سواحله عدّه مستعمرات وقواعد تجارية [30] .

ولما قامت دولة الآشوريين في القرن التاسع قبل الميلاد ، سعت هي الأخرى للسيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط ،على أن الفترة التي سادت فيها هذه الدولة لم تطل أكثر من قرن ونصف من الزمن ، فقد تعرضت لهجوم عنيف من طرف الفرس الذين استولوا عليها سنة 606 قبل الميلاد ، وأصبحوا هم أصحاب السيادة في الشرق ، وكونوا إمبراطورية عظيمة دانت لها غرب آسيا وشرق أوروبا حتى حدود مصر جنوبا ، وعاصر دولة الفرس قيام المدينة الإغريقية القديمة وظهور المدن اليونانية التي اتخذت من البحر ميدانا خصبا لنشاطهم ، ولذلك سرعان ما اصطدمت المصالح بين دولة الفرس واليونان ونشب صراع هائل استمر أكثر من قرن من الزمن ، وكان ذلك أول صراع بين الشرق والغرب تناول الاحتكام والسيطرة في البحر المتوســـــــــــط [31].

وسرعان ما انتقل الصراع من شرق البحر المتوسط إلى غربه ، وذلك إثر ظهور روما في شبه جزيرة إيطاليا التي تقسم البحر المتوسط إلى حوضين شرقي وغربي ، وسيشهد القرن الثالث قبل الميلاد اصطدام المصالح بين روما والإغريق في جنوب إيطاليا ، ثم مع القرطاجين الذين يتواجدون في السواحل الإغريقية ، وكان الصراع بين روما

---

([29]) محمد رفعت بك ، المرجع السابق ، ص: 07 .

([30]) يسرى عبد الرزاق الجوهري ، الكشوف الجغرافية ( دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية ولتطور الفكر الجغرافي ) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1984 م ، ص : 29

([31]) محمد رفعت بك ، المرجع السابق ، ص : 27 .

وقرطاجة صراعا هائلا بين مجتمعين عظيمين أحدهما في قرطاجة يقوم على المال والتجارة والبحر ،والآخر في روما يقوم على الزراعة والأرض ،وتعرف الحرب التي نشبت بينهما بالحروب البونية وكان موضوع التزاع بينهما يدور حول التسلط على جزيرة صقلية و مضيق مسينيا بالخصوص وعلى البحر المتوسط على وجه العموم [32] وقد انتهت بالغلبة لصالح روما التي سيطرت على البحر قرابة خمسة قرون من الزمن.

وبداية من عهد قسطنطين بدأت الأخطار تظهر حول حدود الدولة الرومانية ، خاصة على الحدود الشرقية المتاخمة لدولة الفرس الساسانية، أين ظهرت الهجومات الفارسية على الدولة البيزنطية والتي استمرت قرابة مائة سنة ، وبينما كان الفرس والروم في صراع مرير ، ظهرت دولة الإسلام في شبه الجزيرة العربية ، والتي سيكتب لها أن تسود في البحر المتوسط ، و لم يطل بهم الزمن حتى استطاعوا في عهد الأمويين أن يخضعوا جزيرة قبرص ويهاجموا بيزنطة .

كما استطاعوا فتح الأندلس واحتلال جزر البليار وصقلية وجنوبي إيطاليا [33] ،وليس معنى هذا أن البحر الأبيض المتوسط قد صار بحيرة إسلامية ،كما كان بحيرة رومانية في عهد الرومان ، فإن الدولة البيزنطية الشرقية ظلت مسيطرة على سواحل آسيا الصغرى، المضايق وبحر إيجة وشبه جزيرة البلقان ، كما ظلت الدولة الرومانية المقدسة التي أنشأها شارلمان تسيطر على شمال ووسط إيطاليا وجنوب فرنسا ، ولكن الأمر المحقق هو أن فتوح العرب في الشرق والجنوب قد قسمت حوض البحر الأبيض المتوسط إلى

---

([32]) فرانسوا دوكريه ، قرطاجة الحضارة والتاريخ ، تر : يوسف شلب الشام ، مكتبة الأسد ، دار طلاس ، دمشق ، 1994 م ، ص : 65 .

([33]) محمد رفعت بك ، المرجع السابق ، ص : 28 .

قسمين متميزين ، فقد طبع العرب القسم الشرقي منه بالطابع الإسلامي العربي وبقي القسم الغربي ذا طابع مسيحي [34] .

وابتداءا من القرن الحادي عشر سيتغير الوضع بالبحر المتوسط ، حيث سيشهد سيطرة الأوروبيين عليه خاصة الحوض الغربي منه ، وكانت هذه السيطرة تامة على جزر كورسيكا وسردينيا وصقلية ومالطة وجنوب إيطاليا ، كما زاد ضغطهم على جزر البليار وكانت أساطيلهم تغير على السواحل الإسلامية في إسبانيا وإفريقيا ، وبفضل الحملات الصليبية إستطاع الغرب أنت يحصل أيضا على سيادة مماثلة في سوريا وفلسطين ، وسمح الوضع بسيطرة الأوروبيين على طريق التجارة البحرية الرابطة بين شرق المتوسط وغربه ، كما سيطروا على جل المراكز الإستراتجية الهامة التي كانت قبلا في قبضة المسلمين [35].

وبعد مضي حوالي قرنين من الزمن سيتأيد سلطان المسلمين من جديد ،وذلك بظهور الأتراك العثمانيين في بلاد الأناضول ، وستقلب دولتهم ميزان القوة في شرق المتوسط وفي غربه أيضا ، وقد أدرك العثمانيون بعد فتحهم للقسطنطينية وإحكام قبضتهم على المضايق ، ما للقوة البحرية من عظيم النفع والأهمية ، فوجهوا عنايتهم بالأسطول البحري، واستولوا على جزر بحر إيجة وأخضعوا البنادقة لدفع الجزية ، وقد قوي مركزهم بالبحر المتوسط إثر فتح مصر والشام وفتح جزيرة رودس وسواحل إفريقيا ،وبذلك أصبحت سيادة تركيا البحرية غير مقصورة على شرقي البحر المتوسط بل تجاوزته إلى الغرب أيضا [36] .

ونتيجة لظهور الدولة العثمانية وازدياد نشاط بحريتها بشكل مكثف ، شهد هذا البحر صراعا مريرا بين حوضيه الشرقي والغربي ، وكذا ضفتيه الشمالية والجنوبية وذلك

---

([34]) المرجع نفسه ، ص : 29 .

([35]) أرشيبالد ر. لويس ، المصدر السابق ، ص : 384 .

([36]) محمد رفعت بك ، المرجع السابق ، ص : 42 .

إثر الاصطدام الحاصل بين القوة العثمانية وإسبانيا أكبر قوة بحرية أوروبية آنذاك ، ومما زاد في إذكاء هذا الصراع هو قدوم الإخوة بربروس إلى الحوض الغربي وخوضهم الحرب ضد الصليبين والتي أخذت عدّة صفات منها ، إنقاذ أهل الأندلس من الاضطهاد الحاصل لهم بإسبانيا ، وكذا تحرير الشمال الإفريقي من الاحتلال الإسباني [37].

ومما زاد في حدة هذا الصراع على المتوسط ، منع الملك " جيمس الأول " أعمال القرصنة والغارات في البحار في القرن الخامس عشر ميلاد ( 15 م ) ، فغير القراصنة الأوروبيون موانئهم في إنجلترا و إيرلندا واتجه كثير منهم نحو سواحل شمال إفريقيا ، كما قام قراصنة هولندا وإنجلترا بالإبحار نحو المتوسط ووصلوا إلى جبل طارق ، وبوصول إنجلترا إلى الحوض الغربي للمتوسط ، أصبحت تشكل تهديدا على القوى الأوروبية والمغاربة واحتدم الصراع بين هذه القوة ، وأصبحت كل قوة بحرية في الحوض الغربي تسعى للتسديد وممارسة السلطة ، ولم يتوقف الصراع في الحوض الغربي للمتوسط طيلة ثلاث قرون كاملة، في الفترة الحديثة بين أمم أوروبا فيما بينها تارة ومع الأمم الإسلامية في شمال إفريقيا تارة أخرى . وبما أن هذا البحر كان محل ظهور الديانات السماوية ، فقد شهد صراعا دينيا مريرا بين الإسلام والنصرانية ، فقد أظهرت الكنيسة تأثيرها المادي والمعنوي في ترجيح كفة الصراع لصالحها ، كما لعبت الديانة دورها إبان الحروب الصليبية على بلاد الإسلام [38].

**الأهمية الاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط :**

كان من الأهمية البالغة أن يكون البحر الأبيض المتوسط أول البحار التي إكتشفها الإنسان ، وقد أجمع الكثيرون على أنه كان المدرسة الأولى لتعلم الملاحة البحرية ، فهو

---

( [37]) محمد الأمين عطلي ، المرجع السابق ، ص : 22 .

( [38]) نفسه ، ص : 23 .

كما يدل عليه إسمه يقع وسط اليابس فهو بحر داخلي يخلوا من آثار العواصف التي تكثر في عرض المحيطات ، أضف إلى ذلك أن أهميته بالنسبة لملاحي العهود الغابرة ترجع إلى خلوه من حركات المد والجزر ، حتى أنه مهما اختلف المكان وفي أي وقت من الأوقات كانت السفن الصغيرة تستطيع أن ترسوا على شواطئه في سهولة ويسر ، ويتشارك المتوسط هذه الميزة مع البحر الأحمر والأسود والخليج الفارسي ، ولكنه يفوقها جميعا في مساحته الواسعة وينفرد دونها بمزايا لم تتوفر لأي من البحرين الآخرين ، ذلك أن شواطئه على العموم أكثر خصبا و لاتنقصها المرافئ الطبيعية الجيدة ، وتتصف بوجود الرؤوس الأرضية البارزة والسواحل الكثيرة التعاريج ،والجزر المبعثرة ظاهرة فوق سطح المياه ولايغيب البر فيه عن ناظر الملاح والمأوى قريب دائما إن جدّ الخطر فهو بهذه المزايا أهم البحار [39] .

ولذلك شكل البحر المتوسط فضاءا اقتصاديا هاما إذ لايمكن لأحد أن يتجاهل أهميته الكبيرة في مجال النقل البحري والتجاري ، كما يعد موردا هاما للثروة لتوفره على الكثير من المصادر الثمينة والمعادن [40] ، وقبل أن نخوض في الأهمية الاقتصادية لهذا البحر يتوجب علينا أن نشير إلى أمر مهم ، وهو أن حركة الملاحة والسفن التجارية في مياه المتوسط كانت واضحة المعالم و لم تتغير و لم تتأثر بتغير الأنظمة السياسية وتبدل القوى المسيطرة عليه [41] .

فعبر التاريخ شكلت الحركة التجارية في هذا المسطح المائي الدافع الرئيسي والمحرك الأساسي لتفاعل العلاقات في المنطقة ، كما أن العامل الاقتصادي كان المنطلق لكثير

---

([39]) جيمس فريجريف ، الجغرافيا والسيادة العالمية ، تع : علي رفاعة الأنصاري ، مر : محمد عبد المنعم الشرقاوي ، مكتبة النهضة المصرية ، 1956 م ، ص : 56.

([40]) شريف محمد شريف ، جغرافية البحار والمحيطات ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1964 م ، ص : 65 .

([41]) عطلي محمد الأمين ، المرجع السابق ، ص : 24 .

الصدامات التي شهدتها المنطقة [42]، وفي ذلك يقول بروديل : " إن تاريخ البحر المتوسط لعب فيه الاقتصاد دورا حاسما في أغلب الأحيان في الثروات التي يأتي بها البحر كمسطح ، فسيد هذه الثروات هو من سيطر على البحر ، و لم يكن هذا البحر على سعته يقبل بسيد واحد في وقت واحد ، وليس من الضروري أن يكون هذا السيد سياسيا وإنما سيد المبادلات والحياة التجارية " [43] .

إنّ الأهمية الاقتصادية لحوض المتوسط حتمت على شعوبه العيش بلا إستقرار نتيجة لكثرة الصراعات ، يقول ابن خلدون : " الساكنون بسيف هذا البحر وسواحله وعدوتيه يعانون من أحواله مالا تعانيه أمة من أمم البحار " [44] ،والمتتبع لمسار التاريخ سيدرك حتما مدى الاصطدامات التي وقعت والنزاعات التي حدثت بين شعوبه من أجل السيطرة والتملك ووضع اليد على أهم السواحل والمضايق ، وقد كان الفينقيون أهم شعب استشعر الأهمية الاقتصادية للبحر المتوسط ، فأسسوا على ضفافه عديد الموانئ والمدن التجارية كصور وصيدا وقرطاجة ، واحتكروا بفضل خبرتهم البحرية طرق التجارة وتحكموا في المبادلات التجارية والأسواق العالمية التي فاضت بمنتجات إفريقيا والبلدان الآسياوية [45].

جاء الرومان الذين سيطروا على كافة البحر المتوسط وتحكموا في مضايقه وسيروا العلاقات التجارية في المنطقة، فجعلوا منه معبرا رئيسيا نحو مستعمراتهم وخاصة نحو شمال إفريقيا التي كانت بمثابة مخزن للحبوب بالنسبة لروما، والتي خففت عنها حدّة الأزمات

---

([42]) جيمس فريجريف ، المرجع السابق ، ص : 57 .

([43]) broudel ferdinand , op.ct : p 133

([44]) عبد الرحمان ابن خلدون ، المقدمة ، ج1 ، مر : سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 2001 م ، ص : 34 .

([45]) محمد أبو المحاسن عصفور ، المرجع السابق ، ص : 116 .

الاقتصادية في العديد من الفترات [46]،والمتتبع لحركة الفتح الإسلامي بعد ذلك والتي امتدت من المحيط الهندي إلى المحيط الأطلسي ،سيدرك أنها استفادت اقتصاديا من جرّاء استخدامها للبحر في عمليات الفتوح ، كما ساهم الفتح الإسلامي في تنشيط الحركة التجارية العالمية بالبحر المتوسط ،حيث نمت عديد المدن المتوسطية كالقيروان وفاس وعادت أخرى للحياة كإشبلية وقرطبة [47].

وبقي البحر المتوسط محافظا على مكانته كممر تجاري هام بالنسبة لكافة دول العالم، فجميع الدول تحتاج للمرور عبره عندما تريد نقل بضائع الشرق إلى الغرب أو العكس [48]، وقد ساعده في ذلك موقعه الوسطي في العالم وتوفره على المضايق الإستراتجية ،وأهم طريق فيه ذلك الذي ينطلق من شرق آسيا في المحيط الهادي عابرا المحيط الهندي عند ميناء سنغافورة ليجتاز البحر الأحمر وباب المندب ثم قناة السويس ، وعبر مضيق جبل طارق نحو أوروبا الشمالية و الأمريكيتين ، ليقلص المسافة التي تقطعها الأساطيل التجارية إلى النصف بالمقارنة مع تلك التي تعبر نحو إفريقيا الجنوبية [49].

ظل البحر المتوسط يحتفظ بأهميته الاقتصادية طيلة العصور الوسطى لتركز الطرق التجارية به ،واستمر الحال كذلك إلى غاية الفترة الحديثة أين أخذت أهميته تتراجع بعد ظهور الإسبان والبرتغال كقوى تجارية وبحرية ، حيث قاموا بتنشيط حركة الكشوف الجغرافية من أجل الوصول إلى الشرق وكسر الهيمنة العربية على تجار التوابل والحرير والعطور [50] ،وسيعرف البحر المتوسط ركودا اقتصاديا بعد اكتشاف العالم الجديد سنة

---

([46]) يسرى عبد الرزاق الجوهري ، المرجع السابق ، ص : 29 .

([47]) عطلي محمد الأمين ، المرجع السابق ، ص : 25 .

([48]) أرشيبالد ر. لويس ، المصدر السابق ، ص : 14 .

([49]) محمد إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص : 20 .

([50]) يسرى عبد الرزاق الجوهري ، المرجع السابق ، ص ص : 127 - 132 .

1492 م ،وتحول المسار التجاري نحو رأس الرجاء الصالح انطلاقا من سنة 1497 م [51] ،وبالرغم من ذلك فقد اجتمعت عدة عوامل أعادت للبحر المتوسط هيبته الاقتصادية ، ومن بين هذه العوامل :

- ظهور الثورة الصناعية التي جعلت من المتوسط جسر وممر عبور نحو المستعمرات لنقل المواد الأولية إلى مصانعها في الشمال .
- شق قناة السويس والتي زادت من أهمية البحر المتوسط ، من خلال تسهيل حركة التنقل .

وكنتيجة عامة فإن البحر المتوسط بأهميته الجغرافية والتاريخية والحضارية والاقتصادية قد شكل فصلا من فصول الصراع منذ أقدم العصور إلى اليوم ، وقد عانت الأمم الناشئة بضفافه من تبعات هذا الصراع وتأثرت به بشكل كبير وخاصة بلاد المغرب الإسلامي على وجه العموم والجزائر على وجه الخصوص ، ولذا ارتئينا أن نتحدث عن الجزائر بتلميح بسيط كونها موضوع بحثنا لنردف أهميتها بأهمية البحر المتوسط .

إن من يتأمل في الخرائط الجغرافية سيدرك حتما أن الجزائر من أهم الدول المتوسطية نظرا لموقعها الجغرافي الممتاز ، فهي تطل على البحر المتوسط من ناحية الشمال وضاربة بعمقها في الصحراء من ناحية الجنوب ، وقد ساعدها ذلك كي تكون مرتعا للعديد من الحضارات .

إن موقع الجزائر المطل على البحر جعل أنظمتها السياسية طول فترات تواجدها تعيش في حالة تأهب واستعداد لرّد أي عدوان والوقوف في وجه كل من يحاول ضرب الاستقرار وما يمكن أن نستخلصه أن الجزائر قد عانت وتضررت كثيرا من جراء موقعها

---

([51]) فتحي أحمد أبو عيانة ، الجغرافيا الاقتصادية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1984 م ، ص : 65 .

الاستراتجي ، إذ كلفها خسائر مادية وبشرية وكذا فقدان أمنها واستقرارها [52]، وعلى العموم فإن البحر الأبيض المتوسط ، قد أعطى لهذه البلاد هيبة لا تضاهى خلال الفترة الحديثة ، فكان البحر سببا في قوتها وعاملا في سقوطها واحتلالها .

# الفصل الأول

## الأتراك العثمانيون و البحر الأبيض المتوسط

المبحث الأول : **الدولة العثمانية كقوة ناشئة في البحر المتوسط**

المبحث الثاني : **ظهور الإخـــــوة بـــــــــــــــــــــــــــــربروس**

المبحث الثالث : **التحاق الجزائر بالخلافة العثمانية**

## المبحث الأول : الدولة العثمانية كقوة ناشئة في البحر المتوسط

تتعدد الروايات حول قيام الدولة العثمانية كقوة لها شئنها ببلاد الاناضول ، حيث ساهمت العديد من العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها المنطقة في توفير المناخ الملائم لهذه الدولة كي تنشأ وتترعرع ، فبدأت كإمارة صغيرة لتصبح فيما بعد أعظم إمبراطورية ورثت خلافة الإسلام ودافعت عن المسلمين ، وستتمكن بفضل سلاطينها الأقوياء أن تفرض هيبتها وتصنع القرار في مسار التاريخ الحديث [53].

قال الحسن البصري في أصل هذه الدولة ونسبها ، أنّهم يعودون إلى يافث بن نوح عليه السلام ، فيافث هو أبو الترك ويأجوج ومأجوج بنو عمٍ لهم ، وسُمى الترك تركاً أنّ ذى القرنين لما بنى السد على يأجوج ومأجوج ، كان منهم طائفة غائبة وقت بناء السد و لم يعلموا ببناءه فتركوا خارجا عنه ، فسميت هذه الطائفة تركاً لكونهم تُركوا خارج السد ، في حين يرى مؤرخو الدولة العثمانية من الأتراك -ولا شك أنهم أعلم الناس بتاريخ بلادهم- أن أصل شجرة آل عثمان متصل بيافث ابن نوح عليه السلام ، فيقلون

---

([53]) محمد عاكف آيدين ، كمال بكديلي وآخرون ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، مج 1 ( الدولة والمجتمع والاقتصاد ) ،ت: صالح سعداوي، تق : أكمل الدين إحسان أوغلي ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، إسطنبول ، 1929 م ، ص : 5 .

أنها تبتدأ بعثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه بن قيالب بن قزل بوغا بن باتيمور ابن قايلعة بن طغرا بن قرانيو بن ماينفر بن يولعاي بايسنقور بن توفتحور بن ياسان بن حميدة بن افتلق بن قاري جالتمور بن طورج بن قزل بوغا بن باشبوي بن جورمز بن بايو بن طغرا بن سونج بن جارينا بن تورلست بن فوخان بن بالحق بن خاس بن قرعلان بن سليمان شاه بن فرحلو بن بورلوعان بن تيمور بن تورمسن بن كولوالب ابن ادعون بن مورخان بن قابي خان بن ابولجاي بن أبي الحارث بن يافث بن نوح عليه السلام [54] .

إن كثرة المصادر والمراجع التي تحدثت عن نشأة دولة الأتراك العثمانيين ، تكاد تتفق في أغلبها أن نسبها يعود إلى يافث بن نوح عليه السلام [55] ،وهي تنتمي في الأصل إلى إحدى القبائل الغزية ، وبالتحديد قبيلة " قابي " وهي قبيلة تركمانية حكمت منطقة ماهات الصغيرة في الجزء الشمالي الغربي من إيران حاليا ، وعندما استولى المغول بقيادة جنكيزخان على تركستان ، هاجرت القبائل التركية التي كانت تعيش في المنطقة ومن ضمنها قبيلة " قابي " بزعامة سليمان شاه ، الذي فرّ من المغول رفقة آلاف الأتراك مخافة من أن يقع في خطر العبودية أو الموت المحتم على يد هؤلاء الغزاة الجدد [56] ،فأستقر في أخلاط الواقعة في شرقي تركيا الحالية ، ولكن إقامته بها لم تدم طويلا حيث قرر هذا الأخير مغادرة المكان قاصدا وجهة جديدة نحو عربستان ، فمر بجماعته على نهر الفرات وبينما كان يعبره سقط فيه غريقا فمات ودفن بقربه في مكان يعرف إلى الأن بمزار الأتراك

---

([54]) سليمان بن خليل بن بطرس جاويش ، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية ، ط 1 ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1987 م ، ص : 43 .

([55]) سليمان بن صالح الخراشي ، كيف سقطت الدولة العثمانية ، ط : 1 ، دار القسم ، الرياض السعودية ، 1420 ه ، ص : 11 ,

([56]) محمود محمد الحويري ، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى ، ط : 1 ، المكتب المصري للتوزيع ، القاهرة ، ص : 35 .

، وترك خلفه أربعة أبناء هم : ( سنقور تكين ، كون طوغدي ، دوندر و أرطغرل ) [57] .

انقسم أفراد العشيرة بعد وفاة زعيمها سليمان شاه بين أبنائه الأربعة ، فقاد اثنان منهم معظم القوم عائدين إلى خرسان للدخول في خدمة المغول ، بينما تابع الأخوان الباقيان المسير غربا إلى الاناضول ، وتولى أرطغل زعامة هذا الجزء من القبيلة [58] ، وتقول الرواية التاريخية أن أرطغرل هذا قاد جماعة قومه المؤلفة من أربعمئة فارس وعائلاتهم وسار بهم باتجاه الأناضول وفي طريقه شاهد معركة دائرة بين فريقين لايعرفهما فحث أتباعه على نصرة الفريق الخاسر ،الذي تبين بعد التمكين له بالنصر أنه لسلطان دولة السلاجقة " علاء الدين السلجوقي " ، فما كان من هذا الأخير إلا أن كافئ أرطغرل بمنحه أرضاً تسمى " أسكي شهر " ، وهي أرض تقع بين الروم البزنطين وإمارة قونية السلجوقية [59] وبالتحديد في شمال غربي الأناضول [60] .

بعد وفاة أرطغرل سنة **1281** م ، انتقلت زعامة القبيلة إلى أكبر أبنائه وهو عثمان ( **1281** م _ **1362** م ) مؤسس الدولة العثمانية فانحصرت اهتماماته في تأسيس قواعد الدولة العثمانية وتوسعيها على حساب البزنطيين ،مستغلا الفوضى والإهمال المسيطرين على الاراضي البزنطية بالأناضول ، وكان عثمان مواليا للسلطان علاء الدين ومساعده في افتتاح العديد من المدن الحصينة والمنيعة ، فأكرمه بأن سمح له بضرب السكة بإسمه وأمر له

---

([57]) حمزة عزتلو يوسف بك آصاف ، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الان ، تق : محمد زينهم محمد عزب ، ط : 1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1995 م ، ص : 29 .

([58]) نيقولو باربارو ، الفتح الإسلامي للقسطنطينية ( يوميات الحصار العثماني سنة 1453 م ) ، ت : حاتم عبدالرحمان الطحاوي ، ط : 1 ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، ص : 15 .

([59]) محمود السيد الدغيم ، أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية ( الحضارة الإسلامية وعالم البحار ) ، منشورات إتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، 1994 م ، ص : 13.

([60]) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، أصول التاريخ العثماني ، ط : 1 ، دار الشروق ، مصر ، 1982 م ، ص : 14 .

بأن تخطب صلوات الجمعة بإسمه ويدعى له في المنابر ومنحه لقب " بـــــــــــــــكْ " [61] ، وفي حوالي عام **1300** م ، زحف جيش التتار على سلطنة علاء الدين، و انتهى الأمر بوفاته فقام الأهالي بمبايعة عثمان بن أرطغرل سلطانا عليهم [62] ،ومن هنا انفتح المجال للدولة بأن تتوسع فقام هذا الأخير بالتمركز في مدينة "قره حصار" واستولى على القلاع الحصينة " لاسكي شهر " ، ومالبث أن استولى أيضا على مدينة "بني شهر" [63] أين أصبحت هذه المدينة مقرا لحكمه ، ولقب نفسه بادشاه آل عثمان أي سلطان العثمانيين [64] .

قام عثمان بحصين المدينة وتمصيرها وتجميلها وعمل على تأمينها من العدو ، ولما تم له ذلك شرع في تنفيذ مشروعه التوسعي ، فأرسل إلى أمراء الروم بآسيا الصغرى يخيرهم بين الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب كما هي عادة المسلمين في حروبهم فأسلم بعضهم وقبِل البعض الآخر دفع الجزية ، بينما استعانت البقية عليه بالتتار فندب إليهم عثمان ابنه أورخان فشتت شملهم وتمكن من الانتصار عليهم ، وفي السادس من أبريل 1326 م سقطت في يده مدينة بورصة بعدما دام حصارها قرابة العشر سنوات [65] ، والواقع أن استلاء العثمانيين على بورصة كان خطوة هامة حولت إمارتهم إلى دولة حقيقية ذات عاصمة وشعب مستقر وجيش نظامي وإدارة منظمة تشرف على مهام الدولة ، حدث هذا في وقت شهد فيه البيزنطيون فتناً داخلية وحروبا أهلية ومنازعات سياسية بين أفراد

---

([61]) محمود محمد الحويري ، المرجع السابق ، ص : 38 .

([62]) حضرة عزتلو يوسف بك آصاف ، المصدر السابق ، ص : 34 .

([63]) **بني شهر** : أويكي شهر ، ومعناها البلد الحديث وتقع شمال الشرقي من بورصة ، أنظر : فائقة محمد حمزة ، أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 1989 م ، ص : 12

([64]) محمود محمد الحويري ، المرجع السابق ، ص : 38 .

([65]) محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العثمانية العلية ، تح : إحسان حقي ، ط : 1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1981 م ، ص : 63 .

الأسر الحاكمة ، فأصبح العثمانيون يتدخلون بدافع المصلحة بين الأباطرة البيزنطيين المتنافسين فيما بينهم [66]، فأرسلوا بإنتظام قوات كمرتزقة إلى القسطنطينية وتراقيا ، حيث وقعت عيونهم على مدى ضعف بيزنطة من جهة واغتنام فرصة الغزو والتوسع على حساب أراضيهم من جهة أخرى [67] .

بوفاة عثمان بن ارطغرل في بورصة عام ( 726 ه _ 1365 م ) أوصى بالملك لثاني أولاده وهو " أورخان ( 1324 م _ 1362 م ) لما يتصف به من علو الهمة والشجاعة والإقدام ، و لم يوصي به لأكبرهم " علاء الدين " لميل هذا الأخير للورع والعزلة ، [68] وقد سار أورخان على نهج والده في الحكم ، فعين أخاه علاء الدين وزيراً وأمره بوضع الشرائع وسنِ الأنظمة ونقل كرسي الحكومة إلى مدينة بورصة وجعلها عاصمة للدولة [69] ،وقد استمر اورخان في مسيرة الفتح والعمران ، فأرسل جيشا بقيادة إبنه سليمان إلى بلاد الروم ففتح كل من قلعة **ملعزة وأبسالة** ، كما سقطت في يده **نيقوميديا** وهي أزمير حاليا فأنشأ بها أول جامعة عثمانية [70] .

كما أن السلطان أورخان كان أول من صك العملة من الفضة ، فكتب على أحد وجوهها " محمد رسول الله " وعلى الوجه الآخر اسمه ، وقام بترتيب طبقات الجند فجعل منه جيشا دائما بعد أن كان يجمع أيام الحرب ثم يصرف بإنقضاءها ، وقد سمي هذا الجيش " يني تشاري " أي الجيش الجديد ، ثم عرف فيما بعد بالإنكشارية وهم من

---

([66]) محمد عبد اللطيف هريدي ، الحروب العثمانية الفارسية و أثرها في انحصار المد الإسلامي عن أوروبا ، ط : 1 ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1987 م ، ص : 17 .

([67]) محمود محمد الحويري ، المرجع السابق ، ص : 38 .

([68]) محمد فريد بك المحامي ، المصدر السابق ، ص : 71 .

([69]) حضرة عزتلو يوسف بك آصاف ، المصدر السابق ، ص : 34 .

([70]) علي محمد محمد الصلابي ، الدولة العثمانية ( عوامل النهوظ وأسباب السقوط ) ، ط : 1 ، دار التوزيع النشر الإسلامية ، مصر ، 2001 م ، ص : 52

رعايا الدول المسحية من الأطفال الذين يؤخذون صغاراً ويربون تربية إسلامية ويدربون تدريباً عسكرياً [71] .

واستكمالا لإنجازات أورخان التوسعية فقد قام ابنه سليمان باشا من الاستلاء على قلعة " تراقيا " ، كما حقق نصراً كبيراً ضد الإمبراطور البيزنطي **أندرونيق الثالث** ، وألحق به هزيمة فادحة عام **1328** م ،أين استولى بعدها على معظم شبه جزيرة **نيقية** [72] ،وبعد هذه الانتصارات توفي أورخان **1362** م في بورصة بعد أن أنجز العديد من الأعمال والخدمات الجليلة للدولة ، وآل الحكم من بعده إلى ابنه مراد سنة ( **1362** م _ **1389** م ) وكان عمره حين ذاك **34** سنة واستمرت مدة حكمه **31** عاماً ، أي كانت وفاته عام ( **792** ه _ **1389** م ) ، وفي عهد السلطان مراد كانت الإمارات المتاخمة له تنظر إليه بعين الخوف والترقب ، نظرا للنمو السريع الذي شهدته الدولة العثمانية ، فقام هذا الأخير بتوجيه ضربات موجعة إلى خصومه أقعدتهم عن التحرك ضده ، وفي القسطنطينية كان الإمبراطور " امانويل باليولوج " يسعى للإنقضاض عليه [73] لكن السلطان لم يمهلهم ، فقام بضرب **أدرنة** سنة ( **768** ه _ **1366** م ) وجعل منها عاصمة له ، فكان لذلك صدى سيئ لدى عموم العواصم الأوروبية التي دعت إلى قيام حروب صليبية موحدة ضد العثمانيين ، إلا أن مراد تمكن من دحرهم في معركة قوصوه سنة ( **792** ه _ **1389** م ) وسقط شهيدا بأرض المعركة [74].

كانت الإمارة العثمانية في الوقت الذي استشهد فيه السلطان مراد الأول عام **1389** م قد أخذت على عاتقها دورا هاما في أراضي الأناضول ، فتحولت إلى دولة

---

([71]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص : 15 .

([72]) محمود محمد الحويري ، المرجع السابق ، ص : 39 .

([73]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص : 16

([74]) علي محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص : 60

كاملة الأركان [75] ومع اعتلاء بايزيد الأول للعرش ( **1389** م _ **1402** م ) واصل في توسيع رقعة الدولة فجرد جيشا كبيرا زحف به نحو الصرب ،واصطدم هذا الأخير مع تيمورلنك الذي أخذ يتسلط على أملاك الدولة العثمانية ، فالتقى الجيشان في منطقة **توقاد** أين دارت رحى الحرب وانتهت بهزيمة بايزيد وأُخذ كأسير ليتوفى بعد أربعة أشهر من الأسر [76] .

بإنتصار تيمورلنك في هذه المعركة أعاد لجميع إمارت الغزية استقلالها وأعادها إلى سابق عهدها وأعطاها الحماية بعد أن ساعدته في حربه ضد العثمانيين ، وستشهد المرحلة الثانية من مراحل قيام الدولة العثمانية والممتدة من ( **1403** م _ **1566** م ) أزهى فترات الدولة ،حيث قام العثمانيون بإعادة بناء دولتهم من جديد، وتوسعوا بشكل كبير وسريع في كل من آسيا وأوروبا وإفريقيا ، وحكم الدولة في هذه الفترة ستة سلاطيين أقوياء وهم : محمد الأول ، مراد الثاني ، محمد الفاتح ، بايزيد الثاني ، سليم الأول وسليمان القانوني [77] .

عمل محمد الأول ( 1413 م _ 1421 م ) أو كما يعرف في كتب التاريخ العثماني بالسلطان " محمد جلبي " ، على إطفاء الحروب الداخلية وإرجاع الإمارات التي إنفصلت في أيام الفوضى التي تلت وفاة السلطان بايزيد الأول ، ومما يؤثر على استعماله للحزم والحلم في ممارسة الحكم ، فكانت سياسته هادفة إلى توطيد أركان الدولة وتقويتها من الداخل، ولأجل ذلك صالح إمبراطور القسطنطينية وحالفه ، وأعاد إليه بعض المدن على شواطئ البحر الأسود ،كما صالح البندقية بعد هزيمته أمام أسطولها ، وقام بقمع الفتن

---

([75]) محمد عكاف آيدين وآخرون ، المصدر السابق ، ص : 18 .

([76]) إبراهيم بك حليم ، تاريخ الدولة العثمانية العلية المعروف بكتاب ( التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ) ، ط : 1 ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، 1988 م ، ص : 49 .

([77]) مفيد الزيدي ، موسوعة التاريخ الإسلامي " العصر العثماني " ( 1516 م _ 1916 م ) ، دار أسامة للنشر ، عمان ، 2003 م ، ص ص : 73 – 75 .

والثورات وأخضع جُل الإمارات التي أحياها تيمورلنك ، فدانت له بالطاعة والولاء فأستطاع بفضل حنكته وعبقريته في القيادة أن يحافظ على كيان الدولة حين هددتها أخطار التتار وكذا الفتن الداخلية [78] .

بعد وفاة السلطان محمد الأول خلفه من بعده ابنه مراد الثاني ( 1421 م _ 1451 م ) الذي افتتح أعماله بإبرام الصلح مع ملك المجر ،و الاتفاق على الهدنة البالغ أجلها خمس سنوات ، إلا أنّ " إيمانويل " ملك المجر أرادها هدنة دائمة مع تسليم اثنين من اخوة السلطان كضمان لذلك وإلا سيطلق سراح عمّه " مصطفى بن بايزيد " من سجنه لينافسه على العرش وبرفض مراد الثاني للأمر . أطلق إيمانويل سراح " مصطفى " وأمدّه بمراكب حربية ليواجه بها ابن أخيه ، إلا أن مراد الثاني تمكنّ منه وقضى عليه [79] .

ردّ مراد الثاني على عمل إيمانويل العدائي ، حيث قام مراد بمحاصرة القسطنطينية ومهاجمتها في أوت 1422 م ، إلا أنه لم يتمكن من فتحها بسبب ظهور عصيان أخ له اسمه مصطفى ، و لم تلبث هذه الفتنة أن أخمدت بقتله مع الكثير من مناوئيه ، هذا وقد أعاد مراد الثاني للدولة العثمانية ولايات آيدين وصاروخان وغيرها من الإمارات التي انفصلت بمساعدة تيمورلنك [80] .

---

([78]) علي محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص ص : 73 - 75

([79]) روبير مانتران ، الدولة العثمانية ، تر : بشير السباعي ، ج : 1 ، ط : 1 ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1993 م ، ص : 92 .

([80]) محمد فريد بك المحامي ، المصدر السابق ، ص ص : 107 – 109 .

توالت الفتوحات العثمانية واتسع نطاقها وأصبحت الدولة قوية كفاية لتمتلك زمام الأمور ، خاصة في عهد السلطان الجديد محمد الفاتح ( 1451 ه _ 1481 م ) الذي دّك أسوار القسطنطينية بعد أن استعصت على أسلافه من السلاطين [81] .

تمتعت هذه المدينة بأهمية عظمى أين أولاها سلاطين آل عثمان درجة عالية من الاهتمام لأنهم أدركوا تماما أن فتحها سيمكنهم من تأسيس إمبراطوريتهم التي يسعون لبنائها خاصة وأن هذه المدينة تمتلك حصانة طبيعية كبرى ، حيث تحيط بها المياه من ثلاث جهات من الشمال مياه القرن الذهبي ، ومن الشرق مياه البوسفور ومن الجنوب مياه بحر مرمرة فكانت بذلك على درجة كبيرة من المنعة ، وقد أعطاها الإمبراطور قسطنطين اسمه وبنى بها أعظم كنيسة وهي " آية صوفيـــــا " .

تعرضت هذه المدينة للحصار من طرف العثمانيين لأكثر من تسعة وعشرون مرة كان آخرها الفتح المؤزر للسلطان " محمد الفاتح " يوم 29 ماي 1453 م ، والذي اتخذها عاصمة للدولة ، وأصبح اسمها " إسلام بول " أي مدينة الإسلام وقام بتحويل كنيستها الشهيرة آية صوفيا إلى مسجد ، فأقام على أركانها أربعة مآذن وأضاف إلى عمرانها نمطا إسلامياً كما زين جدرانها بآيات قرآنية من الذكر الحكيم [82] .

بهذا الإنجاز سقط أهم معاقل المسحية في الشرق أمام القوة الإسلامية العثمانية ، كما دانت للسلطان محمد الفاتح كل من المورة والصرب والبوسنة وحاصر جزيرة رودس إلا أنه لم يتمكن من فتحها وقد وافته المنية سنة 1481 م [83] .

---

([81]) خليل اينالجيك ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ، ت: محمد . م. الأرناؤوط ، ط : 1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2002 م ، ص : 39 .

([82]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص ص : 28 ، 29 .

([83]) زبيدة عطا ، بلاد الترك في العصور الوسطى ( بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون ) ، دار الفكر العربي ، الكويت ، ص : 195 .

تولى الحكم من بعده ابنه بايزيد الثاني ( 1481 م _ 1512 م ) و لم يحدث في عهده أي تطور حيث يُذكر ،دلك أن بايزيد كان يميل إلى حياة القناعة والزهد ، ويعرف عند الأتراك بإسم " دالولي " ، وقد كان حكمه بوجه عام فترة توقف عن الفتوح أعاد خلالها العثمانيون بناء وتطوير عاصمتهم الجديدة ، كما قاموا بتحسين أنظمة إمبراطوريتهم ، ففي أوروبا انتهت الحروب المتكررة ضد البولنديين والمجر وحلفائهم البنادقة ، كما منح السلطان لحلفائه من النصارى هدنة لمدة سبع سنوات لأنه كان مضطرا للاهتمام والتركيز على ناحية الشرق لظهور تطورات خطيرة تمثلت في ظهور الصفويين بإيران . [84]

هذا وقد شهدت فترة حكمه بداية ظهور العلاقات العثمانية الأوروبية ، أين أوفدت روسيا عام ( 898 ه _ 1493 م ) أول سفير لها إلى القسطنطينية ومعه الهدايا للسلطان بايزيد الثاني ، كما ربطت الدولة العثمانية في عهده علاقة صداقة مع مملكة بولونيا حيث عقد بينهما معاهدة سنة ( 896 ه _ 1490 م ) كما ابتدأت في عهده اتصالات مع البابا اسكندر السادس وملك نابولي ودولة ميلانو وجمهورية فلورنسا ، إلا أن صفو حياته تكدر بسبب عصيان أبنائه وتمردهم فاستقال عن الخلافة وتنازل بها لابنه سليم الأول ( 1512 م _ 1520 م ) [85] .

يعتبر عهد السلطان سليم الأول من أهم فترات التاريخ في عهد الدولة العثمانية لارتباطه المباشر بتاريخ الدول العربية ، حيث اقتضت الإستراتجية العسكرية للدولة أن توجه أنظارها إلى المشرق العربي لأسباب عدة في مقدمتها ، ظهور الصفوين بإيران وكذا ظهور الغزو الأوروبي وتوجهه نحو الوطن العربي حيث ظهر الاحتلال الاسباني في بلاد المغرب الإسلامي وكذا البرتغالي في البحر الأحمر والمحيط الهندي ، ثم قيام الأوروبيين

---

([84]) برنارد لويس ، اسطنبول وحضارة الخلافة الإسلامية ، تع : سيد رضوان علي ، ط : 2 ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، السعودية ، 1982 م ، ص ص : 50 ، 51 .

([85]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص: 34

بإكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وتحويل تجارة الهند والشرق الأقصى عبره ، وكذا قيام الأسطول البرتغالي بمحاصرة الطرق التجارية بالبحر الأحمر والخليج العربي وإرغام التجار على استخدام الطريق الجديد . [86]

كان على السلطان سليم الأول أن يأخذ هذه الأحداث بعين الاعتبار، فكانت أولى أعماله درء الخطر الصفوي عن دولته ،فقام بشن حرب ضد الشاه إسماعيل الصفوي في إيران ،وكان تاريخ 23 أوت 1514 م إعلانا عن هزيمة الصفويين في سهل **جالدران** قرب الحدود التركية الإيرانية ، أين احتل السلطان عاصمتها **تبريز** ثم تركها منسحبا إلى الأناضول بعد أن ترك الشاه مهزوما [87] .

وأكمل سليم الأول مسيرة الفتح ، فحارب المماليك ببلاد الشام وانتصر عليهم في معركة **مرج دابق** سنة ( 923 ه _ 1516 م ) حيث هزم السلطان الغوري ، ثم تابع زحفه جنوبا واستولى على **يـــافا وغزة والعريش** ثم عبر سيناء ودخل الدلتا زاحفا نحو القاهرة ،أين اجتمع المماليك الجراكسة على طومان باي الذي هزم في معركة **الريدانية** عام 1517 م ،وألقى عليه القبض ،وأمر السلطان العثماني بشنقه وخضعت بذلك مصر للسيادة العثمانية ،ومكث بها سليم الأول قرابة ثمانية أشهر ، درس فيها وضع البلاد وإدارتها ليسهل عليه تسيرها وغادرها فيما بعد متجها إلى عاصمته بإسطنبول بتاريخ 10 سبتمبر 1517 م [88] .

---

([86]) نمير طه حسين ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ط : 1 ، دار الفكر ، المملكة الأردنية الهاشمية ، عمان ، 2010 م ، ص : 13 .

([87]) برنارد لويس ، المرجع السابق ، ص : 52 .

([88]) إسماعيل أحمد ياغي ، العالم العربي في التاريخ الحديث ، ط : 1 ، المكتبة العربية ، الرياض ، 1997 م ، ص ص : 39 ، 40

هذا وقد تلا سقوط مصر في يد العثمانيين عام 1517 م خضوع بلاد الحجاز أيضا وذلك بسبب التبعية التي كانت توليها الحجاز لمصر ، حيث كانت هذه الأخيرة توفر الحماية للحجاز بالإضافة إلى الأموال والإعانات التي ترسلها إلى فقراء مكة والمدينة ، وعلى إثر ذلك أسرع شريف مكة " الشريف بركات " بإرسال ابنه إلى القاهرة لكي يقدم التهاني وفروض الطاعة والولاء للسلطان العثماني ، إلى جانب تقديم مفاتيح الحرمين الشريفين ، ومن هنا بدأ نجم العثمانيين يعلوا في الأفق ، وقد دعي للسلطان سليم الأول في المنابر والخطب ولُقب بخادم الحرمين الشريفين [89] .

بهذا التاريخ كان العثمانيون قد وصلوا إلى الحوض الغربي للمتوسط بفضل بحارتهم المتمثلين في الإخوة " بربروس " ، أين استطاع الإخوة ضم الجزائر للدولة العثمانية بعد أن طلب أعيان الجزائر يد المساعدة من سلطانها سليم الأول ، ولاقت تونس نفس المصير وكذا طرابلس الغرب بعد أن حررت من أيدي فرسان مالطة عام 1551 م [90].

بعد وفاة السلطان سليم الأول سنة ( 926 ه _ 1520 م ) خلفه ابنه سليم الثاني المعروف بـــــ " القانوني " ( 1520 م _ 1566 م ) ، وكان له من العمر ستة وعشرون عاما وقد حكم لمدة 48 سنة ، وهي أطول فترة حكم قضاها سلطان عثماني .

يعتبر عصر السلطان سليمان من أزهى العصور في العهد العثماني ، حيث وفق في فتوحاته في الجانب الغربي ، كما وفق في فتوحاته شرقا قد أطلق عليه العثمانيون اسم القـــــانوني لكثرة القوانين والنظم التي صدرت في عهده ، كما أطلق عليه الأوروبيون

---

([89]) فاضل بايات ، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني ( رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية ) ، ط : 1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2003 م ، ص : 84 . **انظر** أيضا : إسماعيل أحمد الياغي ، المرجع السابق ، ص : 42 .

([90]) أندريه ريمون ، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني ، تر : لطيف فرج ، ط : 1 ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1991 م ، ص : 21 .

لقب العظيـــــــم ، ويرجع السبب في ذلك إلى شجاعته ، حيث استطاع أن يفرض هيبته في عصر كان يعيش فيه الكثير من المشاهير أمثال " فرانسوا الأول " ملك فرنسا و " هنري الثامن " ملك إنجلترا و " شارل الخامس " ملك إسبانيا وألمانيا [91]، هذا وقد صادفت أيام السلطان سليمان القانوني نهضة شاملة في أوروبا في القرن السادس عشر الميلادي 16 م ، وقد سايرهم العثمانيون في ذلك بل فاوقهم في المضمار الحربي ، و لم يوجد في أوروبا كلها من يفوقهم حربيا أو سياسيا أو إداريا وقد قطعت الدولة العثمانية شوطا كبيرا في التفوق والعظمة ، بالإضافة إلى فتوحاتها البحرية .

كانت لها العديد من الإنجازات البحرية ، خاصة بعد أن نمّت بحريتها بشكل كبير بفضل عديد القادة الأكفاء أمثال "سنان باشا ودرغوث و الإخوة بربروس " ، حيث لعِب هؤلاء دوراً هاما في تحويل البحرية العثمانية إلى قوة فعالة في البحر المتوسط بأكمله [92].

حققت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني نجاحات باهرة في الحوض المتوسط ، حيث تمكن هذا الأخير من فتح بلغراد ( 926 ه _ 1521 م ) كما فتح جزيرة رودس التي كانت بمثابة قاعدة عسكرية منيعة لفرسان المحاربين الذين يمارسون القرصنة البحرية في أرجاء المتوسط ،ويهددون الطرق التجارية الموصلة والرابطة بين إسطنبول وسائر ايالاتها [93] .

بإخضاع رودس جرى تأمين الطريق البحري ،ولم يبق في طريق السيادة في شرق المتوسط إلا عقبة واحدة وهي جزيرة قبرص ، واستطاع " خير الدين " إخضاعها عام

---

([91]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص : 35 .

([92]) المرجع نفســــــــــه ، ص : 37 .

([93]) خلف بن ديلان بن خضر الوذيناني ، الفتح العثماني لجزيرة رودس ( 929 ه _ 1523 م ) ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، السعودية ، 1997 م ، ص ص : 43 ، 44

1538 م [94] كما غزى السلطان سليمان بلاد المجر والتقى بجيوشهم في معركة " موهاكس " ( 932 ه _ 1526 م ) وقتل ملكهم " لويس الثاني " ، كما حاصر فيينا عشرين يوماً عام 1529 م إلا أنه لم يتمكن من فتحها [95] .

وتجدر الإشارة إلى جزيرة مالطة لأهمية موقعها ، فنقول أنه رغم قوة الأساطيل العثمانية وشّدة بأسها ، لم تقدر أن تتغلب على فرسان القديس يوحنا أصحاب هذه الجزيرة ، وقد كانت هذه الجزيرة هبة لهم من طرف " شارل الخامس " بعد أن قام العثمانيون بطردهم من جزيرة رودس بعد فتحها عام 1522 م ، ففي عهد السلطان سليمان القانوني سيرّ إليها أسطولا عظيما عام 1565 م بقيادة " مصطفى ودرغوث باشا " فحاصروها مدة أربعة أشهر ، ثم اضطروا للجلاء عنها بعد قتال مرير أبداه فرسان القديس يوحنا دِفاعاً عن جزيرتهم حتى لم يبق من حاميتهم سوى 600 فارس بعد أن كان عددهم قرابة تسعة آلاف فارس [96] .

وعلى العموم كشف العثمانيون عن تفوقهم بالبحر المتوسط بحوضيه الشرقي والغربي ، وظلت الدولة العثمانية بعد وفاة سليمان القانوني بأكثر من قرن قوة جبارة ومهابة من القوى الأوروبية [97] .

آل الحكم بعد وفاة السلطان سليمان القانوني إلى ابنه " سليم الثاني " 1566 م وكان له من العمر خمسة وأربعون عاما ، حيث عمل السلطان سليم الثاني على إتمام فتح ممالك اليمن التي كان والده قد بدأ بفتحها [98] ،وعمل السلطان سليم الثاني على إرسال

---

( [94]) محمد عكاف آيدين و كمال بكديلي وآخرون ، المرجع السابق ، ص ص : 42 – 43 .

( [95]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص :37 .

([96]) أحمد عبدالله الفليج ، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية ، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر ، الكويت ، 1984 م ، ص : 42 .

( [97]) برنارد لويس ، المرجع السابق ، ص : 57 .

( [98]) عبدالعزيز سليمان نوار ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص : 100 .

النجدة لمسلمي غرناطة ، بعد أن استنجدوا به من ظلم وقهر مسحي إسبانيا حيث لبى طلبهم بأن أرسل لأمير ايالة الجزائر بمد يد العون [99] ،وفي عهده أيضا توجهت أنظار العثمانيين صوب البحر الأحمر لإعادة الحياة إلى طرق التجارة القديمة لكسر شوكة البرتغاليين الذين وصلوا إلى الهند، وتحكموا في تجارة التوابل والعطور وعطلوا التجارة في البحر المتوسط .

سيطر العثمانيون على نقاط مهمة في البحر الأحمر ، كـــــــ : " عدن في اليمن وخليج البصرة " ، وكانت هذه السيطرة بمثابة ضربة موجعة للبرتغاليين الذين كانوا يحققون أرباحا طائلة من تجارة التوابل ، وقد ساهمت سيطرة العثمانيين على البحر الأحمر في عودة التجارة إلى البحر المتوسط أين انتعشت وازدهرت عديد المدن الإسلامية على غرار الإسكندرية ومدن الشام [100].

بعد هذه الإنتصارات التي حُقِقَت للدولة العثمانية أيام محمد الفاتح وسليم الأول وسليمان القانوني ، ورثت الدولة واقعاً جديداً فعلى الرغم من أن نظام الدولة كان قويا إلا أنه شهد الضعف في بعض جوانبه ، وذلك للاتساع رقعة الدولة الجغرافية ، وبدأ دور الدولة يتراجع تدريجيا نحو الضعف والانحطاط ، بعد وفاة السلطان سليمان القانوني حيث حكم 18 سلطانا مابين ( 1520 م _ 1808 م ) لم يكن أحد منهم يمارس الحكم بنفسه ،بل بواسطة الوزراء الذين أشفق عليهم بعضهم على الدولة وحافظ عليها ، في حين كان البعض الآخر مثلا للرشوة والفساد [101] .

بدأ الوهن والضعف يظهر في الدولة من خلال ضياع النفوذ والسيطرة على البحر المتوسط ، حيث تراجع العثمانيون عن مخططاتهم التوسعية فبرغم من الانتصار الذي

---

([99]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص : 38 .

([100]) محمد عكاف آيدين وكمال بكديلي وآخرون ، المصدر السابق ، ص ص : 43 ، 44 .

([101]) نمير طه حسين ، المرجع السابق ، ص : 15 .

حققوه في حلق الوادي في تونس عام 1574 م ، إلا أنه كان نصرا بدون نتائج فمباشرة بعد الانتصار شرع العثمانيون في التفاوض مع الإسبان بشأن عقد معاهدة سلام ، وقد كان للانسحاب العثمانيين من الساحة المتوسطية عواقب وخيمة يمكن أن نختزلها في ضعف السيطرة العثمانية على ولاياتها في الشمال الإفريقي ، وسيادة أعمال القراصنة حيث عاد فرسان مالطة ليشكلوا خطرا على التجارة العثمانية والحجاج ، وأصبح من الصعب على العثمانيين أن يتصلوا بمصر والشام ، ولم يقتصر فقدان السيطرة على البحر المتوسط فحسب بل بدأ العثمانيون يفقدون سيطرتهم على البحر الأسود ، ففي الفترة الممتدة مابين ( 1614 م _ 1625 م ) فقدوا السيطرة على " سينوب ويكي كوي " وانعدم الأمن في البحر الأسود وهو ما وجه ضربة قوية للتجارة العثمانية [102].

## المبحث الثاني : ظهور الإخـــــــوة بربروس

استولى العثمانيون إثر حملتهم ببحر إيجه على جزيرة ميديلي [103] في سنة 1458م ،و لكي يثبت الأتراك وجودهم بها ،أرسل السلطان العثماني طائفة من جنده و أمرهم بالاستقرار نهائيا في جزيرة ميديلي ،وعندما اعترض الجنود على ذلك أذن لهم بالزواج من مسيحيات [104]، و كان من بين هؤلاء الجند جندي اسمه يعقوب و هو شاب من

---

([102]) عبد الرحيم بنحادة ، العثمانيون ( المؤسسات والاقتصاد والثقافة ) ، تق : عبد الرحمان المودن ، ط : 1 ، دار النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 2008 ، ص : 49 .

([103]) **جزيرة مديلي** : تطلق هذه التسمية على الولاية التركية التي كانت تضم تراقيا ومقونيا وبلغاريا والصرب وألبانيا وجميع جزر بحر إيجة . **أنظر** : عبد السلام الترمانيني ، أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين ،ج 4،ط : 1 ،1997 ، ص : 822 .

([104]) أبو الراس الناصري الجزائري ، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار،تح:بوركبة محمد ،ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ،2012،ص330 .

روميلي [105] ، من فرقة الخيالة (سبايهيا) ،و بناءا على ذلك فقد تعرف يعقوب من مسيحية تدعى كاتالينا فتزوجها و كان له منها أربعة أولاد [106]، أكبرهم إسحاق867ه _ 1462م ، ويليه عروج 869ه/1464م ثم خضر [107]871 ه-1466م ، و كان أصغرهم إلياس [108] ،ومن المحتمل أن تكون هذه التواريخ قريبة من الحقيقة [109].

كما يذكر مبارك الميلي في كتابه تاريخ الجزائر أن يعقوب كانت مهنته قبل الدخول في الجندية تتمثل في صنع أواني الخزف، فاستأنف هذه المهنة و أثناء مباشرته لها تعرف على (أيم) المسيحية ،ويذكر عروج في مذكرته انه عندما فتح السلطان محمد الفاتح جزيرة ميديلي كان أباه أحد فرسان السبايهية [110] ،و عندما انتظمت أموره تزوج من إحدى بنات الجزيرة ،حيث كان أنيقا شجاعا .

و قد استقر إسحاق في قلعة ميديلي أما خير الدين و عروج فقد كان مولعين بركوب البحر، و عليه اقتنى عروج سفينة و انطلق بها للتجارة في البحر ، حيث كانوا في بداية الأمر يجلبون البضاعة من سلانيك و اغريبوز و يبعونها في ميديلي، إلا أن عروج كان يرغب دوما في الذهاب إلى أكبر من هذه المسافة ، و ذات يوم ذهب عروج مع إلياس إلى

---

) مبارك بن محمد الهلالي الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج 3 ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ، ص 32 :[105]

([106]) مبارك الميلي، المرجع السابق ، ص: 32

([107]) اسمه الخضر و لقب بخير الدين

([108]) عزيز سامح ألتر، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا ،تر: محمود علي عامر، ط:1،دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان،1989، ص27 .

([109]) عزيز سامح ألتر ، نفسه ، ص : 27

([110]) مصطلح يطلق على فرسان

طرابلس الشام غير أنهما لم يتمكنا من الوصول [111] ،حيث صادفا في طريقهما سفن فرسان جزيرة رودس [112] وهناك اشتبكا معهم ،و على إثرها سقط إلياس شهيدا بينما استولى فرسان رودس على السفينة و أخذوا عروج أسيرا و كان هذا عام 1501م [113]

.

إزاء هذا الشأن اقسم عروج على منازعة قطاع الطرق المسيحيين ،و نذر نفسه لذلك و كانت جزيرة رودس تحكم من قبل احد القباطنة ،إلى جانب عدد كبير من العساكر ،و مهمتهم حراسة الجزيرة و حفظ الأمن فيها ، وكان حاكمها يطلق عليه قبطان أو القائد ، حيث كبل عروج بالأغلال و تركه يتجول بالجزيرة.

تأثر خير الدين بسماع خبر اسر أخيه عروج فاخذ يجمع المال لفديته [114] و إنقاذه حيث تعرف خير الدين على تاجر مسيحي من أصل رودسي ،و الذي كان ينتقل بتجارته بين رودس و ميديلي يدعى « غريقو » حيث طلب منه خير الدين أن يتوسط لفك اسر أخيه ، و قد قدرت الفدية بـــــ : ألف أقجة ذهبية ، و بعد اتفاق ذهبا معا إلى جزيرة بودروم و من هناك تابع التاجر طريقه إلى رودس للإطلاع على أحوال عروج حيث تقابل معه و أطلعه عن أمر فديته، فسر بهذا ،ثم جلس منفردا يفكر في الأمر ،وأثناء تواجده بالجزيرة تعرف على رجل غني و لطيف يقال له ابن سانتري أو سانترلو اوغلو ، فشاوره عروج بالأمر و طلب منه أن يشتريه ثم يبيعه للتاجر الرودسي ،فقبل هذا الأخير طلب

---

([111]) مجهول ، مذكرات خير الدين بربروس ، تر: محمد دراج ، ط:1 ، شركة الاصالة للنشر ، الجزائر ، 2010 ، ص 21 .

([112]) **رودس** : جزيرة تقع في البحر المتوسط عند مدخل بحر إيجه جنوب غرب الاناضول.**أنظر:**كتاب عبد السلام ، المرجع السابق،ص822.

([113]) وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر،تع :عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006،ص.38 )

([114]) مبارك الميلي ، مرجع السابق ، ج3 ، ص : 33

عروج و توصلا إلى خطة لايعلمها غيرهما. [115] لكن قبل أن تتم عملية البيع ألغيت الصفقة ، لان فرسان رودس قد بلغهم مجيء أخيه خير الدين إلى بودروم و هو مستعد للدفع ، هذا و قد اختلف شريكاه على بيعه [116]، حيث أن أحد المالكين قد اظهر استعداده لبيعه غير أن الملك الثاني قد كابر في الأمر، و اشترى حصة صاحبه [117] ،و قدر ثمنه ب خمس وعشرون ألف أقجة ذهبية ،حيث نقل المالك الجديد عروج إلى بيته و كبله بالحديد و تركه في خندق [118].

كما مورست عليه شتى أنواع التعذيب و الظلم ، لم يتمكن عروج من تحمل هذا العناء وفي ليلة من الليالي وقد إشتد كربه ، فرفع يداه إلى رب العالمين راجيا منه أن يفك أسره و يخلصه من ظلم المسيحيين ،و أمضى عروج الليلة يدعوا في ذل و انكسار حتى غص في النوم، وإذا به يرى في منامه شيخا مشرق الوجه يقول له :" يا عروج لا تحزن بسبب ما أصابك من أذى في سبيل الإسلام فان خلاصك قريب" ، فسر عروج كثيرا لهذه الرؤيا و انشرح صدره . كلف عروج بالتجديف في السفن المسيحية [119]، و في هذه الأثناء كان السلطان شيخ زادة قرقود واليا على أنطاكيا ، و كان يهتم بفداء الأسرى المسلمين من أيدي النصارى فهو يجمع بكل ما لديه من ماله تبرعا لوجه الله و يرسله لافتداء الأسرى المسلمين ، حيث كلف أحد عماله بالسفر إلى رودس و زوده بمبلغ من المال لافتداء أربعين أسير مسلما و نقلهم بسفينة رودسية حتى سواحل انطاليا، حيث وقع

---

([115]) عزيز سامح ألتر ، المرجع السابق ، ص : 30

([116]) مذكرات خير الدين، المصدر السابق، ص : 26

([117]) مبارك الميلي، المرجع السابق ،ج3 ، ص : 33

([118]) عزيز سامح ألتر ، المرجع السابق ، ص : 31

([119]) مذكرات خير الدين ، المصدر السابق، ص ص : 27،28

الاختيار على السفينة التي كان يشتغل بها عروج و هو من جملة أسرى الذين كلفوا بالتجديف ،حيث أصبح في هذا العمل الشاق منذ ثلاثة سنوات [120].

كان عروج رجلا خفيف المزاج يتكلم كثيرا من اللغات ولا سيما اللغة الرومية التي كان يتقنها ،و كان في كثير من الأحيان يتبادل أطراف الحديث مع القباطنة الرودسيين ،و ذات يوم قال القباطنة لعروج " أنت رجل حلو الحديث خاصة بلساننا الذي تعرفه جيدا ما الذي وجدته في الإسلام ؟ تعال و ادخل في ديننا، و سوف يكون لك شان كبير بيننا " فأجابهم عروج قائلا:" أيها المجانين كل شخص يروقه دينه هل يوجد نبي أفضل من النبي محمد صلى الله عليه و سلم لأومن به ؟ ،"فردوا عليه إذن فلتبقى على حالك، و ننظر كيف يخلصك نبيك من أيدينا [121]، و الآن فلتستمر في الجدف. و انطلقت السفينة المحملة بالأسرى،و في الطريق كسرت إحدى قيوده ، حيث رست السفينة في مكان قريب من انطاليا و نزل الحاجب و معه مئة أسير ،و في تلك الليلة هبت رياح معاكسة قرر الرودسيون بسببها الانتظار حتى الصباح .

و في أثناء الليل هبت عاصفة قوية أجبرت الجميع على الخلود للنوم بعد إرهاق شديد ،حيث استغل عروج الموقف و الظلام الدامس ، و رمى نفسه بين الأمواج ليصل إلى قرية قريبة من الساحل بسلام ليسجد شاكرا لله ، حيث حضي بترحيب واستضافت عجوز في بيتها و التي أكرمته بالطعام و اللباس و جميع ما يلزمه ، فأمضى عشرة أيام في تلك القرية التي كان أهلها يتخاصمون على ضيافته في كل ليلة ، و الذين زودوه بالأكل و المال و كل ما يلزمه ، أما الرودسيون عندما حل الصباح وجدوا مكان عروج خاليا فأدركوا انه قد تمكن من الفرار. و عندما فقدوا امل العثور عليه رجعوا إلى رودس و الحسرة بادية على وجوههم .أما قسيس السفينة فقد أعلمهم أن معرفة عروج بالسحر قد

---

([120]) عزيز سامح ألتر ، المرجع السابق ، ص ص : 30،31

([121]) نفسه ، ص : 31

مكنته من الهرب [122] ، و في هذه الأثناء كان خير الدين في بودروم ينتظر خبرا من رودس عن أخيه ،حيث اعلمه التاجر أن أخاه قد هرب لكن خير الدين لم يصدق الخبر في بادئ الأمر غير أن البحارة الموجودين في الميناء أكدوا له صحة الخبر . [123]

توجه عروج إلى انطاليا حيث بدأ في البحث عن عمل في السفن ،و بعدها عينه « الرايس علي » على متن سفينته من نوع غاليون ، [124] و الذي كان متأهبا للسفر إلى مصر ،حيث أسندت له مهمة القبطان، و عند وصولهم إلي الإسكندرية استقر عروج بها و بعث برسالة إلى ميديلي شرح فيها مغامرته ،حيث سر كثيرا خير الدين لنجاة أخيه. و كان عروج قد عرض على سلطان مصر العمل عنده فقبل السلطان و سلمه سفينة من نوع قادرغة [125] [126].

تمكن البرتغاليين من اكتشاف طريق إلى الهند عن طريق الالتفاف حول قارة إفريقيا ، وجعل القراصنة البرتغاليين يعترضون سفن الحجاج المسلمين ويستولون عليها ،ويقتلون من فيها من حجاج أو يبيعونهم كرقيق ، وكانوا يهاجمون السواحل الإسلامية في الهند و شرق إفريقيا المطلة على المحيط الهندي و البحر الأحمر .فشكلوا خطراً على الملاحة الإسلامية وهذا الأمر جعل السلطان المملوكي يسعى إلى بناء أسطول قادر على حماية

---

([122]) مذكرات خير الدين ، المصدر السابق ، ص ص : 31، 32

([123]) عزيز سامح ألتر ، المرجع السابق ، ص : 32

([124]) هي سفينة حربية ذات أشرعة هوائية يقوم بدفعها الجدافون الأسرى و كانت تستعمل قبل اكتشاف السفن البخارية

([125]) هي نوع من أنواع السفن الحربية المستعملة آنذاك و هذا النوع مخصص لمهاجمة السفن المعادية تحتوي على 25 مقعدا يعمل عليها 49 مجدفا يبلغ طولها من 165- 168 قدما عرضها من 21-22 قدما **أنظر** : عزيز سامح ألتر ،المرجع السابق ، ص : 32

([126]) مبارك الميلي، المرجع السابق ،ج3 ، ص : 34

السواحل الإسلامية. فسمع سلطان مصر بشهرة عروج ودعاه للقدوم وعرض عليه الدخول في خدمته ، وإذا وافق عروج على هذا العرض عينه قائداً للأسطول.

كتب السلطان مرسوماً إلى والي أضنة بأن يرسل إلى ميناء بياس بخليج الإسكندون من الأخشاب ما يكفي لصناعة أربعين قطعة بحرية، ففعل الوالي المطلوب وأرسله إلى الميناء ، في هذه الأثناء كان سلطان مصر يقوم بتجهيز أسطول بحري بهدف إرساله إلى الهند ، فكلف عدة سفن بالذهاب إلى خليج بياس (payas) لإحضار الخشب اللازم لإنشاء هذا الأسطول ،و قد خرج عروج بستة عشر سفينة إلى بياس على أن يأخذ الخشب ثم يتجه به إلى مصر . لقد علم الرودسيون بان عروج قد صار قائدا لأسطول ملك مصر ففرحوا كثيرا و صاروا يترقبون الفرصة المواتية للنيل منه ، و عندما بلغهم مجيئه إلى بياس جهزوا أسطولهم و تحركوا صوبه ، و حينما كان البحارة منشغلون بجمع الخشب أغار عليهم المسيحيين و هاجموا سفنهم الراسية ،و احرقوها فاضطر البحارة للفرار في البر داخل الأراضي العثمانية [127] .

عاد عروج ثانية إلى انطاليا و هناك اتصل بواليها الشيخ زاده قرقود ،و شرح له حالته فأمر بإعطائه سفينة تسع لثماني عشر مقعدا ، و بعد أن جهزت سلمت لعروج ونزل بها البحر متجها إلى جزيرة رودس ، و في طريقه كلما مر على جزيرة إلا هاجمها فدب الرعب فيها ولا يكاد احد ينجو منه ، فهم وشكى سكانها أمرهم إلى قائد رودس الذي أمر بملاحقة عروج، و بدأت السفن الرودسية في ملاحقته و البحث عنه في كل مكان، و أخيرا عثروا على سفينته راسية في إحدى المراسي على إحدى الجزر فهاجمه الرودسيون ، هرب عروج رفقة أصحابه إلى اليابسة مصطحبا معه أبناء أسرى مسيحيين ،و إلتجأ مرة ثانية إلى قرقود الذي كان بمنيسا و هناك التقى بالسلطان قرقود الذي قلده

---

([127]) مذكرات خير الدين، المصدر السابق، ص ص: 34 ، 35

حلة رياسة جديدة ووضع تحت أمره سفينة من نوع قاليتة [128] ،و أذن له بالسفر داعيا له بالتوفيق كما وضع يبالي بك سفينته الخاصة تحت تصرف عروج [129].

انطلق عروج في عرض البحر بعدما تسلم السفينتين في الوقت المطلوب ،و في طريقه التقى بسفينتين من سفن البندقية فاستولى عليهما ، فمر على جزيرة ميديلي واصل طريقه في البحر، فالتقى بسفينتين فهاجمهما و استولى عليهما في سواحل بوليا ،ثم توجه إلى جزيرة اغريبوز و فيها استولى على ثلاثة سفن أخرى تابعة للبندقية، بعدما اخذوا مائتين و خمسة و ثمانين أسيرا و قتلوا مئة و عشرون بحارا ثم عاد إلى ميديلي و هناك حضي باستقبال كبير من قبل إخوته خير الدين وإسحاق .

قرر عروج العودة إلى أزمير لمقابلة ولي نعمته قرقود ،و في هذه الأثناء بلغهم نبأ الصراع الذي نشب بين السلطان قرقود و أخيه سليم، قرر عروج التعجيل في مغادرة الجزيرة لأنه كان من المقربين من السلطان قرقود ، حيث قرر توجه إلى مصر ،و لما بلغها قدّم إلى سلطانها الاشرف قانصوه الغوري [130] عدد من الأسرى، حيث سمح له ملك مصر بقضاء الشتاء فيها ،و مع قدوم ربيع 1513 استاذن عروج للخروج للغزو، فأذن له سلطان مصر بذلك خرج عروج بسفنه إلى البحر ليصطاد من هنا و هناك، و حصل من جراء هذا على غنائم كثيرة حيث استولى على خمس مراكب تابعة للبنادقة ،و من هناك توجه إلى جزيرة جربة حيث باع غنائمه هناك،و قد استقر رأيه على اتخاذ جزيرة جربة كمقرا له ،و بعدما استقر بها اخذ يهاجم السواحل المسيحية . [131]

---

([128]) احدى السفن الحربية بها من 20- 25 مقعدا عادة ما تستعمل في مطاردة سفن العدو **أنظر** : عزيز سامح ألتر ،المرجع السابق ، ص : 32

([129]) عزيز سامح ألتر ،المرجع السابق ، ص:33.

([130]) عبد السلام الترمانيني ، المرجع السابق، ص ص : 605 -606 .

([131]) مذكرات خير الدين، المصدر السابق، ص ص :41-42.

عندما جلس السلطان سليم الأول [132] على العرش ،وقع خلاف بينه و بين أخيه قرقود الذي أرسل جيشا للبحث عليه إلا أنه لم يتمكن من العثور عليه ، وفي ذلك الوقت جاء الإسكندر باشا إلى جزيرة ميديلي ليضايق خير الدين ،و هذا لان أخاه عروج هو من أنصار السلطان قرقود ، فاضطر خير الدين إلى تحميل سفينته بالقمح و التوجه إلى طرابلس الشام ،حيث استبدل القمح بالشعير ، و بعد مروره بجزيرة أياماوري استهوته سفينة راسية فسال عن صاحبها و اشتراها ، و كان في قمة السعادة لاقتنائها حيث جاب البحر المتوسط إلا ان وصل إلى جزيرة جربه ، و هناك التقى باخاه عروج وكان ذلك سنة 919ه/1513م ،و بعدها توجه الأخوان إلى تونس حيث وضع نفسهما تحت تصرف السلطان الحفصي .

**العثمانيون في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط :**

بعد أن كون الأتراك دولتهم بآسيا الصغرى(الأناضول ) أواخر القرن 13م على حساب الدولة البزنطية ،عبروا بحر مرمرة ومضيقي البوسفور و الدردنيل و رموا بكل ثقلهم في شرق أوروبا ،كما أطاحوا بالدولة البزنطية و استولوا على عاصمتها في عهد السلطان محمد الفاتح عام 1453م، و اتخذوها عاصمة لهم ،ثم أخذوا يوسعون في دولتهم على حساب الإمارات المسيحية الأخرى ، و في عهد السلطان سليمان القانوني توغل العثمانيون في شرق أوروبا عبر نهر الدانوب وصولا إلى مدينة فينا ، ففرضوا عليها الحصار مرتين ،الحصار الأول كان عام 1529م ، و الثاني عام 1683.

---

([132]) هو السلطان سليم ابن السلطان بايزيد ابن السلطان محمد الفاتح ،كان أبوه يريد أن يولى أخاه الأكبر أحمد الذي تنازل على الملك لأخيه سليم و توفى بعد عشرين يوما من ذلك ،و دخل في صراع مرير بين الصفويين بايران و الملك قنصوه بمصر توفي سنة 926ه/1520م للمزيد أنظر :كتاب عبد السلام الترمانيني،المرجع السابق ،ص ص228-229

توغلت أساطيل العثمانيين في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط [133]، حتى وصلت إلى شواطئ اسبانيا ،و بلغ الأتراك أوج قوتهم ،في الوقت الذي أشتد فيه الصراع بين فرانسوا الأول ملك فرنسا، و شارلكان أو كارلوس الخامس ملك اسبانيا ،و إمبراطور الرومانية المقدسة.و كانت شعوب أوروبا الشرقية في هذه الفترة ضعيفة اكتفت فقط بالدفاع و المقاومة المحدودة ،و استعانت بقراصنة البحر و قوات شارلكان الاسباني وبعض الدويلات و إمارات الايطالية و الصقلية ،و على رأسها فرنسا ومالطا و البندقية .فاحتاط الأتراك للأمر و أذنوا لبعض رياس البحر بارتياد الحوض الغربي للبحر المتوسط من أجل مقاومة أساطيل القراصنة الأوروبيين و اعتداءاتهم وذلك لهدفين رئيسيين هما :

- الدفاع على موانئ المغرب العربي وحماية سكانها وتقديم المساعدة لمسلمي أندلس المضطهدين.
- إشغال أساطيل أوروبية عامة واسبانية خاصة عن المشاركة في حرب شرق البحر المتوسط التي يتحمس لها البابوات ويدعون لعالميتها ضد المسلمين عامة و الأتراك خاصة.

كادت اسبانيا أن تثبت أقدامها بسواحل المغرب ، إلا أن برز الإخوة بربروس على مسرح الأحداث فالتحق أبناء الفخارجي يعقوب بن يوسف الثلاثة : عروج وخيرالدين وإسحاق منذ حوالي 1504م بالبحر المتوسط ،و استحدثوا لأنفسهم أسطولا بحريا و شرعوا في مواجهة القراصنة الأوروبيين [134] ، انطلاقا من جزيرة جربة و حلق الوادي [135] وتمكنوا من تكوين إمارة مستقلة بجزيرة جربة [136] و اتخاذها قاعدة بحرية

---

([133]) يحي بوعزيز، مختصر في تاريخ الجزائر،ج 2 ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،2007 ، ص : 6

([134]) يحي بوعزيز، موضوعات و قضايا..، المرجع السابق، ص : 336

([135]) هو ميناء تونس العاصمة و الذي يصب فيه نهر تونس .**أنظر :** كتاب عبد السلام ، المرجع السابق ،ص821 )

لنشاطاتهم [137] ،حيث طلب عروج من السلطان الحفصي بتونس أبو عبد الله محمد بن الحسن أن يمنحه بعض مراسيه لاتخاذها مركزا لأسطوله ،فوافق السلطان الحفصي على ذلك مقابل حصوله على ثمن الغنائم [138] ، وقالوا له «: نريد أن تتفضل علينا بمكان نحمي فيه سفننا بينما نقوم بالجهاد في سبيل الله ،وسوف نبيع غنائمنا في أسواق تونس ، فيستفيد المسلمون من ذلك وتنتعش التجارة ،كما ندفع لخزينة الدولة ثُمُن ما نحوزه من الغنائم » .

فقبل سلطان تونس ورحب بهم. وأذن السلطان لهم بالرسو في ميناء حلق الوادي وقضوا الشتاء هناك.وعند حلول الربيع بدأوا بغزواتهم البحرية حتى بلغوا جزيرة سردينيا، وهناك استولوا على سفينة أحد القراصنة كان فيها مائة وخمسون أسيراً. واستولوا على سفينة أخرى كانت محملة بالقمح، وقد وجدوا القراصنة الموجودون عليها قد هربوا ولاذوا بالفرار، وفي الصباح اليوم التالي استولوا أيضاً على سفينتين أخريين إحداهما مشحونة بالعسل والزيتون والجبن، والأخرى سفينة جنوية كانت محملة بالحديد [139] .

كما جمع الكثير من المتطوعين حيث بدأ ممارسة نشاطه البحري انطلاقا من هذه القاعدة ،فذاع صيتهم في الجهاد ضد الأسبان، التي لطالما طالت غاراتهم المستمرة السواحل المغربية ، [140] و أثمرت جهودهم و أعمالهم على الاستقرار بمدينة الجزائر عام 1516م و

---

([136]) جزيرة تونسية في خليج قابس تشتهر بصناعة الخزف و الحلي و النسيج الصوفي و الحريري و السجاد و فيها مصائد للاسماك و الإسفنج.من كتاب عبد السلام الترمانيني ، المرجع السابق ،ص : 820

([137]) عاطف عيد وحليم ميشال حداد ، قصة و تاريخ الحضارات العربية بين الأمس و اليوم تونس و الجزائر، موسوعة عدد 21-22 ، ص 118

([138]) مجهول ،غزوات خير الدين بربروس ، المصدر السابق ، ص : 46

([139]) مذكرات خير الدين ، المصدر نفسه، ص : 47-48

([140]) فاروق عثمان أباظة ، أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر و عالم البحر المتوسط أثناء القرن 16، دار المعارف، ط2، القاهرة، ص: 97

ضمها إلى الخلافة العثمانية كنيابة جديدة تابعة لها ابتداء من عام 1518 م ، و بظهور هؤلاء الإخوة شهدت منطقة المغرب الإسلامي تطورات متسارعة تمخض عنها ميلاد دولة جزائرية ، و التي فرضت نفسها كقوة جديدة مؤثرة في تاريخ البحر المتوسط ،و لعبت بذلك دورا هاما في الأحداث العالمية لهذا الحوض البحري طيلة 3 قرون [141] .

**المبحث الثالث : التحاق الجزائر بالخلافة العثمانية**

إن الضعف الذي أصاب الدولة الموحدية جعلها تنقسم وتتفكك وتفقد السيطرة ، نتج عن ذلك سقوط آخر معاقل للسلميين في الأندلس في يد الإسبان والمتمثل في سقوط غرناطة عام 1492 م ، ومن جهة أخرى انقسم الشمال الإفريقي إلى ثلاثة دويلات إسلامية ظلت تتنازع السلطان فيما بينها ، وتحاول كل دولة منها أن توسع رقعتها على حساب الأخرى [142] الأمر الذي جعل بلاد المغرب الإسلامي يعيش في مرحلة في غاية الخطورة .

إنّ الدول الثلاثة التي كانت تتنافس الحكم فيما بينها ، ونعني بذلك : **" الدولة الحفصية "** بالمغرب الأدنى ( 627 ه _ 948 ه / 1229 م _ 1541 م ) و **" الدولة الزيانية "** بالمغرب الأوسط ( 633 ه _ 936 ه / 1236 م _ 1530 م ) و **" الدولة المرينية "** بالمغرب الأقصى ( 592 ه _ 691 ه / 1196 م _ 1554 م ) قد أنهكتها الحروب الداخلية واستنزفت طاقتها المالية والمعنوية ، ضف إلى ذلك نشوب الثورات الداخلية بها والصراعات المتواصلة بين زعماء القبائل المتقاتلين فيما بينهم على السلطة .

---

([141]) يحي بوعزيز، موضوعات و قضايا..، المرجع السابق، ص 337-336

([142]) شوقي عطا الله الجمل ، المغرب العربي الكبير ( تونس _ الجزائر _ المغرب ) ، ط : 1 ، المكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1977 ، ص : 26 .

قد جعلت المغرب العربي يبتعد عن حياة الاستقرار ، ويغفل عن قضايا التنمية والازدهار التي تشهده الدول الأجنبية المسحية التي عرفت كيف تتوحد ضد المسلمين وتقضي عليهم ببلاد الأندلس وتتتبعهم بالشواطئ المغربية [143]، هذا التطاحن والصراع الإقليمي قد تأثر به بشكل كبير وفعلي عامة المغرب العربي ، ولكن بالخصوص المغرب الأوسط بحكم موقعه الوسطي بين الجارتين الحفصية والمرينية ، فكانت الإصطدامات تارة مع الحفصيين الذين اعتبروا أنفسهم الورثة الشرعيين للدولة الموحدية ، وتارة مع المرنيين الطامحين في توحيد المغرب قاطبة تحت سلطتهم ، مما جعل لاتعرف الاستقرار إجمالاً وتكون في حالة شبيهة بالمد والجزر [144] .

والقول الصائب حول الوضع السياسي للمغرب الأوسط ، أنه كان مترديا قبل 1519 م فضعف بني زيان قد أثر بشكل سيئ وسلبي على أوضاع البلاد، فانقسمت على نفسها في شكل إمارات صغيرة مفككة ومتناحرة كـــــ : " إمارة جبل كوكو ببلاد القبائل ، الإمارة الحفصية بقسنطينة و إمارة الدواودة بالحضنة والزاب وإمارة بني جلاب بتقرت [145] ،ووادي ريغ وإمارة بني يزناسن [146] وفجيج [147] بالحدود الغربية و إمارة الثعالبة بالجزائر بني مزغنة ومتيجة [148].

---

([143]) عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962 م ، ط :2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2005 م ، ، ص : 49 .

([144]) عائشة غطاس وآخرون ، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 م ، سلسلة المشاريع الوطنية ، الجزائر ، 2007 م ، ص : 11 .

([145]) **تقرت** : مدينة قديمة بناها النوميديون على جبل في شكل نتوء ، وهي مسورة بسور من الطوب والطين وتقع على بعد 500 ميل من جنوب البحر المتوسط وهي بلاد عامرة بالصناع النبلاء الذين يملكون حدائق التمور والنخيل ، في البداية كانت خاضعة لملوك مراكش ثم تلمسان وأخيرا لملك تونس أين كانت تؤدى له 50 ألف مثقال سنويا . **أنظر** : حسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الافريقي ، وصف إفريقيا ، تر:محمد حجي، محمد الاخضر،ج2 ،ط:2 ،دار الغرب الاسلامي، بيروت ، لبنان،1983، ص 135.

إن هذا التفكك و الانقسام اللذّان ميزا المغرب الأوسط ،وتردي الأوضاع والفوضى السياسية العارمة ، كنت من أهم العوامل المشجعة للأطماع الصليبية ،ونلمس هذا بكل جلاء فيما كتبه فرناندو دي زافرا الذي كان كاتبا بالبلاط الإسباني ومكلف بحراسة الشواطئ الإسبانية ومراقبة حركة الأندلسيين المتوجهين نحو المغرب العربي قائلا : " إن بلاد المغرب بأكملها تجتاز حالة انهيار نفسي ،يظهر معها أن الله قد أراد أن يمنحها لصاحبي الجلالة [149]. وبناءا على ذلك تشجع الإسبان لفكرة الغزو والسيطرة خاصة بعد النكبة المؤلمة الناجمة عن فقدان الأندلس والتي خلفت آثارا مؤلمة في نفسية المسلمين ومعنوياتهم .

كان الإسبان على علم بكل مايجري في الشمال الإفريقي من أحداث ، وكذا الضعف الحاصل في صفوف المسلمين وتفرقهم ، لذلك انتهز " الدون فرناند " [150] ملك إسبانيا الفرصة في طرد المسلمين عام 1492 م ،وأصدر قانونا يمنع ممارسة الديانة الإسلامية في الأندلس ،ونظم لذلك مراقبة شديدة من أجل تتبع المسلمين وإرغامهم على اعتناق المسحية أو الخروج من إسبانيا [151]، ولعل عملية الغزو هاته قد بنيت أفق مشروع

---

([146]) **يزناسن** : هو في الأصل جبل يقع على بعد 50 ميلا غربي تلمسان ، يضم هذا الجبل مداشر عديدة يسكنها قوم ذو بأس شديد وفي أعلى الجبل قلعة حصينة يقيم بها أمراء البلاد ولو أنهم غالبا مايتحاربون فيما بينهم تنافسا على الحكم . انظر : حسن الوزان ، نفس المصدر ، ج 2 ، ص : 43 .

([147]) **فجيج** : عبارة عن ثلاثة قصور في وسط الصحراء ، وهذه القصور على بعد نحو عشرون ميلا شرقي سجلماسة . **أنظر** : نفســـــه ، ص : 132 .

([148]) يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص : 8

([149]) عائشة غطاس وآخرون ، المرجع السابق ، ص : 12 .

([150]) **الملك فرناند** : ( 1452 _ 1516 م ) هو فرناند الثاني ابن فرناند الأول ، أصبح ملك أرغون سنة 1452 م ثم ملك صقلية ( 1479 _ 1516 م ) ثم نابولي ( 1504 _ 1516 م ) ، تميز حكمه بالقسوة والشدة . **أنظر** : عائشة غطاس وآخرون ، المرجع نفسه ، ص : 12 .

([151]) علي عبد القادر الحليمي ، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830 م ، ط :1 ، المطبعة العربية ، دار الفكر الإسلامي ، الجزائر ، 1972 م ، ص : 161 .

استعماري واسع يهدف إلى السيطرة على المغرب العربي ككل ،وتحيق جملة من الأهداف يمكن إيجازها فيمايلي :

أ. **الدينية :** محاولة نشر المسحية في المنطقة وتعميرها بالمسيح وإبعاد حدود دولة الإسلام عن إسبانيا عن طريق ملاحقة الفارين بإتجاه شمال إفريقيا . [152]

ب. **الأمنية :** إقامة قواعد عسكرية تحُول دون اتصال المسلمين بإخوانهم في إسبانيا ، وبذلك يضعون حدا للأضرار التي يمكن أن تقع من طرف الغزاة الجزائريين والأندلسيين ويؤمنوا بذلك خطوط مواصلاتهم التجارية نحو الدويلات الإيطالية .[153]

ج. **السياسية :** بغية تحقيق السيادة في البحر الغربي للبحر المتوسط ، ولا يتم ذلك دون إخضاع ساحل الشمال الإفريقي الذي يحتل شطرا واسعا في الضفة الجنوبية منه .

د. **الإقتصادية :** محاولة السيطرة على المراكز التجارية واحتكار طرق التجارة ، وحق الولوج نحو إفريقيا العميقة كبلاد السودان الغنية بالتبر والذهب [154] وقد اتسم الغزو الإسباني في مجمله بالطابع الديني التعميمي فضلا عن منهجه الإستعماري ، إذ بدأو بمطاردة العرب المسلمين وتتبعهم في شمال إفريقيا والهيمنة على مصادر ثروتهم ، وقد بارك " البابا ألكسندر السادس " توجهات الإسبان نحو الساحل الإفريقي [155] .

## 1. الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية:

---

([152])عبد القادر فكاير ، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية و أثاره ، ط:1 ، دار الهومة ، الجزائر، 2012 ، ص ص : 28 ،29 .

([153]) نفسه ، ص :34

([154]) عمار بن خروف ، العلاقات بين الجزائر والمغرب ( 923 _ 1069 ه / 1517 _ 1659 م ) ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق ، 1983 م ، ص : 21 .

([155]) نمير طه حسين ، المرجع السابق ، ص : 100 .

كان أهم حدث عاشته إسبانيا المسحية هو الوحدة السياسية التي تمت بزواج " فردناند " ملك آرغون و " إليزابيث " ملكة قشتالة ، وهو الأمر الذي سمح للإسبان بتركيز جهودهم على محاربة المسلمين بالأندلس وإخراجهم من آخر معقل لهم وهو غرناطة .

إنّ سقوط غرناطة بيد الإسبان في 02 جانفي 1492 م ،أسفر عن بدء مرحلة جديدة في برنامج التوسع الإسباني ، ذلك أن إسبانيا قد رأت أنه لا مناص من نقل الحرب إلى بلاد المغرب، بل ذلك أمر ضروري وإستراتيجي بهدف تطويق بلاد المغرب خوفا من إعادة الكرة عليهم ، وقد خشي الكاردينال خمينس **(156)** أن يكون سقوط غرناطة وفرار فلول العرب والمسلمين من الأندلس إيذانا بتوقف الهجومات ضد العرب والمسلمين ، لذلك قام هذا الأخير بإثارة مخاوف الملكة إليزابيث، وأستعمل في ذلك كل لهجة من شأنها أن تحز الخوف والقلق في نفسيتها ، والواقع أنه لم يكن صعبا على الكاردينال خمينس أن يثير هذه المخاوف ، فقد كان يكفيه التذكير ببعض الحقائق التاريخية بأن فتح الأندلس كان عن طريق المغرب **(157)** .ومن بين حججه أنه قال : " أن المغرب والمسلمين لايعتبرون خروجهم من الأندلس هزيمة نهائية ، لقد أخفوا سلاحهم ، ومعظم رؤسائهم تظاهروا بالهزيمة في إنتظار الفرصة المواتية لينقضوا من جديد على الأندلس ، و أنه لابد من القضاء على أوكار القرصنة في شمال إفريقيا " .

استجابت الملكة إليزابيث لنصائح خمينس وكلفت " لورانزودي بادليا " حاكم القلعة بالأندلس، بمهمة سرية أداها بكل كفاءة ونجاح جيث كلفته بإستطلاع الأمور

---

([156]) **الكاردينال خمينس دي سيسنيروس** : كردينال إسباني عرف بتطرفه وتعصبه ضد المسلمين ، ولد بقشتالة عام 1436 م كان من الموظفين السامين في بلاط الملكة إليزابيث ، وفي عام 1507 م أنيطت به مهمة الإشراف على محاكم التفتيش التي زرعت الرعب في نفوس مسلمي الأندلس . أنظر : عائشة غطاس وآخرون ، المرجع السابق ، ص : 36 .

([157]) مبارك بن محمد لجيلالي الميلي ، المرجع السابق ، ص : 19.

والمواقع في تلمسان من أجل الإعداد لإحتلالها وجعلها منطلقا لعمليات الغزو ببلاد المغرب العربي ، فذهب هذا الأخير متنكرا في زي تاجر إلى مملكة تلمسان حيث أمضى بها أكثر من عام رجع بعدها بكل المعلومات المطلوبة والضرورية للحملة ، كما عين خمينس جيرونيمو فيانيللي المهندس البحري البندقي ليكون إلى جانبه ، وكان هذا الأخير ذا معرفة ثاقبة بسواحل الشمال الإفريقي التي زارها بحارا وتاجرا ، إلا أن موت الملكة إليزابيث المفاجئ كان أحد الأسباب الرئيسية في تعطل نمشروع الغزو ، وقد أوصت بمواصلة الحرب ضد المسلمين قائلة : " أنه لاينبغي إيقاف غزو إفريقيا ولا إنهاء الصراع ضد الكفار ( تقصد المسلمين ) من أجل العقيدة " [158].

أخذ الإسبان بعد موت ملكتهم يتطلعون الاستلاء على شمال إفريقيا [159]، حيث صمم الملك فردناند تنفيذ وصية زوجته إليزابيث ، وقد اتخذت الأطماع التوسعية في عهده شكل اجتياح منظم لسواحل المغرب العربي ، بعد أن بوركت هذه المساعي من طرف الكرسي البابوي الذي بادر بتقسيم مجال نفوذ الإسبان والبرتغاليين في معاهدة طورد يسلاس عام ( 900 ه _ 1494 م )، تم معاهدة سينترا ( 915 ه _ 1509 م ) ،أين أطلقت يد الإسبان على سواحل المغرب بدءا من شرق حجر بادس وأما البرتغاليون ففي غربها [160].

لقد وجد الاسبان في ملاحقة الأندلسين النازحين إلى بلاد المغرب وإبعاد خطرهم عن إسبانيا، وفي البحث عن طرق تجارية توصلهم إلى الشرق الأقصى قبل تعرفهم على

---

([158]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830 م ، ج2 ، ط2 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2007 م ، ص : 51

([159]) محمد سهيل طقوش ، العثمانيون من قيام الدولة إلى الخلافة ( 1299 _ 1924 م ) ، ط1 ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، 1915 ، ص : 203

([160]) ناصر الدين سعيدوني ، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية ( الجزائر تونس طرابلس المغرب) ، ط2 ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013 ، ص : 15 .

رأس الرجاء الصالح، دافعا ومبررا للتحقيق أهدافهم التوسعية ببلاد المغرب، والتي اتخذت شكل حملات صليبية ابتدءت بتخريب تطوان ( 803 ه _ 1400 م ) تم الاستلاء عليها عام ( 906 ه _ 1501 م ) تم احتلال مليلية ( 903 ه _ 1497 م )، وتوجهت الأنظار بعدها نحو السواحل الجزائرية [161] ،وتجدر الإشارة أيضا إلى النهضة التي شهدتها أوروبا ،حيث صنعت الفارق الكبير في اختلاف ميزان القوة ،وساهمت بشكل كبير في توجه أنظار المسحية نحو الساحل المغربي ، حيث أسفرت النهضة في تطور الأسلحة الإسبانية مقارنة بالسلاح الجزائريين ووسائل دفاعهم ، فبينما كان الإسبان يحاربون بالسلاح الناري والمدفعية الثقيلة ، كان الجزائريون كما يقول بروديل كرفاق عقبة يحاربون بالسيف والرماح [162].

كانت أول نقطة احتلها الإسبان بالمغرب الأوسط هي المرسى الكبير [163] ،ووقع اختيار الملك فرديناد على الدون دييغو فرناندیز ليكون قائدا عاما للحملة ، ووضع تحت قيادته جيشا

يزيد عن عشرة آلاف جندي ونحو سبعة بواخر حربية و مائة وأربعون زورقا مختلفة الأحجام [164]

استعدت القوات الإسبانية لمغادرة **مالقة** في أواخر أوت 1505 م ، لكن ريحا عنيفة أجلتها ، وقد أفاد هذا التأخير في وصول خبر الحملة إلى المرسى الكبير ، فأستعد سكانه

---

([161]) المرجع نفسه ، ص : 16 .

([162]) عمار بالخروف ، المرجع السابق ، ص : 22 .

([163]) **المرسى الكبير** : مدينة صغيرة أسسها ملوك تلمسان على ساحل البحر المتوسط ، بعيدة بضعة أميال عن وهران ومعناها الميناء الكبير ، يقول الوزان : " ما أظن أن في الدنيا أكبر منه فيمكن أن ترسوا فيه بسهولة مئات المراكب والسفن الحربية " ، استولى عليه الإسبان عنوة قبل سقوط وهران . **أنظر** : حسن الوزان ، المصدر السابق ، ص : 31 .

([164]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص ص : 20،21

لمواجهتها ، إلا أن تأخرها يوما بعد يوم جعلهم يظنون أن الإسبان قد تخلوا عن مخططهم في غزو المرسى الكبير ، إلا أن الهجوم عليه قد وقع وتمكن الإسبان من احتلاله وأسفرت المعركة به عن مقتل قائد الحامية المتواجدة به والمـــــُشكلة من خمسمائة جندي ، وقرر الدون دييغو تحويل مسجد المرسى الكبير إلى كنيسة وأخذ يرسل طلائعه نحو الداخل لكي تجلب له مايموّن به جنـــــــــــــده [165].

يرجع الفضل في الانتصار المحقق في المعركة إلى خيانة بعض عرب بني عامر وحميان وكيزة والشفع الموالين الاسبان ، وكانوا يسمون بالمغاطيس كما عرفوا بإسم " لوس موروس ديل ري " LOS MOROS DEL REY أي الدلائل [166] ،وكانت هذه القبائل في خدمة الإسبان وعون لهم [167]، هذا وارتكب الإسبان مجازر رهيبة تؤكد مدى الحقد الدفين ضد الإسلام والمسلمين ، وعندما سمعت إسبانيا بنبأ الإنتصار قررت إعلان الإحتفال لمدة ثمانية أيام متوالية وطلبت من الدون دييغو فرناندیز القدوم للبلد من أجل التهنيئة ، وبعد مضي حوالي خمسة سنوات وجه الإسبان ضربتهم الثانية لمدينة وهران ، فأعدوا لها حملة ضخمة خرجت من قرطاجنة بإسبانيا يوم 16 ماي 1509 م بقيادة الكاردينال خيميسن ووصلت وهران يوم 19 من نفس الشهر [168] وكان قوام الحملة 15 ألف جندي إقترف خلالها الاسبان أبشع المجازر بعد أن ساعدهم في ذلك خيانة اليهودي " أشطورا " [169] ، حيث قتلوا مايزيد عن 4 آلاف من سكانها وأسروا نحو 8

---

([165]) Jean alengry,les relations franco-espagnoles et l 'affaire du maroc,la vie universitaire,paris,p 35-36

([166]) عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو ، دخول الأتراك العثمانين إلى الجزائر ، دط ، الجزائر ، 1972 ، ص : 23 .

([167]) عبد القادر المشرفي ، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر ، تق : محمد بن عبد الكريم ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ص : 140

([168]) يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص : 9 .

([169]) عائشة غطاس وآخرون ، المرجع السابق ، ص : 16 .

آلاف ، كما خربوا مساجدها وبنوا بأحجارها كنائسهم واستبدلوا المآذن بالأجراس .[170]

بعد هذا النجاح عيّن الإسبان أحد قراصنتهم وهو " بيدرو نافاروا " [171] حاكما عليها وعلى المرسى الكبير ومملكة تلمسان الزيانية التي أعلنت خضوعها لهم ، ومن الغرب توجهت الأنظار نحو مدينة بجاية [172] ،وكانت أوضاعها السياسية مساعدة للغاية لعملية الغزو ،وقد أعدّ الحملة الكاردينال خيمينس أيضا وأسندت القيادة إلى بيدرونافار [173] ، وكان وصولها لبجاية يوم 5 جانفي 1510 م ، وتمكنوا من احتلالها بعد مقاومة مستميتة من سكانها أين عاث فيها الإسبان فساداً وقتل مايربوا عن 4100 شخص ، كما خرب معالم المدينة وآثارها التاريخية الإسلامية [174] ،كما احتل الإسبان في نفس العام مدينة عنابة ،وخافت الدولة الحفصية مغبة الأمر فأعلن السلطان الحفصي " أبو عبد الله " قبوله للدفع إتاوات مالية لهم كعنوان للروضوخ والاستسلام ، كما ارتاع سكان مدينة الجزائر أيضا وتوجسوا خفيفة من أن يهاجمهم الإسبان بين الفينة وضحاها ، فبمجرد الإعلان عن سقوط بجاية حتى قام " سالم التومي " بجمع أعيان المدينة أين قرروا توقيع معاهدة الاستسلام بدل الوقوع في الحصار .

---

([170]) عبد القادر الحليمي ، المرجع السابق ، ص ص : 163 ، 164 .

([171]) **بيدرو نافاروا** : أصله من بيسكاي جلبه الملكان فردناند وإليزابيث واستعملاه لتوسعهما في الشواطئ الإفريقية ، كان بحارا مغامرا ، وكان أول والي على وهران ولكن بعد الحرب بين فرانسوا الأول والإسبان أسره الملك فرانسوا سنة 1512 م و لم يفتده الإسبان فغاضه الأمر واختار التجنيد في الجيش الفرنسي ثم قبض عليه الملك شارل الخامس وشنقه عام 1522 م . **أنظر** : عبد الحميد بن أشنهوا ، المرجع السابق ، ص : 63 .

([172]) **بجاية** : سميت بجاية نسبة لقبيلة بربرية تقطن بها ، وقد ورثت بجاية حاضرة بني حماد واتسع عمرانها بعد أن أصبحت عاصمة لهم ، واستمرت إلى أن حطمها الإسبان وخربوها . أنظر : أحمد التوفيق المداني ، هذه هي الجزائر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 2002 م ، ص ص : 196 ، 197 .

([173]) Don diego de haedo , topographie,et histoire générale d'alger , traduit a léspagnol par monnereau et berbrugger, 1870,p 19

([174]) عائشة غطاس وآخرون ، المرجع السابق ، ص ص : 17،18

على إثر ذلك توجه " سالم التومي " في 31 جانفي 1510 م نحو بجاية لإعلان الولاء للقائد الاسباني بيدرو نافارو فإشترط هذا الأخير ، دفع ضريبة باهضة وإطلاق سراح كل العبيد المسحيين الموجودين في أيدي سكان المدينة ، ومن جهة أخرى فرض عليه بناء قلعة على تلال الجزر المقابلة لمدينة الجزائر [175] ،وزيادة على ذلك فإنه يتوجب على حاكم مدينة الجزائر أن يذهب شخصيا لإعلان خضوعه لملك إسبانيا رفقة عبد الله حاكم مدينة تنس الذي أعلن هو الآخر ولائه وخضوعه ، فذهبوا لإسبانيا محملين بالهدايا الثمينة ومعهم 130 من الأسرى المحررين [176].

حذّت مستغانم [177] ومزغران حذّو تنس والجزائر ، حيث أعلنتا الولاء الإسبان مقابل الأمان وقد نصت معاهدة الولاء المبرمة على استرجاع كافة المسحيين العبيد ، وتزويد الحاميات الإسبانية بوهران والمرسى الكبير بالمواد الغذائية وكذا أن لايسمحوا بشحن أو تفريغ أي باخرة في الميناء دون الحصول على إذن من الملك [178]، وكان أهم حدث طرأ بعد الغزو الإسباني للسواحل أن ظهر بها الأخوان عروج وخير الدين، واللذان سيعملان على تحرير البلاد من قبضة الإسبان وإلحاقها بالخلافة العثمانية .

## 2. الاستنجاد بالأخوين بربروس وإعلان التبعية للخلافة العثمانية :

كان للظروف السائدة بأقصار المشرق في مستهل القرن السادس عشر للميلاد تأثير مباشر على تطورات الوضع بالجزائر ، فقد كان لوقف النشاط البحري الإسلامي لفترة

---

([175]) أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص 68 .

([176]) **كورين شوفالييه** ، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر ( 1510 _ 1541 م ) ، تر : جمال حمادنة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007 م ، ص : 23 .

([177]) **مستغانم** : مدينة بناها الأفارقة على ساحل البحر ، كان لها في القديم حضارة كبيرة بها مسجد في غاية الحسن ودورها جميلة وسقايتها عديدة وفي خارجها عدة بساتين وأراضيها جيدة للفلاحة وخصبة ولها ميناء صغير . أنظر : حسن الوزان ، المصدر السابق ، ص : 32

([178]) كورين شوفاليه ، المرجع السابق ، ص : 24 .

بالمياه الشرقية للمتوسط نتيجة الإتفاق العثماني البندقي ( 908 ه _ 1502 م ) ،بالإضافة إلى وصول سليم الأول للعرش العثماني ( 915 ه _ 1509 م )، دخل كبير في تحول جماعات من المجاهدين الأتراك وعلى رأسهم الإخوة بربروس إلى غرب البحر المتوسط [179].

إن مجئ الإخوة بربروس إلى الحوض الغربي للمتوسط، قد تزامن مع ظهور الإسبان في الساحل الشمال الإفريقي ، إذ احتلوا كما أسلفنا جلّ موانئه من الغرب حتى الشرق وتجاه هذا الخطر المحدق والمتمثل في الإسبان ، كان لزاما على الأهالي أن يواجهوا عدّوهم ويحرروا بلادهم ولعلّ هذا السبب الذي دفعهم إلى طلب نجدة والحماية من الأشخاص القادرين على تقديم يد العون والمساعدة .

كانت شهرة الأخوين قد سبقت وجودهما ، حيث لعب المهاجرون الاندلسيون دورا بارزا في نشر سمعتهم الطيبة في الأوساط الجزائرية [180]، وسيلعب الاخوان دورا رئيسيا في تعجيل الأحداث السياسية بالمغرب العربي ، فحملاتهما المتواصلة في البحر المتوسط وعلى السواحل الإسبانية وجنوة وفرنسا وسردينيا ومايورقة ومينورقة وغيرها ، لاشك أنها علامات تعكس مدى بأس وشجاعة الإخوة [181] .

تسامع أهل بجاية خبر هؤلاء ،وملكها يومئذٍ عبد الله مع عمه عبدالرحمان المتنازعان والمستندان للإسبان ، فقام علماء وأعيان المدينة بتشكيل وفد يطلب من الإخوة المساعدة والنصرة، وقد تشجعهم في ذلك الأمير الحفصي بقسنطينة ليبعدهم عن عاصمته . تمت المقابلة في حلق الوادي [182] ،ولبى الإخوة بربروس الرغبة وزحفوا على المدينة ، وكان

---

([179]) ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص : 25 .

([180]) علي عبد القادر الحليمي ، المرجع السابق ، ص ص : 163 ، 164 .

([181]) عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهوا ، المصدر السابق ، ص : 34

([182]) مولود قاسم ، المرجع السابق ، ص :58

هذا أول صدام عثماني مع الإسبان في البلاد الجزائرية ، إلا أن عروج وجماعته لم يوفقوا في هجومهم على المدينة حيث كانت مدافعهم غير فعالة ، كما أن عروج ورجاله لم يكونوا على استعداد لمواجهة شراسة المدفعية الإسبانية ، وقد تحطمت ذراع عروج بكرة مدفع وانسحب مع رجـــــاله في فوضـــــــــــى كبيـــــــرة [183] ،هذا وقد اضطر المشرفون على علاجه إلى بترها بعد أن استعص عليهم علاجها وجعل عوضها ذراعا من فضة [184] .

بعد هذه الخيبة تحولت أنظار عروج إلى جيجل [185]، واتخذها عاصمة له ( 920 ه _ 1514 م ) بعد أن افتكها بمعونة رجال القبائل من الجنويين الذين كانوا يحتلونها منذ مدة طويلة ( 658 ه _ 1260 م ) ، وقد كانت الغنائم التي حصل عليها كثيرة حيث بلغ عدد الأسرى حوالي 600 أسير ،وجههم عروج إلى السلطان العثماني تحت رقابة أحد قراصنته المعروف بإسم محي الدين رايس ، وكانت هذه أولى الإتصالات التي تمت بين عروج والدولة العثمانية [186] كما أوفد إليه عروج رسالة عرض له فيها أوضاع بلاد المغرب ،وأخبره بالصعوبات التي تواجهه من أجل إنقاذ مسلمي الأندلس، وبيّن له الحاجة إلى الدعم والتأييد ، فرحب السلطان بذلك وأمدّه ورفاقه بالعدّة والعتاد فزودهم بعدد من

---

([183]) جون ب . وولف ، الجزائر وأوروبا ( 1500 – 1830 م ) ، تر : أبو القاسم سعد الله ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009 م ، ص : 29 .

([184]) نور الدين عبد القادر ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر منذ أقدم العصور إلى إنتهاء العهد التركي ، نشر كلية الأدب الجزائرية ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1985 م ، ص : 44 .

([185]) **جيجل** : مدينة من تأسيس القرطاجيين الذين كانوا يدعونها ايجلجيلي وتقع حاليا في شبه جزيرة منخفضة بعيدة عن بجاية بحوالي 96 كلم . **أنظر** : أحمد التوفيق المدني ، المرجع السابق ، ص : 51 .

([186]) صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم التركي ( 1517 _ 1830 م ) ، ط 2 ، دار هومة ، الجزائر ، 2007 م ، ص : 45 .

السفن والرجال وكميات من السلاح ، فأعطاهم ذلك دعما معنويا وتصميما على شن حملة أخرى ضد بجاية من أجل تحريرها [187].

ظلت بجاية تجتذب أنظار عروج لمركزها الهام وموقعها الإستراتيجي ، فنضم عروج حملة ثانية ضدها عام 1514 م بمساندة شيوخ القبائل وأمير جبل كوكو " أحمد بن القاضي " [188] على أن يكون مخطط الحملة الهجوم عليها من البر والبحر .

ضرب عروج حصارا على المدينة وشرع في قصفها بمدفعية مراكبه ، وكانت القبائل بقيادة ابن القاضي تحاصرها من البر بـــ 20 ألف محارب ، وتمكن من السيطرة على إحدى قلعتيها لكن المدينة استعصت عليه [189] ،ودام حصار بجاية 3 أشهر خسر فيها عروج عددا من جنوده كما تناقصت مؤونته [190] في حين وصلت الإمدادات الإسبانية لبجاية ممثلة في 5 آلاف رجل يقودهم " ماثين دي فانتورا " ، وأمام هذه الوضعية الجديدة طلب عروج من السلطان الحفصي أن يدعمه ويزوده بالبارود فامتنع، وأظهر عداوته للأتراك .

كما أن القبائل الجبلية التي ذهبت لنصرته ، قد انصرفت دون إذنه لأجل زراعة الحقول ، فاضطر عروج إلى الإنسحاب وقبل أن ينصرف أحرق سفنه التي كانت راسية بنهر الصومام ، حتى لايتقوى بها عدوه من بعده ، وذهب برا باتجاه جيجل ، وهناك

---

([187]) هشام سوادي هاشم ، تاريخ العرب الحديث ( 1516 _ 1918 م ) من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ط 1 ، دار الفكر المملكة الأردنية ، عمان ، 2010 م ، ص : 42

([188])**ابن القاضي** : هو رجل من أعيان بيوتات الجزائر الساكن بناحية بلاد القبائل ، شغل منصب قاضي بجاية وفي سنة ( 917 ه _ 1511 م ) أسس إمارة جبل كوكو الواقع عند منابع واد سباو ، ولما تولى خير الدين أمر البلد ولاه رئاسة قومه في تلك الناحية . أنظر : عبد الرحمان بن محمد لجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 3 ، دار الأمة ، الجزائر ،2010، ص : 48

([189]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 45

([190]) هشام سوادي هشام ، المرجع السابق ، ص : 42

استقبل مبعوث السلطان العثماني سليم الأول الذي بعث إليهم 14 سفينة ومجموعة من المجدفين المهرة وكمية من الأسلحة والذخيرة جزاءا لهم على أعمالهم البطولية وعلى هديتهم الثمينة التي كانوا أرسلوها له بعد فتحهم لجيجل [191].

استقبل الإخوة بربروس وسكان المدن المغربية المهددة من طرف الإسبان نبأ وفاة الملك فردناند يوم 23 جانفي 1516 م ، حيث وجد سكان مدينة الجزائر في ذلك فرصة سانحة لنقض معاهدة الولاء التي ربطتهم بهذا الملك الظالم [192]، وأوفدوا إلى عروج ورفقائه عدة شخصيات بارزة لإقناعهم وترجيهم للقدوم من أجل تخليصهم من ظلم المسحين، وتهديم تلك القلعة المشؤومة المعروفة باسم " قلعة البنيون " [193] ،وقالو لهم : " ...سمعنا بكم أناس تحبون الجهاد ،وأخذتم بجاية وجيجل من أيدي النصارى ونصرتم الدين ، فهنيئا لكم أيها المجاهدون لابد أن تقدموا إلينا لتخلصونا من أيدي هؤلاء الملاعين الكفرة، لأنا نحن في محنة عظيمة وذلة وشدة " [194].

قبل الإخوة بربروس هذا الطلب ،حيث رأو فيه فرصة لهم للإستلاء على مدينة الجزائر الهامة والغنية جدا والمناسبة لعماليات القرصنة [195]، وبناءا على ذلك جهز عروج سفنه وشحنها بالمجاهدين والعتاد الحربي ، وأمر آخاه خير الدين بأن يأتيه بالأسطول أما هو فتوجه نحو الجزائر برا ومر دون أن يقف بها متوجها نحو شرشال ، حيث التقى

---

([191]) عثمان الكعاك ، موجز التاريخ العام للجزائر ، ( من العصر الحجري إلى الإحتلال الفرنسي ) ، تق و مر : أبو القاسم سعد الله ، ناصر الدين سعيدوني ، محمد البشير الشنيتي ، إبراهيم بحاز ، ط 1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 2003 م ، ص ص : 272 ، 273 .

([192]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 46

([193]) كورين شوفالييه ، المصدر السابق ، ص : 27 .

([194]) محمد بن رقية التلمساني ، **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة** ، منشور ضمن مجلة التاريخ وحضارة المغرب ، 1967 م ص : 4

([195]) كورين شوفالييه ، المصدر السابق ، ص : 27 .

بصاحبها " قارة حسن " [196] الذي كان ضمن رؤسائه العاملين تحت سلطته لكنه إنفرد بالحكم وقويت شوكته فقتله عروج ليستريح من شره وقفل راجعا نحو مدينة الجزائر [197] وعندما علم " سالم التومي " بقدومه خرج لإستقباله وتم اللقاء على بعد مسيرة يوم من مدينة الجزائر [198] .

نزل عروج بمدينة الجزائر أين استقبل بحفاوة من طرف سكانها ،وحاول من يومه القضاء على حصن البنيون [199] ،وقد تلقى المساعدة من طرف أخيه خير الدين وأحمد بن القاضي [200] وبدأ عروج برفع الحصون وحفر الخنادق وتركيب المدافع ،وأخذ يضرب الحصن ويلّح عليه بالقنابل ليل نهار لمدة 20 يوماً ، إلا أنه لم يتمكن من فتحه بسبب ضعف المدفعيته [201] فشدد الحصار وقطع عنه المؤن والمياه التي كانت تأتيه من مدينة الجزائر ، إلى أن ضطر من بالحامية إلى الذهاب نحو مايوركا للتزويد بالمياه ، ويحوي الأرشيف الإسباني على حسب ما أورده كورين شوفالييه بعض الرسائل التي بعثها " نيكولاس الخامس " حاكم الحصن إلى إسبانيا والتي يذكر فيها بتاريخ 8 أوت 1516 م أنه لم يكن يوجد سوى 15 قربة ماء لمؤونة أكثر من 200 شخص محاصر داخل القلعة [202] .

---

([196]) **قارة حسن** : قارة كلمة تركية معناها الأسود كان من رؤساء العاملين تحت سلطة عروج وبعد أن قويت شوكته تخلص منه عروج وقتله . **أنظر** : عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو ، المرجع السابق ، ص : 68

([197]) عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو ، المرجع السابق ، ص : 68

([198]) محمد بن عبد القادر الجزائري،تحفة الزائر في ماثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر ،ج1،المطبعة التجارية، الاسكندرية ،1903،ص63.

([199]) عبد الرحمان بن محمد لجيلالي ، المرجع السابق ، ص : 40 .

([200]) عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو ، المرجع السابق ، ص : 69 .

([201]) أبو عبد الله الأعرج السليماني ، تاريخ الجزائر من قيام الدولة الفاطمية ونهاية ثورة الأمير عبدالقادر نقلا عن كتاب الشماريخ ، تح : حساني مختار ، المكتبة الوطنية ، ص : 194

([202]) كورين شوفالييه ، المصدر السابق ، ص ص : 30 ، 31 .

عبر سكان مدينة الجزائر على خيبة أملهم من عدم فتح الحصن ، ولعِّبت الدسائس والحيك عملها ، فرام أهل المدينة التمرد عليه بالإستعانة بالجيوش الإسبانية ، لكنه تفطن للأمر وقام بإعتقال سالم التومي ونصب نفسه حاكما على المدينة ، أما يحي بن سالم التومي ففر إلى وهران عند الإسبان خوفا على نفسه من أن يقتل مثل أبيه ، فوجهه حاكمها إلى إسبانيا أين التقى بالكردينال خيمينس الذي وعده بالنجدة وإرجاعه إلى عرش أبيه ، وكان خيميسن إذ ذاك وصيا على عرش إسبانيا نظرا لصغر سن شارل الخامس **(203)**.

لعلّ تحالف القبائل العربية مع الإسبان وتنسيق الجهود بينهم قد أثمر تلك الحملة التي نظمها هؤلاء ضد المدينة سنة 1516 م بقيادة " دييغو دوفيرا " ،حيث انطلقت من وهران باتجاه الجزائر في أواخر سبتمبر 1516 م ، وكانت الهزيمة مهولة بالنسبة للإسبان وانتصار عظيما لعروج وإخوته **(204)** وللسكان الذّين عبروا عن فرحتهم وابتهاجهم **(205)**، وكان من نتيجة ذلك أن قام سكان البليدة والمدية ودلس والقبائل بمبايعة عروج وإعلان فروض الطاعة والولاء له **(206)**، وقد كلف عروج أخاه خير الدين بإدارة شرق البلاد متخذا من دلس مقرا لإقامته وعاصمة للشرق **(207)**.

في غضون هذه الأحداث ، كانت تلمسان تعيش هي الأخرى أوضاعا سياسية صعبة ،الأمر الذي دفع بسكانها إلى الاستنجاد بعروج وإخوته لإنقاذهم مما نزل بهم على يد سلطانهم أبي حمو موسى الثالث ، الذي زاد من تعسفه باعتماده على الإسبان الذين

---

(203) عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو ، المرجع السابق ، ص : 69 .

(204) يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص : 14 .

(205) محمد بن رقية التلمساني ، المصدر السابق ، ص : 5

(206) يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص : 14 .

(207) عبد الجليل التميمي ، **أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519 م** ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 6 ، تونس ، جويلية 1976 م ، ص : 117

أعادوه إلى عرش تلمسان وخلعوا أبا زيان ، وقد تبع ذلك صراعات مريرة واغتيالات كثيرة تسببت في حالة من الفوضى والاضطراب [208]. لبى عروج رغبة الوفد وتوجه نحو تلمسان ومرّ على قلعة بني راشد [209] قرب معسكر، وأبقى بها حامية كبيرة تحت قيادة أخيه " إسحاق " لكي تحمي ظهره وواصل المسير نحو تلمسان ، واستطاع بسهولة أن يتغلب على أبي حمو موسى الثالث ودخل المدينة ، وأعاد أبا زيان إلى عرشه ولكن هذا السلطان سرعان ما أراد أن ينقلب على عروج فقام هذا الأخير بقتله [210] أما أبو حمو فقد لاذ بالفرار باتجاه وهران واحتمى بالإسبان .

دخل عروج تلمسان ونصب نفسه أميرا عليها ، عندها سارع الإسبان بإرسال التعزيزات فشنوا حملة على قلعة بني راشد واحتلوها ،وقتلوا صاحبها إسحاق وواصلوا السير نحو تلمسان وبعد شهور من المقاومة ، حاول عروج الإنسحاب نحو الجزائر في ربيع ( 923 ه _ 1517 م ) لكنه اضطر إلى خوض معركة غير كاشفة ضد قوات " الماركيز دي كوماراس " بالوادي المالح نواحي عين تموشنت انتهت بمقتل عروج والقضاء على أنصاره [211].

## 3. رسالة الأهالي إلى السلطان سليم الأول وإعلان التبعية :

---

) بسام العسيلي ،خير الدين بربروس و الجهاد في البحر،ط:1، دار النفائس ،بيروت،1980 ، ص ص : 95 ، 96[208])

([209]) **قلعة بني راشد** : هي قلعة هوارة ، وهي بلدة صغيرة تبعد عن معسكر حوالي 25 كلم وعن مستغانم بـــــ 55 كلم ، وهي منطقة منيعة وحصينة يصعب على العدو احتلالها . **أنظر** : عبد الرحمان لجيلالي ، المرجع السابق ، ص : 43 .

( [210]) يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص ص : 14 ، 15

([211])وليام شالر ، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر ( 1816 _ 1824 ) ، تع :اسماعيل العربي ، سلسلة الدراسات الكبرى ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980 م ، ص : 40 .انظر أيضا: ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص ص : 26 ، 27

واجه خير الدين بعد استشهاد أخويه عروج وإسحاق مصاعب حقيقية كادت أن تحبط مخططه لإبعاد الخطر الإسباني وتوحيد البلاد الجزائرية تحت إدارة مركزية موحدة ، وقد تمثلت هذه المخاطر في المؤامرات التي حيكت ضده من طرف الحكام الزيانيين في الغرب وحلفائهم الإسبان بوهران ،وكذلك الحكام الحفصين في الشرق ، بالإضافة إلى عِداء السعديين وهجمات الإسبان المتكررة ، فقد أعلن حكام تلمسان العصيان عليه بتحريض من أبي حمو موسى الثالث ،وخرجت عن طاعته مدن تنس وشرشال وجاهرت قبائل جرجرة بالعداء بقيادة ابن القاضي المتواطئ مع الأمير الحفصي " أبي عبد الله محمد " [(212)] . هذا فضلا عن أن خير الدين كانت تعوزه الذخيرة الحربية والإطار العسكري الكفء مع الأخذ بعين الإعتبار عدم تمتعه بادئ الأمر بشعبية كبيرة ، كما ليست له صدقات مع المواطنين [(213)].

اضطر خير الدين إلى السفر لدار السلطنة العثمانية ، فجمع أهل الجزائر من العلماء والأعيان وقال لهم : " إني قد عزمت على السفر إلى حضرة السلطان وأمنت بلادكم من العدو بما تركت فيكم من المجاهدين ، ومن وصل إليكم من أهل الأندلس وما تركت عندكم من العدة لأني تركت في بلادكم أكثر من أربعا مائة مدفع ، و لم يكن في بلادكم ولا مدفع واحد " . فمنعوه من أن يخرج من بينهم ، وقالوا له : " يأيها الأمير لا تطيب أنفسنا بفراقك ولا نسمح لك بذلك فالله والله في أمة سيدنا محمد فإن الله يسألك عنهم "

---

([212]) جلال يحي ، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، 1983 م ، ص : 98 . انظر أيضا :ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص : 27 .

([213]) عبد الجليل التميمي ، المصدر السابق ، ص : 117

كما ألحوا عليه بالبقاء أنه : " يجب عليك المقام بهذه البلدة الإسلامية لحمايتها ولا رخصة لك في تركها نهبة للمفترس " [215].

في نص الرسالة ما يفيد ذلك حيث جاء مايلي : " أن خير الدين كان قد عزم قصد جنابكم العالي ، إلا ان عرفاء البلدة المذكورة رفعت أيديها متضرعة إليه حتى لايرتحل خوفا من الكفار ، إذ هدفهم هو النيل منا ونحن في غاية الضعف والبلاء " . [216]

استكان سكان مدينة الجزائر لقتراح خير الدين ورضوا به، وسيروا وفدا نحو إسطنبول بنيابة عنه ، حيث عمل هذا الوفد رسالة موجهة باسم أعيان وقضاة وفقهاء وسكان المدينة ، وكان هذا الوفد بزعامة " أحمد بن القاضي " هذه الشخصية الفذة كما عبر عنه الوفراني في كتابه نزهة الحادي ، حيث قال : " مارأيت أحدا قام قيام الإراثة النبوية على أصلها من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا رجلين سيدي أحمد بن القاضي في زواوة وسيدي سعيد بنو عبد المنعم في حاحة " [217].

بعد أن وصل الوفد إلى إسطنبول قابل الوزير الأعظم أولا ، ثم السلطان العثماني [218] وكانت الرسالة التي حملوها إليه تفيض بمعاني الطاعة والولاء العميق للدولة العثمانية ، وهو ما يظهر من فواتح الرسالة في القول : " ... فإن عبيدها بالجزائر يكتبون إلى مقامها العالي معبرين ومعترفين لمقامكم العالي بالإجلال والتعظيم أبدا " ، كما صورت

---

([214]) محمد بن رقية التلمساني ، المصدر السابق ، ص : 13 .

([215]) أحمد بن أبي الضياف ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، ج2 ، لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار ، المكتبة التاريخية ، تونس ، 1963 م ، ص : 10

([216]) عبد الجليل التميمي ، المصدر السابق ، ص : 120 .

([217]) محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الأفراني النجار المراكشي الوجار ، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، تح : هوداس ، مطبعة آنجي ، 1988 م ، ص : 57 .

([218]) عبد المنعم إبراهيم الجميعي ، الدولة العثمانية والمغرب ، موسوعة الثقافة التاريخية و الأثرية والحضارية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2006 م ، ص : 5

الرسالة أوضاع البلاد والخطر المحدق بها من كل جانب بعبارات تنم فعلا عن مدى صعوبة الموقف ، فقال : " ... بقية الجزائر بين الكفار كنقطة في وسط الدائرة وبقينا حيارى متأسفين يحفنا الكفار من كل جانب ... وقد نظرنا في الأمر ورئينا أن المحن والشدائد تشتد وأن الضرورة تقضي بحقن دماء أنفسنا ...فتصالحنا مع أهل التثليث وإن لله وإن إليه راجعون " ، كما أشاد الوفد بجهاد عروج ودوره في حرب الكفار ، وكيف خلفه أخوه خير الدين فكان خير خلف لخير سلف وهو ينظر إلي مقامكم العالي بالتعظيم والإجلال ، وختمت الرسالة بإعلان الولاء بالقول : " فنحن وأميرنا خدام أعتابكم العالية وأهالي بجاية والغربي والشرق خدمة مقامكم العالي " [219].

وما كان من الدولة العثمانية إلا أن قبلت التبعية الجزائرية لسلطانها ، حيث سارع السلطان سليم الأول إلى منح رتبة " بيـــــــلرباي " إلى خير الدين وأصبح القائد الأعلى لقوات في الإقليم ، وأصبح ممثلا للسلطان ، ودخلت الجزائر تحت نفوذ الدولة العثمانية وأصبح أي اعتداء خارجي على أرضها يعد اعتداءا على أملاك الدولة العثمانية ، ودعم السلطان العثماني هذا القرار بقررات تنفيذية أخرى ، فأرسل إلى الجزائر قوة من سلاح المدفعية ، و 2000 من جنود الإنكشارية ، وأذن لمن يشاء من رعاياه المسلمين في السفر إلى الجزائر والانخراط في صفوف المجاهدين ، وقرر منح المتطوعين الذين يذهبون إلى الجزائر كل الامتيازات المقررة لفايالق الإنكشارية تشجيعا لهم على الانضمام لكتائب المجاهدين [220] كما أوفد مع الوفد سِنجاقا ( علماً ) يُظهر التبعية للدولة العلية ،[221]وقد ترتب عن القرارات الصادرة عن السلطان العثماني عدة نتائج منها :

---

([219]) عبد الجليل التميمي ، المصدر السابق ، ص ص : 119 ، 120 .

([220]) علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص : 153

([221]) محمد بن رقية التلمساني ، المصدر السابق ، ص : 14

- دخول الجزائر رسميا تحت السيادة التركية إعتبارا من عام 1519 م ، والدعاء للسلطان العثماني سليم الأول في الخطب والمنابر ، كما ضربت السكة باسمه .
- أن إرسال القوات العثمانية للجزائر جاء نتيجة لستغاثة أهلها بالدولة العثمانية واستجابة لرغبتهم [222] .
- أن إقليم الجزائر كان أول إقليم في شمال إفريقيا يدخل تحت لواء الدولة العثمانية .
- أن انضمام الجزائر للدولة العثمانية كان طواعية ، فلم يكن غزوا عسكريا كما حدث للبلدان المشرق ، كسوريا ومصر عامي ( 1515 و 1517 م ) .
- رد فعل إسبانيا التي وجهت حملة عسكرية بقيادة " هيغو دي مونكادا " عام 1519 م والتي منيت بهزيمة نكراء أمام القوات الجزائرية ، حيث أسروا خلالها 3 آلاف مقاتل من بينهم رئيس الحملة ، وقتل منهم 4 آلاف آخرين [223].

أدت هذه التطورات في مسار أحداث إلى تخوف القوى المحلية والإقليمية على حد سواء من هذا النفوذ الجديد الذي يستند في دعمه إلى السلطان العثماني ، فلم تحل سنة 1520 م حتى ثار إبن القاضي فحاربه خير الدين بمنطقة القبائل فإضطر للإنسحاب وعقد الهدنة مع خير الدين ، ثم نكث عهده وهجم على مدينة الجزائر فانهزم أيضا وألتجئ إلى ناحية ثنية بني عائشة أين لقي مصرعه على أيدي أتباعه سنة 933 ه _ 1527 م [224].

عمل خير الدين على تثبيت حكمه بالجزائر فبسط نفوذه على الجهة الغربية بعد أن هزم حاكم تلمسان وأخضعه لدفع الضريبة سنوية قدرها 10 آلاف دوكا ذهبية ، كما أخمد تمرد أنصار الأمير الحفصي بقسنطينة عام 1527 م ، وتعاهد له حاكم تقرت بالطاعة

---

([222]) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ( 1500 _ 1830 ) ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1998 م ، ص : 141 .

([223]) عبد الرحمان بن محمد لجيلالي ، المرجع السابق ، ص : 45

([224]) عائشة غطاس وأخرون ، المرجع السابق ، ص : 25 .

و الالتزام بدفع ضريبة سنوية له ، وحتى يتمكن خير الدين من الاحتفاظ بمكاسبه بادر بتنظيم الإدارة المركزية بمدينة الجزائر ، وحدد صلاحيات الحامية الانكاشارية ونصب الديوان الكبير وأعطى صلاحيات الأعيان والأئمة وشيوخ الطرق الصوفية ، كما قرب إليه المورسكيين فكان خير مساعد له [225] .

بإستتاب الحكم العثماني بالجزائري أخذت الدولة تتطلع لبناء قوتها وتكوين أسطول يمنحها الهيبة والمكانة بين الدول ، كما سعت إلى فرض شخصيتها وهيبتها الدولية وسيظهر ذلك عند دراسة الفصل الثاني حول العلاقات الخارجية للدولة الجزائرية .

---

([225]) نصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص : 29

دأبت الدولة الجزائرية الناشئة حديثا في الحوض الغربي للبحر المتوسط إلى رسم معالمها وبناء قوتها ، معتمدة في ذلك على سند قوي خوّل لها كافة الصلاحيات للنهوض والتقدم ، فكان لإرتباط الجزائر بالخلافة العثمانية عظيم الأثر في بناء شخصية الجزائر الدولية التي ظهرت جلّيا فيما بعد في فترة استقلالية الجزائر عن الخلافة العثمانية .

إنّ مبدأ استقلالية القرار وحرية التعاقد وعدم الالتزام بمواثيق وعهود الدولة العثمانية مع الدول الاوروبية إذ لم يكن في الأمر مصلحة للبلد ، قد أفضى على الدولة شكلا من أشكال السيادة الكاملة والمطلقة ، وقد شكلت العلاقات الخارجية أهم مظاهر السيادة ، و أبرز سمات الاستقلالية ، ولعلنا نقول أن قوة الإيالة الجزائرية أهم مظاهر سيادتها ، وأبرز سمات الاستقلاليتها ، و أن قوة الإيالة البحرية قد انعكست على علاقتها الخارجية ، وأثرت فيها بشكل فعال ، هاته القوة التي فرضت على الخصوم هيبة وخشية جعلتهم يتهافتون إلى البلاط الجزائري لربط العلاقات وإرسال القناصل والسفرات .

إن المتتبع لمسار العلاقات الجزائرية في الفترة الحديثة سيدرك تماما أنها مبنية على ركائز هامة متمثلة في الأسطول البحري القوي ، وكذا التبادل التجاري النشيط وعمليات الجهاد البحري ، بالإضافة إلى الهيبة التي منحت لها بعد إلتحاقها بأعظم قوة آنذاك ، والمتمثلة في الدولة العثمانية ، وقد لعبت هذه الركائز الدور الأساسي في بلورة وتحديد مصير العلاقات الخارجية للجزائر ، إما أن تتسم بالسلم والتقارب أو العداء والتباعد فيما

بينها وبين سائر الدول المتوسطية ، وعلى هذا بنت الجزائر سياستها الخارجية على مجموعة من المبادئ الأساسية التي شكلت في جوهرها العام دستور الدولة ، فيما يخص علاقتها بالدول المجاورة ، وخاصة الأوروبية فكانت الشخصية والسيادة العامة للبلاد وكرامة السكان أهم مبادئها ، والذي كرّست هذه المبادئ في ايطار الولاء للدولة العثمانية ودون الخروج عن سياستها العامة [226].

هذا وقد سطرت الدولة لعلاقتها مع الدول التي ترتبط معها وتمثلت أساسا في :

- عدم التنازل عن حقوق السيادة والتمسك بمبدأ احترام شخصية الدولة .
- مراعاة أسس الصداقة في التعامل مع السفراء وتكريس مبدأ السيادة الوطنية في التعامل مع الأطراف الأوروبية .
- مراعاة حرية التعاقد وعدم الإلتزام بما توقعه الخلافة العثمانية من معاهدات في حال عدم خدمتها للمصلحة الجزائرية .
- مبدأ نبذ استعمال القوة في العلاقات الدولية ، وعدم الرضوخ للقوة مهما كان الأمر .
- تبني الحياد في الصراعات الدولية .
- الوفاء والإلتزام بنص الإتفاقيات مهما تغيرت الظروف .
- مراعاة حرية التعاقد ، وعدم الاكتراث لما توقعه الخلافة العثمانية من معاهدات في حال عدم خدمتها للمصلحة الجزائرية .

---

([226])محمد الأمين عطلى ، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2011 ، 2012 م ، ص : 120

- اعتماد مبدأ المساواة بين الدول ، فلا يوجد صديق مقرّب أو العكس بل مبدأ المصلحة ، وهذا ماجعل السياسة الخارجية لايالة الجزائر تتسم بالوضوح في سياستها ، وفي كيفية وطرق تعاملها مع الدول ، عامة سواء أكانت إسلامية أم مسيحية [227].

- **المبحث الأول : العلاقات الجزائرية الفرنسية**

كانت فرنسا أهم الدول الأوروبية التي حرصت على ربط علاقاتها بالجزائر ، ويتضح ذلك من خلال النشاط الدبلوماسي المكثف بين البلدين _ في حال السلم أو الحرب _ إذ يحصى جمال قنان في كتابه معاهدات الجزائر مع فرنسا حوالي 40 معاهدة مؤرخة من 21 مارس 1619 م ، وإلى غاية معاهدة الإستسلام 5 جويلية 1830 م ، ناهيك عن العدد الكبير من القناصل والسفرات والبعثات المرسلة [228] ، هذا الزخم والثراء في الروابط بين البلدين أكسى طابع الأهمية بالنسبة للعلاقات الدبلوماسية ، التي امتازت بنوع من الخصوصية مقارنة بسائر الدول والممالك الأوروبية ، ولعل السبب في ذلك هو تداخل المصالح وترابطها من جهة ، و الأمر الثاني هو ذلك التقارب العثماني _ الفرنسي الناجم عن وجود عدو مشترك ، مثل في إسبانيا من جهة أخرى .

ولد هذا التحالف الفرنسي العثماني أصداء مروعة في الأوساط المسحية الأوروبية ، وانعكس بدوره على الآلية الجزائرية التي سيتحتم عليها مجارة هذا التحالف ، واحترام مايتفق عليه البلدان من عقود ومواثيق ، وسرعان ما يتطور هذا التحالف ليكتسي أهمية اقتصادية تكون فرنسا فيه أكثر الدول المستفادة ، و الذي سيجر الجزائر فيما بعد إلى مساوئ وعواقب وخيمة ، فهذا النمو المطرد في العلاقات بين البلدين ولد ما يسمى بنظام

---

([227]) عطلى محمد الأمين ، المرجع السابق ، ص ص : 120 ، 121

([228]) جمال قنان ، معاهدات الجزائر مع فرنسا ( 1619 _ 1830 ) ، دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2010 ، ص ً : 414 ، 415

الإمتيازات التي ستصبح عنصرا بارزا ، ونقطة حساسة ومحورية في رسم العلاقات الدولية حتى إندلاع الحرب العالمية الأولى [229].

يمكن القول أن معاهدة الإمتيازات التي ربطت فرنسا بالدولة العثمانية ، كانت فاتحة العلاقات الجزائرية الفرنسية التي ستتطور أكثر خلال القرنين 17 و 18 الميلادي ، حيث استطاعت فرنسا بموجب ذلك أن تُأسس مراكز لصيد المرجان على إمتداد السواحل الشرقية من القالة ، عنابة و القُل بموافقة من السلطان العثماني ، وبالمقابل تدفع 1500 إيكود ذهبية لخزينة الجزائر ، كما إشترطت على أن لا تسلح أو تحصن حتى لاتبدوا بمثابة مراكز احتلال ، ونص الإتفاق على أن تكون في شكل منازل بسيطة يلتجيء إليها صيادوا المرجان من أجل الاستراحة [230] ، لكن التجار الفرنسيين خالفوا هذا البند ، و أقاموا التحصينات ونصبوا المدافع ، وقد ربطت بعض السفن الفرنسية على الشاطئ أمام الحصن ، وبذلك اصبح مصدر قلق و ازعاج بالنسبة للجزائريين الذين اعتبروه رمزا لوجود قوة مسيحية على أرضهم [231] .

طرحت معاهدات الامتيازات هذه اختيارا صعبا وعسيرا أمام الجزائر، إما بإتباع السياسة العثمانية و الإنقياد لها ، واعتبار نفسها ملزمة بتنفيذ وتطبيق كل ما أبرمه السلاطين من معاهدات مع الفرنسين أو غيرهم ، أو اتخاذ موقف مستقل تمليها عليها مصالحها ومعرفتها العميقة لطبيعة المشاكل والصعوبات التي تحيط بعلاقاتها مع الدول الأوروبية . ويبدوا أن هذا الخيار لم يكن مشكلة في عهد البيلربايات ، الذين واجهوا السياسة العثمانية في الحوض الغربي للمتوسط لمصالح الخلافة على غرار ما سيؤول إليه

---

([229]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 42 .

([230]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا ( 1500 _ 1830 م ) ويليه المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد ( 1780 _ 1798 ) ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009 م ، ص ص : 59 ، 60

([231]) يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ،ص : 100

الوضع بعد إلغاء هذا المنصب ، وما سينجر على ذلك من مشاكل وتوترات بداية نهاية القرن 16 م [232] .

كانت الاطماع الفرنسية كثيرا ما تحول دون تحقيق سلم دائم بين البلدين ، فقد اصطدمت أطماعها بغضب الجزائريين الرافضين لإستغلال خيرات بلدهم ، فأقدموا على هدم الحصن سنة 1568 م [233] ،و لم يسمحوا لأي كان بممارسة نشاط التجارة في تلك السواحل إلى أن تمكن نيقولا من الحصول على إذن من الباب العالي ، حصل بموجبه على حق ممارسة الأعمال التجارية وصيد المرجان في مكان الباستيون الذي هُدم سابقا [234] .

وفي عام 1578 م وجه الباب العالي فرمانا إلى بيلرباي الجزائر يقضي بالسماح للفرنسين بصيد المرجان في المناطق الواقة بين الجزائر ،وتونس ، شريطة دفع عشر المداخيل من الأرباح للحكومة الجزائرية ، كما طلب معاملتهم باللطف والإحسان [235] ، وإذا كان هذا هو حال الإمتيازات التي عكرت صفو العلاقات ، فإن التمثيل الدبلوماسي ( اعتماد القناصل ) قد أخذ نصيبه في التأثير على العلاقات بين البلدين .

لقد أعطت معاهدة الامتيازات الحق لفرنسا بإنشاء القنصليات في كامل الأراضي التابعة للدولة العثمانية بما في ذلك إيالة الجزائر ، والتي كانت توليها فرنسا اهتماما بالغا نظرا لقربها الجغرافي وموقعها الإستراتيجي [236] ، ولكن مسألة التمثيل هذه قوبلت

---

([232]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 47 .

([233]) يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ج2 ، المرجع السابق ، ص : 100

([234])عزيز سامح إلتر ، المرجع السابق ، ص 153

([235]) degrammont .histoir d algerdousladominasio turgue , raris , ernest leroux , 1887 , p 100

([236]) بركاهم دهان ، دور القناصل الفلرنسين في العلاقات الجزائرية الفرنسية ( 1689 م _ 1789 م ) ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2012 م ، ص : 18

بالرفض من طرف حكومة الجزائر ، و لم تُكلل بالنجاح إلا سنة 1578 م عندما تدخل الباب العالي ، حيث أرسل مراد الثالث ( 1574 م _ 1595 م ) أمر إستعجاليا يقضي بقبول موريس سورون قنصلا بالجزائر ، رغم توجيه رسالة من الباشا فينيريانو إلى قناصل وحكام مرسيليا التي ترفض هذا التمثيل ، إلا أن سفراء فرنسا بإسطنبول كانوا يصرون على ضرورة تعيين قنصلا لهم في الإيالة ، وذلك للحماية المصالح التجارية بالبلد [237] ، ومن المؤكد أنه حتى عام 1580 م لم يكن لفرنسا قنصل معتمد في الجزائر ، ولكن في العام الموالي أي في سنة 1581 م ، أصبح لهذه البلد قنصل بالمدينة [238] .

يمكن القول أن مسألة إنشاء قنصلية في الجزائر لم تكن بالعملية السهلة ، فقد استغرقت ما يزيد عن 14 عاما ، وربما يعود إصرار فرنسا في إلحاحها لإيجاد تمثيل دبلوماسي لها في الجزائر إلى عدة أسباب منها :

- تنفيذ الحق الذي خولته لها معاهدة الإمتيازات .

- تفادي الخسائر التي كان يلحقها البحارة الجزائريون بالتجارة الفرنسية خلال الفترة ( 1560 _ 1565 م ) ، فقد كتب " بوسكي " أنه لأسباب سياسية أكثر منها تجارية ألحت فرنسا على إنشاء القنصلية [239] ،وقد تمكنت فرنسا في نهاية القرن السادس عشر الميلادي من تثبيت قنصليتها بالجزائر ، إلا أن فاتحة القرن السابع عشر الميلادي ،

---

( [237]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص ص : 48 ، 49 .

( [238]) المرجع نفسه ، ص : 50 .

( [239]) بركاهم دهان ، المرجع السابق ، ص : 20

قد إبتدأت بالقطيعة والعداء ، وتعود أسباب هذه القطيعة إلى حادثين مهمين وهما : " حادثة تدمير الحصن و حادثة سيمون دانسا " [240] .

سّممت هاته الحادثتين صفو العلاقات السياسية بين البلدين بالرغم من تدخل الدولة العثمانية لحل النزاع بين الطرفين ، ففي عام 1604 م ، في فترة حكم " خيضر باشا " استولى هذا الأخير على مبلغ 6000 سكين من النقد أرسلها الباب العالي تعويضا للتجار الفرنسيين عن خسائرهم في حوادث البحار ، كما هدّد القنصل " دوفيا " عندما حاول أن يحتج ويطالب بالمال ، ثم قام بمهاجمة مراكز صيد المرجان في ساحل عنابة وخرّبها وأسر من بها من الفرنسين ، فتدخل الباب العالي لصالح فرنسا ، وقام بعزل " خيضر باشا " وعوضه بـــــــــ : " محمد قوصة " عام 1605 م ، وسمح بإعادة تأسيس الباستيون [241] .

أما حادثة سمون دانسا فقد أثارت هي الأخرى عدّة تعقيدات وحساسيات في مسار العلاقات الجزائرية الفرنسية ، فقد طلبت بارجاع المدفعين البرونزيين اللّذين سرقهما سيمون دانسا ، إلا أن مجلس الدولة الفرنسي رفض ذلك ، فأعلنت الجزائر الحرب على فرنسا ، وأخذ البحارة الجزائريون يتعرضون للسفن الفرنسية في البحر ، ونتج عن ذلك ضرر كبير للتجارة الفرنسية التي خسرت حوالي مليوني جنيه عام 1610 م .

استمر العداء قائما بين البلدين حتى عام 1618 م ، أين تم إيفاد وفد من طرف الجزائر بعد مساع سابقة لتجار مرسيليا لإحلال السلم والأمان ، والتي قوبلت بالرفض من قِبل الديوان ،وقد ضم هذا الوفد 46 شخصاً بقيادة " سِنان باشا " ، وعندما وصل الوفد

---

([240])**سيمون دانسا** : هو بحاره من أصل فلامنكي تجنس بالجنسية الفرنسية وإنظم إلى طائفة رياس البحر الجزائريين عام 1606م و حقق عدة إنتصارات ،لكن سرعان ما إرتد و سرق مدفعين برونزيين أودعهما عند الباشا مصطفى،أنظر :يحي بوعزيز علاقات الجزائر الخارجية ،المرجع السابق ، ص 40.

([241]) يحي بوعزيز ، العلاقات الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 61 .

إلى مارسيليا قادهم " بيار دوموستير " إلى مدينة tour لمقابلة الملك " لويس الثامن " فاعتذر له سنان باشا عن الخسائر التي لحقت بالفرنسيين من طرف البحارة الجزائريين ، وتم تسوية المشاكل وأبرمت معاهدة الصلح في 21 مارس 1619 م [(242)].

قبل عودة الوفد لأرض الوطن والمقررة يوم 14 مارس 1620 م، وقع حادث أليم راح ضحيته مابين 40 و 45 قتيلا من أعضاء الوفد ، ذلك أن أحد الرياس الجزائريين وهو " رجب رايس " ،كان قد استولى على سفينة نقل تجارا من مرسيليا ، فنهب مافيها وقتل طاقمها وترك السفينة في البحر بعد أن ألحق بها بعض التلف ، ولكن اثنين من الركاب كان متخفين داخل السفينة فنجيا من القتل ، وتمكن من الوصول إلى مرسيليا أين أذاعا خبر السفينة وما حلّ بها فزحفت جموع كبيرة من سكان المدينة على مكان إقامة الوفد الجزائري وحدثت مجزرة [(243)] .وتشير إحدى الرسائل التي وردت في المراسلات التي جمعها بلانتي ، أن العلاقة بين الجزائر وفرنسا تأذت كثيرا جرّاء هذه الحادثة ، وانعكس الأمر سلبا على التجار الفرنسين الذين ضغطوا على ملكهم للبحث عن حلٍّ لإعادة الأمور إلى نِصابها [(244)] .

لما اشتدّ الجزائريين للفرنسيين ، قرر الملك الفرنسي أن يراسل الباب العالي ويراجع معه الأمر ويرجوه للتدخل بينه وبين الجزائر ، فلبى الباب العالي الرغبة وأرسل " سليمان شاوش " لتنفيذ هذه المهمة عام 1623 م ، وقبل الديوان قرار الدولة العثمانية بالكف عن مهاجمة الفرنسين في البحر ، إلا أن الجزائريين لم يكونوا لينسوا ما حلّ بإخوانهم في مرسيليا عام 1620 م فضربوا بهذا القرار عرض الحائط وواصلوا نشاطهم ضد السفن

---

([242]) انظر نص المعاهدة كاملة في كتاب جمال قنان ، معاهدة الجزائر مع فرنسا ، المرجع السابق ، ص ص : 62 – 64

([243]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص ص : 66 ، 67 .

([244]) عطلى محمد الأمين ، المرجع السابق ، ص : 133

الفرنسية [245] وقد قدر القنصل الفرنسي خسائر بلاده بـــــ : 211900 فرنك وأسر حوالي 128 بحاراً [246].

عندما وصلت العلاقات إلى هذا الحد من التدهور رأت فرنسا أن تعدل عن أسلوب العنف وتسلك طريق الحوار والتفاوض فأرسل الملك الفرنسي " لويس الثالث عشر " المفاوض سانسون نابلون [247] ،الذي ذهب إلى القسطنطينية أولا أين حصل على رسالة موجهة للديوان يطلبُ منه فيها أن يحرر الأسرى الفرنسيين ويحقق السلام مع فرنسا ، وفي طريق عودته إلى الجزائر ذهب نابليون إلى فرنسا واشترى المدفعين البرونزين لإدراكه أن جهوده ستذهب سدى مادامت فرنسا لم ترد المدفعين [248] ووصل نابليون إلى الجزائر يوم 20 جوان 1626 م وأطلق المرسيليون سراح 200 أسير جزائري ، ووجههم إلى الجزائر فساد السلام بين البلدين وتم الإتفاق يوم 4 سبتمبر 1628 م على تحقيق الأمور التالية :

- تخصيص 30 ألف جنيه لشراء الأسرى ومدفعي البرونز
- تخصيص 30 ألف جنيه لشراء الأسرى الجزائريين الموجودين على ظهر السفن الفرنسية
- تخصيص 12 ألف جنيه للإنفاق على رحلة المركبين اللذين سيتوجهان إلى الجزائر .

---

([245]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص ص : 66 ، 67 .

([246]) جون ب . وولف ، المرجع السابق ، ص : 268 .

([247]) **سانسون نابلون :** من جزيرة كورسيكا يتمتع بتجربة واسعة في شؤون المشرق ، حيث عمل كقنصل وعميل سري وكتاجر ، وكان يتكلم التركية بطلاقة ، ويفهم التقاليد الإسلامية وكانت له مهارة فائقة في التفاوض . **أنظر** : جون . ب . وولف ، المرجع السابق ، ص : 270 .

([248]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 317 ، 318 .

لم تدم هذه المعاهدة طويلا ، وكانت فرنسا أوّل من نقض الإتفاق بالرغم من مساعيها الحثيثة لإبرام السلام ، فعاد مسلسل الاعتداءات الجزائرية على السفن الفرنسية من جديد وارتفعت خسائر تجار مرسيليا إلى حوالي 4,752,000 جنيها ، وتم أسر أكثر من 80 مركبا مابين سنتي ( 1634 – 1635 م ) [249] .

رضخت الحكومة الفرنسية لأمر الواقع وسعت مجددا لإحلال السلم بين البلدين فأوفد إمبراطور فرنسا مبعوثه " جون بانيست دي كولييل " كمبعوث إلى مدينة الجزائر لأجل العمل على تغير حالة العداء القائمة بين البلدين ، وتم إبرام معاهدة السلم يوم 7 جويلية 1640 م وتضمنت 16 بندا ، وقد جاء في البند الرابع منها : في المستقبل إذا ما التقت سفننا مع السفن الفرنسية فإنها ستتبادل التحية ، وكذلك الأخبار مع بعضها إذا رغبت في ذلك [250].

وفي عام 1657 م أسندت الإدارة الفرنسية رئاسة الباستيون إلى الفرنسي " طوماس بيكي " الذي جاء إلى الجزائر و لم يستقبل بحفاوة من طرف " الباشا إبراهيم " نظرا لأن الديوان كان يطالب بمبلغ 3 آلاف جنيه كديون ، فتوجه طوماس إلى القالة ولحق به 4 من الشواش و 50 جنديا إنكشاريا ليستخلصوا المبلغ منه ، إلا أن طوماس إعتقلهم وشحنهم في سفنه كأسرى وباعهم في ليفورن بإيطاليا وذلك بتاريخ 25 أكتوبر 1658 م ، وبالطبع فإن الجزائر لن تسكت عن هذا العمل ، لذلك أسرعت الحكومة الفرنسية إلى شراء أولائك الأسرى وأرجعتهم إلى الجزائر ودفعت الديون المترتبة 300 جنيه ، كما تم إستبدال طوماس بلويس كامبو مدير عام للباستيون عام 1659 [251].

---

([249]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص ص : 69 – 72 .

([250]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص ص : 317 ، 318

([251]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائرية الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 75

مع بداية حكم الملك " لويس الرابع عشر " سنة 1661 م [252] ،ستأخذ العلاقات الجزائرية الفرنسية منحى آخر ، حيث نصب هذا الأخير العداء الصريح للجزائر، واستقر لدى الجزائريين قناعة واضحة من عدم جدوى عقد أي معاهدة مع النصارى [253].

**مظاهر تأزم العلاقات الجزائرية الفرنسية**

**الحملات الفرنسية ضد الجزائر :**

أجمع المؤرخون أن سنة 1661 م بداية الحكم المطلق بفرنسا ، وذلك بتولي " لويس الرابع عشر " مقاليد الحكم بالبلاد ، أين تبنى هذا الأخير سياسة رامية للقضاء على إيالة الجزائر ، وتحطيم نفوذها وسطوتها عن طريق توجيه حملات بحرية ضدها ، واستخدام التدخل المسلح أين أصبحت الحرب العسكرية في هذه الفترة ميزة العلاقات الجزائرية الفرنسية [254].

**أ. حملة دي بوفورت على جيجل ( 1074 ه / 1664 م ) :**

سبق و أشرنا أن الجزائر كانت ترفض دوما الإعتراف لفرنسا بحقها المخول ضمن الإمتيازات، وكانت تعاملها معاملة الدول الأجنبية فتصالحها متى إنعقد الصلح ، وتحاربها مت تم أجله أو نقض ، وهكذا بقيت الحالة مرتبكة بين البلدين ،وخاصة إذا تعلق الأمر

---

([252]) **لويس الرابع عشر** : ولد في سان جرمان 1638 م وتوفي بفرساي عام 1715 ، إتلى عرش فرنسا في 5 من عمره وتحديدا عام 1635 ، ونظرا لصغر سنه وضع تحت وصاية مازاران حتى عام 1661 ، لقبه الفرنسيون بالملك الشمس نظرا لإهتمامه الكبير بالفن والأدب ، وقد عرف بعدائه الشديد للبروستانت . أنظر: محمد بن سعيدان ، علاقات الجزائر مع فرنسا ( 1070 _ 1170 ه / 1659 _ 1756 م ) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2011 م / 2012 ، ص :40

([253]) عطلى محمد الأمين ، المرجع نفسه ، ص : 136

([254])محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 64 .

بالمركز التجاري لصيد المرجان " الباستيون " الذي كان يفتتح أيام السلم ويحطم ويحتل أيام الحروب [255].

تعتبر هذه الحملة الموجهة ضد جيجل أولى العمليات العسكرية التي تبّينت وفضحت النوايا الفرنسية الخفية ، التي ترجح أغلب المصادر الغربية أنها جاءت كرد فعل انتفاضي لنشاط البحارة الجزائريين ، بينما أرجع بعضهم سبب ذلك إلى فشل المحاولات الدبلوماسية التي سعت إلى استعادة المؤسسات التجارية [256].

في سنة ( 1074 ه – 1664 م ) قرر الملك الفرنسي لويس الرابع عشر أن يغزو الجزائر بأسطوله ليتمركز بأحد شواطئها [257] ،وقد حاول كل من الديوان والقنصل " لوفاشي " ومدير الباستيون " دوسول " أن يتجنبوا الحرب ويصلوا إلى حلّ سلمي للمشاكل [258] ، وقد " أوعز شوفالي بول " وهو فرنسي من فرسان القديس يوحنا إلى الملك الفرنسي ، بأن الجزائريين يمتلكون مابين 54 سفينة حربية تحمل مابين 25 إلى 40 مدفعا لكل منها أشرعة جيدة ، وقد تكون هذه السفن خطيرة جدا [259] ،إلا أن الملك لويس الرابع عشر كان متحمسا لخوض هذه الحرب [260] .

بعد الإستعداد اللازم أذن للحملة بالمسير ، فانطلقت من ميناء " طولون " يوم 2 جويلية ، على رأس 83 سفينة يقودها الأمير " آلان بول " و " دوكين " ، أما القوة

---

([255]) أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر و إسبانيا ،ط :1، دار البصائر ،الجزائر ، ص : 395 .

([256]) محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 65 .

([257]) محمد بن ميمون الجزائري ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تق : محمد بن عبد الكريم ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 م ، ص : 17

([258]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 85 .

([259]) جون ب . وولف ، المرجع السابق ، ص : 316 .

([260]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 85

العسكرية التي يحملها الأسطول فمؤلفة من 8 آلاف رجل [261] تحت قيادة " الكونت قادابي " ،وكان الإشراف العام على العملية للدوق " دي بوفورن " [262] .

كان الملك الويس الرابع عشر مترددا في مسألة احتلال احدى المدينتين جيـــــجل أم بجايـــــــة [263] ، وقد وقع اختياره على مدينة جيجل لاعتبارات اقتصادية وعسكرية ، إلى جانب كون المدينة تشكل منفذا هاما للتجارة التي كانت مزدهرة ، كتجارة الشمع والجلود والزيت والأخشاب ، فإن المدينة سهلة المنال للسيطرة عليها ، إذ لا يوجد بها سوى حامية صغيرة مكونة من 20 جندي فقط ، ومن السهل القضاء عليهم واحتلالها وإذا ما تم تحصينها فإنها ستتحول إلى قلعة لا يمكن النيل منها ، كما أن بعدها من مدينة الجزائر التي هي مركز القوة الرئيسي سيجعل أمر الاحتفاظ بها أمرا ميسورا [264] .

وصلت الحملة إلى جيجل يوم 23 جويلية 1664 م ، بعد أن قضت أياما في جزر البليار ،وانضمت إليها 7 سفن من مالطة [265] ، واشتبك الطرفان في معركة **حامية الوطيس** أظهر فيها رجال المدينة قوة باسلة في التصدي لنزول العدو ، واستمرت المقاومة أسبوعا كاملا رغم عدم التكافؤ في العدة والعتاد ، و لم يستتب الأمر للفرنسيين بالمدينة إلا يوم 29 جويلية 1664 م [266] ،أين مكثوا بها قرابة شهرين من الزمن [267] .

---

([261]) اختلف في عدد جنود الحملة ، فيذكر أحمد توفيق المدني أن عددهم كان 8 آلاف جندي ، أما ابن ميمون الجزائري فيقول أن العدد كان 8 آلاف ومائتين . أنظر : أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص : 396 . ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 17 .

([262]) احمد التوفيق المدني ، المرجع السابق ، ص : 396

([263]) ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 17

([264]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 92

([265]) ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 17

([266]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 93 .

([267]) ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 17

كانت ولاية الجزائر يومها لشعبان آغا الذي بمجرد وصول نبأ سقوط جيجل حتى سارع لنجدتها وتحريرها ، واصطحب معه مدفعية قوية مكنته من تحقيق النصر ، وقد انضمت إليه جموع من المجاهدين ، فكان الجيش مخيما بعد فترة قصيرة على مشارف المدينة يوم 5 أكتوبر ، وبعد أن أحكم وضع مدفعيته على المرتفعات وضيق الحصار على الفرنسيين ، بادر بقصف المراكز الفرنسية بقوة وعنف يوم 25 أكتوبر ، وألحق بهم خسائر فادحة فعزموا على الإنسحاب ، ولم يسمح لهم الجزائريون بنقل أي شيئ من سلاحهم وأمتعتهم ، بل تركوا كل ذلك كغنيمة للجزائريين ، ومما زاد من فداحة النكبة والخسارة التي مني بها الفرنسيون ، أن السفينة الكبرى " لالون " التي كانت تحمل 1200 راكبا قد أغرقت أثناء عملية الإنسحاب [268].

أما عن آثار الحملة وما نجم عنها ، فيقول جون ب وولف : أنّ فرنسا خسرت جميع مدافعها 35 منها نحاسية و 15 من الحديد وجميع حقائبها ، بالإضافة إلى 400 رجل وقعوا في الأسر ، وقد أعقب هذا الإنتصار احتفالات عارمة في الجزائر ، أما الفرنسيون المقيمون في تونس فكانت تلاحقهم عبارات التهكم والسخرية بأصوات كعواء القطط " جيجل – بجاية " [269].

حرص لويس الرابع عشر على التقليل من قيمة الهزيمة التي مني بها ، وتبين ذلك من التعليمات التي أعطاها لقائد أسطوله " دي بوفورت " بالبقاء خلال الشتاء في البحر والعمل على الظهور ببعض قطع سفنه أمام الجزائر ، لكي لا يشعر الجزائريون بأنهم حققوا إنتصارا كبيرا [270] ، و بعد سنة من ذلك تمت تصفية الخلافات بين البلدين بإبرام معاهدة 17 ماي التي أعطت مرة أخرى دافعا جديدا للعلاقات الجزائرية الفرنسية ،أين

---

([268]) أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص : 397

([269]) جون ب وولف ، المرجع السابق ، ص : 317

([270]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 99

حاول الملك الويس الرابع عشر ، بعد هذه المعاهدة أن يتقرب من الجزائر و السعي لإبقاء حالة السلم معها نظرا لإنشغاله بحروب أوروبا [271].

استمرت حالة السلم بين البلدين ، إلا أنها لم تدم طويلا ، فقد بدأت تتعكر منذ 1672 م ، والتي شهدت قبلها بعام ظهور حكم " الدايـــــات 1671 " ، حيث تخلى هؤلاء عن أية ليونة اتجاه الفرنسيين ، ووصل الأمر بالداي الحاج محمد لإرسال رسالة بتاريخ 23 سبتمبر 1674 م ،إلى البلاط الفرنسي ضمنها الأسس التي تريد الجزائر أن تسير عليها لعقد أي معاهدة مع فرنسا [272] ،و مع أواخر سنة 1675 م ظهرت ملامح القطيعة في العلاقات بين البلدين ، فأخذت سفن البلدين تأسر وتغنم من بعضها البعض كلما سنحت الفرصة لذلك ، واستمر الأمر إلى غاية 1682 م ، أين ستقوم فرنسا بتأطير حملة أخرى ضد الجزائر [273].

**ب.حملة دوكين الأولى والثانية :**

مفاد قضية هاتان الحملتان ، أن مبعوثين فرنسيين قدموا إلى الجزائر للتفاوض مع الداي الحاج محمد من أجل تبادل الأسرى ، وقد تمت في سنة 1681 م المفاهمة على إطلاق سراح الأسرى من الجانبين ، لكن في الوقت الذي وفى فيه الجزائريون بالتزاماتهم ،وأطلقوا الأسرى رفض الفرنسيون من جانبهم إطلاق سراح الأسرى الجزائريين ، وأرسلوهم كعبيد لخدمة المراكب الفرنسية بالمشرق .

ثارت ثائرة الديوان الجزائري وأجمع على إعلان الحرب ضد فرنسا في 8 أكتوبر 1681 م ، فاستولى البحارة الجزائريون على 29 سفينة و 300 أسير ، إذ لذلك قرر

---

([271]) محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 66 .

([272]) عطلي محمد الأمين ، المرجع السابق ، ص : 139 .

([273]) المرجع نفسه ، ص : 141

الفرنسيون شن الهجوم على الجزائر ، وعهدوا بتنظيم الهجوم إلى الأميرال دوكين ، وما إن سمع الداي نبأ التحضير الفرنسي للهجوم على الجزائر حتى إعتزل الحكم وعهد به إلى صهره " بابا حسن " وكان ذلك سنة 1682 م [274].

جهزت فرنسا حملة عسكرية كبيرة بقيادة دوكين ، الذي أبحر على رأس أسطول عظيم في شهر جويلية ( 1095 ه – 1682 م ) ، متوجها صوب الجزائر مع أوامر بتخريب المدينة بأكملها ، وقد توجه الأسطول في البداية نحو مدينة شرشال وشرع في قصفها ، لكن المدينة لم تتضرر كثيرا [275] ، ولم يمت من أهلها ولو حتى نفس واحدة وقد مات من الفرنسيين أكثر من ألفين [276] .

بعد مضي شهر انتقل الأسطول الفرنسي نحو مدينة الجزائر ، وبدأ في قنبلتها فهدموا ما ينيف عن 200 مسكن وبعض المساجد [277] ،وقد استمر القصف حتى 12 سبتمبر دون أن تظهر أية بادرة للصلح [278] ،وبقي الأسطول الفرنسي راسيا في البحر حوالي شهر تقريبا، ثم أقلع عائدا إلى ميناء طولون ،بعدما خلف وراءه أضرارا طفيفة في ميناء الجزائر وعمران المدينة ، وقد كلفت هذه الغزوة الفرنسيين ميزانية ضخمة دون أن يحوزوا على أي نتيجة ، ورجع الفرنسيون إلى بلادهم خائبين خاسرين [279] . ولما صعب على هذه الحملة أن تحصل على ما تهدف إليه من تخريب المدينة وتحطيم أسطولها ، وبعد عودة

---

([274]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص :

([275]) محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 66 .

([276]) الزهرة النائرة ، المصدر السابق ، ص : 20

([277]) تاريخ تحرير مدينة وهران من الإحتلال الإسباني خلال القرن 18 ميلادي من خلال مخطوطتين ، ج1 ، فتح مدينة وهران للجامعي ، ج2 ، الرحلة القمرية لابني زرقة ، تر : مختار حساني ، جامعة الجزائر ، 2009 م ، ص : 226

([278]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 19 .

([279]) ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 20

دوكين إلى فرنسا أعادت الدولة تجهيز حملة أخرى في العام الموالي مكونة من 43 سفينة [280].

انطلقت الحملة أواخر جوان 1683 رجب 1095 من ميناء طولون ، وفي طريقها انضمت إليها 5 مراكب حربية تحت قيادة " لوماركيز دامفريفيل " ، وفي 28 جوان من نفس السنة وصل الأسطول للشواطئ الجزائرية ، وشرع في قصف المدينة والميناء فأحدثت أضرارا جسيمة [281]، أين هدمت أجزاء كبيرة من حصون المدينة ، وحتى قصر الباشا التركي لم يسلم من القصف ، وعند ذلك دخل في قلب بابا حسن الخوف وطلب الصلح من النصارى دون مشورة أصحابه ، ورضي بتسليم 550 أسيرا فرنسيا للأسطول المرابط في البحر [282] ، فثار عليه الرياس وقتلوه وبايعوا " حسين رايس ميزمورتو " دايا مكانه ، وبوصول هذا الأخير للحكم نصب المدافع ونشر الألوية وجدد الحرب [283] ، وبعث إلى دوكين قائلا : " إن أردت الصلح معنا فأعطنا أسرى المسلمين الذين عندك " [284].

عند بلوغ الخبر إلى دوكين سرع في قصف المدينة من جديد، فرماها تلك الليلة بـــــ 350 قنبلة ،ودام القصف 23 ليلة رموا خلالها حوالي 5 آلاف قنبلت خلفت خسائر كبيرة مات خلالها 40 شخصا من المسلمين [285] ، فرد الرياس على ذلك

---

([280]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 85

([281]) ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 20

([282]) علي عبد القادر الحليمي ، المرجع السابق ، ص : 172

([283]) بن عودة المزاري ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر ، تح : يحي بوعزيز ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1990 م ، ص : 172

([284]) الزهرة النائرة ، المصدر السابق ، ص : 22

([285]) المصدر نفسه ، ص : 22

واعتقلوا القنصل " لوفاشي " ووضعوه أمام فوهة المدفع وقذفوا به فتقطع أشلاء وفعلوا ذلك مع 20 فرنسيا آخر [286] ، فرجع دوكين إلى بلده خائبا خاسرا [287] .

وفي سنة 1684 م توسلت الحكومة الفرنسية لعقد الصلح ، فطلبت من السلطان العثماني " مراد الرابع " 1684 – 1687 أن يتدخل بينها وبين الجزائر إلا أن ميزومورتو لم يلتفت إليهم أصلا [288] . وبعد تدخلات كثيرة فتحت مفاوضات للصلح وكان " تروفيل " منسق المفاوضات بين البلدين ، وسميت معاهدة الصلح باسمه وكانت بتاريخ 25 أفريل 1684 م ، ونصت على أن تكون لمدة 100 عام وتحتوي على 29 مادة عالجت بنودها جل المشاكل السياسية والاقتصادية [289] .

### ج. حملة الماريشال ديستري " رجب 1100 ه / 26 جويلية 1688 م :

لم تمض ثلاثة سنوات على إمضاء معاهدة السلم المؤوي ، والتي كان لها الأثر الطيب في تاريخ العلاقات بين البلدين ، حتى تذرعت فرنسا لإعلان الحرب على الجزائر بحجة سماح الحكومة الجزائرية لغنيمة فرنسية من طرف أحد بحارة مدينة سلا .

انطلق دوستري على رأس حملة عسكرية قوامها 44 عمارة ،ووصل الأسطول إلى المياه الجزائرية في 1 جويلية، وشرع في قصف المدينة [290]، حيث رماها بأكثر من 10 آلاف قنبلة فدمر أكثر من 5 آلاف مترل ، فردّ عليه الديوان بإعتقال القنصل " بيول " وكل الرعايا الفرنسيين وقتلوهم جميعا وكان عددهم 43 شخصا [291] .

---

([286]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 86 .

([287]) الزهرة النائرة ، المصدر السابق ، ص : 20

([288]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 86 .

([289]) ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 20

([290]) محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 70 .

([291]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 86

بعد رحيل دوستري عن الجزائر وعدم تحقيق المساعي الفرنسية ، تخلت هذه الأخيرة عن سياسة العصا ، وحذت حذو الإنجليز والهولنديين ، ورغبت في عقد معاهدة للصلح ، فكان ذلك في 24 شعبان 1100 / الموافق لـــــ 24 سبتمبر 1689 م، التي تناولت مختلف النزاعات بين البلدين . وبعد فترة أوفد الداي " الحاج شعبان " بعثة بقيادة " محمد الأمين أفندي " إلى فرنسا للمباحثة في مسألة الأسرى الجزائريين الذين تزايد عددهم بفرنسا ،وتماطلت الحكومة في إطلاق سراحهم رغم المعاهدات المختلفة التي أبرمت بين البلدين [292]، وانتهت هذه المحادثات بتثبيت إتفاقية السلم بين البلدين ، والذي سيستمر لمدة 100 عام وهو مايعرف بالسلم المئوي [293].

تميزت فترة السلم المئوي هاته 1690 – 1790 بالاستقرار رغم وجود بعض الأحداث التي أدت إلى تشنج في العلاقات ، إلا أنها لم تؤد إلى القطيعة وتم حلها وفق معاهدة السلم المئوي ،التي كثيرا ماكان يضاف إليها بنود حسب ما تطلبه الظروف ، وستعرف العلاقات الجزائرية الفرنسية عدّة أحداث هامة ، ستنعكس حتما على مسار العلاقات بين البلدين، منها الثورة الفرنسية التي أثرت تأثيرا كبيرا وواضحا في أوروبا خاصة والعالم عامة ، نظرا لما حملته هذه الثورة من قيم ومفاهيم سياسية واقتصادية واجتماعية ، وما ترتب عنها من انعكاسات هامة في العلاقات الدولية [294]،والحدث الآخر المهم هو الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798 م ، وبما أن الجزائر جزء من الدولة العثمانية وأن الاعتداء عليها قد وقع على بلد مسلم [295] ،فقد أوفد السلطان العثماني "

---

([292]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص ص : 90 ، 91

([293]) محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 98 .

([294]) عبد الرحمان نواصر ، مسألة الديون الجزائرية على فرنسا وانعكساتها على العلاقات البلدين في أواخر عهد الدايات ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2010 – 2011 م ، ص ص : 96 ، 97

([295]) محمد العربي الزبيري ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابين ( 1792 – 1830 ) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1972 م ، ص : 225 .

سليم الثالث " فرمانا للجزائر يوم 6 أكتوبر 1798 ،يتضمن إعلان الحرب على فرنسا ، فاستجاب الداي للقرار وأعلن قطع العلاقات الدبلوماسية معها [296]، وكان غرض فرنسا من هذه الحملة كسر شوكة الإنجليز في الشرق [297] ، والسيطرة على تجارة الهند [298].

وكما أسلفنا استجاب الداي لأمر الدولة العثمانية ، وأعلن الحرب ضد فرنسا وألقى القبض على الفرنسيين وقناصلهم في السجن ، وخرّب مركز فرنسا التجاري بالقالة وأسر نحو 98 عاملا به ، كما أعلنت البحرية الجزائرية حربا شاملة ضد السفن الفرنسية في البحر، تجارية كانت أم عسكرية ، ولكن مالبث أن عاد السلم بين البلدين بعد انسحاب فرنسا من مصر ، أين أوفد " نابليون " مبعوثه تافيل إلى الجزائر ليتفاوض مع الداي لإبرام الصلح ، وفي 13 ماي 1800 م قابل تانفيل الداي " مصطفى باشا " ونجح في عقد هدنة معه يوم 30 سبتمبر 1800 م مقابل دفع مليون فرنك [299]، وستعرف السنوات القادمة انعكاسات حادة في مسار العلاقات بين البلدين، أين ستلعب مشكلة الديون دورا بارزا في تفعيل الأزمة التي ستجر البلدين إلى القطيعة والخلاف ،كما سيلعب الأخوان اليهوديان " بكري وبوشناق " على حبل العلاقات السياسية الفرنسية الجزائرية ، والتي ستنتهي بحملة كبرى تبتدأ بحصار الإيالة ثم احتلالها .

**المبحث الثاني : العلاقات الجزائرية الإنجليزية**

---

([296]) رشيد مريخي ، الجزائر في عهد الداي مصطفى باشا ( 1212 – 1220 ه / 1798 – 1805 م ) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، 2010 – 2011 م ، ص : 38

([297]) زينب عبد العزيز ، مائتا عام على حملة المنافقين الفرنسين ، كومبيوتر ستار ، مصر ، 1988 م ، ص : 14

([298]) محمد صبري ، تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلي اليوم ، ط1 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1926 م ، ص : 24

([299]) رشيد مريخي ، المرجع السابق ، ص : 38 .

جاء الانجليز إلى البحر الابيض المتوسط كتجار و بحارة خواص و قراصنة إبتداءا من أواخر القرن السادس عشر ، و قد حصلت الملكة إليزابيت على معاهدة من السلطان العثماني أعطت للتجار و البحارة الانجليز امتيازات مشابهة لتلك التي يتمتع بها الفرنسيون ، بالرغم من أن المعاهدات الفرنسية العثمانية جعلت الملك الفرنسي هو حامي التجار المسيحين في المشرق ،كما منحت القناصل الفرنسيين صلاحيات واسعة من السلطة الشرعية على جميع المسيحيين في الموانئ العثمانية ، و قد وجد بحارة السفن الخاصة و القراصنة الانجليز ملجأ أمنا لهم في موانئ الايالة الجزائرية و التونسية منذ وقت مبكر ، حيث كانوا يتبادلون تجارة كبيرة مع الجزائر من إمدادات عسكرية و بحرية ، مقابل الحبوب و الصوف و الزيوت و غيرها من المواد المصدرة و المعفية من الرسوم الجمركية.كما كانت حربهم مع الدولة الاسبانية ،و هذا ما جعلهم حلفاء أو على الاقل شركاء لرياس شمال افريقيا إذ كانت تجمعهم علاقات ودية [300].

إن اهتمام بريطانيا خلال القرنين السادس عشر و السابع عشر بالبحر الأبيض المتوسط كان محدود ، و يكاد يكون قاصرا على أعمال الشركة الانجليزية التركية – «شركة الشرق الأوسط-"الليفانت levant "» و التي تأسست سنة 989 ه - 1581م ، و لذلك كانت بريطانيا ثاني دولة تسعى إلى إنشاء قنصلية لها بالجزائر [301] ، وكانت المسؤولة في عهد الملكة اليزابيت على تعيين القناصل الانكليز في مدن الموانئ العثمانية ، و كان من الصعب تعيين قنصل في الجزائر عندئذ ،لعدم وجود نشاط تجاري هام في هذه المدينة التي كانت تكرس كل جهدها تقريبا لهجومات رياسها البحريين ، بعد وفاة اليزابيت أعلن خليفتها ، " جميس الأول " (1603 - 1625 م) أن زمن الحرب قد

---

([300]) مولود قاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830،ج1، دار الامة ، ط2 ،2007 ، ص ص : 181 ، 182 .

([301]) عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ،ج 4 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2010 ،ص : 102

انتهى و لم يكتف بتوقيع السلام مع اسبانيا ، بل أنه أيضا أعطى نفوذا كبيرا وسمعة إلى السفير الاسباني في البلاط الانجليزي ، و مع ذلك فان القراصنة الانجليز كانوا محل ترحيب في الموانئ الجزائرية و التونسية ،حيث كانوا هم و نظراؤهم الفلانديون و الهولانديون يُعلمون الرياس المسلمين كيفية بناء و تسير السفن الطويلة التي تعتمد في مسيرها على الرياح [302] .

لم يعد التجار الانجليز امنين على سفنهم كما كانوا من قبل ، إذا ما أبحروا عبر البحر الأبيض في اتجاههم إلى المشرق للتجارة ، حيث كان السفير الانكليزي في اسطنبول يعامل مثله مثل نظيره الفرنسي،و بعد أن وقع هنري الرابع السلام مع اسبانيا ، قد وجد نفسه يستطيع الضغط كثيرا على السلطات العثمانية لوقف النهب الغير شرعي الذي لحق بالسفن الانجليزية من قبل رياس شمال افريقية ، ذلك أن السلطة العثمانية لم تعد تحمي بسهولة سفن الدول التي يفترض أنها صديقة لنظامه ،و التي هي في نفس الوقت في سلام مع اسبانيا [303].

كما كان الفضل لبعض ضباط البحر الانجليز و الفرنسيين في تعليم البحار الجزائريين و التونسيين طريقة إبحار السفن التي يمكنها اختراق المحيط الأطلسي ،و من ثمة توسيع مجال أنشطة البحارة المغاربة بصفة كبيرة ،و هكذا نرى أن إنجلترا و فرنسا و نيوزلاندا المتحدة لم تكن تجد صعوبة مع البحارة العاملين في الايالات المغربية ،طالما كانت هذه الدول أيضا في حرب أو عداء مع المماليك الاسبانية. و لكن عندما وقعت هذه الدول الثلاث السلام مع اسبانيا ، فان بحارة المغاربة توقفوا عن النظر إليهم كحلفاء ، و سرعان ما استولوا على السفن التجارية التي تعود إلى أصدقاءهم السابقين واسترقوا طواقمها .إن تدخل إسطنبول قد يغير القرارات في العقد الأول من القرن السابع عشر ،

---

([302]) جون ب . وولف ، المرجع السابق ، ص : 242

([303]) جون ب . وولف ، المرجع السابق ، ص : 241

ولكن سرعان ما توقفت السلطة العثمانية عن توفير الأمن لأي سفينة تعبر البحر المتوسط .[304]

تزايد نشاط البحرية الجزائرية ضد السفن الإنجليزية وعليه قرر الملك الإنجليزي "جيمس الأول" توجيه حملة عسكرية لقنبلة مدينة الجزائر ، وأوكل أمرها إلى الأميرال "روبيرت مانسيل" (Robert Mansel ) ، وصل الأسطول الإنجليزي إلى المياه الجزائرية في 27 نوفمبر 1620 م [305] ، لكن الحملة فشلت في تحقيق مبتغاها في فك الأسرى وحرق الأسطول الجزائري.أكّد هذا الإخفاق العسكري ، عجز إنجلترا على الرد على البحرية الجزائرية لضعف الأسطول الإنجليزي ، و عدم تحمل الخزينة الإنجليزية لنفقات حرب و التي قد تطول [306].

مالت إنجلترا إلى الحل التفاوضي مع الجزائريين؛ فعقدت معاهدة سلام مع الجزائر في سنة 1622م ، وقعت معاهدة " توماس روي" بين الانجليز و الايالة العثمانية لتنظيم العلاقات الخارجية بينهما، و يشير جون وولف أن أول من أخل ببنود المعاهدة هم الانجليز ، فقد كان الحكام الأوائل خلال بداية القرن السابع عشر يجدون صعوبة في السيطرة على سلوك رعاياهم ، ذلك أن البحارة الخواص المرخص لهم يصبحون بسهولة قراصنة ، لا يمكن مراقبة سلوكهم في البحر ، و لكن الذي أزعج السلام مع الجزائر لم تكن ببساطة هذه الحجة و إنما السفن الحربية الانجليزية المرخص لها بانتظام قد نقضت أيضا السلام .[307]

---

([304]) المرجع نفسه ، ص ص : 241 – 243

([305]) وليام سبانسر ، المرجع السابق، ص : 180

([306]) جون ب . وولف ، المرجع السابق ، ص : 298

([307]) نفسه ،ص : 298

خلال حرب باكنغهام Buckingham مع اسبانيا سنة 1625م أجبرت سفينة إنجليزية خاصة ،أحد الرياس الجزائريين على تسليمهم السفينة الاسبانية التي كان الرايس قد استولى عليها كغنيمة له ، الامر الذي أدى إلى احتجاج من قبل الرايس ، كما وقعت حادثة مشابه لها ، حيث أن بحارة جزائريين استولوا على سفينة فرنسية كانت مبحرة ، غير أن البحرية الانجليزية طالبت باعطائها نصف الغنيمة ، و لعدم معرفتهم باللغة جعلت الطاقم الجزائري يخسر كل الغنيمة ، وعلى إثر هذه الانتهاكات أرسلت بعثة رسمية جزائرية إلى لندن تحمل معها (خيولا ، أسودا و فهودا ) قاصدة من هذا الحصول على تعويضات ، للانتهاكات المقصودة للمعاهدة من قبل البحارة الانجليز ، لكن حظ البعثة لم يكن كذلك حيث فشلت في مهمتها [308] .

استاء رياس البحر من المعاهدة التي تمنعهم من الانقضاض على السفن الانجليزية ، و خاصة أن العلم الانجليزي كثيرا ما شوهد في البحر المتوسط خلال عشرينات القرن السابع عشر ، و جاءت الفرصة المنتظرة لتبرير نقض المعاهدة و إعلان الحرب على إنجلترا ، و هذا عندما هاجمت سفينة حربية انجليزية سفينة جزائرية و احرقتها ، و كان من نتائجها وضع الأغلال للقنصل الانجليزي "جميس فرانزيل " franzel" و رميه بالسجن ، و اعلان الجزائر الحرب على انجلترا [309] ، و على اثر هذا الصراع باتت السفن الانجليزية في البحر المتوسط و في المحيط الاطلسي هدفا سهل المنال للرياس البحر الجزائريين ، و كان أجرأ هجوم هو الذي قام به العلج مراد رايس ، حيث أسر مئات الرجال الانجليز و النساء و الاطفال لبيعهم في سوق الرقيق بالجزائر ، و كانت هناك هجمات متكرر على السواحل الانجليزية و التي ساهمت في تحريك مشاعر انجلترا [310] .

---

([308]) المرجع نفسه ، ص ص : 298- 299

([309]) جون وولف ، المرجع السابق ، ص : 299

([310]) منور مروش ،ج2 ، المرجع السابق ، ص ص : 285-323

تهاطلت رسائل عائلات الاسرى على الملك و كبار المسؤوليين تناشدهم لنجدتهم ،غير أن الملك لا يملك المال لفدائهم ،كما استرشدت الحكومة لتشكيل لجنة تهتم بهذا الموضوع و التي رأت أن سياسة الفداء ستعطي للجزائريين فكرة بأن الانجليز بضاعة رابحة ،و هذا سيدفعهم إلى بذل مجهودات أخرى للاستيلاء على الاسرى ، و لهذا جعلت استمرار الحرب هو الحل الوحيد [311] . قدر عدد الاسرى بخمسة الاف أسير سنة 1640م ،و بسبب ارتفاع هذا العدد توالت موجات العرائض الموجهة للبرلمان ،و خلال هذه السنوات قام شارل الاول ببناء اسطول قوي يمكنه من فرض هيبته الانجليزية على البحر المتوسط ، و في سنة 1645م غادر " ادمون كاسن " "(cassen) من انجلترا على ظهر سفينة محملة بالبضائع و النقود لفداء الاسرى بالجزائر ، كما تم اعتماده كقنصل و أُعطيت له صلاحيات لعقد معاهدة سلم و صداقة مع ايالة الجزائر، و نتيجة لعاصفة هوجاء احترقت هذه السفينة قرب اسبانيا ،و على اثرها عاد كاسن إلى انجلترا ،و في سنة 1646م عاد إلى الجزائر و معه المال لفداء الاسرى و لعقد معاهدة السلام [312].

عرفت العلاقات الجزائرية الإنجليزية خلال عهد الجمهورية بما يمكن أن نسميه السلام المشوب بالحذر؛ إذ رغم السلام الذي أّكدته معاهدة 1646 م ، إّلا أّن التوجه الجديد لحكومة الجمهورية كان يقضي باستعمال الصرامة في التعامل مع الإيالات المغربية بشكل عام. وقد ظهر ذلك جليا في التعليمات التي زود بها القنصل الانجليزي الجديد "روبير براوني" (Robert Browne) ، وهي تعليمات تميزت بالوضوح والجفاء وعدم التساهل ، أو التسامح مع أي عمل يخل ببنود المعاهدة .وتدعيما لمهمة قنصلها أرسلت حكومة الجمهورية أسطولها بقيادة الأميرال" بلاك " (Blake) إلى البحر الأبيض المتوسط ،ليكون

---

([311]) جون وولف ، المرجع السابق ، ص ص : 299 - 300 ، 301

([312]) المرجع نفسه ، ص ص : 303 ، 304

على أهبة الاستعداد لأي طارئ [313] ،كما تشير مجلة العصور إلى حدوث هجوم بريطاني بأسطول حربي على مدينة الجزائر و كان هذا عام 1652م [314] ،وعندما عاد النظام الملكي إلى إنجلترا في سنة 1660م ،استهلّ الملك "شارل الثاني " عهده بتوجيه حملة عسكرية على مدينة الجزائر، لإرغام الحكومة الجزائرية على الانصياع لرغبته في تعديل المعاهدة السابقة ،وخاصة الشرط المتعلق بتفتيش السفن الإنجليزية . وفور وصول الأسطول الإنجليزي إلى ميناء الجزائر، شرع في قصف المدينة وأبراجها ،وردت عليه الحصون الجزائرية فأصابت السفينة التي تحمل الأميرال كما أصيبت بعض السفن بأعطاب فمات منهم مائة [315].

بعد فشل الحملة لجأت إنجلترا كالعادة إلى أسلوب التفاوض؛ فعقدت معاهدة سلم مع الجزائر في سنة 1662م [316] ،كما لا يمكن تجاهل الضربات التي تلقتها البحرية الجزائرية من طرف الانجليز، حيث تم قصف سواحل الايالة و ميناءها و كان هذا عام 1665م [317].

برز الصراع بين فرنسا و الجزائر لتنفرد فرنسا بشن اكبر عدد من الغارات البحرية على الجزائر خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر ، غير أن المدفعية الجزائرية تمكنت من صد هذه الهجمات و إلحاق الهزيمة بالأسطول الفرنسي ، و في عام 1669 م أبرمت

---

([313]) جون وولف ، المرجع السابق ، ص ص : 307 ، 308

([314])جبور محمد ، **البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني** ، مجلة العصور ، العدد 12-13/14-15،جامعة وهران ، 2008 -2009 ، ص : 120 .

([315]) جون وولف ، المرجع السابق ، ص : 308

([316]) جمال قنان ، نصوص و وثائق ، المرجع السابق ، ص ص : 91-97

([317]) المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق ، ص ص : 339-347

اتفاقية جديدة بين فرنسا و الجزائر ، الأمر الذي أغضب انجلترا لتشن بدورها هجوما على الجزائر لكن قدرة المدفعية الجزائرية أرجعتها من حيث أتت [318].

ظل تبادل التهم بخرق المعاهدات يعكر صفو العلاقات بين البلدين ،ليجد كل طرف المبرر للقيام بأعمال عدوانيه ففي 1770م قبضت وحدة بحرية إنجليزية بقيادة السير "ألن" "Allen " و أحرقت 3 طرادات قرصانية مجموعة ناريتها 248 بندقية [319] ، و في ربيع 1671م تعرض ميناء بجاية إلى هجوم إنجليزي ،قاده الضابط " إدوارد سبراغ " (Edward Spragge) [320]أسفر عن حرق إثنتي عشرة سفينة ، وأكثر من ثلاثة آلاف قتيل ثم توجه شطر مدينة الجزائر ، فأحرق بها تسع سفن ،وشرع في إملاء شروطه على حكومة الداي التي توّلت السلطة في البلاد بعد القضاء على نظام الآغوات ،لكنه لم يكمل المفاوضات وعاد على جناح السرعة إلى بلاده .

ساءت العلاقات الجزائرية الانجليزية هذا و أن القنصل الانجليزي كان يمارس ضغطه على الداي باستمرار للحصول على المزيد من المعاهدات التجارية ، و في النهاية طرد القنصل من قصر الداي لأنه أصر مقابلة الداي و الدخول إلى ديوانه ،و هو متقلدا سيفه الأمر الذي أثار غضب الداي ،و زيادة حدة توتر العلاقات بين البلدين. و في سنة 1774م/1188ه جاء القائد " دنيس" إلى الجزائر لتعيين قنصل جديد بها ، إلا أنه لم يسمح له بالنزول من سفينته ، و في 16 شباط 1775م تدخل السلطان و فرض على الجزائر قبول الصلح مع انجلترا، وفق فرمان بعث به إلى ايالة الجزائر ،غير أن هذه الأخيرة لم تعر أي إهتمام بهذا الفرمان نهائيا . [321]

---

([318]) عزيز سامح ،ا لمرجع السابق ، ص : 529

([319]) وليام سبانسر، المرجع السابق ، ص : 180

([320]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص : 184

([321]) عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص : 529

اغتنم الانجليز فرصة قيام الحرب بين الجزائر و فرنسا عام 1681م ،فابرموا مع الجزائر معاهدة سلام و كان ذلك سنة 1682 [322]، حيث يصفها أحد الفرنسيين بتقديم الانجليز تنازلات مزرية للجزائريين، إذا قبلوا بإعطائهم كمية معتبرة من البارود ،و من قنابل المدافع و من الحبال ،و كل مايستلزم لتجهيز السفن ،كما قامت انجلترا باطلاق سراح خمسين أسيرا ، في الوقت التي لم تتحصل فيه إنجلترا على أسير واحد من الأسرى الانجليز المتواجدين بالجزائر ،رغم عددهم الكبير ، كما قبل الانجليز بأن يتولى القراصنة الجزائريين حماية بواخرها في البحر المتوسط [323].

بقيت حالة الشد والجذب تطبع علاقات البلدين إلى مطلع عقد الثمانينات من القرن 17م ،حين وّقع البلدان معاهدة سلام في 22 أفريل 1682 م ؛ و يعود الفضل في ذلك إلى القنصل" صمويل مارتن " الذي وعد الديوان في 1676م ،بأن انجلترا ستحدد من عدد الأجانب المسافرين على متن سفنها ، و نجم عنها تحسن في العلاقات التي سوف تستمر إلى غاية القرن 18 وذلك إثر توطد التفوق البحري الإنجليزي و احتلال الإنجليز لجبل طارق أثناء حروب الوراثة الإسبانية [324] .

كانت سياسة بريطانيا اتجاه الجزائر تستهدف نفس الاهداف التي تسعى لتحقيقها غريمتها فرنسا ،غير أن إنجلترا في المناسبات العادية كانت تبدي الكثير من البخل في الهدايا التي كانت تقدمها للداي ، أما القناصل الذين كانت تختارهم لتمثيلها بالجزائر كثيرا ما كانوا من طبقة عادية و لايتمتعون إلا بمعرفة محدودة ، و عدم حنكتهم في الامور

---

([322]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 41

([323]) مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر العام ،ج3 ،ص ص: 186-187

([324]) وليام سبانسر، المرجع السابق ، ص : 180

الدبلوماسية هو السبب الذي جعل هؤلاء يقعون في أخطاء فادحة ،و في كثير من الأحيان كان يتم استدعائهم من قبل حكومتهم بناءا على شكوى الداي [325] .

لقد كانت انجلترا تنتهج سياسة لا تتسم بالمثابرة و المواظبة مثل فرنسا، فإنها كانت تطالب و باستمرار بنفس المكانة و الاعتبار التي كانت تتمتع بها نظيرتها [326] ، وقد تعرضت الجزائر إلى عدة هجمات من قبل الاسطول الانجليزي ، لكنها أقل عددا من الهجمات الفرنسية ، كما كان مجموع الاتفاقيات المبرمة بين الجزائر و انجلترا منذ 1619 م إلى 1830 م حوالي 27 معاهدة [327] .

إن موضوع العلاقات الجزائرية البريطانية تكتسي أهمية خاصة لدول البحر الأبيض المتوسط بصفة عامة ، كون أن بريطانيا لم تكن من دول البحر الأبيض المتوسط ،إلا أنها اقتحمت هذا المسطح المائي الهام ،بغرض السيطرة على الملاحة التجارية العالمية التي كان يحظى بها المتوسط ، وبالتالي فرضت نفسها كرقم أساسي في المعادلة التي حكمت وأطرت العلاقات السياسية للدول المتوسطية هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كانت الجزائر خلال هذه الفترة دولة بحريّة بالدّرجة الأولى ،فكان مفتاح عظمتها في " عصر القرصنة " يكمن في بحريّتها التي كانت توجّه سياستها الخارجيّة ، وتحدّد طبيعة علاقتها مع الدّول الأوربيّة ، بما فيها الإمبراطوريات العظمى التي كانت على رأسها بريطانيا. وبالتالي أولت المملكة البريطانية أهمية بالغة بالجزائر، خاصة أن هذه الأخيرة كانت تربطها علاقات يمكن أن نقيمها بالحسنة خلال هذه الفترة .

**المبحث الثالث : العلاقات الجزائرية الأمريكية**

---

([325]) وليام شالر ، المصدر السابق، ص : 134

([326]) نفسه ، ص : 135.

([327]) عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق ، ص ص : 103- 104

كانت أمريكا عبارة عن مستعمرة تخضع للنفوذ البريطاني ، تابعة سياسيا واقتصاديا للتاج الإنجليزي ،وبالتالي كانت علاقتها مع الجزائر منطوية تحت العلاقات الجزائرية البريطانية التي تتمّ بواسطتها ومن خلالها ،حيث كانت الجزائر تعامل السفن الأمريكية طبقا للدولة المستعمرة . [328] و في ظلها تمتعت السفن الأمريكية بالحماية من الجزائر، مانحة إياها جميع الامتيازات حيث كانت العلاقات الجزائرية البريطانية ودية ، وفي أواخر القرن الثامن عشر و بعد قيام الثورة الأمريكية [329] ، سحبت بريطانيا حمايتها من أمريكا ليبدأ تاريخ الولايات المتحدة الفعلي بموجب معاهدة فرساي في 3 سبتمبر سنة 1783م [330] ،حيث اعترفت الجزائر بحق الولايات المتحدة في الاستقلال [331] .

تعتبر العلاقات الأمريكية الجزائرية حديثة عهد و لم تبدأ الاتصالات فيما بين الدولتين إلاّ بعد 1783 م ،كما يؤيّد هذا الاتجاه مسارعة الجزائر إلى الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة، و أمام الوضعية الحرجة التي كانت تعيشها أمريكا قررت أن تنشد السلام مع الجزائر بطريقة غير مباشرة ، فلجأت إلى الأوروبيين لتحقيق هذا الهدف ، فالمعاهدة التي أبرمتها أمريكا مع فرنسا عام 1778 م ،نصت على مادة يتعهد بموجبها ملك فرنسا باستعمال وساطته لدى الجزائر لحماية المصالح الأمريكية [332]، و في معاهدات أمريكا مع هولندا عام 1782 م ، و التي كانت مماثلة للمعاهدة التي عقدتها مع فرنسا ،كما

---

([328]) وليام شالر، قنصل أمريكا بالجزائر، مقدمة المترجم ، ص ص : 5 ، 6

([329]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص216

([330])اسماعيل العربي ،**المعاهدات الجزائرية الأمريكية** ، **مجلة الثقافة** ،الجزائر،السنة السابعة العدد40،اوت – سبتمبر1977،ص23

([331]) عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق ، ص : 101

([332]) جيمس لندركاثكارت ، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا بالمغرب ، تر: إسماعيل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 ، ص : 196 . انظر ايضا: اروين ، ص : 44 .

فشلت مساعيها الأولى لعقد معاهدة مع بريطانيا . و تم توقيع معاهدة عام 1783 م [333] . حاولت أمريكا التحالف ضد الجزائر و لكن الدول الأوروبية رفضت تطبيق هذه المادة كفرنسا ،و أخرى رفضت إضافة هذه المادة أصلا كبريطانيا .إلا أن مساعي أمريكا فشلت لدى الدول الأوروبية [334] .

سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى عقد معاهدة صلح مع دول المغرب خاصة الجزائر التي كانت أقوى النيابات العثمانية آنذاك، حفاظاً على سلامة السفنها التجارية في البحر المتوسط.و قد أشار الوزير الفرنسي إلى استئناف المفاوضات مع دول المغرب ،و التي سوف تكلفها مبالغ طائلة،لان بدون هذه التضحية لا أمل لها في الحصول على السلام،فان تمكنت الولايات المتحدة من ابرام المعاهدة مع الجزائر و المغرب لتخذت كل من تونس و طرابلس حذو البلدين بسهولة و بمبالغ أقل [335] .

فبعد انتصار الجزائريين على الإسبان وعقد معاهدة معهم عام 1783م ، أُتيح للجزائريين التحرك بحرية أكبر في البحر المتوسط و المحيط الأطلنطي، بعدما فُتح أمامهم مضيق جبل طارق فاستولى الجزائريون على سفينتين أمريكيتين عام 1785 م ، و الذي كان على متنها 21 أسيرا و بالتالي ازدادت حصيلة الأسرى من الأمريكيين [336] .

أرسلت الولايات المتحدة مندوبا عام 1786م يدعى " جون لامب " فدخل في مفاوضات مع الداي " محمد باشا " ، إلا أن الداي رفض مقابلته [337] . وفي سنة 1791م توفي الداي محمد باشا ليحل محله الداي حسن باشا ،وأحست الولايات المتحدة

---

( [333] ) أروين راي ، تاريخ العلاقات الدبلوماسية الأمريكية المغربية ، تر : اسماعيل العربي، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص : 46- 48

( [334] ) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ، المرجع السابق ،ص : 219

( [335] ) أروين ، المرجع السابق ،ص : 54

([336]) اسماعيل العربي ، المعاهدات الجزائرية الامريكية ، المرجع السابق ، ص : 25 ، **انظر:** أروين ، ص : 63

( [337] ) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص : 219

أنه أكثر ميلا لها من سابقه فسارعت إلى فدية أسراها ،و عقد معاهدة ،فوافق الأمريكيون على دفع مبلغ 65 آلاف دولار [338].

استمر الصراع بين البرتغال و ايالة الجزائر الامر الذي دفع بهم إلى اتباع سياسة حراسة مضيق جبل طارق لمنع السفن الجزائرية من الخروج من البحر المتوسط ،و بذلك تكون البرتغال قد تحمي السفن الامريكية من قراصنة الجزائر في المحيط الاطلسي. ورغم غلقِ البرتغال لمضيق جبل طارق أمام البحرية الجزائرية ، و تقديم الحكومة البرتغالية الحماية للسفن الأمريكية ، إلا أنها ظلت تواجه التهديدات إلى غاية 1793م ، حينما قامت الحكومة البريطانية بعقد صلح بين ايالة الجزائر و البرتغال [339].

عقب ذلك انتشرت السفن الجزائرية التي زالت كل العوائق امامها ، و في غضون سنة تمكنت السفن الجزائرية من الإستيلاء على 11 سفينة أمريكية في عام 1793م ،وبلغ عدد الأسرى الأمريكيين مئة أسيرا [340] ،وقد أدى هذا إلى إحداث إثارة كبيرة في الولايات المتحدة خاصة وانها قد خرجت حديثا من مشاكل الناجمة عن حرب الاستقلال ، و بفضل دستورها الذي كان يبشر بمستقبل زاهر، وقعت البلد تحت عبئ ثقيل و هو عدم امتلاكها قوة بحرية ،و هكذا بذلت المساعي من أجل حل هذه المسألة. فأقر " الكونجرس " في عام 1794م إنشاء اسطول مكون من 6 سفن أمريكية لاستخدامها ضد الإعتداءات المعادية في البحر المتوسط [341].

رغم إقرار أسلوب القوة إلا أنها فضلت اسلوب التفاوض مع الجزائر و لهذه الغاية كلف الكلونيل" هامفري" ، الوزير الأمريكي في ليشبونة من قبل رئيس الولايات المتحدة

---

([338]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 129

([339]) أبو قاسم سعد الله ، أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر ،ج1، دار البصائر ، الجزائر ، 2007 ، ص: 289

([340]) مذكرات وليام شالر ، المصدر السابق ،ص : 128 ، 129

([341]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ، المرجع السابق ، ص : 227

الأمريكية بالدخول في مفاوضات مع الجزائر ،حيث اضطر وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية الجديد "ادمون راندلوف" لتخصيص مبلغ 800 ألف دولار لتحقيق السلام وتخليص الأسرى لدى الجزائر [342].

أرسلت أمريكا بعثة أخرى إلى الجزائر للمفاوضة عام 1795م ، تحت مسؤولية " **هامفري** " ، سافر المندوبان الأمريكيان " هامفري " و "جوزيف دونالدسون " إلى باريس حيث بقى هامفري وتابع دونالدسون طريقه إلى الجزائر . وبمساعدة فرنسا ، و بعد المحادثات بين الطرفان أدى إلى توقيع أول معاهدة سلام و صداقة بين البلدين بتاريخ 21 صفر 1210ه الموافق لـ 5 سبتمبر 1795م [343] ، التي نصت على أن تدفع أمريكا ما يعادل 725000 دولار منها 642500 دولار كفدية لمئة أسير، و 21600 دولار كجزية سنوية ،و تدفع لمعدات بحرية إلى الجزائر اضافة إلى هدايا تقدم إلى الداي [344] ،و بالمقابل تتعهد الجزائر بحماية التجارة الأمريكية في البحر المتوسط، و القيام بمساعيها الحميدة لدى باشا طربلس لتحقيق السلام مع أمريكا ، و بناءا على هذا أصبحت الجزائر طرفا ثالثا ضامنا للسلام حين وقعت معاهدة طرابلس أمريكا ، كما تعهدت الجزائر بالقيام بنفس لمساعي لدى الباشا تونس لصالحأمريكا [345] .

جاء في ديباجة المعاهدة ((من تاريخ إبرام هذه المعاهدة سيحل السلام الدائم و الصداقة المخلصة بين رئيس المتحدة الأمريكية و مواطنيها، و بين بابا حسن داي الجزائر و ديوانه و رعاياه و أن سفن و رعايا الأمتين سيتعاملون بكل شرف و احترام )) .و تطبيقا لهذه المعاهدة أطلقت الجزائر سراح أسرى الأمريكان في جوان 1796م ، أما أمريكا قد

---

([342]) وليام شالر ، المصدر السابق، ص : 129

([343]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص : 229

([344]) وليام سبانسر ، الجزائر في عهد رياس البحر، ص: 186

([345]) مذكرات شالر ، المصدر السابق ، ص : 129

قدمت للجزائر ثلاثة سفن " حسن باشا " و " سكجولد براند " ، للاعايشة و التي وصلت إلى ميناء الجزائر يوم 16 يناير 1799 ، أما السفينتين الأخريين وصلتا بعد ذلك بوقت قصير ، كانت تبلغ قيمة السفن في مجملها 9800000 دولار [346] ، و في هذه الأثناء تغير الجو السياسي بأوروبا بين انجلترا و فرنسا و بين امريكا وانجلترا و بالتالى تم تحريض الجزائر من قبل صديقتها الأولى طبقا لمصالحها [347].

تمّ الإمضاء على المعاهدة رغم تحريض بريطانيا للداي على الإستمرارية العمل ضد النشاط التجاري الأمريكي من أجل القضاء عليه من ناحية، وتحجيم دور فرنسا من ناحية أخرى [348] ، أما أهم مواد المعاهدة فهي أن تدفع الولايات المتحدة للجزائر إتاوة سنوية مقدارها 12 ألف من الذهب الجزائري مع إمكانية أن يتم الدفع عينيا، كأن يقوم الجانب الأمريكي بإعطاء الجزائر ما تحتاجه من معدات بحرية، و سواري السفن ولوازمها من حبال وأخشاب فضلا عن بعض المدافع والبارود على أن يتم حساب أثمانها من الأتاوة السنوية، وفي حالة الزيادة أو النقصان يتم التعويض [349].

كانت الحالة المالية و الثقة في الدولة متضعضعة في الولايات المتحدة ،بحيث أنها واجهت صعوبات كبيرة في جمع الأموال اللازمة للوفاء بالتزاماتها في نطاق المعاهدة ،وحدث تأخير من قبل الولايات المتحدة [350] في إرسال ما تم الإتفاق عليه مع الجزائر، حيث مرت ثمانية أشهر على توقيع معاهدة السلام دون تنفيذ بند واحد من بنودها [351] ،فظن الداي أن الأمريكيين غير جادين في تنفيذ المعاهدة .

---

([346])جيمس لاندر كاثكارت ، المصدر السابق، ص 276-277

([347]) مذكرات وليام شالر ، المرجع السابق ، ص : 129

([348]) نفسه ، ص : 129

([349]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص: 228-227

([350]) مذكرات شالر ، المصدر السابق ، ص : 130 .

([351]) جيمس لاندر كاثكارت ، المصدر السابق، ص : 194

أبلغ المندوبين الأمريكيين بضرورة المغادرة خلال أيام ،وإذا لم يتم التسليم خلال شهر فسيلغي المعاهدة ويعلن الحرب. فلجأ المندوبان إلى أحد كبار التجار اليهود من آل بكري للتوسط لدي الداي لزيادة المهلة بعد أن دفع له 18 ألف دولار ، و كان " بارلو " قد أعد بعض الهدايا الثمينة للداي ،أملاً منه في تمديد المهلة لوصول أموال المعاهدة التي بعثها مع اليهودي كوهين بكري لكي يحصل على مقابلة مع الداي غير انه رفض هذه الهدايا من الامريكيين و بعد محاولات عدة و متكررة [352] ، إلا أنّ الداي رفض استقبال بارلو لمدة لاتقل عن شهر بعد وصوله للجزائر، و أكثر من ذلك فقد أمر الاسطول بالتسلح و الاستعداد لإعلان الحرب على الولايات الامريكية المتحدة ، لكن لكسب الوقت و للخروج من هذه الورطة ، عرض بارلو على الداي تزويده ببارجة مسلحة بستة و ثلاثين مدفعا اذا رضي تمديد المهلة [353] ، فوافق الداي على زيادة المهلة إلى ثلاثة أشهر فقط. و وعدت الولايات المتحدة بإرسال اللازم في صيف عام 1797 . [354]

كانت التكلفة الحقيقية لمعاهدة الصلح هذه بالنسبة للولايات المتحدة تعادل أو تفوق المليون دولار ،وهي قيمة في غاية الارتفاع إذا نظرنا إلى حالتها المالية الكارثية بسبب الديون الخارجية ووضعها الاقتصادي المزري بسبب حرب الاستقلال، وضعف الدولة الحديثة النشأة تنظيميا وإداريا ،الراجح أنّ هذه المعاهدة تمّت سنة 1795م ،وأنّ أمريكا وجدت صعوبة في جمع هذه الأموال ولكنّها دفعتها بواسطة مفوضها "جويل بارلو" سنة 1796م [355] . بقيت مطالب الجزائر تزداد وتتفاقم كلـــّما تطوّرت التجارة الأمريكية

---

([352]) جيمس لاندر كاثكارت ، المصدر السابق، ص ص : 242 ، 243 .

([353]) المصدر نفسه ، ص : 257

([354]) أروين راي ،المرجع السابق ، ص110

([355]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 130

وازدهرت إلى أن وصلت في حسّ الأمريكيين إلى درجة لا تطاق، ولكن لم يكن لهم مفرّا ولا بديلا من دفع هذه الضرائب والغرامات [356].

و في عام 1800م وصلت السفينة الأمريكية جورج واشنطن الى الجزائر تحمل الإتاوة السنوية .استمرت العلاقة بين الجزائر و الولايات المتحدة تسير في ظل معاهدة 1795 م رغم حدوث بعض التوتر بسبب التأخر في إرسال الإتاوة الى الجزائر، أو المعدات الحربية، والذي وصل في بعض الأحيان إلى التهديد والإستيلاء على السفن الأمريكية [357].

استمرت العلاقة بين الجزائر و الولايات المتحدة تسير في ظل معاهدة 1795 م إلى غاية 1812م ،رغم حدوث بعض التوتر بسبب التأخر في إرسال الإتاوة الى الجزائر، أو المعدات الحربية، والذي وصل في بعض الأحيان إلى التهديد والاستيلاء على السفن الأمريكية ، [358] لم تكن أمريكا تستطيع خوض حرب مع الجزائر فاضطرت إلى محاولة مهادنتها وأرسلت سفينة (اللغاني) محمّلة بالذخيرة والعتاد الحربي.

أرست هذه السفينة في ميناء الجزائر يوم 17 جوان 1812م ولكن حمولتها كانت ناقصة عن القيمة المتفق عليها بين الطرفين [359] ،أبدى الداي غضبا شديدا وانزعاجا كبيرا بسبب هذا النقص الذي اعتبره عدم وفاء بالعهود والمواثيق ، وممّا زاد غضب الداي عندما علم أنّ نفس السفينة قد أنزلت شحنة مماثلة لملك المغرب ، وأنّها كانت محمّلة ببعض الأغراض الأخرى لأفراد وشركات خاصة ، رأى الداي في هذا التصرف اهانة لشخصه ولدولة الجزائر فأمر القنصل الأمريكي بمغادرة الأراضي الجزائرية رفقة عائلته ، وجميع

---

([356]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ،ص : 229

([357]) مذكرات وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 131

([358]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 129 .

([359]) نفسه ، ص : 130

الرعايا الأمريكيين وأمهلهم حوالي أسبوعا واحدا إلى غاية 25 جوان 1812م [360]، و في منتصف سبتمبر 1812 م ألقى الأسطول الجزائري القبض على سفينة أمريكية وأسرّ جميع من عليها في 1813م، حاولت الحكومة الأمريكية فدية أسراها ولكن المحاولة باءت بالفشل ، يزعم القنصل شالر أنّ الداي رفض فديتهم وقال أنّهم أهمّ عنده من أي مبلغ مالي مهما عظم [361].

ازداد الأمر سوءا عند اندلاع الحرب الأمريكية البريطانية عام (1812 – 1814) ،الأمر الذي أدى الى توقف التجارة الأمريكية البحرية في البحر المتوسط ، وبعد انتهاء الحرب الأمريكية البريطانية قررت الولايات المتحدة حل مسألة الجزائر بصفة نهائية ، حيث كانت متأكدة من أنها ستجبر الجزائر على الرضوخ لمطالبها بسبب تدهور الأوضاع الداخلية في الجزائر، نتيجة للصراع بين الدايات والإنكشارية ،فضلا عن أن الولايات المتحدة حاولت الإستفادة من قرارات مؤتمر فيينا عام 1815 م ، والذي قررت فيه الدول الأوروبية إنهاء الإعتداءات على السفن في البحر المتوسط [362].

## المبحث الرابع : العلاقات الجزائرية المغاربية

### أ مع تونس : إنظمام تونس للخلافة العثمانية

استفادت إسبانيا من التفكك والإنقسام الذي شهدته دول المغرب العربي [363] الثلاث ، التي عرفت كيف تتحين الفرصة وتستغل الظروف لصالحها ، فوجهت أنظارها

---

([360]) جيمس لاندر كاثكارت ، المصدر السابق، ص : 275 .

([361]) وليام شالر، المصدر السابق ، ص141-146

([362]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص: 604

([363]) عاطف عيد ، قصة وتاريخ الحضارات العربية ( أول موسوعة حديثة تعالج نشأة البلدان العربية وأحداثها حتى أيامنا هذه ) ج 21 – 22 ، 1998 - 1999 م ، ص : 51

صوب تونس ، التي كانت تتخبط في صراعات داخلية ظهرت في أوساط الدولة الحفصية حول كرسي العرش فاحتلت جل سواحلها ، ونظرا لموقع تونس الإستراتجي ، فقد أولتها الدولة العثمانية والإمبراطورية المقدسة بالغ الاهتمام ، حيث اشتد الصراع بينهما وتبادلت الدولتان أطراف الهزيمة والانتصار أكثر من مرة [364].

عملت الدولة العثمانية على تخليص تونس من السيطرة الإسبانية ، فاستغلت نشوب ثورة داخلية في تونس ضد حاكمها " أبو محمد الحسن الحفصي " حليف الإسبان ، فتوجه خير الدين نحو تونس لاقتحامها ، ولكن الحسن استنجد بالإسبان الذين هرعوا إلى تجميع أسطولهم عام 1535 م واصطدموا مع قوات خير الدين ، ونظرا لعدم التكافؤ بين القوتين قرر خير الدين الانسحاب نحو الجزائر ، وتمكن الإسبان من إعادة الحسن إلى عرشه بعد أن عقدوا معه اتفاقا يضمن مصالحهم [365] ،أين نص الإتفاق على منح الإسبان امتيازات واسعة والسماح لهم بسكن جميع أنحاء القطر التونسي ، بل وتنازل لهم السلطان الحفصي عن مدن هامة كـــــ : عنابة وبترت وحلق الوادي .

أدى هذا الوضع المتدهور إلى قيام ثورة وطنية بتونس ، انتهت بتولية السلطان الحفصي " أبي العباس الثاني " الذي حكم تونس ( 942 ه – 980 ه / 1535 – 1572 م ) ، لكن الأمور في تونس لم تستقر فأبو العباس الثاني لم يكن من القوة ، بحيث يستطيع أن يمسك بزمام الأمور ويقف في وجه الأطماع الإسبانية [366] .

حين اشتد الخلاف بين الأمير الحفصي أبي العباس ووزيره " أبي الطيب الخضار " ، اتصل هذا الأخير بالعلج " علي باشا " ، وحرضه على احتلال تونس فانتهز العلج علي

---

([364]) اسماعيل أحمد الياغي ، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، المرجع السابق ، ص : 238

([365]) جميل بيضون و شحادة الناظور وعلي عكاشة ، تاريخ العرب الحديث ، ط1 ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الأردن ، ص : 49

([366]) شوقي عطا الله الجمل ، المرجع السابق ، ص : 107

الفرصة وخرج على رأس جيشه أين التقى بجيش الأمير الحفصي عند سهل باجة ، وبعد قتال مرير انهزم أبو العباس وتقدم العلج على صوب المدينة فاستحوذ عليها سنة 1569 م ،ونصب عليها أحد قواده ، أما أبو العباس فالتجأ إلى الإسبان مستنجدا بهم ، فأعد الملك فليب الثاني [367] قوة كبيرة لمواجهة تونس على أن يقتسم مع أبي العباس حكم البلاد ، إلا أن أبا العباس رفض العرض في حين قبله أخوه " محمد بن الحسن " وتمكن بمساعدتهم من استرجاع تونس [368].

ولما تواصل الإعتداء الإسباني وجورهم وصاروا يكيدون بالمسلمين، ويقطعون الطريق على المسافرين وعم آذاهم جميع طوائف المسلمين ، جهز السلطان العثماني " سليم الثاني " قوة عثمانية كبيرة خرجت من القسطنطينية بقيادة " سنان باشا " [369] ، بالإضافة قوة بحرية من نحو ألف سفينة بقيادة " العلج علي " ، كما خرجت حاميات تركية من طرابلس والجزائر والقيروان ، وحاصر العثمانيون حلق الوادي برّاً وبحراً ، فأضطر الإسبان والأمير الحفصي إلى الهروب والإلتجاء إلى الحصون ، فلحق بهم الجيش التركي وضيق الخناق على الحاميات الإسبانية وألقى القبض على الأمير الحفصي " محمد بن الحسن " وأرسله إلى القسطنطينية [370] واعتقل هناك إلى أن توفي بها ، وبذلك تم تحرير تونس وضمت نهائيا للدولة العثمانية عام ( 981 ه / 1574 م ) ، وتم القضاء على

---

([367]) **فليب الثاني** : تولى حكم اسبانيا بعد إعتزال ابيه شارل الخامس للعرش ولجوءه إلى دير في اسبانيا سنة (1556 – 1598 م ) **أنظر** شوقي عطا الله الجمل ، المرجع السابق ، ص : 107 .

([368]) شوقي عطا الله الجمل ، المرجع نفسه ، ص : 108 .

([369]) **سنان باشا** : كان ضمن الجيش الاسباني الذي هاجم جزيرة جربة عام 1560 م ، ووقع أسيرا لدى الأتراك وكان إسمه الكونت سيكالا ، ولما أسلم وحسن إسلامه أصبح يعرف باسم سنان باشا ، وكان له دور كبير في تحرير تونس من الاسبان عام 1574 م . **أنظر** : جميل بيضون وآخرون ، المرجع السابق ، ص : 49

([370]) شوقي عطا الله الجمل ، المرجع السابق ، ص : 108 .

عهد الدولة الحفصية التي حكمت البلاد ما يقرب 350 عاما [371] ،والمستفيد الرئيسي منه إذ كانت تقع على عاتقه مهمة أساسية تتمثل في حماية البلد من كل عدوان خارجي ، كما تتمثل في فرض النظام التركي وكان لهذا العسكر مجلس أعلى يسمى الديوان، يتكون من ضباط ساميين من الأغوات وبلوكباشية ، وكان له شأن عظيم وسلطان قويم يعادل منزلة الباشا في الحاكم [372] .

لقد مرّ التواجد العثماني بتونس بعدة مراحل وتنظيمات وارتبط تطوره بجملة من الأزمات السياسية والعسكرية ، حيث ظهر نوعان من النظام بالبلاد هما نظام الدايات والبايات ،وكانت سنة 1591 م بداية نظام الدايات ، بعد ثورة أحدثها جند الإنكشارية كرّد فعل لتردي الأوضاع التي آلت إليها البلاد، بعد استئثار الديون بأمور الحكم والمال [373]، وقد كانت هذه الثورة بمثابة إنقلاب عسكري على الحكم ،أين أصبح تعين رئيس البلاد يتم من بين الدايات بينما أصبح الباشا شخصا شرفيا يلبس الخلعة السلطانية ، ويمثل مصالح الباب العالي [374]، وقد حكم تونس في هذا العهد ثلة من الدايات الأقوياء أمثال " عثمان داي – يوسف داي – أسطا مصطفى " وغيرهم ، لتنتقل تونس بعدها لنظام جديد هو نظام البايات الحسينين إبتداءا من 1705 م ،وقد شهدت العلاقات السياسية بين البلدين وقائع وأحداث هامة في كلا العهدين فبما تميزت هذه العلاقات ؟ وما هو الطابع الذي غلب عليها ؟

---

([371]) اسماعيل أحمد الياغي ومحمود شاعر ، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ( قارة إفريقيا ) ، ج2 ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، 1993 م ، ص : 93 .

([372]) محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال تع : محمد شاوش ، محمد عجينة ، ط3 ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993 م ، ص : 68 .

([373]) مبروكة خرنف ، العلاقات التونسية الفرنسية سياسيا – تجاريا خلال القرن 17 ( 1605 – 1705 م) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2011 – 2012 م ص : 13

([374])حسين خوجة ، ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان ، تر : طاهر العموري ، الدار العربية للكتاب ، ص : 22 .

**العلاقات السياسية بين إيالتي الجزائر وتونس :**

بعد أن انضوت الجزائر وتونس تحت لواء الدولة العثمانية ربطت بينهما علاقات سياسية اتسمت في مجملها بطابع التوتر ، فبالرغم من كونهما إيالتين عثمانيتين متجاورتين وخاضعتين بصورة مباشرة لحكم الخلافة الإسلامية ، إلا أنّ هذا الأمر لم يمنع من ظهور مناوشات وصراعات بينهما ، وكان لكل طرف مبرراته وأهدافه التي سطرها جراء تدخله في شؤون الآخر [375]، فالنظام الجزائري كان يعتبر تونس تابعة له ، أو يجب أن تكون بحكم أنه هو من حررها من الإسبان ، بينما كان النظام التونسي يعتبر نفسه مساويا للنظام الجزائري لأنه تابع للقسطنطينية [376].

ظهرت بوادر الصراع بين البلدين حول مشكلة الحدود التي تعد أهم مظاهر السيادة لدى الدول، وليس غريبا أن تنشب حولها النزاعات ، فكانت أولى مشاكل الحدود عام 1614 م ،أين سويت المسألة بتمديد أراضي القبائل التابعة لإقليم قسنطينة داخل التراب التونسي [377]، لتظهر مجددا في عهد يوسف أين تم إبرام معاهدة لضبطها سنة 1617 م ، فيكون واد سرا المتفرع من مجردة حدا فاصلا بين الإيالتين [378].

لعبت القبائل الحدودية القاطنة بين البلدين دورها في نشوب الصراع والخلاف ، ففي 1628 م إلتقى الجيشان الجزائري والتونسي في معركة انتهت بهزيمة الجيش التونسي قرب مدينة الكاف ، وتم إبرام إتفاق جديد بين البلدين نص على إبقاء وادي سرت حدا

---

([375]) كوثر العايب ، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات ( 1711 – 1830 ) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الوادي ، 2013 – 2014 م ، ص : 28 .

([376]) مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص : 195 .

([377]) كوثر العايب ، المرجع السابق ، 28 .

([378]) مبروكة خرنف ، المرجع السابق ، ص : 14 .

فاصلا [379] ، والمتتبع لسير العلاقات بين البلدين سيدرك حتما أن البلدان يستغلان نقاط ضعف بعضهما من أجل التدخل في شؤون الآخر ، فحكام الجزائر كانوا يغتنمون فرصة تطاحن الأمراء من التونسيين على الحكم ،فيعينون منهم بايا يكون مواليا لهم ويقبل شروطهم، [380] ونفس الأمر بالنسبة لبايات تونس أين استغلوا إنشغال الجزائر بحربها لفرنسا بمهاجمة الشرق الجزائري ، بالرغم من أن " محمد باي " الذي كان على عرش تونس في هذا الوقت قد عُين في منصبه بمساعدة الجزائريين ، فقام " الداي شعبان " بتنظيم حملة ضده نصّب على إثرها " أحمد بن شركس " بايا على تونس سنة 1681 م ، ولكن ما إن إنسحب الجيش الجزائري من تونس حتى ظهر محمد باي من جديد على رأس أنصاره وخلع أحمد بن شركس من العرش [381] .

بعد استرجاع محمد باي عرش تونس تحالف مع سلطان المغرب ضد داي الجزائر ، فقرر الداي الذي كان يناصره نظام طرابلس الغرب أن يطرد محمد باي من عرش تونس ، وأدرك محمد باي أن حليفه المغربي لا يستطيع أن يقدم له أدنى معونة ، فعرض على الداي تقديم جباية عنوانا عن خضوعه [382] ، وكان هذا التعهد سبيلا إلى نشوب حرب الإيالتين لعدم التزام الباي محمد بتنفيذه أين تتهجم الجزائر على تونس سنة 1693 م ،ويلتقي الجيشان في منطقة الكاف وتنتهي المعركة بخلع الباي محمد وتوليه " محمد شقير " بعد أن تعهد هذا الأخير بتعويض الجزائر لخسائرها في حرب الكاف ،ودفع الضرائب السنوية والهدايا المفروضة [383] .

---

([379])صورية حصام ، العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة وهران ، 2012 – 2013 م ، ص : 11 .

([380]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 17 .

([381]) مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص : 195 .

([382]) المرجع نفسه ، ص : 197 .

([383]) محمد بن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 26

وبمجرد خروج الداي شعبان من تونس قامت الرعية بخلع محمد شقير ، واتفقت الإنكشارية على منعه من اللجوء إلى الجزائر ، وتمت عودة محمد باي إلى منصبه بيدّ أن الداي شعبان قد صمم على محاربة تونس والإنتقام من المتمردين ، إلا أن القلاقل التي ظهرت في أوساط الجنود بالحدود الشرقية التونسية قد منعته ، وستؤدي إلى مقتله سنة ( 1106 – 1695 م ) ليخلفه " أحمد أعجي " دايا على البلاد [384] ،و بعد مرور عام على وفاة الداي شعبان ،توفي بتونس محمد باي سنة 1696 م ،وجاء بعده أخوه " رمضان باي " ، حيث قام هذا الأخير بإبعاد أخيه " مراد باي " عن الحكم وزّج به في السجن ، إلا أنه تمكن من الفرار واستطاع أن يجمع حوله عددا كبيرا من الأنصار ، كما قام بتحريض الإنكشارية ضد أخيه فقتل سنة 1699 م وتولى هو حكم الإيالة [385].

في عهده نظم حملة ضد قسنطينة فهاجمها وذبح حراس حصونها وحاصرها لفترة ، وبهذا الخبر إضطربت الإنكشارية الجزائرية ، فخاف حسن شاوش على نفسه وعين بدله " الحاج مصطفى أهجي " سنة 1700 ، فقام هذا الأخير بجمع صفوف الإنكشارية وتوجه بهم صوب الشرق القسنطيني لمحاربة الجيش التونسي الذي يقوده مراد باي ، وبعد معركة دارت بين الفرقين انتصرت الإنكشارية الجزائرية على التونسية ،وذبحت منهم قرابة 2000 شخص ،وشتت شمل الباقين وعادت إلى الجزائر رافعة الرأس [386].

وصلت أنباء القتال الدائر بين تونس والجزائر إلى الباب العالي ، فأمر السلطان العثماني كبير البوابين " أحمد " بالذهاب إلى هناك وإيقاف الاقتتال ، وبعدما تمكن هذا الأخير من النجاح في مهمته عاد إلى إسطنبول وأخبر السلطان بذلك ، وتقديرا منه على

---

([384]) المصدر نفسه ، ص : 26

([385]) حصام صورية ، المرجع السابق ، ص : 26

([386]) ابن المفتي حسين بن رجب شاوش ،تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر و علمائها،جمع و اعتناء :فارس كعوان،ط:1، بيت الحكمة،الجزائر ،2008،ص:69،أنظر أيضا : محمد بن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 26 .

استجابة الإيالتين لأمر السلطان أرسل هذا الأخير حُللاً فخرية لداي وباي الجزائر وتونس معا [387].

لم يعمر السلم طويلا بين البلدين حيث دام ثلاثة سنوات فقط بسبب نقض الباي

" إبراهيم الشريف" للإتفاق المبرم بين البلدين ،ورفضه لدفع الضريبة السنوية المتفق عليها [388] ،فكان ذلك سببا في توجيه الداي مصطفى لجيشه إلى تونس ،فإلتقى بجيش تونس بالقرب من منطقة الكاف ودارت معركة انتصر فيها الداي، وقبض على إبراهيم الشريف وسجنه فطلبت الرعية التونسية من الداي أن يكف عن الحرب مقابل 150 ألف ريال ، ولكن الداي رفض وقرر أن يدخل تونس ويغنم منها ، فتقدم إليها وحاصرها 40 يوما خسر خلالها التونسيون خلقا كثيرا ، ثم قرر الداي رفع الحصار وغادرها متجها إلى الجزائر [389].

بعد إلقاء القبض على الباي إبراهيم الشريف ، تولى زمام الأمور من بعده الباي " حسين بن علي " ومعه تتأسس الأسرة الحسينية ،أين ستتم الفترة الممتدة من سنة ( 1705 – 1728 م ) بنبوع السلم والتعاون ، ومن مظاهر ذلك التعاون ظهور التحالف التونسي الجزائري ضد قبيلة الحنانشة المتمردة 1724 م ، أين رفض شيخ هذه القبيلة " بوعزيز بن ناصر " دفع ما عليه من ضرائب سنوية ، فكانت تعلن ولائها لتونس تارة وللجزائر تارة أخرى، تهربا من دفعها للضريبة مما جعل حاكما الإيالتين ينتفضان على تأيدها [390] .

---

([387]) عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص : 453 .

([388]) حصام صورية ، المرجح السابق ، ص : 33

([389]) محمد بن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص :28

([390]) حصام صورية ، المرجح السابق ، ص : 43 .

كما ظهرت معالم السلم والصداقة أثناء الحرب الأهلية التونسية سنة 1728 م ، ومفادها أن الباي " حسين بن علي " قرر أن يجعل ابن أخيه " علي باشا " خليفة له من بعده ، لأنه يئس من الإنجاب فرباه على أصول الحكم ، إلا الباي حسين بن علي قد رزق بإبن وهو " محمد الرشيد " فقرر إلغاء ولاية العهد لإبن أخيه ، وصرح أن وريثه الشرعي هو ابنه " محمد الرشيد " ، إثر ذلك أعلن علي باشا ثورة ضد عمه وعمت الفوضى كافة البلاد التونسية ، وعندما أصبح علي باشا غير قادر على مجابهة عمه فرّ نحو الجزائر أين أحسّ بالأمان .

بعد التأكد من التحاقه بالجزائر راسل باي تونس داي الجزائر ، وشرح له الوضع الذي تسبب فيه ابن أخيه ، فطلب منه أن يلقي القبض عليه ويسجنه بالجزائر وتعهد باي تونس بدفع 50 ألف بياسترا سنويا ،فقبل داي الجزائر العرض [391] . هذا وقد شهدت سنة 1735م عودة الفوضى للإيالة التونسية بعد أن هاجمها علي باشا ،وهزم عمه ودخل تونس ونصب نفسه عليها ،ولجأ حسين بن علي إلى القيروان وصمد في وجه ابن أخيه طول خمس سنوات ، إلى أن رجحت الكفة لفائدة علي باشا وابنه يونس ، فأنهزم حسين داي وقطع رأسه في شهر ماي 1740 م ،فسلك إبناه بدورهما السبيل المؤدية إلى الجزائر ،حيث استقبلا استقبالا حسنا لأنهما كان يوفران للداي ورقة ضغط على باي تونس [392] ، وبرفض علي باشا دفع الضريبة المفروضة عليه بدأت علاقاته تتدهور مع الإيالة الجزائرية، إلى أن وصلت إلى حد القطيعة سنة 1740 م ،وشهدت سنة 1746 م ارسال حملة عسكرية بإتجاه تونس ، ولكنها أخفقت أمام أسوار مدينة الكاف ، ثم إنّ حملة أخرى بعشر سنوات بعدها 1756 م ،قد أفضت إلى احتلال تونس ونهبها واقصاء علي

---

([391]) حصام صورية ، المرجح السابق ، ص ص : 50 – 54

([392]) محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ، ص : 48 .

باشا عن الحكم ،وتعويضه بمحمد وعلي باشا إبنا عمه حسين بن علي في سبتمبر 1756 م [393].

بعد انتهاء حرب 1756 م بدأت مرحلة جديدة في مسار العلاقات السياسية بين البلدين أين تكللت بفترات السلم قاربت 20 عاما ، وفي سن ( 1096 – 1781 م ) لجأت بعض القبائل التونسية إلى الحدود الجزائرية في منطقة تبسة [394] ،بسبب رفضها للسيطرة وللخضوع للحكم التونسي واستنجدت " بصالح " باي قسنطينة ، وبعد مرور سنوات قليلة وبالضبط سنة 1783 م طالب صالح باي " حمودة باشا " بدفع تعويضات مالية للقبيلة لما لحقها من أضرار . رفض حمودة باشا هذا الطلب وكاتب الداي محمد بن عثمان يحذره من عقوبة مساندته لصالح باي ، إلا أن الداي عثمان ساند صالح باي فأضطر حمودة باشا للخضوع لأمر الواقع ،وامتثل لدفع تعويض مالي قدره 520,000 سكين للقبيلة المتضررة وكان ذلك في جوان 1748 م [395] .

استمر السلم بين البلدين إلى غاية 1800 م وذلك لعدة أسباب منها :

- إنشغال حمودة باشا بإخماد الحرب مع إيطاليا إلى غاية 1792 .
- انشغال الجزائر بقضية وهران واستعادتها من أيدي الإسبان عام 1792 .

بقية العلاقات الجزائرية التونسية في حالة من الترقب والحساسية ، وكان الشغل الشاغل للبايات التونسيين هو الخروج من هذه التبعية ، وقد وجدت تونس في الثورات

---

([393]) المرجع نفسه ، ص : 48 .

([394]) محمد صالح العنتري ، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها ( تاريخ قسنطينة ) ، تع : يحي بوعزيز ، دار هومة الجزائر ، 2007 ، ص : 80 .

([395]) حصام صورية ، المرجح السابق ، ص ص : 89 ، 90 .

الداخلية التي نشبت بالجزائر مابين 1803 و 1805 م، فرصة مناسبة للتخلص من هيمنة داي الجزائر ورفض ما كان يمليه عليها من أوامر وما يطلبه منها من إتاوات [396].

إجمالا للقول فيما يخص العلاقات الجزائرية التونسية ، أنها خضعت للعديد العوامل و الأسباب المتحكمة في سيرورتها ، والتي أفضت في النهاية إلى الإصطدام العسكري بينهما لأكثر من مرة وستنعكس بنتائجها على الإيالتين على حد سواء ،خاصة تلك المناطق التي كانت حلبة للصراع كقسنطينة والكاف ، وستبقى هذه المواجهات والإصطدمات التي تمت بين حكام الإيالتين محدودة في السلطة الحاكمة والسلم والتعاون ، فكان التواصل الثقافي والتبادل التجاري النشطين خير دليل على ذلك [397].

**ب مع المغرب :**

امتازت العلاقة الجزائرية المغربية بالتنافس الشديد نتيجة الخلافات المستمرة بينهما خاصة خلال القرن 16 ، و التي تدور حول منطقة تلمسان و المناطق المحيطة بها ، وصل التدخل الجزائري في الشؤون المغربية أوجه في النصف الاخير من القرن 17 مع اعتلاء العلويين حكم المغرب ، و بعد ذلك دخل المغرب في عزلة استمرت حتى نهاية القرن 19م [398].

تميزت العلاقات في العقود الخمسة الأولى للقرن 11ه/17م ، بين الجزائر والمغرب بطابعها السلمي أما العقد السادس فقد شهد تجدد الصراع بين الدولتين ، بسبب أطماع المغرب في الغرب الجزائري ،بعد ظهور الأسرة العلوية التي تمكنت من إخراج المغرب من ضعفه.

---

([396]) محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ، ص : 90 .

([397]) كوثر العايب ، المرجع السابق ، ص : 50

([398]) وليام سبانسر ، المرجع السابق ، ص: 166

كان المنصور يخشى أتراك الجزائر و لا يأمنهم بالرغم من الأوضاع الداخلية لهذا البلد ، فقد تقرب المنصور من حلفاءه التقليديين الإسبان، وخاصة ملكها "فيليب الثالث" لصد خطر الأتراك العثمانيين ،وذلك في شهر ربيع الاول1012ه/أوت 1603م [399]. ثم توجه إلى مهاجمة ولده في مدينة فاس، لكن هذا الأخير قام بتهديد والده المولى إسماعيل بالتوجه إلى مدينة تلمسان ،واللجوء إلى الأتراك حيث تم القبض عليه ووضعه في سجن بمكناس [400] .

إثر حروب أبناء أحمد المنصور زيدان وأبي فارس وصراعهم على الحكم بعد وفاة أبيهم ، انهزم زيدان في المعركة الأولى التي جرت بينه وبين عبد الملك بن أبي فارس ، وأخيه الشيخ في بداية جانفي1013 ه/1604م ، بتادلا ولاحقه الجيش إلى فاس ففر إلى تلمسان [401]، ليستعين بأتراك الجزائر حيث أقام عندهم بضعة أشهر [402] ،وخلال هذه الفترة كانت حكومة الجزائر بقيادة الباشا "خضر باشا " في عداء شديد مع الحكومة الفرنسية ، وهي الفترة التي قدم زيدان فيها هدية ثمينة تقدر بـــ 300000 أوقية من الذهب إلى السلطان العثماني، وبالرغم من ذلك لم يحقق ما كان يصبو إليه ، وعاد إلى المغرب عبر سجلماسة و لم يكن معه سوى 1200 فارس [403] ،وخلال هذه الفترة حرك المغاربة ثورتين في تلمسان ،الأولى كانت في سنة 1625 م ، والثانية

---

([399]) بن القايد عمر ، **أضواء على علاقة الجزائر بالمغرب الأقصى** ، **مجلة الواحة للبحوث و الدراسات** ، جامعة غرداية ، العدد17، 2012، ص 141

([400]) محمد الصغير بن الحاج الأفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، تح : هوداس ،مطبعة أرنست لوروا ، باريس ،1889 ، ص 18

([401]) نفسه ، ص : 193

([402])نفسه ، ص : 222 ، 223

([403]) ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، ص : 213

في 1627م /1037ه والتي كان يقودها السويسي المغربي وقد باءت الحملتان بالفشل الذريع [404].

عمل المغاربة على توسيع سلطتهم على حساب الأراضي الجزائرية، فقد استولى المولى الشريف على وجدة ،وشن غارات على تلمسان و نواحيها ،وسيطر على بني يزناسن ونهب أموالهم ومواشيهم ، ثم سار إلى مدينة ندرومة وقد عاود الغارة عليها وعلى القبائل المحيطة بها (مطهرة وولهاصة ) ، ثم أعاد الغارة على تلمسان وقتل الكثير من عسكر الترك ومن الأهالي الجزائريين ، كما هاجم القبائل العربية كجعافرة ، وحميان وزغبة ، ووصل إلى الأغواط وعين ماضي والغاسول [405].

عزم عثمان باشا داي الجزائر على القيام له ،سحب أتباعه إلى داخل المغرب ،وقد تبادل مع عثمان باشا رسائل [406] ،والتي أدت إلى مفاوضات واتفاقيات بين الطرفين بخصوص رسم الحدود بينهما ، وجعل وادي التافنة حدا فاصلا للحدود [407] ،وتعهد الشريف المغربي بالتزام ذلك قائلا : «...إني أعاهد الله تعالى لا أتعرض بعد اليوم ببلادكم و لا لرعيتكم بسوء ...لا قطعت وادي التافنة إلى ناحيتكم إلا فيما يرضي الله ورسوله... » ،و قد وفى في قطعه على نفسه واحترم أخوه الرشيد تلك الاتفاقية حتى جاء السلطان مولاي إسماعيل العلوي وفسخ تلك المعاهدة [408]، بعدما استفحل أمر لمحمد بن الشريف في توسعه بنواحي المغرب اتجه في سنة 1063 ه/1653م إلى نواحي تلمسان من الأراضي الجزائرية ،وهاجم القبائل المقيمة في هذه المناطق، فتصدى له "عثمان باشا"

---

([404]) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ،ج6 ، تح و تع : جعفر الناصري و محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ،1955م،ص : 190

([405]) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، نفسه ،ج6 ، ص : 107

([406]) نفسه ، ص : 109 ، 110

([407]) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، ج7 ، ص : 22

([408]) الناصري ،ج7،نفسه، ص : 107

الحاكم العثماني بالجزائر [409] ،و بدأ الصدام جليا في عهد المولى اسماعيل حيث قاد عمليات تأديبية ضد قبائل الشراقة و توجه بجيشه إلى تلمسان ، و حين بلغ أسوارها علم بأن الاتراك في الجزائر منشغلين بحملة دوكين.

و لما بلغ الأمر إلى الديوان علم بتحركات المولى اسماعيل ، أرسلت له رسالة للكف و الانسحاب [410] ،حيث وقع الصدام بينه و بين الجيش الجزائري سنة 1679م . و تفرق الجيش المغربي أمام هدير المدفعية العثمانية ،حيث طالبوا المولى اسماعيل بالكف عن التعرض لهم و التزام بالحدود التي أقرها أسلافهم ، و ردا على تصرفات المغرب الاقصى ، ساهم حكام الجزائر في تغذية النزاعات الداخلية في المغرب ، حيث عاضد الجزائريون غيلان الزعيم القبلي من شمال المغرب ضد المولى اسماعيل ، و قد هزم غيلان و قتل وكان ذلك سنة 1673م [411] ، و انتهزوا فرصة انشغال السلطان المغربي في اخماد الفتن فاستولوا على بني يزناسن سنة 1682م ،حيث تمكن الجيش المغربي من صدها [412] ،وفي سنة 1089ه/1681م و هنا تقابل الجيشان لكن لم يحدث أي اشتباك بين الطرفين وبعد مراسلات ومفاوضات دبلوماسية أدت إلى إتفاق على رسم الحدود و تم توقيع معاهدة الصلح بينهما [413].

كما حدث اتفاق بين التونسيون و المغاربة لشن هجوم على الجزائر ، عَلِم الجزائريون بالاتفاق ، و بغية افشاله هاجم الداي شعبان تونس اين انتصر عليهم ، ثم توجه

---

([409]) أحمد بن محمد بن عبد السلام الرباطي ،تاريخ الضعيف الرباطي ، تح: محمد البوزيدي ،ج1 ، ط : 2، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء ،2007 ، ص : 107

([410]) عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص: 440

([411]) وليام سبانسر ، المرجع السابق ، ص : 166

([412]) محمود علي عامر ومحمد خير فارس ، تاريخ المغرب العربي الحديث « المغرب الأقصى - ليبية » ، حقوق التأليف منشورات لجامعة دمشق، 1999 ،ص : 95

([413]) محمد امين محمد و محمد علي الرحماني ، المفيد في تاريخ المغرب ، دار الكتاب ، ص : 217

إلى المغرب فتحرك المولى اسماعيل بجيشه إلى اسوار تلمسان مدعيا تأديب قبيلة "غويا فزاز"(guya fazaz) ، و لدى و صوله علم بوصول جيش الاتراك و المتآلف من عشرة ألاف جندي و ثلاثة ألاف خيالة ،و على اثر هذا انسحب الجيش المغربي الذي استمر في ملاحقته الجيش العثماني، فهزم المولى اسماعيل بعد خسرانه خمسة الاف من الجند ، ثم استمرت مطاردته حتى أسوار مدينة فاس عام 1693م / 1104ه [414] ،و كادت تنشب معركة جديدة لولا استسلام المولى اسماعيل و ترجيه الداي لقبول المفاوضات [415] .

وأثناء حكم المولى إسماعيل 1083ه- 1140ه /1672م-1727 م ، تميزت العلاقات الجزائرية المغربية بنوع من الحذر ،الذي غذته الأطماع الإسماعيلية في التوسع شرقا على حساب الأراضي الجزائرية ، ونقض المعاهدات التي أبرمها أخويه من قبله .

كما تميزت أيامه بجملة من المنازعات والإعتداءات على الجزائر ،وقد إزداد حذر المولى إسماعيل من الأتراك العثمانيين في الجزائر لما رآهم يقفون إلى جانب تمرد ابن أخيه "الأمير محرز " بجنوب المغرب ، وتأكد له وجود إتفاق بينهما يهدف إلى كسر شوكة المولى إسماعيل [416]، وإثر الأزمة الداخلية التي عمت الجزائر وتصعيد الحملات الفرنسية عليها ومقتل الباشا "علي الحاج حسين باشا " أغار المولى إسماعيل على تلمسان، بتحريض من الإنجليز الذين أزعجتهم المعاهدة المئوية بين الجزائر وفرنسا سنة 1101ه/1689 م وخلال هذه الفترة الحرجة كان الجيش الجزائري مشغولا في حربه مع تونس في 1104ه/1692م و قد استغل الوضع وهجم على الأراضي الجزائرية [417].

---

([414]) عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص : 440-441

([415]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ،ج3 ، ص : 196

([416]) عبد الهادي التازي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ، ص : 16

([417]) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، المصدر السابق ، ص ص : 159- 169

استفحل الإعتداء الإسماعيلي علىالأراضي الجزائرية حيث امتدت إلى جنوب تلمسان وهاجم قبائل حميان وبني عامر ومنطقة الشلف ، ثم نزل جنوبا إلى منطقة جبال لعمور ووصل إلى عين ماضي والغاسول بجنوب الجزائر [418]، وأمام هذا الوضع الخطير كان لزاما على" الداي شعبان " ، أن يقوم بتجهيز قوة لدحر هذا الإعتداء ،حيث جاء في رسالة بعثها إلى الوزير الفرنسي"بونتشارترين" (Ponchantrain) بتاريخ 3 رجب 1103 ه /21 مارس1692 م ، وأخرى إلى لويس الرابع عشر مؤرخة في 11 محرم 1106ه/01 سبتمبر 1694 م ،والتي جاء فيها :«...لقد قصد القلعة التي هي لنا"كريستل قرب وهران "حوالي 500 فارس مع 10000 ،من أشجع جنودنا تصحبهم أفتك المدافع وكل الأسلحة والذخائر والمؤن...وعن طريق البر أرسلنا 5000 من الفرسان و 30000 من الأهالي بقيادة أمرائهم ولن يمضي عشرون يوما حتى أخرج أنا لألتحق بهم...» [419]

.

ولما سمع السلطان مولاي إسماعيل بما يعده الداي شعبان ، طلب العودة إلى السلم فلم يقبل الداي منه ذلك فسارع إلى لقائه في 19 شوال 1103 ه / 4 جويلة 1692 م ، في معركة على الضفة الشمالية لنهر ملوية، فأنهزم المغاربة فيها وواصل الداي زحفه حتى اقترب من فاس فوجد في طريقه جيشا بقيادة السلطان نفسه ،وبعد تدخل علماء من الجانبين هدأ الجو وحصل الإتفاق وتعهد السلطان المغربي بإحترام الحدود [420].

أرسل السلطان إلى الجزائر ولده مولاي عبد الملك برفقة كاتبه وقائده ومفتيه وعدد من التجار بلغوا 120 شخصية لأبرام الصلح ، ومع كل ماحصل إلا أن السلطان لم يرتدع وعاود الكرة مرة أخرى ،عندما أوعز لابنه مولاي زيدان فأغار على مدينة معسكر

---

([418]) عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، ص : 21 .

([419]) عبد الهادي التازي، المرجع السابق ، ص : 21

([420]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ص : 96

بعدما إتفق مع باي تونس على ذلك [421] ، تجددت الإشتباكات في سنة 1700م /1111 ه وتوترت العلاقات وتأزمت بينهما [422].

قام المولى زيدان بعدة غارات على الاراضي الجزائرية و لكنه لم يستطيع استثمار نجاحه فغضب منه أباه و قام بعزله ،كما توجه المولى اسماعيل ليشرف شخصيا على هذه العمليات حيث خرج بنفسه حتى بلغ إلى أفره " Efere " ،كما ان المولى اسماعيل لم يكترث لتهديد السلطان العثماني حيث التقى الطرفان في منطقة مضيق ( بوغاز اكشي ) في واد جديوية و بدأت المعركة في 20 ذو القعدة 1112ه/28 نيسان 1700م ،و في الساعة الرابعة انهزم الجيش الفاسي [423] و جرح المولى اسماعيل و كاد أن يقع في قبضة العثمانيين ،و لم تثنه هذه الهزيمة وحول مشروعه الهجومي من الجنوب ،و استطاع السيطرة على عين مهدي غرب الاغواط [424] ، وبصراع السلاطين العلويين على الحكم تركت حدود الجزائر حرة و خالية من أي اعتداءات ،أو هجمات قاسية كالتي تلقتها من قبل ظل العثمانيين يرقبون بحذر شديد تطلعات السلاطين فاس و لهذا واجهوا محاولاتهم مواجهة علنية و صريحة .

تحسنت العلاقات الجزائرية المغربية في أواخر القرن 18 ،حيث قام السلطان المغربي ببعث قافلة محملة بالهدايا الثمينة إلى الجزائر، غير أنها تعرضت للسلب و النهب في وجده و كان المسؤول عليها ابو القاسم أحمد الزياني ،الذي تقدم بشكوى إلى الباي محمد الكبير حيث قاد حملة تأديبية ضد اشقياء وجدة وحاصرها ، و لدى وصول موظف المولى

---

([421]) بن قايد عمر ، المرجع السابق ، ص : 146

([422]) عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، ص : 21

([423]) عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص : 442 ، 443

([424]) محمود علي عامرو محمد خير فارس، المرجع السابق ، ص : 95

سليمان انسحب الباي محمد الكبير راجعا إلى الجزائر [425] كما كان لسلطان فاس دورا بارزا في تغذية النعرات و تحريض الطرق الصوفية ضد النظام القائم بالجزائر.

# الفصل الثالث

## الجزائر بين الأزمات والصراعات الدولية

المبحث الأول : **الاضطرابات السياسية و الازمات الداخلية**

المبحث الثاني : **الجزائر في المؤتمرات الأوروبية**

1. **مؤتمر فينا**
2. **مؤتمر آكس لاشبيل**

المبحث الثالث : **الحملة الأوروبية على مدينة الجزائر**

## المبحث الاول : الاضطرابات السياسية و الازمات الداخلية

عرفت الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر ، حركات تمرد شملت الجهتين الشرقية والغربية معا ، ساعدها في ذلك حالة عدم الاستقرار الناجم عن انتشار الفوضى وكثرة الاغتيالات وانتشار المؤامرات داخل السلطة وأجهزة الحكم ، وتفاقمت الأوضاع نحو الأسوء مع تذمر الأهالي من جراء تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، وهو ما أدى في نهاية المطاف إلى اندلاع عديد الثورات ضد نظام الحكم العثماني التي كادت أن تعصف بالسلطة الحاكمة ، ولعلّ من أبرزها وأشهرها " ثورة ابن الأحرش " في الشرق الجزائري و " ثورة درقاوة " في الغرب وبالرغم من تمكن السلطة من إخمادها ، إلا أنها خلفت خسائر فادحة بالنسبة لخزينة البلد .

### أ. ثورة ابن الأحرش في شرق البلاد :

يعد ابن الأحرش من أهم الشخصيات التي لعبت دورا هاما في أحداث مستهل القرن التاسع عشر ، من خلال تزعمه لثورة عنيفة ضد النظام العثماني في الشرق الجزائري عام 1804 م ، ورغم هذا لا نعرف الكثير عن حياته الخاصة إلا بعض الإشارات التي أوردها المؤرخون ، فقد ذكره أحمد بن مبارك في كتابه تاريخ قسنطينة بأنه رجل مغربي

يزعم أنه من شرفاء فاس ، وأشار إليه محمد بن يوسف الزياني في دليل الحيران أنه فتى مغربي مالكي المذهب درقاوي الطريقة [426] أما صالح العنتري فقال أنه رجل يدّعي الشرف [427].

في أواخر سنة ( 1218 ه / 1803 م ) وقع هول بالوطن سببه رجل يدّعي الشرف ناحية أعراش وادي الزهور اسمه " سي محمد بن عبد الله الشريف " المدعو بـــــ : " ابن الأحرش " وكان قد سار إلى الحج ، وعند عودته من الحجاز عن طريق مصر صادف الحملة الفرنسية عليها ، الأمر الذي دفع بإبن الأحرش أن يشارك على رأس جيش من المغاربة إلى جانب المصريين في مواجهة الجيش الفرنسي بقيادة " نابليون بونابرت " ، فأظهر شجاعته وأبلى بلاءا حسنا في الحرب الذي أكسبته شهرة كبيرة في أوساط الناس [428] ،وبعد الانسحاب الفرنسي من مصر قفل راجعا نحو المغرب مع جماعته من الحجاج .

نزل بتونس وعملت الأطراف الخارجية عملها في تغذية ابن الأحرش على التمرد وخاصة بريطانيا وفرنسا ، حيث عملت هذه الأخيرة على دعم وتشجيع القبائل الناقمة على السلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر انطلاقا من الشرق ، وذلك بإمدادها بالذخيرة والسلاح وتحريضها على الثورة ، كما لا يمكن تجاهل الدور الذي لعبته كل من الجارتين تونس والمغرب الأقصى في تدعيم التمردات ، وفي هذا الصدد يروي صاحب كتاب تحفة الزائر ما مفاده : " أن ابن الأحرش عندما كان راجعا من مصر مرّ على تونس فلقيه

---

([426]) محمد بن يونسف الزياني ، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تقديم وتحقيق : المهدي البوعبدلي ، الجزائر ، 1979 ، ص : 209 .

([427]) رشيد مريخي ، المرجع السابق ، ص : 25 .

([428]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 194 .

صاحبها " حمودة باشا " الذي أكرم منزلته وفاوضه في القيام على حكومة الجزائر ووعده بالظاهر بالمال فإستكان له ابن الأحرش " . [429]

كما يورد أحمد الشريف الزهار في مذكراته أن باي تونس حمودة باشا استقبل ابن الأحرش وأكرمه ،وأوعز له بإمكانية القيام على حكومة العثمانيين ووعده بالمساعدة ، وقد أورد ذلك بقوله : " وبلغ خبره أمير تونس يومئذ حمودة باشا ، فبعث له واستقدمه فلما قدم عليه لقيه بالبشر وعظمه ووسوس له قائلا إنّ رجلا شجاعا مثلك يجب أن يذهب إلى ملك الترك بالجزائر ويترعه من أيديهم ونحن نمدك بما يخصك والعرب يتبعونك لكثرة ما ظلمهم الأتراك ، وكان مقصد حمودة باشا أن يشغلهم لا غير " [430] .

بعد أن نزل ابن الأحرش بتونس انتقل منها إلى عنابة على متن سفينة إنجليزية ، ثم عرج على قسنطينة وتعرف على الأوضاع العامة التي كانت قائمة آنذاك [431]، واستقر المقام به في جيجل ، ومنها بدأ دعوته للثورة ضد العثمانيين ، وقد استعمل عدّة طرق لإقناع الناس بشرعية دعوته بإيهامهم أنه المهدي المنتظر وأنه المخلص الذي سيحرر الناس من جور الأتراك ، وأن دعوته مستجابة والنصر يتبعه حيثما يتوجه، وبارود عدوه لايضره وما إلى ذلك من الدعوات الكاذبة [432].

وقد استعان بدهائه وبلاغة لسانه ومقدرته على الإقناع حيث يقول فاسيت : " وقد التف الناس حوله خاصة بعد إعلانه للجهاد ضد النصارى ، حيث كان يمارس القرصنة البحرية بمدينة جيجل " ، وأثناء مقامه بالمدينة شغل منصب مدرس بزاوية سيدي الزيتوني،

---

([429]) محمد عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 117 .

([430]) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص : 85 .

([431]) ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية ( دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ) ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2000 م ، ص : 312

([432]) جمال قنان ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث ، المرجع السابق ، ص : 312 .

أين أخذ يفقه الناس في أمور دينهم ، كما أسس مدرسة لتعليم القرآن الكريم وأصول الفقه ببني فرقان ، واكتسب بذلك احترام الكثير من السكان المنطقة الجبلية الواقعة بين جيجل والقل وميلة ، وأصبحت كلمته مطاعة عند قبائل الوادي الكبير وجبال زواغة ووادي زهور [433] ، وعلى كل حال فقبائل هاته النواحي وخاصة أولاد عيدون وبنو سليم وبنو خطاب وغيرهم كلّهم صدّقوه ، وبعد أن كسب ود رجال دينهم الساخطين على الحكام الأتراك [434] .

بدأت تصرفات ابن الأحرش تثير مخاوف الحكومة الجزائرية ، خاصة بعد أن نجح هذا الأخير في أسر عديد السفن الأوروبية التي كانت تتردد على سواحل جيجل والقل لصيد المرجان وممارسة التجارة ، وتمكن فعلا من حجز سفينة فرنسية قتل البعض من طاقمها وأسر الباقي ، وكان عددهم 34 شخصا [435]، وقد ساهمت أعماله هاته في ازدياد شعبيته خاصة لما رفع لواء الجهاد ضد الأتراك واصفا إياهم بالظلم والجور ، مما دفع بحامية جيجل الإنسحاب من المدينة مخافة القتل .

أصبح ابن الأحرش في المدينة كالملك فعين مساعدا له ولقبه بآغا جيجل وهو من عشيرة بني قايد واسمه " حمزة بن حمادوش " ، وشرع ابن الأحرش يستعد للحرب فنظم المدفعية ووضع على رأسها أحد الكراغلة وهو " أحمد بن درنالي " ، ثم واصل زحفه نحو القبائل المجاورة ، فكانت محطته الأولى " جرّاح " في وادي الزهور أين قضى على قائدها " سي محمد الغوشي " ، وفي جراح توافد عليه خلق كثير من قسنطينة وعنابة وسطيف وبجاية ، ومن هنا أظهر ابن الأحرش نيّته في الهجوم على مدينة قسنطينة ، فكان يقول

---

([433]) رشيد مريخي ، المرجع السابق ، ص : 26 .

([434]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 312 .

([435]) رشيد مريخي ، المرجع السابق ، ص : 26 .

لأتباعه : " لنسر إلى قسنطينة وحين ندخلها ننهبها فتصبح ثرواتهم ثروتنا وبيوتهم بيوتنا " [436].

أما عن تعداد جموعه وأتباعه فقد اختلف المؤرخون في تحديدهم ، فقدرها حمدان خوجة بـــــ 60 ألفا ، وحددها العنتري في كتابه مجاعات قسنطينة بـــــ 10 آلاف ، وهنالك من أوصلها إلى سقف 100 ألف ومنهم أحمد بن مبارك الميلي في كتابه تاريخ قسنطينة .

لما تنامت شوكة ابن الأحرش في الشرق الجزائري لم يجد الباي " مصطفى عثمان " بدّا إلا أن يطلع الداي مصطفى على الأمر ويوضح له تحركات ابن الاحرش الخطيرة ، فأرسل هذا الأخير أربع سفن حربية إلى مرسى الزيتون قرب مصب وادي الزهور للقبض على المتمرد وإحلال النظام ، لكن هذه الحملة باءت بالفشل حيث عادت هذه السفن إلى عاصمة الإيالة دون أن تتمكن من إلقاء القبض عليه ، ولم تزد هذه العملية إلا في اشتداد حركة التمرد ابن الأحرش الذي استولى على القل وأعلن عن نيته في أخذ مدينة عنابة ، فما كان من أمر الحامية المرابطة بها إلا أن انسحبت بمجرد علمها أن ابن الأحرش ينوي مهاجمتها [437].

سار ابن الأحرش إلى قسنطينة عاصمة البايلك ، وكان " عثمان باي " غائبا عنها اذ كان وقتئذ في المحلة بناحية سطيف يستخلص ضرائبها ، فلما وصل إلى قسنطينة رفقة أعوانه تكلموا مع سكانها قائلين لهم : " يأهل البلد هذا الشريف قدم إليكم ونحن قدمنا معه في جنود كبيرة وجيوش عريضة لا تقدروا على مقاتلتها ، فإن سلمتم لنا البلاد فلا حرج عليكم وإن امتنعتم نقاتلكم وندخل بلادكم بالقوة " ، فأجابهم سكان المدينة قائلين : " نحن لا نسلم بلادنا وسنقاتل حتى نهزمكم أو نموت بأجماعنا " ، فعندئذ انضرمت نار

---

([436]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 195 .

([437]) رشيد مريخي ، المرجع السابق ، ص : 27

الحرب وكان الشيخ ابن فكون هو الواقف على البلاد في غيبة الباي وتم النصر للشيخ ابن فكون [438] ،أما ابن الأحرش فقد أصيب بجرح بليغ فحمله أصحابه فورا به نحو جبال ميلة ، وتطاير الخبر إلى عثمان باي فقفل مسرعا إلى قسنطينة [439].

بعد الحادثة أخبر الباي عثمان الباشا بشأن قدوم ابن الأحرش إلى قسنطينة وبما حل به وبجيوشه من القتل والهزيمة ، فرد الباشا قائلا : " أنت باي ذلك الأوطان، وهذا الشريف ظهر في حكم عمالتك ،فواجب عليك أن تمشي إليه بنفسك وتأخذ منه ثأرك وأقصده أينما كان فأقتله، أو أطرده من ذلك الأوطان. " [440] ولما وصل الجواب لعثمان باي جمع على عجلة كل الفرق والفرسان ، وخرج لملاحقة ابن الأحرش وكان ذلك شهر أوت 1804 م [441] .

تقدم عثمان باي نحو ابن الأحرش ، وكان ذلك الوقت مستقرا في واد الزهور كونه موطنا حصينا لكثرة أشجاره وتشعب طرقاته ، ولما وصل قريبا منه أبقى المحلة والأثقال وسار بالجند والمدافع نحو المتمرد ، ولما وصل انفصل عن محلته ووقعت عليه الفتن من أمامه ومن خلفه وقطع عليه ابن الأحرش الطريق المؤدية إلى المحلة ، ولما أراد الباي عثمان الرجوع لم يستطع فهجم عليه ابن الأحرش ومنعه ، فقتله واستولى على جميع مافي الخزائن من سلاح وأموال [442] . بعد هذه الهزيمة أمر الداي قبطانه الرايس " حميدوا " بالسير إلى جيجل على متن 4 مراكب حربية فلما وصل قبالة المدينة طالب أهلها بأن يسلموه ابن

---

([438]) محمد صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص : 89

([439]) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص : 28 .

([440]) محمد صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص : 90 .

([441]) رشيد مريخي ، المرجع السابق ، ص : 27 .

([442]) محمد صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص : 90 .

الأحرش ، ولكن السكان رفضوا ذلك وردّوا عليه بإطلاق النار ، فرد حميدوا بقصف المدينة وأحرق سفنها ولكنه لم يظفر بعدّوه [443] .

قرر الداي مصطفى أن يخرج لملاقاة ابن الأحرش بنفسه ، فأشار عليه بعض وزراءه ببطلان ذلك . [444] فأرسل بدل ذلك قائد الجيش " الحاج علي آغا " لتهدئة الأوضاع في شرق البلاد وكلفه بملاحقة ابن الأحرش والقضاء عليه فجهز هذا الأخير حملة خرج على إثرها في طلب هذا الثائر، فألحق به الهزيمة بنواحي ميلة ثم بجهات بجاية ثم بالرابطة بالقرب من سطيف بعد أن لقي العداء من أتباع الطريقة الرحمانية ، وتم القضاء على ثورته بنواحي بجاية عام 1806 م [445].

قتل ابن الأحرش على يد " ابن الشريف الدرقاوي " لما استنجد به بعد هزيمته على يد الأتراك ، وبالرغم من الصدى الكبير الذي لقيته ثورة ابن الأحرش و التفاف الناس حولها ، إلا أنه فشل في تحقيق أهدافه الرامية إلى الانقلاب ضد حكومة الأتراك ، بالرغم من كافة الأساليب التي استعملها لكسب القبائل في الشرق الجزائري [446] هذا وقد خلفت هذه الثورة آثارا سلبية انعكست على أوضاع البلاد ، حيث وصفها الشريف الزهار بنار الفتنة التي أكلت الأخضر واليابس [447] ،وكانت أخطر النتائج المترتبة عن هذه الثورة هي انتشار الفوضى والاضطراب في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وانعدم الأمن والاستقرار .

---

([443]) محمد العربي الزبيري ، المرجع السابق ، ص : 65 .

([444]) محمد صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص: 91 .

([445]) ابن سحنون أحمد بن علي الراشدي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تح : المهدي بو عبدلي ، الجزائر ، 1983 م ، ص : 43

([446]) التر عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 587 . ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص : 320 .

([447]) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص : 87 .

## ب.ثورة درقاوة [448] في الغرب الجزائري :

شهد بايلك الغرب في مطلع القرن التاسع عشر ظروفا صعبة نجمت عن السياسة الغير الوجيهة للحكام ، أين تنامت مشاعر الحقد والضغينة في صدور الأهالي وأصحاب الطرق الصوفية من جرّاء السياسة الضريبية المجحفة التي كان يفرضها هؤلاء ، وقد وجدوا في ثورة درقاوة مبتغاهم في النيل من حكومة الأتراك فإتبعوها وانظموا إليها بل ودعموها أيضا .

تعود هذه الطريقة إلى الشيخ " محمد العربي الدرقاوي " ، وكان هذا الشيخ من متصوفة المغرب الأقصى ، ولكن أتباعه كانوا منتشرين في الجزائر وخصوصا بغربها وكان مقدم طريقته في وهران ونواحيها هو الشيخ " عبد القادر بن الشريف " [449] فمن هو عبد القادر بن الشريف؟

انه معروف لدى العامة بإبن الدرقاوي ويعود أصله إلى قبيلة كسانة المقيمة على ضفاف واد العبد [450]، ولد بقرية أولا بليل بفرندة، أين تعلم بها مبادئ اللغة ،ثم التحق بزاوية القيطنة بمعسكر التابعة للطريقة القادرية، [451] وفي هذا يقول الآغا بن عودة المزاري : " وكان في أول حاله عالما متفننا في سائر العلوم ومحققها لها ورعا زاهدا متعبدا

---

([448]) **درقاوة** : مستمدة من الدرقة وهي الترس الذي يحمله المقاتل في ذراعه اليسرى وهو يقاتل بالسيف أو الحربة ، وكان الذي اشتهر بأبي درقة هو الجد الثامن عشر لمؤسس الطريقة وهو محمد دفين وادي قبال بقبيلة بني مسكين قرب وادي أن الربيع . **أنظر** : عبد الكريم الفيلالي ، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير ، ج5 ، ط1 ، شركة فاس للطباعة ، القاهرة ، 2006 م ، ص : 08

([449]) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ( 1500 – 1830 ) ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1998 م ، ص : 220

([450]) قايد عمر ، محاضرات في تاريخ الجزائر المعاصر ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، 2014 / 2015 م ، ص : 03

([451]) أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 221 .

راكعا ساجدا صائما قائما ، أستاذ يقرء القرآن ويزيل بتعلمه لكل جاهل جهله والناس يشرون إليه بالصلاح والنجاح "[452].

وقد تابع دراسته بعد ذلك بالمغرب الأقصى وتحديدا بفاس وببني زروال ، حيث دخل في طريقة الشيخ محمد العربي الدرقاوي ، ثم عاد إلى مسقط رأسه ومنه انطلق يبث تعاليم الطريقة الدرقاوية التي قدمه عليها شيخه ليتولاها بالجزائر ، وقيل أنه إدعى المهدوية عندئذ أي أنه المهدي المنتظر [453] ومن جملة ما قاله عبد القادر الشريف لشيخه الدرقاوي : " أن في وطننا قوما يقال لهم الترك لا شيئ لهم من دعوتهم للإسلام ويظلمون الناس ولا يعبئون بالعلماء والأولياء ، ونسأل منك أن يكون هلاكهم على يدي ليستريح منهم العباد وتطهر منهم البلاد " [454].

ولما عاد ابن الشريف إلى بلاده ، بدأ يخطط لثورته المناوئة للحكم التركي وابتدع أمورا ينكرها العقل و الشرع ، واقتدى به في ذلك الجل من الناس وفي ذلك يقول محمد بن عبد القادر : " أنه جاء إلى حضرة سيدي الجدّ وتكلم في حضرته بما يوجب تأديته شرعا ، فأدبه سيدي الجدّ بالسياط واستتابه " [455] غير أن هذا لم يصد الناس عن دعوته ، فذاع صيته وانتشر خبره وسيفت له الهاديا من كل فج ، ويقول الزهار : " ظهر

---

([452]) الآغا بن عودة المزاري ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19 ، تح : يحي بوعزيز ، ج 1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1990 م ، ص : 299 .

([453]) إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ( عرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ماقبل الإسلام إلى العصر الحاضر من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية ) ج3 ، ط2 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1994 م ، ص : 150 .

([454]) جمال قنان ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث ، المرجع السابق ، ص : 314 .

([455]) محمد بن عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق ، ص ص : 76 ، 77 .

الشريف وكاتب العرب في أمر القيام على الترك وادعى أنه صاحب الوقت واتبعه العرب وسارت إليه القبائل وظهرت له الكرامات " [456] .

ويبدوا أن باي وهران لم يكن غافلا عن هذه التحركات ، فقد أحس أن حركة ابن الشريف الدرقاوي لم تكن دينية محضة ، بل كان لها هدف سياسي يدعمه المغرب الأقصى وأن ابن الشريف ليس له سوى أداة لتنفيذ مشروع سياسي ضد الحكومة العثمانية بالجزائر، [457] وبينما الناس في غفلة إذ بإبن الشريف أصبح قائما بأقوالهم معلنا بجهاده الترك ومحللا لدمائهم وأموالهم فاجتمعت عليه الغوغاء من كل جانب ، وهبط مع وادي مينا قاصدا المخزن وأذن لأتباعه في النهب والسلب [458] ،مستغلا فرصة هزيمة إحدى الحاميات التركية أمام قبائل الانجاد المتمردة ضد السلطة العثمانية [459] ،ولما سمع الباي بخبر الدرقاوي جمع له الجيوش وخرج للقائه ،فبلغه أن ابن الشريف بالقرب من تاقدمت ، وهو في طريقه إليه فالتقى الجيشان بفرطاسة واشتد القتال بينهما على الماء وصارت نار الحرب بينهما سجالا إلى أن انهزم الباي مصطفى العجمي وفر راجعا إلى وهران ، وبقيت محلة الباي بما فيها من ممتلكات في يد الدرقاوي [460].

تقدم الدرقاوي باتجاه وهران لأجل محاصرتها ، فسار بجموعه حتى وصلها وكانت قد أغلقت أبوابها [461] فتطاير الخبر إلى الجزائر، فجهز الباشا مستشاره " علي آغا " وبعثه إلى ابن الشريف لكن البربر في نواحي وادي الشلف صدوه عن المرور في بلادهم ومنعوه ورود الماء حتى كاد يهلك مع جيوشه عطشا ، فلاذ بشيخ العطاف وأستجاره

---

([456]) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص : 87 .

([457]) أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص: 221 .

([458]) الآغا بن عودة المزاري ، المصدر السابق ، ص : 304 .

([459]) سفيان صغيري ، المرجع السابق ، ص : 163 .

([460]) الآغا بن عودة المزاري ، المصدر السابق ، ص: 304 .

([461]) عبد الكريم الفيلالي ، المرجع السابق ، ص : 15 .

فمشى له هذا الأخير في القبائل على أن يكفوا عنه فأبوا عليه إلا بمال يؤدى إليهم ، فأدى لهم ما طلبوه وانقلب راجعا إلى الجزائر واستمر ابن الشريف في مكانه محاصرا وهران وضيق على أهلها حتى نفذت منهم أقواتهم [462] ،وقد دام الحصار مدة 8 أشهر [463] ،انقطعت خلاله كل الإمدادات والطرق نحو الداخل ماعدا الطريق البحري الذي كان منفذ الوحيد للولوج إلى وهران ، وبفعل هذا الحصار المحكم الذي ضربه ابن الشريف على المدينة وقع الغلاء في المعيشة وبخاصة مادة الحبوب [464] وكذا فعل أيضا مع أهل تلمسان الذي انقلب عليهم الحضر والحوزية [465] .

حاول الشيخ محمد العربي الدرقاوي شيخ الدرقاوية بالمغرب الأقصى أن يخضع مريده ابن الشريف لقواعد وسلوك الطريقة ، فبعث إليه بعدّة رسائل ومبعوثين لإقناعه بفكرة العدول عن الثورة ، إلا أن ابن الشريف رفض ذلك فإنتقل إليه الشيخ بنفسه لكن دون جدوى ، عندئذ أخذ هذا الأخير حفنة من التراب ورماها للريح قائلا : " هكذا سيكون مصير ابن الشريف " وعاد إلى المغرب الأقصى ساحبا حجابه من ابن الشريف [466].

لما رأى أهل الجزائر عجز الباي مصطفى العجمي عند الدفاع عزلوه ، وعينوا بدله الباي محمد المقلش الذي زودوه بقوات كبيرة ، فركب هذا الأخير الأسطول من شرشال إلى وهران وبوصوله ألقى القبض على حاكمها مصطفى باي وأرسله إلى الجزائر ،وكتب إلى الآفاق بقدومه وتلطف في جمع الكلمة ، فأجابه أكثر القبائل وركنوا إلى طاعته

---

([462]) محمد بن عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 76 .

([463]) قايد عمر ، المرجع السابق ، ص : 3 .

([464]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 204 .

([465]) عبد الكريم الفيلالي ، المرجع السابق ، ص : 15 .

([466]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 204 .

وأمرهم بالمعسكر فأجابوه وفرق فيهم الأموال [467] ،حينئذ أدرك الدرقاويين استحالة فتح وهران فأتفق رأيهم على الارتحال عنها والتوجه لغيرها من مدن الشرق ، ولما وصل الدرقاوي لمزارع سيق قرب سيدي داود قامت عليه الغرابة متجمعة يرمون منه أخذ الثأثر بما فعله بهم من قتل وسبي ، فتعرضوا له ونالوا منه جزاء مافعل بهم ، ثم لما وصل لسيدي مبارك قرب وادي الهبرة لقيته فرسان البرجية مع من انظم إليهم من بني شقران وصيرورة فهزموه شر هزيمة [468].

توالت هزائم ابن الشريف على يد الباي محمد المقلش الذي حقق انتصارات كثيرة ، كما استطاع تهدئة الاضطرابات بمدينة تلمسان أين أقام بها قرابة الشهر ثم عاد بعدها إلى عاصمته وهران [469] ،وبينما هو كذلك حتى بلغه خبر قدوم الدرقاوي إلى غريس بأرض عين السدرة ومعه جموع درقاوة وجميع مالها ونسائها ، وكان يومها ابن الأحرش قدقدم من الشرق إليهم ، فحصل لهم به الفرح والسرور ، فخرج الباي لملاقاتهم وقد دارت بين الجمعان معركة حامية الوطيس خرج منها الباي منتصرا ، وكذلك فعل في عدة معارك أخرى في جديوية والتوتة وغيرها [470].

لم تشفع الأعمال البطولية لهذا الباي لدى حكومة الجزائر التي أمرت بعزله وقتله بعد أن أذيق ألوانا من العذاب [471] ،ليحل محله الباي السابق مصطفى العجمي، الذي عجز عن مقاومة درقاوة ، فكان ذلك في صالح هؤلاء بسبب الدعاية التي انتشرت ضد المقتول " مصطفى المقلش " وأن الله انتقم منه لدرقاوة ، فكان مصير مصطفى في هذا الجوّ الفشل

---

([467]) محمد بن عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 76 .

([468]) الآغا بن عودة المزاري ، المصدر السابق ، ص : 323 .

([469]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص ص : 205 ، 206 .

([470]) الآغا بن عودة المزاري ، المصدر السابق ، ص: 323 .

([471]) المصدر نفسه ، ص : 325 .

مما عرضه للعزل ليحل محله الباي " أبوكابوس " سنة ( 1223 ه / 1803 م ) وكان هذا الأخير مثل المقلش ، حيث طار ابن الشريف الذي كان قد توجه إلى عين ماضي أين تحالف مع صهره أبو ترفاس لكنه تعرض لهزيمته شنعاء ألحقها به أبوكابوس [(472)].

لما ضعف أمر درقاوة وتراجع عنه أتباعه ، انتقل إلى قبيلة بني يزناسن على الحدود المغربية وتوارى عن مسرح الأحداث وبقي مقيما هنالك حتى توفي ، وكان من نتائج هذه الثورة أنها خلفت العديد من الخسائر المادية والبشرية وراح ضحيتها عدد من رجال العلم والدين ، كما انتشرت الفوضى والاضطرابات وأعمال السلب والنهب الذي مارسه رجال الدرقاوي الثائر .

وفي الأخير فإن الثورة التي قادها ابن الأحرش في الشرق ، والدرقاوي في الغرب وإن كانت دينية فهدفها كان سياسيا واضحا ، كما كانت في الحقيقة منفذا للسكان للتعبير عن سخطهم إزاء تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، كما أظهرت هذه الثورات مدى فعالية الأطراف الخارجية والدور الذي تقوم به من أجل زعزعة النظام في البلد وتجلى ذلك من خلال دعمها لهذه الثورات .

## المبحث الثاني : المؤتمرات الاوربية والقضية الجزائرية

أبرمت الجزائر عشرات المعاهدات مع دول العالم ، كما بلغ أسطولها البحري قوة عظيمة بحيث استطاع خلال القرن الثامن عشر إحداث نظام للملاحة في المتوسط يضمن أمن الدولة الجزائرية خاصة، والدولة العثمانية عامة وبصورة أعم بالنسبة للتجارة الدولية في هذا البحر، وهو ما جعل الدول الأوربية تعمل على إنهاء هذا النظام تحت غطاء إنهاء ما كان يسمى بـــ " **القرصنة** " التي كانت تمارسها جموع المغامرين الأوربيين بموافقة دولهم ومؤازرتها .

---

([472]) عبد الكريم الفيلالي ، المرجع السابق ، ص: 16 .

**1. مؤتمر فيينا :**

وقعت تسويات جزئية بالفعل خلال معاهدة باريس [473] بين فرنسا والتحالف الساداسي ،وخلال معاهدة كيل ،التي شملت القضايا التي أثيرت حول الدول الاسكندنافية ،قررت معاهدة باريس وجوب انعقاد مؤتمر عام 1815 م في فيينا ،وأنه سيتم توجيه الدعوات إلى جميع القوى الفاعلة في الحرب الحالية، قرر الافتتاح في يوليو / تموز 1814 م [474].

شكلت القوى الأربع العظمى سابقاً قلب التحالف السادس، ومع اقتراب هزيمة نابليون حددوا مواقفهم المشتركة والمذكورة في معاهدة شومو (آذار / مارس 1814 ) ، وتفاوضوا على معاهدة باريس مع آل بوربون ، و في هذه الظروف التي أصبحت فيها الدبلوماسية الأوروبية مهيأة للقيام بعمل مشترك ضد الجزائر ، انطلاقا من أفكار سدناي سميث [475].

---

([473]) **معاهدة باريس :** هي معاهدة الصلح الاولى عقدت في باريس 20 ماي 1814م بين فرنسا و النمسا وانجلترا و روسيا و بروسيا اثر تنازل الامبراطور و ذهابه و تمكنوا من رسم حدود فرنسا ، و بعقد هذه المعاهدة انتهت الحروب التي بدات في عهد الثورة الفرنسية.**انظر** :عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ اروبا الحديث ومعاصر1815-1919 ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ،2000 ، ص : 30

([474]) عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص : 31 ، 32 .

([475]) **سدناي سميث** : ولد سدناي سميث بلندن في 21 جوان 1764م ترعرع في وسط عائلة عسكرية اذ كان والده ضابطا في الحرس الملكي البريطاني درس في مدرسة تونبرج إلى غاية 1772 ، ثم انخرط في صفوف البحرية البريطانية عام 1777 وعمره لا يتجاوز 13سنة وتوفي بباريس في 26 ماي 1840م. **انظر** : زكية زهرة ، **الاميرال سدناي سميث و التحالف الاروبي المسيحي ضد الجزائر عام 1814م** ، مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة الجزائر، 2، العدد 15 – 16 ،2012 / 2013 م ، ص : 232 .

اجتمعت الدول الأوروبية لإيجاد حـــل للمشـــاكل المطروحة حول الحدود التي كانت تمثل عائقا للوفاق الأوروبي ،وإعـــادة بناء الخريطة السياسية[476]،واحلال الســـلام في القـــارة الأوروبية [477] حضر المؤتمر الحلفاء الأربعة وهم انكلترا وبروسيا وروسيا والنمسا ،و التي عرفت بلجنة الاربعة .

نجح تاليران في إقناع الدول بان توافق على انضمام فرنسا للمؤتمر [478] ،وكانت هذه اللجنة قد استأثرت بانجاز القرارات في المسائل المهمة و عندما انتهى المؤتمر من اعماله انضمت له السويد ، اسبانيا ، و البرتغال في التوقيع على قرار المؤتمر النهائي في 9 يونيو 1815 م [479] ، حيث مثل إنجلترا الدوق كاستليريث Lord Castlereath ، ثم عوض بالدوق ولينكتون Le duc de Wellington واللورد كاثير Lord Catheart واللـــورد كلوكـــارتي Lord Claucarty واللـــورد ستيوارت Lord Stewarts ومثل بروسيا الأمير هردنبرغ Le Prince Herdenberg [480] والبارون دي هومبولدت Le Baron de Humboldt [481] ومثـــل روســـيا القيصـــر الاســـكندر الأول Le Tsar Alexandre I والكونـــت رسيموفســـكي Le Comte Rasimovski والكونت دي ستاكلبرغ Le Comte de Stackelberg و

---

([476]) محمد علي القوزي ، العلاقات الدولية في التاريخ الحديث و المعاصر ، دار النهضة ، ط1 ، 2002 ، بيروت ، ص : 93 .

([477]) عبد العظيم رمضان ، حضارة أوروبا و العالم الحديث من ظهور البرجوازية الاروبية إلى الحرب الباردة ،ج2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص : 15 - 17

([478]) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، أروبا من عصر النهضة إلى الحرب الباردة ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، 2000 ، ص : 163، 164

([479]) عبد العظيم رمضان ، المرجع السابق ، ص : 17

([480]) زكية زهرة ، المرجع السابق ، ص : 226.

([481]) هو جول اوغست فرمو ماري دي بولينياك سياسي فرنسي تقلد عدة مناصب منها رئيس وزراء وسفير بلندن ووزير خارجية فرنسا عام 1828 بولينيلك من أكبر المتحمسين لإحتلال الجزائر. **انظر:** زكية زهرة ، المرجع السابق ، ص : 234.

والكونـــت دي نسلرود Le Comte de Nesselrode ، أما رابع الحلفاء أي بروسيا فلقد مثلها الأمـــير دي مترنيخ Le Prince de Metternich [482] والبارون واسنبرغ Le Baron Wassenberg .

اضافة الى هذه الدول الأربع التي انتصرت على نابليون ، حضرت المؤتمر فرنسا التي قبلت بالوضع الـــراهن الجديد وقد مثلـــها تـــاليران Talleyrand [483] ،والـــدوق دالـــبرغLe Duc d'Alberg والكونـــت لابريسناديار Bresnadiere ولاتور دي بان La Tour du Pinو الكونـــت ألكسي دي نؤاي .Le de Noailles Le Comte Alexis ، وسمح للدولة العثمانية حضور المؤتمر ومثلها الباشا مافروجني .Pacha Mavrojeni.

كما حرص ممثلو الدول الأوروبية الرئيسية على حضور بعض الدول الأوروبية التي لم تكن لها مشاركة فعالة في الأحداث التي عرفتها الساحة الأوروبية، مثل مملكة نـــابولي Naples والســـويد Suède واســـبانيا L'Espagne والفاتكـــان Le Vatican ، وحتى يكتمل الجمع لم يمانع منظمو المؤتمر من استقبال وفود مستقلة ليس لها طابع رسمي مثل الأقليات الدينية وبعض دور النشر [484] . انعقد المؤتمر فيينا بين فترتي سبتمبر 1814م ويونيو 1815في مدينة فيينا عاصمة النمسا تحت إشراف ورئاسة رجل الدولة النمساوي كليمنس فينتزل وقد شارك في هذا المؤتمر حوالي 100دولة وعائلة حاكمة [485] .

كان للمؤتمر عدّة أهداف أوّلها :

---

( [482] ) وزير النمسا للشؤون الخارجية

( [483] ) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، المرجع السابق ، ص :161 ، 162

( [484] ) زكية زهرة ، المرجع السابق ، ص : 227 .

( [485] ) عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص : 32

- تسوية العديد من القضايا الأوروبية والصراعات الداخلية الحدودية على وجه الخصوص الناشئة عن حروب الثورة الفرنسية والحروب النابولونية [486].
- تفكيك الأمبراطورية الرومانية المقدّسة .
- تحديد مناطق النفوذ البريطاني الفرنسي الروسي والنمساوي .
- تحريم تجارة الرقيق .
- حرية الملاحة البحرية [487]

ولعل ما يهمّ الجزائر حينئذ من هذه الأهداف والبنود المناقشة هي البنود الثلاثة الأخيرة ،فقد حاولت كلّ من فرنسا وإسبانيا ادّعاء الحقّ الحصري في النفوذ التجاري والاقتصادي بدول شمال إفريقيا ،مستندة بقربها الجغرافي وقدم وعظم مصالحها هناك ، وعارضت بريطانيا هذا الطرح بناء على أنّها في تلك الفترة هي التي كانت تملك مصالح كثيرة ومتنوعة في شمال إفريقيا وفي الجزائر على وجه الخصوص .

كان قصد الدول الأوروبية من تحريم الرقّ وحرية الملاحة البحرية ، هو محاولة ضرب الأسطول الجزائري والقضاء عليه ، ولكن الصراع الأوروبي الداخلي وخاصة بين فرنسا وبريطانيا حال دون ذلك [488]، ولعلّ من أهمّ أسباب فشل هذا التحالف على هذا المستوى هو السياسة الجزائرية العثمانية ،التي كانت منتهجة وغاية ما وصلوا إليه في هذا المجال هو **أوّلا** : تحريم الرقّ الأسود دون غيره **ثانيا :** حرية الملاحة في العديد من الأنهار الأوروبية دون الإشارة من قريب أو بعيد لمطلب الرقّ وخاصة أسرى الأسطول الجزائري ولا لحرية الملاحة في المتوسط [489] ، وممّا قاله الكاتب عن مؤتمر فيينا ممّا يتعلق

---

([486]) جفري براون ، تاريخ أروبا الحديث ، تر: علي المزروقي ، ، الاهلية للنشر و التوزيع ، عمان ، ص : 411

([487]) عبد العظيم رمضان ، المرجع السابق ، ص ص : 19 - 21

([488])وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 145

([489]) أحمد عزت عبد الكريم ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص : 326

بالجزائر ما يلي : " وفي نهاية 1814 م عقد مؤتمر في فيينا ضم جميع الدول المتحضرة في القارة الأوربية وهناك أرسيت قواعد واسعة ومتينة للعدالة والانصاف والاستقلال ورخاء جميع الأمم [490] ،فقد كان من الطبيعي أن ينتظر الناس من هذا المؤتمر أن يبحث إدّعاءات هؤلاء البربر المناقضة للسلوك الاجتماعي والذين كانوا حينئذ يحتجزون أكثر من ألفين من الأوروبيين في قيد العبودية هنا ، ويتّخذ إجراء بتحريم القرصنة التي هي لطخة مشينة للحضارة وإلغائها كلّيا [491].

كانت بريطانيا قد ألقت بكلّ ثقل نفوذها في هذا المؤتمر ،وأيّدت فكرة إلغاء الرّق الأسود ، ولكن فرنسا وأسبانيا والبرتغال كانت تعارض القرار بهذا الشأن بدافع من مصالحها الخاصة ، أما بريطانيا لم تعارض سوى معارضة مائعة فكرة إلغاء استقلال كلّ من إيطاليا وبولندا والبندقية وجنوة ، بل وحتى تقسيم حليفتها دولة ساكسون القديمة لارضاء شهوة حلفائها وشرّهم ، كما كانت بريطانيا تصغي بأذن صمّاء لكل اقتراح قدم أمام المؤتمر يستهدف تحريم قرصنة بلاد البربر ، ولما سئل رئيس وزراء بريطانيا في البرلمان بعد ذلك بشأن هذه القضية ادّعى أنّ معاهدات بريطانيا مع بلدان المغرب هي التي تبرر هذا الموقف ، ولكن المؤرخ الذي عالج مؤتمر فيينا لم يتردد في أن يصف موقف الوزير البريطاني فيه بأنه قد أوحت به الأنانية ويقوم على ضغط المصالح [492].

**مسار المؤتمر :**

---

([490]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 145 ، 146

([491]) عبد الكريم الفيلالي ، التاريخ السياسي المغرب العربي الكبير ،ج4 ، ط: 1، شركة الناس للطباعة،القاهرة ،2006 ، ص : 387

([492]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص ص : 145 ، 146 .

في البداية اجتمع ممثلوا القوى الأربع المنتصرة آملين في استبعاد الفرنسيين من المشاركة في مفاوضات جدية . استطاع تاليران بمهارته السياسية إدراج نفسه في المجالس الداخلية في الأسابيع الأولى من المفاوضات [493] ،حيث تحالف مع ثمانية من القوى الأوروبية الأصغر ( بما في ذلك إسبانيا والسويد والبرتغال) في لجنة للسيطرة على المفاوضات ،حالما نجح تاليران في إقحام اللجنة في المفاوضات الداخلية انسحب منها متخلياً عن حلفائه،و أدى تردد الحلفاء الكبير حول كيفية إدارة شؤون المؤتمر دون إثارة احتجاج موحد من القوى الأقل شأناً إلى الدعوة لعقد مؤتمر تمهيدي حول البروتوكول . دعي إلى هذا المؤتمر كل من تاليران وماركيز لابرادور ممثل إسبانيا، في 30 سبتمبر/ أيلول 1814.

**تقييم المؤتمر :** حرصت الدول المجتمعة في المؤتمر على تحقيق عدة أهداف أهمها :

- التوازن الدولي بحيث لاتصل أي دولة إلى درجة من القوة تسمح لها بتهديد بلد اخرِ،كما تسترد كل دولة املاكها السابقة .
- إعادة الحقوق الشرعية لأصحابها [494]

من الواضح أن المؤتمر كان يخدم مصالح الدول الكبرى كما لم يهتم بمطالب الشعوب القومية ، كما كانت ثورة بلجيكا اول صخرة سقطت من مؤتمر فيينا و الذي كان هدفه حماية أوروبا من الصراعات [495] كما أصدر قرار نهائي بوضع حد لمسالة

---

([493]) عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص : 33 .

([494]) محمد على القوزى ، العلاقات الدولية فى التاريخ الحديث و المعاصر ، دار النهضة الحديثة، ط1 ، بيروت ، 2002 ، ص : 93

([495]) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، المرجع السابق ، ص : 170 .

القرصنة و استرقاق المسيحين [496] انعقد مؤتمر فينا بطلب من انجلترا ، و تجسد التحالف الأوروبيين ضد الجزائر و ذلك بوضع حد نهائي لهيمنة الأسطول البحري الجزائري في البحر الأبيض المتوسط ولاسترقاق المسيحين [497] و كلفت بريطانيا بتطبيق مقررات المؤتمر حيث طالبت بتعويض مسبق عن مجهوداتها و الذي يتمثل في وضع الجزر الايونية تحت حمايتها [498].

## 2. مؤتمر اكس لاشابيل :

عندما فشلت الدول الأوروبية في إخضاع الجزائر، ووقف نشاط بحريتها عادت لطرح المسألة في مؤتمر اكس لاشابيل Aix la chapelle فعقدت الدول الأوروبية في 30 سبتمبر 1818 مؤتمرا جديدا [499] في منطقة في مدينة آخن أكس لاشبيل بألمانيا ، شاركت فيه كبرى الدول الأوروبية ، وهي بريطانيا فرنسا روسيا النمسا وبروسيا ، حيث مثل فرنسا في المؤتمر وزيرها الاول ريشيلو و زوده الملك لويس الثامن عشر بتعليمات توضح أسس السياسة الفرنسية في ذلك الوقت و خلاصتها ، أن فرنسا تنظر للمسالة القرصنة كجزء من السياسة الدولية العامة [500] و الذي قررت من خلاله القضاء النهائي للقرصنة و حفظ السلام المنبثق عن مؤتمر فيينا1815 م ، و تمسكت جل الدول تقريبا بارائها التي كانت في مؤتمر فيينا ، ولكنّ قراراته حفّت بسرّية كبيرة لتعلقها بمسألة الاستعمار وتقسيم مناطق النفوذ والعمل من أجل القضاء على الأسطول الجزائري [501].

---

([496]) هلايلي حنفي ، العلاقات الجزائرية الاروبية و نهاية الايالة ( 1815- 1830 ) ، ط1 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2007، ص : 13 .

([497]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ،ص : 262

([498]) يحي بوعزيز ، المرجع السابق ،ص : 120

([499]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص : 267

([500]) أحمد عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ،ص : 336

([501]) وليام شالر ، المصدر السابق، ص177 .

استقر الرأي على فكرة تكوين قوة موحدة ، تم تفويض فرنسا و وبريطانيا لدراسة المسألة مع الجزائريين بطريقة ودية في محاولة جادة لإقناعهم بضرورة التخلي عن القرصنة ، ووقف استرقاق الأوروبيين وإرجاعهم إلى أوطانهم ، كما سعت بقية الدول الأوروبية إلى محاولة إقناع السلطان العثماني حتى يتخلى عن دعمه للإيالة الجزائرية ، وقد اختلفت هذه الدول في طريقه كتابة رسائلها للسلطان العثماني ، وهذا ما أضعف من قيمة هذه الرسائل التي لم يول لها السلطان أية أهمية ، هذه الرسائل التي اعتبرت البحرية الجزائرية شبحا يهدد المصالح التجارية الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط .

وقد رد السلطان العثماني على هذه الرسائل برفضه التام لما جاء في قرارات مؤتمر إكس لاشابيل ، واعتبر التحالف الأوروبي على أية إيالة من الإيالات المغربية تدخلا مباشرا في شؤون الدولة العثمانية وسيادتها ، وهذا يتعارض تماما مع القانون الدولي الذي يضبط العلاقات الخارجية بين الدول ،علما بان الدولة العثمانية كانت تعلم بأن الإيالة كانت تربطها بالدول الأوروبية معاهدات سلام ، ولذلك قرر السلطان العثماني إرسال سفينة لدعم الإيالة عسكريا تضم اثنان وعشرون مدفعا وعدد كبير من الجنود في نوفمبر 1819 [502] ،كما تم تكوين أسطولين الاول انجليزي بقيادة توماس فريمانتل ، و الثاني فرنسي بقيادة جوريان ديلاغرافنير [503] وقد توجهت هذه الاساطيل إلى بلدان المغرب العربي ، حيث حذرت كل من تونس و الجزائر و طرابلس من عدم الماس بالتجارة الاوروبية و إلا سيكون الرد سريعا ، و كلفت كل من فرنسا و انجلترا بتبليغ قرارات المؤتمر. [504]

---

([502]) أحمد عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص : 338 .

([503]) وليام شالر، المصدر السابق ، ص : 313.

([504]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ،ص : 267 .

وفي هذا الشأن يقول الكاتب :" وفي أواخر نفس السنة 1818 م اجتمع ملوك الدول الأوربية الكبيرة في مدينة إيكس لاشابيل في مؤتمر جديد من أجل تجديد المصالح العامة للعالم المتحضر على أساس متين،فيما قيل

على أنّ نتائج المداولات التي جرت في هذا المؤتمر لم تنشر ويبدو أنّ مصالح الجنس البشري قد بقيت بدون تحديد ، كما كانت من قبل . ومع ذلك ، فإنّ أسطولا بريطانيا فرنسيا قد وصل إلى الجزائر في 5 سبتمبر1819 م، وأعلن قائداهما للداي عن قرارات مؤتمر إكس لاشابيل الذي قد قرّر أنه يجب على دول البربر أن تمتنع عن ممارسة القرصنة في المستقبل و الغاء الاسترقاق [505] .

وبعد بضعة أيام من التفكير والتروي رفض الداي هذا الإنذار محتجا بالحقوق التي تعترف بها للجزائر معاهدات دولية رسمية أقرّها العالم كلّه خلال قرون متوالية [506]، والمسألة هي ما إذا كان مؤتمر ايكس لاشبيل جادا حقيقة في هذه المناسبة أم أنّه وقع ضحية للمغالطة والتضليل بالتقارير التي قدّمها الأطراف التي كلّفت بتنفيذ قراراته التي تتعلق بدول البربر . وقال في موضع آخر : " إنني أحب أن أعتقد أنّ الحزم الذي أبدته الدول الكبيرة في مؤتمر ايكس لاشبيل سيكون من نتائجه تنفيذ قرارات ذلك المؤتمر ضدّ الدول البربرية " [507]. حيث إعتبر المؤتمر أخر المؤتمرات التي نوقشت فيه مسألة القرصنة.

### 3. مؤتمر تروباو :

---

([505]) محمد بوشنافي ، **الداي حسين و سقوط الايالة الجزائرية ( 1818-1830 )**، مجلة العصور ، العدد 6-7 ، ص ص : 103 ، 104

([506]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 177 .

([507]) المصدر نفسه ، ص : 183 .

كان قيصر روسيا قد اقترح على المؤتمرين في اكس لاشبيل إنشاء تحالف أوروبي عام، لكي تخول الدول الأوروبية قمع أي ثورة تحصل وتهدد الأمن والتوازن الأوربي ، خاصة بعد الثورة الاسبانية لأنه كان متخوف من انتشار العدوة في أوروبا ،فطالب بعقد مؤتمر لاستنكار دستور 1812 [508] ،ولكن قوبل برفض وخاصة من انجلترا بحجة رفض بلاده التدخل في الشؤون الداخليه لدول اخرى , وعند اندلاع الثوره وقيام النظام الدستوري عام 1820 م أصاب قيصر روسيا بالخوف ان تتأثر بلاده ،وطالب بعقد مؤتمر يضم ملوك أووربا بتدخل لإلغاء الدستور الاسباني الجديد ولو بالقوة ،وأيضا رفضت انجلترا بنفس الحجة وإفادة أن هذه الثورة لا تشكل خطر على الدول الاخرى، اما النمسا رفضت في البدايه ووافقه فيما بعد وفرنسا رفضت وانضمت الى انجلترا في الرأي وبروسيا وافقت وسرعان ما انضمت فرنسا لهم خوفا من العزله وتم التوقيع على البروتوكول ماعاد انجلترا في عام 19نوفمبر 1820 م. [509]

اقترحت الدول الأوروبية وفي مقدمتها بريطانيا تكوين قوة موحدة والنزول بها في البحر الأبيض المتوسط، وهذا ما تداولته الدول الأوروبية خلال المؤتمر فينا 1815، وكان الاقتراح الإنجليزي يتمثل في إجبار الجزائريين على التخلي عن البحرية، وذلك بمحاصرة الموانئ الجزائرية ومنع خروج سفنها، وإجبار الدولة العثمانية على وقف تجنيد البحارة وإرسالهم إلى الجزائر.[510]

---

([508]) عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص : 54 .

([509]) مدوح نصار واحمد وهبان ، التاريخ الدبلوماسي العلاقات السياسية بين القوى الكبرى ، قسم العلوم السياسية ،جامعة الاسكندرية ، ص : 53 ، 54.

([510]) وليام سبنسر ، المرجع السابق ، ص ص : 189-190.

وقد استاءت السلطنة العثمانية ، خاصة بعدما حمّلتها دول مسؤولية ما يقوم به البحارة الجزائريون من نشاط في البحر الأبيض المتوسط ،كما استاء الباب العالي من تدخل دول أوروبا في شؤون الإيالات المغربية وطرح المسألة الجزائرية ، واعتبر ذلك تدخلا مباشرا في مصالح وممتلكات الدولة العثمانية ، وقد بعث الباب العالي بعد ذلك فرمانا يحذر فيه الجزائريين من خطر التحالف الأوروبي على بلدهم. **(511)**

وابتداء من ( 1823- 1824 ) بينت المصالح المتباينة و المتضاربة للقوى الكبرى الطابع الهش أو الاصطناعي للتقسيم المنجز عام 1815 ،والذي لم يكف الثوار والقوميون في كل أوروبا و كذلك نابليون الثالث عن النضال ضده إلى درجة التمكين لانفجار جديد لأوروبا وإعادة توزيع القوميات في نهاية القرن التاسع عشر.

## المبحث الثالث : الحملات الأوربية على الجزائر مطلع القرن19 م وانعكاساتها

ظلت الولايات المتحدة الأمريكية تدفع ضريبة سنوية للجزائر منذ عام 1795م إلى غاية 1810م حيث توقفت عن دفع تلك الضريبة ، وذلك بسبب إدراكها لضعف الجزائر ، الأمر الذي تسبب في توتر العلاقات بين البلدين ، كما أن اليهود اقترحوا على الداي الاعتداء على السفن الأمريكية للحصول على مبلغ مالي كبير مقابل تجديد معاهدة السلم معها .

وقع خلاف بين البلدين سنة 1812م حول تنفيذ المعاهدة الخاصة بالضريبة،كما اثار الامريكان خلافا اخر يتعلق بالتقويم الهجري و الميلادي و الذي يكلفهم مبالغ اضافية ،و امتد الخلاف مدة سنتين **(512)** ،و عليه أعلن **الداي علي** الحرب على أمريكا ،و التي

---

( [511]) أحمد عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص :338.

( [512]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ،ص : 234 ، 235 .

تدخلت لتأييده كل من اسبانيا و السويد و انجلترا ، بعد أن وضعت الحرب أوزارها بين الولايات المتحدة و انجلترا ، وبمجرد التصديق على معاهدة " غانت " Ghant ، قرر الكونغرس الأمريكي إعلان الحرب على الإيالة الجزائرية [513].

جهز الأسطول حربي عهد بقياده إلى الأميرال " ستيفان ديكاتور" [514] ،وغادر الأسطول الولايات المتحدة في اتجاه البحر الأبيض المتوسط 20 ماي 1815م ، وقبل أن يقلع الأسطول أصدر وزير الخارجية تعليمات إلى القائدين البحريين و السيد شالر بعقد الصلح مع الجزائر، [515]وإطلاق سراح الأسرى الأمريكيين في الجزائر ،وذلك بدون تعهد بدفع أي نوع من الضريبة ولكنها تعهد بتقديم هدايا للداي مرة كل سنتين ، وكانت التعليمات التي يحملها " ديكاتور " تقضي بأن يسعى لدى وصوله إلى جبل طارق لمعرفة المنطقة التي يعمل فيها الأسطول الجزائري ، وفي حالة ما إذا كانت بعض قطعه تعمل في المحيط الأطلسي أن يقوم بأسر تلك القطع أو تدميرها ، كما كلف " ديكاتور " بأن يدخل في المفاوضات مع الداي مباشرة بعد وصوله إلى الجزائر كما يجب أن تكون شروط الصلح مشرفة بالولايات المتحدة الأمريكية.

وصل أسطول " ديكاتور " إلى جبل طارق في 15 جويلية ، ومن هناك أبحر صوب مدينة الجزائر والتقى في طريقه إليها بباخرة جزائرية فضيقوا عليها ، فاستسلمت لهم بعد مقاومة أبداها لهم طاقم الباخرة ، استشهد فيها الرايس حميدو وثلاثون بحارة من رجاله يوم 28 يونيو1815م [516] ،حملوا بقية المسلمين أسرى إلى مراكبهم وبعد يومين من المعركة أسر

---

([513]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 146 .

([514]) عزيز سامح ، الاتراك العثمانيون المرجع السابق ، ص : 604 .

([515]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 146 .

([516]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص : 236 ، 237 .

الأمريكيين سفينة حربية ذات ساريتين " استديو " وسفينة " مشهودة " ، ثم أرسلت كلتا السفينتين إلى قرطاجة .

وفي 29 جويلية 1815م وصل الأسطول الأمريكي ميناء الجزائر وأرادوا إجراء مفاوضات مع السلطات الجزائرية ، فصعد أمير البحر الجزائري البارجة الأمريكية وهناك أبلغه القائد الأمريكي خبر أسر السفينتين الجزائريتين ومقتل الرايس حميدو ، فتأثر أمير البحر الجزائري لهذه الفاجعة وتساءل عن شروط الصلح التي يريد الأمريكيون عرضها ، فجاء الرد في رسالة وجهها الرئيس الأمريكي إلى الداي عمر ( 1817 – 1818 م) ، فقدمها ديكاتور إلى الداي و في جويلية 1815.

توصل الطرفان إلى توقيع معاهدة صلح و صداق بعد ثلاث عشر يوما من المفاوضات نصت على إلغاء الضريبة السنوية وإطلاق صراح الأسرى الأمريكيين في الجزائر [517] ، ودفع تعويض مقداره عشرة آلاف دولار للاستيلاء على السفينة الأمريكية "إدوين" وغيرها من ممتلكات الأمريكيين في الجزائر ، كما نصت على طريقة معاملة الأسرى في حالة استئناف الحرب واعتبارهم أسرى حرب و ليسوا عبيدا ، وسعى الداي إلى استعادة السفينتين الأسيرتين وبعد أن ورد استجاب الأمريكيين لهذا الطلب وتم التوقيع على المعاهدة ، وتم تعيين شالر قنصلا للولايات المتحدة بالجزائر [518].

و أثناء هذه الأحداث لم تترك الولايات المتحدة الأمريكية دولة أوروبية لم تتصل بها من الصغرى كالبندقية إلى المتوسطة كهولندا إلى الكبرى كروسيا ،لتكون معهم حلفا ضد الجزائر و الدول المغربية.حيث استغلت الفرصة عام 1814م لتنظم لكل من هولندا و

---

([517]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 604 .

([518]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص : 237 .

الدنمرك وايطاليا اسبانيا وبروسيا،وروسيا لتكون الدولة السابعة في الحلف ضد الجزائر في وقت واحد، إذ رأت أن الوقت قد حان لتصفية الحسابات [519].

وفي شهر جويلية 1815م ظهر أمام الأسطول الجزائري الأسطول الهولندي بفرض تجديد معاهدة السلام ، التي تربط بين البلدين طبقا لنفس شروط المعاهدة القديمة بواسطة القنصل الانجليزي ، لكن الداي رفض هذه الاقتراحات قبل أن تقدم هولندا مؤخر الهدايا و الضرائب إلى إيالة الجزائر ،و الذي يمثل مبلغا ضخما و على إثرها انقطعت المفاوضات بين الطرفين [520].

### أ. حملة اللورد إكسماوث :

في مطلع 1816، قام إكسماوث بمهمة دبلوماسية ، مدعوماً بسرب صغير من سفن متجهة إلى تونس ، طرابلس ، والجزائر لإقناع حكامها بوقف استعباد المسيحيين وإطلاق سراحهم. وقد وافق دايات تونس وطرابلس [521] ،و تم إطلاق الأسرى دون أن يدفع اكسماوث عنهم الفدية [522] ،أما داي الجزائر كان متحجراً في آرائه وكانت المفاوضات معه عاصفة.

اعتقد إكسماوث أنه تمكن من التوصل إلى معاهدة لوقف استعباد المسيحيين وإعادتهم إلى انجلترا ، إلا أنه بسبب تضارب الأوامر ، قامت القوات الجزائرية بقتل 200 صياد من كورسيكا وصقلية وسردينيا ، وكانوا تحت الحماية البريطانية [523] وكانت المذبحة بعد

---

([519]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق، ص ص : 219-236 .

([520]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 149 .

([521]) يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص : 121 .

([522]) شويتام أرزقي،دراسات و وثائق في تاريخ الجزائر العسكري و السياسي (1519-1830) ، ط:1 ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، 2010 ، ص : 150.

([523]) وليام سبنسر ، المرجع السابق ، ص : 191 .

توقيع المعاهدة مباشرة. وقد تسببت المذبحة في غضب عارم في بريطانيا وأوروبا ، ورأى الناس أن مفاوضات اكسماوث باءت بالفشل [524] ، اضافة إلى تخريب المؤسسة التابعة لشركة صيد المرجان ، و اقتيل 800 عامل بها إلى السجن.

وجهت انجلترا حملة عسكرية بقيادة اللورد ايكسموث الذي كان على متن وحدات من الأسطول بحري الانجليزي، و التي غادرت ميناء بليموث في 28 جويلية عام 1816م إلى الجزائر ،و ذلك لمعاقبتها بشدة لأنها حصلت على الموافقة الرسمية من الدولة العثمانية بانزال العقاب الصارم بها [525] .و لما اقترب الأسطول الانجليزي من سواحل الجزائرية عرضت وحدات الأسطول الهولندي بقيادة الاميرال فون كابلان الانضمام إلى اللورد اكسموث [526] ،و سارت القوة المزدوجة البريطانية الهولندية إلى ان وصلت إلى ميناء الجزائر في مساء السادس و العشرون من شهر أوت 1816 م.

صادفت هذه الحادثة دخول الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إدريس [527] مدينة الجزائر المحروسة ،

---

([524]) صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم التركي1517-1830 ، دار الهومة للطباعة ، الجزائر ،2007 ،ص 241:

([525]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص605 .

([526])Devoulx (A): Tachrifat , Recueil d notes histiorique sur l'administration de l' ancienne régence d'Alger , Alger, 1852, pp19-20.

([527]) يعتبر الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إدريس بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني. واحدا من أبرز علماء الإقليم التواتي خلال القرن الثاني عشر الهجري . ولد سنة 1181هـ بتنلان وكان عالما في أصول الفقه والتفسير أخذ كل ذلك عن شيوخ عدة نذكر منهم تمثيلا : الشيخ سيدي محمد ، و الشيخ سيدي محمد بن احميد .سافر الشيخ التنلاني إلى فاس وأخذ هناك عن الشيخ سيدي عبد القادر بن شقرون وغيره من أعلام عصره حيث ماتا في يوم واحد وهو يوم الرابع عشر من جمادي الأولى سنة 1221هـ

وإقامته بها الذي أرخ لنا لحادثة تاريخية هامة في تاريخ الجزائر آنذاك، وهي الهجوم الإنجليزي الهولندي على مدينة الجزائر [528] بقيادة اللورد اكسموث ، و بتاريخ عصر الأحد الثامن من شهر شوال سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف (08 شوال 1231هـ/ الموافق 01 سبتمبر 1816 م) ، والتي شاهدها بأم عينه ووصفها وصفا دقيقا حين قال : " فلما كان يوم الأحد من شهر تاريخه عند العصر نزلت سفن عدو الله بدر لنجليز قرب الجزائر في البحر وهي أربعون سفينة ، وكل سفينة فيها مائة مدفع كبير ، كل مدفع عمارته قنطار بارود . ونزلوا بعيدا من المدينة بحيث لا تصلهم الرمية من الجزائر وأقاموا يومهم ذاك وغدهم كذلك ، وفي ضحى صبيحة الثلاثاء [529] بدلوا جميع أعلام سفنهم وجعلوها بيضا بعد أن كانت سودا .والأعلام البيض هي أعلام الصلح والعافية بخلاف السود فهي أعلام الحرب هذا هو اصطلاحهم .

وقبل أن يخوض قائد جيوش العدو معركته مع الجيش الجزائري بادر بمكاتبة قائد الجزائر في محاولة لخداعه واستمالته وتخويفه من نتائج المعركة عليه وعلى جنده. حيث قال القائد النصراني في نص رسالته : " اعلم أني جئتك ناصحا ومصلحا انظر هذا سلطان المغرب أحسن منك نسبا وأقوى مالا وأعظم جندا وأكثر بلادا ، كان مع جميع أجناس النصارى صلحا وعافية، هو على دينه وهم على أديانهم ، وانظر صاحب تونس وهو ضدك و أخوك صلحا مع جميع جنس النصارى ، وصاحب طرابلس كذلك ، كل واحد على دينه ، وكلهم صلحا وعافية وما فيهم من عادى النصارى وكأن الجهاد ما فرض إلا عليك ، ولو كنت عاقلا لاقتَدَيتَ بأمثالك . ولا تظن وإني مثل النصارى الذين تعرفهم وكنت تلاعبهم مثل افرنسيس ،واصبانيول وافلامينك .... وعدد عليه قبائل النصارى، بل

---

([528]) أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر .تحقيق أحمد توفيق المدني .الطبعة الثانية 1168هـ/1246م .ص .117. وكتاب مذكرات وليام شالر .قنصل أمريكا في الجزائر( 1824/1816)،ص: 289.

([529]) لثلاثاء 10 شوال الموافق ل:03 سبتمبر 1816 .

أنا بدْر.... وعندي ألفَي قلاع جئتك منها بأربعين ..... واليوم اترك عنك هذا وأبدله بالصلح ، وإن أبيت عن الصلح فنعم ولكن أخذ الأسارى لايكون بيننا وشاور على هذا نفسك وكبراء دولتك وأجلتك ساعتين." [530] و يشير عزيز سامح في كتابه الاتراك العثمانيون أن الداي رفض إعطاءه جواب نهائي في هذا الصدد و في الثانية و النصف خرج عضو البرلمان البريطاني من الميناء و أعطى إشارة عدم الاتفاق [531].

ويرى الشيخ التنلاني في معرض تعليقه على هذا الخطاب أن الرسالة لم يكن لها معنى أساسا على اعتبار أن القائد النصراني أمهل قائد الجزائر ساعتين فقط للرد وهو ما لم يكن كافيا أمام صاحب الجزائر لتحضير الرد بسبب انصراف أكابر البلد ورؤساء الجند إلى حقولهم لأن الوقت وقت خريف ، وهنا تعجل العدو الدخول فكان ما كان وفي ذلك كله يقول الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إدريس في معرض حديثه في رحلته : " ... وبعث بهذا الكتاب مع شاوش له فلما بلغ الكتاب صاحب الجزائر وجد أكابر البلاد ورؤساء الجند مفترقين في الجنانات لأن هذه الواقعة وقعت في فصل الخريف وعادة البلد أن كل من عنده جنان يكون سكنا فيه ذالك الوقت ،فتعطل الجواب على النصراني ودخل بسفنه لداخل مرسى الجزائر وأراد الذين هناك يضربونه بالمدافع فحلف لهم القائد عليهم ويسمى علي قائد المرسى لو مد أحدكم يده للضرب لقطعتها له. قيل إن النصراني رشاه على ذلك بخمسين قنطارا وقيل بخمس وعشرين وقيل بخمسة عشر .

فلما استقر النصراني بوسط المرسى كان أول ما بدأ به أسقط الماء الداخل لشرب البلد وما يتطهرون به ، رمى ساقية الماء بثلاثة مدافع ، ثم وَالَى على المدينة بالبارود وذلك بعد

---

([530]) أحمد جعفري ، **الحملة الإنجليزية الهولندية على مدينة الجزائر1231ه/1816م من خلال مخطوط التنلاني التواتي 1233هـ** ،مجلة " تراث" ، التابعة لهيئة أبوظبي للثقافة والإعلام ،مدينة العين الإمارات العربية المتحدة ، العدد 131، أغسطس 2010، ص : 140.

([531]) عزيز سامح الترا، المرجع السابق ، ص : 608 .

صلاة الظهر وقيل العصر فلم يزل يواليه عليها حتى قرب نصف الليل ومدة ذلك على التدقيق إحدى عشر ساعة غير سدس بالمكانة المحققة وعدة الكور الذي رمى بدر إحدى وأربعون ألف كورة على ما أخبر به شاوشه الذي عقد الصلح مع صاحب الجزائر. وبعد استقراره بالمرسى وتمكنه أحرق جميع سفن الجزائر وهي أربعة عشر سفينة كبار جدا ، فثلاثة عشر أحرقها حتى لم يبق لها أثر والربعة عشر بقي شيء منها [532] ولم تكن هذه المشاهد الأليمة والمفجعة جميعها لتمر أمام أعين الكاتب سيدي عبد الرحمان دون أن تتحرك لها مشاعره وتتدفق أحاسيسه ، فيترك العنان لخياله ليصف لنا جلل المصيبة وأثرها على نفسية كل مسلم "... وحرقه للسفن هو أعظم نكاية لم يبق فوقها نكاية ، وصارت تلك الليلة في الجزائر مع نهارها سواء ، ولولا شدة المبالغة لقيل ضوء تلك الليلة أشد من ضياء شمس نهارها ، ويالها من ليلة شابت فيها الولدان وأسقطت فيها الحوامل واشتد فيها البكاء والعويل وعظم فيها الكرب والهم والغم فوق ما يوصف ولا يخطر ببال ولا يقدر على الحقيقة شاعر ولا عاقل ولا فقيه ولا مداح ولا فصيح يصف هذه الواقعة بوصفها الحقيقي. ولا أدري بما أشبهها أمثل خرير الواد الكبير أو مثل الرحى أو مثل نزول البَرَد لا أدري ما يشبه ذلك وغايته أنه مثل الرعد القاصف من أول بدايته إلى نهايته متصلا كأنه مدفع واحد ، فلما كان نصف الليل نادى النصراني بالبيات إلى الصباح ، نادى في بوقه بعجميته حتى نصبح فسكت البارود ، فلما كان بعد صلاة الصبح نادى لعنه الله في بوقه نزيد في الحرب أم يكفينا هذا .

وعلم صاحب الجزائر أنه لا طاقة له به ولا بحربه فطلب منه العافية فأجابه إليها على شروط أولها أن يرد إليه كل أسير عنده وهم يحسبون عنده في زمامه ثلاثة عشر مائة أسير

---

([532]) أحمد جعفري ، **الحملة الإنجليزية الهولندية على مدينة الجزائر1231ه/1816م من خلال مخطوط التنلاني التواتي 1233هـ** ،مجلة " تراث" ، التابعة لهيئة أبوظبي للثقافة والإعلام ،مدينة العين الإمارات العربية المتحدة ، العدد 131، أغسطس 2010، ص : 140

واثنين وثلاثين أسيرا ، منها من قبيلة كذا وكذا ومن قبيلة كذا كذا وكذا وهكذا . وإن بقي أسير واحد فلا عافية . وثانيها أن النصارى خذلهم الله كانوا عام أول فادوا بعض أولادهم من أصحاب الجزائر وعددهم أحد عشر مائة أسير كل أسير بألف أريال دُرُ الكبير فشرط عليه أن يرد عليه جميع ما وقع به الفدى من الريال وإن بقي شيء من ذالك فلا عافية . وثالثها أن يطلق صاحب الجزائر لهم وهران وعنابه يكيلون منها الزرع ولا يدخل الأتراك بين النصارى وأرباب الزرع أهل الفلاحة في ذلك ." **(533)**

أمام هذا الوضع انخدعت البحرية الجزائرية بالراية البيضاء التي كانت تحملها السفن البريطانية ، التي تركتها تدخل ميناء الجزائري . ليتم بهذه الخدعة بقنبلة الأسطول البحري الجزائري بالمدفعية ، فألحقت بالجزائر أضرار جسيمة كما تحطمت في هذه المعركة عدة تحصينات ، و أضرمت النار في جميع البواخر الجزائرية الراسية في الميناء **(534)** ،كما بلغ عدد الضحايا حوالي خمسمائة جندي أما عدد القتلى من الأهالي فقدر بسبعين شخصا **(535)** و كنتيجة حتمية للأمر أجبر الداي عمر باشا على قبول شروط مؤتمر فينا .و التي كانت من بين نتائجه :

- وضع حد لاسترقاق المسيحين .
- إطلاق الأسرى المسيحيين و الذي يبلغ عددهم 1200 أسير .
- دفع تعويضات للأسر المسيحية التي افتدت أبناءها **(536)**.

---

(533) أحمد جعفري ، المرجع السابق ،ص : 142- 144 .

(534) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص ص : 262 ، 263 .

(535) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 609.

(536) Devoulx ¸ ibid¸p20

و الأمر الملفت للانتباه هو أن الانجليز استغلوا مؤتمر فيينا لخدمة مآربهم ،و لم يطالبوا بالمطلب الرئيسي هو وضع حد للقرصنة ،لأنهم كانوا يسعون إلى عرقلت التجارة الأروبية عامة و تجارة فرنسا خاصة [537].

إذا كان مؤتمر فيينا قد أدان تجارة الرقيق الأسود و ضمن حرية الملاحة في الأنهار العابرة عدة دول أو تشكل حدا سياسيا ، فإن همه الأكبر كان إعادة بناء توازن واسع بين الدول و الإمبراطوريات الأوروبية [538] ولكن هذا التقسيم ، الذي ضمن السلم للقارة العجوز الرازحة تحت الحكم المطلق على امتداد أربعين سنة ، غذى بداخله بذور فنائه . فكل المفاوضات و المحادثات جرت على حساب حقوق القوميات أو المذاهب الدينية . إذ ضمت شلزويغ بالقوة للدانمرك ، وأخضع الكاثوليك البلجيكيون لملك هولندي بروتستانتي المذهب و قسمت تقسيم إيطاليا و فككت ألمانيا [539].

بعدما تم انعقاد مؤتمر اكس لاشبيل تم إبلاغ الداي حسين بالالتزام بهذه القرارات ،و الذي أجاب على أنه لا يستطيع أن يتخلى عن حقه في التعرف على البواخر الأجنبية ل،أنها هي الوسيلة الوحيدة للتعرف على البواخر العدوة من الصديقة [540].

قرر الداي في أكتوبر1823 م القاء القبض على أبناء القبائل كرد فعل على الثورة التي نشبت في القبائل [541] ، و كان هناك عدة مستخدمين من أبناء القبائل يشتغلون في

---

([537]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص : 264.

([538]) وليام شالر، المصدر السابق ، ص: 145 .

([539]) عبد العظيم رمضان ، تاريخ أوروبا و العالم الحديث من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة ،ج 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ص : 19-20 .

([540]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص : 267 .

([541]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 622 .

القناصل الاجنبية ،فعمدت القنصلية الفرنسية و الهولندية إلى إنذار مستخدميها بالأمر و تركت لهم حرية القرار [542].

أما القنصل الانجليزي أراد أن يحمي مستخدميه محتجا بالحصانة القنصلية ،و رفض تسليمهم ، فهجم مترله و تم القبض على مستخدموه حيث تسبب هذا الحادث في قطع العلاقات بين الجزائر و انجلترا وعودة القنصل إلى بلده [543].

بعد بضع أسابيع من الحادثة و بالضبط في كانون الثاني سنة 1824 م ، في 23 شباط قدم الاميرال الانجليزي السير " هاري نيل " على رأس 23 باخرة ، يطلب تعويضا عن الإهانة التي لحقت بانجلترا في شخص القنصل و يطالب بغرامة مالية كبيرة ، و بالاعتراف بهيمنة بريطانيا على كل الدول الأخرى ، لكن الداي رفض هذا المطلب و على إثرها انصرف الأميرال [544] و الذي عاد مرة ثانية في 22 مارس 1824 م و انصرف كما جاء دون أن يتحصل على طائل [545] و رجع مرة أخرى في 12 جويلية من نفس السنة بعد أن صدرت إليه الأوامر بضرب العاصمة ، و استمر إطلاق النار إلى يوم 29 جويلية و هو يوم انصرافهم بعد أن نفذت لهم الذخيرة [546].

كما منيت هذه الحملة بالفشل الذريع لأن القصف كان بعيدا عن المدينة ،و تم التصدي لها، [547] و يشير مولود قاسم نايت بلقاسم إلى وجود غارتان عام 1825 م ، و اللذان رد عليهما الداي بتعال و لاذتا بالفرار و لم تعد بريطانيا بعد ذلك [548].

---

([542]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص : 268 .
([543]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 622 .
([544]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ،ص : 268.
([545]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ،ص : 210.
([546]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص : 268.
([547]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 623 .

تحالف الأوروبيون ضد الجزائر في مؤتمر فيينا و ذلك لوضع حد نهائي لأعمال القرصنة البحرية الجزائرية في البحر الأبيض المتوسط ، و استرقاق المسيحيين، و تسريح البحر الأبيض المتوسط للتجارة الحرة، و الاعتراف بأولوية انجلترا في التعامل مع القنصليات الأجنبية في الجزائر،و الجدير بالذكر أن حملة اكس ماوث كان ظاهرها تنفيذ لإرادة الدول الأوروبية و باطنها رغبة بريطانيا في فرض سيطرتها على البحار للاستحواذ على طرق المواصلات و الحفاظ على مصالحها التجارية ، بعد أن فقدت مستعمراتها في القارة الأمريكية .

## ب.الحصار الفرنسي والحملة على الجزائر ( 1827 – 1830 م ) :

امتازت العلاقات الجزائرية الفرنسية في عمومها بطابع الأهمية والخصوصية التي حضيت بها منذ الدولة دون غيرها من الدول الأوروبية ، وقد تطورت هذه العلاقات فكانت أفضل ماتكون في عهد الثورة الفرنسية ، حين اعترفت الجزائر بالجمهورية الفرنسية الجديدة ، في الوقت الذي كانت تعاني فرنسا من وطأة الحصار الأوروبي المحكم [549] ،والذي أصابها بانهيار إقتصاد كبير ومجاعة قاسية ، وأكثر من ذلك قامت حكومة الجزائر بإقراض فرنسا مبالغ مالية لتأمين شراء الحبوب وفتحت باب تصدير القمح الذي كان محظورا من قبل في عهد الداي محمد بن عثمان باشا .

وقد عبرّ عن موقف الجزائر الدّاعم لفرنسا خلال هذه الفترة الداي حسين في رسالة وجهها إلى محافظة العلاقات الخارجية الفرنسية بتاريخ 16 جوان 1795 م : " لن نرد أي طلب للجمهورية يكون في متناولنا المواد المعشية والخيول الجيدة ، هذه هي منتوجاتنا

---

([548]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص : 214.

([549]) أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ( بداية الإحتلال ) ، ط3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 م ، ص : 13

فالصديق الحقيقي هو ذلك الذي يظهر وقت الحاجة ... نحن على استعداد لأن نمدكم بالحبوب والمواد المعشية وباختصار كل ما تطلبوه منا " [550] .كانت عملية التموين تتم بطريقة مباشرة بين البلدين ، فتقوم الشركة الفرنسية المعنية ( الشركة الملكية ثم خليفتها الوكالة الوطنية الفرنسية ) بدفع الثمن إلى الحكومة الجزائرية بشكل مباشر ، ثم غير فرنسا طريقة الدفع أثناء حكومة المؤتمر، فلجأت إلى التاجرين اليهوديين بكري وبوشناق [551] ليقوما بالدفع بدلها إلى الحكومة الجزائرية [552] .

وقد توفرت الظروف لهؤلاء اليهوديين ليلعبا على حبل العلاقات السياسية والاقتصادية بين البلدين ، أين ازدهرت شركتهما وحققت أرباحا خيالية نظرا الارتفاع الفاحش لسعر الحبوب ، وتجدر الإشارة إلى أنه برغم من منع حكومة الجزائر رخصا للتجار الفرنسيين من أجل تصدير القمح ، إلا أنهم لاقوا صعوبة في ذلك بسبب الضغط الأوروبي في البحر المتوسط والحصار المفروض عليهم ، وبالتالي وجدت الشركة اليهودية فرصتها لإحتكار تجارة منتوج الحبوب خاصة وأنها كانت مضمونة التنقل لرفعها العلم الجزائري الذي يضمن لها الحماية في ظل هذا الصراع القائم [553].

بما أن الحكومة الفرنسية كانت عاجزة عن تسديد فواتير الإسترداد بسبب عجز خزينتها وتدهور اقتصادها ، تضاعفت ديونها تجاه اليهوديين الجزائرين اللذان كان بدورهما مدينان للدولة الجزائرية ، ومن هنا ارتبطت مسألة الديون بين اليهود وفرنسا بمسألة ديون

---

([550]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص : 106 .

([551]) بكري وبوشناق :كانا من أسرة لها تجارة في الخارج حققا معا ثروة طائلة ساعدهم في تكوينها النظام الفاسد للحكم أواخر العهد العثماني **انظر** : أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 14

([552]) محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 65 .

([553]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص : 107 .

اليهود للخزينة الجزائرية ، وهذا ما جعل المسألة تتحول إلى قضية حساسة بين دولة ودولة. [554]

نقول إذن أن أحد الأسباب الهامة التي سبقت الحصار ثم الحملة ، كانت المطالبة التي تقدمت بها الحكومة الجزائرية للحكومة الفرنسية فيما يخص ديونا يرجع تاريخها إلى الثورة الفرنسية قبل عهد الإمبراطورية ، والتي ترتبت عن تزويدات هائلة بمادة الحبوب كما أسلفنا بالذكر ، ولكن تماطل فرنسا في دفع المستحقات المالية جعلت المسألة تتجه إلى التأزم أكثر فأكثر [555] .

وبسقوط حكومة نابليون سعت حكومة الملك اللويس الثامن عشر البوربني إلى إعادة العلاقات مع الجزائر إلى ما كانت عليه من قبل ، فعملت الحكومة الفرنسية على تعين قنصل جديد لها في الجزائر هو " بيير دوفال " لكي يعمل على طمأنة الجزائر والتعبير لها عن إستعداد فرنسا لحل المشاكل العالقة ، ومن بينها مشكل الديون وكان دوفال هذا معروفا في كل موانئ البحر المتوسط بأنه شخص فاسد ورجل دسائس ومؤامرات أكثر منه رجل دبلوماسي ، وكانت سمعته سيئة في أوساط الجزائر ومرسيليا ، وسوف يلعب أدوارا خطيرة في العلاقات بين بلده والجزائر [556] كما قامت حكومة لويس الثامن عشر بتحديد قيمة الديون المترتبة بقرار 28 أكتوبر 1819 م وفق إتفاقية عقدت بين البلدين وأتفق الجانبان بموجبها على أن مبلغ الدين هو سبعة ملاين من الفرنكات الذهبية [557] .

---

([554]) المرجع نفسه ، ص : 108

([555]) جمال قنان ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث ( 1500 – 1830 م ) ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، 2010 م ، ص : 352

([556]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 241 .

([557]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ، ج2 ، المرجع السابق ، ص : 208

ولما طال أمد تسديد الديون وتبين لليهود أن تسوية القضية لا تزال بعيدة المنال شرعوا في مفاوضات مهلكة ، فوقعوا سندات بمائة ألف فرنك وتنازلوا عنها بعشرين ألف لأن المهم عند هؤلاء هو الحصول على المال ، وفي هذه الأثناء تقرب بكري من قنصل فرنسا دوفال ووعده بمبلغ هام إن هو عمل على إسراع التصفية في باريس ، ويزعم البعض أنه أعطى المال نقدا إلى القنصل المذكور ، ويقول آخرون بأن القنصل لم يحصل إلا على الوعود ويقول حمدان خوجة عن نفسه ، أني لا أعرف شيئا إيجابيا عن هذا الموضوع ، وعليه فإني أكتفي بما سمعته من الناس ولكني أعرف أن كثيرا من المناورات وقعت بشأن هذه القضية حتى أن حسين باشا قرر أن يرسل بنفسه إلى الحكومة الفرنسية للإسراع بالتصفية دون أن يعلم بأن أعمال غير لائقة قد تمت في هذا الموضوع وأن السبب الوحيد الذي جعله يقبل التدخل في هذا الموضوع ، أن بكري كان جزائريا وأنه مدين لخزينة الإيالة ، فكان الباشا يأمل بعمله هذا أن يسترجع أموال الدولة [558].

واصل الداي حسين مطلبه حول تسديد الديون أين أرسل عدّة برقيات إلى الحكومة الفرنسية ، لكن دون ردّ منها جاهلا أن هذه الأخيرة لم تطلع على أي واحد من مطالبه المختلفة [559]، بعدها قام الداي بمكاتبة الملك الفرنسي نفسه ، لكنه لم يحصل على أي رد كذلك ، يقول الشريف الزهار : " إن الداي كلم القنصل الفرنسي عن الديون كما كلمه عن البناء الذي أقامه الفرنسيون في القالة ووضعوا به المدافع وسلم له كتابا إلى الملك الفرنسي ،وقد أجاب القنصل الفرنسي دون أن يجيب الداي ، وأمر الملك قنصله بتبليغ

---

([558]) حمدان بن عثمان خوجة ، المرآة ، تقديم وتعريب وتحقيق : محمد العربي الزبيري ، منشورات anep ، الجزائر ، 2005 م ، ص : 177

([559]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص ص : 352 ، 353 .

الداي أن الملك لن يرد على خطابه ، فإن أراد شيئا لا يكتب إليه بل يكلم القنصل إلا أن القنصل لم يبلغ الداي بالخبر " [560].

تطورت مسألة الديون وبلغت ذروتها مابين ( 1820 و 1826 ) ، ومما زاد في تعكير الوضع سوء العلاقة بين الداي والقنصل دوفال الذي تبين تورطه في الكثير من المسائل ، وانتهى تصرفه الطائش في النهاية إلى ما يعرف بحادثة المروحة فكيف جرت حيثياتها ؟

جرت العادة يقوم قناصل الدول الأوروبية المعتمدين لدى الجزائر بزيارة إكرام إلى الداي بمناسبة عيد الفطر ، وكان القنصل الإنجليزي والفرنسي يتنافسان الصدارة في هذه المناسبات ولذلك وتجنبا لكل مناقشة ، قرر الداي أن يستقبل الواحد عشية الإحتفال والآخر في يوم العيد نفسه ، وعلى هذا الأساس جاء السيد دوفال عشية عيد الفطر المصادف ليوم 29 أفريل 1827 م ليؤدي زيارته للداي بمحضر جميع أعضاء الديوان ، وبعد الحفل سأل الباشا القنصل لماذا لم تجبه حكومته عن برقياته العديدة الخاصة بمطالب بكري ، فكان جواب دوفال في منتهى الوقاحة إذ جاء كالآتي : " إن حكومتي لا تتنازل لإجابة رجل مثلكم " ، فلم يتمالك الداي نفسه من الغضب وضربه بالمروحة ضربة واحدة [561] .

وفي رواية عن الداي نفسه من خلال الرسالة التي وجهها إلى الصدر الأعظم بتاريخ 19 ديسمبر 1827 م يقول : " أنه سأل القنصل دوفال لماذا لا يصلني أي رد عن الرسائل الموجهة لحكومتكم ؟ فأجابني القنصل بعبارات مهينة ، أنه لا يمكن للملك ودولة فرنسا إرسال أجوبة للرسائل التي وجهتها إليها وتجرأ على إضافة كلمات مشينة عن الدين

---

( [560]) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص ص : 163 ، 164 .

( [561]) محمد بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص : 142 .

الإسلامي وجلالة السلطان ، وبما أنه لا يسعني تحمل تلك الاهانة التي تتجاوز الحد المعقول ضربته مرتين أو ثلاثة ضربات خفيفة بالمروحة التي كانت في يدي" [562] .

كان رد فرنسا على ذلك بإرسال قطعة من أسطولها أمام الجزائر بقيادة القبطان " كولي " وقد وصلت القطعة يوم 12 جوان 1827 ، وصعد القنصل دوفال إلى السفينة المسماة لابروفانس ، وجاء كولي يطلب من الباشا أن يأتي شخصيا إلى السفينة ويعتذر من القنصل ولما كان معروفا أن الباشا لن يرضى بذلك ، فقد اشتملت تعليمات كولي على مطالب أخرى هي :

- أن يستقبل الباشا القبطان ورئيس أركانه والقنصل بمحضر الديوان والقناصل الأجانب ويعتذر أمامهم إلى دوفال [563].
- أن يرسل الداي وفدا إلى الباخرة لابروفانس لتقديم اعتذار رسمي عمّا حصل للقنصل ويتكون الوفد من وكيل الحرج ووزير البحرية وضابط الميناء وهيئة الكتاب الأربعة .
- أن تطلق المدافع 100 طلقة تحية له .
- يرفع العلم الفرنسي على قصر الداي وأبراج وحصون المدينة .

تقضي هذه التعليمات أنه في حال عدم استجابة الباشا لواحد من الإقتراحات المذكورة يعلن الحصار رسميا على الجزائر ، وقد سلّم هذا الإنذار إلى الداي من طرف قنصل سردينيا الكونت " داتيلي " الذي أصبح يرعى المصالح الفرنسية في الجزائر بعد انسحاب دوفال [564].

---

([562]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص : 131 .

([563]) أبو القـــــاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 24 .

([564]) عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص : 631 .

كان رد الداي على داتيلي : " أتساءل لماذا لا يطلب الفرنسيون مني زوجتي كذلك " وبعد انقضاء مهلة 24 ساعة ، أعلن كولي الحصار في 15 جوان 1827 م أما الداي حسين من جهته كاتب باي قسنطينة بالاستلاء على المؤسسات الفرنسية وتدميرها .

**فرض الحصار :**

كانت فرنسا عازمة على تطبيق قرار فرض الحصار، وما حادثة المروحة إلا مبرر وذريعة مفتعلة ، ويظهر ذلك من خلال الشروط التعجزية المسطرة من طرف الجنرال كولي والتي كانت الحكومة الفرنسية عى علم مسبق أنها سترفض جملة وتفصيلا ، وعند رفض الداي لهذه الشروط تقرر الحصار يوم 15 جوان 1827 .

وضعت فرنسا بندها أن الداي سيتراجع ويرضخ ، ولهذا أمرت دوفال بأن يبقى على ظهر السفينة لابروفانس على أمل أن يستجيب الداي للمطالب ، إلا أن هذا الأخير رفض رغم الحصار الذي دام 3 سنوات ، مكلفا فرنسا خسائر مالية فادحة [565] ، هذا الحصار الذي لم يهتم به الداي حسين ، كما لم يهتم به سكان مدينة الجزائر بالنسبة للسفن الفرنسية الراسية على السواحل الجزائرية ،والتي قامت بالحصار البحري موجهة مدافعها صوب المدينة ، لأنهم اعتادوا على الحمالات الأوروبية والاعتداءات المتواصلة على الجزائر والتي هاجمت السواحل خلال السنوات الماضية ، فأعتبروا الحصار البحري الفرنسي مجرد حربية سرعان ما تزول وترحل كسابقاتها تجر أذيال الخيبة والهزيمة [566] ومن أهم أسباب الحصار الفرنسي للجزائر :

---

([565]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص : 136 .

([566]) عمار هلال ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصر ( 1830 – 1966 م ) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995 م ، ص ص : 137 ، 138

- اعتقاد فرنسا أن الجزائريين سيستسلمون بسهولة، آخذة الحسبان الظروف الصعبة التي مرت بها الإيالة من كوارث طبيعية ابتداءا من القرن ،18 والتي أفقدت الجزائر أكثر من نصف سكانها .
- الوضع الذي كانت تعيشه فرنسا قبيل الحصار من فوضى واضطرابات سياسية واجتماعية فظنت أن الحصار سيشغل الرأي الفرنسي خاصة إذ انتهى بالإنتصار .
- استعادة فرنسا لهيبتها التي فقدتها في مؤتمر فيينا [567].

كانت عدة الأسطول المحاصر للجزائر يتكون من 12 سفينة ،كانت تقوم بمراقبة الموانئ الجزائرية، وكانوا يوقفون بعض السفن المشبوهة ويحتجزون بعض السفن الأخرى ، ولكن هذا الحصار لم ينه عمليات القرصنة نهائيا ، ففي 3 أكتوبر وقعت معركة بين الأسطول الجزائري المكون من 12 سفينة والأسطول الفرنسي ، وقد دامت المعركة حوالي 4 ساعات و لم تسفر عن أي نتيجة بين الطرفين [568].

كانت تكاليف الحصار باهضة سواءا من حيث تكاليف الأسطول والبالغة قيمتها سبعة ملايين فرنك سنويا ، أو من حيث الخسائر التي لحقت بالتجارة الفرنسية أو من حيث الخسائر البشرية أيضا [569] ،كل ذلك جعل فرنسا تفتح باب المفاوضات مع الجزائر هادفة بذلك إلى إلغاء الحصار بصورة مشرفة ، ففي يوم 29 أفريل 1828 م ذهبت إلى الجزائر بعثة للتفاوض بقيادة الضابط " بيزار " ولكنها فشلت بسبب رفض الداي دفع تعويضات لفرنسا ، وقد تلتها عدة مفاوضات أخرى باءت بالفشل .

ونظرا لوجود معارضة قوية في البرلمان والخسارة الاقتصادية الكبيرة التي تسبب فيها الحصار ، وكذا الظروف الدولية الحاصلة قررت الحكومة الفرنسية أن تفاوض من جديد

---

([567]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص ص : 137 ، 138 .
([568]) أبو القـــــاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 27 .
([569]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 244 .

سنة 1829 م ، فأرسلت القبطان " دين يرسيا de nerciat " إلى الجزائر في مهمة نحو الباشا حسين على أن يفتح طريق التفاوض لقائد الحصار الجديد " بريتونيير " الذي خلف كولي بعد وفاته ، وتم الإجتماع بين الباشا وقائد الحصار ، ولكن النتيجة كانت سلبية فقد طلب قائد الحصار من الباشا إرسال وفد سامي إلى باريس للإعتذار والتفاوض ، ولكن الباشا رفض وأمر على عقد الصلح قبل إرسال الوفد [570].

أثناء عودة سفينة قائد الحصار " لابروفانس " بعد الخيبة في المفاوضات أبحرت باتجاه فرنسا ، وبدلا من تأخذ طريقا مباشرا مالت كثيرا إلى الساحل واقتربت من التحصينات الحربية حتى ظن بعض القادة الجزائريين أنها تتجسس عليهم ، فأمر بإطلاق النار حولها لتبتعد و لم يكن الغرض هو تدميرها ، وإلا لما تعذر ذلك لأنها كانت قريبة جدا من مرمى المدفعية [571] ،وثم وصلت أنباء قصف الجزائريين للسفينة لابروفانس إلى الملك شارل العاشر فأغتاظ للأمر ، رغم اعتذار الداي وعزله للوزير ورئيس المدفعية [572] .

خلال هذه الفترة سقطت حكومة " مارتينياك " وخلفه " بولونياك " الذي اعتقد أنه سيجد حلا للمشكلة وذلك بتجريد حملة برية وعسكرية من الجزائر مع إشراك " محمد علي "حاكم مصر ، لكن هذا الأخير طلب من فرنسا أن تقرضه 20 مليون فرنك تدفع خلال عشر سنوات ،وأن تمنحه أربع بوارج حربية هبة كي يسعى للسيطرة على طرابلس وتونس والجزائر [573].

فشل هذا المشروع نظرا لهذه الشروط الباهضة التي فرضها محمد علي على فرنسا ، وكذا التخوف من بريطانيا والدولة العثمانية لمنع وصول الأسطول إلى الجزائر ، وعلى

---

([570]) أبو القـــــاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 29 .

([571]) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص : 146 .

([572]) المصدر نفسه ، ص : 146 .

([573]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 245 .

حسب الوثائق العثمانية أن شارل العاشر رفض أن تكون السفن الفرنسية تحت راية ملة أخرى ، وبهذا الرفض الملكي انقطعت المباحثات بين الطرفين ، وسعت فرنسا إلى تنفيذ حملتها على الجزائر بنفسها [574].

### ج. الحملة الفرنسية على الجزائر :

بعد الحصار الفرنسي على الجزائر والذي دام ثلاث سنوات ( 1827 م – 1830 م ) ،سحبت فرنسا سفنها بعدما لم تحقق النتائج المرجوة منها ، وقد كلفها الحصار خسائر مادية دون الحصول على اعتذار من طرف الحكومة الجزائرية ، فقررت ارسال حملة عسكرية إلى الجزائر في 31 جانفي 1830 م لإحتلالها بشكل مباشر ، وكانت أهداف الحملة حسب القنصل الفرنسي في لندن الدوق دوفال الذي صرح بها يوم 12 ماي 1830 م ،بأنها ترمي بشكل خاص إلى القضاء على القرصنة والإسترقاق في المتوسط ، وكذلك للتخلص من دفع الضرائب والإتاوات التي كانت تدفعها الدول الأوروبية نظير مرورها في البحر المتوسط تحت حماية الأسطول الجزائري ، وطبعا حسب ماقال بأن الحملة تهدف إلى تأديب الجزائر واسترجاع شرف فرنسا. [575]

وبعد ان تقررت الحملة عملت فرنسا على إقناع الرأي العام الداخلي والعالمي ، فأجرت عدة مباحثات واتصالات مع الدول الأوروبية تشرح لهم الدوافع التي أجبرت فرنسا على اتخاذ ذلك ، وكان الفرنسيون قد وضعوا خطة محكمة وجيدة ، فأظهرت روسيا تأيدها للعمل الفرنسي وشجعتها على ذلك ، أما بروسيا والنمسا فكانتا مسرورتين لذلك [576].

---

([574]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص : 147.

([575]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 147 .

([576]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 637 .

كما قبلت إسبانيا استعمال موانئها وإقامة مستشفى في ماهون بالبليار لعلاج المرضى والجرحى [577]، ولم تعترض سوى إنجلترا مخافة مصالحها بالبحر المتوسط وشمال إفريقيا ، فسعت جاهدة للتأثير على الجزائر وإسطنبول وأيضا باريس من أجل إيقاف هذا العمل الحربي ، أما فيما يخص دول الجوار تونس والمغرب الأقصى فقد أيدتا الحملة ضد الجزائر ، فباي تونس كان طامعا في أراضي الشرق الجزائري ، كما منع مرو " طاهر باشا " مبعوث السلطان إلى الجزائر عبر أراضيه وسمح أيضا بتموين الحملة من موانئه ومنع مرور البارود والجند الأتراك [578] ،وتوج أعماله بإرسال وفد لتهنئة " ديبرومون " بعد أن أطاح هذا الأخير بالحكومة الجزائرية ، أما المغرب الأقصى فكان مثل تونس طامعا في التوسع نحو غرب الجزائر وسمح بتموين الحملة من موانئه .

أما الدولة العثمانية فقد سعت جاهدة من أجل إيقاف الحملة ، فأرسلت " خليل أفندي " إلى الجزائر من أجل إيجاد حل للنزاع القائم بين البلدين ، إلا أنه لم يوفق فقرر الباب العالي إرسال مبعوث ثان هو " طاهر باشا " ومنحه صلاحيات واسعة في معالجة المسألة الجزائرية الفرنسية [579]، ولكن هذا الأخير منع من الدخول إلى الجزائر من طرف الفرنسيين دون حصوله على رخصة للمرور من طرف قائد الحصار ، لأجل ذلك غير طاهر باشا وجهته وقرر أن يدخل الجزائر عبر أرض تونس ، إلا أن باي تونس رفض ذلك خوفا من القوات الفرنسية وعلى إثر هذا الموقف الرافض اضطر طاهر باشا بالتوجه إلى

---

([577]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 246 .

([578]) أحمد بن أبي الضياف ، المصدر السابق ، ص : 213 .

([579]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص ص : 149 ، 150 .

فرنسا لمناقشة الوضع ، إلا أنه فشل أمام إصرار فرنسا في إرسال الحملة ، فرجع طاهر باشا إلى إسطنبول دون تحقيق أهدافه [580] .

باشرت فرنسا عملها الفعلي في الإعداد للغزو ، فبعثت الجنرال " بورمونت " قائدا عاما للجيش والأميرال " دوبري " قائدا للأسطول ، وقد تطلب الإعداد المادي حوالي 3 أشهر حشدت فيها كافة الإمكانيات اللازمة ، فبلغ عدد الجيش 30 ألف جندي و 4 ألاف حيوان [581]، وأصبح العتاد جاهزا في الأيام الأولى من شهر ماي أين تجمعت في ميناء طولون ومرسيليا حوالي مائة بارجة تمتلكها الدولة وخمسامائة سفينة تجارية ، كما جمعت كميات ضخمة من الملابس والخيام والأغطية والأغذية ، وكمية ضخمة من الخراطيش بلغت 5 ملاين خرطوشة و 280 ألف كلغ من البارود [582] ،وقد تم إحصاء أكثر من ألف وخمسين مدفعا محملة على سفن الأسطول .

كانت انطلاقة الحملة من ميناء طولون الحربي يوم 25 ماي 1830 م ووصلت طلائعها إلى الجزائر في أوائل شهر 1830 م ، فنزل الجنود بشاطئ " سيدي فرج " في 14 جوان دون أي مقاومة تذكر ومكثوا هناك 4 أيام في انتظار إمدادات أخرى. [583]

كان الداي حسين على علم بتفاصيل الحملة ، ولكنه اعتقد بأنها ستكون بحرية شأنها شأن باقي الحملات الأوروبية السابقة ، ومادامت الواجهة البحرية محصنة فلا خوف من عواقبها واعتقد أن الفرنسيين سيجنحون للتفاوض نظرا لكثرة مراسلاتهم السابقة [584]

---

([580]) سفيان صغيري ، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر ( 1671 – 1830 م ) ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة 2011 / 2012 م ، ص : 170

([581]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص ص : 638 ، 639 .

([582]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 247 .

) عمار عمورة ، موجز في تاريخ الجزائر ، ط1 ، دار الريحانة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2002 م ، ص : 14[583])

([584]) أبو القـــــاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 36 .

،وهذه الثقة هي التي منعته من تحصين سيدي فرج ، يقول حمدا خوجة : " في سيدي فرج لم تحضر المدفعية و لم تحفر الخنادق " [585] ضف إلى ذلك تعينيه للآغا إبراهيم مكان الآغا يحي الذي أعدم سنة 1828 بعد وشاية مفادها أنه يخطط للإنقلاب ضد الداي والحصول على السلطة [586] .

تولى صهر الداي الآغا إبراهيم مهمة قيادة الجيش في أوت 1829 م ، إلا أنه لم يكن بالقائد الكفئ ، حيث يقول عنه الزهار : " لم يكن قائدا ممتازا في يوم من الأيام و لم يعرف الشيئ الكثير عن التكتيك الحربي ، فقد كان مثل الحمار لا يعرف إلا الأكل والنكاح "، [587] بل أكثر من ذلك ، فبالإضافة إلى عدم قيامه بالإستعداد للحرب كان معارضا لمقترحات زملائه أمثال " الحاج أحمد " باي قسنطينة الذي نصحه بعدم تعريض الجيش كله إلى لقاء العدو ووجوب مقاومة العدو في حرب مناوشات وليس بحرب مواجهة ، إلا أن رد الآغا إبراهيم كان سلبيا ومثبطا ، فأجاب الباي بأنه لا يعرف التكتيك الحربي الأوروبي الذي يخالف التكتيك الحربي العربي [588].

لم يأخذ الآغا إبراهيم بنصيحة أحمد باي ، فكانت الهزيمة في اسطوالي يوم 19 جوان 1830 م يقول حمدان خوجة : " عندما وقعت هزيمة أسطوالي غادر الآغا المعسكر وكله يأس كما لو أنه فقد رأسه ، لقد ترك كل شيئ الخيم فرق الموسقى و جيشه بأكمله و لو أن دوبرمون سير جيشه في ذلك اليوم إلى حصن الإمبراطور لما لقي أية صعوبة " [589].

---

([585]) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص : 190 .
([586]) أبو القـــــاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 37 .
([587]) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص : 88 .
([588]) أبو القـــــاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 38 .
([589]) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص : 196 .

وبعد هزيمة اسطوالي اجتمع الداي بالبايات واتفق على تحصين حصن الإمبراطور " البرج مولاي الحسن " لمواصلة المقاومة ، إلا أن كثافة العتاد الفرنسي وقوة مدفعيته حالت دون انتصار الجزائريين ، يقول الزهار : " نصبت فرنسا مايزيد عن 200 مدفع وصارت تضرب الحصن وتهدم البرج وصار قتال كبير مات خلاله خلق كثير من الفرقين " (590) وانتهت المقاومة بعد سقوط حصن الإمبراطور يوم 4 جويلية فلم يبق للسلطة الجزائرية سوى أحد الأمرين ، إما مواصلة المواجهة و إما الاستسلام ، وكان الاستسلام قرار الداي الذي وقع عليه وفق معاهدة 5 جويلية 1830 م والتي تضمنت مايلي :

- تسليم القصبة وكل الحصون التابعة للجزائر وكذلك ميناء هذه المدينة للقوات الفرنسية هذا الصباح على الساعة العاشرة .
- يتعهد القائد العام للجيش الفرنسي لسمو داي الجزائر بأن يترك له حريته وكذا كل ثروته الشخصية .
- يستطيع الداي أن ينسحب مع عائلته وكل ثرواته الشخصية إلى أي مكان يختار الإستقرار فيه مادام مقيما في الجزائر ، فإنه يكون هو وعائلته تحت حماية القائد العام للجيش الفرنسي وستقوم فرقة من الحرس بضمان أمنه وعائلته .
- يؤمن القائد العام لجميع أفراد الميليشيا نفس الامتيازات ونفس الحماية .
- تبق ممارسة الديانة المحمدية حرّة ولن ينال من حرية السكان من جميع الطبقات ولا من ديانتهم وممتلكاتهم وتجارتهم وصناعتهم .
- إن القائد العام يتعهد بشرفه على احترام ذلك (591)

هكذا أثبتت الحملة الفرنسية مدى الضعف الذي آلت إليه الإيالة الجزائرية في هذه الفترة ، وشرع الأهالي في المقاومة بعد أن تأكد لهم سوء نية فرنسا وإخلالها ببنود الاتفاق

---

(590) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص : 174 .

(591) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 368 .

المبرم بين الداي حسين وقائد الحملة ، لتدخل الجزائر بعدها في عهد جديد خاضع للسيطرة الاستعمارية رغم المساعي الحثيثة من طرف الخلافة العثمانية لاسترجاع الجزائر ولكن دون جدوى فقد باءت جميع مساعيها الدبلوماسية بالفشل .

# خاتمة

بعد دراستنا لموضوع الصراع السياسي و العسكري بين الجزائر و الدول الأروبية في البحر الأبيض المتوسط خلال القرنين 17 و 18م توصلنا إلى عدة نتائج يمكن حصرها و عرضها في النقاط التالية :

- أن البحر الأبيض المتوسط منطقة حضارية بامتياز حيث شكل موقعه نقطة هامة في استراتيجية كل الدول المطلة عليه فهو الرابط بين ثلاث قارات وبين محيطين. وعلى ضفافه دول عظمى لها تاريخ .

- شكل البحر الأبيض المتوسط بؤرة الصراع و مركز التوتر خاصة بين الضفة الشمالية و الضفة الجنوبية ،ولعل أبرز دوافع هذا الصراع :الأهمية الجغرافية و التجارية للمتوسط كونه أهم طريق تجاري عالمي ربط بين أجزاء العالم القديم ،كما شكل أيضا منطقة صراع ديني بين المسيحية و الاسلام حيث لعب الدين دوره في تغيير موازين القوى في هذا الجزء من العالم.

- أن الصراع السياسي و العسكري على البحر الأبيض المتوسط ليس وليد الفترة الحديثة و إنما هو ضارب بجذوره في التاريخ فهو قديم قدم الحضارات التي استوطنت سواحله.

- أن ظهور الدولة العثمانية كقوة لها ثقلها و مركزها بالبحر المتوسط ،قد ساهم فيه عديد العوامل السياسية و الاقتصادية التي شهدتها منطقة الأناضول خاصة ،و أوروبا و باقي بلدان البحر المتوسط عامة.

- أن الدولة العثمانية منذ نشأتها و تأسيسها على يد عثمان بن أرطغرل ، قد اعتمدت على القوة و على السياسة الرشيدة لسلاطينها في توسيع رقعة الدولة متخذين من الإسلام هدفهم المنشود من أجل الدفاع عنه و نشره في الأقاليم الأوروبية ،و تمكنت بعد حوالي قرن و نصف من تأسيسها من أن تصبح قوة إقليمية يحسب لها ألف حساب ،خاصة و أنها وصلت بفتوحاتها إلى الجنوب الاوروبي، و كذا السيطرة الكاملة على البحر الابيض المتوسط و كافة مداخله.

- ظلت منطقة المغرب الاسلامي تتمتع بوحدتها إلى غاية القرن الثالث عشر ميلادي في ظل دولة الموحدين ،وما لبثت إلى أن إنقسمت إلى ثلاثة كيانات سياسية متصارعة ، حيث كانت الامارة الحفصية بتونس ،و الزيانية بالجزائر ،و الإمارة المرينية بالمغرب الأقصى .في حين شهدت إسبانيا تطورات هامة إزاء وحدتها عام 1467م من جراء الزواج السياسي للملك فرديناند و الملكة ايزابيلا، اللذان عملا على تصفية التواجد الإسلامي باسبانيا ،لتتواصل حروبهم و تضم احتلال السواحل الإفريقية كسبتة و مليلية و المرسى الكبير و غيرها .

- كادت إسبانيا أن تثبت أقدامها بسواحل المغرب، إلا أن بروز الإخوة بربروس في البحر المتوسط غير مسار الأحداث ،حيث استحدثوا لأنفسهم أسطولا بحريا و تمكنوا من اتخاذ جزيرة جربه قاعدة بحرية لنشاطاتهم.

- استنجاد الجزائريين بالإخوة بربروس لتخليصهم من بطش الاسبان عن طريق رسالة أوفدوها إلى السلطان سليم الأول ، حيث أثمرت جهود الأخوين على الاستقرار بمدينة الجزائر و ضمها للخلافة العثمانية كنيابة جديدة تابعة لها عام 1518م ، و بظهور هؤلاء الأخوة شهدت منطقة المغرب الإسلامي تطورات متسارعة ، تمخض عنها ميلاد دولة جزائرية فرضت نفسها كقوة جديدة و مؤثرة في تاريخ البحر

المتوسط ، حيث لعبت بذلك دورا هاما في الأحداث العالمية لهذا الحوض البحري طيلة ثلاثة قرون.

- إن الصراع السياسي و العسكري لايالة الجزائر مع القوى الأوروبية يفهم من علاقاتها الخارجية التي تراوحت بين السلم و الحرب فالدول الأوروبية كانت تحافظ على السلم في الوقت التي ترى فيه أنها ضعيفة ،أما إذا استقوت فتعلن الحرب و تنظم الحملات العسكرية.

- كانت فرنسا الدولة الأوروبية الوحيدة التي عرفت نوعا من الخصوصية في علاقاتها الدبلوماسية مع الجزائر و التي تعود إلى 1535م ،وقد اتسمت هذه العلاقة بالسلم و التعاون تارة و الحرب و القطيعة تارة أخرى .إذ تم ابرام العديد من المعاهدات التي فاقت في عددها جميع ما أبرمته الجزائر مع غيرها من الدول.

- عدم احترام فرنسا لنصوص المعاهدات المبرمة بين البلدين حيث كانت السباقة لنقضها ،فبمجرد وجود الفرصة السانحة حتى تسير حملة عسكرية ضد ايالة الجزائر ، و نخص بالذكر الحملة العسكرية التي استهدفت مدينة جيجل عام 1664م،و كذا حملتي دوكين عامي 1682م و 1683م ،و حملة المريشال دوستري عام 1688م، و الهدف المرجو من هذه الحملات هو ضرب قوة الأسطول الجزائري .

- الدور الفعال للأسطول البحري الجزائري في ردع الحملات الخارجية الموجهة ضد الجزائر، حيث واجهت الايالة بمفردها هذه الحملات دون التدخل من الباب العالي أو مساعدة من دول الجوار الذين اكتفوا بالتعبير عن رفضهم لتجاوزات الدول الأوروبية .

- أن العلاقات الجزائرية البريطانية اصطبغت بطابع السلام المشوب بالحذر ،و ذلك من أجل حماية مصالحها الاقتصادية ،حيث بلغ عدد المعاهدات المبرمة بين البلدين إلى ما يقارب 27 معاهدة.

- أن السياسة البريطانية اتجاه الجزائر كانت ترمي إلى نفس الأهداف التي كانت تسعى غريمتها فرنسا لتحقيقها . كما انتهجت بريطانيا نفس الأسلوب الفرنسي في تسيير حملات عسكرية ضد الجزائر إلا أنها أقل عددا من الهجمات الفرنسية.

- اعتراف الجزائر باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية بعدما كانت مستعمرة تخضع للنفوذ البريطاني ، و التي سعت كمثيلتها من الدول إلى إبرام معاهدات سلم و صداقة مع الجزائر من أجل حماية تجارتها في البحر الأبيض المتوسط.

- اتسمت العلاقات الجزائرية الامريكية بطابع الاستقرار إلى غاية 1812 م ،لتتحول بعد ذلك إلى توتر و خاصة بعد انتهاء الحرب الأمريكية البريطانية.

- قررت الولايات المتحدة حل مسألة الجزائر بصفة نهائية ،حيث كانت متأكدة من أنها ستجبر الجزائر على الرضوخ لمطالبها ، بسبب تدهور الأوضاع الداخلية في الجزائر نتيجة للصراع بين الدايات والإنكشارية ، فضلا عن أن الولايات المتحدة حاولت الاستفادة من قرارات مؤتمر فيينا عام 1815 م ، والذي قررت فيه الدول الأوروبية إنهاء الاعتداءات على سفنها في البحر المتوسط.

- أن العلاقات الجزائرية التونسية خضعت لمسألة الحدود مع البلدين و التي أثارتها في غالب الأحيان قبائل الحدود ،و التي انتهت في مجملها إلى تسيير حملات عسكرية برية عاد الانتصار في أغلبها إلى الجيش النظامي الجزائري.

- رفض تونس لمسألة التدخل الجزائري في الشأن الداخلي للبلاد في حين نجد هذ التدخل يكون بطلب من حكام تونس من أجل تثبيت سلطانهم ، أو حين تمتنع تونس من آداء الضريبة المفروضة عليها.

- أن هذه الصراعات الإقليمية بين البلدين قد أثرت سلبا عليهما و التي خلفت خسائر مادية و بشرية معتبرة.

- امتازت العلاقات الجزائرية المغربية بالعداء الشديد في معظم الأحيان نتيجة الخلافات المستمرة بينهما على مشكل الحدود.

- أن هذه العلاقات تخللتها فترات من السلم و التعاون المتبادل خاصة خلال القرن 17م، كما شهدت تجدد الصراع بين الدولتين لينتهي باتخاذ واد التافنة كحد فاصلا بين البلدين.

- أن الأطماع التوسعية لكل من تونس و المغرب على حساب الايالة الجزائرية قد قادتهما للاتفاق على شن هجوم موحد ضد الجزائر إلا أن هذا المخطط باء بالفشل .

- تميزت السياسة الضريبية المجحفة و تسلط الحكام ، إلى ظهور العديد من الفتن و التمردات المناهضة للسلطة كثورة ابن الاحرش و ثورة درقاوة ،و التي كادت ان تعصف بالحكم وكلفت الدولة الكثير لإخمادها .

- الدور الفعال لليهود في تأزم العلاقات الجزائرية الفرنسية و اتخاذ فرنسا من حادثة المروحة كذريعة لتمرير مشروع الاحتلال .

- فرض الحصار البحري على الجزائر بعد رفض الداي الانصياع إلى أوامر فرنسا ،و الذي دام ثلاث سنوات ،و الذي أثر على الاقتصاد الجزائري و كذا على الخزينة الفرنسية لغلاء تكاليف الحصار.

- إن الحملة الفرنسية قد قضت على سيادة الدولة الجزائرية و أثبتت مدى الضعف الذي ألت إليه هذه الايالة، لتدخل الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي عام 1830م.

و في الاخير نقول أن هذه الاستنتاجات التي خلصنا اليها لاتعدوا أن تكون مجرد أراء و نتائج قابلة للمناقشة و النقد و التعديل ، في انتظار دراسات مستقبلية مدعمة بوثائق جديدة .كما نرجو أن نكون قد وفقنا في انجاز عملنا هذا و لو بشكل جزئي .

## ملحق رقم ( 1 )

## صورة للأخوين عروج و خير الدين بربروس [592]

([592]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ، ص ص 132-134 .

ملحق رقم ( 2 )

**مدينة الجزائر في القرن 16 ميلادي** [593]

( [593]) مذكرات خير الدين بربروس ، المصدر السابق ، ص 127 .

ملحق رقم ( 3 )

**الرئيس الأمريكي جورج واشنطن [594]**

( [594]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ، ص : 117.

ملحق رقم ( 4 )

**رسالة مفاوضات بين الولايات الأمريكية و داي الجزائر** [595]

( [595]) وليام شالر ، مذكرات وليام شالر ،ص 321 .

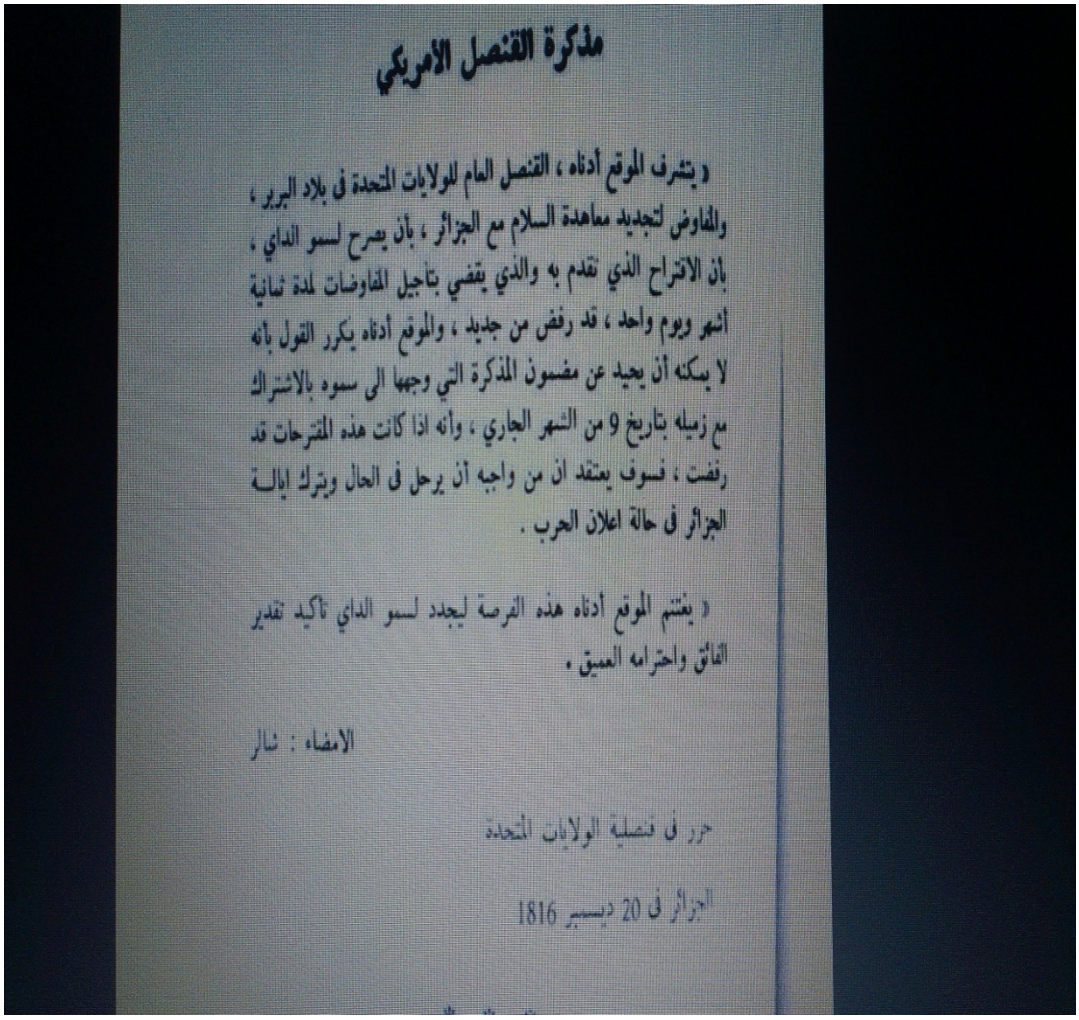

مذكرة القنصل الأمريكي

« يتشرف الموقع أدناه ، القنصل العام للولايات المتحدة فى بلاد البربر ، والمفاوض لتجديد معاهدة السلام مع الجزائر ، بأن يصرح لسمو الداي ، بأن الاقتراح الذي تقدم به والذي يقضي بتأجيل المفاوضات لمدة ثمانية أشهر ويوم واحد ، قد رفض من جديد ، والموقع أدناه يكرر القول بأنه لا يمكنه أن يحيد عن مضمون المذكرة التي وجهها الى سموه بالاشتراك مع زميله بتاريخ 9 من الشهر الجاري ، وأنه اذا كانت هذه المقترحات قد رفضت ، فسوف يعتقد ان من واجبه أن يرحل فى الحال ويترك اياله الجزائر فى حالة اعلان الحرب .

« يغتنم الموقع أدناه هذه الفرصة ليجدد لسمو الداي تأكيد تقدير الفائق واحترامه العميق .

الامضاء : شالر

حرر فى قنصلية الولايات المتحدة

الجزائر فى 20 ديسمبر 1816

ملحق رقم ( 5 )

**معاهدة سلم و صداق بين الولايات الامريكية و الجزائر** **(596)**

( [596]) مذكرات كاثكارت ، المصدر السابق ، ص 259.

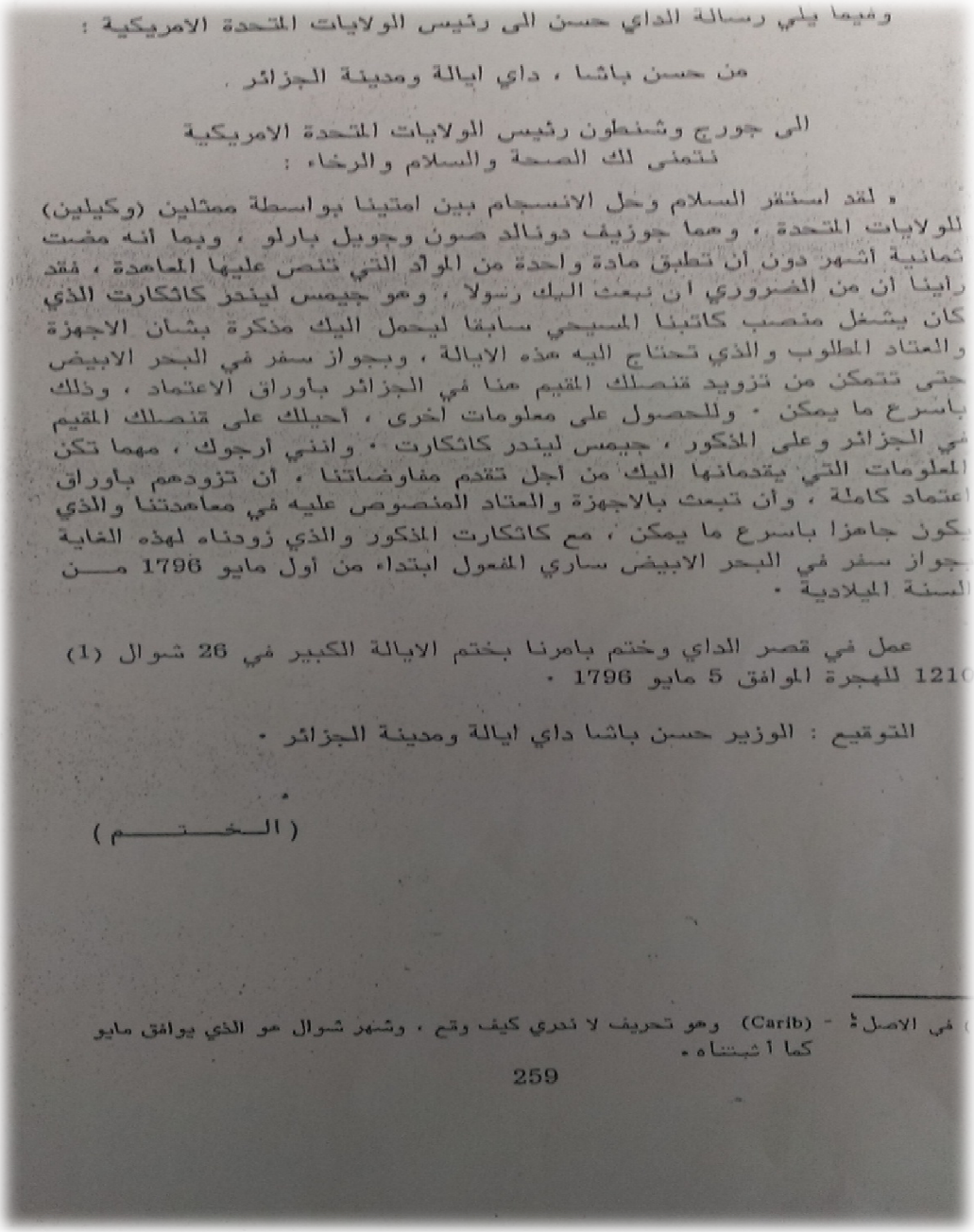

وفيما يلي رسالة الداي حسن الى رئيس الولايات المتحدة الامريكية :

من حسن باشا ، داي ايالة ومدينة الجزائر .

الى جورج وشنطون رئيس الولايات المتحدة الامريكية
نتمنى لك الصحة والسلام والرخاء :

« لقد استقر السلام وحل الانسجام بين امتينا بواسطة ممثلين (وكيلين) للولايات المتحدة ، وهما جوزيف دونالد صون وجويل بارلو ، وبما انه مضت ثمانية أشهر دون أن تطبق مادة واحدة من المواد التي تنص عليها المعاهدة ، فقد رأينا أن من الضروري أن نبعث اليك رسولا ، وهو جيمس ليندر كاثكارت الذي كان يشغل منصب كاتبنا المسيحي سابقا ليحمل اليك مذكرة بشأن الاجهزة والعتاد المطلوب والذي تحتاج اليه هذه الايالة ، وبجواز سفر في البحر الابيض حتى تتمكن من تزويد قنصلك المقيم هنا في الجزائر بأوراق الاعتماد ، وذلك باسرع ما يمكن . وللحصول على معلومات أخرى ، أحيلك على قنصلك المقيم في الجزائر وعلى المذكور ، جيمس ليندر كاثكارت . وانني ارجوك ، مهما تكن المعلومات التي يقدمانها اليك من أجل تقدم مفاوضاتنا ، أن تزودهم بأوراق اعتماد كاملة ، وأن تبعث بالاجهزة والعتاد المنصوص عليه في معاهدتنا والذي يكون جاهزا باسرع ما يمكن ، مع كاثكارت المذكور والذي زودناه لهذه الغاية بجواز سفر في البحر الابيض ساري المفعول ابتداء من أول مايو 1796 من السنة الميلادية .

عمل في قصر الداي وختم بامرنا بختم الايالة الكبير في 26 شوال (1) 1210 للهجرة الموافق 5 مايو 1796 .

التوقيع : الوزير حسن باشا داي ايالة ومدينة الجزائر .

( الختم )

(1) في الاصل : - (Carib) وهو تحريف لا ندري كيف وقع ، وشهر شوال هو الذي يوافق مايو كما أثبتناه .

259

ملحق رقم ( 6 )

**اللورد إيكسماوث [597]**

( [597]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ، ص : 203 .

ملحق رقم ( 7 )

**نص معاهدة الهدنة بين اللورد اكسماوث الانجليزي و الداي عمر باشا [598]**

( [598]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ،ج2 ، المرجع السابق ، ص : 199 .

نص المعاهدة العربي التي عقدت بين عمر باشا والبورد اكسموث .

الحمد لله .

العهد والشروط التي صارت وتمت فيما بين حضرة الجناب العلي عمر باشا متاع (74) ( كذا ) المدينة المجاهدة وبلاد الجزائر وبين حضرة الجناب العلي ادوارد بارون اكسموث كواليز ( كذا ) (75) علامة الصليب الكبير متاع ( كذا ) باشا المنسوب لاعلى الغزو وقبطان باشا على عمارة بيرق الانكلترة الازرق ، وراس حاكم على كل السفاين ( كذا ) والشقوف متاع دولة الانكليز العلية الموجودين في بحر الشرق وهذا اعتبارا وكذلك لعظم المنافع والفائدة التي اشتهرت من طرف حضرة الجناب العلي الامير الفاعل المفوض والوكيل السلطاني متاع دولة الانكلترة العلية في انتها ( كذا ) وعدم اسار (76) ( كذا ) النصارى حضرة الجناب العلي عمر باشا متاع الجزائر علامة لصدق ارادته بدوام صحبته مع دولة الانكليز العلية واشتهارا لودة وعظم اعتباره لطرف دول الاوروبة ( كذا ) قد يشهر ويبين على انه اذا امكنت وظهرت عداوة مع اي دولة كانت من دول الاوروبة لم يكون ( كذا ) احدا من الاسارا معدود تحت العبودية ، ولكن يكونوا مسجونين لاجل العداوة وينظروا لهم بكل حنان بحال اسارات الحرب ، الى ان يكونوا بالبدل كالعادة الجارية في الاوروبة في ذلك الامر ، وبعد انتهاء العداة يرسلوهم الى بلادهم من غير فداء . والعادة الاولى التي كانت تنص على اسارات النصارى متوع الحرب ، انهم يكونوا عبيدا ، فمن اليوم وقدام (77) تلك العادة المذكورة تكون باطلة ومكورة الى الابد وعلى ما دام والحق سبحانه وتعالى عالم وشاهد بذلك وهو خير الشاهدين .

هذا العهد قد تحرر ( كذا ) نسختين في المدينة المجاهدة محروسي بلاد الجزائر يوم الاثنين المبارك يوم رابع من شهر شوال سنة 1231 من الهجرة

ملحق رقم ( 8 )

## بروتوكول إيكس لاشابيل [599]

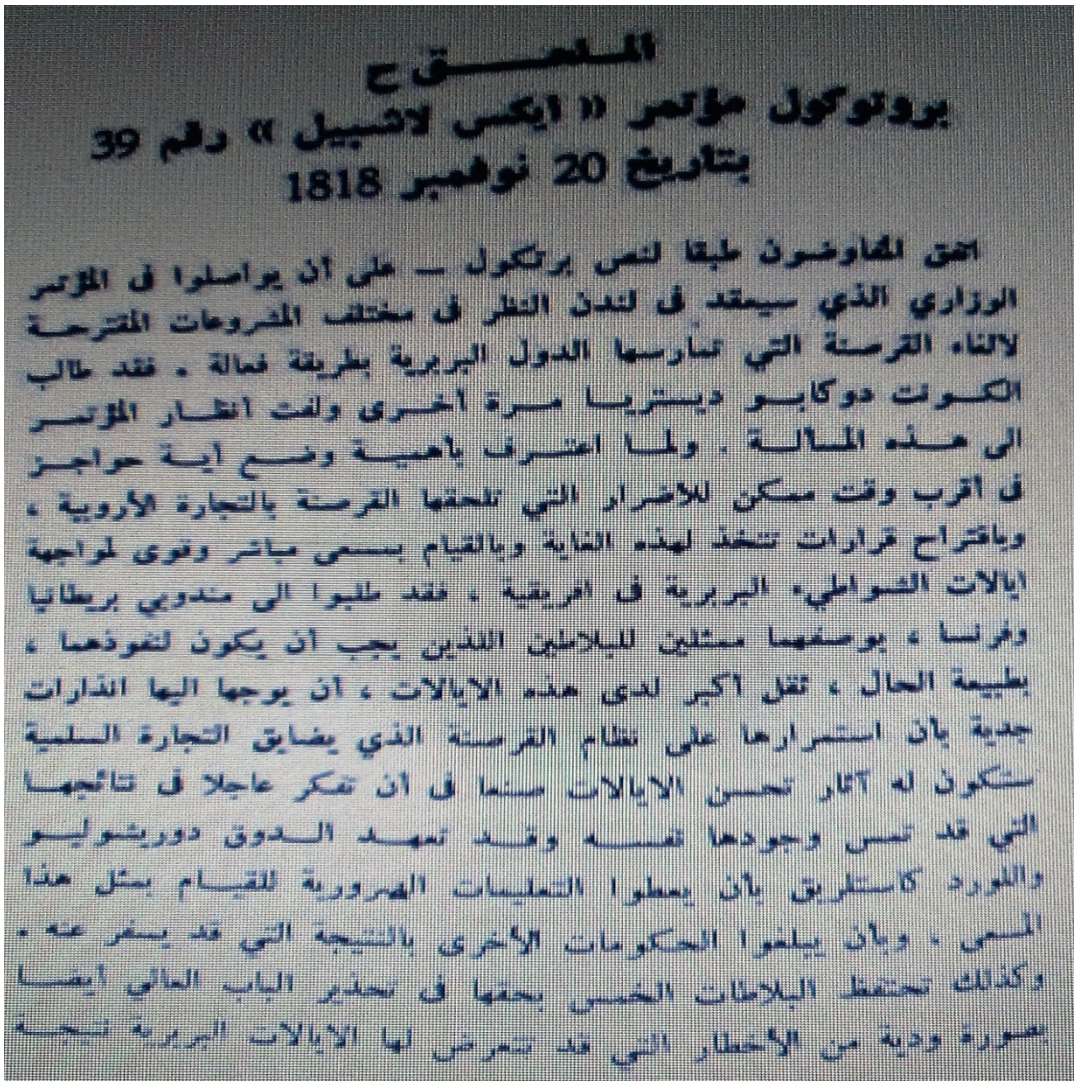

المحضر

بروتوكول مؤتمر « ايكس لاشبيل » رقم 39
بتاريخ 20 نوفمبر 1818

اتفق المفاوضون طبقا لنص بروتكول ــ على أن يواصلوا فى المؤتمر الوزاري الذي سيعقد فى لندن النظر فى مختلف المشروعات المقترحة لالغاء القرصنة التي تمارسها الدول البربرية بطريقة فعالة . فقد طالب الكونت دوكابو ديستريا مرة أخرى ولفت انظار المؤتمر الى هذه المسألة . ولما اعترف باهمية وضع اية حواجز فى أقرب وقت ممكن للاضرار التي تلحقها القرصنة بالتجارة الأوربية ، وباقتراح قرارات تتخذ لهذه الغاية وبالقيام بسعي مباشر وقوى لمواجهة ايالات الشواطيء البربرية فى افريقية ، فقد طلبوا الى مندوبي بريطانيا وفرنسا ، بوصفهما مستلين للبلاطين اللذين يجب أن يكون لتفوذهما ، بطبيعة الحال ، ثقل أكبر لدى هذه الايالات ، أن يوجها اليها انذارات جدية بأن استمرارها على نظام القرصنة الذي يضايق التجارة السلمية ستكون له آثار تحسن الايالات صنعا فى أن تفكر عاجلا فى نتائجها التي قد تمس وجودها نفسه وقد تعهد الدوق دوريشوليو واللورد كاستلريق بأن يعطوا التعليمات الضرورية للقيام بمثل هذا المسعى ، وبأن يبلغوا الحكومات الأخرى بالنتيجة التي قد يسفر عنه . وكذلك تحتفظ البلاطات الخمس بحقها فى تحذير الباب العالي أيضا بصورة ودية من الأخطار التي قد تتعرض لها الايالات البربرية نتيجة

( [599]) وليام شالر ، مذكرات وليام شالر ، ص : 323 .

ملحق رقم ( 9 )

## نص معاهدة بين اللورد اكسماوث و الداي [600]

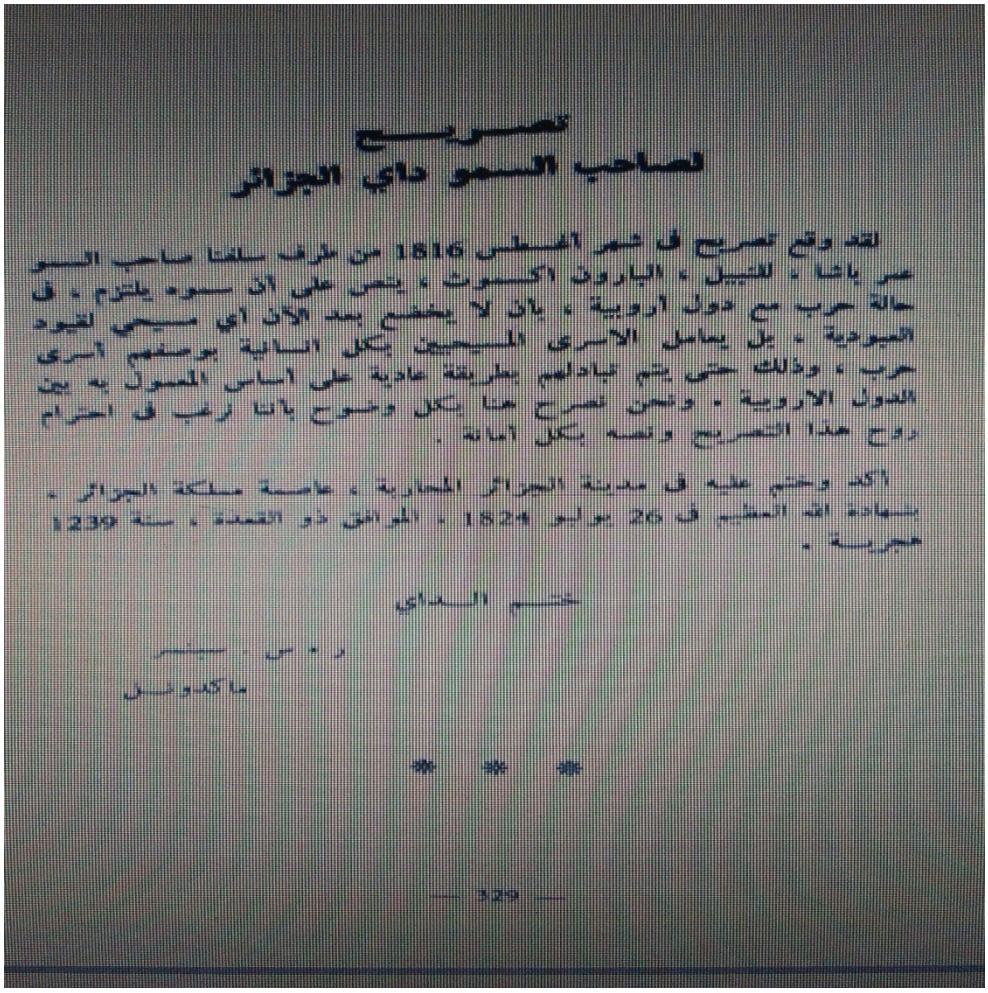

تصريح
لصاحب السمو داي الجزائر

لقد وقع تصريح في شهر افريل 1816 من طرف سلفنا صاحب السمو عمر باشا ، للنبيل ، البارون اكسموث ، ينص على أن سموه يلتزم ، في حالة حرب مع دول أوروبية ، بأن لا يخضع بعد الآن أي مسيحي لقيود العبودية ، بل يعامل الأسرى المسيحيين بكل انسانية بوصفهم أسرى حرب ، وذلك حتى يتم تبادلهم بطريقة عادية على أساس المعمول به بين الدول الاوروبية . ونحن نصرح هنا بكل وضوح بأننا نرغب في احترام روح هذا التصريح ونصه بكل أمانة .

أكد وختم عليه في مدينة الجزائر المحاربة ، عاصمة مملكة الجزائر ، بسعادة الله العظيم في 26 يوليو 1824 ، الموافق ذو القعدة ، سنة 1239 هجرية .

ختم الداي

ر . س
ماكدونل

* * *

— 329 —

---

([600]) وليام شالر ، مذكرات وليام شالر ، ص : 329.

## فهرس المصادر و المراجع:

**القرأن الكريم :** برواية ورش عن نافع.

**أ. المصادر :**


1. ابن المفتي حسين بن رجب شاوش ،تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر و علمائها،جمع و اعتناء :فارس كعوان،ط:1، بيت الحكمة،الجزائر ،2008
2. ابن حوقل أبي القاسم ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1972 م.
3. ابن خلدون عبد الرحمان ، المقدمة ، ج1 ، مر : سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 2001 م.
4. ابن سحنون أحمد بن علي الراشدي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تح : المهدي بو عبدلي ، الجزائر ، 1983 م.
5. آصاف حمزة عزتلو يوسف بك ، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الان ، تق : محمد زينهم محمد عزب ، ط : 1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1995 م.

6. الأفراني محمد الصغير بن الحاج ، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، تح : هوداس ،مطبعة أرنست لوروا ، باريس ،1889 .

7. بن أبي الضياف أحمد ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، ج2 ، لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار ، المكتبة التاريخية ، تونس ، 1963 م.

8. بن الوردي سراج الدين أبي حفص عمر ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب الجامع لما هو لطرف الدهر حور ولجيد الزمان.

9. بن عمر عماد الدين إسماعيل بن محمد المعروف بأبي الفداء صاحب حماه ، تقويم البلدان ، تص : رينود . ماك كوكسن ديسلان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1815 م .

10. التلمساني محمد بن رقية ، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة ، منشور ضمن مجلة التاريخ وحضارة المغرب ، 1967 م.

11. الجزائري محمد بن ميمون ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تق : محمد بن عبد الكريم ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 م.

12. حليم إبراهيم بك ، تاريخ الدولة العثمانية العلية المعروف بكتاب ( التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ) ، ط : 1 ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، 1988 م.

13. الحميري أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ، صفة جزيرة الأندلس ، منتخبة من كتاب الروض المعطار في أخبار الأقطار ، تع : ليفي بروفنسال ، ط2 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1988 م.

14. خوجة حسين ، ذيل بشائر أهل الإيمان بمقطوفات آل عثمان ، تر : طاهر العموري ، الدار العربية للكتاب.

15. خوجة حمدان بن عثمان ، المرآة ، تقديم وتعريب وتحقيق : محمد العربي الزبيري ، منشورات anep ، الجزائر ، 2005.

16. الراشدي ابن سحنون أحمد بن علي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تح : المهدي بو عبدلي ، الجزائر ، 1983 م.

17. الرباطي أحمد بن محمد بن عبد السلام ،تاريخ الضعيف الرباطي ، تح: محمد البوزيدي ،ج1 ، ط : 2، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء ،2007.

18. الزهري ابي عبد الله محمد بن ابي بكر ، الجغرافية وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة ومافي كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوي على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراسخ ، تر : محمد حاج صادق ، مطبعة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، مصر .

19. السليماني أبو عبد الله الأعرج ، تاريخ الجزائر من قيام الدولة الفاطمية ونهاية ثورة الأمير عبدالقادر نقلا عن كتاب الشماريخ ، تح : حساني مختار ، المكتبة الوطنية.

20. شالر وليام ، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر ( 1816 _ 1824 ) ، تع :اسماعيل العربي ، سلسلة الدراسات الكبرى ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980 م.

21. العنتري محمد صالح ، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها ( تاريخ قسنطينة ) ، تع : يحي بوعزيز ، دار هومة الجزائر ، 2007.

22. كاثكارت جيمس لندر ، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا بالمغرب ، تر: إسماعيل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982.

23. لويس أرشيبالد . ر ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ( 500 ه / 1100 م ) ، تح : أحمد محمد عيسى ، مر : محمد شفيق غربال ، مؤسسة فرانكلين للطباعة ، القاهرة .

24. مجهول ، مذكرات خير الدين بربروس ، تر: محمد دراج ، ط:1 ، شركة الاصالة للنشر ، الجزائر ، 2010.

25. المزاري بن عودة ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر ، تح : يحي بوعزيز ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1990 م.

26. المشرفي عبد القادر ، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر ، تق : محمد بن عبد الكريم ، مكتبة الحياة ، بيروت.

27. المغربي أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، تر : اسماعيل العربي ، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982م.

28. الناصري أبو الراس الجزائري ، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار،تح:بوركبة محمد ،ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ،2012.

29. الناصري أبي العباس أحمد بن خالد ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ،تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج6، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955 .

30. النصيبي ابن حوقل ابي القاسم ، صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1992.

31. الوجار محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الأفراني النجار المراكشي ، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، تح : هوداس ، مطبعة آنجي ، 1988 م.

32. الوزان حسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الافريقي ، وصف إفريقيا ، تر:محمد حجي، محمد الاخضر،ج2 ،ط:2 ،دار الغرب الاسلامي، بيروت ، لبنان،1983.

**ب.المراجع**

1. أباظة فاروق عثمان ، أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر و عالم البحر المتوسط أثناء القرن 16، دار المعارف، ط2، القاهرة.

2. أبو عيانة فتحي أحمد ، الجغرافيا الاقتصادية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1984 م.

3. التازي عبد الهادي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم.

4. ألتر عزيز سامح ، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا ،تر: محمود علي عامر، ط:1،دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان،1989.

5. آيدين محمد عاكف ، كمال بكديلي وآخرون ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، مج 1 ( الدولة والمجتمع والاقتصاد ) ،ت: صالح سعداوي، تق : أكمل الدين إحسان أوغلي ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، إسطنبول ، 1929 م.

6. اينالجيك خليل ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ، ت: محمد . م. الأرناؤوط ، ط : 1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2002 م.

**7.** باربارو نيقولو ، الفتح الإسلامي للقسطنطينية ( يوميات الحصار العثماني سنة 1453 م ) ، ت : حاتم عبدالرحمان الطحاوي ، ط : 1 ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة .

**8.** بايات فاضل ، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني ( رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية ) ، ط : 1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2003 م.

**9.** براون جفري ، تاريخ أروبا الحديث ، تر: علي المزروقي ، ، الاهلية للنشر و التوزيع ، عمان.

**10.**بن أشنهو عبد الحميد بن أبي زيان ، دخول الأتراك العثمانين إلى الجزائر ، دط ، الجزائر ، 1972.

**11.** بنحادة عبد الرحيم ، العثمانيون ( المؤسسات والاقتصاد والثقافة ) ، تق : عبد الرحمان المودن ، ط : 1 ، دار النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 2008.

**12.**بوحوش عمار ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962 م ، ط :2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2005 م .

**13.**بوعزيز يحي ، الموجز في تاريخ الجزائر ( العصور الحديثة ) ، ج2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007 م.

**14.**بوعزيز يحي ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا ( 1500 _ 1830 م ) ويليه المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد ( 1780 _ 1798 ) ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009 م .

**15.**بيضون جميل و الناظور شحادة و عكاشة علي ، تاريخ العرب الحديث ، ط1 ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الأردن.

**16.**بيضون جميل و شحادة الناظور وعلي عكاشة ، تاريخ العرب الحديث ، ط1 ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الأردن.

**17.**جاويش سليمان بن خليل بن بطرس ، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية ، ط 1 ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1987 م .

**18.**الجمل شوقي عطا الله ، المغرب العربي الكبير ( تونس _ الجزائر _ المغرب ) ، ط : 1 ، المكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1977.

**19.**الجمل شوقي عطا الله و ابراهيم عبد الله عبد الرزاق ، أوروبا من عصر النهضة إلى الحرب الباردة ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، 2000م.

**20.**جود جودة حسين و هارون علي أحمد ، جغرافية الدول الإسلامية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1993 م.

**21.**الجوهري يسرى ، جغرافية البحر المتوسط ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1984 م.

**22.**الجوهري يسرى عبد الرزاق ، الكشوف الجغرافية ( دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية ولتطور الفكر الجغرافي ) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1984 م.

**23.**الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام ،ج 3 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2010 .

**24.**الجيلالي عبد الرحمان بن محمد ، تاريخ الجزائر العام ، ج 4 ، دار الأمة ، الجزائر.

**25.**حركات إبراهيم ، المغرب عبر التاريخ ( عرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ماقبل الإسلام إلى العصر الحاضر من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية ) ج3 ، ط2 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1994 م.

**26.**حسن محمد إبراهيم ، دراسات في جغرافية أوروبا وحوض البحر المتوسط ، مركز الاسكندرية للكتاب ، القاهرة ، 1999 م.

**27.**حسين نمير طه ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ط : 1 ، دار الفكر ، المملكة الأردنية الهاشمية ، عمان ، 2010 .

**28.**الحليمي علي عبد القادر ، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830 م ، ط :1 ، المطبعة العربية ، دار الفكر الإسلامي ، الجزائر ، 1972 م .

**29.**حنفي هلايلي ، العلاقات الجزائرية الاروبية و نهاية الايالة ( 1815- 1830 ) ، ط1 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2007.

**30.**الحويري محمود محمد ، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى ، ط : 1 ، المكتب المصري للتوزيع ، القاهرة .

**31.**الخراشي سليمان بن صالح ، كيف سقطت الدولة العثمانية ، ط : 1 ، دار القسم ، الرياض السعودية ، 1420 ه .

**32.**الدغيم محمود السيد ، أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية ( الحضارة الإسلامية وعالم البحار ) ، منشورات إتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، 1994 م .

**33.**دوكريه فرانسوا ، قرطاجة الحضارة والتاريخ ، تر : يوسف شلب الشام ، مكتبة الأسد ، دار طلاس ، دمشق ، 1994 م.

**34.**راي أروين ، تاريخ العلاقات الدبلوماسية الأمريكية المغربية ، تر : اسماعيل العربي، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.

**35.**رفعت بك محمد ، التيارات السياسية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ملتزمة الطبع للنشر ، لجنة البيان العربي .

**36.**رمضان عبد العظيم ، تاريخ أوروبا و العالم الحديث من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة ،ج 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

**37.**ريمون أندريه ، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني ، تر : لطيف فرج ، ط : 1 ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1991 م.

**38.**الزبيري محمد العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابين ( 1792 – 1830 ) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1972 م.

**39.**الزوكة محمد خميس ، قارات العالم القديم ( دراسة في الجغرافيا الإقليمية ) ، ط1 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2008 م.

**40.** سبنسر وليام ، الجزائر في عهد رياس البحر، تع و تق : عبد القادر زبادية ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ، 1980.

**41.**سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ( 1500 – 1830 ) ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1998 م .

**42.**سعد الله أبو القاسم ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ( بداية الإحتلال ) ، ط3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 م.

**43.**سعد الله أبو قاسم ، أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر ،ج1، دار البصائر ، الجزائر ، 2007

**44.**سعيدوني ناصر الدين ، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية ( الجزائر تونس طرابلس المغرب ) ، ط2 ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013

**45.**سعيدوني ناصر الدين ، ورقات جزائرية ( دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ) ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2000 م.

**46.**الشريف محمد الهادي ، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال تع : محمد شاوش ، محمد عجينة ، ط3 ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993 م.

**47.**شريف محمد شريف ، جغرافية البحار والمحيطات ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1964 م.

**48.**شوفالييه كورين ، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر ( 1510 _ 1541 م ) ، تر : جمال حمادنة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007 م.

**49.**صبري محمد ، تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلي اليوم ، ط1 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1926 م.

**50.**الصلابي علي محمد محمد ، الدولة العثمانية ( عوامل النهوظ وأسباب السقوط ) ، ط : 1 ، دار التوزيع النشر الإسلامية ، مصر ، 2001 م.

**51.**طقوش سهيل محمد ، العثمانيون من قيام الدولة إلى الخلافة ( 1299 _ 1924 م ) ، ط1 ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، 1915.

**52.**عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي ( 1517 _ 1830 م ) ، ط 2 ، دار هومة ، الجزائر ، 2007 م.

**53.**عبد العزيز زينب ، مائتا عام على حملة المنافقين الفرنسين ، كومبيوتر ستار ، مصر ، 1988 م .

**54.**عبد القادر نور الدين ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر منذ أقدم العصور إلى إنتهاء العهد التركي ، نشر كلية الأدب الجزائرية ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1985 م.

**55.**عبده طلعت أحمد محمد ، جاد الله حوري محمد حسين ، جغرافية البحار والمحيطات ، ط2 ، دار المعرفة الجامعية .

**56.**عزت أحمد عبد الكريم ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت

**57.**العسيلي بسام ،خير الدين بربروس و الجهاد في البحر، ط:1، دار النفائس ،بيروت،1980.

**58.**عطا زبيدة ، بلاد الترك في العصور الوسطى ( بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون ) ، دار الفكر العربي ، الكويت .

**59.**عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ اروبا الحديث ومعاصر1815-1919 ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ،2000.

**60.**عمورة عمار ، موجز في تاريخ الجزائر ، ط1 ، دار الريحانة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2002 م.

**61.**العيسوي فايز محمد ، الجغرافيا السياسية المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2011 م.

**62.**غطاس عائشة وآخرون ، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 م ، سلسلة المشاريع الوطنية ، الجزائر ، 2007 م.

**63.**غلاب محمد السيد ، الساحل الفينيقي في الجغرافيا والتاريخ ، ط1 ، دار العلم للملاين ، بيروت ، لبنان ، 1969 م.

**64.**فريجريف جيمس ، الجغرافيا والسيادة العالمية ، تع : علي رفاعة الأنصاري ، مر : محمد عبد المنعم الشرقاوي ، مكتبة النهضة المصرية ، 1956 م .

**65.**فكاير عبد القادر ،الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية و أثاره (910-1206ه /1505-1792م )، دار هومه ، الجزائر ، 2012م .

**66.**الفليج أحمد عبدالله ، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية ، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر ، الكويت ، 1984 م.

**67.**الفندي جمال ، الجغرافيا عند المسلمين ، تر : إبراهيم خورشيد و عبد الحميد يونس وحسن عثمان ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 م.

**68.**الفيلالي عبد الكريم ، التاريخ السياسي المغرب العربي الكبير ،ج4 ، ط: 1، شركة الناس للطباعة،القاهرة ،2006 .

**69.**الفيلالي عبد الكريم ، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير ، ج5 ، ط1 ، شركة فاس للطباعة ، القاهرة ، 2006 م .

**70.**قايد عمر ، محاضرات في تاريخ الجزائر المعاصر ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، 2014 / 2015 م .

**71.**قنان جمال ، معاهدات الجزائر مع فرنسا ( 1619 _ 1830 ) ، دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2010 .

**72.**قنان جمال ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث ( 1500 – 1830 م ) ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، 2010 م.

**73.**القوزي محمد علي ، العلاقات الدولية في التاريخ الحديث و المعاصر ، دار النهضة الحديثة ، ط1 ، 2002 ، بيروت.

**74.**الكعاك عثمان ، موجز التاريخ العام للجزائر ، ( من العصر الحجري إلى الإحتلال الفرنسي ) ، تق و مر : أبو القاسم سعد الله ، ناصر الدين سعيدوني ، محمد البشير الشنيتي ، إبراهيم بحاز ، ط 1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 2003 م.

**75.**لويس برنارد ، اسطنبول وحضارة الخلافة الإسلامية ، تع : سيد رضوان علي ، ط : 2 ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، السعودية ، 1982 م .

**76.**مانتران روبير ، الدولة العثمانية ، تر : بشير السباعي ، ج : 1 ، ط : 1 ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1993 م.

**77.**ماهر ساعد ، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، الجيزة ، مصر ، 1967 م .

**78.**المحامي محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العثمانية العلية ، تح : إحسان حقي ، ط : 1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1981 م.

**79.**محمد امين محمد و الرحماني محمد علي ، المفيد في تاريخ المغرب ، دار الكتاب.

**80.**محمود علي عامر ومحمد خير فارس ، تاريخ المغرب العربي الحديث « المغرب الأقصى - ليبية » ، حقوق التأليف منشورات لجامعة دمشق، 1999.

**81.**المدني أحمد التوفيق ، هذه هي الجزائر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 2002 م.

**82.**المدني أحمد توفيق ، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر و إسبانيا ،ط :1، دار البصائر ،الجزائر

**83.**مصطفى أحمد عبد الرحيم ، أصول التاريخ العثماني ، ط : 1 ، دار الشروق ، مصر ، 1982 م.

**84.** الميلي مبارك بن محمد الهلالي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج 3 ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر.

**85.**نآيت بلقاسم مولود قاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830 م ، ج2 ، ط2 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2007 م.

**86.**نصار مدوح و وهبان احمد ، التاريخ الدبلوماسي العلاقات السياسية بين القوى الكبرى.

**87.**نوار عبدالعزيز سليمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة.

**88.**الترمانيني عبد السلام ، أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين ،ج 4،ط : 1 ،1997.

**89.**هاشم هشام سوادي ، تاريخ العرب الحديث ( 1516 _ 1918 م ) من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ط 1 ، دار الفكر المملكة الأردنية ، عمان ، 2010 م.

**90.**هريدي محمد عبد اللطيف ، الحروب العثمانية الفارسية و أثرها في انحصار المد الإسلامي عن أوروبا ، ط : 1 ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1987 م.

**91.**هلال عمار ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصر ( 1830 – 1966 م ) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995 م

**92.**الوذيناني خلف بن ديلان بن خضر ، الفتح العثماني لجزيرة رودس ( 929 ه _ 1523 م ) ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، السعودية ، 1997 م

**93.**وولف ب. جون ، الجزائر وأوروبا ( 1500 – 1830 م ) ، تر : أبو القاسم سعد الله ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009 م

**94.**الياغي إسماعيل أحمد ، العالم العربي في التاريخ الحديث ، ط : 1 ، المكتبة العربية ، الرياض ، 1997 م

**95.**الياغي اسماعيل أحمد و شاعر محمود ، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ( قارة إفريقيا ) ، ج2 ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، 1993 م.

**96.**يحي جلال ، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، 1983م.

**ج . الرسائل و الأطروحات :**

**1.** برد رتيبة ، الحوار المتوسطي من برشلونة إلى منتدى 5+5 ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، جامعة الجزائر ، 2009 / 2010 م .

2. بن خروف عمار ، العلاقات بين الجزائر والمغرب ( 923 _ 1069 ه / 1517 _ 1659 م ) ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق ، 1983 م.
3. بن سعيدان محمد ، علاقات الجزائر مع فرنسا ( 1070 _ 1170 ه / 1659 _ 1756 م ) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2011 م / 2012 .
4. التميمي عبد الجليل ، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519 م ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 6 ، تونس ، جويلية 1976 م.
5. حصام صورية ،العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة وهران ، 2012 – 2013 م
6. حمزة فائقة محمد ، أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 1989 م.
7. خرنف مبروكة ، العلاقات التونسية الفرنسية سياسيا – تجاريا خلال القرن 17 ( 1605 – 1705 م) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2011 – 2012 م.
8. دهان بركاهم ، دور القناصل الفلرنسين في العلاقات الجزائرية الفرنسية ( 1689 م _ 1789 م ) ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2012 م.

**9.** صغيري سفيان ، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر ( 1671 – 1830 م ) ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة 2011 / 2012 م.

**10.** العايب كوثر ، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات ( 1711 – 1830 ) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الوادي ، 2013 – 2014 م.

**11.** عطلى محمد الأمين ، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 11 ، 2012 .

**12.** مريخي رشيد ، الجزائر في عهد الداي مصطفى باشا ( 1212 – 1220 ه / 1798 – 1805 م ) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، 2010 – 2011 م.

**13.** نواصر عبد الرحمان ، مسألة الديون الجزائرية على فرنسا وانعكساتها على العلاقات البلدين في أواخر عهد الدايات ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2010 – 2011 م.

**د. الموسوعات :**

**1.** الجميعي عبد المنعم إبراهيم ، الدولة العثمانية والمغرب ، موسوعة الثقافة التاريخية و الأثرية والحضارية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2006 م.

**2.** الزيدي مفيد ، موسوعة التاريخ الإسلامي " العصر العثماني " ( 1516 م _ 1916 م ) ، دار أسامة للنشر ، عمان ، 2003 م.

3. عيد عاطف ، قصة وتاريخ الحضارات العربية ( أول موسوعة حديثة تعالج نشأة البلدان العربية وأحداثها حتى أيامنا هذه ) ج 21 – 22 ، 1998 - 1999 م.

4. ش . بدران ، أطلس دول العالم الكبير ،بيروت ،لبنان ،1999.

**ه. المجلات :**

1. بن القايد عمر ، أضواء على علاقة الجزائر بالمغرب الأقصى ، مجلة الواحة للبحوث و الدراسات ، جامعة غرداية ، العدد17، 2012.

2. بوشنافي محمد ، الداي حسين و سقوط الايالة الجزائرية ( 1818-1830 )، مجلة العصور ، العدد 6-7.

3. جبور محمد ، البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني ، مجلة العصور ، العدد 12-15-14/13،جامعة وهران ، 2008 -2009.

4. زهرة زكية ، الاميرال سدناي سميث و التحالف الاروبي المسيحي ضد الجزائر عام 1814م ، مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة الجزائر، 2، العدد 15 – 16 ،2012 / 2013م.

5. العربي اسماعيل ،المعاهدات الجزائرية الأمريكية، مجلة الثقافة،الجزائر،السنة السابعة العدد40،اوت –سبتمبر1977.

**و. المراجع باللغة الاجنبية :**

- . Grammont (H.D) :Histoire d’Alger sous la domination turque (1515-1830), Ernest Leroux ,paris, 1887.

- Devoulx (A): Tachrifat , Recueil d notes histiorique sur l'administration de l' ancienne régence d'Alger , Alger, 1852.

- Don Diego de Haedo , topographie,et histoire générale d’alger , traduit a léspagnol par monnereau et berbrugger, 1870.

-Ferdinand Broudel , - la mediterané et le mond méditeranien a l’époyue de phlipe tom : 02 , paris , 1976.

- Jean alengry,les relations franco-espagnoles et l 'affaire du maroc,la vie universitaire,paris.

# فهرس

**مقدمة** ..... **( أ – ز)**

**فصل تمهيدي :** الأهمية التاريخية والحضارية والاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط (10-25**)**

الأهمية التاريخية والحضارية للبحر الأبيض المتوسط ..... 16
الأهمية الاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط ..... 21

**الفصل الأول :** الأتراك العثمانيون و البحر الأبيض المتوسط ..... ( 27 – 71)

**المبحث الأول :** الدولة العثمانية كقوة ناشئة في البحر المتوسط ..... 27

**المبحث الثاني :** الإخـــــــوة بربروس
..... 42

العثمانيون في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ..... 49

**المبحث الثالث :** التحاق الجزائر بالخلافة العثمانية ..... 52

1. الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية ..... 55
2. الاستنجاد بالأخوين بربروس وإعلان التبعية للخلافة العثمانية ..... 61
3. رسالة الأهالي إلى السلطان سليم الأول وإعلان التبعية ..... 67

**الفصل الثاني :** العلاقات الخارجية لايالة الجزائـــــــــــــر ..... ( 73 – 124 )

**المبحث الأول :** العلاقات الجزائرية الفرنسية ..... 75

1. مظاهر تأزم العلاقات الجزائرية الفرنسية ..... 82

2. الحملات الفرنسية ضد الجزائر ..... 82
**أ.** حملة دي بوفورت على جيجل ( 1074 ه / 1664 م ) ..... 82
**ب.** حملة دوكين الأولى والثانية ..... 86
**ج.** حملة الماريشال ديستري " رجب 1100 ه / 26 جويلية 1688 " م ..... 89

**المبحث الثاني :** العلاقات الجزائرية الإنجليزية ..... 91
**المبحث الثالث :** العلاقات الجزائرية الأمريكية ..... 100
**المبحث الرابع :** العلاقات الجزائرية المغاربية ..... 108
**أ.** مع تونس : إنظمام تونس للخلافة العثمانية ..... 108
**ب.** العلاقات السياسية بين إيالتي الجزائر وتونس ..... 111
**ج.** مع المغرب ..... 117

**الفصل الثالث** تداعيات وانعكاسات الصراع السياسي والعسكري على الجزائر ( 126 – 171 )

**المبحث الأول :** ظهور الفتن والأزمات الداخلية ..... 126
**1.** ثورة ابن الأحرش في شرق البلاد ..... 126

**2.** ثورة درقاوة في الغرب الجزائري ..... 132

**المبحث الثاني :** المؤتمرات الأوروبية والقضية الجزائرية ..... 137

**1.** مؤتمر فيينا ..... 137

**أ.** مسار المؤتمر ..... 141

**ب.**تقييم المؤتمر ..... 142

**2.** مؤتمر اكس لاشابيل ..... 143

**3.** مؤتمر تروباو ..... 145

**المبحث الثالث :** الحملات الأوروبية على الجزائر مطلع القرن 19 م وانعكساتها ..... 149

- حملة اللورد اكسماوث ..... 149

**المبحث الرابع :** الحصار الفرنسي والحملة على الجزائر ( 1827 – 1830 م ) ..... 157

- فرض الحصار ..... 162
- الحملة الفرنسية على الجزائر ..... 164

**خاتمة** ..... 172

**ملاحق**

صورة للأخوين عروج و خير الدين بربروس .....
178
مدينة الجزائر في القرن 16 ميلادي .....
179
الرئيس الأمريكي جورج واشنطن .....
180
رسالة مفاوضات بين الولايات الأمريكية و داي الجزائر .....
181
معاهدة سلم و صداق بين الولايات الامريكية و الجزائر .....
182
اللورد إيكسماوث .....
183
نص معاهدة الهدنة بين اللورد اكسماوث الانجليزي و الداي عمر باشا .....
184
بروتوكول إيكس لاشابيل .....
185
نص معاهدة بين اللورد اكسماوث و الداي .....
186
قائمة المصادر والمراجع
**188**.....
الفهرسة العامة
207.....

**الجمهوريـــــــة الجزائريـــــــــة الديمقراطيـــــــة الشعبيـــــة**

**وزارة التعليم العالي والبحث العلمي**

**جـــــــــــامعة ابـــــن خـــلدون – تيـــــــــارت –**

**كليـــــة العلـــوم الإنسانيـــــــة والعلـــــــوم الإجتماعيـــة**

**قسم التاريخ**

# الصراع السياسي والعسكري في البحر الأبيض المتوسط بين الجزائر والقوى الأوروبية خلال القرنين ( 17 – 18 م )

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

**إعداد الطالبين :**

ربوح حكيمة

بوعمرة لجيلالي **إشراف الأستاذ :** بكاري عبد

القا

**اللجنة المناقشة**

**أ / بن حادة مصطفى..... قسم العلوم الإنسانية ..... رئيسا**

**أ / بكاري عبد القادر.....قسم العلوم الإنسانية .....مشرفا ومقررا**

**أ / بو سلامة محمد .....قسم العلوم الإنسانية .....مناقشا**

**2016 – 2017 م / 1437 – 1438 هـ**

# إهداء

**بســـــــــــــــم الله الرحمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــان**

**الرحيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــم**

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه سبحانك لا نحصي الثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، فلا حصرا لنعمتك ،ولا حدود لفضلك، الحمد لله الذي أنار لنا دروب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب.

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقهما

إلى من لا يمكن للأرقام أن تحصي فضائلهما

إلى **والدي العزيزين** أطال الله بقاءهما، وألبسهما ثوب الصحة والعافية، ومتعني ببرهما ورد جميلهما.

إلى كل الأصدقاء والأحباب من دون استثناء ... إلى كل من سقط من قلمي سهوا ... أهدي هذا العمل .

**بوعمرة جيلالي**

# إهداء

**بســـــــــــــــــم الله الرحمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــان**

**الرحيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــم**

**(( قُل إِعمَلوا فَسَيَرَى الله عَمَلَكُمْ وَرَسُوله وَالمؤُمنون ))**

إلاهي... لايطيب الليل إلا بشكرك... ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ... ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ... ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ... ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك

**" لله جلى وعلى "**

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ... إلى نبي الرحمة ونور العالمين

**" سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم "**

إلى التي رسمت بحنانها طريقي ولا تزال ... وكللت بدعائها سماء حياتي ولا تزال إلى الدرة الكامنة في قلبي **" أمـــــي "**

إلى الذي سعى في تربيتي جاهدا صابرا في كسب العيش ، حتى يمكنني من التفرغ للطلب العلم إلى **" روح أبي الطاهر "**

إلى كل الأصدقاء والأحباب من دون استثناء ... إلى أساتذتي الكرام وكل رفقاء الدراسة ... إلى كل من سقط من قلمي سهوا ... أهدي هذا العمل .

**ربوح حكيمة**

# شكر وتقدير

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة ، وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى انجاز هذا العمل

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على انجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهناه من صعوبات ، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف **" بكاري عبد القادر "** الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام هذا البحث

وشكر موصول إلى أعضاء اللجنة المناقشة التي تحملت عناء قراءة هذا البحث بطول بال وجميل صبر ...

الأستاذ : **بن صحراوي كمال**

الأستاذ : **بن خدة مصطفى**

كما نتقدم بالشكر إلى عمال مكتبة جامعة ابن خلدون _ تيارت _ على المساعدة التي قدموها لنا طيلة مشوار انجاز هذا البحث.

وفي الأخير أرجو من الله تعالى أن يجعل عملنا هذا نفعا يستفيد منه جميع الطلبة المقبلين على التخرج .

# مقدمة

**التعريف بالموضوع و أهميته :**

كان للتواجد العثماني في الجزائر دورا هاما في بروز معالم الحيز الجغرافي للدولة الجزائرية الحديثة التي ظهرت بتنظيم جديد أكثر قوة و فاعلية ، أين تحكمت في ظهورها عديد العوامل السياسية و الدينية الناجمة عن الرغبة الشديدة في توحيد العالم الإسلامي .و إحياء مجد الخلافة الإسلامية ،و حماية جناح مهم من أجنحة هذه الأمة و هي بلاد المغرب الإسلامي المهددة بالتنصير القسري مثلما حدث ببلاد الأندلس ،فكان للالتحاق بالخلافة العثمانية عام 1518م إيذانا على ميلاد دولة كان لها شأن عظيم في الحوض الغربي من البحر المتوسط ، و اكتسبت من الهيبة و السيادة ما أهلها لأن تحتل مكانة عالمية مرموقة .

بعد استكمال الدولة الجزائرية بناءها المؤسساتي كدولة كاملة السيادة و تحقيق الوحدة السياسية و الإقليمية ، بدأ دورها الحضاري في البروز كقوة فاعلة في البحر المتوسط ،ساعدها في ذلك قوة أسطولها البحري الذي شكل أهم مظاهر سيادتها ،ما أدى بالدول الأوروبية إلى الإسراع في إقامة علاقات دبلوماسية و تجارية مع الجزائر، و دفع ضرائب و هدايا معتبرة مقابل حماية مصالحها و سفنها التجارية من خطر القرصنة التي استفحل نشاطها بالبحر ،إلا أن هذا التفوق العسكري البحري للايالة جعلها مستهدفة من طرف القوى الأوروبية، أين ناصبت لها العداء و عملت دون هوادة من أجل كسر شوكتها و تقليص دورها و مكانتها بالبحر ، و في هذا السياق بالتحديد تندرج دراستنا الموسومة ب: « الصراع السياسي و العسكري بين الجزائر و الدول الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط خلال القرنين 17 و 18م » .

من أجل تسليط الضوء على هته الفترة الحساسة من تاريخ الجزائر الحديث و تحسس مدى الخطورة التي كانت فيها الجزائر وسط دول تسعى كلها من أجل التسيد و الهيمنة ،

و كمحاولة منا أيضا لفهم حيثيات هذا الصراع و كذا معرفة الأطراف الفاعلة فيه ،و مدى إسهامها في صياغة أحداثه و كيف تمكنت في نهاية المطاف من الإطاحة بدولة عمرت قرابة ثلاث قرون من الزمن.

**الهدف من البحث :**

- أن موضوع الصراع السياسي و العسكري مقترن بمكانة و هيبة الدولة الجزائرية ،لذلك دفعتنا الرغبة على أن نطلع على عوامل اكتساب هذه المكانة و كذا عوامل فقدانها.
- أن موضوع الصراع السياسي و العسكري بين الجزائر و الدول الاوروبية مقترن أيضا و بشكل وثيق بما حل بالجزائر ، و نعني بذلك الاحتلال الفرنسي عام 1830م.

كان الهدف من وراء هذه الدراسة هو الخوض في غمار هذا الصراع السياسي و العسكري ،و معرفة حيثياته و وقائعه و تطوراته و انعكاساته ،و ذلك لفهم مسار العلاقات الدولية في تلك الحقبة ،و كذا معرفة المعطيات التي قلبت موازين القوى و جعلت من أوروبا سيدة القرار.

**الإطار الزماني و المكاني للموضوع :**

يعالج الموضوع الصراع السياسي و العسكري بين الجزائر و الدول الأوروبية في البحر المتوسط خلال القرنين 17 و 18 م. و هي من أهم الفترات التاريخية في عمر الدولة الجزائرية .أما الإطار المكاني فهو الجزائر بالضفة الجنوبية للبحر المتوسط في مقابل أوروبا في الضفة الشمالية منه ،و قادنا هذا الموضوع لأن نطرح الإشكال التالي :

**فيما تمثلت دوافع الصراع السياسي و العسكري بين إيالة الجزائر و القوى الأوروبية ؟** و للإجابة على هذه الإشكالية قمنا بطرح مجموعة من التساؤلات الفرعية التي عالجناها في

كل فصل من فصول هذه الدراسة المتواضعة و هي كالتالي : **فيما تكمن الأهمية الجيو سياسية و الاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط ؟ و ما هي الركائز التي استندت عليها الدولة العثمانية لتظهر كقوة فاعلة في البحر الأبيض المتوسط ؟ و ما مدى إسهامات الإخوة بربروس في إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية ؟ و بما اتسمت العلاقات الجزائر الخارجية ؟ هل كان للصراع السياسي و العسكري للجزائر تدعيات على المستوى الداخلي والدولي ؟ و ما هي الدوافع الحقيقية لإنشاء تحالفات و عقد مؤتمرات أروبية ( فينا - اكس لاشابيل ) ؟ و هل أثرت قرارات هذه المؤتمرات على مستقبل الدولة الجزائرية ؟ و هل مثلت الحملة الفرنسية على الجزائر أخر فصول هذا الصراع ؟.**

**منهج البحث :**

و قد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي الوصفي ، الضروري لسرد الأحداث وفق تسلسلها الزماني و المكاني ، و الوقوف على جوانب هذا الصراع و تداعياته ،و كذا المنهج التحليلي في بعض الأحيان في الوقوف عند بعض الأحداث .

أما فيما يخص الدراسات السابقة في الموضوع فنقول ، أن الموضوع قد تعرضت له عديد المراجع و المصادر التي قدمت دراسة وافية عن عدة جوانب منه . مثل مخطوط الزهرة النائرة لابن رقية التلمساني ، و كذا تحفة الزائر لمحمد بن عبد القادر الجزائري ، و التحفة المرضية لابن ميمون ، و مذكرات الشريف الزهار ،و وليام شالر ، أما المراجع فعديدة أهمها كتب يحي بوعزيز تاريخ الجزائر الحديث .و كتاب علاقات الخارجية للجزائر مع دول و ممالك أوروبا .

أما الرسائل الجامعية فنذكر على سبيل المثال : مذكرة محمد بن سعيدان بعنوان علاقات الجزائر مع فرنسا ،و التي تحدث فيها عن جانب من جوانب الموضوع خاصة فيما يتعلق

بالحملات الفرنسية على الجزائر، ومذكرة الأستاذ رشيد مريخي بعنوان الجزائر في عهد الداي مصطفي باشا، أين خصص فصلا مرتبطا بالموضوع و هو السياسة الخارجية في عهد الداي مصطفى باشا.

و للإلمام بالموضوع اتبعنا الخطة التالية التي تضمنت مقدمة و فصل تمهيدي و ثلاث فصول رئيسية متبوعة ببعض الملاحق ثم خاتمة نهائية تضمنت مجموعة من الاستنتاجات المقتبسة من العمل المقدم و قد كانت الخطة بالشكل التالي :

**الفصل التمهيدي** :كان عبارة عن مدخل للموضوع و يتحدث عن الأهمية الجغرافية و التاريخية و الحضارية و الاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط ثم الفصل الأول ، و الذي يعالج في مضمونه العام : الدولة العثمانية و البحر الأبيض المتوسط ، و قد احتوى على ثلاثة مباحث تطرقنا في المبحث الأول بنشأة الدولة العثمانية كقوة فاعلة بالبحر المتوسط .أما المبحث الثاني تناولنا فيه ظهور الأخوة بربروس .و جاء المبحث الثالث ليتحدث عن التحاق الجزائر بالخلافة العثمانية .

**الفصل الثاني** فكان بعنوان العلاقات الخارجية و الصراعات الإقليمية للجزائر خلال القرنين 17 و18 و تضمن أربع مباحث عالجت أهم المسائل السياسية و الصراعات العسكرية بين الجزائر و الدول الأوروبية من جهة و الجزائر و الدول المغاربية من جهة أخرى .فتحدث المبحث الأول عن العلاقات الجزائرية الفرنسية و المبحث الثاني عن العلاقات الجزائرية البريطانية ،و المبحث الثالث عن العلاقات الجزائرية الأمريكية ، أما المبحث الرابع و الأخير عن الصراع الجزائري المغاربي مع تونس و المغرب الأقصى .أما الفصل الأخير فكان بعنوان تداعيات الصراع السياسي و العسكري على الجزائر و الذي اندرج ضمنه أربع مباحث ، المبحث الأول تحت عنوان الاضطرابات السياسية و الازمات الداخلية ،و الذي يتطرق إلى الأوضاع السياسية الداخلية و نشوب تمردات ضد

السلطة كثورة درقاوة و ابن الأحرش ، و المبحث الثاني بعنوان الجزائر في المؤتمرات الاروبية (فينا –اكس لاشابيل) ثم المبحث الثالث و المتضمن أهم الحملات الناجمة عن هذين المؤتمرين إلى غاية الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830م و في النهاية ختمنا بحثنا بخاتمة تضمنت عدة استنتاجات و التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة.

**نقد المصادر و المراجع :**

**المؤلفات المخطوطة :**

- مخطوط الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغار عليها جنود الكفرة، لمحمد بن عبد الرحمان بن رقية الجديري التلمساني الذي عاش في القرن الثامن عشر ميلادي ،و هو يتناول المغرب الاوسط منذ ظهور الإخوة بربروس إلى غاية انتصار الجزائر على قوات التحالف الأروبي 1541م، نشره سليم بابا عمر في مجلة تاريخ و حضارة المغرب العدد الثالث سنة 1967م ـــ.أفادنا في ذكر الحملات التي شنها الأوروبيون على مدينة الجزائر.

مخطوط رحلة الشيخ سيدي عبد الرحمان التنلاني لسيدي عبد الرحمان بن إدريس بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني ، و هو من أبرز علماء الإقليم التواتي خلال القرن الثاني عشر الهجري . ولد سنة 1181 هـــ و توفي 1233ه و هذا المخطوط من أقدم وأندر مخطوطة في موضوع الحملة الإنجلزية الهولندية على مدينة الجزائر1231ه/1816م وأول شهادة عربية عينية حول الواقعة و هو المقال منشور للكاتب أحمد جعفري في مجلة " تراث" العدد 131 أغسطس 2010 .و الذي أفادنا في وصف الحملة الانجليزية الهولندية على مدينة الجزائر.

**مصادر عربية و معربة :**

- **مذكرات احمد شريف الزهار :** نقيب أشراف مدينة الجزائر ، الذي يعود تأليفه إلى القرن التاسع عشر ميلادي ، أفادني فيما يخص الحملات التي شنتها فرنسا على الجزائر خلال القرن الثامن عشر.

- **مجهول :** غزوات عروج و خير الدين و الذي صححها نور الدين عبد القادر ،فقد خصص هذا الكتاب لسرد أعمال الاخوة بربروس ،كما تطرق إلى الحملات العسكرية التي قام بها الاسبان على مدينة الجزائر في السنوات الأولى من إلتحاقها بالخلافة العثمانية.

- **مذكرات وليام شالر :** القنصل الأمريكي بالجزائر و الذي قام إسماعيل العربي بترجمته إلى العربية ،و الذي يضم شهادات و حقائق حية حول العلاقات الجزائرية الأوروبية ،و حول الحملات الاوروبية التي كانت من الفينة إلى أخرى .

- **مذكرات أسير الداي كاثكارت :** قنصل أمريكا في المغرب و الذي ترجمه اسماعيل العربي و يعود تأليفه إلى القرن الثامن عشر ميلادي ،و يشمل هذا الكتاب حياة و تجارب التي عاشها كاثكارت كما أفادنا في العلاقات الامريكية الجزائرية .

**مصادر أجنبية :**

- Fray Diego de Haedo: Topographie. et Histoire d'Alger ،la vie a Alger au xvi siècle ،trad et notes A .Berbrugger ،éd gronde Alger ،2004.

يعتبر هذا الكتاب في غاية الأهمية لهايدو الذي وقع أسيرا في مدينة الجزائر سنة 1578م إلى غاية 1581م و الذي أفادنا في في وصف الحملات الاسبانية على السواحل الجزائرية .

- De Grammont: Histoire d'Alger Sous La domination Turque1515 – 1830 ،paris،1887.

و الذي يتناول تاريخ الجزائر منذ مطلع القرن السادس عشر إلى غاية الاحتلال الفرنسي و الذي اعتمدنا عليه في عدة محطات أهمها التعرف على العلاقات الجزائرية الخارجية.

**المراجع العربية :**

كثيرة هي المراجع المعتمدة في هذه الدراسة و لعل أهمها:

- **عزيز سامح التر** : الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا ،و الذي عربه محمود علي عامر أفادنا بشكل كبير لأنه يؤرخ للتواجد العثماني و يركز كثيرا عن الجزائر، و أوضاعها السياسية و علاقاتها الخارجية .
- **عائشة غطاس** : الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها و الذي أفادنا في معرفة نشأت الدولة الجزائرية الحديثة و الغرات الاسبانية التي تعرضت لها .
- **يحي بوعزيز** ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول و مماليك أروبا و يتحدث بشكل مباشر عن علاقات الجزائر بالدول الأورو متوسطية و غيرها من الحملات العسكرية الأروبية ضد مدينة الجزائر.
- **مولود قاسم نايت بلقاسم** : شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل 1830م و الذي أفادنا في معرفة العلاقات الجزائرية الخارجية خاصة البريطانية و التكتلات الأوروبية ضدها .

- **صعوبات البحث :**

لا يكاد أي عمل يخلو من وجود صعوبات تعترضه و لعل أهم الصعوبات التي إعترضتنا هي:

- كثرة المادة العلمية و صعوبة التحكم بها
- ضيق الوقت للإحاطة الكافية بالموضوع.

# فصل تمهيدي

تعد البحار إحدى أهم المظاهر التضاريسية المشكلة لسطح الأرض ، فعلى ضفافها ظهرت أعظم الحضارات ونمت أرقى المدنيات ، وتطلع الإنسان منذ القدم بنباهته إلى ما للبحر من عظيم النفع ، والفائدة فجعل منه منبعا للحضارة ومقوما للاقتصاد وركيزة للتواصل والتعارف ، وقبل أن نبينّ أهمية هذا المسطح المائي وجب علينا أن نتعرف على البحر كمفهوم عام تقوم عليه هذه الدراسة المتواضعة .

فالبحر كمصطلح علمي هو مسطح مائي يختلف عن المحيط في عدّة جوانب من حيث السعة والمساحة والعمق ودرجة الملوحة وغيرها من الخصائص ، ويتخذ هذا الأخير عدّة أشكال وأصناف ، فهنالك البحار المفتوحة التي تتصل مباشرة بالمحيطات دون أي حاجز أو فاصل وهناك بحار شبه مغلقة تتصل بالمحيط عن طريق فتحات تعرف بالمضايق المائية مثل البحر الأبيض المتوسط ، وهناك نوع ثالث وهي البحار المغلقة التي تحيط بها اليابسة من كل جانب كالبحر الأسود . [1]

والبحر في طبيعتة إمتداد لليابسة ، فالاثنان معا يشكلان عالم الإنسان على هذا الكوكب وهما وإن اختلفا في طبيعة التكوين والأدوار ، إلا أنهما متكاملان من حيث تقديم الخدمة للإنسان وتحقيق أهدافه وغاياته ، بالبرغم مما تبدوا عليه هذه البحار ظاهريا من أنها أداة فصل بين اليابسة هنا وهنالك ، إلا أنها في الحقيقة أداة وصل لا فصل وهي ليست حواجز وإنما معابر صالحة لمن وفرّ لنفسه وسائل العبور والانتقال [2] ،وقد بينّ المولى عزوجل قيمة البحر للإنسان وما باستطاعته أن يقدم من خدمات جليلة ، قال تعالى

---

([1]) طلعت أحمد محمد عبده ، حوري محمد حسين جاد الله ، جغرافية البحار والمحيطات ، ط2 ، دار المعرفة الجامعية ، ص : 33 .

([2]) أرشيبالد . ر . لويس ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ( 500 ه / 1100 م ) ، تح : أحمد محمد عيسى ، مر : محمد شفيق غربال ، مؤسسة فرانكلين للطباعة ، القاهرة ، ص : 14 .

: (( و هو الذي سخرّ البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلّكم تشكرون )) [3] ، وعليه أدرك الإنسان دور البحر فربط حضارته به وأنشأ مدنيته عليه وتحصل على رزقه منه ، ومازالت علاقته به قائمة وستبقى إلى قيام الساعة ، ولعل أهم هذه البحار ما تعلق بدراستنا وهو البحر الأبيض المتوسط .

يعد البحر الأبيض المتوسط من أهم البحار ، فقد كان منذ أمد بعيد وسيلة فعّالة هيات لنشر الحضارات وأفسح المجال للاتصال وتبادل الثقافات [4]، وهو غني عن التعريف فشهرته لاتضاهيها شهرة أي بحر داخلي على الإطلاق ، وهو معروف لدى الأوائل من الشعوب التي عاشت على ضفافه ، لذا نلمح عنه تغير أسمائه عبر العصور فسماه المصريون القدامى بالبحر الأعلى ، وورد إسمه في الإنجيل باسم البحر الفلسطيني ، وسماه هيرودوتس بالبحر الكبير أما أفلاطون فسّماه بالبحر الهليني ، وأما التسمية اللاتينية التي أصطلحت عليه هي بحر الروم وكذا سماه العرب، وأطلق عليه الرومان إسم بحرنا ،وسماه الأتراك بالبحر الأبيض ، نظرا لزبده الأبيض ، إلى أن أصبح يعرف بالبحر الأبيض المتوسط [5] .

إنّ موقعه الجغرافي الممتاز ومجموعاته الجزرية المتناثرة في أرجاء العالم القديم [6] قد أكسبته أهمية إستراتجية كبيرة ، فكان محط عناية لدى الجغرافيين الذين خصّوه بالدراسة دون غيره من البحار ، فقد وقع ذكره في جلّ المصادر الجغرافية القديمة وبخاصة العربية منها ، أين حظي هذا البحر بالإهتمام البالغ من طرف الجغرافيين العرب وملاحيهم ،

---

([3]) سورة النحل ، الآية 14 .

([4]) الهادي مصطفى أبو لقمة ، محمد علي الأعور ، الجغرافيا البحرية ، ص : 167 .

([5]) المرجع نفسه ، ص : 167 .

([6]) محمد إبراهيم حسن ، دراسات في جغرافية أوروبا وحوض البحر المتوسط ، مركز الاسكندرية للكتاب ، القاهرة ، 1999 م ، ص : 209

فكانت معلوماتهم التي أوردوها عنه دقيقة على وجه العموم [7] في تحديد أبعاده ومقاييسه و مايحتويه من جزر وخلجان [8] .

إنّ ما قيده الجغرافيون العرب عن هذا البحر كثيرة، وتكاد أوصافهم له تتطابق ولعل الأمر يطول إذا ذكرنا ماكتبه هؤلاء ، ولذلك سنكتفي بذكر نموذج أو اثنين ممّا كتبوه فقط لتتبين المطابقة بينهما وبين الدراسات الحديثة التي حددت أبعاده ومعالمه . يقول ابن حوقل في كتابه صورة الأرض : " أنه خليج من البحر المحيط _ يقصد به المحيط الأطلسي _ عليه أكثر هذه الديار وقد أتيت به على التقريب لا على الحقيقة ، إذ بعضه أشبه بالدائرة المحددة ومخرجه بين أرض الأندلس وأرض طنجة وسبتة وهذه الناحية محاذية من الأندلس لجزيرة جبل طارق واشبيلية ، وعرض هذا المخرج نحو 12 ميلا أي حوالي 12.5 كلم ثم لا يزال يتسع ، ويمتد على سواحل المغرب ، ومما يلي شرقي هذا البحر حتى ينتهي إلى أقاصي أرض مصر ممتدا منها إلى الشام ، وتنعطف إلى بلدان الروم من جبال إقليمية إلى أنطاكية ، ثم يصير إلى خليج القسطنطينية ويمضي على سواحل أثيناس إلى افرنجة ورومية ويصير البحر حينئذ جنوبيا لأرض الإفرنج إلى أن يتصل بطرطوشة من أرض الأندلس " [9] .

ومن خلال تتبع وقراءة خريطة العالم السياسية يتبين لنا أن الأبعاد التي حددها ابن حوقل لهذا البحر ، تتطابق بصفة شبه دقيقة مع الأبعاد الجيو سياسية الحديثة للبحر المتوسط ، وليس ابن حوقل وحده من وفق في رسم معالم هذا البحر ، فكذا ابن الوردي

---

([7]) أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا ، تر : اسماعيل العربي ، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982م ، ص : 57 .

([8]) جمال الفندي ، الجغرافيا عند المسلمين ، تر : إبراهيم خورشيد و عبد الحميد يونس وحسن عثمان ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 م ، ص : 159.

([9]) ابن حوقل ابي القاسم النصيبي ، صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1992 ، ص : 174.

في كتابه خريدة العجائب ، أين بين حدوده الشمالية والجنوبية [10] والزهري الذي أضاف إلى وصفه عبارة مهمة تظهر مدى الأهمية التي يكتسيها البحر الأبيض المتوسط فقال : " ... ليس في معمور أكثر عمارة من هذا البحر "وذلك أنه معمور الجانبين يكاد الناس يتعاطون السراج عليه في الضفتين لكثرة المسكن [11] .

أما حديثا ونظرا لما آلت إليه المدينة من تطور وازدهار ، فلم يعد هناك مجال للفرضيات فقد صور الجغرافيون أبعاده وحدوده بدقة كبيرة وساعدت الخريطة في اظهاره على شكله المرسوم مما سمح باستخلاص تعاريف واضحة لهذا البحر ، فنقول عنه : " أنه بحر داخلي يربط بين قارات آسيا وأوروبا و إفريقيا وهو أوسع البحار مساحة وأكثرها إمتدادا وتشعبا وتأثيرا من الناحية الحضارية [12] يجمع بين ضفافه عددا لا متناهي من القوميات واللغات والثقافات المطلقة على ضفتيه الشمالية والجنوبية ، وهو مسطح مائي لا يضاهيه في الأهمية أي بحر على الإطلاق [13] .

---

([10]) سراج الدين أبي حفص عمر بن الوردي ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب الجامع لما هو لطرف الدهر حور ولجيد الزمان مقدور ، ص : 69 . للتعرف أكثر على جغرافية البحر المتوسط أنظر : أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، منتخبة من كتاب الروض المعطار في أخبار الأقطار ، تع : ليفي بروفنسال ، ط2 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1988 م ، ص : 83 . انظر أيضا : عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء صاحب حماه ، تقويم البلدان ، تص : رينود . ماك كوكسن ديسلان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1815 م ، ص ص : 27 ، 29 . أنظر أيضا : أبي القاسم ابن حوقل ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1972 م ، ص : 12

([11]) ابي عبد الله محمد بن ابي بكر الزهري ، الجغرافية وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة ومافي كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوي على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراسخ ، تر : محمد حاج صادق ، مطبعة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، مصر ، ص : 127 ، 128

([12]) محمد خميس الزوكة ، قارات العالم القديم ( دراسة في الجغرافيا الإقليمية ) ، ط1 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2008 م ، ص:35

([13]) محمد إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص : 210 .

يقع هذا البحر جميعه في المنطقة المعتدلة الشمالية، ويمتاز بتجانس حضاراته وثقافاته بين حوضيه الشرقي والغربي [14] ،فعلى قامت أرقى الحضارات مثل الآشوريين و البابليين والفينقيين والفراعنة والفرس واليونان والرومان والقوط والفرنجة واللومبارد والحضارة الإسلامية [15] .

تبلغ مساحته حوالي 2.510.000 مليون كلم مربع ، وهو كما سبق ذكره شبه مغلق يحد أوروبا من ناحية الجنوب ،ويحيط به اليابس من جميع الجهات تقريبا ، ولا يوجد له سوى منفذين ، أحدهما اصطناعي وهو قناة السويس التي تصله بالبحر الأحمر ،والآخر طبيعي وهو مضيق جبل طارق البالغ طوله 57.6 كلم ، ويبلغ البحر الأبيض المتوسط أقصى امتداد له بين الشرق والغرب بطول يقدر بحوالي 3680 كلم وعرض قدره 1400 كلم ، في حين يبلغ أقصى عمق لمياهه 16896 قدم تحت منسوب سطح البحر [16] .

وينقسم هذا البحر ظاهريا إلى قسمين غير متساوين في المساحة ،حيث تفصلهما منطقة ضحلة تمتد من تونس إلى صقلية ومن ثم إلى إيطاليا وتعرف بالحوض الغربي [17]، ومساحته حوالي 1.25 مليوم كلم [18] ،ويبدوا هذا الحوض في وصفه على شكل مثلث قاعدته في الشمال الإفريقي وقمته في خليج جنوة ، وهو في وضعه هذا يختلف من حيث الإتساع عن الحوض الشرقي [19] الذي يشمل على البحر الأدرياتيكي وبحر إيجة .

---

([14]) محمد السيد غلاب ، الساحل الفينيقي في الجغرافيا والتاريخ ، ط1 ، دار العلم للملاين ، بيروت ، لبنان ، 1969 م ، ص ص : 34 ، 35

([15]) عطلي محمد الأمين ، نشاط البحرية الجزائرية في القرن 17 م وأثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، 2011 / 2012 م ، ص : 20

([16]) محمد خميس زوكة ، المرجع السابق ، ص : 292 .

([17]) يسرى الجوهري ، جغرافية البحر المتوسط ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1984 م ، ص : 09 .

([18]) ش . بدران ، أطلس دول العالم الكبير ،بيروت ،لبنان ، 1999 ، ص : 176 .

([19]) يسرى الجوهري ، المرجع السابق ، ص : 09 .

وتعرف أجزاء من البحر المتوسط بأسماء معينة خاصة ،منها البحر الأيوني الواقع بين الساحل الجنوبي الشرقي لشبه جزيرة إيطاليا والساحل الغربي لليونان ، وبحر إيجة الواقع شرقي اليونان ،والتيراني الواقع غرب إيطاليا وجزيرتي سردينيا غربا وصقلية جنوبا [20] .

هذا ويحتوي البحر المتوسط على عدّة مضايق هامة ، منها مضيق البوسفور ومضيق الدردنيل ومضيق كارياثوس جنوب تركيا ، ومضيق كيثرا في اليونان ،ومضيق مسينا بين إيطاليا وجزيرة صقلية ،وأشهرها على الإطلاق مضيق جبل طارق [21] ،الذي سماه الرومان قديما بأعمدة " هرقل " نظرا لمناعة المرتفعات التي تقوم على جانبيه من الناحية الأوروبية والإفريقية ، إذ ليس بينهما سوى 14 كلم ، وكانت الصلات والروابط بين الجانبين من السهولة واليسر بمكان لدرجة دعت بعضهم إلى حسبان إسبانيا جزءا من إفريقيا ، وقد سمّاه العرب أيضا بإسم " الزقاق الضيق " وظل حاملا للتسمية إلى أن وصل القائد العربي " طارق بن زياد " إلى الأندلس لفتحها ، فكان أول من اكتشف أهمية المضيق الحربية والبحرية فبنى به قلعة منيعة على الجبل الذي حمل إسمه ، ومنذ ذلك الحين أصبح مضيق يعرف بمضيق جبل طارق وسيظل هذا المعبر حيوي محط صراعات ونزاعات دولية من أجل الهميمنة و السيطرة على البحر الأبيض المتوسط [22].

كما يحتوي هذا البحر على عدّة جزر هامة لها أثرها في التاريخ ، منها جزيرة صقلية في الحوض الشرقي ،و جزيرة كورفو وكريت وجزيرة رودس في الحوض الغربي [23]

.

---

([20]) محمد خميس زوكة ، المرجع السابق ، ص : 293

([21]) فايز محمد العيسوي ، الجغرافيا السياسية المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2011 م ، ص : 223.

([22]) محمد رفعت بك ، التيارات السياسية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ملتزمة الطبع للنشر ، لجنة البيان العربي ، ص : 07 .

([23]) جودة حسين جود و علي أحمد هارون ، جغرافية الدول الإسلامية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1993 م ، ص : 27

**الأهمية التاريخية والحضارية للبحر الأبيض المتوسط :**

إنّ من يتأمل في الحضارات الإنسانية ويحاول دراستها واستقراءها بطريقة موضوعية ،فإنه سيلاحظ أن معظم الحضارات المتعاقبة قد نشأت على ضفاف البحر الأبيض المتوسط ، لذلك يعد هذا البحر من أهم بقاع العالم [24] ،فهو منبع الحضارة الإنسانية وملتقى الثقافات ومواطن الشعوب والأعراق المختلفة ومهد الديانات السماوية ومنطلق النهضة والتكنولوجيا الحديثة وموطن الفكر والأدب والفلسفة والفنون ، وقد شهد هذا البحر منذ تاريخه ازدهار بعض الدول وامتداد دول قوية واضمحلال أخرى ، وكان شاهدا عيانا على العصور السالفة والحديثة وماشهدته المنطقة المتوسطية من أحداث وتواريخ في حالتي السلم والحرب والحوار والصدام والانفتاح والانغلاق ، ويقول بروديل في هذا الصدد متحدثا عن الأهمية الكبيرة للبحر المتوسط " بأنه لا يمكن للباحث معرفة تاريخ العالم وتاريخ البحار دون دراسة تاريخ البحر الأبيض المتوسط " [25]، ولعل هذه الخصوصية التي اكتسبها البحر المتوسط راجعة لموقعه الوسطي في قلب العالم القديم وتوفره على عوامل قيام الحضارة ونشاط الاقتصاد .

كان من أثر شيوع السلم والأمن في ربوع البحر الأبيض المتوسط في بعض حقب التاريخ أن نعم العالم بأثمن ما أنتجه الفكر الإنساني من حكمة وأدب وعلوم ، فعلى سواحله ظهرت أعظم المدنيات تأثيرا في التاريخ ، وهي المدنيات المصرية والإغريقية والرومانية والإسلامية ، وظل الناس يستمدون منها فنونهم وعلومهم حتى اكتشفوا العالم الجديد وطريق الرأس الرجاء الصالح الموصل لعالم الشرق أين تتوفر الأحجار الكريمة والعطور والتوابل والحرير ، إلا أن الأنظار بقيت مشدودة لهذه البحيرة الإستراتجية ،

---

([24]) جودة حسين جود و علي أحمد هارون ، المرجع السابق ، ص : 27 .

([25]) broudel ferdinand , la mediterané et le mond méditeranien a l'époyue de phlipe tom : 02 , paris , 1976 , p p : 24

فكانت كل دولة تنظر بعيون شاخصة متيقضة حريصة كل الحرص على أن لا تنفرد دولة كائنة من كانت بميزة السلطة والسيادة على البحر [26].

لإدراك هذه الدول أن من يسيطر على البحر المتوسط ساد العالم بأسره ، وفي ذلك يقدم لنا المفكر ماكيندر معادلة لنظريته المتعلقة بالسيطرة على العالم ،وقوام هذه المعادلة أنه من يسيطر على أوروبا الشرقية يسيطر على قلب الأرض ، ومن يحكم قلب الأرض يسيطر على الجزيرة العالمية، ومن يحكم الجزيرة العالمية يهيمن على العالم [27].

ويؤكد التاريخ صحة المعادلة فالإمبراطوريات العظمى التي سادت العالم قد أحكمت قبضتها على البحر وأخضعته لنفوذها ، ففي التاريخ القديم قامت حضارة مصر على نهر النيل ، وهذه الحضارة كانت على اتصال مباشر بالبحر الأبيض المتوسط ، إلا أنها بقيت مرتبطة بطابعها النهري حتى بعد أن بنى المصريون السفن واستولوا على بلاد الشام وسواحل فينيقية ، وعلى جميع موانئ شرق البحر الأبيض المتوسط حتى جزر إيجة [28].

كما ظهرت في الشمال حضارة بحرية عاصرت الحضارة المصرية ، وكان مركزها جزيرةكريت وعاصمتها مدينة " كنوسس " وقد ازدهرت هذه الحضارة في بحر إيجة حوالي 2500 سنة قبل الميلاد ، واتصلت بقبرص وشمالي إفريقيا وشرقي المتوسط وغربه ، ولكن حدث ماقوض دعائم هذه الحضارة فاندثرت آثارها ومعالمها ، إلى أن تمكن بعض العلماء الإنجليز في أوائل القرن العشرين من كشف معالمها ، وقد دلت هذه الحضارة عن

---

([26])محمد رفعت بك ، المرجع السابق ، ص : 06 .

([27]) برد رتيبة ، الحوار المتوسطي من برشلونة إلى منتدى 5+5 ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، جامعة الجزائر ، 2009 / 2010 م ، ص : 36 .

([28]) ساعد ماهر ، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، الجيزة ، مصر ، 1967 م ، ص : 23

قيام حضارة راقية في جزيرة كريت وبحر إيجة ، وبزوال هذه الدولة زالت آثار أوّل دولة بحرية سادت في مياه البحر الأبيض المتوسط قبل ألفي سنة قبل الميلاد [29] .

ولما ضعف سلطان الدولة المصرية أخذت شعوب شرق المتوسط تتحرر من الحكم المصري ، فظهر الفينيقيون في سواحل الشام ولبنان ،وكانوا أول من خاض البحر الأبيض المتوسط غربا وشرقا ،وأسسوا على سواحله عدّه مستعمرات وقواعد تجارية [30] .

ولما قامت دولة الآشوريين في القرن التاسع قبل الميلاد ، سعت هي الأخرى للسيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط ،على أن الفترة التي سادت فيها هذه الدولة لم تطل أكثر من قرن ونصف من الزمن ، فقد تعرضت لهجوم عنيف من طرف الفرس الذين استولوا عليها سنة 606 قبل الميلاد ، وأصبحوا هم أصحاب السيادة في الشرق ، وكونوا إمبراطورية عظيمة دانت لها غرب آسيا وشرق أوروبا حتى حدود مصر جنوبا ، وعاصر دولة الفرس قيام المدينة الإغريقية القديمة وظهور المدن اليونانية التي اتخذت من البحر ميدانا خصبا لنشاطهم ، ولذلك سرعان ما اصطدمت المصالح بين دولة الفرس واليونان ونشب صراع هائل استمر أكثر من قرن من الزمن ، وكان ذلك أول صراع بين الشرق والغرب تناول الاحتكام والسيطرة في البحر المتوســـــــــــط [31].

وسرعان ما انتقل الصراع من شرق البحر المتوسط إلى غربه ، وذلك إثر ظهور روما في شبه جزيرة إيطاليا التي تقسم البحر المتوسط إلى حوضين شرقي وغربي ، وسيشهد القرن الثالث قبل الميلاد اصطدام المصالح بين روما والإغريق في جنوب إيطاليا ، ثم مع القرطاجين الذين يتواجدون في السواحل الإغريقية ، وكان الصراع بين روما

---

([29]) محمد رفعت بك ، المرجع السابق ، ص: 07 .

([30]) يسرى عبد الرزاق الجوهري ، الكشوف الجغرافية ( دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية ولتطور الفكر الجغرافي ) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1984 م ، ص : 29

([31]) محمد رفعت بك ، المرجع السابق ، ص : 27 .

وقرطاجة صراعا هائلا بين مجتمعين عظيمين أحدهما في قرطاجة يقوم على المال والتجارة والبحر ،والآخر في روما يقوم على الزراعة والأرض ،وتعرف الحرب التي نشبت بينهما بالحروب البونية وكان موضوع التزاع بينهما يدور حول التسلط على جزيرة صقلية و مضيق مسينيا بالخصوص وعلى البحر المتوسط على وجه العموم [32] وقد انتهت بالغلبة لصالح روما التي سيطرت على البحر قرابة خمسة قرون من الزمن.

وبداية من عهد قسطنطين بدأت الأخطار تظهر حول حدود الدولة الرومانية ، خاصة على الحدود الشرقية المتاخمة لدولة الفرس الساسانية، أين ظهرت الهجومات الفارسية على الدولة البيزنطية والتي استمرت قرابة مائة سنة ، وبينما كان الفرس والروم في صراع مرير ، ظهرت دولة الإسلام في شبه الجزيرة العربية ، والتي سيكتب لها أن تسود في البحر المتوسط ، و لم يطل بهم الزمن حتى استطاعوا في عهد الأمويين أن يخضعوا جزيرة قبرص ويهاجموا بيزنطة .

كما استطاعوا فتح الأندلس واحتلال جزر البليار وصقلية وجنوبي إيطاليا [33] ،وليس معنى هذا أن البحر الأبيض المتوسط قد صار بحيرة إسلامية ،كما كان بحيرة رومانية في عهد الرومان ، فإن الدولة البيزنطية الشرقية ظلت مسيطرة على سواحل آسيا الصغرى، المضايق وبحر إيجة وشبه جزيرة البلقان ، كما ظلت الدولة الرومانية المقدسة التي أنشأها شارلمان تسيطر على شمال ووسط إيطاليا وجنوب فرنسا ، ولكن الأمر المحقق هو أن فتوح العرب في الشرق والجنوب قد قسمت حوض البحر الأبيض المتوسط إلى

---

([32]) فرانسوا دوكريه ، قرطاجة الحضارة والتاريخ ، تر : يوسف شلب الشام ، مكتبة الأسد ، دار طلاس ، دمشق ، 1994 م ، ص : 65 .

([33]) محمد رفعت بك ، المرجع السابق ، ص : 28 .

قسمين متميزين ، فقد طبع العرب القسم الشرقي منه بالطابع الإسلامي العربي وبقي القسم الغربي ذا طابع مسيحي [34] .

وابتداءا من القرن الحادي عشر سيتغير الوضع بالبحر المتوسط ، حيث سيشهد سيطرة الأوروبيين عليه خاصة الحوض الغربي منه ، وكانت هذه السيطرة تامة على جزر كورسيكا وسردينيا وصقلية ومالطة وجنوب إيطاليا ، كما زاد ضغطهم على جزر البليار وكانت أساطيلهم تغير على السواحل الإسلامية في إسبانيا وإفريقيا ، وبفضل الحملات الصليبية إستطاع الغرب أنت يحصل أيضا على سيادة مماثلة في سوريا وفلسطين ، وسمح الوضع بسيطرة الأوروبيين على طريق التجارة البحرية الرابطة بين شرق المتوسط وغربه ، كما سيطروا على جل المراكز الإستراتجية الهامة التي كانت قبلا في قبضة المسلمين [35].

وبعد مضي حوالي قرنين من الزمن سيتأيد سلطان المسلمين من جديد ،وذلك بظهور الأتراك العثمانيين في بلاد الأناضول ، وستقلب دولتهم ميزان القوة في شرق المتوسط وفي غربه أيضا ، وقد أدرك العثمانيون بعد فتحهم للقسطنطينية وإحكام قبضتهم على المضايق ، ما للقوة البحرية من عظيم النفع والأهمية ، فوجهوا عنايتهم بالأسطول البحري، واستولوا على جزر بحر إيجة وأخضعوا البنادقة لدفع الجزية ، وقد قوي مركزهم بالبحر المتوسط إثر فتح مصر والشام وفتح جزيرة رودس وسواحل إفريقيا ،وبذلك أصبحت سيادة تركيا البحرية غير مقصورة على شرقي البحر المتوسط بل تجاوزته إلى الغرب أيضا [36] .

ونتيجة لظهور الدولة العثمانية وازدياد نشاط بحريتها بشكل مكثف ، شهد هذا البحر صراعا مريرا بين حوضيه الشرقي والغربي ، وكذا ضفتيه الشمالية والجنوبية وذلك

---

([34]) المرجع نفسه ، ص : 29 .

([35]) أرشيبالد ر. لويس ، المصدر السابق ، ص : 384 .

([36]) محمد رفعت بك ، المرجع السابق ، ص : 42 .

إثر الاصطدام الحاصل بين القوة العثمانية وإسبانيا أكبر قوة بحرية أوروبية آنذاك ، ومما زاد في إذكاء هذا الصراع هو قدوم الإخوة بربروس إلى الحوض الغربي وخوضهم الحرب ضد الصليبين والتي أخذت عدّة صفات منها ، إنقاذ أهل الأندلس من الاضطهاد الحاصل لهم بإسبانيا ، وكذا تحرير الشمال الإفريقي من الاحتلال الإسباني [37].

ومما زاد في حدة هذا الصراع على المتوسط ، منع الملك " جيمس الأول " أعمال القرصنة والغارات في البحار في القرن الخامس عشر ميلاد ( 15 م ) ، فغير القراصنة الأوروبيون موانئهم في إنجلترا و إيرلندا واتجه كثير منهم نحو سواحل شمال إفريقيا ، كما قام قراصنة هولندا وإنجلترا بالإبحار نحو المتوسط ووصلوا إلى جبل طارق ، وبوصول إنجلترا إلى الحوض الغربي للمتوسط ، أصبحت تشكل تهديدا على القوى الأوروبية والمغاربة واحتدم الصراع بين هذه القوة ، وأصبحت كل قوة بحرية في الحوض الغربي تسعى للتسديد وممارسة السلطة ، ولم يتوقف الصراع في الحوض الغربي للمتوسط طيلة ثلاث قرون كاملة، في الفترة الحديثة بين أمم أوروبا فيما بينها تارة ومع الأمم الإسلامية في شمال إفريقيا تارة أخرى . وبما أن هذا البحر كان محل ظهور الديانات السماوية ، فقد شهد صراعا دينيا مريرا بين الإسلام والنصرانية ، فقد أظهرت الكنيسة تأثيرها المادي والمعنوي في ترجيح كفة الصراع لصالحها ، كما لعبت الديانة دورها إبان الحروب الصليبية على بلاد الإسلام [38].

**الأهمية الاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط :**

كان من الأهمية البالغة أن يكون البحر الأبيض المتوسط أول البحار التي إكتشفها الإنسان ، وقد أجمع الكثيرون على أنه كان المدرسة الأولى لتعلم الملاحة البحرية ، فهو

---

( [37]) محمد الأمين عطلي ، المرجع السابق ، ص : 22 .

( [38]) نفسه ، ص : 23 .

كما يدل عليه إسمه يقع وسط اليابس فهو بحر داخلي يخلوا من آثار العواصف التي تكثر في عرض المحيطات ، أضف إلى ذلك أن أهميته بالنسبة لملاحي العهود الغابرة ترجع إلى خلوه من حركات المد والجزر ، حتى أنه مهما اختلف المكان وفي أي وقت من الأوقات كانت السفن الصغيرة تستطيع أن ترسوا على شواطئه في سهولة ويسر ، ويتشارك المتوسط هذه الميزة مع البحر الأحمر والأسود والخليج الفارسي ، ولكنه يفوقها جميعا في مساحته الواسعة وينفرد دونها بمزايا لم تتوفر لأي من البحرين الآخرين ، ذلك أن شواطئه على العموم أكثر خصبا و لاتنقصها المرافئ الطبيعية الجيدة ، وتتصف بوجود الرؤوس الأرضية البارزة والسواحل الكثيرة التعاريج ،والجزر المبعثرة ظاهرة فوق سطح المياه ولايغيب البر فيه عن ناظر الملاح والمأوى قريب دائما إن جدّ الخطر فهو بهذه المزايا أهم البحار [39] .

ولذلك شكل البحر المتوسط فضاءا اقتصاديا هاما إذ لايمكن لأحد أن يتجاهل أهميته الكبيرة في مجال النقل البحري والتجاري ، كما يعد موردا هاما للثروة لتوفره على الكثير من المصادر الثمينة والمعادن [40] ، وقبل أن نخوض في الأهمية الاقتصادية لهذا البحر يتوجب علينا أن نشير إلى أمر مهم ، وهو أن حركة الملاحة والسفن التجارية في مياه المتوسط كانت واضحة المعالم و لم تتغير و لم تتأثر بتغير الأنظمة السياسية وتبدل القوى المسيطرة عليه [41] .

فعبر التاريخ شكلت الحركة التجارية في هذا المسطح المائي الدافع الرئيسي والمحرك الأساسي لتفاعل العلاقات في المنطقة ، كما أن العامل الاقتصادي كان المنطلق لكثير

---

([39]) جيمس فريجريف ، الجغرافيا والسيادة العالمية ، تع : علي رفاعة الأنصاري ، مر : محمد عبد المنعم الشرقاوي ، مكتبة النهضة المصرية ، 1956 م ، ص : 56.

([40]) شريف محمد شريف ، جغرافية البحار والمحيطات ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1964 م ، ص : 65 .

([41]) عطلي محمد الأمين ، المرجع السابق ، ص : 24 .

الصدامات التي شهدتها المنطقة [42]، وفي ذلك يقول بروديل : " إن تاريخ البحر المتوسط لعب فيه الاقتصاد دورا حاسما في أغلب الأحيان في الثروات التي يأتي بها البحر كمسطح ، فسيد هذه الثروات هو من سيطر على البحر ، و لم يكن هذا البحر على سعته يقبل بسيد واحد في وقت واحد ، وليس من الضروري أن يكون هذا السيد سياسيا وإنما سيد المبادلات والحياة التجارية " [43] .

إنّ الأهمية الاقتصادية لحوض المتوسط حتمت على شعوبه العيش بلا إستقرار نتيجة لكثرة الصراعات ، يقول ابن خلدون : " الساكنون بسيف هذا البحر وسواحله وعدوتيه يعانون من أحواله مالا تعانيه أمة من أمم البحار " [44] ،والمتتبع لمسار التاريخ سيدرك حتما مدى الاصطدامات التي وقعت والنزاعات التي حدثت بين شعوبه من أجل السيطرة والتملك ووضع اليد على أهم السواحل والمضايق ، وقد كان الفينقيون أهم شعب استشعر الأهمية الاقتصادية للبحر المتوسط ، فأسسوا على ضفافه عديد الموانئ والمدن التجارية كصور وصيدا وقرطاجة ، واحتكروا بفضل خبرتهم البحرية طرق التجارة وتحكموا في المبادلات التجارية والأسواق العالمية التي فاضت بمنتجات إفريقيا والبلدان الآسياوية [45].

جاء الرومان الذين سيطروا على كافة البحر المتوسط وتحكموا في مضايقه وسيروا العلاقات التجارية في المنطقة، فجعلوا منه معبرا رئيسيا نحو مستعمراتهم وخاصة نحو شمال إفريقيا التي كانت بمثابة مخزن للحبوب بالنسبة لروما، والتي خففت عنها حدّة الأزمات

---

([42]) جيمس فريجريف ، المرجع السابق ، ص : 57 .

([43]) broudel ferdinand , op.ct : p 133

([44]) عبد الرحمان ابن خلدون ، المقدمة ، ج1 ، مر : سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 2001 م ، ص : 34 .

([45]) محمد أبو المحاسن عصفور ، المرجع السابق ، ص : 116 .

الاقتصادية في العديد من الفترات [46]،والمتتبع لحركة الفتح الإسلامي بعد ذلك والتي امتدت من المحيط الهندي إلى المحيط الأطلسي ،سيدرك أنها استفادت اقتصاديا من جرّاء استخدامها للبحر في عمليات الفتوح ، كما ساهم الفتح الإسلامي في تنشيط الحركة التجارية العالمية بالبحر المتوسط ،حيث نمت عديد المدن المتوسطية كالقيروان وفاس وعادت أخرى للحياة كإشبلية وقرطبة [47].

وبقي البحر المتوسط محافظا على مكانته كممر تجاري هام بالنسبة لكافة دول العالم، فجميع الدول تحتاج للمرور عبره عندما تريد نقل بضائع الشرق إلى الغرب أو العكس [48]، وقد ساعده في ذلك موقعه الوسطي في العالم وتوفره على المضايق الإستراتجية ،وأهم طريق فيه ذلك الذي ينطلق من شرق آسيا في المحيط الهادي عابرا المحيط الهندي عند ميناء سنغافورة ليجتاز البحر الأحمر وباب المندب ثم قناة السويس ، وعبر مضيق جبل طارق نحو أوروبا الشمالية و الأمريكيتين ، ليقلص المسافة التي تقطعها الأساطيل التجارية إلى النصف بالمقارنة مع تلك التي تعبر نحو إفريقيا الجنوبية [49].

ظل البحر المتوسط يحتفظ بأهميته الاقتصادية طيلة العصور الوسطى لتركز الطرق التجارية به ،واستمر الحال كذلك إلى غاية الفترة الحديثة أين أخذت أهميته تتراجع بعد ظهور الإسبان والبرتغال كقوى تجارية وبحرية ، حيث قاموا بتنشيط حركة الكشوف الجغرافية من أجل الوصول إلى الشرق وكسر الهيمنة العربية على تجار التوابل والحرير والعطور [50] ،وسيعرف البحر المتوسط ركودا اقتصاديا بعد اكتشاف العالم الجديد سنة

---

([46]) يسرى عبد الرزاق الجوهري ، المرجع السابق ، ص : 29 .

([47]) عطلي محمد الأمين ، المرجع السابق ، ص : 25 .

([48]) أرشيبالد ر. لويس ، المصدر السابق ، ص : 14 .

([49]) محمد إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص : 20 .

([50]) يسرى عبد الرزاق الجوهري ، المرجع السابق ، ص ص : 127 - 132 .

1492 م ،وتحول المسار التجاري نحو رأس الرجاء الصالح انطلاقا من سنة 1497 م [51] ،وبالرغم من ذلك فقد اجتمعت عدة عوامل أعادت للبحر المتوسط هيبته الاقتصادية ، ومن بين هذه العوامل :

- ظهور الثورة الصناعية التي جعلت من المتوسط جسر وممر عبور نحو المستعمرات لنقل المواد الأولية إلى مصانعها في الشمال .
- شق قناة السويس والتي زادت من أهمية البحر المتوسط ، من خلال تسهيل حركة التنقل .

وكنتيجة عامة فإن البحر المتوسط بأهميته الجغرافية والتاريخية والحضارية والاقتصادية قد شكل فصلا من فصول الصراع منذ أقدم العصور إلى اليوم ، وقد عانت الأمم الناشئة بضفافه من تبعات هذا الصراع وتأثرت به بشكل كبير وخاصة بلاد المغرب الإسلامي على وجه العموم والجزائر على وجه الخصوص ، ولذا ارتئينا أن نتحدث عن الجزائر بتلميح بسيط كونها موضوع بحثنا لنردف أهميتها بأهمية البحر المتوسط .

إن من يتأمل في الخرائط الجغرافية سيدرك حتما أن الجزائر من أهم الدول المتوسطية نظرا لموقعها الجغرافي الممتاز ، فهي تطل على البحر المتوسط من ناحية الشمال وضاربة بعمقها في الصحراء من ناحية الجنوب ، وقد ساعدها ذلك كي تكون مرتعا للعديد من الحضارات .

إن موقع الجزائر المطل على البحر جعل أنظمتها السياسية طول فترات تواجدها تعيش في حالة تأهب واستعداد لرّد أي عدوان والوقوف في وجه كل من يحاول ضرب الاستقرار وما يمكن أن نستخلصه أن الجزائر قد عانت وتضررت كثيرا من جراء موقعها

---

([51]) فتحي أحمد أبو عيانة ، الجغرافيا الاقتصادية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1984 م ، ص : 65 .

الاستراتجي ، إذ كلفها خسائر مادية وبشرية وكذا فقدان أمنها واستقرارها [52]، وعلى العموم فإن البحر الأبيض المتوسط ، قد أعطى لهذه البلاد هيبة لا تضاهى خلال الفترة الحديثة ، فكان البحر سببا في قوتها وعاملا في سقوطها واحتلالها .

# الفصل الأول

## الأتراك العثمانيون و البحر الأبيض المتوسط

المبحث الأول : **الدولة العثمانية كقوة ناشئة في البحر المتوسط**

المبحث الثاني : **ظهور الإخـــــوة بـــــــــــــــــــــــــــــربروس**

المبحث الثالث : **التحاق الجزائر بالخلافة العثمانية**

## المبحث الأول : الدولة العثمانية كقوة ناشئة في البحر المتوسط

تتعدد الروايات حول قيام الدولة العثمانية كقوة لها شئنها ببلاد الاناضول ، حيث ساهمت العديد من العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها المنطقة في توفير المناخ الملائم لهذه الدولة كي تنشأ وتترعرع ، فبدأت كإمارة صغيرة لتصبح فيما بعد أعظم إمبراطورية ورثت خلافة الإسلام ودافعت عن المسلمين ، وستتمكن بفضل سلاطينها الأقوياء أن تفرض هيبتها وتصنع القرار في مسار التاريخ الحديث [53].

قال الحسن البصري في أصل هذه الدولة ونسبها ، أنّهم يعودون إلى يافث بن نوح عليه السلام ، فيافث هو أبو الترك ويأجوج ومأجوج بنو عمٍ لهم ، وسُمى الترك تركاً أنّ ذى القرنين لما بنى السد على يأجوج ومأجوج ، كان منهم طائفة غائبة وقت بناء السد و لم يعلموا ببناءه فتركوا خارجا عنه ، فسميت هذه الطائفة تركاً لكونهم تُركوا خارج السد ، في حين يرى مؤرخو الدولة العثمانية من الأتراك -ولا شك أنهم أعلم الناس بتاريخ بلادهم- أن أصل شجرة آل عثمان متصل بيافث ابن نوح عليه السلام ، فيقلون

---

([53]) محمد عاكف آيدين ، كمال بكديلي وآخرون ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، مج 1 ( الدولة والمجتمع والاقتصاد ) ،ت: صالح سعداوي، تق : أكمل الدين إحسان أوغلي ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، إسطنبول ، 1929 م ، ص : 5 .

أنها تبتدأ بعثمان بن أرطغرل بن سليمان شاه بن قيالب بن قزل بوغا بن باتيمور ابن قايلعة بن طغرا بن قرانيو بن ماينفر بن يولعاي بايسنقور بن توفتحور بن ياسان بن حميدة بن افتلق بن قاري جالتمور بن طورج بن قزل بوغا بن باشبوي بن جورمز بن بايو بن طغرا بن سونج بن جارينا بن تورلست بن فوخان بن بالحق بن خاس بن قرعلان بن سليمان شاه بن فرحلو بن بورلوعان بن تيمور بن تورمسن بن كولوالب ابن ادعون بن مورخان بن قابي خان بن ابولجاي بن أبي الحارث بن يافث بن نوح عليه السلام [54] .

إن كثرة المصادر والمراجع التي تحدثت عن نشأة دولة الأتراك العثمانيين ، تكاد تتفق في أغلبها أن نسبها يعود إلى يافث بن نوح عليه السلام [55] ،وهي تنتمي في الأصل إلى إحدى القبائل الغزية ، وبالتحديد قبيلة " قابي " وهي قبيلة تركمانية حكمت منطقة ماهات الصغيرة في الجزء الشمالي الغربي من إيران حاليا ، وعندما استولى المغول بقيادة جنكيزخان على تركستان ، هاجرت القبائل التركية التي كانت تعيش في المنطقة ومن ضمنها قبيلة " قابي " بزعامة سليمان شاه ، الذي فرّ من المغول رفقة آلاف الأتراك مخافة من أن يقع في خطر العبودية أو الموت المحتم على يد هؤلاء الغزاة الجدد [56] ،فأستقر في أخلاط الواقعة في شرقي تركيا الحالية ، ولكن إقامته بها لم تدم طويلا حيث قرر هذا الأخير مغادرة المكان قاصدا وجهة جديدة نحو عربستان ، فمر بجماعته على نهر الفرات وبينما كان يعبره سقط فيه غريقا فمات ودفن بقربه في مكان يعرف إلى الأن بمزار الأتراك

---

([54]) سليمان بن خليل بن بطرس جاويش ، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية ، ط 1 ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1987 م ، ص : 43 .

([55]) سليمان بن صالح الخراشي ، كيف سقطت الدولة العثمانية ، ط : 1 ، دار القسم ، الرياض السعودية ، 1420 ه ، ص : 11 ,

([56]) محمود محمد الحويري ، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى ، ط : 1 ، المكتب المصري للتوزيع ، القاهرة ، ص : 35 .

، وترك خلفه أربعة أبناء هم : ( سنقور تكين ، كون طوغدي ، دوندر و أرطغرل ) [57] .

انقسم أفراد العشيرة بعد وفاة زعيمها سليمان شاه بين أبنائه الأربعة ، فقاد اثنان منهم معظم القوم عائدين إلى خرسان للدخول في خدمة المغول ، بينما تابع الأخوان الباقيان المسير غربا إلى الاناضول ، وتولى أرطغل زعامة هذا الجزء من القبيلة [58] ، وتقول الرواية التاريخية أن أرطغرل هذا قاد جماعة قومه المؤلفة من أربعمئة فارس وعائلاتهم وسار بهم باتجاه الأناضول وفي طريقه شاهد معركة دائرة بين فريقين لايعرفهما فحث أتباعه على نصرة الفريق الخاسر ،الذي تبين بعد التمكين له بالنصر أنه لسلطان دولة السلاجقة " علاء الدين السلجوقي " ، فما كان من هذا الأخير إلا أن كافئ أرطغرل بمنحه أرضاً تسمى " أسكي شهر " ، وهي أرض تقع بين الروم البزنطين وإمارة قونية السلجوقية [59] وبالتحديد في شمال غربي الأناضول [60] .

بعد وفاة أرطغرل سنة **1281** م ، انتقلت زعامة القبيلة إلى أكبر أبنائه وهو عثمان ( **1281** م _ **1362** م ) مؤسس الدولة العثمانية فانحصرت اهتماماته في تأسيس قواعد الدولة العثمانية وتوسعيها على حساب البزنطيين ،مستغلا الفوضى والإهمال المسيطرين على الاراضي البزنطية بالأناضول ، وكان عثمان مواليا للسلطان علاء الدين ومساعده في افتتاح العديد من المدن الحصينة والمنيعة ، فأكرمه بأن سمح له بضرب السكة بإسمه وأمر له

---

([57]) حمزة عزتلو يوسف بك آصاف ، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الان ، تق : محمد زينهم محمد عزب ، ط : 1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1995 م ، ص : 29 .

([58]) نيقولو باربارو ، الفتح الإسلامي للقسطنطينية ( يوميات الحصار العثماني سنة 1453 م ) ، ت : حاتم عبدالرحمان الطحاوي ، ط : 1 ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، ص : 15 .

([59]) محمود السيد الدغيم ، أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية ( الحضارة الإسلامية وعالم البحار ) ، منشورات إتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، 1994 م ، ص : 13.

([60]) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، أصول التاريخ العثماني ، ط : 1 ، دار الشروق ، مصر ، 1982 م ، ص : 14 .

بأن تخطب صلوات الجمعة بإسمه ويدعى له في المنابر ومنحه لقب " بـــــــــــــــكْ " [61] ، وفي حوالي عام **1300** م ، زحف جيش التتار على سلطنة علاء الدين، و انتهى الأمر بوفاته فقام الأهالي بمبايعة عثمان بن أرطغرل سلطانا عليهم [62] ،ومن هنا انفتح المجال للدولة بأن تتوسع فقام هذا الأخير بالتمركز في مدينة "قره حصار" واستولى على القلاع الحصينة " لاسكي شهر " ، ومالبث أن استولى أيضا على مدينة "بني شهر" [63] أين أصبحت هذه المدينة مقرا لحكمه ، ولقب نفسه بادشاه آل عثمان أي سلطان العثمانيين [64] .

قام عثمان بحصين المدينة وتمصيرها وتجميلها وعمل على تأمينها من العدو ، ولما تم له ذلك شرع في تنفيذ مشروعه التوسعي ، فأرسل إلى أمراء الروم بآسيا الصغرى يخيرهم بين الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب كما هي عادة المسلمين في حروبهم فأسلم بعضهم وقبِل البعض الآخر دفع الجزية ، بينما استعانت البقية عليه بالتتار فندب إليهم عثمان ابنه أورخان فشتت شملهم وتمكن من الانتصار عليهم ، وفي السادس من أبريل 1326 م سقطت في يده مدينة بورصة بعدما دام حصارها قرابة العشر سنوات [65] ، والواقع أن استلاء العثمانيين على بورصة كان خطوة هامة حولت إمارتهم إلى دولة حقيقية ذات عاصمة وشعب مستقر وجيش نظامي وإدارة منظمة تشرف على مهام الدولة ، حدث هذا في وقت شهد فيه البيزنطيون فتناً داخلية وحروبا أهلية ومنازعات سياسية بين أفراد

---

([61]) محمود محمد الحويري ، المرجع السابق ، ص : 38 .

([62]) حضرة عزتلو يوسف بك آصاف ، المصدر السابق ، ص : 34 .

([63]) **بني شهر** : أويكي شهر ، ومعناها البلد الحديث وتقع شمال الشرقي من بورصة ، أنظر : فائقة محمد حمزة ، أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 1989 م ، ص : 12

([64]) محمود محمد الحويري ، المرجع السابق ، ص : 38 .

([65]) محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العثمانية العلية ، تح : إحسان حقي ، ط : 1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1981 م ، ص : 63 .

الأسر الحاكمة ، فأصبح العثمانيون يتدخلون بدافع المصلحة بين الأباطرة البيزنطيين المتنافسين فيما بينهم [66]، فأرسلوا بإنتظام قوات كمرتزقة إلى القسطنطينية وتراقيا ، حيث وقعت عيونهم على مدى ضعف بيزنطة من جهة واغتنام فرصة الغزو والتوسع على حساب أراضيهم من جهة أخرى [67] .

بوفاة عثمان بن ارطغرل في بورصة عام ( 726 ه _ 1365 م ) أوصى بالملك لثاني أولاده وهو " أورخان ( 1324 م _ 1362 م ) لما يتصف به من علو الهمة والشجاعة والإقدام ، و لم يوصي به لأكبرهم " علاء الدين " لميل هذا الأخير للورع والعزلة ، [68] وقد سار أورخان على نهج والده في الحكم ، فعين أخاه علاء الدين وزيراً وأمره بوضع الشرائع وسنِ الأنظمة ونقل كرسي الحكومة إلى مدينة بورصة وجعلها عاصمة للدولة [69] ،وقد استمر اورخان في مسيرة الفتح والعمران ، فأرسل جيشا بقيادة إبنه سليمان إلى بلاد الروم ففتح كل من قلعة **ملعزة وأبسالة** ، كما سقطت في يده **نيقوميديا** وهي أزمير حاليا فأنشأ بها أول جامعة عثمانية [70] .

كما أن السلطان أورخان كان أول من صك العملة من الفضة ، فكتب على أحد وجوهها " محمد رسول الله " وعلى الوجه الآخر اسمه ، وقام بترتيب طبقات الجند فجعل منه جيشا دائما بعد أن كان يجمع أيام الحرب ثم يصرف بإنقضاءها ، وقد سمي هذا الجيش " يني تشاري " أي الجيش الجديد ، ثم عرف فيما بعد بالإنكشارية وهم من

---

([66]) محمد عبد اللطيف هريدي ، الحروب العثمانية الفارسية و أثرها في انحصار المد الإسلامي عن أوروبا ، ط : 1 ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1987 م ، ص : 17 .

([67]) محمود محمد الحويري ، المرجع السابق ، ص : 38 .

([68]) محمد فريد بك المحامي ، المصدر السابق ، ص : 71 .

([69]) حضرة عزتلو يوسف بك آصاف ، المصدر السابق ، ص : 34 .

([70]) علي محمد محمد الصلابي ، الدولة العثمانية ( عوامل النهوظ وأسباب السقوط ) ، ط : 1 ، دار التوزيع النشر الإسلامية ، مصر ، 2001 م ، ص : 52

رعايا الدول المسحية من الأطفال الذين يؤخذون صغاراً ويربون تربية إسلامية ويدربون تدريباً عسكرياً [71] .

واستكمالا لإنجازات أورخان التوسعية فقد قام ابنه سليمان باشا من الاستلاء على قلعة " تراقيا " ، كما حقق نصراً كبيراً ضد الإمبراطور البيزنطي **أندرونيق الثالث** ، وألحق به هزيمة فادحة عام **1328** م ،أين استولى بعدها على معظم شبه جزيرة **نيقية** [72] ،وبعد هذه الانتصارات توفي أورخان **1362** م في بورصة بعد أن أنجز العديد من الأعمال والخدمات الجليلة للدولة ، وآل الحكم من بعده إلى ابنه مراد سنة ( **1362** م _ **1389** م ) وكان عمره حين ذاك **34** سنة واستمرت مدة حكمه **31** عاماً ، أي كانت وفاته عام ( **792** ه _ **1389** م ) ، وفي عهد السلطان مراد كانت الإمارات المتاخمة له تنظر إليه بعين الخوف والترقب ، نظرا للنمو السريع الذي شهدته الدولة العثمانية ، فقام هذا الأخير بتوجيه ضربات موجعة إلى خصومه أقعدتهم عن التحرك ضده ، وفي القسطنطينية كان الإمبراطور " امانويل باليولوج " يسعى للإنقضاض عليه [73] لكن السلطان لم يمهلهم ، فقام بضرب **أدرنة** سنة ( **768** ه _ **1366** م ) وجعل منها عاصمة له ، فكان لذلك صدى سيئ لدى عموم العواصم الأوروبية التي دعت إلى قيام حروب صليبية موحدة ضد العثمانيين ، إلا أن مراد تمكن من دحرهم في معركة قوصوه سنة ( **792** ه _ **1389** م ) وسقط شهيدا بأرض المعركة [74].

كانت الإمارة العثمانية في الوقت الذي استشهد فيه السلطان مراد الأول عام **1389** م قد أخذت على عاتقها دورا هاما في أراضي الأناضول ، فتحولت إلى دولة

---

([71]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص : 15 .

([72]) محمود محمد الحويري ، المرجع السابق ، ص : 39 .

([73]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص : 16

([74]) علي محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص : 60

كاملة الأركان [75] ومع اعتلاء بايزيد الأول للعرش ( **1389** م _ **1402** م ) واصل في توسيع رقعة الدولة فجرد جيشا كبيرا زحف به نحو الصرب ،واصطدم هذا الأخير مع تيمورلنك الذي أخذ يتسلط على أملاك الدولة العثمانية ، فالتقى الجيشان في منطقة **توقاد** أين دارت رحى الحرب وانتهت بهزيمة بايزيد وأُخذ كأسير ليتوفى بعد أربعة أشهر من الأسر [76] .

بإنتصار تيمورلنك في هذه المعركة أعاد لجميع إمارت الغزية استقلالها وأعادها إلى سابق عهدها وأعطاها الحماية بعد أن ساعدته في حربه ضد العثمانيين ، وستشهد المرحلة الثانية من مراحل قيام الدولة العثمانية والممتدة من ( **1403** م _ **1566** م ) أزهى فترات الدولة ،حيث قام العثمانيون بإعادة بناء دولتهم من جديد، وتوسعوا بشكل كبير وسريع في كل من آسيا وأوروبا وإفريقيا ، وحكم الدولة في هذه الفترة ستة سلاطيين أقوياء وهم : محمد الأول ، مراد الثاني ، محمد الفاتح ، بايزيد الثاني ، سليم الأول وسليمان القانوني [77] .

عمل محمد الأول ( 1413 م _ 1421 م ) أو كما يعرف في كتب التاريخ العثماني بالسلطان " محمد جلبي " ، على إطفاء الحروب الداخلية وإرجاع الإمارات التي إنفصلت في أيام الفوضى التي تلت وفاة السلطان بايزيد الأول ، ومما يؤثر على استعماله للحزم والحلم في ممارسة الحكم ، فكانت سياسته هادفة إلى توطيد أركان الدولة وتقويتها من الداخل، ولأجل ذلك صالح إمبراطور القسطنطينية وحالفه ، وأعاد إليه بعض المدن على شواطئ البحر الأسود ،كما صالح البندقية بعد هزيمته أمام أسطولها ، وقام بقمع الفتن

---

([75]) محمد عكاف آيدين وآخرون ، المصدر السابق ، ص : 18 .

([76]) إبراهيم بك حليم ، تاريخ الدولة العثمانية العلية المعروف بكتاب ( التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ) ، ط : 1 ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، 1988 م ، ص : 49 .

([77]) مفيد الزيدي ، موسوعة التاريخ الإسلامي " العصر العثماني " ( 1516 م _ 1916 م ) ، دار أسامة للنشر ، عمان ، 2003 م ، ص ص : 73 – 75 .

والثورات وأخضع جُل الإمارات التي أحياها تيمورلنك ، فدانت له بالطاعة والولاء فأستطاع بفضل حنكته وعبقريته في القيادة أن يحافظ على كيان الدولة حين هددتها أخطار التتار وكذا الفتن الداخلية [78] .

بعد وفاة السلطان محمد الأول خلفه من بعده ابنه مراد الثاني ( 1421 م _ 1451 م ) الذي افتتح أعماله بإبرام الصلح مع ملك المجر ،و الاتفاق على الهدنة البالغ أجلها خمس سنوات ، إلا أنّ " إيمانويل " ملك المجر أرادها هدنة دائمة مع تسليم اثنين من اخوة السلطان كضمان لذلك وإلا سيطلق سراح عمّه " مصطفى بن بايزيد " من سجنه لينافسه على العرش وبرفض مراد الثاني للأمر . أطلق إيمانويل سراح " مصطفى " وأمدّه بمراكب حربية ليواجه بها ابن أخيه ، إلا أن مراد الثاني تمكنّ منه وقضى عليه [79] .

ردّ مراد الثاني على عمل إيمانويل العدائي ، حيث قام مراد بمحاصرة القسطنطينية ومهاجمتها في أوت 1422 م ، إلا أنه لم يتمكن من فتحها بسبب ظهور عصيان أخ له اسمه مصطفى ، و لم تلبث هذه الفتنة أن أخمدت بقتله مع الكثير من مناوئيه ، هذا وقد أعاد مراد الثاني للدولة العثمانية ولايات آيدين وصاروخان وغيرها من الإمارات التي انفصلت بمساعدة تيمورلنك [80] .

---

([78]) علي محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص ص : 73 - 75

([79]) روبير مانتران ، الدولة العثمانية ، تر : بشير السباعي ، ج : 1 ، ط : 1 ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1993 م ، ص : 92 .

([80]) محمد فريد بك المحامي ، المصدر السابق ، ص ص : 107 – 109 .

توالت الفتوحات العثمانية واتسع نطاقها وأصبحت الدولة قوية كفاية لتمتلك زمام الأمور ، خاصة في عهد السلطان الجديد محمد الفاتح ( 1451 ه _ 1481 م ) الذي دّك أسوار القسطنطينية بعد أن استعصت على أسلافه من السلاطين [81] .

تمتعت هذه المدينة بأهمية عظمى أين أولاها سلاطين آل عثمان درجة عالية من الاهتمام لأنهم أدركوا تماما أن فتحها سيمكنهم من تأسيس إمبراطوريتهم التي يسعون لبنائها خاصة وأن هذه المدينة تمتلك حصانة طبيعية كبرى ، حيث تحيط بها المياه من ثلاث جهات من الشمال مياه القرن الذهبي ، ومن الشرق مياه البوسفور ومن الجنوب مياه بحر مرمرة فكانت بذلك على درجة كبيرة من المنعة ، وقد أعطاها الإمبراطور قسطنطين اسمه وبنى بها أعظم كنيسة وهي " آية صوفيـــــا " .

تعرضت هذه المدينة للحصار من طرف العثمانيين لأكثر من تسعة وعشرون مرة كان آخرها الفتح المؤزر للسلطان " محمد الفاتح " يوم 29 ماي 1453 م ، والذي اتخذها عاصمة للدولة ، وأصبح اسمها " إسلام بول " أي مدينة الإسلام وقام بتحويل كنيستها الشهيرة آية صوفيا إلى مسجد ، فأقام على أركانها أربعة مآذن وأضاف إلى عمرانها نمطا إسلامياً كما زين جدرانها بآيات قرآنية من الذكر الحكيم [82] .

بهذا الإنجاز سقط أهم معاقل المسحية في الشرق أمام القوة الإسلامية العثمانية ، كما دانت للسلطان محمد الفاتح كل من المورة والصرب والبوسنة وحاصر جزيرة رودس إلا أنه لم يتمكن من فتحها وقد وافته المنية سنة 1481 م [83] .

---

([81]) خليل اينالجيك ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ، ت: محمد . م. الأرناؤوط ، ط : 1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2002 م ، ص : 39 .

([82]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص ص : 28 ، 29 .

([83]) زبيدة عطا ، بلاد الترك في العصور الوسطى ( بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون ) ، دار الفكر العربي ، الكويت ، ص : 195 .

تولى الحكم من بعده ابنه بايزيد الثاني ( 1481 م _ 1512 م ) و لم يحدث في عهده أي تطور حيث يُذكر ،دلك أن بايزيد كان يميل إلى حياة القناعة والزهد ، ويعرف عند الأتراك بإسم " دالولي " ، وقد كان حكمه بوجه عام فترة توقف عن الفتوح أعاد خلالها العثمانيون بناء وتطوير عاصمتهم الجديدة ، كما قاموا بتحسين أنظمة إمبراطوريتهم ، ففي أوروبا انتهت الحروب المتكررة ضد البولنديين والمجر وحلفائهم البنادقة ، كما منح السلطان لحلفائه من النصارى هدنة لمدة سبع سنوات لأنه كان مضطرا للاهتمام والتركيز على ناحية الشرق لظهور تطورات خطيرة تمثلت في ظهور الصفويين بإيران . [84]

هذا وقد شهدت فترة حكمه بداية ظهور العلاقات العثمانية الأوروبية ، أين أوفدت روسيا عام ( 898 ه _ 1493 م ) أول سفير لها إلى القسطنطينية ومعه الهدايا للسلطان بايزيد الثاني ، كما ربطت الدولة العثمانية في عهده علاقة صداقة مع مملكة بولونيا حيث عقد بينهما معاهدة سنة ( 896 ه _ 1490 م ) كما ابتدأت في عهده اتصالات مع البابا اسكندر السادس وملك نابولي ودولة ميلانو وجمهورية فلورنسا ، إلا أن صفو حياته تكدر بسبب عصيان أبنائه وتمردهم فاستقال عن الخلافة وتنازل بها لابنه سليم الأول ( 1512 م _ 1520 م ) [85] .

يعتبر عهد السلطان سليم الأول من أهم فترات التاريخ في عهد الدولة العثمانية لارتباطه المباشر بتاريخ الدول العربية ، حيث اقتضت الإستراتجية العسكرية للدولة أن توجه أنظارها إلى المشرق العربي لأسباب عدة في مقدمتها ، ظهور الصفوين بإيران وكذا ظهور الغزو الأوروبي وتوجهه نحو الوطن العربي حيث ظهر الاحتلال الاسباني في بلاد المغرب الإسلامي وكذا البرتغالي في البحر الأحمر والمحيط الهندي ، ثم قيام الأوروبيين

---

([84]) برنارد لويس ، اسطنبول وحضارة الخلافة الإسلامية ، تع : سيد رضوان علي ، ط : 2 ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، السعودية ، 1982 م ، ص ص : 50 ، 51 .

([85]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص: 34

بإكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وتحويل تجارة الهند والشرق الأقصى عبره ، وكذا قيام الأسطول البرتغالي بمحاصرة الطرق التجارية بالبحر الأحمر والخليج العربي وإرغام التجار على استخدام الطريق الجديد . [86]

كان على السلطان سليم الأول أن يأخذ هذه الأحداث بعين الاعتبار، فكانت أولى أعماله درء الخطر الصفوي عن دولته ،فقام بشن حرب ضد الشاه إسماعيل الصفوي في إيران ،وكان تاريخ 23 أوت 1514 م إعلانا عن هزيمة الصفويين في سهل **جالدران** قرب الحدود التركية الإيرانية ، أين احتل السلطان عاصمتها **تبريز** ثم تركها منسحبا إلى الأناضول بعد أن ترك الشاه مهزوما [87] .

وأكمل سليم الأول مسيرة الفتح ، فحارب المماليك ببلاد الشام وانتصر عليهم في معركة **مرج دابق** سنة ( 923 ه _ 1516 م ) حيث هزم السلطان الغوري ، ثم تابع زحفه جنوبا واستولى على **يـــافا وغزة والعريش** ثم عبر سيناء ودخل الدلتا زاحفا نحو القاهرة ،أين اجتمع المماليك الجراكسة على طومان باي الذي هزم في معركة **الريدانية** عام 1517 م ،وألقى عليه القبض ،وأمر السلطان العثماني بشنقه وخضعت بذلك مصر للسيادة العثمانية ،ومكث بها سليم الأول قرابة ثمانية أشهر ، درس فيها وضع البلاد وإدارتها ليسهل عليه تسيرها وغادرها فيما بعد متجها إلى عاصمته بإسطنبول بتاريخ 10 سبتمبر 1517 م [88] .

---

([86]) نمير طه حسين ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ط : 1 ، دار الفكر ، المملكة الأردنية الهاشمية ، عمان ، 2010 م ، ص : 13 .

([87]) برنارد لويس ، المرجع السابق ، ص : 52 .

([88]) إسماعيل أحمد ياغي ، العالم العربي في التاريخ الحديث ، ط : 1 ، المكتبة العربية ، الرياض ، 1997 م ، ص ص : 39 ، 40

هذا وقد تلا سقوط مصر في يد العثمانيين عام 1517 م خضوع بلاد الحجاز أيضا وذلك بسبب التبعية التي كانت توليها الحجاز لمصر ، حيث كانت هذه الأخيرة توفر الحماية للحجاز بالإضافة إلى الأموال والإعانات التي ترسلها إلى فقراء مكة والمدينة ، وعلى إثر ذلك أسرع شريف مكة " الشريف بركات " بإرسال ابنه إلى القاهرة لكي يقدم التهاني وفروض الطاعة والولاء للسلطان العثماني ، إلى جانب تقديم مفاتيح الحرمين الشريفين ، ومن هنا بدأ نجم العثمانيين يعلوا في الأفق ، وقد دعي للسلطان سليم الأول في المنابر والخطب ولُقب بخادم الحرمين الشريفين [89] .

بهذا التاريخ كان العثمانيون قد وصلوا إلى الحوض الغربي للمتوسط بفضل بحارتهم المتمثلين في الإخوة " بربروس " ، أين استطاع الإخوة ضم الجزائر للدولة العثمانية بعد أن طلب أعيان الجزائر يد المساعدة من سلطانها سليم الأول ، ولاقت تونس نفس المصير وكذا طرابلس الغرب بعد أن حررت من أيدي فرسان مالطة عام 1551 م [90].

بعد وفاة السلطان سليم الأول سنة ( 926 ه _ 1520 م ) خلفه ابنه سليم الثاني المعروف بـــــ " القانوني " ( 1520 م _ 1566 م ) ، وكان له من العمر ستة وعشرون عاما وقد حكم لمدة 48 سنة ، وهي أطول فترة حكم قضاها سلطان عثماني .

يعتبر عصر السلطان سليمان من أزهى العصور في العهد العثماني ، حيث وفق في فتوحاته في الجانب الغربي ، كما وفق في فتوحاته شرقا قد أطلق عليه العثمانيون اسم القـــــانوني لكثرة القوانين والنظم التي صدرت في عهده ، كما أطلق عليه الأوروبيون

---

([89]) فاضل بايات ، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني ( رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية ) ، ط : 1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2003 م ، ص : 84 . **انظر** أيضا : إسماعيل أحمد الياغي ، المرجع السابق ، ص : 42 .

([90]) أندريه ريمون ، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني ، تر : لطيف فرج ، ط : 1 ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1991 م ، ص : 21 .

لقب العظيـــــــم ، ويرجع السبب في ذلك إلى شجاعته ، حيث استطاع أن يفرض هيبته في عصر كان يعيش فيه الكثير من المشاهير أمثال " فرانسوا الأول " ملك فرنسا و " هنري الثامن " ملك إنجلترا و " شارل الخامس " ملك إسبانيا وألمانيا [91]، هذا وقد صادفت أيام السلطان سليمان القانوني نهضة شاملة في أوروبا في القرن السادس عشر الميلادي 16 م ، وقد سايرهم العثمانيون في ذلك بل فاوقهم في المضمار الحربي ، و لم يوجد في أوروبا كلها من يفوقهم حربيا أو سياسيا أو إداريا وقد قطعت الدولة العثمانية شوطا كبيرا في التفوق والعظمة ، بالإضافة إلى فتوحاتها البحرية .

كانت لها العديد من الإنجازات البحرية ، خاصة بعد أن نمّت بحريتها بشكل كبير بفضل عديد القادة الأكفاء أمثال "سنان باشا ودرغوث و الإخوة بربروس " ، حيث لعِب هؤلاء دوراً هاما في تحويل البحرية العثمانية إلى قوة فعالة في البحر المتوسط بأكمله [92].

حققت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني نجاحات باهرة في الحوض المتوسط ، حيث تمكن هذا الأخير من فتح بلغراد ( 926 ه _ 1521 م ) كما فتح جزيرة رودس التي كانت بمثابة قاعدة عسكرية منيعة لفرسان المحاربين الذين يمارسون القرصنة البحرية في أرجاء المتوسط ،ويهددون الطرق التجارية الموصلة والرابطة بين إسطنبول وسائر ايالاتها [93] .

بإخضاع رودس جرى تأمين الطريق البحري ،ولم يبق في طريق السيادة في شرق المتوسط إلا عقبة واحدة وهي جزيرة قبرص ، واستطاع " خير الدين " إخضاعها عام

---

([91]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص : 35 .

([92]) المرجع نفســــــــــه ، ص : 37 .

([93]) خلف بن ديلان بن خضر الوذيناني ، الفتح العثماني لجزيرة رودس ( 929 ه _ 1523 م ) ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، السعودية ، 1997 م ، ص ص : 43 ، 44

1538 م [94] كما غزى السلطان سليمان بلاد المجر والتقى بجيوشهم في معركة " موهاكس " ( 932 ه _ 1526 م ) وقتل ملكهم " لويس الثاني " ، كما حاصر فيينا عشرين يوماً عام 1529 م إلا أنه لم يتمكن من فتحها [95] .

وتجدر الإشارة إلى جزيرة مالطة لأهمية موقعها ، فنقول أنه رغم قوة الأساطيل العثمانية وشّدة بأسها ، لم تقدر أن تتغلب على فرسان القديس يوحنا أصحاب هذه الجزيرة ، وقد كانت هذه الجزيرة هبة لهم من طرف " شارل الخامس " بعد أن قام العثمانيون بطردهم من جزيرة رودس بعد فتحها عام 1522 م ، ففي عهد السلطان سليمان القانوني سيرّ إليها أسطولا عظيما عام 1565 م بقيادة " مصطفى ودرغوث باشا " فحاصروها مدة أربعة أشهر ، ثم اضطروا للجلاء عنها بعد قتال مرير أبداه فرسان القديس يوحنا دِفاعاً عن جزيرتهم حتى لم يبق من حاميتهم سوى 600 فارس بعد أن كان عددهم قرابة تسعة آلاف فارس [96] .

وعلى العموم كشف العثمانيون عن تفوقهم بالبحر المتوسط بحوضيه الشرقي والغربي ، وظلت الدولة العثمانية بعد وفاة سليمان القانوني بأكثر من قرن قوة جبارة ومهابة من القوى الأوروبية [97] .

آل الحكم بعد وفاة السلطان سليمان القانوني إلى ابنه " سليم الثاني " 1566 م وكان له من العمر خمسة وأربعون عاما ، حيث عمل السلطان سليم الثاني على إتمام فتح ممالك اليمن التي كان والده قد بدأ بفتحها [98] ،وعمل السلطان سليم الثاني على إرسال

---

( [94]) محمد عكاف آيدين و كمال بكديلي وآخرون ، المرجع السابق ، ص ص : 42 – 43 .

( [95]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص :37 .

([96]) أحمد عبدالله الفليج ، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية ، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر ، الكويت ، 1984 م ، ص : 42 .

( [97]) برنارد لويس ، المرجع السابق ، ص : 57 .

( [98]) عبدالعزيز سليمان نوار ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص : 100 .

النجدة لمسلمي غرناطة ، بعد أن استنجدوا به من ظلم وقهر مسحي إسبانيا حيث لبى طلبهم بأن أرسل لأمير ايالة الجزائر بمد يد العون [99] ،وفي عهده أيضا توجهت أنظار العثمانيين صوب البحر الأحمر لإعادة الحياة إلى طرق التجارة القديمة لكسر شوكة البرتغاليين الذين وصلوا إلى الهند، وتحكموا في تجارة التوابل والعطور وعطلوا التجارة في البحر المتوسط .

سيطر العثمانيون على نقاط مهمة في البحر الأحمر ، كـــــــ : " عدن في اليمن وخليج البصرة " ، وكانت هذه السيطرة بمثابة ضربة موجعة للبرتغاليين الذين كانوا يحققون أرباحا طائلة من تجارة التوابل ، وقد ساهمت سيطرة العثمانيين على البحر الأحمر في عودة التجارة إلى البحر المتوسط أين انتعشت وازدهرت عديد المدن الإسلامية على غرار الإسكندرية ومدن الشام [100].

بعد هذه الإنتصارات التي حُقِقَت للدولة العثمانية أيام محمد الفاتح وسليم الأول وسليمان القانوني ، ورثت الدولة واقعاً جديداً فعلى الرغم من أن نظام الدولة كان قويا إلا أنه شهد الضعف في بعض جوانبه ، وذلك للاتساع رقعة الدولة الجغرافية ، وبدأ دور الدولة يتراجع تدريجيا نحو الضعف والانحطاط ، بعد وفاة السلطان سليمان القانوني حيث حكم 18 سلطانا مابين ( 1520 م _ 1808 م ) لم يكن أحد منهم يمارس الحكم بنفسه ،بل بواسطة الوزراء الذين أشفق عليهم بعضهم على الدولة وحافظ عليها ، في حين كان البعض الآخر مثلا للرشوة والفساد [101] .

بدأ الوهن والضعف يظهر في الدولة من خلال ضياع النفوذ والسيطرة على البحر المتوسط ، حيث تراجع العثمانيون عن مخططاتهم التوسعية فبرغم من الانتصار الذي

---

([99]) فائقة محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص : 38 .

([100]) محمد عكاف آيدين وكمال بكديلي وآخرون ، المصدر السابق ، ص ص : 43 ، 44 .

([101]) نمير طه حسين ، المرجع السابق ، ص : 15 .

حققوه في حلق الوادي في تونس عام 1574 م ، إلا أنه كان نصرا بدون نتائج فمباشرة بعد الانتصار شرع العثمانيون في التفاوض مع الإسبان بشأن عقد معاهدة سلام ، وقد كان للانسحاب العثمانيين من الساحة المتوسطية عواقب وخيمة يمكن أن نختزلها في ضعف السيطرة العثمانية على ولاياتها في الشمال الإفريقي ، وسيادة أعمال القراصنة حيث عاد فرسان مالطة ليشكلوا خطرا على التجارة العثمانية والحجاج ، وأصبح من الصعب على العثمانيين أن يتصلوا بمصر والشام ، ولم يقتصر فقدان السيطرة على البحر المتوسط فحسب بل بدأ العثمانيون يفقدون سيطرتهم على البحر الأسود ، ففي الفترة الممتدة مابين ( 1614 م _ 1625 م ) فقدوا السيطرة على " سينوب ويكي كوي " وانعدم الأمن في البحر الأسود وهو ما وجه ضربة قوية للتجارة العثمانية [102].

## المبحث الثاني : ظهور الإخـــــــوة بربروس

استولى العثمانيون إثر حملتهم ببحر إيجه على جزيرة ميديلي [103] في سنة 1458م ،و لكي يثبت الأتراك وجودهم بها ،أرسل السلطان العثماني طائفة من جنده و أمرهم بالاستقرار نهائيا في جزيرة ميديلي ،وعندما اعترض الجنود على ذلك أذن لهم بالزواج من مسيحيات [104]، و كان من بين هؤلاء الجند جندي اسمه يعقوب و هو شاب من

---

([102]) عبد الرحيم بنحادة ، العثمانيون ( المؤسسات والاقتصاد والثقافة ) ، تق : عبد الرحمان المودن ، ط : 1 ، دار النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 2008 ، ص : 49 .

([103]) **جزيرة مديلي** : تطلق هذه التسمية على الولاية التركية التي كانت تضم تراقيا ومقونيا وبلغاريا والصرب وألبانيا وجميع جزر بحر إيجة . **أنظر** : عبد السلام الترمانيني ، أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين ،ج 4،ط : 1 ،1997 ، ص : 822 .

([104]) أبو الراس الناصري الجزائري ، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار،تح:بوركبة محمد ،ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ،2012،ص330 .

روميلي [105] ، من فرقة الخيالة (سبايهيا) ،و بناءا على ذلك فقد تعرف يعقوب من مسيحية تدعى كاتالينا فتزوجها و كان له منها أربعة أولاد [106]، أكبرهم إسحاق867ه _ 1462م ، ويليه عروج 869ه/1464م ثم خضر [107]871 ه-1466م ، و كان أصغرهم إلياس [108] ،ومن المحتمل أن تكون هذه التواريخ قريبة من الحقيقة [109].

كما يذكر مبارك الميلي في كتابه تاريخ الجزائر أن يعقوب كانت مهنته قبل الدخول في الجندية تتمثل في صنع أواني الخزف، فاستأنف هذه المهنة و أثناء مباشرته لها تعرف على (أيم) المسيحية ،ويذكر عروج في مذكرته انه عندما فتح السلطان محمد الفاتح جزيرة ميديلي كان أباه أحد فرسان السبايهية [110] ،و عندما انتظمت أموره تزوج من إحدى بنات الجزيرة ،حيث كان أنيقا شجاعا .

و قد استقر إسحاق في قلعة ميديلي أما خير الدين و عروج فقد كان مولعين بركوب البحر، و عليه اقتنى عروج سفينة و انطلق بها للتجارة في البحر ، حيث كانوا في بداية الأمر يجلبون البضاعة من سلانيك و اغريبوز و يبعونها في ميديلي، إلا أن عروج كان يرغب دوما في الذهاب إلى أكبر من هذه المسافة ، و ذات يوم ذهب عروج مع إلياس إلى

---

) مبارك بن محمد الهلالي الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج 3 ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ، ص 32 :[105]

([106]) مبارك الميلي، المرجع السابق ، ص: 32

([107]) اسمه الخضر و لقب بخير الدين

([108]) عزيز سامح ألتر، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا ،تر: محمود علي عامر، ط:1،دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان،1989، ص27 .

([109]) عزيز سامح ألتر ، نفسه ، ص : 27

([110]) مصطلح يطلق على فرسان

طرابلس الشام غير أنهما لم يتمكنا من الوصول [111] ،حيث صادفا في طريقهما سفن فرسان جزيرة رودس [112] وهناك اشتبكا معهم ،و على إثرها سقط إلياس شهيدا بينما استولى فرسان رودس على السفينة و أخذوا عروج أسيرا و كان هذا عام 1501م [113]

.

إزاء هذا الشأن اقسم عروج على منازعة قطاع الطرق المسيحيين ،و نذر نفسه لذلك و كانت جزيرة رودس تحكم من قبل احد القباطنة ،إلى جانب عدد كبير من العساكر ،و مهمتهم حراسة الجزيرة و حفظ الأمن فيها ، وكان حاكمها يطلق عليه قبطان أو القائد ، حيث كبل عروج بالأغلال و تركه يتجول بالجزيرة.

تأثر خير الدين بسماع خبر اسر أخيه عروج فاخذ يجمع المال لفديته [114] و إنقاذه حيث تعرف خير الدين على تاجر مسيحي من أصل رودسي ،و الذي كان ينتقل بتجارته بين رودس و ميديلي يدعى « غريقو » حيث طلب منه خير الدين أن يتوسط لفك اسر أخيه ، و قد قدرت الفدية بـــــ : ألف أقجة ذهبية ، و بعد اتفاق ذهبا معا إلى جزيرة بودروم و من هناك تابع التاجر طريقه إلى رودس للإطلاع على أحوال عروج حيث تقابل معه و أطلعه عن أمر فديته، فسر بهذا ،ثم جلس منفردا يفكر في الأمر ،وأثناء تواجده بالجزيرة تعرف على رجل غني و لطيف يقال له ابن سانتري أو سانترلو اوغلو ، فشاوره عروج بالأمر و طلب منه أن يشتريه ثم يبيعه للتاجر الرودسي ،فقبل هذا الأخير طلب

---

([111]) مجهول ، مذكرات خير الدين بربروس ، تر: محمد دراج ، ط:1 ، شركة الاصالة للنشر ، الجزائر ، 2010 ، ص 21 .

([112]) **رودس** : جزيرة تقع في البحر المتوسط عند مدخل بحر إيجه جنوب غرب الاناضول.**أنظر:**كتاب عبد السلام ، المرجع السابق،ص822.

([113]) وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر،تع :عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006،ص.38 )

([114]) مبارك الميلي ، مرجع السابق ، ج3 ، ص : 33

عروج و توصلا إلى خطة لايعلمها غيرهما. [115] لكن قبل أن تتم عملية البيع ألغيت الصفقة ، لان فرسان رودس قد بلغهم مجيء أخيه خير الدين إلى بودروم و هو مستعد للدفع ، هذا و قد اختلف شريكاه على بيعه [116]، حيث أن أحد المالكين قد اظهر استعداده لبيعه غير أن الملك الثاني قد كابر في الأمر، و اشترى حصة صاحبه [117] ،و قدر ثمنه ب خمس وعشرون ألف أقجة ذهبية ،حيث نقل المالك الجديد عروج إلى بيته و كبله بالحديد و تركه في خندق [118].

كما مورست عليه شتى أنواع التعذيب و الظلم ، لم يتمكن عروج من تحمل هذا العناء وفي ليلة من الليالي وقد إشتد كربه ، فرفع يداه إلى رب العالمين راجيا منه أن يفك أسره و يخلصه من ظلم المسيحيين ،و أمضى عروج الليلة يدعوا في ذل و انكسار حتى غص في النوم، وإذا به يرى في منامه شيخا مشرق الوجه يقول له :" يا عروج لا تحزن بسبب ما أصابك من أذى في سبيل الإسلام فان خلاصك قريب" ، فسر عروج كثيرا لهذه الرؤيا و انشرح صدره . كلف عروج بالتجديف في السفن المسيحية [119]، و في هذه الأثناء كان السلطان شيخ زادة قرقود واليا على أنطاكيا ، و كان يهتم بفداء الأسرى المسلمين من أيدي النصارى فهو يجمع بكل ما لديه من ماله تبرعا لوجه الله و يرسله لافتداء الأسرى المسلمين ، حيث كلف أحد عماله بالسفر إلى رودس و زوده بمبلغ من المال لافتداء أربعين أسير مسلما و نقلهم بسفينة رودسية حتى سواحل انطاليا، حيث وقع

---

([115]) عزيز سامح ألتر ، المرجع السابق ، ص : 30

([116]) مذكرات خير الدين، المصدر السابق، ص : 26

([117]) مبارك الميلي، المرجع السابق ،ج3 ، ص : 33

([118]) عزيز سامح ألتر ، المرجع السابق ، ص : 31

([119]) مذكرات خير الدين ، المصدر السابق، ص ص : 27،28

الاختيار على السفينة التي كان يشتغل بها عروج و هو من جملة أسرى الذين كلفوا بالتجديف ،حيث أصبح في هذا العمل الشاق منذ ثلاثة سنوات [120].

كان عروج رجلا خفيف المزاج يتكلم كثيرا من اللغات ولا سيما اللغة الرومية التي كان يتقنها ،و كان في كثير من الأحيان يتبادل أطراف الحديث مع القباطنة الرودسيين ،و ذات يوم قال القباطنة لعروج " أنت رجل حلو الحديث خاصة بلساننا الذي تعرفه جيدا ما الذي وجدته في الإسلام ؟ تعال و ادخل في ديننا، و سوف يكون لك شان كبير بيننا " فأجابهم عروج قائلا:" أيها المجانين كل شخص يروقه دينه هل يوجد نبي أفضل من النبي محمد صلى الله عليه و سلم لأومن به ؟ ،"فردوا عليه إذن فلتبقى على حالك، و ننظر كيف يخلصك نبيك من أيدينا [121]، و الآن فلتستمر في الجدف. و انطلقت السفينة المحملة بالأسرى،و في الطريق كسرت إحدى قيوده ، حيث رست السفينة في مكان قريب من انطاليا و نزل الحاجب و معه مئة أسير ،و في تلك الليلة هبت رياح معاكسة قرر الرودسيون بسببها الانتظار حتى الصباح .

و في أثناء الليل هبت عاصفة قوية أجبرت الجميع على الخلود للنوم بعد إرهاق شديد ،حيث استغل عروج الموقف و الظلام الدامس ، و رمى نفسه بين الأمواج ليصل إلى قرية قريبة من الساحل بسلام ليسجد شاكرا لله ، حيث حضي بترحيب واستضافت عجوز في بيتها و التي أكرمته بالطعام و اللباس و جميع ما يلزمه ، فأمضى عشرة أيام في تلك القرية التي كان أهلها يتخاصمون على ضيافته في كل ليلة ، و الذين زودوه بالأكل و المال و كل ما يلزمه ، أما الرودسيون عندما حل الصباح وجدوا مكان عروج خاليا فأدركوا انه قد تمكن من الفرار. و عندما فقدوا امل العثور عليه رجعوا إلى رودس و الحسرة بادية على وجوههم .أما قسيس السفينة فقد أعلمهم أن معرفة عروج بالسحر قد

---

([120]) عزيز سامح ألتر ، المرجع السابق ، ص ص : 30،31

([121]) نفسه ، ص : 31

مكنته من الهرب [122] ، و في هذه الأثناء كان خير الدين في بودروم ينتظر خبرا من رودس عن أخيه ،حيث اعلمه التاجر أن أخاه قد هرب لكن خير الدين لم يصدق الخبر في بادئ الأمر غير أن البحارة الموجودين في الميناء أكدوا له صحة الخبر . [123]

توجه عروج إلى انطاليا حيث بدأ في البحث عن عمل في السفن ،و بعدها عينه « الرايس علي » على متن سفينته من نوع غاليون ، [124] و الذي كان متأهبا للسفر إلى مصر ،حيث أسندت له مهمة القبطان، و عند وصولهم إلي الإسكندرية استقر عروج بها و بعث برسالة إلى ميديلي شرح فيها مغامرته ،حيث سر كثيرا خير الدين لنجاة أخيه. و كان عروج قد عرض على سلطان مصر العمل عنده فقبل السلطان و سلمه سفينة من نوع قادرغة [125] [126].

تمكن البرتغاليين من اكتشاف طريق إلى الهند عن طريق الالتفاف حول قارة إفريقيا ، وجعل القراصنة البرتغاليين يعترضون سفن الحجاج المسلمين ويستولون عليها ،ويقتلون من فيها من حجاج أو يبيعونهم كرقيق ، وكانوا يهاجمون السواحل الإسلامية في الهند و شرق إفريقيا المطلة على المحيط الهندي و البحر الأحمر .فشكلوا خطراً على الملاحة الإسلامية وهذا الأمر جعل السلطان المملوكي يسعى إلى بناء أسطول قادر على حماية

---

([122]) مذكرات خير الدين ، المصدر السابق ، ص ص : 31، 32

([123]) عزيز سامح ألتر ، المرجع السابق ، ص : 32

([124]) هي سفينة حربية ذات أشرعة هوائية يقوم بدفعها الجدافون الأسرى و كانت تستعمل قبل اكتشاف السفن البخارية

([125]) هي نوع من أنواع السفن الحربية المستعملة آنذاك و هذا النوع مخصص لمهاجمة السفن المعادية تحتوي على 25 مقعدا يعمل عليها 49 مجدفا يبلغ طولها من 165- 168 قدما عرضها من 21-22 قدما **أنظر** : عزيز سامح ألتر ،المرجع السابق ، ص : 32

([126]) مبارك الميلي، المرجع السابق ،ج3 ، ص : 34

السواحل الإسلامية. فسمع سلطان مصر بشهرة عروج ودعاه للقدوم وعرض عليه الدخول في خدمته ، وإذا وافق عروج على هذا العرض عينه قائداً للأسطول.

كتب السلطان مرسوماً إلى والي أضنة بأن يرسل إلى ميناء بياس بخليج الإسكندون من الأخشاب ما يكفي لصناعة أربعين قطعة بحرية، ففعل الوالي المطلوب وأرسله إلى الميناء ، في هذه الأثناء كان سلطان مصر يقوم بتجهيز أسطول بحري بهدف إرساله إلى الهند ، فكلف عدة سفن بالذهاب إلى خليج بياس (payas) لإحضار الخشب اللازم لإنشاء هذا الأسطول ،و قد خرج عروج بستة عشر سفينة إلى بياس على أن يأخذ الخشب ثم يتجه به إلى مصر . لقد علم الرودسيون بان عروج قد صار قائدا لأسطول ملك مصر ففرحوا كثيرا و صاروا يترقبون الفرصة المواتية للنيل منه ، و عندما بلغهم مجيئه إلى بياس جهزوا أسطولهم و تحركوا صوبه ، و حينما كان البحارة منشغلون بجمع الخشب أغار عليهم المسيحيين و هاجموا سفنهم الراسية ،و احرقوها فاضطر البحارة للفرار في البر داخل الأراضي العثمانية [127] .

عاد عروج ثانية إلى انطاليا و هناك اتصل بواليها الشيخ زاده قرقود ،و شرح له حالته فأمر بإعطائه سفينة تسع لثماني عشر مقعدا ، و بعد أن جهزت سلمت لعروج ونزل بها البحر متجها إلى جزيرة رودس ، و في طريقه كلما مر على جزيرة إلا هاجمها فدب الرعب فيها ولا يكاد احد ينجو منه ، فهم وشكى سكانها أمرهم إلى قائد رودس الذي أمر بملاحقة عروج، و بدأت السفن الرودسية في ملاحقته و البحث عنه في كل مكان، و أخيرا عثروا على سفينته راسية في إحدى المراسي على إحدى الجزر فهاجمه الرودسيون ، هرب عروج رفقة أصحابه إلى اليابسة مصطحبا معه أبناء أسرى مسيحيين ،و إلتجأ مرة ثانية إلى قرقود الذي كان بمنيسا و هناك التقى بالسلطان قرقود الذي قلده

---

([127]) مذكرات خير الدين، المصدر السابق، ص ص: 34 ، 35

حلة رياسة جديدة ووضع تحت أمره سفينة من نوع قاليتة [128] ،و أذن له بالسفر داعيا له بالتوفيق كما وضع يبالي بك سفينته الخاصة تحت تصرف عروج [129].

انطلق عروج في عرض البحر بعدما تسلم السفينتين في الوقت المطلوب ،و في طريقه التقى بسفينتين من سفن البندقية فاستولى عليهما ، فمر على جزيرة ميديلي واصل طريقه في البحر، فالتقى بسفينتين فهاجمهما و استولى عليهما في سواحل بوليا ،ثم توجه إلى جزيرة اغريبوز و فيها استولى على ثلاثة سفن أخرى تابعة للبندقية، بعدما اخذوا مائتين و خمسة و ثمانين أسيرا و قتلوا مئة و عشرون بحارا ثم عاد إلى ميديلي و هناك حضي باستقبال كبير من قبل إخوته خير الدين وإسحاق .

قرر عروج العودة إلى أزمير لمقابلة ولي نعمته قرقود ،و في هذه الأثناء بلغهم نبأ الصراع الذي نشب بين السلطان قرقود و أخيه سليم، قرر عروج التعجيل في مغادرة الجزيرة لأنه كان من المقربين من السلطان قرقود ، حيث قرر توجه إلى مصر ،و لما بلغها قدّم إلى سلطانها الاشرف قانصوه الغوري [130] عدد من الأسرى، حيث سمح له ملك مصر بقضاء الشتاء فيها ،و مع قدوم ربيع 1513 استاذن عروج للخروج للغزو، فأذن له سلطان مصر بذلك خرج عروج بسفنه إلى البحر ليصطاد من هنا و هناك، و حصل من جراء هذا على غنائم كثيرة حيث استولى على خمس مراكب تابعة للبنادقة ،و من هناك توجه إلى جزيرة جربة حيث باع غنائمه هناك،و قد استقر رأيه على اتخاذ جزيرة جربة كمقرا له ،و بعدما استقر بها اخذ يهاجم السواحل المسيحية . [131]

---

([128]) احدى السفن الحربية بها من 20- 25 مقعدا عادة ما تستعمل في مطاردة سفن العدو **أنظر** : عزيز سامح ألتر ،المرجع السابق ، ص : 32

([129]) عزيز سامح ألتر ،المرجع السابق ، ص:33.

([130]) عبد السلام الترمانيني ، المرجع السابق، ص ص : 605 -606 .

([131]) مذكرات خير الدين، المصدر السابق، ص ص :41-42.

عندما جلس السلطان سليم الأول [132] على العرش ،وقع خلاف بينه و بين أخيه قرقود الذي أرسل جيشا للبحث عليه إلا أنه لم يتمكن من العثور عليه ، وفي ذلك الوقت جاء الإسكندر باشا إلى جزيرة ميديلي ليضايق خير الدين ،و هذا لان أخاه عروج هو من أنصار السلطان قرقود ، فاضطر خير الدين إلى تحميل سفينته بالقمح و التوجه إلى طرابلس الشام ،حيث استبدل القمح بالشعير ، و بعد مروره بجزيرة أياماوري استهوته سفينة راسية فسال عن صاحبها و اشتراها ، و كان في قمة السعادة لاقتنائها حيث جاب البحر المتوسط إلا ان وصل إلى جزيرة جربه ، و هناك التقى باخاه عروج وكان ذلك سنة 919ه/1513م ،و بعدها توجه الأخوان إلى تونس حيث وضع نفسهما تحت تصرف السلطان الحفصي .

**العثمانيون في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط :**

بعد أن كون الأتراك دولتهم بآسيا الصغرى(الأناضول ) أواخر القرن 13م على حساب الدولة البزنطية ،عبروا بحر مرمرة ومضيقي البوسفور و الدردنيل و رموا بكل ثقلهم في شرق أوروبا ،كما أطاحوا بالدولة البزنطية و استولوا على عاصمتها في عهد السلطان محمد الفاتح عام 1453م، و اتخذوها عاصمة لهم ،ثم أخذوا يوسعون في دولتهم على حساب الإمارات المسيحية الأخرى ، و في عهد السلطان سليمان القانوني توغل العثمانيون في شرق أوروبا عبر نهر الدانوب وصولا إلى مدينة فينا ، ففرضوا عليها الحصار مرتين ،الحصار الأول كان عام 1529م ، و الثاني عام 1683.

---

([132]) هو السلطان سليم ابن السلطان بايزيد ابن السلطان محمد الفاتح ،كان أبوه يريد أن يولى أخاه الأكبر أحمد الذي تنازل على الملك لأخيه سليم و توفى بعد عشرين يوما من ذلك ،و دخل في صراع مرير بين الصفويين بايران و الملك قنصوه بمصر توفي سنة 926ه/1520م للمزيد أنظر :كتاب عبد السلام الترمانيني،المرجع السابق ،ص ص228-229

توغلت أساطيل العثمانيين في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط [133]، حتى وصلت إلى شواطئ اسبانيا ،و بلغ الأتراك أوج قوتهم ،في الوقت الذي أشتد فيه الصراع بين فرانسوا الأول ملك فرنسا، و شارلكان أو كارلوس الخامس ملك اسبانيا ،و إمبراطور الرومانية المقدسة.و كانت شعوب أوروبا الشرقية في هذه الفترة ضعيفة اكتفت فقط بالدفاع و المقاومة المحدودة ،و استعانت بقراصنة البحر و قوات شارلكان الاسباني وبعض الدويلات و إمارات الايطالية و الصقلية ،و على رأسها فرنسا ومالطا و البندقية .فاحتاط الأتراك للأمر و أذنوا لبعض رياس البحر بارتياد الحوض الغربي للبحر المتوسط من أجل مقاومة أساطيل القراصنة الأوروبيين و اعتداءاتهم وذلك لهدفين رئيسيين هما :

- الدفاع على موانئ المغرب العربي وحماية سكانها وتقديم المساعدة لمسلمي أندلس المضطهدين.
- إشغال أساطيل أوروبية عامة واسبانية خاصة عن المشاركة في حرب شرق البحر المتوسط التي يتحمس لها البابوات ويدعون لعالميتها ضد المسلمين عامة و الأتراك خاصة.

كادت اسبانيا أن تثبت أقدامها بسواحل المغرب ، إلا أن برز الإخوة بربروس على مسرح الأحداث فالتحق أبناء الفخارجي يعقوب بن يوسف الثلاثة : عروج وخيرالدين وإسحاق منذ حوالي 1504م بالبحر المتوسط ،و استحدثوا لأنفسهم أسطولا بحريا و شرعوا في مواجهة القراصنة الأوروبيين [134] ، انطلاقا من جزيرة جربة و حلق الوادي [135] وتمكنوا من تكوين إمارة مستقلة بجزيرة جربة [136] و اتخاذها قاعدة بحرية

---

([133]) يحي بوعزيز، مختصر في تاريخ الجزائر،ج 2 ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،2007 ، ص : 6

([134]) يحي بوعزيز، موضوعات و قضايا..، المرجع السابق، ص : 336

([135]) هو ميناء تونس العاصمة و الذي يصب فيه نهر تونس .**أنظر :** كتاب عبد السلام ، المرجع السابق ،ص821 )

لنشاطاتهم [137] ،حيث طلب عروج من السلطان الحفصي بتونس أبو عبد الله محمد بن الحسن أن يمنحه بعض مراسيه لاتخاذها مركزا لأسطوله ،فوافق السلطان الحفصي على ذلك مقابل حصوله على ثمن الغنائم [138] ، وقالوا له «: نريد أن تتفضل علينا بمكان نحمي فيه سفننا بينما نقوم بالجهاد في سبيل الله ،وسوف نبيع غنائمنا في أسواق تونس ، فيستفيد المسلمون من ذلك وتنتعش التجارة ،كما ندفع لخزينة الدولة ثُمُن ما نحوزه من الغنائم » .

فقبل سلطان تونس ورحب بهم. وأذن السلطان لهم بالرسو في ميناء حلق الوادي وقضوا الشتاء هناك.وعند حلول الربيع بدأوا بغزواتهم البحرية حتى بلغوا جزيرة سردينيا، وهناك استولوا على سفينة أحد القراصنة كان فيها مائة وخمسون أسيراً. واستولوا على سفينة أخرى كانت محملة بالقمح، وقد وجدوا القراصنة الموجودون عليها قد هربوا ولاذوا بالفرار، وفي الصباح اليوم التالي استولوا أيضاً على سفينتين أخريين إحداهما مشحونة بالعسل والزيتون والجبن، والأخرى سفينة جنوية كانت محملة بالحديد [139] .

كما جمع الكثير من المتطوعين حيث بدأ ممارسة نشاطه البحري انطلاقا من هذه القاعدة ،فذاع صيتهم في الجهاد ضد الأسبان، التي لطالما طالت غاراتهم المستمرة السواحل المغربية ، [140] و أثمرت جهودهم و أعمالهم على الاستقرار بمدينة الجزائر عام 1516م و

---

([136]) جزيرة تونسية في خليج قابس تشتهر بصناعة الخزف و الحلي و النسيج الصوفي و الحريري و السجاد و فيها مصائد للاسماك و الإسفنج.من كتاب عبد السلام الترمانيني ، المرجع السابق ،ص : 820

([137]) عاطف عيد وحليم ميشال حداد ، قصة و تاريخ الحضارات العربية بين الأمس و اليوم تونس و الجزائر، موسوعة عدد 21-22 ، ص 118

([138]) مجهول ،غزوات خير الدين بربروس ، المصدر السابق ، ص : 46

([139]) مذكرات خير الدين ، المصدر نفسه، ص : 47-48

([140]) فاروق عثمان أباظة ، أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر و عالم البحر المتوسط أثناء القرن 16، دار المعارف، ط2، القاهرة، ص: 97

ضمها إلى الخلافة العثمانية كنيابة جديدة تابعة لها ابتداء من عام 1518 م ، و بظهور هؤلاء الإخوة شهدت منطقة المغرب الإسلامي تطورات متسارعة تمخض عنها ميلاد دولة جزائرية ، و التي فرضت نفسها كقوة جديدة مؤثرة في تاريخ البحر المتوسط ،و لعبت بذلك دورا هاما في الأحداث العالمية لهذا الحوض البحري طيلة 3 قرون [141] .

**المبحث الثالث : التحاق الجزائر بالخلافة العثمانية**

إن الضعف الذي أصاب الدولة الموحدية جعلها تنقسم وتتفكك وتفقد السيطرة ، نتج عن ذلك سقوط آخر معاقل للسلميين في الأندلس في يد الإسبان والمتمثل في سقوط غرناطة عام 1492 م ، ومن جهة أخرى انقسم الشمال الإفريقي إلى ثلاثة دويلات إسلامية ظلت تتنازع السلطان فيما بينها ، وتحاول كل دولة منها أن توسع رقعتها على حساب الأخرى [142] الأمر الذي جعل بلاد المغرب الإسلامي يعيش في مرحلة في غاية الخطورة .

إنّ الدول الثلاثة التي كانت تتنافس الحكم فيما بينها ، ونعني بذلك : **" الدولة الحفصية "** بالمغرب الأدنى ( 627 ه _ 948 ه / 1229 م _ 1541 م ) و **" الدولة الزيانية "** بالمغرب الأوسط ( 633 ه _ 936 ه / 1236 م _ 1530 م ) و **" الدولة المرينية "** بالمغرب الأقصى ( 592 ه _ 691 ه / 1196 م _ 1554 م ) قد أنهكتها الحروب الداخلية واستنزفت طاقتها المالية والمعنوية ، ضف إلى ذلك نشوب الثورات الداخلية بها والصراعات المتواصلة بين زعماء القبائل المتقاتلين فيما بينهم على السلطة .

---

([141]) يحي بوعزيز، موضوعات و قضايا..، المرجع السابق، ص 337-336

([142]) شوقي عطا الله الجمل ، المغرب العربي الكبير ( تونس _ الجزائر _ المغرب ) ، ط : 1 ، المكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1977 ، ص : 26 .

قد جعلت المغرب العربي يبتعد عن حياة الاستقرار ، ويغفل عن قضايا التنمية والازدهار التي تشهده الدول الأجنبية المسحية التي عرفت كيف تتوحد ضد المسلمين وتقضي عليهم ببلاد الأندلس وتتتبعهم بالشواطئ المغربية [143]، هذا التطاحن والصراع الإقليمي قد تأثر به بشكل كبير وفعلي عامة المغرب العربي ، ولكن بالخصوص المغرب الأوسط بحكم موقعه الوسطي بين الجارتين الحفصية والمرينية ، فكانت الإصطدامات تارة مع الحفصيين الذين اعتبروا أنفسهم الورثة الشرعيين للدولة الموحدية ، وتارة مع المرنيين الطامحين في توحيد المغرب قاطبة تحت سلطتهم ، مما جعل لاتعرف الاستقرار إجمالاً وتكون في حالة شبيهة بالمد والجزر [144] .

والقول الصائب حول الوضع السياسي للمغرب الأوسط ، أنه كان مترديا قبل 1519 م فضعف بني زيان قد أثر بشكل سيئ وسلبي على أوضاع البلاد، فانقسمت على نفسها في شكل إمارات صغيرة مفككة ومتناحرة كـــــ : " إمارة جبل كوكو ببلاد القبائل ، الإمارة الحفصية بقسنطينة و إمارة الدواودة بالحضنة والزاب وإمارة بني جلاب بتقرت [145] ،ووادي ريغ وإمارة بني يزناسن [146] وفجيج [147] بالحدود الغربية و إمارة الثعالبة بالجزائر بني مزغنة ومتيجة [148].

---

([143]) عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962 م ، ط :2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2005 م ، ، ص : 49 .

([144]) عائشة غطاس وآخرون ، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 م ، سلسلة المشاريع الوطنية ، الجزائر ، 2007 م ، ص : 11 .

([145]) **تقرت** : مدينة قديمة بناها النوميديون على جبل في شكل نتوء ، وهي مسورة بسور من الطوب والطين وتقع على بعد 500 ميل من جنوب البحر المتوسط وهي بلاد عامرة بالصناع النبلاء الذين يملكون حدائق التمور والنخيل ، في البداية كانت خاضعة لملوك مراكش ثم تلمسان وأخيرا لملك تونس أين كانت تؤدى له 50 ألف مثقال سنويا . **أنظر** : حسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الافريقي ، وصف إفريقيا ، تر:محمد حجي، محمد الاخضر،ج2 ،ط:2 ،دار الغرب الاسلامي، بيروت ، لبنان،1983، ص 135.

إن هذا التفكك و الانقسام اللذّان ميزا المغرب الأوسط ،وتردي الأوضاع والفوضى السياسية العارمة ، كنت من أهم العوامل المشجعة للأطماع الصليبية ،ونلمس هذا بكل جلاء فيما كتبه فرناندو دي زافرا الذي كان كاتبا بالبلاط الإسباني ومكلف بحراسة الشواطئ الإسبانية ومراقبة حركة الأندلسيين المتوجهين نحو المغرب العربي قائلا : " إن بلاد المغرب بأكملها تجتاز حالة انهيار نفسي ،يظهر معها أن الله قد أراد أن يمنحها لصاحبي الجلالة [149]. وبناءا على ذلك تشجع الإسبان لفكرة الغزو والسيطرة خاصة بعد النكبة المؤلمة الناجمة عن فقدان الأندلس والتي خلفت آثارا مؤلمة في نفسية المسلمين ومعنوياتهم .

كان الإسبان على علم بكل مايجري في الشمال الإفريقي من أحداث ، وكذا الضعف الحاصل في صفوف المسلمين وتفرقهم ، لذلك انتهز " الدون فرناند " [150] ملك إسبانيا الفرصة في طرد المسلمين عام 1492 م ،وأصدر قانونا يمنع ممارسة الديانة الإسلامية في الأندلس ،ونظم لذلك مراقبة شديدة من أجل تتبع المسلمين وإرغامهم على اعتناق المسحية أو الخروج من إسبانيا [151]، ولعل عملية الغزو هاته قد بنيت أفق مشروع

---

([146]) **يزناسن** : هو في الأصل جبل يقع على بعد 50 ميلا غربي تلمسان ، يضم هذا الجبل مداشر عديدة يسكنها قوم ذو بأس شديد وفي أعلى الجبل قلعة حصينة يقيم بها أمراء البلاد ولو أنهم غالبا مايتحاربون فيما بينهم تنافسا على الحكم . انظر : حسن الوزان ، نفس المصدر ، ج 2 ، ص : 43 .

([147]) **فجيج** : عبارة عن ثلاثة قصور في وسط الصحراء ، وهذه القصور على بعد نحو عشرون ميلا شرقي سجلماسة . **أنظر** : نفســـــه ، ص : 132 .

([148]) يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص : 8

([149]) عائشة غطاس وآخرون ، المرجع السابق ، ص : 12 .

([150]) **الملك فرناند** : ( 1452 _ 1516 م ) هو فرناند الثاني ابن فرناند الأول ، أصبح ملك أرغون سنة 1452 م ثم ملك صقلية ( 1479 _ 1516 م ) ثم نابولي ( 1504 _ 1516 م ) ، تميز حكمه بالقسوة والشدة . **أنظر** : عائشة غطاس وآخرون ، المرجع نفسه ، ص : 12 .

([151]) علي عبد القادر الحليمي ، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830 م ، ط :1 ، المطبعة العربية ، دار الفكر الإسلامي ، الجزائر ، 1972 م ، ص : 161 .

استعماري واسع يهدف إلى السيطرة على المغرب العربي ككل ،وتحيق جملة من الأهداف يمكن إيجازها فيمايلي :

أ. **الدينية :** محاولة نشر المسحية في المنطقة وتعميرها بالمسيح وإبعاد حدود دولة الإسلام عن إسبانيا عن طريق ملاحقة الفارين بإتجاه شمال إفريقيا . [152]

ب. **الأمنية :** إقامة قواعد عسكرية تحُول دون اتصال المسلمين بإخوانهم في إسبانيا ، وبذلك يضعون حدا للأضرار التي يمكن أن تقع من طرف الغزاة الجزائريين والأندلسيين ويؤمنوا بذلك خطوط مواصلاتهم التجارية نحو الدويلات الإيطالية .[153]

ج. **السياسية :** بغية تحقيق السيادة في البحر الغربي للبحر المتوسط ، ولا يتم ذلك دون إخضاع ساحل الشمال الإفريقي الذي يحتل شطرا واسعا في الضفة الجنوبية منه .

د. **الإقتصادية :** محاولة السيطرة على المراكز التجارية واحتكار طرق التجارة ، وحق الولوج نحو إفريقيا العميقة كبلاد السودان الغنية بالتبر والذهب [154] وقد اتسم الغزو الإسباني في مجمله بالطابع الديني التعميمي فضلا عن منهجه الإستعماري ، إذ بدأو بمطاردة العرب المسلمين وتتبعهم في شمال إفريقيا والهيمنة على مصادر ثروتهم ، وقد بارك " البابا ألكسندر السادس " توجهات الإسبان نحو الساحل الإفريقي [155] .

## 1. الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية:

---

([152])عبد القادر فكاير ، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية و أثاره ، ط:1 ، دار الهومة ، الجزائر، 2012 ، ص ص : 28 ،29 .

([153]) نفسه ، ص :34

([154]) عمار بن خروف ، العلاقات بين الجزائر والمغرب ( 923 _ 1069 ه / 1517 _ 1659 م ) ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق ، 1983 م ، ص : 21 .

([155]) نمير طه حسين ، المرجع السابق ، ص : 100 .

كان أهم حدث عاشته إسبانيا المسحية هو الوحدة السياسية التي تمت بزواج " فردناند " ملك آرغون و " إليزابيث " ملكة قشتالة ، وهو الأمر الذي سمح للإسبان بتركيز جهودهم على محاربة المسلمين بالأندلس وإخراجهم من آخر معقل لهم وهو غرناطة .

إنّ سقوط غرناطة بيد الإسبان في 02 جانفي 1492 م ،أسفر عن بدء مرحلة جديدة في برنامج التوسع الإسباني ، ذلك أن إسبانيا قد رأت أنه لا مناص من نقل الحرب إلى بلاد المغرب، بل ذلك أمر ضروري وإستراتيجي بهدف تطويق بلاد المغرب خوفا من إعادة الكرة عليهم ، وقد خشي الكاردينال خمينس **(156)** أن يكون سقوط غرناطة وفرار فلول العرب والمسلمين من الأندلس إيذانا بتوقف الهجومات ضد العرب والمسلمين ، لذلك قام هذا الأخير بإثارة مخاوف الملكة إليزابيث، وأستعمل في ذلك كل لهجة من شأنها أن تحز الخوف والقلق في نفسيتها ، والواقع أنه لم يكن صعبا على الكاردينال خمينس أن يثير هذه المخاوف ، فقد كان يكفيه التذكير ببعض الحقائق التاريخية بأن فتح الأندلس كان عن طريق المغرب **(157)** .ومن بين حججه أنه قال : " أن المغرب والمسلمين لايعتبرون خروجهم من الأندلس هزيمة نهائية ، لقد أخفوا سلاحهم ، ومعظم رؤسائهم تظاهروا بالهزيمة في إنتظار الفرصة المواتية لينقضوا من جديد على الأندلس ، و أنه لابد من القضاء على أوكار القرصنة في شمال إفريقيا " .

استجابت الملكة إليزابيث لنصائح خمينس وكلفت " لورانزودي بادليا " حاكم القلعة بالأندلس، بمهمة سرية أداها بكل كفاءة ونجاح جيث كلفته بإستطلاع الأمور

---

([156]) **الكاردينال خمينس دي سيسنيروس** : كردينال إسباني عرف بتطرفه وتعصبه ضد المسلمين ، ولد بقشتالة عام 1436 م كان من الموظفين السامين في بلاط الملكة إليزابيث ، وفي عام 1507 م أنيطت به مهمة الإشراف على محاكم التفتيش التي زرعت الرعب في نفوس مسلمي الأندلس . أنظر : عائشة غطاس وآخرون ، المرجع السابق ، ص : 36 .

([157]) مبارك بن محمد لجيلالي الميلي ، المرجع السابق ، ص : 19.

والمواقع في تلمسان من أجل الإعداد لإحتلالها وجعلها منطلقا لعمليات الغزو ببلاد المغرب العربي ، فذهب هذا الأخير متنكرا في زي تاجر إلى مملكة تلمسان حيث أمضى بها أكثر من عام رجع بعدها بكل المعلومات المطلوبة والضرورية للحملة ، كما عين خمينس جيرونيمو فيانيللي المهندس البحري البندقي ليكون إلى جانبه ، وكان هذا الأخير ذا معرفة ثاقبة بسواحل الشمال الإفريقي التي زارها بحارا وتاجرا ، إلا أن موت الملكة إليزابيث المفاجئ كان أحد الأسباب الرئيسية في تعطل نمشروع الغزو ، وقد أوصت بمواصلة الحرب ضد المسلمين قائلة : " أنه لاينبغي إيقاف غزو إفريقيا ولا إنهاء الصراع ضد الكفار ( تقصد المسلمين ) من أجل العقيدة " [158].

أخذ الإسبان بعد موت ملكتهم يتطلعون الاستلاء على شمال إفريقيا [159]، حيث صمم الملك فردناند تنفيذ وصية زوجته إليزابيث ، وقد اتخذت الأطماع التوسعية في عهده شكل اجتياح منظم لسواحل المغرب العربي ، بعد أن بوركت هذه المساعي من طرف الكرسي البابوي الذي بادر بتقسيم مجال نفوذ الإسبان والبرتغاليين في معاهدة طورد يسلاس عام ( 900 ه _ 1494 م )، تم معاهدة سينترا ( 915 ه _ 1509 م ) ،أين أطلقت يد الإسبان على سواحل المغرب بدءا من شرق حجر بادس وأما البرتغاليون ففي غربها [160].

لقد وجد الاسبان في ملاحقة الأندلسين النازحين إلى بلاد المغرب وإبعاد خطرهم عن إسبانيا، وفي البحث عن طرق تجارية توصلهم إلى الشرق الأقصى قبل تعرفهم على

---

([158]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830 م ، ج2 ، ط2 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2007 م ، ص : 51

([159]) محمد سهيل طقوش ، العثمانيون من قيام الدولة إلى الخلافة ( 1299 _ 1924 م ) ، ط1 ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، 1915 ، ص : 203

([160]) ناصر الدين سعيدوني ، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية ( الجزائر تونس طرابلس المغرب) ، ط2 ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013 ، ص : 15 .

رأس الرجاء الصالح، دافعا ومبررا للتحقيق أهدافهم التوسعية ببلاد المغرب، والتي اتخذت شكل حملات صليبية ابتدءت بتخريب تطوان ( 803 ه _ 1400 م ) تم الاستلاء عليها عام ( 906 ه _ 1501 م ) تم احتلال مليلية ( 903 ه _ 1497 م )، وتوجهت الأنظار بعدها نحو السواحل الجزائرية [161] ،وتجدر الإشارة أيضا إلى النهضة التي شهدتها أوروبا ،حيث صنعت الفارق الكبير في اختلاف ميزان القوة ،وساهمت بشكل كبير في توجه أنظار المسحية نحو الساحل المغربي ، حيث أسفرت النهضة في تطور الأسلحة الإسبانية مقارنة بالسلاح الجزائريين ووسائل دفاعهم ، فبينما كان الإسبان يحاربون بالسلاح الناري والمدفعية الثقيلة ، كان الجزائريون كما يقول بروديل كرفاق عقبة يحاربون بالسيف والرماح [162].

كانت أول نقطة احتلها الإسبان بالمغرب الأوسط هي المرسى الكبير [163] ،ووقع اختيار الملك فرديناد على الدون دييغو فرناندیز ليكون قائدا عاما للحملة ، ووضع تحت قيادته جيشا

يزيد عن عشرة آلاف جندي ونحو سبعة بواخر حربية و مائة وأربعون زورقا مختلفة الأحجام [164]

استعدت القوات الإسبانية لمغادرة **مالقة** في أواخر أوت 1505 م ، لكن ريحا عنيفة أجلتها ، وقد أفاد هذا التأخير في وصول خبر الحملة إلى المرسى الكبير ، فأستعد سكانه

---

([161]) المرجع نفسه ، ص : 16 .

([162]) عمار بالخروف ، المرجع السابق ، ص : 22 .

([163]) **المرسى الكبير** : مدينة صغيرة أسسها ملوك تلمسان على ساحل البحر المتوسط ، بعيدة بضعة أميال عن وهران ومعناها الميناء الكبير ، يقول الوزان : " ما أظن أن في الدنيا أكبر منه فيمكن أن ترسوا فيه بسهولة مئات المراكب والسفن الحربية " ، استولى عليه الإسبان عنوة قبل سقوط وهران . **أنظر** : حسن الوزان ، المصدر السابق ، ص : 31 .

([164]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص ص : 20،21

لمواجهتها ، إلا أن تأخرها يوما بعد يوم جعلهم يظنون أن الإسبان قد تخلوا عن مخططهم في غزو المرسى الكبير ، إلا أن الهجوم عليه قد وقع وتمكن الإسبان من احتلاله وأسفرت المعركة به عن مقتل قائد الحامية المتواجدة به والمـــــُشكلة من خمسمائة جندي ، وقرر الدون دييغو تحويل مسجد المرسى الكبير إلى كنيسة وأخذ يرسل طلائعه نحو الداخل لكي تجلب له مايموّن به جنـــــــــــــده [165].

يرجع الفضل في الانتصار المحقق في المعركة إلى خيانة بعض عرب بني عامر وحميان وكيزة والشفع الموالين الاسبان ، وكانوا يسمون بالمغاطيس كما عرفوا بإسم " لوس موروس ديل ري " LOS MOROS DEL REY أي الدلائل [166] ،وكانت هذه القبائل في خدمة الإسبان وعون لهم [167]، هذا وارتكب الإسبان مجازر رهيبة تؤكد مدى الحقد الدفين ضد الإسلام والمسلمين ، وعندما سمعت إسبانيا بنبأ الإنتصار قررت إعلان الإحتفال لمدة ثمانية أيام متوالية وطلبت من الدون دييغو فرناندیز القدوم للبلد من أجل التهنيئة ، وبعد مضي حوالي خمسة سنوات وجه الإسبان ضربتهم الثانية لمدينة وهران ، فأعدوا لها حملة ضخمة خرجت من قرطاجنة بإسبانيا يوم 16 ماي 1509 م بقيادة الكاردينال خيميسن ووصلت وهران يوم 19 من نفس الشهر [168] وكان قوام الحملة 15 ألف جندي إقترف خلالها الاسبان أبشع المجازر بعد أن ساعدهم في ذلك خيانة اليهودي " أشطورا " [169] ، حيث قتلوا مايزيد عن 4 آلاف من سكانها وأسروا نحو 8

---

([165]) Jean alengry,les relations franco-espagnoles et l 'affaire du maroc,la vie universitaire,paris,p 35-36

([166]) عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو ، دخول الأتراك العثمانين إلى الجزائر ، دط ، الجزائر ، 1972 ، ص : 23 .

([167]) عبد القادر المشرفي ، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر ، تق : محمد بن عبد الكريم ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ص : 140

([168]) يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص : 9 .

([169]) عائشة غطاس وآخرون ، المرجع السابق ، ص : 16 .

آلاف ، كما خربوا مساجدها وبنوا بأحجارها كنائسهم واستبدلوا المآذن بالأجراس .[170]

بعد هذا النجاح عيّن الإسبان أحد قراصنتهم وهو " بيدرو نافاروا " [171] حاكما عليها وعلى المرسى الكبير ومملكة تلمسان الزيانية التي أعلنت خضوعها لهم ، ومن الغرب توجهت الأنظار نحو مدينة بجاية [172] ،وكانت أوضاعها السياسية مساعدة للغاية لعملية الغزو ،وقد أعدّ الحملة الكاردينال خيمينس أيضا وأسندت القيادة إلى بيدرونافار [173] ، وكان وصولها لبجاية يوم 5 جانفي 1510 م ، وتمكنوا من احتلالها بعد مقاومة مستميتة من سكانها أين عاث فيها الإسبان فساداً وقتل مايربوا عن 4100 شخص ، كما خرب معالم المدينة وآثارها التاريخية الإسلامية [174] ،كما احتل الإسبان في نفس العام مدينة عنابة ،وخافت الدولة الحفصية مغبة الأمر فأعلن السلطان الحفصي " أبو عبد الله " قبوله للدفع إتاوات مالية لهم كعنوان للروضوخ والاستسلام ، كما ارتاع سكان مدينة الجزائر أيضا وتوجسوا خفيفة من أن يهاجمهم الإسبان بين الفينة وضحاها ، فبمجرد الإعلان عن سقوط بجاية حتى قام " سالم التومي " بجمع أعيان المدينة أين قرروا توقيع معاهدة الاستسلام بدل الوقوع في الحصار .

---

([170]) عبد القادر الحليمي ، المرجع السابق ، ص ص : 163 ، 164 .

([171]) **بيدرو نافاروا** : أصله من بيسكاي جلبه الملكان فردناند وإليزابيث واستعملاه لتوسعهما في الشواطئ الإفريقية ، كان بحارا مغامرا ، وكان أول والي على وهران ولكن بعد الحرب بين فرانسوا الأول والإسبان أسره الملك فرانسوا سنة 1512 م و لم يفتده الإسبان فغاضه الأمر واختار التجنيد في الجيش الفرنسي ثم قبض عليه الملك شارل الخامس وشنقه عام 1522 م . **أنظر** : عبد الحميد بن أشنهوا ، المرجع السابق ، ص : 63 .

([172]) **بجاية** : سميت بجاية نسبة لقبيلة بربرية تقطن بها ، وقد ورثت بجاية حاضرة بني حماد واتسع عمرانها بعد أن أصبحت عاصمة لهم ، واستمرت إلى أن حطمها الإسبان وخربوها . أنظر : أحمد التوفيق المداني ، هذه هي الجزائر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 2002 م ، ص ص : 196 ، 197 .

([173]) Don diego de haedo , topographie,et histoire générale d'alger , traduit a léspagnol par monnereau et berbrugger, 1870,p 19

([174]) عائشة غطاس وآخرون ، المرجع السابق ، ص ص : 17،18

على إثر ذلك توجه " سالم التومي " في 31 جانفي 1510 م نحو بجاية لإعلان الولاء للقائد الاسباني بيدرو نافارو فإشترط هذا الأخير ، دفع ضريبة باهضة وإطلاق سراح كل العبيد المسحيين الموجودين في أيدي سكان المدينة ، ومن جهة أخرى فرض عليه بناء قلعة على تلال الجزر المقابلة لمدينة الجزائر [175] ،وزيادة على ذلك فإنه يتوجب على حاكم مدينة الجزائر أن يذهب شخصيا لإعلان خضوعه لملك إسبانيا رفقة عبد الله حاكم مدينة تنس الذي أعلن هو الآخر ولائه وخضوعه ، فذهبوا لإسبانيا محملين بالهدايا الثمينة ومعهم 130 من الأسرى المحررين [176].

حذّت مستغانم [177] ومزغران حذّو تنس والجزائر ، حيث أعلنتا الولاء الإسبان مقابل الأمان وقد نصت معاهدة الولاء المبرمة على استرجاع كافة المسحيين العبيد ، وتزويد الحاميات الإسبانية بوهران والمرسى الكبير بالمواد الغذائية وكذا أن لايسمحوا بشحن أو تفريغ أي باخرة في الميناء دون الحصول على إذن من الملك [178]، وكان أهم حدث طرأ بعد الغزو الإسباني للسواحل أن ظهر بها الأخوان عروج وخير الدين، واللذان سيعملان على تحرير البلاد من قبضة الإسبان وإلحاقها بالخلافة العثمانية .

## 2. الاستنجاد بالأخوين بربروس وإعلان التبعية للخلافة العثمانية :

كان للظروف السائدة بأقصار المشرق في مستهل القرن السادس عشر للميلاد تأثير مباشر على تطورات الوضع بالجزائر ، فقد كان لوقف النشاط البحري الإسلامي لفترة

---

([175]) أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص 68 .

([176]) **كورين شوفالييه** ، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر ( 1510 _ 1541 م ) ، تر : جمال حمادنة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007 م ، ص : 23 .

([177]) **مستغانم** : مدينة بناها الأفارقة على ساحل البحر ، كان لها في القديم حضارة كبيرة بها مسجد في غاية الحسن ودورها جميلة وسقايتها عديدة وفي خارجها عدة بساتين وأراضيها جيدة للفلاحة وخصبة ولها ميناء صغير . أنظر : حسن الوزان ، المصدر السابق ، ص : 32

([178]) كورين شوفاليه ، المرجع السابق ، ص : 24 .

بالمياه الشرقية للمتوسط نتيجة الإتفاق العثماني البندقي ( 908 ه _ 1502 م ) ،بالإضافة إلى وصول سليم الأول للعرش العثماني ( 915 ه _ 1509 م )، دخل كبير في تحول جماعات من المجاهدين الأتراك وعلى رأسهم الإخوة بربروس إلى غرب البحر المتوسط [179].

إن مجئ الإخوة بربروس إلى الحوض الغربي للمتوسط، قد تزامن مع ظهور الإسبان في الساحل الشمال الإفريقي ، إذ احتلوا كما أسلفنا جلّ موانئه من الغرب حتى الشرق وتجاه هذا الخطر المحدق والمتمثل في الإسبان ، كان لزاما على الأهالي أن يواجهوا عدّوهم ويحرروا بلادهم ولعلّ هذا السبب الذي دفعهم إلى طلب نجدة والحماية من الأشخاص القادرين على تقديم يد العون والمساعدة .

كانت شهرة الأخوين قد سبقت وجودهما ، حيث لعب المهاجرون الاندلسيون دورا بارزا في نشر سمعتهم الطيبة في الأوساط الجزائرية [180]، وسيلعب الاخوان دورا رئيسيا في تعجيل الأحداث السياسية بالمغرب العربي ، فحملاتهما المتواصلة في البحر المتوسط وعلى السواحل الإسبانية وجنوة وفرنسا وسردينيا ومايورقة ومينورقة وغيرها ، لاشك أنها علامات تعكس مدى بأس وشجاعة الإخوة [181] .

تسامع أهل بجاية خبر هؤلاء ،وملكها يومئذٍ عبد الله مع عمه عبدالرحمان المتنازعان والمستندان للإسبان ، فقام علماء وأعيان المدينة بتشكيل وفد يطلب من الإخوة المساعدة والنصرة، وقد تشجعهم في ذلك الأمير الحفصي بقسنطينة ليبعدهم عن عاصمته . تمت المقابلة في حلق الوادي [182] ،ولبى الإخوة بربروس الرغبة وزحفوا على المدينة ، وكان

---

([179]) ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص : 25 .

([180]) علي عبد القادر الحليمي ، المرجع السابق ، ص ص : 163 ، 164 .

([181]) عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهوا ، المصدر السابق ، ص : 34

([182]) مولود قاسم ، المرجع السابق ، ص :58

هذا أول صدام عثماني مع الإسبان في البلاد الجزائرية ، إلا أن عروج وجماعته لم يوفقوا في هجومهم على المدينة حيث كانت مدافعهم غير فعالة ، كما أن عروج ورجاله لم يكونوا على استعداد لمواجهة شراسة المدفعية الإسبانية ، وقد تحطمت ذراع عروج بكرة مدفع وانسحب مع رجـــــاله في فوضـــــــــــى كبيـــــــرة [183] ،هذا وقد اضطر المشرفون على علاجه إلى بترها بعد أن استعص عليهم علاجها وجعل عوضها ذراعا من فضة [184] .

بعد هذه الخيبة تحولت أنظار عروج إلى جيجل [185]، واتخذها عاصمة له ( 920 ه _ 1514 م ) بعد أن افتكها بمعونة رجال القبائل من الجنويين الذين كانوا يحتلونها منذ مدة طويلة ( 658 ه _ 1260 م ) ، وقد كانت الغنائم التي حصل عليها كثيرة حيث بلغ عدد الأسرى حوالي 600 أسير ،وجههم عروج إلى السلطان العثماني تحت رقابة أحد قراصنته المعروف بإسم محي الدين رايس ، وكانت هذه أولى الإتصالات التي تمت بين عروج والدولة العثمانية [186] كما أوفد إليه عروج رسالة عرض له فيها أوضاع بلاد المغرب ،وأخبره بالصعوبات التي تواجهه من أجل إنقاذ مسلمي الأندلس، وبيّن له الحاجة إلى الدعم والتأييد ، فرحب السلطان بذلك وأمدّه ورفاقه بالعدّة والعتاد فزودهم بعدد من

---

([183]) جون ب . وولف ، الجزائر وأوروبا ( 1500 – 1830 م ) ، تر : أبو القاسم سعد الله ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009 م ، ص : 29 .

([184]) نور الدين عبد القادر ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر منذ أقدم العصور إلى إنتهاء العهد التركي ، نشر كلية الأدب الجزائرية ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1985 م ، ص : 44 .

([185]) **جيجل** : مدينة من تأسيس القرطاجيين الذين كانوا يدعونها ايجلجيلي وتقع حاليا في شبه جزيرة منخفضة بعيدة عن بجاية بحوالي 96 كلم . **أنظر** : أحمد التوفيق المدني ، المرجع السابق ، ص : 51 .

([186]) صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم التركي ( 1517 _ 1830 م ) ، ط 2 ، دار هومة ، الجزائر ، 2007 م ، ص : 45 .

السفن والرجال وكميات من السلاح ، فأعطاهم ذلك دعما معنويا وتصميما على شن حملة أخرى ضد بجاية من أجل تحريرها [187].

ظلت بجاية تجتذب أنظار عروج لمركزها الهام وموقعها الإستراتيجي ، فنضم عروج حملة ثانية ضدها عام 1514 م بمساندة شيوخ القبائل وأمير جبل كوكو " أحمد بن القاضي " [188] على أن يكون مخطط الحملة الهجوم عليها من البر والبحر .

ضرب عروج حصارا على المدينة وشرع في قصفها بمدفعية مراكبه ، وكانت القبائل بقيادة ابن القاضي تحاصرها من البر بـــ 20 ألف محارب ، وتمكن من السيطرة على إحدى قلعتيها لكن المدينة استعصت عليه [189] ،ودام حصار بجاية 3 أشهر خسر فيها عروج عددا من جنوده كما تناقصت مؤونته [190] في حين وصلت الإمدادات الإسبانية لبجاية ممثلة في 5 آلاف رجل يقودهم " ماثين دي فانتورا " ، وأمام هذه الوضعية الجديدة طلب عروج من السلطان الحفصي أن يدعمه ويزوده بالبارود فامتنع، وأظهر عداوته للأتراك .

كما أن القبائل الجبلية التي ذهبت لنصرته ، قد انصرفت دون إذنه لأجل زراعة الحقول ، فاضطر عروج إلى الإنسحاب وقبل أن ينصرف أحرق سفنه التي كانت راسية بنهر الصومام ، حتى لايتقوى بها عدوه من بعده ، وذهب برا باتجاه جيجل ، وهناك

---

([187]) هشام سوادي هاشم ، تاريخ العرب الحديث ( 1516 _ 1918 م ) من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ط 1 ، دار الفكر المملكة الأردنية ، عمان ، 2010 م ، ص : 42

([188])**ابن القاضي** : هو رجل من أعيان بيوتات الجزائر الساكن بناحية بلاد القبائل ، شغل منصب قاضي بجاية وفي سنة ( 917 ه _ 1511 م ) أسس إمارة جبل كوكو الواقع عند منابع واد سباو ، ولما تولى خير الدين أمر البلد ولاه رئاسة قومه في تلك الناحية . أنظر : عبد الرحمان بن محمد لجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج 3 ، دار الأمة ، الجزائر ،2010، ص : 48

([189]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 45

([190]) هشام سوادي هشام ، المرجع السابق ، ص : 42

استقبل مبعوث السلطان العثماني سليم الأول الذي بعث إليهم 14 سفينة ومجموعة من المجدفين المهرة وكمية من الأسلحة والذخيرة جزاءا لهم على أعمالهم البطولية وعلى هديتهم الثمينة التي كانوا أرسلوها له بعد فتحهم لجيجل [191].

استقبل الإخوة بربروس وسكان المدن المغربية المهددة من طرف الإسبان نبأ وفاة الملك فردناند يوم 23 جانفي 1516 م ، حيث وجد سكان مدينة الجزائر في ذلك فرصة سانحة لنقض معاهدة الولاء التي ربطتهم بهذا الملك الظالم [192]، وأوفدوا إلى عروج ورفقائه عدة شخصيات بارزة لإقناعهم وترجيهم للقدوم من أجل تخليصهم من ظلم المسحين، وتهديم تلك القلعة المشؤومة المعروفة باسم " قلعة البنيون " [193] ،وقالو لهم : " ...سمعنا بكم أناس تحبون الجهاد ،وأخذتم بجاية وجيجل من أيدي النصارى ونصرتم الدين ، فهنيئا لكم أيها المجاهدون لابد أن تقدموا إلينا لتخلصونا من أيدي هؤلاء الملاعين الكفرة، لأنا نحن في محنة عظيمة وذلة وشدة " [194].

قبل الإخوة بربروس هذا الطلب ،حيث رأو فيه فرصة لهم للإستلاء على مدينة الجزائر الهامة والغنية جدا والمناسبة لعماليات القرصنة [195]، وبناءا على ذلك جهز عروج سفنه وشحنها بالمجاهدين والعتاد الحربي ، وأمر آخاه خير الدين بأن يأتيه بالأسطول أما هو فتوجه نحو الجزائر برا ومر دون أن يقف بها متوجها نحو شرشال ، حيث التقى

---

([191]) عثمان الكعاك ، موجز التاريخ العام للجزائر ، ( من العصر الحجري إلى الإحتلال الفرنسي ) ، تق و مر : أبو القاسم سعد الله ، ناصر الدين سعيدوني ، محمد البشير الشنيتي ، إبراهيم بحاز ، ط 1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 2003 م ، ص ص : 272 ، 273 .

([192]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 46

([193]) كورين شوفالييه ، المصدر السابق ، ص : 27 .

([194]) محمد بن رقية التلمساني ، **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة** ، منشور ضمن مجلة التاريخ وحضارة المغرب ، 1967 م ص : 4

([195]) كورين شوفالييه ، المصدر السابق ، ص : 27 .

بصاحبها " قارة حسن " [196] الذي كان ضمن رؤسائه العاملين تحت سلطته لكنه إنفرد بالحكم وقويت شوكته فقتله عروج ليستريح من شره وقفل راجعا نحو مدينة الجزائر [197] وعندما علم " سالم التومي " بقدومه خرج لإستقباله وتم اللقاء على بعد مسيرة يوم من مدينة الجزائر [198] .

نزل عروج بمدينة الجزائر أين استقبل بحفاوة من طرف سكانها ،وحاول من يومه القضاء على حصن البنيون [199] ،وقد تلقى المساعدة من طرف أخيه خير الدين وأحمد بن القاضي [200] وبدأ عروج برفع الحصون وحفر الخنادق وتركيب المدافع ،وأخذ يضرب الحصن ويلّح عليه بالقنابل ليل نهار لمدة 20 يوماً ، إلا أنه لم يتمكن من فتحه بسبب ضعف المدفعيته [201] فشدد الحصار وقطع عنه المؤن والمياه التي كانت تأتيه من مدينة الجزائر ، إلى أن ضطر من بالحامية إلى الذهاب نحو مايوركا للتزويد بالمياه ، ويحوي الأرشيف الإسباني على حسب ما أورده كورين شوفالييه بعض الرسائل التي بعثها " نيكولاس الخامس " حاكم الحصن إلى إسبانيا والتي يذكر فيها بتاريخ 8 أوت 1516 م أنه لم يكن يوجد سوى 15 قربة ماء لمؤونة أكثر من 200 شخص محاصر داخل القلعة [202] .

---

([196]) **قارة حسن** : قارة كلمة تركية معناها الأسود كان من رؤساء العاملين تحت سلطة عروج وبعد أن قويت شوكته تخلص منه عروج وقتله . **أنظر** : عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو ، المرجع السابق ، ص : 68

([197]) عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو ، المرجع السابق ، ص : 68

([198]) محمد بن عبد القادر الجزائري،تحفة الزائر في ماثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر ،ج1،المطبعة التجارية، الاسكندرية ،1903،ص63.

([199]) عبد الرحمان بن محمد لجيلالي ، المرجع السابق ، ص : 40 .

([200]) عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو ، المرجع السابق ، ص : 69 .

([201]) أبو عبد الله الأعرج السليماني ، تاريخ الجزائر من قيام الدولة الفاطمية ونهاية ثورة الأمير عبدالقادر نقلا عن كتاب الشماريخ ، تح : حساني مختار ، المكتبة الوطنية ، ص : 194

([202]) كورين شوفالييه ، المصدر السابق ، ص ص : 30 ، 31 .

عبر سكان مدينة الجزائر على خيبة أملهم من عدم فتح الحصن ، ولعِّبت الدسائس والحيك عملها ، فرام أهل المدينة التمرد عليه بالإستعانة بالجيوش الإسبانية ، لكنه تفطن للأمر وقام بإعتقال سالم التومي ونصب نفسه حاكما على المدينة ، أما يحي بن سالم التومي ففر إلى وهران عند الإسبان خوفا على نفسه من أن يقتل مثل أبيه ، فوجهه حاكمها إلى إسبانيا أين التقى بالكردينال خيمينس الذي وعده بالنجدة وإرجاعه إلى عرش أبيه ، وكان خيميسن إذ ذاك وصيا على عرش إسبانيا نظرا لصغر سن شارل الخامس **(203)**.

لعلّ تحالف القبائل العربية مع الإسبان وتنسيق الجهود بينهم قد أثمر تلك الحملة التي نظمها هؤلاء ضد المدينة سنة 1516 م بقيادة " دييغو دوفيرا " ،حيث انطلقت من وهران باتجاه الجزائر في أواخر سبتمبر 1516 م ، وكانت الهزيمة مهولة بالنسبة للإسبان وانتصار عظيما لعروج وإخوته **(204)** وللسكان الذّين عبروا عن فرحتهم وابتهاجهم **(205)**، وكان من نتيجة ذلك أن قام سكان البليدة والمدية ودلس والقبائل بمبايعة عروج وإعلان فروض الطاعة والولاء له **(206)**، وقد كلف عروج أخاه خير الدين بإدارة شرق البلاد متخذا من دلس مقرا لإقامته وعاصمة للشرق **(207)**.

في غضون هذه الأحداث ، كانت تلمسان تعيش هي الأخرى أوضاعا سياسية صعبة ،الأمر الذي دفع بسكانها إلى الاستنجاد بعروج وإخوته لإنقاذهم مما نزل بهم على يد سلطانهم أبي حمو موسى الثالث ، الذي زاد من تعسفه باعتماده على الإسبان الذين

---

(203) عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو ، المرجع السابق ، ص : 69 .

(204) يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص : 14 .

(205) محمد بن رقية التلمساني ، المصدر السابق ، ص : 5

(206) يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص : 14 .

(207) عبد الجليل التميمي ، **أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519 م** ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 6 ، تونس ، جويلية 1976 م ، ص : 117

أعادوه إلى عرش تلمسان وخلعوا أبا زيان ، وقد تبع ذلك صراعات مريرة واغتيالات كثيرة تسببت في حالة من الفوضى والاضطراب [208]. لبى عروج رغبة الوفد وتوجه نحو تلمسان ومرّ على قلعة بني راشد [209] قرب معسكر، وأبقى بها حامية كبيرة تحت قيادة أخيه " إسحاق " لكي تحمي ظهره وواصل المسير نحو تلمسان ، واستطاع بسهولة أن يتغلب على أبي حمو موسى الثالث ودخل المدينة ، وأعاد أبا زيان إلى عرشه ولكن هذا السلطان سرعان ما أراد أن ينقلب على عروج فقام هذا الأخير بقتله [210] أما أبو حمو فقد لاذ بالفرار باتجاه وهران واحتمى بالإسبان .

دخل عروج تلمسان ونصب نفسه أميرا عليها ، عندها سارع الإسبان بإرسال التعزيزات فشنوا حملة على قلعة بني راشد واحتلوها ،وقتلوا صاحبها إسحاق وواصلوا السير نحو تلمسان وبعد شهور من المقاومة ، حاول عروج الإنسحاب نحو الجزائر في ربيع ( 923 ه _ 1517 م ) لكنه اضطر إلى خوض معركة غير كاشفة ضد قوات " الماركيز دي كوماراس " بالوادي المالح نواحي عين تموشنت انتهت بمقتل عروج والقضاء على أنصاره [211].

## 3. رسالة الأهالي إلى السلطان سليم الأول وإعلان التبعية :

---

) بسام العسيلي ،خير الدين بربروس و الجهاد في البحر،ط:1، دار النفائس ،بيروت،1980 ، ص ص : 95 ، 96[208])

([209]) **قلعة بني راشد** : هي قلعة هوارة ، وهي بلدة صغيرة تبعد عن معسكر حوالي 25 كلم وعن مستغانم بـــــ 55 كلم ، وهي منطقة منيعة وحصينة يصعب على العدو احتلالها . **أنظر** : عبد الرحمان لجيلالي ، المرجع السابق ، ص : 43 .

( [210]) يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص ص : 14 ، 15

([211])وليام شالر ، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر ( 1816 _ 1824 ) ، تع :اسماعيل العربي ، سلسلة الدراسات الكبرى ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980 م ، ص : 40 .انظر أيضا: ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص ص : 26 ، 27

واجه خير الدين بعد استشهاد أخويه عروج وإسحاق مصاعب حقيقية كادت أن تحبط مخططه لإبعاد الخطر الإسباني وتوحيد البلاد الجزائرية تحت إدارة مركزية موحدة ، وقد تمثلت هذه المخاطر في المؤامرات التي حيكت ضده من طرف الحكام الزيانيين في الغرب وحلفائهم الإسبان بوهران ،وكذلك الحكام الحفصين في الشرق ، بالإضافة إلى عِداء السعديين وهجمات الإسبان المتكررة ، فقد أعلن حكام تلمسان العصيان عليه بتحريض من أبي حمو موسى الثالث ،وخرجت عن طاعته مدن تنس وشرشال وجاهرت قبائل جرجرة بالعداء بقيادة ابن القاضي المتواطئ مع الأمير الحفصي " أبي عبد الله محمد " [(212)] . هذا فضلا عن أن خير الدين كانت تعوزه الذخيرة الحربية والإطار العسكري الكفء مع الأخذ بعين الإعتبار عدم تمتعه بادئ الأمر بشعبية كبيرة ، كما ليست له صدقات مع المواطنين [(213)].

اضطر خير الدين إلى السفر لدار السلطنة العثمانية ، فجمع أهل الجزائر من العلماء والأعيان وقال لهم : " إني قد عزمت على السفر إلى حضرة السلطان وأمنت بلادكم من العدو بما تركت فيكم من المجاهدين ، ومن وصل إليكم من أهل الأندلس وما تركت عندكم من العدة لأني تركت في بلادكم أكثر من أربعا مائة مدفع ، و لم يكن في بلادكم ولا مدفع واحد " . فمنعوه من أن يخرج من بينهم ، وقالوا له : " يأيها الأمير لا تطيب أنفسنا بفراقك ولا نسمح لك بذلك فالله والله في أمة سيدنا محمد فإن الله يسألك عنهم "

---

([212]) جلال يحي ، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، 1983 م ، ص : 98 . انظر أيضا :ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص : 27 .

([213]) عبد الجليل التميمي ، المصدر السابق ، ص : 117

كما ألحوا عليه بالبقاء أنه : " يجب عليك المقام بهذه البلدة الإسلامية لحمايتها ولا رخصة لك في تركها نهبة للمفترس " [215].

في نص الرسالة ما يفيد ذلك حيث جاء مايلي : " أن خير الدين كان قد عزم قصد جنابكم العالي ، إلا ان عرفاء البلدة المذكورة رفعت أيديها متضرعة إليه حتى لايرتحل خوفا من الكفار ، إذ هدفهم هو النيل منا ونحن في غاية الضعف والبلاء " . [216]

استكان سكان مدينة الجزائر لقتراح خير الدين ورضوا به، وسيروا وفدا نحو إسطنبول بنيابة عنه ، حيث عمل هذا الوفد رسالة موجهة باسم أعيان وقضاة وفقهاء وسكان المدينة ، وكان هذا الوفد بزعامة " أحمد بن القاضي " هذه الشخصية الفذة كما عبر عنه الوفراني في كتابه نزهة الحادي ، حيث قال : " مارأيت أحدا قام قيام الإراثة النبوية على أصلها من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا رجلين سيدي أحمد بن القاضي في زواوة وسيدي سعيد بنو عبد المنعم في حاحة " [217].

بعد أن وصل الوفد إلى إسطنبول قابل الوزير الأعظم أولا ، ثم السلطان العثماني [218] وكانت الرسالة التي حملوها إليه تفيض بمعاني الطاعة والولاء العميق للدولة العثمانية ، وهو ما يظهر من فواتح الرسالة في القول : " ... فإن عبيدها بالجزائر يكتبون إلى مقامها العالي معبرين ومعترفين لمقامكم العالي بالإجلال والتعظيم أبدا " ، كما صورت

---

([214]) محمد بن رقية التلمساني ، المصدر السابق ، ص : 13 .

([215]) أحمد بن أبي الضياف ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، ج2 ، لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار ، المكتبة التاريخية ، تونس ، 1963 م ، ص : 10

([216]) عبد الجليل التميمي ، المصدر السابق ، ص : 120 .

([217]) محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الأفراني النجار المراكشي الوجار ، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، تح : هوداس ، مطبعة آنجي ، 1988 م ، ص : 57 .

([218]) عبد المنعم إبراهيم الجميعي ، الدولة العثمانية والمغرب ، موسوعة الثقافة التاريخية و الأثرية والحضارية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2006 م ، ص : 5

الرسالة أوضاع البلاد والخطر المحدق بها من كل جانب بعبارات تنم فعلا عن مدى صعوبة الموقف ، فقال : " ... بقية الجزائر بين الكفار كنقطة في وسط الدائرة وبقينا حيارى متأسفين يحفنا الكفار من كل جانب ... وقد نظرنا في الأمر ورئينا أن المحن والشدائد تشتد وأن الضرورة تقضي بحقن دماء أنفسنا ...فتصالحنا مع أهل التثليث وإن لله وإن إليه راجعون " ، كما أشاد الوفد بجهاد عروج ودوره في حرب الكفار ، وكيف خلفه أخوه خير الدين فكان خير خلف لخير سلف وهو ينظر إلي مقامكم العالي بالتعظيم والإجلال ، وختمت الرسالة بإعلان الولاء بالقول : " فنحن وأميرنا خدام أعتابكم العالية وأهالي بجاية والغربي والشرق خدمة مقامكم العالي " [219].

وما كان من الدولة العثمانية إلا أن قبلت التبعية الجزائرية لسلطانها ، حيث سارع السلطان سليم الأول إلى منح رتبة " بيـــــــلرباي " إلى خير الدين وأصبح القائد الأعلى لقوات في الإقليم ، وأصبح ممثلا للسلطان ، ودخلت الجزائر تحت نفوذ الدولة العثمانية وأصبح أي اعتداء خارجي على أرضها يعد اعتداءا على أملاك الدولة العثمانية ، ودعم السلطان العثماني هذا القرار بقررات تنفيذية أخرى ، فأرسل إلى الجزائر قوة من سلاح المدفعية ، و 2000 من جنود الإنكشارية ، وأذن لمن يشاء من رعاياه المسلمين في السفر إلى الجزائر والانخراط في صفوف المجاهدين ، وقرر منح المتطوعين الذين يذهبون إلى الجزائر كل الامتيازات المقررة لفايالق الإنكشارية تشجيعا لهم على الانضمام لكتائب المجاهدين [220] كما أوفد مع الوفد سِنجاقا ( علماً ) يُظهر التبعية للدولة العلية ،[221]وقد ترتب عن القرارات الصادرة عن السلطان العثماني عدة نتائج منها :

---

([219]) عبد الجليل التميمي ، المصدر السابق ، ص ص : 119 ، 120 .

([220]) علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص : 153

([221]) محمد بن رقية التلمساني ، المصدر السابق ، ص : 14

- دخول الجزائر رسميا تحت السيادة التركية إعتبارا من عام 1519 م ، والدعاء للسلطان العثماني سليم الأول في الخطب والمنابر ، كما ضربت السكة باسمه .
- أن إرسال القوات العثمانية للجزائر جاء نتيجة لستغاثة أهلها بالدولة العثمانية واستجابة لرغبتهم [222] .
- أن إقليم الجزائر كان أول إقليم في شمال إفريقيا يدخل تحت لواء الدولة العثمانية .
- أن انضمام الجزائر للدولة العثمانية كان طواعية ، فلم يكن غزوا عسكريا كما حدث للبلدان المشرق ، كسوريا ومصر عامي ( 1515 و 1517 م ) .
- رد فعل إسبانيا التي وجهت حملة عسكرية بقيادة " هيغو دي مونكادا " عام 1519 م والتي منيت بهزيمة نكراء أمام القوات الجزائرية ، حيث أسروا خلالها 3 آلاف مقاتل من بينهم رئيس الحملة ، وقتل منهم 4 آلاف آخرين [223].

أدت هذه التطورات في مسار أحداث إلى تخوف القوى المحلية والإقليمية على حد سواء من هذا النفوذ الجديد الذي يستند في دعمه إلى السلطان العثماني ، فلم تحل سنة 1520 م حتى ثار إبن القاضي فحاربه خير الدين بمنطقة القبائل فإضطر للإنسحاب وعقد الهدنة مع خير الدين ، ثم نكث عهده وهجم على مدينة الجزائر فانهزم أيضا وألتجئ إلى ناحية ثنية بني عائشة أين لقي مصرعه على أيدي أتباعه سنة 933 ه _ 1527 م [224].

عمل خير الدين على تثبيت حكمه بالجزائر فبسط نفوذه على الجهة الغربية بعد أن هزم حاكم تلمسان وأخضعه لدفع الضريبة سنوية قدرها 10 آلاف دوكا ذهبية ، كما أخمد تمرد أنصار الأمير الحفصي بقسنطينة عام 1527 م ، وتعاهد له حاكم تقرت بالطاعة

---

([222]) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ( 1500 _ 1830 ) ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1998 م ، ص : 141 .

([223]) عبد الرحمان بن محمد لجيلالي ، المرجع السابق ، ص : 45

([224]) عائشة غطاس وأخرون ، المرجع السابق ، ص : 25 .

و الالتزام بدفع ضريبة سنوية له ، وحتى يتمكن خير الدين من الاحتفاظ بمكاسبه بادر بتنظيم الإدارة المركزية بمدينة الجزائر ، وحدد صلاحيات الحامية الانكاشارية ونصب الديوان الكبير وأعطى صلاحيات الأعيان والأئمة وشيوخ الطرق الصوفية ، كما قرب إليه المورسكيين فكان خير مساعد له [225] .

بإستتاب الحكم العثماني بالجزائري أخذت الدولة تتطلع لبناء قوتها وتكوين أسطول يمنحها الهيبة والمكانة بين الدول ، كما سعت إلى فرض شخصيتها وهيبتها الدولية وسيظهر ذلك عند دراسة الفصل الثاني حول العلاقات الخارجية للدولة الجزائرية .

---

([225]) نصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص : 29

دأبت الدولة الجزائرية الناشئة حديثا في الحوض الغربي للبحر المتوسط إلى رسم معالمها وبناء قوتها ، معتمدة في ذلك على سند قوي خوّل لها كافة الصلاحيات للنهوض والتقدم ، فكان لإرتباط الجزائر بالخلافة العثمانية عظيم الأثر في بناء شخصية الجزائر الدولية التي ظهرت جلّيا فيما بعد في فترة استقلالية الجزائر عن الخلافة العثمانية .

إنّ مبدأ استقلالية القرار وحرية التعاقد وعدم الالتزام بمواثيق وعهود الدولة العثمانية مع الدول الاوروبية إذ لم يكن في الأمر مصلحة للبلد ، قد أفضى على الدولة شكلا من أشكال السيادة الكاملة والمطلقة ، وقد شكلت العلاقات الخارجية أهم مظاهر السيادة ، و أبرز سمات الاستقلالية ، ولعلنا نقول أن قوة الإيالة الجزائرية أهم مظاهر سيادتها ، وأبرز سمات الاستقلاليتها ، و أن قوة الإيالة البحرية قد انعكست على علاقتها الخارجية ، وأثرت فيها بشكل فعال ، هاته القوة التي فرضت على الخصوم هيبة وخشية جعلتهم يتهافتون إلى البلاط الجزائري لربط العلاقات وإرسال القناصل والسفرات .

إن المتتبع لمسار العلاقات الجزائرية في الفترة الحديثة سيدرك تماما أنها مبنية على ركائز هامة متمثلة في الأسطول البحري القوي ، وكذا التبادل التجاري النشيط وعمليات الجهاد البحري ، بالإضافة إلى الهيبة التي منحت لها بعد إلتحاقها بأعظم قوة آنذاك ، والمتمثلة في الدولة العثمانية ، وقد لعبت هذه الركائز الدور الأساسي في بلورة وتحديد مصير العلاقات الخارجية للجزائر ، إما أن تتسم بالسلم والتقارب أو العداء والتباعد فيما

بينها وبين سائر الدول المتوسطية ، وعلى هذا بنت الجزائر سياستها الخارجية على مجموعة من المبادئ الأساسية التي شكلت في جوهرها العام دستور الدولة ، فيما يخص علاقتها بالدول المجاورة ، وخاصة الأوروبية فكانت الشخصية والسيادة العامة للبلاد وكرامة السكان أهم مبادئها ، والذي كرّست هذه المبادئ في ايطار الولاء للدولة العثمانية ودون الخروج عن سياستها العامة [226].

هذا وقد سطرت الدولة لعلاقتها مع الدول التي ترتبط معها وتمثلت أساسا في :

- عدم التنازل عن حقوق السيادة والتمسك بمبدأ احترام شخصية الدولة .
- مراعاة أسس الصداقة في التعامل مع السفراء وتكريس مبدأ السيادة الوطنية في التعامل مع الأطراف الأوروبية .
- مراعاة حرية التعاقد وعدم الإلتزام بما توقعه الخلافة العثمانية من معاهدات في حال عدم خدمتها للمصلحة الجزائرية .
- مبدأ نبذ استعمال القوة في العلاقات الدولية ، وعدم الرضوخ للقوة مهما كان الأمر .
- تبني الحياد في الصراعات الدولية .
- الوفاء والإلتزام بنص الإتفاقيات مهما تغيرت الظروف .
- مراعاة حرية التعاقد ، وعدم الاكتراث لما توقعه الخلافة العثمانية من معاهدات في حال عدم خدمتها للمصلحة الجزائرية .

---

([226])محمد الأمين عطلى ، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2011 ، 2012 م ، ص : 120

- اعتماد مبدأ المساواة بين الدول ، فلا يوجد صديق مقرّب أو العكس بل مبدأ المصلحة ، وهذا ماجعل السياسة الخارجية لايالة الجزائر تتسم بالوضوح في سياستها ، وفي كيفية وطرق تعاملها مع الدول ، عامة سواء أكانت إسلامية أم مسيحية [227].

- **المبحث الأول : العلاقات الجزائرية الفرنسية**

كانت فرنسا أهم الدول الأوروبية التي حرصت على ربط علاقاتها بالجزائر ، ويتضح ذلك من خلال النشاط الدبلوماسي المكثف بين البلدين _ في حال السلم أو الحرب _ إذ يحصى جمال قنان في كتابه معاهدات الجزائر مع فرنسا حوالي 40 معاهدة مؤرخة من 21 مارس 1619 م ، وإلى غاية معاهدة الإستسلام 5 جويلية 1830 م ، ناهيك عن العدد الكبير من القناصل والسفرات والبعثات المرسلة [228] ، هذا الزخم والثراء في الروابط بين البلدين أكسى طابع الأهمية بالنسبة للعلاقات الدبلوماسية ، التي امتازت بنوع من الخصوصية مقارنة بسائر الدول والممالك الأوروبية ، ولعل السبب في ذلك هو تداخل المصالح وترابطها من جهة ، و الأمر الثاني هو ذلك التقارب العثماني _ الفرنسي الناجم عن وجود عدو مشترك ، مثل في إسبانيا من جهة أخرى .

ولد هذا التحالف الفرنسي العثماني أصداء مروعة في الأوساط المسحية الأوروبية ، وانعكس بدوره على الآلية الجزائرية التي سيتحتم عليها مجارة هذا التحالف ، واحترام مايتفق عليه البلدان من عقود ومواثيق ، وسرعان ما يتطور هذا التحالف ليكتسي أهمية اقتصادية تكون فرنسا فيه أكثر الدول المستفادة ، و الذي سيجر الجزائر فيما بعد إلى مساوئ وعواقب وخيمة ، فهذا النمو المطرد في العلاقات بين البلدين ولد ما يسمى بنظام

---

([227]) عطلى محمد الأمين ، المرجع السابق ، ص ص : 120 ، 121

([228]) جمال قنان ، معاهدات الجزائر مع فرنسا ( 1619 _ 1830 ) ، دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2010 ، ص ً : 414 ، 415

الإمتيازات التي ستصبح عنصرا بارزا ، ونقطة حساسة ومحورية في رسم العلاقات الدولية حتى إندلاع الحرب العالمية الأولى [229].

يمكن القول أن معاهدة الإمتيازات التي ربطت فرنسا بالدولة العثمانية ، كانت فاتحة العلاقات الجزائرية الفرنسية التي ستتطور أكثر خلال القرنين 17 و 18 الميلادي ، حيث استطاعت فرنسا بموجب ذلك أن تُأسس مراكز لصيد المرجان على إمتداد السواحل الشرقية من القالة ، عنابة و القُل بموافقة من السلطان العثماني ، وبالمقابل تدفع 1500 إيكود ذهبية لخزينة الجزائر ، كما إشترطت على أن لا تسلح أو تحصن حتى لاتبدوا بمثابة مراكز احتلال ، ونص الإتفاق على أن تكون في شكل منازل بسيطة يلتجيء إليها صيادوا المرجان من أجل الاستراحة [230] ، لكن التجار الفرنسيين خالفوا هذا البند ، و أقاموا التحصينات ونصبوا المدافع ، وقد ربطت بعض السفن الفرنسية على الشاطئ أمام الحصن ، وبذلك اصبح مصدر قلق و ازعاج بالنسبة للجزائريين الذين اعتبروه رمزا لوجود قوة مسيحية على أرضهم [231] .

طرحت معاهدات الامتيازات هذه اختيارا صعبا وعسيرا أمام الجزائر، إما بإتباع السياسة العثمانية و الإنقياد لها ، واعتبار نفسها ملزمة بتنفيذ وتطبيق كل ما أبرمه السلاطين من معاهدات مع الفرنسين أو غيرهم ، أو اتخاذ موقف مستقل تمليها عليها مصالحها ومعرفتها العميقة لطبيعة المشاكل والصعوبات التي تحيط بعلاقاتها مع الدول الأوروبية . ويبدوا أن هذا الخيار لم يكن مشكلة في عهد البيلربايات ، الذين واجهوا السياسة العثمانية في الحوض الغربي للمتوسط لمصالح الخلافة على غرار ما سيؤول إليه

---

([229]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 42 .

([230]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا ( 1500 _ 1830 م ) ويليه المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد ( 1780 _ 1798 ) ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009 م ، ص ص : 59 ، 60

([231]) يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ،ص : 100

الوضع بعد إلغاء هذا المنصب ، وما سينجر على ذلك من مشاكل وتوترات بداية نهاية القرن 16 م [232] .

كانت الاطماع الفرنسية كثيرا ما تحول دون تحقيق سلم دائم بين البلدين ، فقد اصطدمت أطماعها بغضب الجزائريين الرافضين لإستغلال خيرات بلدهم ، فأقدموا على هدم الحصن سنة 1568 م [233] ،و لم يسمحوا لأي كان بممارسة نشاط التجارة في تلك السواحل إلى أن تمكن نيقولا من الحصول على إذن من الباب العالي ، حصل بموجبه على حق ممارسة الأعمال التجارية وصيد المرجان في مكان الباستيون الذي هُدم سابقا [234] .

وفي عام 1578 م وجه الباب العالي فرمانا إلى بيلرباي الجزائر يقضي بالسماح للفرنسين بصيد المرجان في المناطق الواقة بين الجزائر ،وتونس ، شريطة دفع عشر المداخيل من الأرباح للحكومة الجزائرية ، كما طلب معاملتهم باللطف والإحسان [235] ، وإذا كان هذا هو حال الإمتيازات التي عكرت صفو العلاقات ، فإن التمثيل الدبلوماسي ( اعتماد القناصل ) قد أخذ نصيبه في التأثير على العلاقات بين البلدين .

لقد أعطت معاهدة الامتيازات الحق لفرنسا بإنشاء القنصليات في كامل الأراضي التابعة للدولة العثمانية بما في ذلك إيالة الجزائر ، والتي كانت توليها فرنسا اهتماما بالغا نظرا لقربها الجغرافي وموقعها الإستراتيجي [236] ، ولكن مسألة التمثيل هذه قوبلت

---

([232]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 47 .

([233]) يحي بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ، ج2 ، المرجع السابق ، ص : 100

([234])عزيز سامح إلتر ، المرجع السابق ، ص 153

([235]) degrammont .histoir d algerdousladominasio turgue , raris , ernest leroux , 1887 , p 100

([236]) بركاهم دهان ، دور القناصل الفلرنسين في العلاقات الجزائرية الفرنسية ( 1689 م _ 1789 م ) ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2012 م ، ص : 18

بالرفض من طرف حكومة الجزائر ، و لم تُكلل بالنجاح إلا سنة 1578 م عندما تدخل الباب العالي ، حيث أرسل مراد الثالث ( 1574 م _ 1595 م ) أمر إستعجاليا يقضي بقبول موريس سورون قنصلا بالجزائر ، رغم توجيه رسالة من الباشا فينيريانو إلى قناصل وحكام مرسيليا التي ترفض هذا التمثيل ، إلا أن سفراء فرنسا بإسطنبول كانوا يصرون على ضرورة تعيين قنصلا لهم في الإيالة ، وذلك للحماية المصالح التجارية بالبلد [237] ، ومن المؤكد أنه حتى عام 1580 م لم يكن لفرنسا قنصل معتمد في الجزائر ، ولكن في العام الموالي أي في سنة 1581 م ، أصبح لهذه البلد قنصل بالمدينة [238] .

يمكن القول أن مسألة إنشاء قنصلية في الجزائر لم تكن بالعملية السهلة ، فقد استغرقت ما يزيد عن 14 عاما ، وربما يعود إصرار فرنسا في إلحاحها لإيجاد تمثيل دبلوماسي لها في الجزائر إلى عدة أسباب منها :

- تنفيذ الحق الذي خولته لها معاهدة الإمتيازات .

- تفادي الخسائر التي كان يلحقها البحارة الجزائريون بالتجارة الفرنسية خلال الفترة ( 1560 _ 1565 م ) ، فقد كتب " بوسكي " أنه لأسباب سياسية أكثر منها تجارية ألحت فرنسا على إنشاء القنصلية [239] ،وقد تمكنت فرنسا في نهاية القرن السادس عشر الميلادي من تثبيت قنصليتها بالجزائر ، إلا أن فاتحة القرن السابع عشر الميلادي ،

---

( [237]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص ص : 48 ، 49 .

( [238]) المرجع نفسه ، ص : 50 .

( [239]) بركاهم دهان ، المرجع السابق ، ص : 20

قد إبتدأت بالقطيعة والعداء ، وتعود أسباب هذه القطيعة إلى حادثين مهمين وهما : " حادثة تدمير الحصن و حادثة سيمون دانسا " [240] .

سّممت هاته الحادثتين صفو العلاقات السياسية بين البلدين بالرغم من تدخل الدولة العثمانية لحل النزاع بين الطرفين ، ففي عام 1604 م ، في فترة حكم " خيضر باشا " استولى هذا الأخير على مبلغ 6000 سكين من النقد أرسلها الباب العالي تعويضا للتجار الفرنسيين عن خسائرهم في حوادث البحار ، كما هدّد القنصل " دوفيا " عندما حاول أن يحتج ويطالب بالمال ، ثم قام بمهاجمة مراكز صيد المرجان في ساحل عنابة وخرّبها وأسر من بها من الفرنسين ، فتدخل الباب العالي لصالح فرنسا ، وقام بعزل " خيضر باشا " وعوضه بـــــــــ : " محمد قوصة " عام 1605 م ، وسمح بإعادة تأسيس الباستيون [241] .

أما حادثة سمون دانسا فقد أثارت هي الأخرى عدّة تعقيدات وحساسيات في مسار العلاقات الجزائرية الفرنسية ، فقد طلبت بارجاع المدفعين البرونزيين اللّذين سرقهما سيمون دانسا ، إلا أن مجلس الدولة الفرنسي رفض ذلك ، فأعلنت الجزائر الحرب على فرنسا ، وأخذ البحارة الجزائريون يتعرضون للسفن الفرنسية في البحر ، ونتج عن ذلك ضرر كبير للتجارة الفرنسية التي خسرت حوالي مليوني جنيه عام 1610 م .

استمر العداء قائما بين البلدين حتى عام 1618 م ، أين تم إيفاد وفد من طرف الجزائر بعد مساع سابقة لتجار مرسيليا لإحلال السلم والأمان ، والتي قوبلت بالرفض من قِبل الديوان ،وقد ضم هذا الوفد 46 شخصاً بقيادة " سِنان باشا " ، وعندما وصل الوفد

---

([240])**سيمون دانسا** : هو بحاره من أصل فلامنكي تجنس بالجنسية الفرنسية وإنظم إلى طائفة رياس البحر الجزائريين عام 1606م و حقق عدة إنتصارات ،لكن سرعان ما إرتد و سرق مدفعين برونزيين أودعهما عند الباشا مصطفى،أنظر :يحي بوعزيز علاقات الجزائر الخارجية ،المرجع السابق ، ص 40.

([241]) يحي بوعزيز ، العلاقات الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 61 .

إلى مارسيليا قادهم " بيار دوموستير " إلى مدينة tour لمقابلة الملك " لويس الثامن " فاعتذر له سنان باشا عن الخسائر التي لحقت بالفرنسيين من طرف البحارة الجزائريين ، وتم تسوية المشاكل وأبرمت معاهدة الصلح في 21 مارس 1619 م [(242)].

قبل عودة الوفد لأرض الوطن والمقررة يوم 14 مارس 1620 م، وقع حادث أليم راح ضحيته مابين 40 و 45 قتيلا من أعضاء الوفد ، ذلك أن أحد الرياس الجزائريين وهو " رجب رايس " ،كان قد استولى على سفينة نقل تجارا من مرسيليا ، فنهب مافيها وقتل طاقمها وترك السفينة في البحر بعد أن ألحق بها بعض التلف ، ولكن اثنين من الركاب كان متخفين داخل السفينة فنجيا من القتل ، وتمكن من الوصول إلى مرسيليا أين أذاعا خبر السفينة وما حلّ بها فزحفت جموع كبيرة من سكان المدينة على مكان إقامة الوفد الجزائري وحدثت مجزرة [(243)] .وتشير إحدى الرسائل التي وردت في المراسلات التي جمعها بلانتي ، أن العلاقة بين الجزائر وفرنسا تأذت كثيرا جرّاء هذه الحادثة ، وانعكس الأمر سلبا على التجار الفرنسين الذين ضغطوا على ملكهم للبحث عن حلٍّ لإعادة الأمور إلى نِصابها [(244)] .

لما اشتدّ الجزائريين للفرنسيين ، قرر الملك الفرنسي أن يراسل الباب العالي ويراجع معه الأمر ويرجوه للتدخل بينه وبين الجزائر ، فلبى الباب العالي الرغبة وأرسل " سليمان شاوش " لتنفيذ هذه المهمة عام 1623 م ، وقبل الديوان قرار الدولة العثمانية بالكف عن مهاجمة الفرنسين في البحر ، إلا أن الجزائريين لم يكونوا لينسوا ما حلّ بإخوانهم في مرسيليا عام 1620 م فضربوا بهذا القرار عرض الحائط وواصلوا نشاطهم ضد السفن

---

([242]) انظر نص المعاهدة كاملة في كتاب جمال قنان ، معاهدة الجزائر مع فرنسا ، المرجع السابق ، ص ص : 62 – 64

([243]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص ص : 66 ، 67 .

([244]) عطلى محمد الأمين ، المرجع السابق ، ص : 133

الفرنسية [245] وقد قدر القنصل الفرنسي خسائر بلاده بـــــ : 211900 فرنك وأسر حوالي 128 بحاراً [246].

عندما وصلت العلاقات إلى هذا الحد من التدهور رأت فرنسا أن تعدل عن أسلوب العنف وتسلك طريق الحوار والتفاوض فأرسل الملك الفرنسي " لويس الثالث عشر " المفاوض سانسون نابلون [247] ،الذي ذهب إلى القسطنطينية أولا أين حصل على رسالة موجهة للديوان يطلبُ منه فيها أن يحرر الأسرى الفرنسيين ويحقق السلام مع فرنسا ، وفي طريق عودته إلى الجزائر ذهب نابليون إلى فرنسا واشترى المدفعين البرونزين لإدراكه أن جهوده ستذهب سدى مادامت فرنسا لم ترد المدفعين [248] ووصل نابليون إلى الجزائر يوم 20 جوان 1626 م وأطلق المرسيليون سراح 200 أسير جزائري ، ووجههم إلى الجزائر فساد السلام بين البلدين وتم الإتفاق يوم 4 سبتمبر 1628 م على تحقيق الأمور التالية :

- تخصيص 30 ألف جنيه لشراء الأسرى ومدفعي البرونز
- تخصيص 30 ألف جنيه لشراء الأسرى الجزائريين الموجودين على ظهر السفن الفرنسية
- تخصيص 12 ألف جنيه للإنفاق على رحلة المركبين اللذين سيتوجهان إلى الجزائر .

---

([245]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص ص : 66 ، 67 .

([246]) جون ب . وولف ، المرجع السابق ، ص : 268 .

([247]) **سانسون نابلون :** من جزيرة كورسيكا يتمتع بتجربة واسعة في شؤون المشرق ، حيث عمل كقنصل وعميل سري وكتاجر ، وكان يتكلم التركية بطلاقة ، ويفهم التقاليد الإسلامية وكانت له مهارة فائقة في التفاوض . **أنظر** : جون . ب . وولف ، المرجع السابق ، ص : 270 .

([248]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 317 ، 318 .

لم تدم هذه المعاهدة طويلا ، وكانت فرنسا أوّل من نقض الإتفاق بالرغم من مساعيها الحثيثة لإبرام السلام ، فعاد مسلسل الاعتداءات الجزائرية على السفن الفرنسية من جديد وارتفعت خسائر تجار مرسيليا إلى حوالي 4,752,000 جنيها ، وتم أسر أكثر من 80 مركبا مابين سنتي ( 1634 – 1635 م ) [249] .

رضخت الحكومة الفرنسية لأمر الواقع وسعت مجددا لإحلال السلم بين البلدين فأوفد إمبراطور فرنسا مبعوثه " جون بانيست دي كولييل " كمبعوث إلى مدينة الجزائر لأجل العمل على تغير حالة العداء القائمة بين البلدين ، وتم إبرام معاهدة السلم يوم 7 جويلية 1640 م وتضمنت 16 بندا ، وقد جاء في البند الرابع منها : في المستقبل إذا ما التقت سفننا مع السفن الفرنسية فإنها ستتبادل التحية ، وكذلك الأخبار مع بعضها إذا رغبت في ذلك [250].

وفي عام 1657 م أسندت الإدارة الفرنسية رئاسة الباستيون إلى الفرنسي " طوماس بيكي " الذي جاء إلى الجزائر و لم يستقبل بحفاوة من طرف " الباشا إبراهيم " نظرا لأن الديوان كان يطالب بمبلغ 3 آلاف جنيه كديون ، فتوجه طوماس إلى القالة ولحق به 4 من الشواش و 50 جنديا إنكشاريا ليستخلصوا المبلغ منه ، إلا أن طوماس إعتقلهم وشحنهم في سفنه كأسرى وباعهم في ليفورن بإيطاليا وذلك بتاريخ 25 أكتوبر 1658 م ، وبالطبع فإن الجزائر لن تسكت عن هذا العمل ، لذلك أسرعت الحكومة الفرنسية إلى شراء أولائك الأسرى وأرجعتهم إلى الجزائر ودفعت الديون المترتبة 300 جنيه ، كما تم إستبدال طوماس بلويس كامبو مدير عام للباستيون عام 1659 [251].

---

([249]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص ص : 69 – 72 .

([250]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص ص : 317 ، 318

([251]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائرية الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 75

مع بداية حكم الملك " لويس الرابع عشر " سنة 1661 م [252] ،ستأخذ العلاقات الجزائرية الفرنسية منحى آخر ، حيث نصب هذا الأخير العداء الصريح للجزائر، واستقر لدى الجزائريين قناعة واضحة من عدم جدوى عقد أي معاهدة مع النصارى [253].

**مظاهر تأزم العلاقات الجزائرية الفرنسية**

**الحملات الفرنسية ضد الجزائر :**

أجمع المؤرخون أن سنة 1661 م بداية الحكم المطلق بفرنسا ، وذلك بتولي " لويس الرابع عشر " مقاليد الحكم بالبلاد ، أين تبنى هذا الأخير سياسة رامية للقضاء على إيالة الجزائر ، وتحطيم نفوذها وسطوتها عن طريق توجيه حملات بحرية ضدها ، واستخدام التدخل المسلح أين أصبحت الحرب العسكرية في هذه الفترة ميزة العلاقات الجزائرية الفرنسية [254].

**أ. حملة دي بوفورت على جيجل ( 1074 ه / 1664 م ) :**

سبق و أشرنا أن الجزائر كانت ترفض دوما الإعتراف لفرنسا بحقها المخول ضمن الإمتيازات، وكانت تعاملها معاملة الدول الأجنبية فتصالحها متى إنعقد الصلح ، وتحاربها مت تم أجله أو نقض ، وهكذا بقيت الحالة مرتبكة بين البلدين ،وخاصة إذا تعلق الأمر

---

([252]) **لويس الرابع عشر** : ولد في سان جرمان 1638 م وتوفي بفرساي عام 1715 ، إتلى عرش فرنسا في 5 من عمره وتحديدا عام 1635 ، ونظرا لصغر سنه وضع تحت وصاية مازاران حتى عام 1661 ، لقبه الفرنسيون بالملك الشمس نظرا لإهتمامه الكبير بالفن والأدب ، وقد عرف بعدائه الشديد للبروستانت . أنظر: محمد بن سعيدان ، علاقات الجزائر مع فرنسا ( 1070 _ 1170 ه / 1659 _ 1756 م ) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2011 م / 2012 ، ص :40

([253]) عطلى محمد الأمين ، المرجع نفسه ، ص : 136

([254])محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 64 .

بالمركز التجاري لصيد المرجان " الباستيون " الذي كان يفتتح أيام السلم ويحطم ويحتل أيام الحروب [255].

تعتبر هذه الحملة الموجهة ضد جيجل أولى العمليات العسكرية التي تبّينت وفضحت النوايا الفرنسية الخفية ، التي ترجح أغلب المصادر الغربية أنها جاءت كرد فعل انتفاضي لنشاط البحارة الجزائريين ، بينما أرجع بعضهم سبب ذلك إلى فشل المحاولات الدبلوماسية التي سعت إلى استعادة المؤسسات التجارية [256].

في سنة ( 1074 ه – 1664 م ) قرر الملك الفرنسي لويس الرابع عشر أن يغزو الجزائر بأسطوله ليتمركز بأحد شواطئها [257] ،وقد حاول كل من الديوان والقنصل " لوفاشي " ومدير الباستيون " دوسول " أن يتجنبوا الحرب ويصلوا إلى حلّ سلمي للمشاكل [258] ، وقد " أوعز شوفالي بول " وهو فرنسي من فرسان القديس يوحنا إلى الملك الفرنسي ، بأن الجزائريين يمتلكون مابين 54 سفينة حربية تحمل مابين 25 إلى 40 مدفعا لكل منها أشرعة جيدة ، وقد تكون هذه السفن خطيرة جدا [259] ،إلا أن الملك لويس الرابع عشر كان متحمسا لخوض هذه الحرب [260] .

بعد الإستعداد اللازم أذن للحملة بالمسير ، فانطلقت من ميناء " طولون " يوم 2 جويلية ، على رأس 83 سفينة يقودها الأمير " آلان بول " و " دوكين " ، أما القوة

---

([255]) أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر و إسبانيا ،ط :1، دار البصائر ،الجزائر ، ص : 395 .

([256]) محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 65 .

([257]) محمد بن ميمون الجزائري ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تق : محمد بن عبد الكريم ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 م ، ص : 17

([258]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 85 .

([259]) جون ب . وولف ، المرجع السابق ، ص : 316 .

([260]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 85

العسكرية التي يحملها الأسطول فمؤلفة من 8 آلاف رجل [261] تحت قيادة " الكونت قادابي " ،وكان الإشراف العام على العملية للدوق " دي بوفورن " [262] .

كان الملك الويس الرابع عشر مترددا في مسألة احتلال احدى المدينتين جيـــــجل أم بجايـــــــة [263] ، وقد وقع اختياره على مدينة جيجل لاعتبارات اقتصادية وعسكرية ، إلى جانب كون المدينة تشكل منفذا هاما للتجارة التي كانت مزدهرة ، كتجارة الشمع والجلود والزيت والأخشاب ، فإن المدينة سهلة المنال للسيطرة عليها ، إذ لا يوجد بها سوى حامية صغيرة مكونة من 20 جندي فقط ، ومن السهل القضاء عليهم واحتلالها وإذا ما تم تحصينها فإنها ستتحول إلى قلعة لا يمكن النيل منها ، كما أن بعدها من مدينة الجزائر التي هي مركز القوة الرئيسي سيجعل أمر الاحتفاظ بها أمرا ميسورا [264] .

وصلت الحملة إلى جيجل يوم 23 جويلية 1664 م ، بعد أن قضت أياما في جزر البليار ،وانضمت إليها 7 سفن من مالطة [265] ، واشتبك الطرفان في معركة **حامية الوطيس** أظهر فيها رجال المدينة قوة باسلة في التصدي لنزول العدو ، واستمرت المقاومة أسبوعا كاملا رغم عدم التكافؤ في العدة والعتاد ، و لم يستتب الأمر للفرنسيين بالمدينة إلا يوم 29 جويلية 1664 م [266] ،أين مكثوا بها قرابة شهرين من الزمن [267] .

---

([261]) اختلف في عدد جنود الحملة ، فيذكر أحمد توفيق المدني أن عددهم كان 8 آلاف جندي ، أما ابن ميمون الجزائري فيقول أن العدد كان 8 آلاف ومائتين . أنظر : أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص : 396 . ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 17 .

([262]) احمد التوفيق المدني ، المرجع السابق ، ص : 396

([263]) ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 17

([264]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 92

([265]) ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 17

([266]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 93 .

([267]) ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 17

كانت ولاية الجزائر يومها لشعبان آغا الذي بمجرد وصول نبأ سقوط جيجل حتى سارع لنجدتها وتحريرها ، واصطحب معه مدفعية قوية مكنته من تحقيق النصر ، وقد انضمت إليه جموع من المجاهدين ، فكان الجيش مخيما بعد فترة قصيرة على مشارف المدينة يوم 5 أكتوبر ، وبعد أن أحكم وضع مدفعيته على المرتفعات وضيق الحصار على الفرنسيين ، بادر بقصف المراكز الفرنسية بقوة وعنف يوم 25 أكتوبر ، وألحق بهم خسائر فادحة فعزموا على الإنسحاب ، ولم يسمح لهم الجزائريون بنقل أي شيئ من سلاحهم وأمتعتهم ، بل تركوا كل ذلك كغنيمة للجزائريين ، ومما زاد من فداحة النكبة والخسارة التي مني بها الفرنسيون ، أن السفينة الكبرى " لالون " التي كانت تحمل 1200 راكبا قد أغرقت أثناء عملية الإنسحاب [268].

أما عن آثار الحملة وما نجم عنها ، فيقول جون ب وولف : أنّ فرنسا خسرت جميع مدافعها 35 منها نحاسية و 15 من الحديد وجميع حقائبها ، بالإضافة إلى 400 رجل وقعوا في الأسر ، وقد أعقب هذا الإنتصار احتفالات عارمة في الجزائر ، أما الفرنسيون المقيمون في تونس فكانت تلاحقهم عبارات التهكم والسخرية بأصوات كعواء القطط " جيجل – بجاية " [269].

حرص لويس الرابع عشر على التقليل من قيمة الهزيمة التي مني بها ، وتبين ذلك من التعليمات التي أعطاها لقائد أسطوله " دي بوفورت " بالبقاء خلال الشتاء في البحر والعمل على الظهور ببعض قطع سفنه أمام الجزائر ، لكي لا يشعر الجزائريون بأنهم حققوا إنتصارا كبيرا [270] ، و بعد سنة من ذلك تمت تصفية الخلافات بين البلدين بإبرام معاهدة 17 ماي التي أعطت مرة أخرى دافعا جديدا للعلاقات الجزائرية الفرنسية ،أين

---

([268]) أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص : 397

([269]) جون ب وولف ، المرجع السابق ، ص : 317

([270]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 99

حاول الملك الويس الرابع عشر ، بعد هذه المعاهدة أن يتقرب من الجزائر و السعي لإبقاء حالة السلم معها نظرا لإنشغاله بحروب أوروبا [271].

استمرت حالة السلم بين البلدين ، إلا أنها لم تدم طويلا ، فقد بدأت تتعكر منذ 1672 م ، والتي شهدت قبلها بعام ظهور حكم " الدايـــــات 1671 " ، حيث تخلى هؤلاء عن أية ليونة اتجاه الفرنسيين ، ووصل الأمر بالداي الحاج محمد لإرسال رسالة بتاريخ 23 سبتمبر 1674 م ،إلى البلاط الفرنسي ضمنها الأسس التي تريد الجزائر أن تسير عليها لعقد أي معاهدة مع فرنسا [272] ،و مع أواخر سنة 1675 م ظهرت ملامح القطيعة في العلاقات بين البلدين ، فأخذت سفن البلدين تأسر وتغنم من بعضها البعض كلما سنحت الفرصة لذلك ، واستمر الأمر إلى غاية 1682 م ، أين ستقوم فرنسا بتأطير حملة أخرى ضد الجزائر [273].

**ب.حملة دوكين الأولى والثانية :**

مفاد قضية هاتان الحملتان ، أن مبعوثين فرنسيين قدموا إلى الجزائر للتفاوض مع الداي الحاج محمد من أجل تبادل الأسرى ، وقد تمت في سنة 1681 م المفاهمة على إطلاق سراح الأسرى من الجانبين ، لكن في الوقت الذي وفى فيه الجزائريون بالتزاماتهم ،وأطلقوا الأسرى رفض الفرنسيون من جانبهم إطلاق سراح الأسرى الجزائريين ، وأرسلوهم كعبيد لخدمة المراكب الفرنسية بالمشرق .

ثارت ثائرة الديوان الجزائري وأجمع على إعلان الحرب ضد فرنسا في 8 أكتوبر 1681 م ، فاستولى البحارة الجزائريون على 29 سفينة و 300 أسير ، إذ لذلك قرر

---

([271]) محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 66 .

([272]) عطلي محمد الأمين ، المرجع السابق ، ص : 139 .

([273]) المرجع نفسه ، ص : 141

الفرنسيون شن الهجوم على الجزائر ، وعهدوا بتنظيم الهجوم إلى الأميرال دوكين ، وما إن سمع الداي نبأ التحضير الفرنسي للهجوم على الجزائر حتى إعتزل الحكم وعهد به إلى صهره " بابا حسن " وكان ذلك سنة 1682 م [274].

جهزت فرنسا حملة عسكرية كبيرة بقيادة دوكين ، الذي أبحر على رأس أسطول عظيم في شهر جويلية ( 1095 ه – 1682 م ) ، متوجها صوب الجزائر مع أوامر بتخريب المدينة بأكملها ، وقد توجه الأسطول في البداية نحو مدينة شرشال وشرع في قصفها ، لكن المدينة لم تتضرر كثيرا [275] ، ولم يمت من أهلها ولو حتى نفس واحدة وقد مات من الفرنسيين أكثر من ألفين [276] .

بعد مضي شهر انتقل الأسطول الفرنسي نحو مدينة الجزائر ، وبدأ في قنبلتها فهدموا ما ينيف عن 200 مسكن وبعض المساجد [277] ،وقد استمر القصف حتى 12 سبتمبر دون أن تظهر أية بادرة للصلح [278] ،وبقي الأسطول الفرنسي راسيا في البحر حوالي شهر تقريبا، ثم أقلع عائدا إلى ميناء طولون ،بعدما خلف وراءه أضرارا طفيفة في ميناء الجزائر وعمران المدينة ، وقد كلفت هذه الغزوة الفرنسيين ميزانية ضخمة دون أن يحوزوا على أي نتيجة ، ورجع الفرنسيون إلى بلادهم خائبين خاسرين [279] . ولما صعب على هذه الحملة أن تحصل على ما تهدف إليه من تخريب المدينة وتحطيم أسطولها ، وبعد عودة

---

([274]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص :

([275]) محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 66 .

([276]) الزهرة النائرة ، المصدر السابق ، ص : 20

([277]) تاريخ تحرير مدينة وهران من الإحتلال الإسباني خلال القرن 18 ميلادي من خلال مخطوطتين ، ج1 ، فتح مدينة وهران للجامعي ، ج2 ، الرحلة القمرية لابني زرقة ، تر : مختار حساني ، جامعة الجزائر ، 2009 م ، ص : 226

([278]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 19 .

([279]) ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 20

دوكين إلى فرنسا أعادت الدولة تجهيز حملة أخرى في العام الموالي مكونة من 43 سفينة [280].

انطلقت الحملة أواخر جوان 1683 رجب 1095 من ميناء طولون ، وفي طريقها انضمت إليها 5 مراكب حربية تحت قيادة " لوماركيز دامفريفيل " ، وفي 28 جوان من نفس السنة وصل الأسطول للشواطئ الجزائرية ، وشرع في قصف المدينة والميناء فأحدثت أضرارا جسيمة [281]، أين هدمت أجزاء كبيرة من حصون المدينة ، وحتى قصر الباشا التركي لم يسلم من القصف ، وعند ذلك دخل في قلب بابا حسن الخوف وطلب الصلح من النصارى دون مشورة أصحابه ، ورضي بتسليم 550 أسيرا فرنسيا للأسطول المرابط في البحر [282] ، فثار عليه الرياس وقتلوه وبايعوا " حسين رايس ميزمورتو " دايا مكانه ، وبوصول هذا الأخير للحكم نصب المدافع ونشر الألوية وجدد الحرب [283] ، وبعث إلى دوكين قائلا : " إن أردت الصلح معنا فأعطنا أسرى المسلمين الذين عندك " [284].

عند بلوغ الخبر إلى دوكين سرع في قصف المدينة من جديد، فرماها تلك الليلة بـــــ 350 قنبلة ،ودام القصف 23 ليلة رموا خلالها حوالي 5 آلاف قنبلت خلفت خسائر كبيرة مات خلالها 40 شخصا من المسلمين [285] ، فرد الرياس على ذلك

---

([280]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 85

([281]) ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 20

([282]) علي عبد القادر الحليمي ، المرجع السابق ، ص : 172

([283]) بن عودة المزاري ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر ، تح : يحي بوعزيز ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1990 م ، ص : 172

([284]) الزهرة النائرة ، المصدر السابق ، ص : 22

([285]) المصدر نفسه ، ص : 22

واعتقلوا القنصل " لوفاشي " ووضعوه أمام فوهة المدفع وقذفوا به فتقطع أشلاء وفعلوا ذلك مع 20 فرنسيا آخر [286] ، فرجع دوكين إلى بلده خائبا خاسرا [287] .

وفي سنة 1684 م توسلت الحكومة الفرنسية لعقد الصلح ، فطلبت من السلطان العثماني " مراد الرابع " 1684 – 1687 أن يتدخل بينها وبين الجزائر إلا أن ميزومورتو لم يلتفت إليهم أصلا [288] . وبعد تدخلات كثيرة فتحت مفاوضات للصلح وكان " تروفيل " منسق المفاوضات بين البلدين ، وسميت معاهدة الصلح باسمه وكانت بتاريخ 25 أفريل 1684 م ، ونصت على أن تكون لمدة 100 عام وتحتوي على 29 مادة عالجت بنودها جل المشاكل السياسية والاقتصادية [289] .

### ج. حملة الماريشال ديستري " رجب 1100 ه / 26 جويلية 1688 م :

لم تمض ثلاثة سنوات على إمضاء معاهدة السلم المؤوي ، والتي كان لها الأثر الطيب في تاريخ العلاقات بين البلدين ، حتى تذرعت فرنسا لإعلان الحرب على الجزائر بحجة سماح الحكومة الجزائرية لغنيمة فرنسية من طرف أحد بحارة مدينة سلا .

انطلق دوستري على رأس حملة عسكرية قوامها 44 عمارة ،ووصل الأسطول إلى المياه الجزائرية في 1 جويلية، وشرع في قصف المدينة [290]، حيث رماها بأكثر من 10 آلاف قنبلة فدمر أكثر من 5 آلاف مترل ، فردّ عليه الديوان بإعتقال القنصل " بيول " وكل الرعايا الفرنسيين وقتلوهم جميعا وكان عددهم 43 شخصا [291] .

---

([286]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 86 .

([287]) الزهرة النائرة ، المصدر السابق ، ص : 20

([288]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 86 .

([289]) ابن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 20

([290]) محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 70 .

([291]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص : 86

بعد رحيل دوستري عن الجزائر وعدم تحقيق المساعي الفرنسية ، تخلت هذه الأخيرة عن سياسة العصا ، وحذت حذو الإنجليز والهولنديين ، ورغبت في عقد معاهدة للصلح ، فكان ذلك في 24 شعبان 1100 / الموافق لـــــ 24 سبتمبر 1689 م، التي تناولت مختلف النزاعات بين البلدين . وبعد فترة أوفد الداي " الحاج شعبان " بعثة بقيادة " محمد الأمين أفندي " إلى فرنسا للمباحثة في مسألة الأسرى الجزائريين الذين تزايد عددهم بفرنسا ،وتماطلت الحكومة في إطلاق سراحهم رغم المعاهدات المختلفة التي أبرمت بين البلدين [292]، وانتهت هذه المحادثات بتثبيت إتفاقية السلم بين البلدين ، والذي سيستمر لمدة 100 عام وهو مايعرف بالسلم المئوي [293].

تميزت فترة السلم المئوي هاته 1690 – 1790 بالاستقرار رغم وجود بعض الأحداث التي أدت إلى تشنج في العلاقات ، إلا أنها لم تؤد إلى القطيعة وتم حلها وفق معاهدة السلم المئوي ،التي كثيرا ماكان يضاف إليها بنود حسب ما تطلبه الظروف ، وستعرف العلاقات الجزائرية الفرنسية عدّة أحداث هامة ، ستنعكس حتما على مسار العلاقات بين البلدين، منها الثورة الفرنسية التي أثرت تأثيرا كبيرا وواضحا في أوروبا خاصة والعالم عامة ، نظرا لما حملته هذه الثورة من قيم ومفاهيم سياسية واقتصادية واجتماعية ، وما ترتب عنها من انعكاسات هامة في العلاقات الدولية [294]،والحدث الآخر المهم هو الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798 م ، وبما أن الجزائر جزء من الدولة العثمانية وأن الاعتداء عليها قد وقع على بلد مسلم [295] ،فقد أوفد السلطان العثماني "

---

([292]) يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص ص : 90 ، 91

([293]) محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 98 .

([294]) عبد الرحمان نواصر ، مسألة الديون الجزائرية على فرنسا وانعكساتها على العلاقات البلدين في أواخر عهد الدايات ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2010 – 2011 م ، ص ص : 96 ، 97

([295]) محمد العربي الزبيري ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابين ( 1792 – 1830 ) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1972 م ، ص : 225 .

سليم الثالث " فرمانا للجزائر يوم 6 أكتوبر 1798 ،يتضمن إعلان الحرب على فرنسا ، فاستجاب الداي للقرار وأعلن قطع العلاقات الدبلوماسية معها [296]، وكان غرض فرنسا من هذه الحملة كسر شوكة الإنجليز في الشرق [297] ، والسيطرة على تجارة الهند [298].

وكما أسلفنا استجاب الداي لأمر الدولة العثمانية ، وأعلن الحرب ضد فرنسا وألقى القبض على الفرنسيين وقناصلهم في السجن ، وخرّب مركز فرنسا التجاري بالقالة وأسر نحو 98 عاملا به ، كما أعلنت البحرية الجزائرية حربا شاملة ضد السفن الفرنسية في البحر، تجارية كانت أم عسكرية ، ولكن مالبث أن عاد السلم بين البلدين بعد انسحاب فرنسا من مصر ، أين أوفد " نابليون " مبعوثه تافيل إلى الجزائر ليتفاوض مع الداي لإبرام الصلح ، وفي 13 ماي 1800 م قابل تانفيل الداي " مصطفى باشا " ونجح في عقد هدنة معه يوم 30 سبتمبر 1800 م مقابل دفع مليون فرنك [299]، وستعرف السنوات القادمة انعكاسات حادة في مسار العلاقات بين البلدين، أين ستلعب مشكلة الديون دورا بارزا في تفعيل الأزمة التي ستجر البلدين إلى القطيعة والخلاف ،كما سيلعب الأخوان اليهوديان " بكري وبوشناق " على حبل العلاقات السياسية الفرنسية الجزائرية ، والتي ستنتهي بحملة كبرى تبتدأ بحصار الإيالة ثم احتلالها .

**المبحث الثاني : العلاقات الجزائرية الإنجليزية**

---

([296]) رشيد مريخي ، الجزائر في عهد الداي مصطفى باشا ( 1212 – 1220 ه / 1798 – 1805 م ) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، 2010 – 2011 م ، ص : 38

([297]) زينب عبد العزيز ، مائتا عام على حملة المنافقين الفرنسين ، كومبيوتر ستار ، مصر ، 1988 م ، ص : 14

([298]) محمد صبري ، تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلي اليوم ، ط1 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1926 م ، ص : 24

([299]) رشيد مريخي ، المرجع السابق ، ص : 38 .

جاء الانجليز إلى البحر الابيض المتوسط كتجار و بحارة خواص و قراصنة إبتداءا من أواخر القرن السادس عشر ، و قد حصلت الملكة إليزابيت على معاهدة من السلطان العثماني أعطت للتجار و البحارة الانجليز امتيازات مشابهة لتلك التي يتمتع بها الفرنسيون ، بالرغم من أن المعاهدات الفرنسية العثمانية جعلت الملك الفرنسي هو حامي التجار المسيحين في المشرق ،كما منحت القناصل الفرنسيين صلاحيات واسعة من السلطة الشرعية على جميع المسيحيين في الموانئ العثمانية ، و قد وجد بحارة السفن الخاصة و القراصنة الانجليز ملجأ أمنا لهم في موانئ الايالة الجزائرية و التونسية منذ وقت مبكر ، حيث كانوا يتبادلون تجارة كبيرة مع الجزائر من إمدادات عسكرية و بحرية ، مقابل الحبوب و الصوف و الزيوت و غيرها من المواد المصدرة و المعفية من الرسوم الجمركية.كما كانت حربهم مع الدولة الاسبانية ،و هذا ما جعلهم حلفاء أو على الاقل شركاء لرياس شمال افريقيا إذ كانت تجمعهم علاقات ودية [300].

إن اهتمام بريطانيا خلال القرنين السادس عشر و السابع عشر بالبحر الأبيض المتوسط كان محدود ، و يكاد يكون قاصرا على أعمال الشركة الانجليزية التركية – «شركة الشرق الأوسط-"الليفانت levant "» و التي تأسست سنة 989 ه - 1581م ، و لذلك كانت بريطانيا ثاني دولة تسعى إلى إنشاء قنصلية لها بالجزائر [301] ، وكانت المسؤولة في عهد الملكة اليزابيت على تعيين القناصل الانكليز في مدن الموانئ العثمانية ، و كان من الصعب تعيين قنصل في الجزائر عندئذ ،لعدم وجود نشاط تجاري هام في هذه المدينة التي كانت تكرس كل جهدها تقريبا لهجومات رياسها البحريين ، بعد وفاة اليزابيت أعلن خليفتها ، " جميس الأول " (1603 - 1625 م) أن زمن الحرب قد

---

([300]) مولود قاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830،ج1، دار الامة ، ط2 ،2007 ، ص ص : 181 ، 182 .

([301]) عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ،ج 4 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2010 ،ص : 102

انتهى و لم يكتف بتوقيع السلام مع اسبانيا ، بل أنه أيضا أعطى نفوذا كبيرا وسمعة إلى السفير الاسباني في البلاط الانجليزي ، و مع ذلك فان القراصنة الانجليز كانوا محل ترحيب في الموانئ الجزائرية و التونسية ،حيث كانوا هم و نظراؤهم الفلانديون و الهولانديون يُعلمون الرياس المسلمين كيفية بناء و تسير السفن الطويلة التي تعتمد في مسيرها على الرياح [302] .

لم يعد التجار الانجليز امنين على سفنهم كما كانوا من قبل ، إذا ما أبحروا عبر البحر الأبيض في اتجاههم إلى المشرق للتجارة ، حيث كان السفير الانكليزي في اسطنبول يعامل مثله مثل نظيره الفرنسي،و بعد أن وقع هنري الرابع السلام مع اسبانيا ، قد وجد نفسه يستطيع الضغط كثيرا على السلطات العثمانية لوقف النهب الغير شرعي الذي لحق بالسفن الانجليزية من قبل رياس شمال افريقية ، ذلك أن السلطة العثمانية لم تعد تحمي بسهولة سفن الدول التي يفترض أنها صديقة لنظامه ،و التي هي في نفس الوقت في سلام مع اسبانيا [303].

كما كان الفضل لبعض ضباط البحر الانجليز و الفرنسيين في تعليم البحار الجزائريين و التونسيين طريقة إبحار السفن التي يمكنها اختراق المحيط الأطلسي ،و من ثمة توسيع مجال أنشطة البحارة المغاربة بصفة كبيرة ،و هكذا نرى أن إنجلترا و فرنسا و نيوزلاندا المتحدة لم تكن تجد صعوبة مع البحارة العاملين في الايالات المغربية ،طالما كانت هذه الدول أيضا في حرب أو عداء مع المماليك الاسبانية. و لكن عندما وقعت هذه الدول الثلاث السلام مع اسبانيا ، فان بحارة المغاربة توقفوا عن النظر إليهم كحلفاء ، و سرعان ما استولوا على السفن التجارية التي تعود إلى أصدقاءهم السابقين واسترقوا طواقمها .إن تدخل إسطنبول قد يغير القرارات في العقد الأول من القرن السابع عشر ،

---

([302]) جون ب . وولف ، المرجع السابق ، ص : 242

([303]) جون ب . وولف ، المرجع السابق ، ص : 241

ولكن سرعان ما توقفت السلطة العثمانية عن توفير الأمن لأي سفينة تعبر البحر المتوسط .[304]

تزايد نشاط البحرية الجزائرية ضد السفن الإنجليزية وعليه قرر الملك الإنجليزي "جيمس الأول" توجيه حملة عسكرية لقنبلة مدينة الجزائر ، وأوكل أمرها إلى الأميرال "روبيرت مانسيل" (Robert Mansel ) ، وصل الأسطول الإنجليزي إلى المياه الجزائرية في 27 نوفمبر 1620 م [305] ، لكن الحملة فشلت في تحقيق مبتغاها في فك الأسرى وحرق الأسطول الجزائري.أكّد هذا الإخفاق العسكري ، عجز إنجلترا على الرد على البحرية الجزائرية لضعف الأسطول الإنجليزي ، و عدم تحمل الخزينة الإنجليزية لنفقات حرب و التي قد تطول [306].

مالت إنجلترا إلى الحل التفاوضي مع الجزائريين؛ فعقدت معاهدة سلام مع الجزائر في سنة 1622م ، وقعت معاهدة " توماس روي" بين الانجليز و الايالة العثمانية لتنظيم العلاقات الخارجية بينهما، و يشير جون وولف أن أول من أخل ببنود المعاهدة هم الانجليز ، فقد كان الحكام الأوائل خلال بداية القرن السابع عشر يجدون صعوبة في السيطرة على سلوك رعاياهم ، ذلك أن البحارة الخواص المرخص لهم يصبحون بسهولة قراصنة ، لا يمكن مراقبة سلوكهم في البحر ، و لكن الذي أزعج السلام مع الجزائر لم تكن ببساطة هذه الحجة و إنما السفن الحربية الانجليزية المرخص لها بانتظام قد نقضت أيضا السلام .[307]

---

([304]) المرجع نفسه ، ص ص : 241 – 243

([305]) وليام سبانسر ، المرجع السابق، ص : 180

([306]) جون ب . وولف ، المرجع السابق ، ص : 298

([307]) نفسه ،ص : 298

خلال حرب باكنغهام Buckingham مع اسبانيا سنة 1625م أجبرت سفينة إنجليزية خاصة ،أحد الرياس الجزائريين على تسليمهم السفينة الاسبانية التي كان الرايس قد استولى عليها كغنيمة له ، الامر الذي أدى إلى احتجاج من قبل الرايس ، كما وقعت حادثة مشابه لها ، حيث أن بحارة جزائريين استولوا على سفينة فرنسية كانت مبحرة ، غير أن البحرية الانجليزية طالبت باعطائها نصف الغنيمة ، و لعدم معرفتهم باللغة جعلت الطاقم الجزائري يخسر كل الغنيمة ، وعلى إثر هذه الانتهاكات أرسلت بعثة رسمية جزائرية إلى لندن تحمل معها (خيولا ، أسودا و فهودا ) قاصدة من هذا الحصول على تعويضات ، للانتهاكات المقصودة للمعاهدة من قبل البحارة الانجليز ، لكن حظ البعثة لم يكن كذلك حيث فشلت في مهمتها [308] .

استاء رياس البحر من المعاهدة التي تمنعهم من الانقضاض على السفن الانجليزية ، و خاصة أن العلم الانجليزي كثيرا ما شوهد في البحر المتوسط خلال عشرينات القرن السابع عشر ، و جاءت الفرصة المنتظرة لتبرير نقض المعاهدة و إعلان الحرب على إنجلترا ، و هذا عندما هاجمت سفينة حربية انجليزية سفينة جزائرية و احرقتها ، و كان من نتائجها وضع الأغلال للقنصل الانجليزي "جميس فرانزيل " franzel" و رميه بالسجن ، و اعلان الجزائر الحرب على انجلترا [309] ، و على اثر هذا الصراع باتت السفن الانجليزية في البحر المتوسط و في المحيط الاطلسي هدفا سهل المنال للرياس البحر الجزائريين ، و كان أجرأ هجوم هو الذي قام به العلج مراد رايس ، حيث أسر مئات الرجال الانجليز و النساء و الاطفال لبيعهم في سوق الرقيق بالجزائر ، و كانت هناك هجمات متكرر على السواحل الانجليزية و التي ساهمت في تحريك مشاعر انجلترا [310] .

---

([308]) المرجع نفسه ، ص ص : 298- 299

([309]) جون وولف ، المرجع السابق ، ص : 299

([310]) منور مروش ،ج2 ، المرجع السابق ، ص ص : 285-323

تهاطلت رسائل عائلات الاسرى على الملك و كبار المسؤوليين تناشدهم لنجدتهم ،غير أن الملك لا يملك المال لفدائهم ،كما استرشدت الحكومة لتشكيل لجنة تهتم بهذا الموضوع و التي رأت أن سياسة الفداء ستعطي للجزائريين فكرة بأن الانجليز بضاعة رابحة ،و هذا سيدفعهم إلى بذل مجهودات أخرى للاستيلاء على الاسرى ، و لهذا جعلت استمرار الحرب هو الحل الوحيد [311] . قدر عدد الاسرى بخمسة الاف أسير سنة 1640م ،و بسبب ارتفاع هذا العدد توالت موجات العرائض الموجهة للبرلمان ،و خلال هذه السنوات قام شارل الاول ببناء اسطول قوي يمكنه من فرض هيبته الانجليزية على البحر المتوسط ، و في سنة 1645م غادر " ادمون كاسن " "(cassen) من انجلترا على ظهر سفينة محملة بالبضائع و النقود لفداء الاسرى بالجزائر ، كما تم اعتماده كقنصل و أُعطيت له صلاحيات لعقد معاهدة سلم و صداقة مع ايالة الجزائر، و نتيجة لعاصفة هوجاء احترقت هذه السفينة قرب اسبانيا ،و على اثرها عاد كاسن إلى انجلترا ،و في سنة 1646م عاد إلى الجزائر و معه المال لفداء الاسرى و لعقد معاهدة السلام [312].

عرفت العلاقات الجزائرية الإنجليزية خلال عهد الجمهورية بما يمكن أن نسميه السلام المشوب بالحذر؛ إذ رغم السلام الذي أّكدته معاهدة 1646 م ، إّلا أّن التوجه الجديد لحكومة الجمهورية كان يقضي باستعمال الصرامة في التعامل مع الإيالات المغربية بشكل عام. وقد ظهر ذلك جليا في التعليمات التي زود بها القنصل الانجليزي الجديد "روبير براوني" (Robert Browne) ، وهي تعليمات تميزت بالوضوح والجفاء وعدم التساهل ، أو التسامح مع أي عمل يخل ببنود المعاهدة .وتدعيما لمهمة قنصلها أرسلت حكومة الجمهورية أسطولها بقيادة الأميرال" بلاك " (Blake) إلى البحر الأبيض المتوسط ،ليكون

---

([311]) جون وولف ، المرجع السابق ، ص ص : 299 - 300 ، 301

([312]) المرجع نفسه ، ص ص : 303 ، 304

على أهبة الاستعداد لأي طارئ [313] ،كما تشير مجلة العصور إلى حدوث هجوم بريطاني بأسطول حربي على مدينة الجزائر و كان هذا عام 1652م [314] ،وعندما عاد النظام الملكي إلى إنجلترا في سنة 1660م ،استهلّ الملك "شارل الثاني " عهده بتوجيه حملة عسكرية على مدينة الجزائر، لإرغام الحكومة الجزائرية على الانصياع لرغبته في تعديل المعاهدة السابقة ،وخاصة الشرط المتعلق بتفتيش السفن الإنجليزية . وفور وصول الأسطول الإنجليزي إلى ميناء الجزائر، شرع في قصف المدينة وأبراجها ،وردت عليه الحصون الجزائرية فأصابت السفينة التي تحمل الأميرال كما أصيبت بعض السفن بأعطاب فمات منهم مائة [315].

بعد فشل الحملة لجأت إنجلترا كالعادة إلى أسلوب التفاوض؛ فعقدت معاهدة سلم مع الجزائر في سنة 1662م [316] ،كما لا يمكن تجاهل الضربات التي تلقتها البحرية الجزائرية من طرف الانجليز، حيث تم قصف سواحل الايالة و ميناءها و كان هذا عام 1665م [317].

برز الصراع بين فرنسا و الجزائر لتنفرد فرنسا بشن اكبر عدد من الغارات البحرية على الجزائر خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر ، غير أن المدفعية الجزائرية تمكنت من صد هذه الهجمات و إلحاق الهزيمة بالأسطول الفرنسي ، و في عام 1669 م أبرمت

---

([313]) جون وولف ، المرجع السابق ، ص ص : 307 ، 308

([314])جبور محمد ، **البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني** ، مجلة العصور ، العدد 12-13/14-15،جامعة وهران ، 2008 -2009 ، ص : 120 .

([315]) جون وولف ، المرجع السابق ، ص : 308

([316]) جمال قنان ، نصوص و وثائق ، المرجع السابق ، ص ص : 91-97

([317]) المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق ، ص ص : 339-347

اتفاقية جديدة بين فرنسا و الجزائر ، الأمر الذي أغضب انجلترا لتشن بدورها هجوما على الجزائر لكن قدرة المدفعية الجزائرية أرجعتها من حيث أتت [318].

ظل تبادل التهم بخرق المعاهدات يعكر صفو العلاقات بين البلدين ،ليجد كل طرف المبرر للقيام بأعمال عدوانيه ففي 1770م قبضت وحدة بحرية إنجليزية بقيادة السير "ألن" "Allen " و أحرقت 3 طرادات قرصانية مجموعة ناريتها 248 بندقية [319] ، و في ربيع 1671م تعرض ميناء بجاية إلى هجوم إنجليزي ،قاده الضابط " إدوارد سبراغ " (Edward Spragge) [320]أسفر عن حرق إثنتي عشرة سفينة ، وأكثر من ثلاثة آلاف قتيل ثم توجه شطر مدينة الجزائر ، فأحرق بها تسع سفن ،وشرع في إملاء شروطه على حكومة الداي التي توّلت السلطة في البلاد بعد القضاء على نظام الآغوات ،لكنه لم يكمل المفاوضات وعاد على جناح السرعة إلى بلاده .

ساءت العلاقات الجزائرية الانجليزية هذا و أن القنصل الانجليزي كان يمارس ضغطه على الداي باستمرار للحصول على المزيد من المعاهدات التجارية ، و في النهاية طرد القنصل من قصر الداي لأنه أصر مقابلة الداي و الدخول إلى ديوانه ،و هو متقلدا سيفه الأمر الذي أثار غضب الداي ،و زيادة حدة توتر العلاقات بين البلدين. و في سنة 1774م/1188ه جاء القائد " دنيس" إلى الجزائر لتعيين قنصل جديد بها ، إلا أنه لم يسمح له بالنزول من سفينته ، و في 16 شباط 1775م تدخل السلطان و فرض على الجزائر قبول الصلح مع انجلترا، وفق فرمان بعث به إلى ايالة الجزائر ،غير أن هذه الأخيرة لم تعر أي إهتمام بهذا الفرمان نهائيا . [321]

---

([318]) عزيز سامح ،ا لمرجع السابق ، ص : 529

([319]) وليام سبانسر، المرجع السابق ، ص : 180

([320]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص : 184

([321]) عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص : 529

اغتنم الانجليز فرصة قيام الحرب بين الجزائر و فرنسا عام 1681م ،فابرموا مع الجزائر معاهدة سلام و كان ذلك سنة 1682 [322]، حيث يصفها أحد الفرنسيين بتقديم الانجليز تنازلات مزرية للجزائريين، إذا قبلوا بإعطائهم كمية معتبرة من البارود ،و من قنابل المدافع و من الحبال ،و كل مايستلزم لتجهيز السفن ،كما قامت انجلترا باطلاق سراح خمسين أسيرا ، في الوقت التي لم تتحصل فيه إنجلترا على أسير واحد من الأسرى الانجليز المتواجدين بالجزائر ،رغم عددهم الكبير ، كما قبل الانجليز بأن يتولى القراصنة الجزائريين حماية بواخرها في البحر المتوسط [323].

بقيت حالة الشد والجذب تطبع علاقات البلدين إلى مطلع عقد الثمانينات من القرن 17م ،حين وّقع البلدان معاهدة سلام في 22 أفريل 1682 م ؛ و يعود الفضل في ذلك إلى القنصل" صمويل مارتن " الذي وعد الديوان في 1676م ،بأن انجلترا ستحدد من عدد الأجانب المسافرين على متن سفنها ، و نجم عنها تحسن في العلاقات التي سوف تستمر إلى غاية القرن 18 وذلك إثر توطد التفوق البحري الإنجليزي و احتلال الإنجليز لجبل طارق أثناء حروب الوراثة الإسبانية [324] .

كانت سياسة بريطانيا اتجاه الجزائر تستهدف نفس الاهداف التي تسعى لتحقيقها غريمتها فرنسا ،غير أن إنجلترا في المناسبات العادية كانت تبدي الكثير من البخل في الهدايا التي كانت تقدمها للداي ، أما القناصل الذين كانت تختارهم لتمثيلها بالجزائر كثيرا ما كانوا من طبقة عادية و لايتمتعون إلا بمعرفة محدودة ، و عدم حنكتهم في الامور

---

([322]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 41

([323]) مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر العام ،ج3 ،ص ص: 186-187

([324]) وليام سبانسر، المرجع السابق ، ص : 180

الدبلوماسية هو السبب الذي جعل هؤلاء يقعون في أخطاء فادحة ،و في كثير من الأحيان كان يتم استدعائهم من قبل حكومتهم بناءا على شكوى الداي [325] .

لقد كانت انجلترا تنتهج سياسة لا تتسم بالمثابرة و المواظبة مثل فرنسا، فإنها كانت تطالب و باستمرار بنفس المكانة و الاعتبار التي كانت تتمتع بها نظيرتها [326] ، وقد تعرضت الجزائر إلى عدة هجمات من قبل الاسطول الانجليزي ، لكنها أقل عددا من الهجمات الفرنسية ، كما كان مجموع الاتفاقيات المبرمة بين الجزائر و انجلترا منذ 1619 م إلى 1830 م حوالي 27 معاهدة [327] .

إن موضوع العلاقات الجزائرية البريطانية تكتسي أهمية خاصة لدول البحر الأبيض المتوسط بصفة عامة ، كون أن بريطانيا لم تكن من دول البحر الأبيض المتوسط ،إلا أنها اقتحمت هذا المسطح المائي الهام ،بغرض السيطرة على الملاحة التجارية العالمية التي كان يحظى بها المتوسط ، وبالتالي فرضت نفسها كرقم أساسي في المعادلة التي حكمت وأطرت العلاقات السياسية للدول المتوسطية هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كانت الجزائر خلال هذه الفترة دولة بحريّة بالدّرجة الأولى ،فكان مفتاح عظمتها في " عصر القرصنة " يكمن في بحريّتها التي كانت توجّه سياستها الخارجيّة ، وتحدّد طبيعة علاقتها مع الدّول الأوربيّة ، بما فيها الإمبراطوريات العظمى التي كانت على رأسها بريطانيا. وبالتالي أولت المملكة البريطانية أهمية بالغة بالجزائر، خاصة أن هذه الأخيرة كانت تربطها علاقات يمكن أن نقيمها بالحسنة خلال هذه الفترة .

**المبحث الثالث : العلاقات الجزائرية الأمريكية**

---

([325]) وليام شالر ، المصدر السابق، ص : 134

([326]) نفسه ، ص : 135.

([327]) عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق ، ص ص : 103- 104

كانت أمريكا عبارة عن مستعمرة تخضع للنفوذ البريطاني ، تابعة سياسيا واقتصاديا للتاج الإنجليزي ،وبالتالي كانت علاقتها مع الجزائر منطوية تحت العلاقات الجزائرية البريطانية التي تتمّ بواسطتها ومن خلالها ،حيث كانت الجزائر تعامل السفن الأمريكية طبقا للدولة المستعمرة . [328] و في ظلها تمتعت السفن الأمريكية بالحماية من الجزائر، مانحة إياها جميع الامتيازات حيث كانت العلاقات الجزائرية البريطانية ودية ، وفي أواخر القرن الثامن عشر و بعد قيام الثورة الأمريكية [329] ، سحبت بريطانيا حمايتها من أمريكا ليبدأ تاريخ الولايات المتحدة الفعلي بموجب معاهدة فرساي في 3 سبتمبر سنة 1783م [330] ،حيث اعترفت الجزائر بحق الولايات المتحدة في الاستقلال [331] .

تعتبر العلاقات الأمريكية الجزائرية حديثة عهد و لم تبدأ الاتصالات فيما بين الدولتين إلاّ بعد 1783 م ،كما يؤيّد هذا الاتجاه مسارعة الجزائر إلى الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة، و أمام الوضعية الحرجة التي كانت تعيشها أمريكا قررت أن تنشد السلام مع الجزائر بطريقة غير مباشرة ، فلجأت إلى الأوروبيين لتحقيق هذا الهدف ، فالمعاهدة التي أبرمتها أمريكا مع فرنسا عام 1778 م ،نصت على مادة يتعهد بموجبها ملك فرنسا باستعمال وساطته لدى الجزائر لحماية المصالح الأمريكية [332]، و في معاهدات أمريكا مع هولندا عام 1782 م ، و التي كانت مماثلة للمعاهدة التي عقدتها مع فرنسا ،كما

---

([328]) وليام شالر، قنصل أمريكا بالجزائر، مقدمة المترجم ، ص ص : 5 ، 6

([329]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص216

([330])اسماعيل العربي ،**المعاهدات الجزائرية الأمريكية** ، **مجلة الثقافة** ،الجزائر،السنة السابعة العدد40،اوت – سبتمبر1977،ص23

([331]) عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق ، ص : 101

([332]) جيمس لندركاثكارت ، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا بالمغرب ، تر: إسماعيل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 ، ص : 196 . انظر ايضا: اروين ، ص : 44 .

فشلت مساعيها الأولى لعقد معاهدة مع بريطانيا . و تم توقيع معاهدة عام 1783 م [333] . حاولت أمريكا التحالف ضد الجزائر و لكن الدول الأوروبية رفضت تطبيق هذه المادة كفرنسا ،و أخرى رفضت إضافة هذه المادة أصلا كبريطانيا .إلا أن مساعي أمريكا فشلت لدى الدول الأوروبية [334] .

سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى عقد معاهدة صلح مع دول المغرب خاصة الجزائر التي كانت أقوى النيابات العثمانية آنذاك، حفاظاً على سلامة السفنها التجارية في البحر المتوسط.و قد أشار الوزير الفرنسي إلى استئناف المفاوضات مع دول المغرب ،و التي سوف تكلفها مبالغ طائلة،لان بدون هذه التضحية لا أمل لها في الحصول على السلام،فان تمكنت الولايات المتحدة من ابرام المعاهدة مع الجزائر و المغرب لتخذت كل من تونس و طرابلس حذو البلدين بسهولة و بمبالغ أقل [335] .

فبعد انتصار الجزائريين على الإسبان وعقد معاهدة معهم عام 1783م ، أُتيح للجزائريين التحرك بحرية أكبر في البحر المتوسط و المحيط الأطلنطي، بعدما فُتح أمامهم مضيق جبل طارق فاستولى الجزائريون على سفينتين أمريكيتين عام 1785 م ، و الذي كان على متنها 21 أسيرا و بالتالي ازدادت حصيلة الأسرى من الأمريكيين [336] .

أرسلت الولايات المتحدة مندوبا عام 1786م يدعى " جون لامب " فدخل في مفاوضات مع الداي " محمد باشا " ، إلا أن الداي رفض مقابلته [337] . وفي سنة 1791م توفي الداي محمد باشا ليحل محله الداي حسن باشا ،وأحست الولايات المتحدة

---

( [333] ) أروين راي ، تاريخ العلاقات الدبلوماسية الأمريكية المغربية ، تر : اسماعيل العربي، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص : 46- 48

( [334] ) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ، المرجع السابق ،ص : 219

( [335] ) أروين ، المرجع السابق ،ص : 54

([336]) اسماعيل العربي ، المعاهدات الجزائرية الامريكية ، المرجع السابق ، ص : 25 ، **انظر:** أروين ، ص : 63

( [337] ) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص : 219

أنه أكثر ميلا لها من سابقه فسارعت إلى فدية أسراها ،و عقد معاهدة ،فوافق الأمريكيون على دفع مبلغ 65 آلاف دولار [338].

استمر الصراع بين البرتغال و ايالة الجزائر الامر الذي دفع بهم إلى اتباع سياسة حراسة مضيق جبل طارق لمنع السفن الجزائرية من الخروج من البحر المتوسط ،و بذلك تكون البرتغال قد تحمي السفن الامريكية من قراصنة الجزائر في المحيط الاطلسي. ورغم غلقِ البرتغال لمضيق جبل طارق أمام البحرية الجزائرية ، و تقديم الحكومة البرتغالية الحماية للسفن الأمريكية ، إلا أنها ظلت تواجه التهديدات إلى غاية 1793م ، حينما قامت الحكومة البريطانية بعقد صلح بين ايالة الجزائر و البرتغال [339].

عقب ذلك انتشرت السفن الجزائرية التي زالت كل العوائق امامها ، و في غضون سنة تمكنت السفن الجزائرية من الإستيلاء على 11 سفينة أمريكية في عام 1793م ،وبلغ عدد الأسرى الأمريكيين مئة أسيرا [340] ،وقد أدى هذا إلى إحداث إثارة كبيرة في الولايات المتحدة خاصة وانها قد خرجت حديثا من مشاكل الناجمة عن حرب الاستقلال ، و بفضل دستورها الذي كان يبشر بمستقبل زاهر، وقعت البلد تحت عبئ ثقيل و هو عدم امتلاكها قوة بحرية ،و هكذا بذلت المساعي من أجل حل هذه المسألة. فأقر " الكونجرس " في عام 1794م إنشاء اسطول مكون من 6 سفن أمريكية لاستخدامها ضد الإعتداءات المعادية في البحر المتوسط [341].

رغم إقرار أسلوب القوة إلا أنها فضلت اسلوب التفاوض مع الجزائر و لهذه الغاية كلف الكلونيل" هامفري" ، الوزير الأمريكي في ليشبونة من قبل رئيس الولايات المتحدة

---

([338]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 129

([339]) أبو قاسم سعد الله ، أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر ،ج1، دار البصائر ، الجزائر ، 2007 ، ص: 289

([340]) مذكرات وليام شالر ، المصدر السابق ،ص : 128 ، 129

([341]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ، المرجع السابق ، ص : 227

الأمريكية بالدخول في مفاوضات مع الجزائر ،حيث اضطر وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية الجديد "ادمون راندلوف" لتخصيص مبلغ 800 ألف دولار لتحقيق السلام وتخليص الأسرى لدى الجزائر [342].

أرسلت أمريكا بعثة أخرى إلى الجزائر للمفاوضة عام 1795م ، تحت مسؤولية " **هامفري** " ، سافر المندوبان الأمريكيان " هامفري " و "جوزيف دونالدسون " إلى باريس حيث بقى هامفري وتابع دونالدسون طريقه إلى الجزائر . وبمساعدة فرنسا ، و بعد المحادثات بين الطرفان أدى إلى توقيع أول معاهدة سلام و صداقة بين البلدين بتاريخ 21 صفر 1210ه الموافق لـ 5 سبتمبر 1795م [343] ، التي نصت على أن تدفع أمريكا ما يعادل 725000 دولار منها 642500 دولار كفدية لمئة أسير، و 21600 دولار كجزية سنوية ،و تدفع لمعدات بحرية إلى الجزائر اضافة إلى هدايا تقدم إلى الداي [344] ،و بالمقابل تتعهد الجزائر بحماية التجارة الأمريكية في البحر المتوسط، و القيام بمساعيها الحميدة لدى باشا طربلس لتحقيق السلام مع أمريكا ، و بناءا على هذا أصبحت الجزائر طرفا ثالثا ضامنا للسلام حين وقعت معاهدة طرابلس أمريكا ، كما تعهدت الجزائر بالقيام بنفس لمساعي لدى الباشا تونس لصالحأمريكا [345] .

جاء في ديباجة المعاهدة ((من تاريخ إبرام هذه المعاهدة سيحل السلام الدائم و الصداقة المخلصة بين رئيس المتحدة الأمريكية و مواطنيها، و بين بابا حسن داي الجزائر و ديوانه و رعاياه و أن سفن و رعايا الأمتين سيتعاملون بكل شرف و احترام )) .و تطبيقا لهذه المعاهدة أطلقت الجزائر سراح أسرى الأمريكان في جوان 1796م ، أما أمريكا قد

---

([342]) وليام شالر ، المصدر السابق، ص : 129

([343]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص : 229

([344]) وليام سبانسر ، الجزائر في عهد رياس البحر، ص: 186

([345]) مذكرات شالر ، المصدر السابق ، ص : 129

قدمت للجزائر ثلاثة سفن " حسن باشا " و " سكجولد براند " ، للاعايشة و التي وصلت إلى ميناء الجزائر يوم 16 يناير 1799 ، أما السفينتين الأخريين وصلتا بعد ذلك بوقت قصير ، كانت تبلغ قيمة السفن في مجملها 9800000 دولار [346] ، و في هذه الأثناء تغير الجو السياسي بأوروبا بين انجلترا و فرنسا و بين امريكا وانجلترا و بالتالى تم تحريض الجزائر من قبل صديقتها الأولى طبقا لمصالحها [347].

تمّ الإمضاء على المعاهدة رغم تحريض بريطانيا للداي على الإستمرارية العمل ضد النشاط التجاري الأمريكي من أجل القضاء عليه من ناحية، وتحجيم دور فرنسا من ناحية أخرى [348] ، أما أهم مواد المعاهدة فهي أن تدفع الولايات المتحدة للجزائر إتاوة سنوية مقدارها 12 ألف من الذهب الجزائري مع إمكانية أن يتم الدفع عينيا، كأن يقوم الجانب الأمريكي بإعطاء الجزائر ما تحتاجه من معدات بحرية، و سواري السفن ولوازمها من حبال وأخشاب فضلا عن بعض المدافع والبارود على أن يتم حساب أثمانها من الأتاوة السنوية، وفي حالة الزيادة أو النقصان يتم التعويض [349].

كانت الحالة المالية و الثقة في الدولة متضعضعة في الولايات المتحدة ،بحيث أنها واجهت صعوبات كبيرة في جمع الأموال اللازمة للوفاء بالتزاماتها في نطاق المعاهدة ،وحدث تأخير من قبل الولايات المتحدة [350] في إرسال ما تم الإتفاق عليه مع الجزائر، حيث مرت ثمانية أشهر على توقيع معاهدة السلام دون تنفيذ بند واحد من بنودها [351] ،فظن الداي أن الأمريكيين غير جادين في تنفيذ المعاهدة .

---

([346])جيمس لاندر كاثكارت ، المصدر السابق، ص 276-277

([347]) مذكرات وليام شالر ، المرجع السابق ، ص : 129

([348]) نفسه ، ص : 129

([349]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص: 228-227

([350]) مذكرات شالر ، المصدر السابق ، ص : 130 .

([351]) جيمس لاندر كاثكارت ، المصدر السابق، ص : 194

أبلغ المندوبين الأمريكيين بضرورة المغادرة خلال أيام ،وإذا لم يتم التسليم خلال شهر فسيلغي المعاهدة ويعلن الحرب. فلجأ المندوبان إلى أحد كبار التجار اليهود من آل بكري للتوسط لدي الداي لزيادة المهلة بعد أن دفع له 18 ألف دولار ، و كان " بارلو " قد أعد بعض الهدايا الثمينة للداي ،أملاً منه في تمديد المهلة لوصول أموال المعاهدة التي بعثها مع اليهودي كوهين بكري لكي يحصل على مقابلة مع الداي غير انه رفض هذه الهدايا من الامريكيين و بعد محاولات عدة و متكررة [352] ، إلا أنّ الداي رفض استقبال بارلو لمدة لاتقل عن شهر بعد وصوله للجزائر، و أكثر من ذلك فقد أمر الاسطول بالتسلح و الاستعداد لإعلان الحرب على الولايات الامريكية المتحدة ، لكن لكسب الوقت و للخروج من هذه الورطة ، عرض بارلو على الداي تزويده ببارجة مسلحة بستة و ثلاثين مدفعا اذا رضي تمديد المهلة [353] ، فوافق الداي على زيادة المهلة إلى ثلاثة أشهر فقط. و وعدت الولايات المتحدة بإرسال اللازم في صيف عام 1797 . [354]

كانت التكلفة الحقيقية لمعاهدة الصلح هذه بالنسبة للولايات المتحدة تعادل أو تفوق المليون دولار ،وهي قيمة في غاية الارتفاع إذا نظرنا إلى حالتها المالية الكارثية بسبب الديون الخارجية ووضعها الاقتصادي المزري بسبب حرب الاستقلال، وضعف الدولة الحديثة النشأة تنظيميا وإداريا ،الراجح أنّ هذه المعاهدة تمّت سنة 1795م ،وأنّ أمريكا وجدت صعوبة في جمع هذه الأموال ولكنّها دفعتها بواسطة مفوضها "جويل بارلو" سنة 1796م [355] . بقيت مطالب الجزائر تزداد وتتفاقم كلـــّما تطوّرت التجارة الأمريكية

---

([352]) جيمس لاندر كاثكارت ، المصدر السابق، ص ص : 242 ، 243 .

([353]) المصدر نفسه ، ص : 257

([354]) أروين راي ،المرجع السابق ، ص110

([355]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 130

وازدهرت إلى أن وصلت في حسّ الأمريكيين إلى درجة لا تطاق، ولكن لم يكن لهم مفرّا ولا بديلا من دفع هذه الضرائب والغرامات [356].

و في عام 1800م وصلت السفينة الأمريكية جورج واشنطن الى الجزائر تحمل الإتاوة السنوية .استمرت العلاقة بين الجزائر و الولايات المتحدة تسير في ظل معاهدة 1795 م رغم حدوث بعض التوتر بسبب التأخر في إرسال الإتاوة الى الجزائر، أو المعدات الحربية، والذي وصل في بعض الأحيان إلى التهديد والإستيلاء على السفن الأمريكية [357].

استمرت العلاقة بين الجزائر و الولايات المتحدة تسير في ظل معاهدة 1795 م إلى غاية 1812م ،رغم حدوث بعض التوتر بسبب التأخر في إرسال الإتاوة الى الجزائر، أو المعدات الحربية، والذي وصل في بعض الأحيان إلى التهديد والاستيلاء على السفن الأمريكية ، [358] لم تكن أمريكا تستطيع خوض حرب مع الجزائر فاضطرت إلى محاولة مهادنتها وأرسلت سفينة (اللغاني) محمّلة بالذخيرة والعتاد الحربي.

أرست هذه السفينة في ميناء الجزائر يوم 17 جوان 1812م ولكن حمولتها كانت ناقصة عن القيمة المتفق عليها بين الطرفين [359] ،أبدى الداي غضبا شديدا وانزعاجا كبيرا بسبب هذا النقص الذي اعتبره عدم وفاء بالعهود والمواثيق ، وممّا زاد غضب الداي عندما علم أنّ نفس السفينة قد أنزلت شحنة مماثلة لملك المغرب ، وأنّها كانت محمّلة ببعض الأغراض الأخرى لأفراد وشركات خاصة ، رأى الداي في هذا التصرف اهانة لشخصه ولدولة الجزائر فأمر القنصل الأمريكي بمغادرة الأراضي الجزائرية رفقة عائلته ، وجميع

---

([356]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ،ص : 229

([357]) مذكرات وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 131

([358]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 129 .

([359]) نفسه ، ص : 130

الرعايا الأمريكيين وأمهلهم حوالي أسبوعا واحدا إلى غاية 25 جوان 1812م [360]، و في منتصف سبتمبر 1812 م ألقى الأسطول الجزائري القبض على سفينة أمريكية وأسرّ جميع من عليها في 1813م، حاولت الحكومة الأمريكية فدية أسراها ولكن المحاولة باءت بالفشل ، يزعم القنصل شالر أنّ الداي رفض فديتهم وقال أنّهم أهمّ عنده من أي مبلغ مالي مهما عظم [361].

ازداد الأمر سوءا عند اندلاع الحرب الأمريكية البريطانية عام (1812 – 1814) ،الأمر الذي أدى الى توقف التجارة الأمريكية البحرية في البحر المتوسط ، وبعد انتهاء الحرب الأمريكية البريطانية قررت الولايات المتحدة حل مسألة الجزائر بصفة نهائية ، حيث كانت متأكدة من أنها ستجبر الجزائر على الرضوخ لمطالبها بسبب تدهور الأوضاع الداخلية في الجزائر، نتيجة للصراع بين الدايات والإنكشارية ،فضلا عن أن الولايات المتحدة حاولت الإستفادة من قرارات مؤتمر فيينا عام 1815 م ، والذي قررت فيه الدول الأوروبية إنهاء الإعتداءات على السفن في البحر المتوسط [362].

## المبحث الرابع : العلاقات الجزائرية المغاربية

### أ مع تونس : إنظمام تونس للخلافة العثمانية

استفادت إسبانيا من التفكك والإنقسام الذي شهدته دول المغرب العربي [363] الثلاث ، التي عرفت كيف تتحين الفرصة وتستغل الظروف لصالحها ، فوجهت أنظارها

---

([360]) جيمس لاندر كاثكارت ، المصدر السابق، ص : 275 .

([361]) وليام شالر، المصدر السابق ، ص141-146

([362]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص: 604

([363]) عاطف عيد ، قصة وتاريخ الحضارات العربية ( أول موسوعة حديثة تعالج نشأة البلدان العربية وأحداثها حتى أيامنا هذه ) ج 21 – 22 ، 1998 - 1999 م ، ص : 51

صوب تونس ، التي كانت تتخبط في صراعات داخلية ظهرت في أوساط الدولة الحفصية حول كرسي العرش فاحتلت جل سواحلها ، ونظرا لموقع تونس الإستراتجي ، فقد أولتها الدولة العثمانية والإمبراطورية المقدسة بالغ الاهتمام ، حيث اشتد الصراع بينهما وتبادلت الدولتان أطراف الهزيمة والانتصار أكثر من مرة [364].

عملت الدولة العثمانية على تخليص تونس من السيطرة الإسبانية ، فاستغلت نشوب ثورة داخلية في تونس ضد حاكمها " أبو محمد الحسن الحفصي " حليف الإسبان ، فتوجه خير الدين نحو تونس لاقتحامها ، ولكن الحسن استنجد بالإسبان الذين هرعوا إلى تجميع أسطولهم عام 1535 م واصطدموا مع قوات خير الدين ، ونظرا لعدم التكافؤ بين القوتين قرر خير الدين الانسحاب نحو الجزائر ، وتمكن الإسبان من إعادة الحسن إلى عرشه بعد أن عقدوا معه اتفاقا يضمن مصالحهم [365] ،أين نص الإتفاق على منح الإسبان امتيازات واسعة والسماح لهم بسكن جميع أنحاء القطر التونسي ، بل وتنازل لهم السلطان الحفصي عن مدن هامة كـــــ : عنابة وبترت وحلق الوادي .

أدى هذا الوضع المتدهور إلى قيام ثورة وطنية بتونس ، انتهت بتولية السلطان الحفصي " أبي العباس الثاني " الذي حكم تونس ( 942 ه – 980 ه / 1535 – 1572 م ) ، لكن الأمور في تونس لم تستقر فأبو العباس الثاني لم يكن من القوة ، بحيث يستطيع أن يمسك بزمام الأمور ويقف في وجه الأطماع الإسبانية [366] .

حين اشتد الخلاف بين الأمير الحفصي أبي العباس ووزيره " أبي الطيب الخضار " ، اتصل هذا الأخير بالعلج " علي باشا " ، وحرضه على احتلال تونس فانتهز العلج علي

---

([364]) اسماعيل أحمد الياغي ، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، المرجع السابق ، ص : 238

([365]) جميل بيضون و شحادة الناظور وعلي عكاشة ، تاريخ العرب الحديث ، ط1 ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الأردن ، ص : 49

([366]) شوقي عطا الله الجمل ، المرجع السابق ، ص : 107

الفرصة وخرج على رأس جيشه أين التقى بجيش الأمير الحفصي عند سهل باجة ، وبعد قتال مرير انهزم أبو العباس وتقدم العلج على صوب المدينة فاستحوذ عليها سنة 1569 م ،ونصب عليها أحد قواده ، أما أبو العباس فالتجأ إلى الإسبان مستنجدا بهم ، فأعد الملك فليب الثاني [367] قوة كبيرة لمواجهة تونس على أن يقتسم مع أبي العباس حكم البلاد ، إلا أن أبا العباس رفض العرض في حين قبله أخوه " محمد بن الحسن " وتمكن بمساعدتهم من استرجاع تونس [368].

ولما تواصل الإعتداء الإسباني وجورهم وصاروا يكيدون بالمسلمين، ويقطعون الطريق على المسافرين وعم آذاهم جميع طوائف المسلمين ، جهز السلطان العثماني " سليم الثاني " قوة عثمانية كبيرة خرجت من القسطنطينية بقيادة " سنان باشا " [369] ، بالإضافة قوة بحرية من نحو ألف سفينة بقيادة " العلج علي " ، كما خرجت حاميات تركية من طرابلس والجزائر والقيروان ، وحاصر العثمانيون حلق الوادي برّاً وبحراً ، فأضطر الإسبان والأمير الحفصي إلى الهروب والإلتجاء إلى الحصون ، فلحق بهم الجيش التركي وضيق الخناق على الحاميات الإسبانية وألقى القبض على الأمير الحفصي " محمد بن الحسن " وأرسله إلى القسطنطينية [370] واعتقل هناك إلى أن توفي بها ، وبذلك تم تحرير تونس وضمت نهائيا للدولة العثمانية عام ( 981 ه / 1574 م ) ، وتم القضاء على

---

([367]) **فليب الثاني** : تولى حكم اسبانيا بعد إعتزال ابيه شارل الخامس للعرش ولجوءه إلى دير في اسبانيا سنة (1556 – 1598 م ) **أنظر** شوقي عطا الله الجمل ، المرجع السابق ، ص : 107 .

([368]) شوقي عطا الله الجمل ، المرجع نفسه ، ص : 108 .

([369]) **سنان باشا** : كان ضمن الجيش الاسباني الذي هاجم جزيرة جربة عام 1560 م ، ووقع أسيرا لدى الأتراك وكان إسمه الكونت سيكالا ، ولما أسلم وحسن إسلامه أصبح يعرف باسم سنان باشا ، وكان له دور كبير في تحرير تونس من الاسبان عام 1574 م . **أنظر** : جميل بيضون وآخرون ، المرجع السابق ، ص : 49

([370]) شوقي عطا الله الجمل ، المرجع السابق ، ص : 108 .

عهد الدولة الحفصية التي حكمت البلاد ما يقرب 350 عاما [371] ،والمستفيد الرئيسي منه إذ كانت تقع على عاتقه مهمة أساسية تتمثل في حماية البلد من كل عدوان خارجي ، كما تتمثل في فرض النظام التركي وكان لهذا العسكر مجلس أعلى يسمى الديوان، يتكون من ضباط ساميين من الأغوات وبلوكباشية ، وكان له شأن عظيم وسلطان قويم يعادل منزلة الباشا في الحاكم [372] .

لقد مرّ التواجد العثماني بتونس بعدة مراحل وتنظيمات وارتبط تطوره بجملة من الأزمات السياسية والعسكرية ، حيث ظهر نوعان من النظام بالبلاد هما نظام الدايات والبايات ،وكانت سنة 1591 م بداية نظام الدايات ، بعد ثورة أحدثها جند الإنكشارية كرّد فعل لتردي الأوضاع التي آلت إليها البلاد، بعد استئثار الديون بأمور الحكم والمال [373]، وقد كانت هذه الثورة بمثابة إنقلاب عسكري على الحكم ،أين أصبح تعين رئيس البلاد يتم من بين الدايات بينما أصبح الباشا شخصا شرفيا يلبس الخلعة السلطانية ، ويمثل مصالح الباب العالي [374]، وقد حكم تونس في هذا العهد ثلة من الدايات الأقوياء أمثال " عثمان داي – يوسف داي – أسطا مصطفى " وغيرهم ، لتنتقل تونس بعدها لنظام جديد هو نظام البايات الحسينين إبتداءا من 1705 م ،وقد شهدت العلاقات السياسية بين البلدين وقائع وأحداث هامة في كلا العهدين فبما تميزت هذه العلاقات ؟ وما هو الطابع الذي غلب عليها ؟

---

([371]) اسماعيل أحمد الياغي ومحمود شاعر ، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ( قارة إفريقيا ) ، ج2 ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، 1993 م ، ص : 93 .

([372]) محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال تع : محمد شاوش ، محمد عجينة ، ط3 ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993 م ، ص : 68 .

([373]) مبروكة خرنف ، العلاقات التونسية الفرنسية سياسيا – تجاريا خلال القرن 17 ( 1605 – 1705 م) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2011 – 2012 م ص : 13

([374])حسين خوجة ، ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان ، تر : طاهر العموري ، الدار العربية للكتاب ، ص : 22 .

**العلاقات السياسية بين إيالتي الجزائر وتونس :**

بعد أن انضوت الجزائر وتونس تحت لواء الدولة العثمانية ربطت بينهما علاقات سياسية اتسمت في مجملها بطابع التوتر ، فبالرغم من كونهما إيالتين عثمانيتين متجاورتين وخاضعتين بصورة مباشرة لحكم الخلافة الإسلامية ، إلا أنّ هذا الأمر لم يمنع من ظهور مناوشات وصراعات بينهما ، وكان لكل طرف مبرراته وأهدافه التي سطرها جراء تدخله في شؤون الآخر [375]، فالنظام الجزائري كان يعتبر تونس تابعة له ، أو يجب أن تكون بحكم أنه هو من حررها من الإسبان ، بينما كان النظام التونسي يعتبر نفسه مساويا للنظام الجزائري لأنه تابع للقسطنطينية [376].

ظهرت بوادر الصراع بين البلدين حول مشكلة الحدود التي تعد أهم مظاهر السيادة لدى الدول، وليس غريبا أن تنشب حولها النزاعات ، فكانت أولى مشاكل الحدود عام 1614 م ،أين سويت المسألة بتمديد أراضي القبائل التابعة لإقليم قسنطينة داخل التراب التونسي [377]، لتظهر مجددا في عهد يوسف أين تم إبرام معاهدة لضبطها سنة 1617 م ، فيكون واد سرا المتفرع من مجردة حدا فاصلا بين الإيالتين [378].

لعبت القبائل الحدودية القاطنة بين البلدين دورها في نشوب الصراع والخلاف ، ففي 1628 م إلتقى الجيشان الجزائري والتونسي في معركة انتهت بهزيمة الجيش التونسي قرب مدينة الكاف ، وتم إبرام إتفاق جديد بين البلدين نص على إبقاء وادي سرت حدا

---

([375]) كوثر العايب ، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات ( 1711 – 1830 ) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الوادي ، 2013 – 2014 م ، ص : 28 .

([376]) مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص : 195 .

([377]) كوثر العايب ، المرجع السابق ، 28 .

([378]) مبروكة خرنف ، المرجع السابق ، ص : 14 .

فاصلا [379] ، والمتتبع لسير العلاقات بين البلدين سيدرك حتما أن البلدان يستغلان نقاط ضعف بعضهما من أجل التدخل في شؤون الآخر ، فحكام الجزائر كانوا يغتنمون فرصة تطاحن الأمراء من التونسيين على الحكم ،فيعينون منهم بايا يكون مواليا لهم ويقبل شروطهم، [380] ونفس الأمر بالنسبة لبايات تونس أين استغلوا إنشغال الجزائر بحربها لفرنسا بمهاجمة الشرق الجزائري ، بالرغم من أن " محمد باي " الذي كان على عرش تونس في هذا الوقت قد عُين في منصبه بمساعدة الجزائريين ، فقام " الداي شعبان " بتنظيم حملة ضده نصّب على إثرها " أحمد بن شركس " بايا على تونس سنة 1681 م ، ولكن ما إن إنسحب الجيش الجزائري من تونس حتى ظهر محمد باي من جديد على رأس أنصاره وخلع أحمد بن شركس من العرش [381] .

بعد استرجاع محمد باي عرش تونس تحالف مع سلطان المغرب ضد داي الجزائر ، فقرر الداي الذي كان يناصره نظام طرابلس الغرب أن يطرد محمد باي من عرش تونس ، وأدرك محمد باي أن حليفه المغربي لا يستطيع أن يقدم له أدنى معونة ، فعرض على الداي تقديم جباية عنوانا عن خضوعه [382] ، وكان هذا التعهد سبيلا إلى نشوب حرب الإيالتين لعدم التزام الباي محمد بتنفيذه أين تتهجم الجزائر على تونس سنة 1693 م ،ويلتقي الجيشان في منطقة الكاف وتنتهي المعركة بخلع الباي محمد وتوليه " محمد شقير " بعد أن تعهد هذا الأخير بتعويض الجزائر لخسائرها في حرب الكاف ،ودفع الضرائب السنوية والهدايا المفروضة [383] .

---

([379])صورية حصام ، العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة وهران ، 2012 – 2013 م ، ص : 11 .

([380]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 17 .

([381]) مبارك بن محمد الميلي ، المرجع السابق ، ص : 195 .

([382]) المرجع نفسه ، ص : 197 .

([383]) محمد بن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 26

وبمجرد خروج الداي شعبان من تونس قامت الرعية بخلع محمد شقير ، واتفقت الإنكشارية على منعه من اللجوء إلى الجزائر ، وتمت عودة محمد باي إلى منصبه بيدّ أن الداي شعبان قد صمم على محاربة تونس والإنتقام من المتمردين ، إلا أن القلاقل التي ظهرت في أوساط الجنود بالحدود الشرقية التونسية قد منعته ، وستؤدي إلى مقتله سنة ( 1106 – 1695 م ) ليخلفه " أحمد أعجي " دايا على البلاد [384] ،و بعد مرور عام على وفاة الداي شعبان ،توفي بتونس محمد باي سنة 1696 م ،وجاء بعده أخوه " رمضان باي " ، حيث قام هذا الأخير بإبعاد أخيه " مراد باي " عن الحكم وزّج به في السجن ، إلا أنه تمكن من الفرار واستطاع أن يجمع حوله عددا كبيرا من الأنصار ، كما قام بتحريض الإنكشارية ضد أخيه فقتل سنة 1699 م وتولى هو حكم الإيالة [385].

في عهده نظم حملة ضد قسنطينة فهاجمها وذبح حراس حصونها وحاصرها لفترة ، وبهذا الخبر إضطربت الإنكشارية الجزائرية ، فخاف حسن شاوش على نفسه وعين بدله " الحاج مصطفى أهجي " سنة 1700 ، فقام هذا الأخير بجمع صفوف الإنكشارية وتوجه بهم صوب الشرق القسنطيني لمحاربة الجيش التونسي الذي يقوده مراد باي ، وبعد معركة دارت بين الفرقين انتصرت الإنكشارية الجزائرية على التونسية ،وذبحت منهم قرابة 2000 شخص ،وشتت شمل الباقين وعادت إلى الجزائر رافعة الرأس [386].

وصلت أنباء القتال الدائر بين تونس والجزائر إلى الباب العالي ، فأمر السلطان العثماني كبير البوابين " أحمد " بالذهاب إلى هناك وإيقاف الاقتتال ، وبعدما تمكن هذا الأخير من النجاح في مهمته عاد إلى إسطنبول وأخبر السلطان بذلك ، وتقديرا منه على

---

([384]) المصدر نفسه ، ص : 26

([385]) حصام صورية ، المرجع السابق ، ص : 26

([386]) ابن المفتي حسين بن رجب شاوش ،تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر و علمائها،جمع و اعتناء :فارس كعوان،ط:1، بيت الحكمة،الجزائر ،2008،ص:69،أنظر أيضا : محمد بن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 26 .

استجابة الإيالتين لأمر السلطان أرسل هذا الأخير حُللاً فخرية لداي وباي الجزائر وتونس معا [387].

لم يعمر السلم طويلا بين البلدين حيث دام ثلاثة سنوات فقط بسبب نقض الباي

" إبراهيم الشريف" للإتفاق المبرم بين البلدين ،ورفضه لدفع الضريبة السنوية المتفق عليها [388] ،فكان ذلك سببا في توجيه الداي مصطفى لجيشه إلى تونس ،فإلتقى بجيش تونس بالقرب من منطقة الكاف ودارت معركة انتصر فيها الداي، وقبض على إبراهيم الشريف وسجنه فطلبت الرعية التونسية من الداي أن يكف عن الحرب مقابل 150 ألف ريال ، ولكن الداي رفض وقرر أن يدخل تونس ويغنم منها ، فتقدم إليها وحاصرها 40 يوما خسر خلالها التونسيون خلقا كثيرا ، ثم قرر الداي رفع الحصار وغادرها متجها إلى الجزائر [389].

بعد إلقاء القبض على الباي إبراهيم الشريف ، تولى زمام الأمور من بعده الباي " حسين بن علي " ومعه تتأسس الأسرة الحسينية ،أين ستتم الفترة الممتدة من سنة ( 1705 – 1728 م ) بنبوع السلم والتعاون ، ومن مظاهر ذلك التعاون ظهور التحالف التونسي الجزائري ضد قبيلة الحنانشة المتمردة 1724 م ، أين رفض شيخ هذه القبيلة " بوعزيز بن ناصر " دفع ما عليه من ضرائب سنوية ، فكانت تعلن ولائها لتونس تارة وللجزائر تارة أخرى، تهربا من دفعها للضريبة مما جعل حاكما الإيالتين ينتفضان على تأيدها [390] .

---

([387]) عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص : 453 .

([388]) حصام صورية ، المرجح السابق ، ص : 33

([389]) محمد بن ميمون الجزائري ، المصدر السابق ، ص :28

([390]) حصام صورية ، المرجح السابق ، ص : 43 .

كما ظهرت معالم السلم والصداقة أثناء الحرب الأهلية التونسية سنة 1728 م ، ومفادها أن الباي " حسين بن علي " قرر أن يجعل ابن أخيه " علي باشا " خليفة له من بعده ، لأنه يئس من الإنجاب فرباه على أصول الحكم ، إلا الباي حسين بن علي قد رزق بإبن وهو " محمد الرشيد " فقرر إلغاء ولاية العهد لإبن أخيه ، وصرح أن وريثه الشرعي هو ابنه " محمد الرشيد " ، إثر ذلك أعلن علي باشا ثورة ضد عمه وعمت الفوضى كافة البلاد التونسية ، وعندما أصبح علي باشا غير قادر على مجابهة عمه فرّ نحو الجزائر أين أحسّ بالأمان .

بعد التأكد من التحاقه بالجزائر راسل باي تونس داي الجزائر ، وشرح له الوضع الذي تسبب فيه ابن أخيه ، فطلب منه أن يلقي القبض عليه ويسجنه بالجزائر وتعهد باي تونس بدفع 50 ألف بياسترا سنويا ،فقبل داي الجزائر العرض [391] . هذا وقد شهدت سنة 1735م عودة الفوضى للإيالة التونسية بعد أن هاجمها علي باشا ،وهزم عمه ودخل تونس ونصب نفسه عليها ،ولجأ حسين بن علي إلى القيروان وصمد في وجه ابن أخيه طول خمس سنوات ، إلى أن رجحت الكفة لفائدة علي باشا وابنه يونس ، فأنهزم حسين داي وقطع رأسه في شهر ماي 1740 م ،فسلك إبناه بدورهما السبيل المؤدية إلى الجزائر ،حيث استقبلا استقبالا حسنا لأنهما كان يوفران للداي ورقة ضغط على باي تونس [392] ، وبرفض علي باشا دفع الضريبة المفروضة عليه بدأت علاقاته تتدهور مع الإيالة الجزائرية، إلى أن وصلت إلى حد القطيعة سنة 1740 م ،وشهدت سنة 1746 م ارسال حملة عسكرية بإتجاه تونس ، ولكنها أخفقت أمام أسوار مدينة الكاف ، ثم إنّ حملة أخرى بعشر سنوات بعدها 1756 م ،قد أفضت إلى احتلال تونس ونهبها واقصاء علي

---

([391]) حصام صورية ، المرجح السابق ، ص ص : 50 – 54

([392]) محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ، ص : 48 .

باشا عن الحكم ،وتعويضه بمحمد وعلي باشا إبنا عمه حسين بن علي في سبتمبر 1756 م [393].

بعد انتهاء حرب 1756 م بدأت مرحلة جديدة في مسار العلاقات السياسية بين البلدين أين تكللت بفترات السلم قاربت 20 عاما ، وفي سن ( 1096 – 1781 م ) لجأت بعض القبائل التونسية إلى الحدود الجزائرية في منطقة تبسة [394] ،بسبب رفضها للسيطرة وللخضوع للحكم التونسي واستنجدت " بصالح " باي قسنطينة ، وبعد مرور سنوات قليلة وبالضبط سنة 1783 م طالب صالح باي " حمودة باشا " بدفع تعويضات مالية للقبيلة لما لحقها من أضرار . رفض حمودة باشا هذا الطلب وكاتب الداي محمد بن عثمان يحذره من عقوبة مساندته لصالح باي ، إلا أن الداي عثمان ساند صالح باي فأضطر حمودة باشا للخضوع لأمر الواقع ،وامتثل لدفع تعويض مالي قدره 520,000 سكين للقبيلة المتضررة وكان ذلك في جوان 1748 م [395] .

استمر السلم بين البلدين إلى غاية 1800 م وذلك لعدة أسباب منها :

- إنشغال حمودة باشا بإخماد الحرب مع إيطاليا إلى غاية 1792 .
- انشغال الجزائر بقضية وهران واستعادتها من أيدي الإسبان عام 1792 .

بقية العلاقات الجزائرية التونسية في حالة من الترقب والحساسية ، وكان الشغل الشاغل للبايات التونسيين هو الخروج من هذه التبعية ، وقد وجدت تونس في الثورات

---

([393]) المرجع نفسه ، ص : 48 .

([394]) محمد صالح العنتري ، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها ( تاريخ قسنطينة ) ، تع : يحي بوعزيز ، دار هومة الجزائر ، 2007 ، ص : 80 .

([395]) حصام صورية ، المرجح السابق ، ص ص : 89 ، 90 .

الداخلية التي نشبت بالجزائر مابين 1803 و 1805 م، فرصة مناسبة للتخلص من هيمنة داي الجزائر ورفض ما كان يمليه عليها من أوامر وما يطلبه منها من إتاوات [396].

إجمالا للقول فيما يخص العلاقات الجزائرية التونسية ، أنها خضعت للعديد العوامل و الأسباب المتحكمة في سيرورتها ، والتي أفضت في النهاية إلى الإصطدام العسكري بينهما لأكثر من مرة وستنعكس بنتائجها على الإيالتين على حد سواء ،خاصة تلك المناطق التي كانت حلبة للصراع كقسنطينة والكاف ، وستبقى هذه المواجهات والإصطدمات التي تمت بين حكام الإيالتين محدودة في السلطة الحاكمة والسلم والتعاون ، فكان التواصل الثقافي والتبادل التجاري النشطين خير دليل على ذلك [397].

**ب مع المغرب :**

امتازت العلاقة الجزائرية المغربية بالتنافس الشديد نتيجة الخلافات المستمرة بينهما خاصة خلال القرن 16 ، و التي تدور حول منطقة تلمسان و المناطق المحيطة بها ، وصل التدخل الجزائري في الشؤون المغربية أوجه في النصف الاخير من القرن 17 مع اعتلاء العلويين حكم المغرب ، و بعد ذلك دخل المغرب في عزلة استمرت حتى نهاية القرن 19م [398].

تميزت العلاقات في العقود الخمسة الأولى للقرن 11ه/17م ، بين الجزائر والمغرب بطابعها السلمي أما العقد السادس فقد شهد تجدد الصراع بين الدولتين ، بسبب أطماع المغرب في الغرب الجزائري ،بعد ظهور الأسرة العلوية التي تمكنت من إخراج المغرب من ضعفه.

---

([396]) محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ، ص : 90 .

([397]) كوثر العايب ، المرجع السابق ، ص : 50

([398]) وليام سبانسر ، المرجع السابق ، ص: 166

كان المنصور يخشى أتراك الجزائر و لا يأمنهم بالرغم من الأوضاع الداخلية لهذا البلد ، فقد تقرب المنصور من حلفاءه التقليديين الإسبان، وخاصة ملكها "فيليب الثالث" لصد خطر الأتراك العثمانيين ،وذلك في شهر ربيع الاول1012ه/أوت 1603م [399]. ثم توجه إلى مهاجمة ولده في مدينة فاس، لكن هذا الأخير قام بتهديد والده المولى إسماعيل بالتوجه إلى مدينة تلمسان ،واللجوء إلى الأتراك حيث تم القبض عليه ووضعه في سجن بمكناس [400] .

إثر حروب أبناء أحمد المنصور زيدان وأبي فارس وصراعهم على الحكم بعد وفاة أبيهم ، انهزم زيدان في المعركة الأولى التي جرت بينه وبين عبد الملك بن أبي فارس ، وأخيه الشيخ في بداية جانفي1013 ه/1604م ، بتادلا ولاحقه الجيش إلى فاس ففر إلى تلمسان [401]، ليستعين بأتراك الجزائر حيث أقام عندهم بضعة أشهر [402] ،وخلال هذه الفترة كانت حكومة الجزائر بقيادة الباشا "خضر باشا " في عداء شديد مع الحكومة الفرنسية ، وهي الفترة التي قدم زيدان فيها هدية ثمينة تقدر بـــ 300000 أوقية من الذهب إلى السلطان العثماني، وبالرغم من ذلك لم يحقق ما كان يصبو إليه ، وعاد إلى المغرب عبر سجلماسة و لم يكن معه سوى 1200 فارس [403] ،وخلال هذه الفترة حرك المغاربة ثورتين في تلمسان ،الأولى كانت في سنة 1625 م ، والثانية

---

([399]) بن القايد عمر ، **أضواء على علاقة الجزائر بالمغرب الأقصى** ، **مجلة الواحة للبحوث و الدراسات** ، جامعة غرداية ، العدد17، 2012، ص 141

([400]) محمد الصغير بن الحاج الأفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، تح : هوداس ،مطبعة أرنست لوروا ، باريس ،1889 ، ص 18

([401]) نفسه ، ص : 193

([402])نفسه ، ص : 222 ، 223

([403]) ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، ص : 213

في 1627م /1037ه والتي كان يقودها السويسي المغربي وقد باءت الحملتان بالفشل الذريع [404].

عمل المغاربة على توسيع سلطتهم على حساب الأراضي الجزائرية، فقد استولى المولى الشريف على وجدة ،وشن غارات على تلمسان و نواحيها ،وسيطر على بني يزناسن ونهب أموالهم ومواشيهم ، ثم سار إلى مدينة ندرومة وقد عاود الغارة عليها وعلى القبائل المحيطة بها (مطهرة وولهاصة ) ، ثم أعاد الغارة على تلمسان وقتل الكثير من عسكر الترك ومن الأهالي الجزائريين ، كما هاجم القبائل العربية كجعافرة ، وحميان وزغبة ، ووصل إلى الأغواط وعين ماضي والغاسول [405].

عزم عثمان باشا داي الجزائر على القيام له ،سحب أتباعه إلى داخل المغرب ،وقد تبادل مع عثمان باشا رسائل [406] ،والتي أدت إلى مفاوضات واتفاقيات بين الطرفين بخصوص رسم الحدود بينهما ، وجعل وادي التافنة حدا فاصلا للحدود [407] ،وتعهد الشريف المغربي بالتزام ذلك قائلا : «...إني أعاهد الله تعالى لا أتعرض بعد اليوم ببلادكم و لا لرعيتكم بسوء ...لا قطعت وادي التافنة إلى ناحيتكم إلا فيما يرضي الله ورسوله... » ،و قد وفى في قطعه على نفسه واحترم أخوه الرشيد تلك الاتفاقية حتى جاء السلطان مولاي إسماعيل العلوي وفسخ تلك المعاهدة [408]، بعدما استفحل أمر لمحمد بن الشريف في توسعه بنواحي المغرب اتجه في سنة 1063 ه/1653م إلى نواحي تلمسان من الأراضي الجزائرية ،وهاجم القبائل المقيمة في هذه المناطق، فتصدى له "عثمان باشا"

---

([404]) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ،ج6 ، تح و تع : جعفر الناصري و محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ،1955م،ص : 190

([405]) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، نفسه ،ج6 ، ص : 107

([406]) نفسه ، ص : 109 ، 110

([407]) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، ج7 ، ص : 22

([408]) الناصري ،ج7،نفسه، ص : 107

الحاكم العثماني بالجزائر [409] ،و بدأ الصدام جليا في عهد المولى اسماعيل حيث قاد عمليات تأديبية ضد قبائل الشراقة و توجه بجيشه إلى تلمسان ، و حين بلغ أسوارها علم بأن الاتراك في الجزائر منشغلين بحملة دوكين.

و لما بلغ الأمر إلى الديوان علم بتحركات المولى اسماعيل ، أرسلت له رسالة للكف و الانسحاب [410] ،حيث وقع الصدام بينه و بين الجيش الجزائري سنة 1679م . و تفرق الجيش المغربي أمام هدير المدفعية العثمانية ،حيث طالبوا المولى اسماعيل بالكف عن التعرض لهم و التزام بالحدود التي أقرها أسلافهم ، و ردا على تصرفات المغرب الاقصى ، ساهم حكام الجزائر في تغذية النزاعات الداخلية في المغرب ، حيث عاضد الجزائريون غيلان الزعيم القبلي من شمال المغرب ضد المولى اسماعيل ، و قد هزم غيلان و قتل وكان ذلك سنة 1673م [411] ، و انتهزوا فرصة انشغال السلطان المغربي في اخماد الفتن فاستولوا على بني يزناسن سنة 1682م ،حيث تمكن الجيش المغربي من صدها [412] ،وفي سنة 1089ه/1681م و هنا تقابل الجيشان لكن لم يحدث أي اشتباك بين الطرفين وبعد مراسلات ومفاوضات دبلوماسية أدت إلى إتفاق على رسم الحدود و تم توقيع معاهدة الصلح بينهما [413].

كما حدث اتفاق بين التونسيون و المغاربة لشن هجوم على الجزائر ، عَلِم الجزائريون بالاتفاق ، و بغية افشاله هاجم الداي شعبان تونس اين انتصر عليهم ، ثم توجه

---

([409]) أحمد بن محمد بن عبد السلام الرباطي ،تاريخ الضعيف الرباطي ، تح: محمد البوزيدي ،ج1 ، ط : 2، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء ،2007 ، ص : 107

([410]) عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص: 440

([411]) وليام سبانسر ، المرجع السابق ، ص : 166

([412]) محمود علي عامر ومحمد خير فارس ، تاريخ المغرب العربي الحديث « المغرب الأقصى - ليبية » ، حقوق التأليف منشورات لجامعة دمشق، 1999 ،ص : 95

([413]) محمد امين محمد و محمد علي الرحماني ، المفيد في تاريخ المغرب ، دار الكتاب ، ص : 217

إلى المغرب فتحرك المولى اسماعيل بجيشه إلى اسوار تلمسان مدعيا تأديب قبيلة "غويا فزاز"(guya fazaz) ، و لدى و صوله علم بوصول جيش الاتراك و المتآلف من عشرة ألاف جندي و ثلاثة ألاف خيالة ،و على اثر هذا انسحب الجيش المغربي الذي استمر في ملاحقته الجيش العثماني، فهزم المولى اسماعيل بعد خسرانه خمسة الاف من الجند ، ثم استمرت مطاردته حتى أسوار مدينة فاس عام 1693م / 1104ه [414] ،و كادت تنشب معركة جديدة لولا استسلام المولى اسماعيل و ترجيه الداي لقبول المفاوضات [415] .

وأثناء حكم المولى إسماعيل 1083ه- 1140ه /1672م-1727 م ، تميزت العلاقات الجزائرية المغربية بنوع من الحذر ،الذي غذته الأطماع الإسماعيلية في التوسع شرقا على حساب الأراضي الجزائرية ، ونقض المعاهدات التي أبرمها أخويه من قبله .

كما تميزت أيامه بجملة من المنازعات والإعتداءات على الجزائر ،وقد إزداد حذر المولى إسماعيل من الأتراك العثمانيين في الجزائر لما رآهم يقفون إلى جانب تمرد ابن أخيه "الأمير محرز " بجنوب المغرب ، وتأكد له وجود إتفاق بينهما يهدف إلى كسر شوكة المولى إسماعيل [416]، وإثر الأزمة الداخلية التي عمت الجزائر وتصعيد الحملات الفرنسية عليها ومقتل الباشا "علي الحاج حسين باشا " أغار المولى إسماعيل على تلمسان، بتحريض من الإنجليز الذين أزعجتهم المعاهدة المئوية بين الجزائر وفرنسا سنة 1101ه/1689 م وخلال هذه الفترة الحرجة كان الجيش الجزائري مشغولا في حربه مع تونس في 1104ه/1692م و قد استغل الوضع وهجم على الأراضي الجزائرية [417].

---

([414]) عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص : 440-441

([415]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ،ج3 ، ص : 196

([416]) عبد الهادي التازي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ، ص : 16

([417]) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، المصدر السابق ، ص ص : 159- 169

استفحل الإعتداء الإسماعيلي علىالأراضي الجزائرية حيث امتدت إلى جنوب تلمسان وهاجم قبائل حميان وبني عامر ومنطقة الشلف ، ثم نزل جنوبا إلى منطقة جبال لعمور ووصل إلى عين ماضي والغاسول بجنوب الجزائر [418]، وأمام هذا الوضع الخطير كان لزاما على" الداي شعبان " ، أن يقوم بتجهيز قوة لدحر هذا الإعتداء ،حيث جاء في رسالة بعثها إلى الوزير الفرنسي"بونتشارترين" (Ponchantrain) بتاريخ 3 رجب 1103 ه /21 مارس1692 م ، وأخرى إلى لويس الرابع عشر مؤرخة في 11 محرم 1106ه/01 سبتمبر 1694 م ،والتي جاء فيها :«...لقد قصد القلعة التي هي لنا"كريستل قرب وهران "حوالي 500 فارس مع 10000 ،من أشجع جنودنا تصحبهم أفتك المدافع وكل الأسلحة والذخائر والمؤن...وعن طريق البر أرسلنا 5000 من الفرسان و 30000 من الأهالي بقيادة أمرائهم ولن يمضي عشرون يوما حتى أخرج أنا لألتحق بهم...» [419]

.

ولما سمع السلطان مولاي إسماعيل بما يعده الداي شعبان ، طلب العودة إلى السلم فلم يقبل الداي منه ذلك فسارع إلى لقائه في 19 شوال 1103 ه / 4 جويلة 1692 م ، في معركة على الضفة الشمالية لنهر ملوية، فأنهزم المغاربة فيها وواصل الداي زحفه حتى اقترب من فاس فوجد في طريقه جيشا بقيادة السلطان نفسه ،وبعد تدخل علماء من الجانبين هدأ الجو وحصل الإتفاق وتعهد السلطان المغربي بإحترام الحدود [420].

أرسل السلطان إلى الجزائر ولده مولاي عبد الملك برفقة كاتبه وقائده ومفتيه وعدد من التجار بلغوا 120 شخصية لأبرام الصلح ، ومع كل ماحصل إلا أن السلطان لم يرتدع وعاود الكرة مرة أخرى ،عندما أوعز لابنه مولاي زيدان فأغار على مدينة معسكر

---

([418]) عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، ص : 21 .

([419]) عبد الهادي التازي، المرجع السابق ، ص : 21

([420]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ص : 96

بعدما إتفق مع باي تونس على ذلك [421] ، تجددت الإشتباكات في سنة 1700م /1111 ه وتوترت العلاقات وتأزمت بينهما [422].

قام المولى زيدان بعدة غارات على الاراضي الجزائرية و لكنه لم يستطيع استثمار نجاحه فغضب منه أباه و قام بعزله ،كما توجه المولى اسماعيل ليشرف شخصيا على هذه العمليات حيث خرج بنفسه حتى بلغ إلى أفره " Efere " ،كما ان المولى اسماعيل لم يكترث لتهديد السلطان العثماني حيث التقى الطرفان في منطقة مضيق ( بوغاز اكشي ) في واد جديوية و بدأت المعركة في 20 ذو القعدة 1112ه/28 نيسان 1700م ،و في الساعة الرابعة انهزم الجيش الفاسي [423] و جرح المولى اسماعيل و كاد أن يقع في قبضة العثمانيين ،و لم تثنه هذه الهزيمة وحول مشروعه الهجومي من الجنوب ،و استطاع السيطرة على عين مهدي غرب الاغواط [424] ، وبصراع السلاطين العلويين على الحكم تركت حدود الجزائر حرة و خالية من أي اعتداءات ،أو هجمات قاسية كالتي تلقتها من قبل ظل العثمانيين يرقبون بحذر شديد تطلعات السلاطين فاس و لهذا واجهوا محاولاتهم مواجهة علنية و صريحة .

تحسنت العلاقات الجزائرية المغربية في أواخر القرن 18 ،حيث قام السلطان المغربي ببعث قافلة محملة بالهدايا الثمينة إلى الجزائر، غير أنها تعرضت للسلب و النهب في وجده و كان المسؤول عليها ابو القاسم أحمد الزياني ،الذي تقدم بشكوى إلى الباي محمد الكبير حيث قاد حملة تأديبية ضد اشقياء وجدة وحاصرها ، و لدى وصول موظف المولى

---

([421]) بن قايد عمر ، المرجع السابق ، ص : 146

([422]) عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، ص : 21

([423]) عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص : 442 ، 443

([424]) محمود علي عامرو محمد خير فارس، المرجع السابق ، ص : 95

سليمان انسحب الباي محمد الكبير راجعا إلى الجزائر [425] كما كان لسلطان فاس دورا بارزا في تغذية النعرات و تحريض الطرق الصوفية ضد النظام القائم بالجزائر.

# الفصل الثالث

## الجزائر بين الأزمات والصراعات الدولية

المبحث الأول : **الاضطرابات السياسية و الازمات الداخلية**

المبحث الثاني : **الجزائر في المؤتمرات الأوروبية**

1. **مؤتمر فينا**
2. **مؤتمر آكس لاشبيل**

المبحث الثالث : **الحملة الأوروبية على مدينة الجزائر**

## المبحث الاول : الاضطرابات السياسية و الازمات الداخلية

عرفت الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر ، حركات تمرد شملت الجهتين الشرقية والغربية معا ، ساعدها في ذلك حالة عدم الاستقرار الناجم عن انتشار الفوضى وكثرة الاغتيالات وانتشار المؤامرات داخل السلطة وأجهزة الحكم ، وتفاقمت الأوضاع نحو الأسوء مع تذمر الأهالي من جراء تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، وهو ما أدى في نهاية المطاف إلى اندلاع عديد الثورات ضد نظام الحكم العثماني التي كادت أن تعصف بالسلطة الحاكمة ، ولعلّ من أبرزها وأشهرها " ثورة ابن الأحرش " في الشرق الجزائري و " ثورة درقاوة " في الغرب وبالرغم من تمكن السلطة من إخمادها ، إلا أنها خلفت خسائر فادحة بالنسبة لخزينة البلد .

### أ. ثورة ابن الأحرش في شرق البلاد :

يعد ابن الأحرش من أهم الشخصيات التي لعبت دورا هاما في أحداث مستهل القرن التاسع عشر ، من خلال تزعمه لثورة عنيفة ضد النظام العثماني في الشرق الجزائري عام 1804 م ، ورغم هذا لا نعرف الكثير عن حياته الخاصة إلا بعض الإشارات التي أوردها المؤرخون ، فقد ذكره أحمد بن مبارك في كتابه تاريخ قسنطينة بأنه رجل مغربي

يزعم أنه من شرفاء فاس ، وأشار إليه محمد بن يوسف الزياني في دليل الحيران أنه فتى مغربي مالكي المذهب درقاوي الطريقة [426] أما صالح العنتري فقال أنه رجل يدّعي الشرف [427].

في أواخر سنة ( 1218 ه / 1803 م ) وقع هول بالوطن سببه رجل يدّعي الشرف ناحية أعراش وادي الزهور اسمه " سي محمد بن عبد الله الشريف " المدعو بـــــ : " ابن الأحرش " وكان قد سار إلى الحج ، وعند عودته من الحجاز عن طريق مصر صادف الحملة الفرنسية عليها ، الأمر الذي دفع بإبن الأحرش أن يشارك على رأس جيش من المغاربة إلى جانب المصريين في مواجهة الجيش الفرنسي بقيادة " نابليون بونابرت " ، فأظهر شجاعته وأبلى بلاءا حسنا في الحرب الذي أكسبته شهرة كبيرة في أوساط الناس [428] ،وبعد الانسحاب الفرنسي من مصر قفل راجعا نحو المغرب مع جماعته من الحجاج .

نزل بتونس وعملت الأطراف الخارجية عملها في تغذية ابن الأحرش على التمرد وخاصة بريطانيا وفرنسا ، حيث عملت هذه الأخيرة على دعم وتشجيع القبائل الناقمة على السلطة العثمانية الحاكمة في الجزائر انطلاقا من الشرق ، وذلك بإمدادها بالذخيرة والسلاح وتحريضها على الثورة ، كما لا يمكن تجاهل الدور الذي لعبته كل من الجارتين تونس والمغرب الأقصى في تدعيم التمردات ، وفي هذا الصدد يروي صاحب كتاب تحفة الزائر ما مفاده : " أن ابن الأحرش عندما كان راجعا من مصر مرّ على تونس فلقيه

---

([426]) محمد بن يونسف الزياني ، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تقديم وتحقيق : المهدي البوعبدلي ، الجزائر ، 1979 ، ص : 209 .

([427]) رشيد مريخي ، المرجع السابق ، ص : 25 .

([428]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 194 .

صاحبها " حمودة باشا " الذي أكرم منزلته وفاوضه في القيام على حكومة الجزائر ووعده بالظاهر بالمال فإستكان له ابن الأحرش " . [429]

كما يورد أحمد الشريف الزهار في مذكراته أن باي تونس حمودة باشا استقبل ابن الأحرش وأكرمه ،وأوعز له بإمكانية القيام على حكومة العثمانيين ووعده بالمساعدة ، وقد أورد ذلك بقوله : " وبلغ خبره أمير تونس يومئذ حمودة باشا ، فبعث له واستقدمه فلما قدم عليه لقيه بالبشر وعظمه ووسوس له قائلا إنّ رجلا شجاعا مثلك يجب أن يذهب إلى ملك الترك بالجزائر ويترعه من أيديهم ونحن نمدك بما يخصك والعرب يتبعونك لكثرة ما ظلمهم الأتراك ، وكان مقصد حمودة باشا أن يشغلهم لا غير " [430] .

بعد أن نزل ابن الأحرش بتونس انتقل منها إلى عنابة على متن سفينة إنجليزية ، ثم عرج على قسنطينة وتعرف على الأوضاع العامة التي كانت قائمة آنذاك [431]، واستقر المقام به في جيجل ، ومنها بدأ دعوته للثورة ضد العثمانيين ، وقد استعمل عدّة طرق لإقناع الناس بشرعية دعوته بإيهامهم أنه المهدي المنتظر وأنه المخلص الذي سيحرر الناس من جور الأتراك ، وأن دعوته مستجابة والنصر يتبعه حيثما يتوجه، وبارود عدوه لايضره وما إلى ذلك من الدعوات الكاذبة [432].

وقد استعان بدهائه وبلاغة لسانه ومقدرته على الإقناع حيث يقول فاسيت : " وقد التف الناس حوله خاصة بعد إعلانه للجهاد ضد النصارى ، حيث كان يمارس القرصنة البحرية بمدينة جيجل " ، وأثناء مقامه بالمدينة شغل منصب مدرس بزاوية سيدي الزيتوني،

---

([429]) محمد عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 117 .

([430]) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص : 85 .

([431]) ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية ( دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ) ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2000 م ، ص : 312

([432]) جمال قنان ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث ، المرجع السابق ، ص : 312 .

أين أخذ يفقه الناس في أمور دينهم ، كما أسس مدرسة لتعليم القرآن الكريم وأصول الفقه ببني فرقان ، واكتسب بذلك احترام الكثير من السكان المنطقة الجبلية الواقعة بين جيجل والقل وميلة ، وأصبحت كلمته مطاعة عند قبائل الوادي الكبير وجبال زواغة ووادي زهور [433] ، وعلى كل حال فقبائل هاته النواحي وخاصة أولاد عيدون وبنو سليم وبنو خطاب وغيرهم كلّهم صدّقوه ، وبعد أن كسب ود رجال دينهم الساخطين على الحكام الأتراك [434] .

بدأت تصرفات ابن الأحرش تثير مخاوف الحكومة الجزائرية ، خاصة بعد أن نجح هذا الأخير في أسر عديد السفن الأوروبية التي كانت تتردد على سواحل جيجل والقل لصيد المرجان وممارسة التجارة ، وتمكن فعلا من حجز سفينة فرنسية قتل البعض من طاقمها وأسر الباقي ، وكان عددهم 34 شخصا [435]، وقد ساهمت أعماله هاته في ازدياد شعبيته خاصة لما رفع لواء الجهاد ضد الأتراك واصفا إياهم بالظلم والجور ، مما دفع بحامية جيجل الإنسحاب من المدينة مخافة القتل .

أصبح ابن الأحرش في المدينة كالملك فعين مساعدا له ولقبه بآغا جيجل وهو من عشيرة بني قايد واسمه " حمزة بن حمادوش " ، وشرع ابن الأحرش يستعد للحرب فنظم المدفعية ووضع على رأسها أحد الكراغلة وهو " أحمد بن درنالي " ، ثم واصل زحفه نحو القبائل المجاورة ، فكانت محطته الأولى " جرّاح " في وادي الزهور أين قضى على قائدها " سي محمد الغوشي " ، وفي جراح توافد عليه خلق كثير من قسنطينة وعنابة وسطيف وبجاية ، ومن هنا أظهر ابن الأحرش نيّته في الهجوم على مدينة قسنطينة ، فكان يقول

---

([433]) رشيد مريخي ، المرجع السابق ، ص : 26 .

([434]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 312 .

([435]) رشيد مريخي ، المرجع السابق ، ص : 26 .

لأتباعه : " لنسر إلى قسنطينة وحين ندخلها ننهبها فتصبح ثرواتهم ثروتنا وبيوتهم بيوتنا " [436].

أما عن تعداد جموعه وأتباعه فقد اختلف المؤرخون في تحديدهم ، فقدرها حمدان خوجة بـــــ 60 ألفا ، وحددها العنتري في كتابه مجاعات قسنطينة بـــــ 10 آلاف ، وهنالك من أوصلها إلى سقف 100 ألف ومنهم أحمد بن مبارك الميلي في كتابه تاريخ قسنطينة .

لما تنامت شوكة ابن الأحرش في الشرق الجزائري لم يجد الباي " مصطفى عثمان " بدّا إلا أن يطلع الداي مصطفى على الأمر ويوضح له تحركات ابن الاحرش الخطيرة ، فأرسل هذا الأخير أربع سفن حربية إلى مرسى الزيتون قرب مصب وادي الزهور للقبض على المتمرد وإحلال النظام ، لكن هذه الحملة باءت بالفشل حيث عادت هذه السفن إلى عاصمة الإيالة دون أن تتمكن من إلقاء القبض عليه ، ولم تزد هذه العملية إلا في اشتداد حركة التمرد ابن الأحرش الذي استولى على القل وأعلن عن نيته في أخذ مدينة عنابة ، فما كان من أمر الحامية المرابطة بها إلا أن انسحبت بمجرد علمها أن ابن الأحرش ينوي مهاجمتها [437].

سار ابن الأحرش إلى قسنطينة عاصمة البايلك ، وكان " عثمان باي " غائبا عنها اذ كان وقتئذ في المحلة بناحية سطيف يستخلص ضرائبها ، فلما وصل إلى قسنطينة رفقة أعوانه تكلموا مع سكانها قائلين لهم : " يأهل البلد هذا الشريف قدم إليكم ونحن قدمنا معه في جنود كبيرة وجيوش عريضة لا تقدروا على مقاتلتها ، فإن سلمتم لنا البلاد فلا حرج عليكم وإن امتنعتم نقاتلكم وندخل بلادكم بالقوة " ، فأجابهم سكان المدينة قائلين : " نحن لا نسلم بلادنا وسنقاتل حتى نهزمكم أو نموت بأجماعنا " ، فعندئذ انضرمت نار

---

([436]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 195 .

([437]) رشيد مريخي ، المرجع السابق ، ص : 27

الحرب وكان الشيخ ابن فكون هو الواقف على البلاد في غيبة الباي وتم النصر للشيخ ابن فكون [438] ،أما ابن الأحرش فقد أصيب بجرح بليغ فحمله أصحابه فورا به نحو جبال ميلة ، وتطاير الخبر إلى عثمان باي فقفل مسرعا إلى قسنطينة [439].

بعد الحادثة أخبر الباي عثمان الباشا بشأن قدوم ابن الأحرش إلى قسنطينة وبما حل به وبجيوشه من القتل والهزيمة ، فرد الباشا قائلا : " أنت باي ذلك الأوطان، وهذا الشريف ظهر في حكم عمالتك ،فواجب عليك أن تمشي إليه بنفسك وتأخذ منه ثأرك وأقصده أينما كان فأقتله، أو أطرده من ذلك الأوطان. " [440] ولما وصل الجواب لعثمان باي جمع على عجلة كل الفرق والفرسان ، وخرج لملاحقة ابن الأحرش وكان ذلك شهر أوت 1804 م [441] .

تقدم عثمان باي نحو ابن الأحرش ، وكان ذلك الوقت مستقرا في واد الزهور كونه موطنا حصينا لكثرة أشجاره وتشعب طرقاته ، ولما وصل قريبا منه أبقى المحلة والأثقال وسار بالجند والمدافع نحو المتمرد ، ولما وصل انفصل عن محلته ووقعت عليه الفتن من أمامه ومن خلفه وقطع عليه ابن الأحرش الطريق المؤدية إلى المحلة ، ولما أراد الباي عثمان الرجوع لم يستطع فهجم عليه ابن الأحرش ومنعه ، فقتله واستولى على جميع مافي الخزائن من سلاح وأموال [442] . بعد هذه الهزيمة أمر الداي قبطانه الرايس " حميدوا " بالسير إلى جيجل على متن 4 مراكب حربية فلما وصل قبالة المدينة طالب أهلها بأن يسلموه ابن

---

([438]) محمد صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص : 89

([439]) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص : 28 .

([440]) محمد صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص : 90 .

([441]) رشيد مريخي ، المرجع السابق ، ص : 27 .

([442]) محمد صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص : 90 .

الأحرش ، ولكن السكان رفضوا ذلك وردّوا عليه بإطلاق النار ، فرد حميدوا بقصف المدينة وأحرق سفنها ولكنه لم يظفر بعدّوه [443] .

قرر الداي مصطفى أن يخرج لملاقاة ابن الأحرش بنفسه ، فأشار عليه بعض وزراءه ببطلان ذلك . [444] فأرسل بدل ذلك قائد الجيش " الحاج علي آغا " لتهدئة الأوضاع في شرق البلاد وكلفه بملاحقة ابن الأحرش والقضاء عليه فجهز هذا الأخير حملة خرج على إثرها في طلب هذا الثائر، فألحق به الهزيمة بنواحي ميلة ثم بجهات بجاية ثم بالرابطة بالقرب من سطيف بعد أن لقي العداء من أتباع الطريقة الرحمانية ، وتم القضاء على ثورته بنواحي بجاية عام 1806 م [445].

قتل ابن الأحرش على يد " ابن الشريف الدرقاوي " لما استنجد به بعد هزيمته على يد الأتراك ، وبالرغم من الصدى الكبير الذي لقيته ثورة ابن الأحرش و التفاف الناس حولها ، إلا أنه فشل في تحقيق أهدافه الرامية إلى الانقلاب ضد حكومة الأتراك ، بالرغم من كافة الأساليب التي استعملها لكسب القبائل في الشرق الجزائري [446] هذا وقد خلفت هذه الثورة آثارا سلبية انعكست على أوضاع البلاد ، حيث وصفها الشريف الزهار بنار الفتنة التي أكلت الأخضر واليابس [447] ،وكانت أخطر النتائج المترتبة عن هذه الثورة هي انتشار الفوضى والاضطراب في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وانعدم الأمن والاستقرار .

---

([443]) محمد العربي الزبيري ، المرجع السابق ، ص : 65 .

([444]) محمد صالح العنتري ، المصدر السابق ، ص: 91 .

([445]) ابن سحنون أحمد بن علي الراشدي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تح : المهدي بو عبدلي ، الجزائر ، 1983 م ، ص : 43

([446]) التر عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 587 . ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص : 320 .

([447]) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص : 87 .

## ب.ثورة درقاوة [448] في الغرب الجزائري :

شهد بايلك الغرب في مطلع القرن التاسع عشر ظروفا صعبة نجمت عن السياسة الغير الوجيهة للحكام ، أين تنامت مشاعر الحقد والضغينة في صدور الأهالي وأصحاب الطرق الصوفية من جرّاء السياسة الضريبية المجحفة التي كان يفرضها هؤلاء ، وقد وجدوا في ثورة درقاوة مبتغاهم في النيل من حكومة الأتراك فإتبعوها وانظموا إليها بل ودعموها أيضا .

تعود هذه الطريقة إلى الشيخ " محمد العربي الدرقاوي " ، وكان هذا الشيخ من متصوفة المغرب الأقصى ، ولكن أتباعه كانوا منتشرين في الجزائر وخصوصا بغربها وكان مقدم طريقته في وهران ونواحيها هو الشيخ " عبد القادر بن الشريف " [449] فمن هو عبد القادر بن الشريف؟

انه معروف لدى العامة بإبن الدرقاوي ويعود أصله إلى قبيلة كسانة المقيمة على ضفاف واد العبد [450]، ولد بقرية أولا بليل بفرندة، أين تعلم بها مبادئ اللغة ،ثم التحق بزاوية القيطنة بمعسكر التابعة للطريقة القادرية، [451] وفي هذا يقول الآغا بن عودة المزاري : " وكان في أول حاله عالما متفننا في سائر العلوم ومحققها لها ورعا زاهدا متعبدا

---

([448]) **درقاوة** : مستمدة من الدرقة وهي الترس الذي يحمله المقاتل في ذراعه اليسرى وهو يقاتل بالسيف أو الحربة ، وكان الذي اشتهر بأبي درقة هو الجد الثامن عشر لمؤسس الطريقة وهو محمد دفين وادي قبال بقبيلة بني مسكين قرب وادي أن الربيع . **أنظر** : عبد الكريم الفيلالي ، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير ، ج5 ، ط1 ، شركة فاس للطباعة ، القاهرة ، 2006 م ، ص : 08

([449]) أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ( 1500 – 1830 ) ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1998 م ، ص : 220

([450]) قايد عمر ، محاضرات في تاريخ الجزائر المعاصر ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، 2014 / 2015 م ، ص : 03

([451]) أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 221 .

راكعا ساجدا صائما قائما ، أستاذ يقرء القرآن ويزيل بتعلمه لكل جاهل جهله والناس يشرون إليه بالصلاح والنجاح "[452].

وقد تابع دراسته بعد ذلك بالمغرب الأقصى وتحديدا بفاس وببني زروال ، حيث دخل في طريقة الشيخ محمد العربي الدرقاوي ، ثم عاد إلى مسقط رأسه ومنه انطلق يبث تعاليم الطريقة الدرقاوية التي قدمه عليها شيخه ليتولاها بالجزائر ، وقيل أنه إدعى المهدوية عندئذ أي أنه المهدي المنتظر [453] ومن جملة ما قاله عبد القادر الشريف لشيخه الدرقاوي : " أن في وطننا قوما يقال لهم الترك لا شيئ لهم من دعوتهم للإسلام ويظلمون الناس ولا يعبئون بالعلماء والأولياء ، ونسأل منك أن يكون هلاكهم على يدي ليستريح منهم العباد وتطهر منهم البلاد " [454].

ولما عاد ابن الشريف إلى بلاده ، بدأ يخطط لثورته المناوئة للحكم التركي وابتدع أمورا ينكرها العقل و الشرع ، واقتدى به في ذلك الجل من الناس وفي ذلك يقول محمد بن عبد القادر : " أنه جاء إلى حضرة سيدي الجدّ وتكلم في حضرته بما يوجب تأديته شرعا ، فأدبه سيدي الجدّ بالسياط واستتابه " [455] غير أن هذا لم يصد الناس عن دعوته ، فذاع صيته وانتشر خبره وسيفت له الهاديا من كل فج ، ويقول الزهار : " ظهر

---

([452]) الآغا بن عودة المزاري ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19 ، تح : يحي بوعزيز ، ج 1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1990 م ، ص : 299 .

([453]) إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ( عرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ماقبل الإسلام إلى العصر الحاضر من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية ) ج3 ، ط2 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1994 م ، ص : 150 .

([454]) جمال قنان ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث ، المرجع السابق ، ص : 314 .

([455]) محمد بن عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق ، ص ص : 76 ، 77 .

الشريف وكاتب العرب في أمر القيام على الترك وادعى أنه صاحب الوقت واتبعه العرب وسارت إليه القبائل وظهرت له الكرامات " [456] .

ويبدوا أن باي وهران لم يكن غافلا عن هذه التحركات ، فقد أحس أن حركة ابن الشريف الدرقاوي لم تكن دينية محضة ، بل كان لها هدف سياسي يدعمه المغرب الأقصى وأن ابن الشريف ليس له سوى أداة لتنفيذ مشروع سياسي ضد الحكومة العثمانية بالجزائر، [457] وبينما الناس في غفلة إذ بإبن الشريف أصبح قائما بأقوالهم معلنا بجهاده الترك ومحللا لدمائهم وأموالهم فاجتمعت عليه الغوغاء من كل جانب ، وهبط مع وادي مينا قاصدا المخزن وأذن لأتباعه في النهب والسلب [458] ،مستغلا فرصة هزيمة إحدى الحاميات التركية أمام قبائل الانجاد المتمردة ضد السلطة العثمانية [459] ،ولما سمع الباي بخبر الدرقاوي جمع له الجيوش وخرج للقائه ،فبلغه أن ابن الشريف بالقرب من تاقدمت ، وهو في طريقه إليه فالتقى الجيشان بفرطاسة واشتد القتال بينهما على الماء وصارت نار الحرب بينهما سجالا إلى أن انهزم الباي مصطفى العجمي وفر راجعا إلى وهران ، وبقيت محلة الباي بما فيها من ممتلكات في يد الدرقاوي [460].

تقدم الدرقاوي باتجاه وهران لأجل محاصرتها ، فسار بجموعه حتى وصلها وكانت قد أغلقت أبوابها [461] فتطاير الخبر إلى الجزائر، فجهز الباشا مستشاره " علي آغا " وبعثه إلى ابن الشريف لكن البربر في نواحي وادي الشلف صدوه عن المرور في بلادهم ومنعوه ورود الماء حتى كاد يهلك مع جيوشه عطشا ، فلاذ بشيخ العطاف وأستجاره

---

([456]) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص : 87 .

([457]) أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص: 221 .

([458]) الآغا بن عودة المزاري ، المصدر السابق ، ص : 304 .

([459]) سفيان صغيري ، المرجع السابق ، ص : 163 .

([460]) الآغا بن عودة المزاري ، المصدر السابق ، ص: 304 .

([461]) عبد الكريم الفيلالي ، المرجع السابق ، ص : 15 .

فمشى له هذا الأخير في القبائل على أن يكفوا عنه فأبوا عليه إلا بمال يؤدى إليهم ، فأدى لهم ما طلبوه وانقلب راجعا إلى الجزائر واستمر ابن الشريف في مكانه محاصرا وهران وضيق على أهلها حتى نفذت منهم أقواتهم [462] ،وقد دام الحصار مدة 8 أشهر [463] ،انقطعت خلاله كل الإمدادات والطرق نحو الداخل ماعدا الطريق البحري الذي كان منفذ الوحيد للولوج إلى وهران ، وبفعل هذا الحصار المحكم الذي ضربه ابن الشريف على المدينة وقع الغلاء في المعيشة وبخاصة مادة الحبوب [464] وكذا فعل أيضا مع أهل تلمسان الذي انقلب عليهم الحضر والحوزية [465] .

حاول الشيخ محمد العربي الدرقاوي شيخ الدرقاوية بالمغرب الأقصى أن يخضع مريده ابن الشريف لقواعد وسلوك الطريقة ، فبعث إليه بعدّة رسائل ومبعوثين لإقناعه بفكرة العدول عن الثورة ، إلا أن ابن الشريف رفض ذلك فإنتقل إليه الشيخ بنفسه لكن دون جدوى ، عندئذ أخذ هذا الأخير حفنة من التراب ورماها للريح قائلا : " هكذا سيكون مصير ابن الشريف " وعاد إلى المغرب الأقصى ساحبا حجابه من ابن الشريف [466].

لما رأى أهل الجزائر عجز الباي مصطفى العجمي عند الدفاع عزلوه ، وعينوا بدله الباي محمد المقلش الذي زودوه بقوات كبيرة ، فركب هذا الأخير الأسطول من شرشال إلى وهران وبوصوله ألقى القبض على حاكمها مصطفى باي وأرسله إلى الجزائر ،وكتب إلى الآفاق بقدومه وتلطف في جمع الكلمة ، فأجابه أكثر القبائل وركنوا إلى طاعته

---

([462]) محمد بن عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 76 .

([463]) قايد عمر ، المرجع السابق ، ص : 3 .

([464]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 204 .

([465]) عبد الكريم الفيلالي ، المرجع السابق ، ص : 15 .

([466]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 204 .

وأمرهم بالمعسكر فأجابوه وفرق فيهم الأموال [467] ،حينئذ أدرك الدرقاويين استحالة فتح وهران فأتفق رأيهم على الارتحال عنها والتوجه لغيرها من مدن الشرق ، ولما وصل الدرقاوي لمزارع سيق قرب سيدي داود قامت عليه الغرابة متجمعة يرمون منه أخذ الثأثر بما فعله بهم من قتل وسبي ، فتعرضوا له ونالوا منه جزاء مافعل بهم ، ثم لما وصل لسيدي مبارك قرب وادي الهبرة لقيته فرسان البرجية مع من انظم إليهم من بني شقران وصيرورة فهزموه شر هزيمة [468].

توالت هزائم ابن الشريف على يد الباي محمد المقلش الذي حقق انتصارات كثيرة ، كما استطاع تهدئة الاضطرابات بمدينة تلمسان أين أقام بها قرابة الشهر ثم عاد بعدها إلى عاصمته وهران [469] ،وبينما هو كذلك حتى بلغه خبر قدوم الدرقاوي إلى غريس بأرض عين السدرة ومعه جموع درقاوة وجميع مالها ونسائها ، وكان يومها ابن الأحرش قدقدم من الشرق إليهم ، فحصل لهم به الفرح والسرور ، فخرج الباي لملاقاتهم وقد دارت بين الجمعان معركة حامية الوطيس خرج منها الباي منتصرا ، وكذلك فعل في عدة معارك أخرى في جديوية والتوتة وغيرها [470].

لم تشفع الأعمال البطولية لهذا الباي لدى حكومة الجزائر التي أمرت بعزله وقتله بعد أن أذيق ألوانا من العذاب [471] ،ليحل محله الباي السابق مصطفى العجمي، الذي عجز عن مقاومة درقاوة ، فكان ذلك في صالح هؤلاء بسبب الدعاية التي انتشرت ضد المقتول " مصطفى المقلش " وأن الله انتقم منه لدرقاوة ، فكان مصير مصطفى في هذا الجوّ الفشل

---

([467]) محمد بن عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق ، ص : 76 .

([468]) الآغا بن عودة المزاري ، المصدر السابق ، ص : 323 .

([469]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص ص : 205 ، 206 .

([470]) الآغا بن عودة المزاري ، المصدر السابق ، ص: 323 .

([471]) المصدر نفسه ، ص : 325 .

مما عرضه للعزل ليحل محله الباي " أبوكابوس " سنة ( 1223 ه / 1803 م ) وكان هذا الأخير مثل المقلش ، حيث طار ابن الشريف الذي كان قد توجه إلى عين ماضي أين تحالف مع صهره أبو ترفاس لكنه تعرض لهزيمته شنعاء ألحقها به أبوكابوس [(472)].

لما ضعف أمر درقاوة وتراجع عنه أتباعه ، انتقل إلى قبيلة بني يزناسن على الحدود المغربية وتوارى عن مسرح الأحداث وبقي مقيما هنالك حتى توفي ، وكان من نتائج هذه الثورة أنها خلفت العديد من الخسائر المادية والبشرية وراح ضحيتها عدد من رجال العلم والدين ، كما انتشرت الفوضى والاضطرابات وأعمال السلب والنهب الذي مارسه رجال الدرقاوي الثائر .

وفي الأخير فإن الثورة التي قادها ابن الأحرش في الشرق ، والدرقاوي في الغرب وإن كانت دينية فهدفها كان سياسيا واضحا ، كما كانت في الحقيقة منفذا للسكان للتعبير عن سخطهم إزاء تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، كما أظهرت هذه الثورات مدى فعالية الأطراف الخارجية والدور الذي تقوم به من أجل زعزعة النظام في البلد وتجلى ذلك من خلال دعمها لهذه الثورات .

## المبحث الثاني : المؤتمرات الاوربية والقضية الجزائرية

أبرمت الجزائر عشرات المعاهدات مع دول العالم ، كما بلغ أسطولها البحري قوة عظيمة بحيث استطاع خلال القرن الثامن عشر إحداث نظام للملاحة في المتوسط يضمن أمن الدولة الجزائرية خاصة، والدولة العثمانية عامة وبصورة أعم بالنسبة للتجارة الدولية في هذا البحر، وهو ما جعل الدول الأوربية تعمل على إنهاء هذا النظام تحت غطاء إنهاء ما كان يسمى بـــ " **القرصنة** " التي كانت تمارسها جموع المغامرين الأوربيين بموافقة دولهم ومؤازرتها .

---

([472]) عبد الكريم الفيلالي ، المرجع السابق ، ص: 16 .

**1. مؤتمر فيينا :**

وقعت تسويات جزئية بالفعل خلال معاهدة باريس [473] بين فرنسا والتحالف الساداسي ،وخلال معاهدة كيل ،التي شملت القضايا التي أثيرت حول الدول الاسكندنافية ،قررت معاهدة باريس وجوب انعقاد مؤتمر عام 1815 م في فيينا ،وأنه سيتم توجيه الدعوات إلى جميع القوى الفاعلة في الحرب الحالية، قرر الافتتاح في يوليو / تموز 1814 م [474].

شكلت القوى الأربع العظمى سابقاً قلب التحالف السادس، ومع اقتراب هزيمة نابليون حددوا مواقفهم المشتركة والمذكورة في معاهدة شومو (آذار / مارس 1814 ) ، وتفاوضوا على معاهدة باريس مع آل بوربون ، و في هذه الظروف التي أصبحت فيها الدبلوماسية الأوروبية مهيأة للقيام بعمل مشترك ضد الجزائر ، انطلاقا من أفكار سدناي سميث [475].

---

([473]) **معاهدة باريس :** هي معاهدة الصلح الاولى عقدت في باريس 20 ماي 1814م بين فرنسا و النمسا وانجلترا و روسيا و بروسيا اثر تنازل الامبراطور و ذهابه و تمكنوا من رسم حدود فرنسا ، و بعقد هذه المعاهدة انتهت الحروب التي بدات في عهد الثورة الفرنسية.**انظر** :عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ اروبا الحديث ومعاصر1815-1919 ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ،2000 ، ص : 30

([474]) عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص : 31 ، 32 .

([475]) **سدناي سميث** : ولد سدناي سميث بلندن في 21 جوان 1764م ترعرع في وسط عائلة عسكرية اذ كان والده ضابطا في الحرس الملكي البريطاني درس في مدرسة تونبرج إلى غاية 1772 ، ثم انخرط في صفوف البحرية البريطانية عام 1777 وعمره لا يتجاوز 13سنة وتوفي بباريس في 26 ماي 1840م. **انظر** : زكية زهرة ، **الاميرال سدناي سميث و التحالف الاروبي المسيحي ضد الجزائر عام 1814م** ، مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة الجزائر، 2، العدد 15 – 16 ،2012 / 2013 م ، ص : 232 .

اجتمعت الدول الأوروبية لإيجاد حـــل للمشـــاكل المطروحة حول الحدود التي كانت تمثل عائقا للوفاق الأوروبي ،وإعـــادة بناء الخريطة السياسية[476]،واحلال الســـلام في القـــارة الأوروبية [477] حضر المؤتمر الحلفاء الأربعة وهم انكلترا وبروسيا وروسيا والنمسا ،و التي عرفت بلجنة الاربعة .

نجح تاليران في إقناع الدول بان توافق على انضمام فرنسا للمؤتمر [478] ،وكانت هذه اللجنة قد استأثرت بانجاز القرارات في المسائل المهمة و عندما انتهى المؤتمر من اعماله انضمت له السويد ، اسبانيا ، و البرتغال في التوقيع على قرار المؤتمر النهائي في 9 يونيو 1815 م [479] ، حيث مثل إنجلترا الدوق كاستليريث Lord Castlereath ، ثم عوض بالدوق ولينكتون Le duc de Wellington واللورد كاثير Lord Catheart واللـــورد كلوكـــارتي Lord Claucarty واللـــورد ستيوارت Lord Stewarts ومثل بروسيا الأمير هردنبرغ Le Prince Herdenberg [480] والبارون دي هومبولدت Le Baron de Humboldt [481] ومثـــل روســـيا القيصـــر الاســـكندر الأول Le Tsar Alexandre I والكونـــت رسيموفســـكي Le Comte Rasimovski والكونت دي ستاكلبرغ Le Comte de Stackelberg و

---

([476]) محمد علي القوزي ، العلاقات الدولية في التاريخ الحديث و المعاصر ، دار النهضة ، ط1 ، 2002 ، بيروت ، ص : 93 .

([477]) عبد العظيم رمضان ، حضارة أوروبا و العالم الحديث من ظهور البرجوازية الاروبية إلى الحرب الباردة ،ج2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص : 15 - 17

([478]) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، أروبا من عصر النهضة إلى الحرب الباردة ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، 2000 ، ص : 163، 164

([479]) عبد العظيم رمضان ، المرجع السابق ، ص : 17

([480]) زكية زهرة ، المرجع السابق ، ص : 226.

([481]) هو جول اوغست فرمو ماري دي بولينياك سياسي فرنسي تقلد عدة مناصب منها رئيس وزراء وسفير بلندن ووزير خارجية فرنسا عام 1828 بولينيلك من أكبر المتحمسين لإحتلال الجزائر. **انظر:** زكية زهرة ، المرجع السابق ، ص : 234.

والكونـــت دي نسلرود Le Comte de Nesselrode ، أما رابع الحلفاء أي بروسيا فلقد مثلها الأمـــير دي مترنيخ Le Prince de Metternich [482] والبارون واسنبرغ Le Baron Wassenberg .

اضافة الى هذه الدول الأربع التي انتصرت على نابليون ، حضرت المؤتمر فرنسا التي قبلت بالوضع الـــراهن الجديد وقد مثلـــها تـــاليران Talleyrand [483] ،والـــدوق دالـــبرغLe Duc d'Alberg والكونـــت لابريسناديار Bresnadiere ولاتور دي بان La Tour du Pinو الكونـــت ألكسي دي نؤاي .Le de Noailles Le Comte Alexis ، وسمح للدولة العثمانية حضور المؤتمر ومثلها الباشا مافروجني .Pacha Mavrojeni.

كما حرص ممثلو الدول الأوروبية الرئيسية على حضور بعض الدول الأوروبية التي لم تكن لها مشاركة فعالة في الأحداث التي عرفتها الساحة الأوروبية، مثل مملكة نـــابولي Naples والســـويد Suède واســـبانيا L'Espagne والفاتكـــان Le Vatican ، وحتى يكتمل الجمع لم يمانع منظمو المؤتمر من استقبال وفود مستقلة ليس لها طابع رسمي مثل الأقليات الدينية وبعض دور النشر [484] . انعقد المؤتمر فيينا بين فترتي سبتمبر 1814م ويونيو 1815في مدينة فيينا عاصمة النمسا تحت إشراف ورئاسة رجل الدولة النمساوي كليمنس فينتزل وقد شارك في هذا المؤتمر حوالي 100دولة وعائلة حاكمة [485] .

كان للمؤتمر عدّة أهداف أوّلها :

---

( [482] ) وزير النمسا للشؤون الخارجية

( [483] ) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، المرجع السابق ، ص :161 ، 162

( [484] ) زكية زهرة ، المرجع السابق ، ص : 227 .

( [485] ) عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص : 32

- تسوية العديد من القضايا الأوروبية والصراعات الداخلية الحدودية على وجه الخصوص الناشئة عن حروب الثورة الفرنسية والحروب النابولونية [486].
- تفكيك الأمبراطورية الرومانية المقدّسة .
- تحديد مناطق النفوذ البريطاني الفرنسي الروسي والنمساوي .
- تحريم تجارة الرقيق .
- حرية الملاحة البحرية [487]

ولعل ما يهمّ الجزائر حينئذ من هذه الأهداف والبنود المناقشة هي البنود الثلاثة الأخيرة ،فقد حاولت كلّ من فرنسا وإسبانيا ادّعاء الحقّ الحصري في النفوذ التجاري والاقتصادي بدول شمال إفريقيا ،مستندة بقربها الجغرافي وقدم وعظم مصالحها هناك ، وعارضت بريطانيا هذا الطرح بناء على أنّها في تلك الفترة هي التي كانت تملك مصالح كثيرة ومتنوعة في شمال إفريقيا وفي الجزائر على وجه الخصوص .

كان قصد الدول الأوروبية من تحريم الرقّ وحرية الملاحة البحرية ، هو محاولة ضرب الأسطول الجزائري والقضاء عليه ، ولكن الصراع الأوروبي الداخلي وخاصة بين فرنسا وبريطانيا حال دون ذلك [488]، ولعلّ من أهمّ أسباب فشل هذا التحالف على هذا المستوى هو السياسة الجزائرية العثمانية ،التي كانت منتهجة وغاية ما وصلوا إليه في هذا المجال هو **أوّلا** : تحريم الرقّ الأسود دون غيره **ثانيا :** حرية الملاحة في العديد من الأنهار الأوروبية دون الإشارة من قريب أو بعيد لمطلب الرقّ وخاصة أسرى الأسطول الجزائري ولا لحرية الملاحة في المتوسط [489] ، وممّا قاله الكاتب عن مؤتمر فيينا ممّا يتعلق

---

([486]) جفري براون ، تاريخ أروبا الحديث ، تر: علي المزروقي ، ، الاهلية للنشر و التوزيع ، عمان ، ص : 411

([487]) عبد العظيم رمضان ، المرجع السابق ، ص ص : 19 - 21

([488])وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 145

([489]) أحمد عزت عبد الكريم ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص : 326

بالجزائر ما يلي : " وفي نهاية 1814 م عقد مؤتمر في فيينا ضم جميع الدول المتحضرة في القارة الأوربية وهناك أرسيت قواعد واسعة ومتينة للعدالة والانصاف والاستقلال ورخاء جميع الأمم [490] ،فقد كان من الطبيعي أن ينتظر الناس من هذا المؤتمر أن يبحث إدّعاءات هؤلاء البربر المناقضة للسلوك الاجتماعي والذين كانوا حينئذ يحتجزون أكثر من ألفين من الأوروبيين في قيد العبودية هنا ، ويتّخذ إجراء بتحريم القرصنة التي هي لطخة مشينة للحضارة وإلغائها كلّيا [491].

كانت بريطانيا قد ألقت بكلّ ثقل نفوذها في هذا المؤتمر ،وأيّدت فكرة إلغاء الرّق الأسود ، ولكن فرنسا وأسبانيا والبرتغال كانت تعارض القرار بهذا الشأن بدافع من مصالحها الخاصة ، أما بريطانيا لم تعارض سوى معارضة مائعة فكرة إلغاء استقلال كلّ من إيطاليا وبولندا والبندقية وجنوة ، بل وحتى تقسيم حليفتها دولة ساكسون القديمة لارضاء شهوة حلفائها وشرّهم ، كما كانت بريطانيا تصغي بأذن صمّاء لكل اقتراح قدم أمام المؤتمر يستهدف تحريم قرصنة بلاد البربر ، ولما سئل رئيس وزراء بريطانيا في البرلمان بعد ذلك بشأن هذه القضية ادّعى أنّ معاهدات بريطانيا مع بلدان المغرب هي التي تبرر هذا الموقف ، ولكن المؤرخ الذي عالج مؤتمر فيينا لم يتردد في أن يصف موقف الوزير البريطاني فيه بأنه قد أوحت به الأنانية ويقوم على ضغط المصالح [492].

**مسار المؤتمر :**

---

([490]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 145 ، 146

([491]) عبد الكريم الفيلالي ، التاريخ السياسي المغرب العربي الكبير ،ج4 ، ط: 1، شركة الناس للطباعة،القاهرة ،2006 ، ص : 387

([492]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص ص : 145 ، 146 .

في البداية اجتمع ممثلوا القوى الأربع المنتصرة آملين في استبعاد الفرنسيين من المشاركة في مفاوضات جدية . استطاع تاليران بمهارته السياسية إدراج نفسه في المجالس الداخلية في الأسابيع الأولى من المفاوضات [493] ،حيث تحالف مع ثمانية من القوى الأوروبية الأصغر ( بما في ذلك إسبانيا والسويد والبرتغال) في لجنة للسيطرة على المفاوضات ،حالما نجح تاليران في إقحام اللجنة في المفاوضات الداخلية انسحب منها متخلياً عن حلفائه،و أدى تردد الحلفاء الكبير حول كيفية إدارة شؤون المؤتمر دون إثارة احتجاج موحد من القوى الأقل شأناً إلى الدعوة لعقد مؤتمر تمهيدي حول البروتوكول . دعي إلى هذا المؤتمر كل من تاليران وماركيز لابرادور ممثل إسبانيا، في 30 سبتمبر/ أيلول 1814.

**تقييم المؤتمر :** حرصت الدول المجتمعة في المؤتمر على تحقيق عدة أهداف أهمها :

- التوازن الدولي بحيث لاتصل أي دولة إلى درجة من القوة تسمح لها بتهديد بلد اخرِ،كما تسترد كل دولة املاكها السابقة .
- إعادة الحقوق الشرعية لأصحابها [494]

من الواضح أن المؤتمر كان يخدم مصالح الدول الكبرى كما لم يهتم بمطالب الشعوب القومية ، كما كانت ثورة بلجيكا اول صخرة سقطت من مؤتمر فيينا و الذي كان هدفه حماية أوروبا من الصراعات [495] كما أصدر قرار نهائي بوضع حد لمسالة

---

([493]) عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص : 33 .

([494]) محمد على القوزى ، العلاقات الدولية فى التاريخ الحديث و المعاصر ، دار النهضة الحديثة، ط1 ، بيروت ، 2002 ، ص : 93

([495]) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، المرجع السابق ، ص : 170 .

القرصنة و استرقاق المسيحين [496] انعقد مؤتمر فينا بطلب من انجلترا ، و تجسد التحالف الأوروبيين ضد الجزائر و ذلك بوضع حد نهائي لهيمنة الأسطول البحري الجزائري في البحر الأبيض المتوسط ولاسترقاق المسيحين [497] و كلفت بريطانيا بتطبيق مقررات المؤتمر حيث طالبت بتعويض مسبق عن مجهوداتها و الذي يتمثل في وضع الجزر الايونية تحت حمايتها [498].

## 2. مؤتمر اكس لاشابيل :

عندما فشلت الدول الأوروبية في إخضاع الجزائر، ووقف نشاط بحريتها عادت لطرح المسألة في مؤتمر اكس لاشابيل Aix la chapelle فعقدت الدول الأوروبية في 30 سبتمبر 1818 مؤتمرا جديدا [499] في منطقة في مدينة آخن أكس لاشبيل بألمانيا ، شاركت فيه كبرى الدول الأوروبية ، وهي بريطانيا فرنسا روسيا النمسا وبروسيا ، حيث مثل فرنسا في المؤتمر وزيرها الاول ريشيلو و زوده الملك لويس الثامن عشر بتعليمات توضح أسس السياسة الفرنسية في ذلك الوقت و خلاصتها ، أن فرنسا تنظر للمسالة القرصنة كجزء من السياسة الدولية العامة [500] و الذي قررت من خلاله القضاء النهائي للقرصنة و حفظ السلام المنبثق عن مؤتمر فيينا1815 م ، و تمسكت جل الدول تقريبا بارائها التي كانت في مؤتمر فيينا ، ولكنّ قراراته حفّت بسرّية كبيرة لتعلقها بمسألة الاستعمار وتقسيم مناطق النفوذ والعمل من أجل القضاء على الأسطول الجزائري [501].

---

([496]) هلايلي حنفي ، العلاقات الجزائرية الاروبية و نهاية الايالة ( 1815- 1830 ) ، ط1 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2007، ص : 13 .

([497]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ،ص : 262

([498]) يحي بوعزيز ، المرجع السابق ،ص : 120

([499]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص : 267

([500]) أحمد عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ،ص : 336

([501]) وليام شالر ، المصدر السابق، ص177 .

استقر الرأي على فكرة تكوين قوة موحدة ، تم تفويض فرنسا و وبريطانيا لدراسة المسألة مع الجزائريين بطريقة ودية في محاولة جادة لإقناعهم بضرورة التخلي عن القرصنة ، ووقف استرقاق الأوروبيين وإرجاعهم إلى أوطانهم ، كما سعت بقية الدول الأوروبية إلى محاولة إقناع السلطان العثماني حتى يتخلى عن دعمه للإيالة الجزائرية ، وقد اختلفت هذه الدول في طريقه كتابة رسائلها للسلطان العثماني ، وهذا ما أضعف من قيمة هذه الرسائل التي لم يول لها السلطان أية أهمية ، هذه الرسائل التي اعتبرت البحرية الجزائرية شبحا يهدد المصالح التجارية الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط .

وقد رد السلطان العثماني على هذه الرسائل برفضه التام لما جاء في قرارات مؤتمر إكس لاشابيل ، واعتبر التحالف الأوروبي على أية إيالة من الإيالات المغربية تدخلا مباشرا في شؤون الدولة العثمانية وسيادتها ، وهذا يتعارض تماما مع القانون الدولي الذي يضبط العلاقات الخارجية بين الدول ،علما بان الدولة العثمانية كانت تعلم بأن الإيالة كانت تربطها بالدول الأوروبية معاهدات سلام ، ولذلك قرر السلطان العثماني إرسال سفينة لدعم الإيالة عسكريا تضم اثنان وعشرون مدفعا وعدد كبير من الجنود في نوفمبر 1819 [502] ،كما تم تكوين أسطولين الاول انجليزي بقيادة توماس فريمانتل ، و الثاني فرنسي بقيادة جوريان ديلاغرافنير [503] وقد توجهت هذه الاساطيل إلى بلدان المغرب العربي ، حيث حذرت كل من تونس و الجزائر و طرابلس من عدم الماس بالتجارة الاوروبية و إلا سيكون الرد سريعا ، و كلفت كل من فرنسا و انجلترا بتبليغ قرارات المؤتمر. [504]

---

([502]) أحمد عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص : 338 .

([503]) وليام شالر، المصدر السابق ، ص : 313.

([504]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ،ص : 267 .

وفي هذا الشأن يقول الكاتب :" وفي أواخر نفس السنة 1818 م اجتمع ملوك الدول الأوربية الكبيرة في مدينة إيكس لاشابيل في مؤتمر جديد من أجل تجديد المصالح العامة للعالم المتحضر على أساس متين،فيما قيل

على أنّ نتائج المداولات التي جرت في هذا المؤتمر لم تنشر ويبدو أنّ مصالح الجنس البشري قد بقيت بدون تحديد ، كما كانت من قبل . ومع ذلك ، فإنّ أسطولا بريطانيا فرنسيا قد وصل إلى الجزائر في 5 سبتمبر1819 م، وأعلن قائداهما للداي عن قرارات مؤتمر إكس لاشابيل الذي قد قرّر أنه يجب على دول البربر أن تمتنع عن ممارسة القرصنة في المستقبل و الغاء الاسترقاق [505] .

وبعد بضعة أيام من التفكير والتروي رفض الداي هذا الإنذار محتجا بالحقوق التي تعترف بها للجزائر معاهدات دولية رسمية أقرّها العالم كلّه خلال قرون متوالية [506]، والمسألة هي ما إذا كان مؤتمر ايكس لاشبيل جادا حقيقة في هذه المناسبة أم أنّه وقع ضحية للمغالطة والتضليل بالتقارير التي قدّمها الأطراف التي كلّفت بتنفيذ قراراته التي تتعلق بدول البربر . وقال في موضع آخر : " إنني أحب أن أعتقد أنّ الحزم الذي أبدته الدول الكبيرة في مؤتمر ايكس لاشبيل سيكون من نتائجه تنفيذ قرارات ذلك المؤتمر ضدّ الدول البربرية " [507]. حيث إعتبر المؤتمر أخر المؤتمرات التي نوقشت فيه مسألة القرصنة.

### 3. مؤتمر تروباو :

---

([505]) محمد بوشنافي ، **الداي حسين و سقوط الايالة الجزائرية ( 1818-1830 )**، مجلة العصور ، العدد 6-7 ، ص ص : 103 ، 104

([506]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 177 .

([507]) المصدر نفسه ، ص : 183 .

كان قيصر روسيا قد اقترح على المؤتمرين في اكس لاشبيل إنشاء تحالف أوروبي عام، لكي تخول الدول الأوروبية قمع أي ثورة تحصل وتهدد الأمن والتوازن الأوربي ، خاصة بعد الثورة الاسبانية لأنه كان متخوف من انتشار العدوة في أوروبا ،فطالب بعقد مؤتمر لاستنكار دستور 1812 [508] ،ولكن قوبل برفض وخاصة من انجلترا بحجة رفض بلاده التدخل في الشؤون الداخليه لدول اخرى , وعند اندلاع الثوره وقيام النظام الدستوري عام 1820 م أصاب قيصر روسيا بالخوف ان تتأثر بلاده ،وطالب بعقد مؤتمر يضم ملوك أووربا بتدخل لإلغاء الدستور الاسباني الجديد ولو بالقوة ،وأيضا رفضت انجلترا بنفس الحجة وإفادة أن هذه الثورة لا تشكل خطر على الدول الاخرى، اما النمسا رفضت في البدايه ووافقه فيما بعد وفرنسا رفضت وانضمت الى انجلترا في الرأي وبروسيا وافقت وسرعان ما انضمت فرنسا لهم خوفا من العزله وتم التوقيع على البروتوكول ماعاد انجلترا في عام 19نوفمبر 1820 م. [509]

اقترحت الدول الأوروبية وفي مقدمتها بريطانيا تكوين قوة موحدة والنزول بها في البحر الأبيض المتوسط، وهذا ما تداولته الدول الأوروبية خلال المؤتمر فينا 1815، وكان الاقتراح الإنجليزي يتمثل في إجبار الجزائريين على التخلي عن البحرية، وذلك بمحاصرة الموانئ الجزائرية ومنع خروج سفنها، وإجبار الدولة العثمانية على وقف تجنيد البحارة وإرسالهم إلى الجزائر.[510]

---

([508]) عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص : 54 .

([509]) مدوح نصار واحمد وهبان ، التاريخ الدبلوماسي العلاقات السياسية بين القوى الكبرى ، قسم العلوم السياسية ،جامعة الاسكندرية ، ص : 53 ، 54.

([510]) وليام سبنسر ، المرجع السابق ، ص ص : 189-190.

وقد استاءت السلطنة العثمانية ، خاصة بعدما حمّلتها دول مسؤولية ما يقوم به البحارة الجزائريون من نشاط في البحر الأبيض المتوسط ،كما استاء الباب العالي من تدخل دول أوروبا في شؤون الإيالات المغربية وطرح المسألة الجزائرية ، واعتبر ذلك تدخلا مباشرا في مصالح وممتلكات الدولة العثمانية ، وقد بعث الباب العالي بعد ذلك فرمانا يحذر فيه الجزائريين من خطر التحالف الأوروبي على بلدهم. **(511)**

وابتداء من ( 1823- 1824 ) بينت المصالح المتباينة و المتضاربة للقوى الكبرى الطابع الهش أو الاصطناعي للتقسيم المنجز عام 1815 ،والذي لم يكف الثوار والقوميون في كل أوروبا و كذلك نابليون الثالث عن النضال ضده إلى درجة التمكين لانفجار جديد لأوروبا وإعادة توزيع القوميات في نهاية القرن التاسع عشر.

## المبحث الثالث : الحملات الأوربية على الجزائر مطلع القرن19 م وانعكاساتها

ظلت الولايات المتحدة الأمريكية تدفع ضريبة سنوية للجزائر منذ عام 1795م إلى غاية 1810م حيث توقفت عن دفع تلك الضريبة ، وذلك بسبب إدراكها لضعف الجزائر ، الأمر الذي تسبب في توتر العلاقات بين البلدين ، كما أن اليهود اقترحوا على الداي الاعتداء على السفن الأمريكية للحصول على مبلغ مالي كبير مقابل تجديد معاهدة السلم معها .

وقع خلاف بين البلدين سنة 1812م حول تنفيذ المعاهدة الخاصة بالضريبة،كما اثار الامريكان خلافا اخر يتعلق بالتقويم الهجري و الميلادي و الذي يكلفهم مبالغ اضافية ،و امتد الخلاف مدة سنتين **(512)** ،و عليه أعلن **الداي علي** الحرب على أمريكا ،و التي

---

( [511]) أحمد عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص :338.

( [512]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ،ص : 234 ، 235 .

تدخلت لتأييده كل من اسبانيا و السويد و انجلترا ، بعد أن وضعت الحرب أوزارها بين الولايات المتحدة و انجلترا ، وبمجرد التصديق على معاهدة " غانت " Ghant ، قرر الكونغرس الأمريكي إعلان الحرب على الإيالة الجزائرية [513].

جهز الأسطول حربي عهد بقياده إلى الأميرال " ستيفان ديكاتور" [514] ،وغادر الأسطول الولايات المتحدة في اتجاه البحر الأبيض المتوسط 20 ماي 1815م ، وقبل أن يقلع الأسطول أصدر وزير الخارجية تعليمات إلى القائدين البحريين و السيد شالر بعقد الصلح مع الجزائر، [515]وإطلاق سراح الأسرى الأمريكيين في الجزائر ،وذلك بدون تعهد بدفع أي نوع من الضريبة ولكنها تعهد بتقديم هدايا للداي مرة كل سنتين ، وكانت التعليمات التي يحملها " ديكاتور " تقضي بأن يسعى لدى وصوله إلى جبل طارق لمعرفة المنطقة التي يعمل فيها الأسطول الجزائري ، وفي حالة ما إذا كانت بعض قطعه تعمل في المحيط الأطلسي أن يقوم بأسر تلك القطع أو تدميرها ، كما كلف " ديكاتور " بأن يدخل في المفاوضات مع الداي مباشرة بعد وصوله إلى الجزائر كما يجب أن تكون شروط الصلح مشرفة بالولايات المتحدة الأمريكية.

وصل أسطول " ديكاتور " إلى جبل طارق في 15 جويلية ، ومن هناك أبحر صوب مدينة الجزائر والتقى في طريقه إليها بباخرة جزائرية فضيقوا عليها ، فاستسلمت لهم بعد مقاومة أبداها لهم طاقم الباخرة ، استشهد فيها الرايس حميدو وثلاثون بحارة من رجاله يوم 28 يونيو1815م [516] ،حملوا بقية المسلمين أسرى إلى مراكبهم وبعد يومين من المعركة أسر

---

([513]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 146 .

([514]) عزيز سامح ، الاتراك العثمانيون المرجع السابق ، ص : 604 .

([515]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 146 .

([516]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص : 236 ، 237 .

الأمريكيين سفينة حربية ذات ساريتين " استديو " وسفينة " مشهودة " ، ثم أرسلت كلتا السفينتين إلى قرطاجة .

وفي 29 جويلية 1815م وصل الأسطول الأمريكي ميناء الجزائر وأرادوا إجراء مفاوضات مع السلطات الجزائرية ، فصعد أمير البحر الجزائري البارجة الأمريكية وهناك أبلغه القائد الأمريكي خبر أسر السفينتين الجزائريتين ومقتل الرايس حميدو ، فتأثر أمير البحر الجزائري لهذه الفاجعة وتساءل عن شروط الصلح التي يريد الأمريكيون عرضها ، فجاء الرد في رسالة وجهها الرئيس الأمريكي إلى الداي عمر ( 1817 – 1818 م) ، فقدمها ديكاتور إلى الداي و في جويلية 1815.

توصل الطرفان إلى توقيع معاهدة صلح و صداق بعد ثلاث عشر يوما من المفاوضات نصت على إلغاء الضريبة السنوية وإطلاق صراح الأسرى الأمريكيين في الجزائر [517] ، ودفع تعويض مقداره عشرة آلاف دولار للاستيلاء على السفينة الأمريكية "إدوين" وغيرها من ممتلكات الأمريكيين في الجزائر ، كما نصت على طريقة معاملة الأسرى في حالة استئناف الحرب واعتبارهم أسرى حرب و ليسوا عبيدا ، وسعى الداي إلى استعادة السفينتين الأسيرتين وبعد أن ورد استجاب الأمريكيين لهذا الطلب وتم التوقيع على المعاهدة ، وتم تعيين شالر قنصلا للولايات المتحدة بالجزائر [518].

و أثناء هذه الأحداث لم تترك الولايات المتحدة الأمريكية دولة أوروبية لم تتصل بها من الصغرى كالبندقية إلى المتوسطة كهولندا إلى الكبرى كروسيا ،لتكون معهم حلفا ضد الجزائر و الدول المغربية.حيث استغلت الفرصة عام 1814م لتنظم لكل من هولندا و

---

([517]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 604 .

([518]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص : 237 .

الدنمرك وايطاليا اسبانيا وبروسيا،وروسيا لتكون الدولة السابعة في الحلف ضد الجزائر في وقت واحد، إذ رأت أن الوقت قد حان لتصفية الحسابات [519].

وفي شهر جويلية 1815م ظهر أمام الأسطول الجزائري الأسطول الهولندي بفرض تجديد معاهدة السلام ، التي تربط بين البلدين طبقا لنفس شروط المعاهدة القديمة بواسطة القنصل الانجليزي ، لكن الداي رفض هذه الاقتراحات قبل أن تقدم هولندا مؤخر الهدايا و الضرائب إلى إيالة الجزائر ،و الذي يمثل مبلغا ضخما و على إثرها انقطعت المفاوضات بين الطرفين [520].

### أ. حملة اللورد إكسماوث :

في مطلع 1816، قام إكسماوث بمهمة دبلوماسية ، مدعوماً بسرب صغير من سفن متجهة إلى تونس ، طرابلس ، والجزائر لإقناع حكامها بوقف استعباد المسيحيين وإطلاق سراحهم. وقد وافق دايات تونس وطرابلس [521] ،و تم إطلاق الأسرى دون أن يدفع اكسماوث عنهم الفدية [522] ،أما داي الجزائر كان متحجراً في آرائه وكانت المفاوضات معه عاصفة.

اعتقد إكسماوث أنه تمكن من التوصل إلى معاهدة لوقف استعباد المسيحيين وإعادتهم إلى انجلترا ، إلا أنه بسبب تضارب الأوامر ، قامت القوات الجزائرية بقتل 200 صياد من كورسيكا وصقلية وسردينيا ، وكانوا تحت الحماية البريطانية [523] وكانت المذبحة بعد

---

([519]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق، ص ص : 219-236 .

([520]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 149 .

([521]) يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص : 121 .

([522]) شويتام أرزقي،دراسات و وثائق في تاريخ الجزائر العسكري و السياسي (1519-1830) ، ط:1 ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، 2010 ، ص : 150.

([523]) وليام سبنسر ، المرجع السابق ، ص : 191 .

توقيع المعاهدة مباشرة. وقد تسببت المذبحة في غضب عارم في بريطانيا وأوروبا ، ورأى الناس أن مفاوضات اكسماوث باءت بالفشل [524] ، اضافة إلى تخريب المؤسسة التابعة لشركة صيد المرجان ، و اقتيل 800 عامل بها إلى السجن.

وجهت انجلترا حملة عسكرية بقيادة اللورد ايكسموث الذي كان على متن وحدات من الأسطول بحري الانجليزي، و التي غادرت ميناء بليموث في 28 جويلية عام 1816م إلى الجزائر ،و ذلك لمعاقبتها بشدة لأنها حصلت على الموافقة الرسمية من الدولة العثمانية بانزال العقاب الصارم بها [525] .و لما اقترب الأسطول الانجليزي من سواحل الجزائرية عرضت وحدات الأسطول الهولندي بقيادة الاميرال فون كابلان الانضمام إلى اللورد اكسموث [526] ،و سارت القوة المزدوجة البريطانية الهولندية إلى ان وصلت إلى ميناء الجزائر في مساء السادس و العشرون من شهر أوت 1816 م.

صادفت هذه الحادثة دخول الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إدريس [527] مدينة الجزائر المحروسة ،

---

([524]) صالح عباد ، الجزائر خلال الحكم التركي1517-1830 ، دار الهومة للطباعة ، الجزائر ،2007 ،ص 241:

([525]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص605 .

([526])Devoulx (A): Tachrifat , Recueil d notes histiorique sur l'administration de l' ancienne régence d'Alger , Alger, 1852, pp19-20.

([527]) يعتبر الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إدريس بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنلاني. واحدا من أبرز علماء الإقليم التواتي خلال القرن الثاني عشر الهجري . ولد سنة 1181هـ بتنلان وكان عالما في أصول الفقه والتفسير أخذ كل ذلك عن شيوخ عدة نذكر منهم تمثيلا : الشيخ سيدي محمد ، و الشيخ سيدي محمد بن احميد .سافر الشيخ التنلاني إلى فاس وأخذ هناك عن الشيخ سيدي عبد القادر بن شقرون وغيره من أعلام عصره حيث ماتا في يوم واحد وهو يوم الرابع عشر من جمادي الأولى سنة 1221هـ

وإقامته بها الذي أرخ لنا لحادثة تاريخية هامة في تاريخ الجزائر آنذاك، وهي الهجوم الإنجليزي الهولندي على مدينة الجزائر [528] بقيادة اللورد اكسموث ، و بتاريخ عصر الأحد الثامن من شهر شوال سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف (08 شوال 1231هـ/ الموافق 01 سبتمبر 1816 م) ، والتي شاهدها بأم عينه ووصفها وصفا دقيقا حين قال : " فلما كان يوم الأحد من شهر تاريخه عند العصر نزلت سفن عدو الله بدر لنجليز قرب الجزائر في البحر وهي أربعون سفينة ، وكل سفينة فيها مائة مدفع كبير ، كل مدفع عمارته قنطار بارود . ونزلوا بعيدا من المدينة بحيث لا تصلهم الرمية من الجزائر وأقاموا يومهم ذاك وغدهم كذلك ، وفي ضحى صبيحة الثلاثاء [529] بدلوا جميع أعلام سفنهم وجعلوها بيضا بعد أن كانت سودا .والأعلام البيض هي أعلام الصلح والعافية بخلاف السود فهي أعلام الحرب هذا هو اصطلاحهم .

وقبل أن يخوض قائد جيوش العدو معركته مع الجيش الجزائري بادر بمكاتبة قائد الجزائر في محاولة لخداعه واستمالته وتخويفه من نتائج المعركة عليه وعلى جنده. حيث قال القائد النصراني في نص رسالته : " اعلم أني جئتك ناصحا ومصلحا انظر هذا سلطان المغرب أحسن منك نسبا وأقوى مالا وأعظم جندا وأكثر بلادا ، كان مع جميع أجناس النصارى صلحا وعافية، هو على دينه وهم على أديانهم ، وانظر صاحب تونس وهو ضدك و أخوك صلحا مع جميع جنس النصارى ، وصاحب طرابلس كذلك ، كل واحد على دينه ، وكلهم صلحا وعافية وما فيهم من عادى النصارى وكأن الجهاد ما فرض إلا عليك ، ولو كنت عاقلا لاقتَدَيتَ بأمثالك . ولا تظن وإني مثل النصارى الذين تعرفهم وكنت تلاعبهم مثل افرنسيس ،واصبانيول وافلامينك .... وعدد عليه قبائل النصارى، بل

---

([528]) أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر .تحقيق أحمد توفيق المدني .الطبعة الثانية 1168هـ/1246م .ص .117. وكتاب مذكرات وليام شالر .قنصل أمريكا في الجزائر( 1824/1816)،ص: 289.

([529]) لثلاثاء 10 شوال الموافق ل:03 سبتمبر 1816 .

أنا بدْر.... وعندي ألفَي قلاع جئتك منها بأربعين ..... واليوم اترك عنك هذا وأبدله بالصلح ، وإن أبيت عن الصلح فنعم ولكن أخذ الأسارى لايكون بيننا وشاور على هذا نفسك وكبراء دولتك وأجلتك ساعتين." [530] و يشير عزيز سامح في كتابه الاتراك العثمانيون أن الداي رفض إعطاءه جواب نهائي في هذا الصدد و في الثانية و النصف خرج عضو البرلمان البريطاني من الميناء و أعطى إشارة عدم الاتفاق [531].

ويرى الشيخ التنلاني في معرض تعليقه على هذا الخطاب أن الرسالة لم يكن لها معنى أساسا على اعتبار أن القائد النصراني أمهل قائد الجزائر ساعتين فقط للرد وهو ما لم يكن كافيا أمام صاحب الجزائر لتحضير الرد بسبب انصراف أكابر البلد ورؤساء الجند إلى حقولهم لأن الوقت وقت خريف ، وهنا تعجل العدو الدخول فكان ما كان وفي ذلك كله يقول الشيخ سيدي عبد الرحمان بن إدريس في معرض حديثه في رحلته : " ... وبعث بهذا الكتاب مع شاوش له فلما بلغ الكتاب صاحب الجزائر وجد أكابر البلاد ورؤساء الجند مفترقين في الجنانات لأن هذه الواقعة وقعت في فصل الخريف وعادة البلد أن كل من عنده جنان يكون سكنا فيه ذالك الوقت ،فتعطل الجواب على النصراني ودخل بسفنه لداخل مرسى الجزائر وأراد الذين هناك يضربونه بالمدافع فحلف لهم القائد عليهم ويسمى علي قائد المرسى لو مد أحدكم يده للضرب لقطعتها له. قيل إن النصراني رشاه على ذلك بخمسين قنطارا وقيل بخمس وعشرين وقيل بخمسة عشر .

فلما استقر النصراني بوسط المرسى كان أول ما بدأ به أسقط الماء الداخل لشرب البلد وما يتطهرون به ، رمى ساقية الماء بثلاثة مدافع ، ثم وَالَى على المدينة بالبارود وذلك بعد

---

([530]) أحمد جعفري ، **الحملة الإنجليزية الهولندية على مدينة الجزائر1231ه/1816م من خلال مخطوط التنلاني التواتي 1233هـ** ،مجلة " تراث" ، التابعة لهيئة أبوظبي للثقافة والإعلام ،مدينة العين الإمارات العربية المتحدة ، العدد 131، أغسطس 2010، ص : 140.

([531]) عزيز سامح الترا، المرجع السابق ، ص : 608 .

صلاة الظهر وقيل العصر فلم يزل يواليه عليها حتى قرب نصف الليل ومدة ذلك على التدقيق إحدى عشر ساعة غير سدس بالمكانة المحققة وعدة الكور الذي رمى بدر إحدى وأربعون ألف كورة على ما أخبر به شاوشه الذي عقد الصلح مع صاحب الجزائر. وبعد استقراره بالمرسى وتمكنه أحرق جميع سفن الجزائر وهي أربعة عشر سفينة كبار جدا ، فثلاثة عشر أحرقها حتى لم يبق لها أثر والربعة عشر بقي شيء منها [532] ولم تكن هذه المشاهد الأليمة والمفجعة جميعها لتمر أمام أعين الكاتب سيدي عبد الرحمان دون أن تتحرك لها مشاعره وتتدفق أحاسيسه ، فيترك العنان لخياله ليصف لنا جلل المصيبة وأثرها على نفسية كل مسلم "... وحرقه للسفن هو أعظم نكاية لم يبق فوقها نكاية ، وصارت تلك الليلة في الجزائر مع نهارها سواء ، ولولا شدة المبالغة لقيل ضوء تلك الليلة أشد من ضياء شمس نهارها ، ويالها من ليلة شابت فيها الولدان وأسقطت فيها الحوامل واشتد فيها البكاء والعويل وعظم فيها الكرب والهم والغم فوق ما يوصف ولا يخطر ببال ولا يقدر على الحقيقة شاعر ولا عاقل ولا فقيه ولا مداح ولا فصيح يصف هذه الواقعة بوصفها الحقيقي. ولا أدري بما أشبهها أمثل خرير الواد الكبير أو مثل الرحى أو مثل نزول البَرَد لا أدري ما يشبه ذلك وغايته أنه مثل الرعد القاصف من أول بدايته إلى نهايته متصلا كأنه مدفع واحد ، فلما كان نصف الليل نادى النصراني بالبيات إلى الصباح ، نادى في بوقه بعجميته حتى نصبح فسكت البارود ، فلما كان بعد صلاة الصبح نادى لعنه الله في بوقه نزيد في الحرب أم يكفينا هذا .

وعلم صاحب الجزائر أنه لا طاقة له به ولا بحربه فطلب منه العافية فأجابه إليها على شروط أولها أن يرد إليه كل أسير عنده وهم يحسبون عنده في زمامه ثلاثة عشر مائة أسير

---

([532]) أحمد جعفري ، **الحملة الإنجليزية الهولندية على مدينة الجزائر1231ه/1816م من خلال مخطوط التنلاني التواتي 1233هـ** ،مجلة " تراث" ، التابعة لهيئة أبوظبي للثقافة والإعلام ،مدينة العين الإمارات العربية المتحدة ، العدد 131، أغسطس 2010، ص : 140

واثنين وثلاثين أسيرا ، منها من قبيلة كذا وكذا ومن قبيلة كذا كذا وكذا وهكذا . وإن بقي أسير واحد فلا عافية . وثانيها أن النصارى خذلهم الله كانوا عام أول فادوا بعض أولادهم من أصحاب الجزائر وعددهم أحد عشر مائة أسير كل أسير بألف أريال دُرُ الكبير فشرط عليه أن يرد عليه جميع ما وقع به الفدى من الريال وإن بقي شيء من ذالك فلا عافية . وثالثها أن يطلق صاحب الجزائر لهم وهران وعنابه يكيلون منها الزرع ولا يدخل الأتراك بين النصارى وأرباب الزرع أهل الفلاحة في ذلك ." **(533)**

أمام هذا الوضع انخدعت البحرية الجزائرية بالراية البيضاء التي كانت تحملها السفن البريطانية ، التي تركتها تدخل ميناء الجزائري . ليتم بهذه الخدعة بقنبلة الأسطول البحري الجزائري بالمدفعية ، فألحقت بالجزائر أضرار جسيمة كما تحطمت في هذه المعركة عدة تحصينات ، و أضرمت النار في جميع البواخر الجزائرية الراسية في الميناء **(534)** ،كما بلغ عدد الضحايا حوالي خمسمائة جندي أما عدد القتلى من الأهالي فقدر بسبعين شخصا **(535)** و كنتيجة حتمية للأمر أجبر الداي عمر باشا على قبول شروط مؤتمر فينا .و التي كانت من بين نتائجه :

- وضع حد لاسترقاق المسيحين .
- إطلاق الأسرى المسيحيين و الذي يبلغ عددهم 1200 أسير .
- دفع تعويضات للأسر المسيحية التي افتدت أبناءها **(536)**.

---

(533) أحمد جعفري ، المرجع السابق ،ص : 142- 144 .

(534) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص ص : 262 ، 263 .

(535) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 609.

(536) Devoulx ¸ ibid¸p20

و الأمر الملفت للانتباه هو أن الانجليز استغلوا مؤتمر فيينا لخدمة مآربهم ،و لم يطالبوا بالمطلب الرئيسي هو وضع حد للقرصنة ،لأنهم كانوا يسعون إلى عرقلت التجارة الأروبية عامة و تجارة فرنسا خاصة [537].

إذا كان مؤتمر فيينا قد أدان تجارة الرقيق الأسود و ضمن حرية الملاحة في الأنهار العابرة عدة دول أو تشكل حدا سياسيا ، فإن همه الأكبر كان إعادة بناء توازن واسع بين الدول و الإمبراطوريات الأوروبية [538] ولكن هذا التقسيم ، الذي ضمن السلم للقارة العجوز الرازحة تحت الحكم المطلق على امتداد أربعين سنة ، غذى بداخله بذور فنائه . فكل المفاوضات و المحادثات جرت على حساب حقوق القوميات أو المذاهب الدينية . إذ ضمت شلزويغ بالقوة للدانمرك ، وأخضع الكاثوليك البلجيكيون لملك هولندي بروتستانتي المذهب و قسمت تقسيم إيطاليا و فككت ألمانيا [539].

بعدما تم انعقاد مؤتمر اكس لاشبيل تم إبلاغ الداي حسين بالالتزام بهذه القرارات ،و الذي أجاب على أنه لا يستطيع أن يتخلى عن حقه في التعرف على البواخر الأجنبية ل،أنها هي الوسيلة الوحيدة للتعرف على البواخر العدوة من الصديقة [540].

قرر الداي في أكتوبر1823 م القاء القبض على أبناء القبائل كرد فعل على الثورة التي نشبت في القبائل [541] ، و كان هناك عدة مستخدمين من أبناء القبائل يشتغلون في

---

([537]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص : 264.

([538]) وليام شالر، المصدر السابق ، ص: 145 .

([539]) عبد العظيم رمضان ، تاريخ أوروبا و العالم الحديث من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة ،ج 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ص : 19-20 .

([540]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص : 267 .

([541]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 622 .

القناصل الاجنبية ،فعمدت القنصلية الفرنسية و الهولندية إلى إنذار مستخدميها بالأمر و تركت لهم حرية القرار [542].

أما القنصل الانجليزي أراد أن يحمي مستخدميه محتجا بالحصانة القنصلية ،و رفض تسليمهم ، فهجم مترله و تم القبض على مستخدموه حيث تسبب هذا الحادث في قطع العلاقات بين الجزائر و انجلترا وعودة القنصل إلى بلده [543].

بعد بضع أسابيع من الحادثة و بالضبط في كانون الثاني سنة 1824 م ، في 23 شباط قدم الاميرال الانجليزي السير " هاري نيل " على رأس 23 باخرة ، يطلب تعويضا عن الإهانة التي لحقت بانجلترا في شخص القنصل و يطالب بغرامة مالية كبيرة ، و بالاعتراف بهيمنة بريطانيا على كل الدول الأخرى ، لكن الداي رفض هذا المطلب و على إثرها انصرف الأميرال [544] و الذي عاد مرة ثانية في 22 مارس 1824 م و انصرف كما جاء دون أن يتحصل على طائل [545] و رجع مرة أخرى في 12 جويلية من نفس السنة بعد أن صدرت إليه الأوامر بضرب العاصمة ، و استمر إطلاق النار إلى يوم 29 جويلية و هو يوم انصرافهم بعد أن نفذت لهم الذخيرة [546].

كما منيت هذه الحملة بالفشل الذريع لأن القصف كان بعيدا عن المدينة ،و تم التصدي لها، [547] و يشير مولود قاسم نايت بلقاسم إلى وجود غارتان عام 1825 م ، و اللذان رد عليهما الداي بتعال و لاذتا بالفرار و لم تعد بريطانيا بعد ذلك [548].

---

([542]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص : 268 .
([543]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 622 .
([544]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ،ص : 268.
([545]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ،ص : 210.
([546]) مبارك الميلي ، المرجع السابق ، ص : 268.
([547]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 623 .

تحالف الأوروبيون ضد الجزائر في مؤتمر فيينا و ذلك لوضع حد نهائي لأعمال القرصنة البحرية الجزائرية في البحر الأبيض المتوسط ، و استرقاق المسيحيين، و تسريح البحر الأبيض المتوسط للتجارة الحرة، و الاعتراف بأولوية انجلترا في التعامل مع القنصليات الأجنبية في الجزائر،و الجدير بالذكر أن حملة اكس ماوث كان ظاهرها تنفيذ لإرادة الدول الأوروبية و باطنها رغبة بريطانيا في فرض سيطرتها على البحار للاستحواذ على طرق المواصلات و الحفاظ على مصالحها التجارية ، بعد أن فقدت مستعمراتها في القارة الأمريكية .

## ب.الحصار الفرنسي والحملة على الجزائر ( 1827 – 1830 م ) :

امتازت العلاقات الجزائرية الفرنسية في عمومها بطابع الأهمية والخصوصية التي حضيت بها منذ الدولة دون غيرها من الدول الأوروبية ، وقد تطورت هذه العلاقات فكانت أفضل ماتكون في عهد الثورة الفرنسية ، حين اعترفت الجزائر بالجمهورية الفرنسية الجديدة ، في الوقت الذي كانت تعاني فرنسا من وطأة الحصار الأوروبي المحكم [549] ،والذي أصابها بانهيار إقتصاد كبير ومجاعة قاسية ، وأكثر من ذلك قامت حكومة الجزائر بإقراض فرنسا مبالغ مالية لتأمين شراء الحبوب وفتحت باب تصدير القمح الذي كان محظورا من قبل في عهد الداي محمد بن عثمان باشا .

وقد عبرّ عن موقف الجزائر الدّاعم لفرنسا خلال هذه الفترة الداي حسين في رسالة وجهها إلى محافظة العلاقات الخارجية الفرنسية بتاريخ 16 جوان 1795 م : " لن نرد أي طلب للجمهورية يكون في متناولنا المواد المعشية والخيول الجيدة ، هذه هي منتوجاتنا

---

([548]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق ، ص : 214.

([549]) أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ( بداية الإحتلال ) ، ط3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 م ، ص : 13

فالصديق الحقيقي هو ذلك الذي يظهر وقت الحاجة ... نحن على استعداد لأن نمدكم بالحبوب والمواد المعشية وباختصار كل ما تطلبوه منا " [550] .كانت عملية التموين تتم بطريقة مباشرة بين البلدين ، فتقوم الشركة الفرنسية المعنية ( الشركة الملكية ثم خليفتها الوكالة الوطنية الفرنسية ) بدفع الثمن إلى الحكومة الجزائرية بشكل مباشر ، ثم غير فرنسا طريقة الدفع أثناء حكومة المؤتمر، فلجأت إلى التاجرين اليهوديين بكري وبوشناق [551] ليقوما بالدفع بدلها إلى الحكومة الجزائرية [552] .

وقد توفرت الظروف لهؤلاء اليهوديين ليلعبا على حبل العلاقات السياسية والاقتصادية بين البلدين ، أين ازدهرت شركتهما وحققت أرباحا خيالية نظرا الارتفاع الفاحش لسعر الحبوب ، وتجدر الإشارة إلى أنه برغم من منع حكومة الجزائر رخصا للتجار الفرنسيين من أجل تصدير القمح ، إلا أنهم لاقوا صعوبة في ذلك بسبب الضغط الأوروبي في البحر المتوسط والحصار المفروض عليهم ، وبالتالي وجدت الشركة اليهودية فرصتها لإحتكار تجارة منتوج الحبوب خاصة وأنها كانت مضمونة التنقل لرفعها العلم الجزائري الذي يضمن لها الحماية في ظل هذا الصراع القائم [553].

بما أن الحكومة الفرنسية كانت عاجزة عن تسديد فواتير الإسترداد بسبب عجز خزينتها وتدهور اقتصادها ، تضاعفت ديونها تجاه اليهوديين الجزائرين اللذان كان بدورهما مدينان للدولة الجزائرية ، ومن هنا ارتبطت مسألة الديون بين اليهود وفرنسا بمسألة ديون

---

([550]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص : 106 .

([551]) بكري وبوشناق :كانا من أسرة لها تجارة في الخارج حققا معا ثروة طائلة ساعدهم في تكوينها النظام الفاسد للحكم أواخر العهد العثماني **انظر** : أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 14

([552]) محمد بن سعيدان ، المرجع السابق ، ص : 65 .

([553]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص : 107 .

اليهود للخزينة الجزائرية ، وهذا ما جعل المسألة تتحول إلى قضية حساسة بين دولة ودولة. [554]

نقول إذن أن أحد الأسباب الهامة التي سبقت الحصار ثم الحملة ، كانت المطالبة التي تقدمت بها الحكومة الجزائرية للحكومة الفرنسية فيما يخص ديونا يرجع تاريخها إلى الثورة الفرنسية قبل عهد الإمبراطورية ، والتي ترتبت عن تزويدات هائلة بمادة الحبوب كما أسلفنا بالذكر ، ولكن تماطل فرنسا في دفع المستحقات المالية جعلت المسألة تتجه إلى التأزم أكثر فأكثر [555] .

وبسقوط حكومة نابليون سعت حكومة الملك اللويس الثامن عشر البوربني إلى إعادة العلاقات مع الجزائر إلى ما كانت عليه من قبل ، فعملت الحكومة الفرنسية على تعين قنصل جديد لها في الجزائر هو " بيير دوفال " لكي يعمل على طمأنة الجزائر والتعبير لها عن إستعداد فرنسا لحل المشاكل العالقة ، ومن بينها مشكل الديون وكان دوفال هذا معروفا في كل موانئ البحر المتوسط بأنه شخص فاسد ورجل دسائس ومؤامرات أكثر منه رجل دبلوماسي ، وكانت سمعته سيئة في أوساط الجزائر ومرسيليا ، وسوف يلعب أدوارا خطيرة في العلاقات بين بلده والجزائر [556] كما قامت حكومة لويس الثامن عشر بتحديد قيمة الديون المترتبة بقرار 28 أكتوبر 1819 م وفق إتفاقية عقدت بين البلدين وأتفق الجانبان بموجبها على أن مبلغ الدين هو سبعة ملاين من الفرنكات الذهبية [557] .

---

([554]) المرجع نفسه ، ص : 108

([555]) جمال قنان ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث ( 1500 – 1830 م ) ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، 2010 م ، ص : 352

([556]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 241 .

([557]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ، ج2 ، المرجع السابق ، ص : 208

ولما طال أمد تسديد الديون وتبين لليهود أن تسوية القضية لا تزال بعيدة المنال شرعوا في مفاوضات مهلكة ، فوقعوا سندات بمائة ألف فرنك وتنازلوا عنها بعشرين ألف لأن المهم عند هؤلاء هو الحصول على المال ، وفي هذه الأثناء تقرب بكري من قنصل فرنسا دوفال ووعده بمبلغ هام إن هو عمل على إسراع التصفية في باريس ، ويزعم البعض أنه أعطى المال نقدا إلى القنصل المذكور ، ويقول آخرون بأن القنصل لم يحصل إلا على الوعود ويقول حمدان خوجة عن نفسه ، أني لا أعرف شيئا إيجابيا عن هذا الموضوع ، وعليه فإني أكتفي بما سمعته من الناس ولكني أعرف أن كثيرا من المناورات وقعت بشأن هذه القضية حتى أن حسين باشا قرر أن يرسل بنفسه إلى الحكومة الفرنسية للإسراع بالتصفية دون أن يعلم بأن أعمال غير لائقة قد تمت في هذا الموضوع وأن السبب الوحيد الذي جعله يقبل التدخل في هذا الموضوع ، أن بكري كان جزائريا وأنه مدين لخزينة الإيالة ، فكان الباشا يأمل بعمله هذا أن يسترجع أموال الدولة [558].

واصل الداي حسين مطلبه حول تسديد الديون أين أرسل عدّة برقيات إلى الحكومة الفرنسية ، لكن دون ردّ منها جاهلا أن هذه الأخيرة لم تطلع على أي واحد من مطالبه المختلفة [559]، بعدها قام الداي بمكاتبة الملك الفرنسي نفسه ، لكنه لم يحصل على أي رد كذلك ، يقول الشريف الزهار : " إن الداي كلم القنصل الفرنسي عن الديون كما كلمه عن البناء الذي أقامه الفرنسيون في القالة ووضعوا به المدافع وسلم له كتابا إلى الملك الفرنسي ،وقد أجاب القنصل الفرنسي دون أن يجيب الداي ، وأمر الملك قنصله بتبليغ

---

([558]) حمدان بن عثمان خوجة ، المرآة ، تقديم وتعريب وتحقيق : محمد العربي الزبيري ، منشورات anep ، الجزائر ، 2005 م ، ص : 177

([559]) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص ص : 352 ، 353 .

الداي أن الملك لن يرد على خطابه ، فإن أراد شيئا لا يكتب إليه بل يكلم القنصل إلا أن القنصل لم يبلغ الداي بالخبر " [560].

تطورت مسألة الديون وبلغت ذروتها مابين ( 1820 و 1826 ) ، ومما زاد في تعكير الوضع سوء العلاقة بين الداي والقنصل دوفال الذي تبين تورطه في الكثير من المسائل ، وانتهى تصرفه الطائش في النهاية إلى ما يعرف بحادثة المروحة فكيف جرت حيثياتها ؟

جرت العادة يقوم قناصل الدول الأوروبية المعتمدين لدى الجزائر بزيارة إكرام إلى الداي بمناسبة عيد الفطر ، وكان القنصل الإنجليزي والفرنسي يتنافسان الصدارة في هذه المناسبات ولذلك وتجنبا لكل مناقشة ، قرر الداي أن يستقبل الواحد عشية الإحتفال والآخر في يوم العيد نفسه ، وعلى هذا الأساس جاء السيد دوفال عشية عيد الفطر المصادف ليوم 29 أفريل 1827 م ليؤدي زيارته للداي بمحضر جميع أعضاء الديوان ، وبعد الحفل سأل الباشا القنصل لماذا لم تجبه حكومته عن برقياته العديدة الخاصة بمطالب بكري ، فكان جواب دوفال في منتهى الوقاحة إذ جاء كالآتي : " إن حكومتي لا تتنازل لإجابة رجل مثلكم " ، فلم يتمالك الداي نفسه من الغضب وضربه بالمروحة ضربة واحدة [561] .

وفي رواية عن الداي نفسه من خلال الرسالة التي وجهها إلى الصدر الأعظم بتاريخ 19 ديسمبر 1827 م يقول : " أنه سأل القنصل دوفال لماذا لا يصلني أي رد عن الرسائل الموجهة لحكومتكم ؟ فأجابني القنصل بعبارات مهينة ، أنه لا يمكن للملك ودولة فرنسا إرسال أجوبة للرسائل التي وجهتها إليها وتجرأ على إضافة كلمات مشينة عن الدين

---

( [560]) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص ص : 163 ، 164 .

( [561]) محمد بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص : 142 .

الإسلامي وجلالة السلطان ، وبما أنه لا يسعني تحمل تلك الاهانة التي تتجاوز الحد المعقول ضربته مرتين أو ثلاثة ضربات خفيفة بالمروحة التي كانت في يدي" [562] .

كان رد فرنسا على ذلك بإرسال قطعة من أسطولها أمام الجزائر بقيادة القبطان " كولي " وقد وصلت القطعة يوم 12 جوان 1827 ، وصعد القنصل دوفال إلى السفينة المسماة لابروفانس ، وجاء كولي يطلب من الباشا أن يأتي شخصيا إلى السفينة ويعتذر من القنصل ولما كان معروفا أن الباشا لن يرضى بذلك ، فقد اشتملت تعليمات كولي على مطالب أخرى هي :

- أن يستقبل الباشا القبطان ورئيس أركانه والقنصل بمحضر الديوان والقناصل الأجانب ويعتذر أمامهم إلى دوفال [563].
- أن يرسل الداي وفدا إلى الباخرة لابروفانس لتقديم اعتذار رسمي عمّا حصل للقنصل ويتكون الوفد من وكيل الحرج ووزير البحرية وضابط الميناء وهيئة الكتاب الأربعة .
- أن تطلق المدافع 100 طلقة تحية له .
- يرفع العلم الفرنسي على قصر الداي وأبراج وحصون المدينة .

تقضي هذه التعليمات أنه في حال عدم استجابة الباشا لواحد من الإقتراحات المذكورة يعلن الحصار رسميا على الجزائر ، وقد سلّم هذا الإنذار إلى الداي من طرف قنصل سردينيا الكونت " داتيلي " الذي أصبح يرعى المصالح الفرنسية في الجزائر بعد انسحاب دوفال [564].

---

([562]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص : 131 .

([563]) أبو القـــــاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 24 .

([564]) عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص : 631 .

كان رد الداي على داتيلي : " أتساءل لماذا لا يطلب الفرنسيون مني زوجتي كذلك " وبعد انقضاء مهلة 24 ساعة ، أعلن كولي الحصار في 15 جوان 1827 م أما الداي حسين من جهته كاتب باي قسنطينة بالاستلاء على المؤسسات الفرنسية وتدميرها .

**فرض الحصار :**

كانت فرنسا عازمة على تطبيق قرار فرض الحصار، وما حادثة المروحة إلا مبرر وذريعة مفتعلة ، ويظهر ذلك من خلال الشروط التعجزية المسطرة من طرف الجنرال كولي والتي كانت الحكومة الفرنسية عى علم مسبق أنها سترفض جملة وتفصيلا ، وعند رفض الداي لهذه الشروط تقرر الحصار يوم 15 جوان 1827 .

وضعت فرنسا بندها أن الداي سيتراجع ويرضخ ، ولهذا أمرت دوفال بأن يبقى على ظهر السفينة لابروفانس على أمل أن يستجيب الداي للمطالب ، إلا أن هذا الأخير رفض رغم الحصار الذي دام 3 سنوات ، مكلفا فرنسا خسائر مالية فادحة [565] ، هذا الحصار الذي لم يهتم به الداي حسين ، كما لم يهتم به سكان مدينة الجزائر بالنسبة للسفن الفرنسية الراسية على السواحل الجزائرية ،والتي قامت بالحصار البحري موجهة مدافعها صوب المدينة ، لأنهم اعتادوا على الحمالات الأوروبية والاعتداءات المتواصلة على الجزائر والتي هاجمت السواحل خلال السنوات الماضية ، فأعتبروا الحصار البحري الفرنسي مجرد حربية سرعان ما تزول وترحل كسابقاتها تجر أذيال الخيبة والهزيمة [566] ومن أهم أسباب الحصار الفرنسي للجزائر :

---

([565]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص : 136 .

([566]) عمار هلال ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصر ( 1830 – 1966 م ) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995 م ، ص ص : 137 ، 138

- اعتقاد فرنسا أن الجزائريين سيستسلمون بسهولة، آخذة الحسبان الظروف الصعبة التي مرت بها الإيالة من كوارث طبيعية ابتداءا من القرن ،18 والتي أفقدت الجزائر أكثر من نصف سكانها .
- الوضع الذي كانت تعيشه فرنسا قبيل الحصار من فوضى واضطرابات سياسية واجتماعية فظنت أن الحصار سيشغل الرأي الفرنسي خاصة إذ انتهى بالإنتصار .
- استعادة فرنسا لهيبتها التي فقدتها في مؤتمر فيينا [567].

كانت عدة الأسطول المحاصر للجزائر يتكون من 12 سفينة ،كانت تقوم بمراقبة الموانئ الجزائرية، وكانوا يوقفون بعض السفن المشبوهة ويحتجزون بعض السفن الأخرى ، ولكن هذا الحصار لم ينه عمليات القرصنة نهائيا ، ففي 3 أكتوبر وقعت معركة بين الأسطول الجزائري المكون من 12 سفينة والأسطول الفرنسي ، وقد دامت المعركة حوالي 4 ساعات و لم تسفر عن أي نتيجة بين الطرفين [568].

كانت تكاليف الحصار باهضة سواءا من حيث تكاليف الأسطول والبالغة قيمتها سبعة ملايين فرنك سنويا ، أو من حيث الخسائر التي لحقت بالتجارة الفرنسية أو من حيث الخسائر البشرية أيضا [569] ،كل ذلك جعل فرنسا تفتح باب المفاوضات مع الجزائر هادفة بذلك إلى إلغاء الحصار بصورة مشرفة ، ففي يوم 29 أفريل 1828 م ذهبت إلى الجزائر بعثة للتفاوض بقيادة الضابط " بيزار " ولكنها فشلت بسبب رفض الداي دفع تعويضات لفرنسا ، وقد تلتها عدة مفاوضات أخرى باءت بالفشل .

ونظرا لوجود معارضة قوية في البرلمان والخسارة الاقتصادية الكبيرة التي تسبب فيها الحصار ، وكذا الظروف الدولية الحاصلة قررت الحكومة الفرنسية أن تفاوض من جديد

---

([567]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص ص : 137 ، 138 .
([568]) أبو القـــــاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 27 .
([569]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 244 .

سنة 1829 م ، فأرسلت القبطان " دين يرسيا de nerciat " إلى الجزائر في مهمة نحو الباشا حسين على أن يفتح طريق التفاوض لقائد الحصار الجديد " بريتونيير " الذي خلف كولي بعد وفاته ، وتم الإجتماع بين الباشا وقائد الحصار ، ولكن النتيجة كانت سلبية فقد طلب قائد الحصار من الباشا إرسال وفد سامي إلى باريس للإعتذار والتفاوض ، ولكن الباشا رفض وأمر على عقد الصلح قبل إرسال الوفد [570].

أثناء عودة سفينة قائد الحصار " لابروفانس " بعد الخيبة في المفاوضات أبحرت باتجاه فرنسا ، وبدلا من تأخذ طريقا مباشرا مالت كثيرا إلى الساحل واقتربت من التحصينات الحربية حتى ظن بعض القادة الجزائريين أنها تتجسس عليهم ، فأمر بإطلاق النار حولها لتبتعد و لم يكن الغرض هو تدميرها ، وإلا لما تعذر ذلك لأنها كانت قريبة جدا من مرمى المدفعية [571] ،وثم وصلت أنباء قصف الجزائريين للسفينة لابروفانس إلى الملك شارل العاشر فأغتاظ للأمر ، رغم اعتذار الداي وعزله للوزير ورئيس المدفعية [572] .

خلال هذه الفترة سقطت حكومة " مارتينياك " وخلفه " بولونياك " الذي اعتقد أنه سيجد حلا للمشكلة وذلك بتجريد حملة برية وعسكرية من الجزائر مع إشراك " محمد علي "حاكم مصر ، لكن هذا الأخير طلب من فرنسا أن تقرضه 20 مليون فرنك تدفع خلال عشر سنوات ،وأن تمنحه أربع بوارج حربية هبة كي يسعى للسيطرة على طرابلس وتونس والجزائر [573].

فشل هذا المشروع نظرا لهذه الشروط الباهضة التي فرضها محمد علي على فرنسا ، وكذا التخوف من بريطانيا والدولة العثمانية لمنع وصول الأسطول إلى الجزائر ، وعلى

---

([570]) أبو القـــــاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 29 .

([571]) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص : 146 .

([572]) المصدر نفسه ، ص : 146 .

([573]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 245 .

حسب الوثائق العثمانية أن شارل العاشر رفض أن تكون السفن الفرنسية تحت راية ملة أخرى ، وبهذا الرفض الملكي انقطعت المباحثات بين الطرفين ، وسعت فرنسا إلى تنفيذ حملتها على الجزائر بنفسها [574].

### ج. الحملة الفرنسية على الجزائر :

بعد الحصار الفرنسي على الجزائر والذي دام ثلاث سنوات ( 1827 م – 1830 م ) ،سحبت فرنسا سفنها بعدما لم تحقق النتائج المرجوة منها ، وقد كلفها الحصار خسائر مادية دون الحصول على اعتذار من طرف الحكومة الجزائرية ، فقررت ارسال حملة عسكرية إلى الجزائر في 31 جانفي 1830 م لإحتلالها بشكل مباشر ، وكانت أهداف الحملة حسب القنصل الفرنسي في لندن الدوق دوفال الذي صرح بها يوم 12 ماي 1830 م ،بأنها ترمي بشكل خاص إلى القضاء على القرصنة والإسترقاق في المتوسط ، وكذلك للتخلص من دفع الضرائب والإتاوات التي كانت تدفعها الدول الأوروبية نظير مرورها في البحر المتوسط تحت حماية الأسطول الجزائري ، وطبعا حسب ماقال بأن الحملة تهدف إلى تأديب الجزائر واسترجاع شرف فرنسا. [575]

وبعد ان تقررت الحملة عملت فرنسا على إقناع الرأي العام الداخلي والعالمي ، فأجرت عدة مباحثات واتصالات مع الدول الأوروبية تشرح لهم الدوافع التي أجبرت فرنسا على اتخاذ ذلك ، وكان الفرنسيون قد وضعوا خطة محكمة وجيدة ، فأظهرت روسيا تأيدها للعمل الفرنسي وشجعتها على ذلك ، أما بروسيا والنمسا فكانتا مسرورتين لذلك [576].

---

([574]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص : 147.

([575]) وليام شالر ، المصدر السابق ، ص : 147 .

([576]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص : 637 .

كما قبلت إسبانيا استعمال موانئها وإقامة مستشفى في ماهون بالبليار لعلاج المرضى والجرحى [577]، ولم تعترض سوى إنجلترا مخافة مصالحها بالبحر المتوسط وشمال إفريقيا ، فسعت جاهدة للتأثير على الجزائر وإسطنبول وأيضا باريس من أجل إيقاف هذا العمل الحربي ، أما فيما يخص دول الجوار تونس والمغرب الأقصى فقد أيدتا الحملة ضد الجزائر ، فباي تونس كان طامعا في أراضي الشرق الجزائري ، كما منع مرو " طاهر باشا " مبعوث السلطان إلى الجزائر عبر أراضيه وسمح أيضا بتموين الحملة من موانئه ومنع مرور البارود والجند الأتراك [578] ،وتوج أعماله بإرسال وفد لتهنئة " ديبرومون " بعد أن أطاح هذا الأخير بالحكومة الجزائرية ، أما المغرب الأقصى فكان مثل تونس طامعا في التوسع نحو غرب الجزائر وسمح بتموين الحملة من موانئه .

أما الدولة العثمانية فقد سعت جاهدة من أجل إيقاف الحملة ، فأرسلت " خليل أفندي " إلى الجزائر من أجل إيجاد حل للنزاع القائم بين البلدين ، إلا أنه لم يوفق فقرر الباب العالي إرسال مبعوث ثان هو " طاهر باشا " ومنحه صلاحيات واسعة في معالجة المسألة الجزائرية الفرنسية [579]، ولكن هذا الأخير منع من الدخول إلى الجزائر من طرف الفرنسيين دون حصوله على رخصة للمرور من طرف قائد الحصار ، لأجل ذلك غير طاهر باشا وجهته وقرر أن يدخل الجزائر عبر أرض تونس ، إلا أن باي تونس رفض ذلك خوفا من القوات الفرنسية وعلى إثر هذا الموقف الرافض اضطر طاهر باشا بالتوجه إلى

---

([577]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 246 .

([578]) أحمد بن أبي الضياف ، المصدر السابق ، ص : 213 .

([579]) عبد الرحمان نواصر ، المرجع السابق ، ص ص : 149 ، 150 .

فرنسا لمناقشة الوضع ، إلا أنه فشل أمام إصرار فرنسا في إرسال الحملة ، فرجع طاهر باشا إلى إسطنبول دون تحقيق أهدافه [580] .

باشرت فرنسا عملها الفعلي في الإعداد للغزو ، فبعثت الجنرال " بورمونت " قائدا عاما للجيش والأميرال " دوبري " قائدا للأسطول ، وقد تطلب الإعداد المادي حوالي 3 أشهر حشدت فيها كافة الإمكانيات اللازمة ، فبلغ عدد الجيش 30 ألف جندي و 4 ألاف حيوان [581]، وأصبح العتاد جاهزا في الأيام الأولى من شهر ماي أين تجمعت في ميناء طولون ومرسيليا حوالي مائة بارجة تمتلكها الدولة وخمسامائة سفينة تجارية ، كما جمعت كميات ضخمة من الملابس والخيام والأغطية والأغذية ، وكمية ضخمة من الخراطيش بلغت 5 ملاين خرطوشة و 280 ألف كلغ من البارود [582] ،وقد تم إحصاء أكثر من ألف وخمسين مدفعا محملة على سفن الأسطول .

كانت انطلاقة الحملة من ميناء طولون الحربي يوم 25 ماي 1830 م ووصلت طلائعها إلى الجزائر في أوائل شهر 1830 م ، فنزل الجنود بشاطئ " سيدي فرج " في 14 جوان دون أي مقاومة تذكر ومكثوا هناك 4 أيام في انتظار إمدادات أخرى. [583]

كان الداي حسين على علم بتفاصيل الحملة ، ولكنه اعتقد بأنها ستكون بحرية شأنها شأن باقي الحملات الأوروبية السابقة ، ومادامت الواجهة البحرية محصنة فلا خوف من عواقبها واعتقد أن الفرنسيين سيجنحون للتفاوض نظرا لكثرة مراسلاتهم السابقة [584]

---

([580]) سفيان صغيري ، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر ( 1671 – 1830 م ) ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة 2011 / 2012 م ، ص : 170

([581]) عزيز سامح ، المرجع السابق ، ص ص : 638 ، 639 .

([582]) صالح عباد ، المرجع السابق ، ص : 247 .

) عمار عمورة ، موجز في تاريخ الجزائر ، ط1 ، دار الريحانة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2002 م ، ص : 14[583])

([584]) أبو القـــــاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 36 .

،وهذه الثقة هي التي منعته من تحصين سيدي فرج ، يقول حمدا خوجة : " في سيدي فرج لم تحضر المدفعية و لم تحفر الخنادق " [585] ضف إلى ذلك تعينيه للآغا إبراهيم مكان الآغا يحي الذي أعدم سنة 1828 بعد وشاية مفادها أنه يخطط للإنقلاب ضد الداي والحصول على السلطة [586] .

تولى صهر الداي الآغا إبراهيم مهمة قيادة الجيش في أوت 1829 م ، إلا أنه لم يكن بالقائد الكفئ ، حيث يقول عنه الزهار : " لم يكن قائدا ممتازا في يوم من الأيام و لم يعرف الشيئ الكثير عن التكتيك الحربي ، فقد كان مثل الحمار لا يعرف إلا الأكل والنكاح "، [587] بل أكثر من ذلك ، فبالإضافة إلى عدم قيامه بالإستعداد للحرب كان معارضا لمقترحات زملائه أمثال " الحاج أحمد " باي قسنطينة الذي نصحه بعدم تعريض الجيش كله إلى لقاء العدو ووجوب مقاومة العدو في حرب مناوشات وليس بحرب مواجهة ، إلا أن رد الآغا إبراهيم كان سلبيا ومثبطا ، فأجاب الباي بأنه لا يعرف التكتيك الحربي الأوروبي الذي يخالف التكتيك الحربي العربي [588].

لم يأخذ الآغا إبراهيم بنصيحة أحمد باي ، فكانت الهزيمة في اسطوالي يوم 19 جوان 1830 م يقول حمدان خوجة : " عندما وقعت هزيمة أسطوالي غادر الآغا المعسكر وكله يأس كما لو أنه فقد رأسه ، لقد ترك كل شيئ الخيم فرق الموسقى و جيشه بأكمله و لو أن دوبرمون سير جيشه في ذلك اليوم إلى حصن الإمبراطور لما لقي أية صعوبة " [589].

---

([585]) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص : 190 .
([586]) أبو القـــــاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 37 .
([587]) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص : 88 .
([588]) أبو القـــــاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص : 38 .
([589]) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص : 196 .

وبعد هزيمة اسطوالي اجتمع الداي بالبايات واتفق على تحصين حصن الإمبراطور " البرج مولاي الحسن " لمواصلة المقاومة ، إلا أن كثافة العتاد الفرنسي وقوة مدفعيته حالت دون انتصار الجزائريين ، يقول الزهار : " نصبت فرنسا مايزيد عن 200 مدفع وصارت تضرب الحصن وتهدم البرج وصار قتال كبير مات خلاله خلق كثير من الفرقين " (590) وانتهت المقاومة بعد سقوط حصن الإمبراطور يوم 4 جويلية فلم يبق للسلطة الجزائرية سوى أحد الأمرين ، إما مواصلة المواجهة و إما الاستسلام ، وكان الاستسلام قرار الداي الذي وقع عليه وفق معاهدة 5 جويلية 1830 م والتي تضمنت مايلي :

- تسليم القصبة وكل الحصون التابعة للجزائر وكذلك ميناء هذه المدينة للقوات الفرنسية هذا الصباح على الساعة العاشرة .
- يتعهد القائد العام للجيش الفرنسي لسمو داي الجزائر بأن يترك له حريته وكذا كل ثروته الشخصية .
- يستطيع الداي أن ينسحب مع عائلته وكل ثرواته الشخصية إلى أي مكان يختار الإستقرار فيه مادام مقيما في الجزائر ، فإنه يكون هو وعائلته تحت حماية القائد العام للجيش الفرنسي وستقوم فرقة من الحرس بضمان أمنه وعائلته .
- يؤمن القائد العام لجميع أفراد الميليشيا نفس الامتيازات ونفس الحماية .
- تبق ممارسة الديانة المحمدية حرّة ولن ينال من حرية السكان من جميع الطبقات ولا من ديانتهم وممتلكاتهم وتجارتهم وصناعتهم .
- إن القائد العام يتعهد بشرفه على احترام ذلك (591)

هكذا أثبتت الحملة الفرنسية مدى الضعف الذي آلت إليه الإيالة الجزائرية في هذه الفترة ، وشرع الأهالي في المقاومة بعد أن تأكد لهم سوء نية فرنسا وإخلالها ببنود الاتفاق

---

(590) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص : 174 .

(591) جمال قنان ، المرجع السابق ، ص : 368 .

المبرم بين الداي حسين وقائد الحملة ، لتدخل الجزائر بعدها في عهد جديد خاضع للسيطرة الاستعمارية رغم المساعي الحثيثة من طرف الخلافة العثمانية لاسترجاع الجزائر ولكن دون جدوى فقد باءت جميع مساعيها الدبلوماسية بالفشل .

# خاتمة

بعد دراستنا لموضوع الصراع السياسي و العسكري بين الجزائر و الدول الأروبية في البحر الأبيض المتوسط خلال القرنين 17 و 18م توصلنا إلى عدة نتائج يمكن حصرها و عرضها في النقاط التالية :

- أن البحر الأبيض المتوسط منطقة حضارية بامتياز حيث شكل موقعه نقطة هامة في استراتيجية كل الدول المطلة عليه فهو الرابط بين ثلاث قارات وبين محيطين. وعلى ضفافه دول عظمى لها تاريخ .

- شكل البحر الأبيض المتوسط بؤرة الصراع و مركز التوتر خاصة بين الضفة الشمالية و الضفة الجنوبية ،ولعل أبرز دوافع هذا الصراع :الأهمية الجغرافية و التجارية للمتوسط كونه أهم طريق تجاري عالمي ربط بين أجزاء العالم القديم ،كما شكل أيضا منطقة صراع ديني بين المسيحية و الاسلام حيث لعب الدين دوره في تغيير موازين القوى في هذا الجزء من العالم.

- أن الصراع السياسي و العسكري على البحر الأبيض المتوسط ليس وليد الفترة الحديثة و إنما هو ضارب بجذوره في التاريخ فهو قديم قدم الحضارات التي استوطنت سواحله.

- أن ظهور الدولة العثمانية كقوة لها ثقلها و مركزها بالبحر المتوسط ،قد ساهم فيه عديد العوامل السياسية و الاقتصادية التي شهدتها منطقة الأناضول خاصة ،و أوروبا و باقي بلدان البحر المتوسط عامة.

- أن الدولة العثمانية منذ نشأتها و تأسيسها على يد عثمان بن أرطغرل ، قد اعتمدت على القوة و على السياسة الرشيدة لسلاطينها في توسيع رقعة الدولة متخذين من الإسلام هدفهم المنشود من أجل الدفاع عنه و نشره في الأقاليم الأوروبية ،و تمكنت بعد حوالي قرن و نصف من تأسيسها من أن تصبح قوة إقليمية يحسب لها ألف حساب ،خاصة و أنها وصلت بفتوحاتها إلى الجنوب الاوروبي، و كذا السيطرة الكاملة على البحر الابيض المتوسط و كافة مداخله.

- ظلت منطقة المغرب الاسلامي تتمتع بوحدتها إلى غاية القرن الثالث عشر ميلادي في ظل دولة الموحدين ،وما لبثت إلى أن إنقسمت إلى ثلاثة كيانات سياسية متصارعة ، حيث كانت الامارة الحفصية بتونس ،و الزيانية بالجزائر ،و الإمارة المرينية بالمغرب الأقصى .في حين شهدت إسبانيا تطورات هامة إزاء وحدتها عام 1467م من جراء الزواج السياسي للملك فرديناند و الملكة ايزابيلا، اللذان عملا على تصفية التواجد الإسلامي باسبانيا ،لتتواصل حروبهم و تضم احتلال السواحل الإفريقية كسبتة و مليلية و المرسى الكبير و غيرها .

- كادت إسبانيا أن تثبت أقدامها بسواحل المغرب، إلا أن بروز الإخوة بربروس في البحر المتوسط غير مسار الأحداث ،حيث استحدثوا لأنفسهم أسطولا بحريا و تمكنوا من اتخاذ جزيرة جربه قاعدة بحرية لنشاطاتهم.

- استنجاد الجزائريين بالإخوة بربروس لتخليصهم من بطش الاسبان عن طريق رسالة أوفدوها إلى السلطان سليم الأول ، حيث أثمرت جهود الأخوين على الاستقرار بمدينة الجزائر و ضمها للخلافة العثمانية كنيابة جديدة تابعة لها عام 1518م ، و بظهور هؤلاء الأخوة شهدت منطقة المغرب الإسلامي تطورات متسارعة ، تمخض عنها ميلاد دولة جزائرية فرضت نفسها كقوة جديدة و مؤثرة في تاريخ البحر

المتوسط ، حيث لعبت بذلك دورا هاما في الأحداث العالمية لهذا الحوض البحري طيلة ثلاثة قرون.

- إن الصراع السياسي و العسكري لايالة الجزائر مع القوى الأوروبية يفهم من علاقاتها الخارجية التي تراوحت بين السلم و الحرب فالدول الأوروبية كانت تحافظ على السلم في الوقت التي ترى فيه أنها ضعيفة ،أما إذا استقوت فتعلن الحرب و تنظم الحملات العسكرية.

- كانت فرنسا الدولة الأوروبية الوحيدة التي عرفت نوعا من الخصوصية في علاقاتها الدبلوماسية مع الجزائر و التي تعود إلى 1535م ،وقد اتسمت هذه العلاقة بالسلم و التعاون تارة و الحرب و القطيعة تارة أخرى .إذ تم ابرام العديد من المعاهدات التي فاقت في عددها جميع ما أبرمته الجزائر مع غيرها من الدول.

- عدم احترام فرنسا لنصوص المعاهدات المبرمة بين البلدين حيث كانت السباقة لنقضها ،فبمجرد وجود الفرصة السانحة حتى تسير حملة عسكرية ضد ايالة الجزائر ، و نخص بالذكر الحملة العسكرية التي استهدفت مدينة جيجل عام 1664م،و كذا حملتي دوكين عامي 1682م و 1683م ،و حملة المريشال دوستري عام 1688م، و الهدف المرجو من هذه الحملات هو ضرب قوة الأسطول الجزائري .

- الدور الفعال للأسطول البحري الجزائري في ردع الحملات الخارجية الموجهة ضد الجزائر، حيث واجهت الايالة بمفردها هذه الحملات دون التدخل من الباب العالي أو مساعدة من دول الجوار الذين اكتفوا بالتعبير عن رفضهم لتجاوزات الدول الأوروبية .

- أن العلاقات الجزائرية البريطانية اصطبغت بطابع السلام المشوب بالحذر ،و ذلك من أجل حماية مصالحها الاقتصادية ،حيث بلغ عدد المعاهدات المبرمة بين البلدين إلى ما يقارب 27 معاهدة.

- أن السياسة البريطانية اتجاه الجزائر كانت ترمي إلى نفس الأهداف التي كانت تسعى غريمتها فرنسا لتحقيقها . كما انتهجت بريطانيا نفس الأسلوب الفرنسي في تسيير حملات عسكرية ضد الجزائر إلا أنها أقل عددا من الهجمات الفرنسية.

- اعتراف الجزائر باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية بعدما كانت مستعمرة تخضع للنفوذ البريطاني ، و التي سعت كمثيلتها من الدول إلى إبرام معاهدات سلم و صداقة مع الجزائر من أجل حماية تجارتها في البحر الأبيض المتوسط.

- اتسمت العلاقات الجزائرية الامريكية بطابع الاستقرار إلى غاية 1812 م ،لتتحول بعد ذلك إلى توتر و خاصة بعد انتهاء الحرب الأمريكية البريطانية.

- قررت الولايات المتحدة حل مسألة الجزائر بصفة نهائية ،حيث كانت متأكدة من أنها ستجبر الجزائر على الرضوخ لمطالبها ، بسبب تدهور الأوضاع الداخلية في الجزائر نتيجة للصراع بين الدايات والإنكشارية ، فضلا عن أن الولايات المتحدة حاولت الاستفادة من قرارات مؤتمر فيينا عام 1815 م ، والذي قررت فيه الدول الأوروبية إنهاء الاعتداءات على سفنها في البحر المتوسط.

- أن العلاقات الجزائرية التونسية خضعت لمسألة الحدود مع البلدين و التي أثارتها في غالب الأحيان قبائل الحدود ،و التي انتهت في مجملها إلى تسيير حملات عسكرية برية عاد الانتصار في أغلبها إلى الجيش النظامي الجزائري.

- رفض تونس لمسألة التدخل الجزائري في الشأن الداخلي للبلاد في حين نجد هذ التدخل يكون بطلب من حكام تونس من أجل تثبيت سلطانهم ، أو حين تمتنع تونس من آداء الضريبة المفروضة عليها.

- أن هذه الصراعات الإقليمية بين البلدين قد أثرت سلبا عليهما و التي خلفت خسائر مادية و بشرية معتبرة.

- امتازت العلاقات الجزائرية المغربية بالعداء الشديد في معظم الأحيان نتيجة الخلافات المستمرة بينهما على مشكل الحدود.

- أن هذه العلاقات تخللتها فترات من السلم و التعاون المتبادل خاصة خلال القرن 17م، كما شهدت تجدد الصراع بين الدولتين لينتهي باتخاذ واد التافنة كحد فاصلا بين البلدين.

- أن الأطماع التوسعية لكل من تونس و المغرب على حساب الايالة الجزائرية قد قادتهما للاتفاق على شن هجوم موحد ضد الجزائر إلا أن هذا المخطط باء بالفشل .

- تميزت السياسة الضريبية المجحفة و تسلط الحكام ، إلى ظهور العديد من الفتن و التمردات المناهضة للسلطة كثورة ابن الاحرش و ثورة درقاوة ،و التي كادت ان تعصف بالحكم وكلفت الدولة الكثير لإخمادها .

- الدور الفعال لليهود في تأزم العلاقات الجزائرية الفرنسية و اتخاذ فرنسا من حادثة المروحة كذريعة لتمرير مشروع الاحتلال .

- فرض الحصار البحري على الجزائر بعد رفض الداي الانصياع إلى أوامر فرنسا ،و الذي دام ثلاث سنوات ،و الذي أثر على الاقتصاد الجزائري و كذا على الخزينة الفرنسية لغلاء تكاليف الحصار.

- إن الحملة الفرنسية قد قضت على سيادة الدولة الجزائرية و أثبتت مدى الضعف الذي ألت إليه هذه الايالة، لتدخل الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي عام 1830م.

و في الاخير نقول أن هذه الاستنتاجات التي خلصنا اليها لاتعدوا أن تكون مجرد أراء و نتائج قابلة للمناقشة و النقد و التعديل ، في انتظار دراسات مستقبلية مدعمة بوثائق جديدة .كما نرجو أن نكون قد وفقنا في انجاز عملنا هذا و لو بشكل جزئي .

## ملحق رقم ( 1 )

## صورة للأخوين عروج و خير الدين بربروس [592]

([592]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ، ص ص 132-134 .

ملحق رقم ( 2 )

**مدينة الجزائر في القرن 16 ميلادي** [593]

( [593]) مذكرات خير الدين بربروس ، المصدر السابق ، ص 127 .

ملحق رقم ( 3 )

**الرئيس الأمريكي جورج واشنطن [594]**

( [594]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ، ص : 117.

ملحق رقم ( 4 )

**رسالة مفاوضات بين الولايات الأمريكية و داي الجزائر** [595]

( [595]) وليام شالر ، مذكرات وليام شالر ،ص 321 .

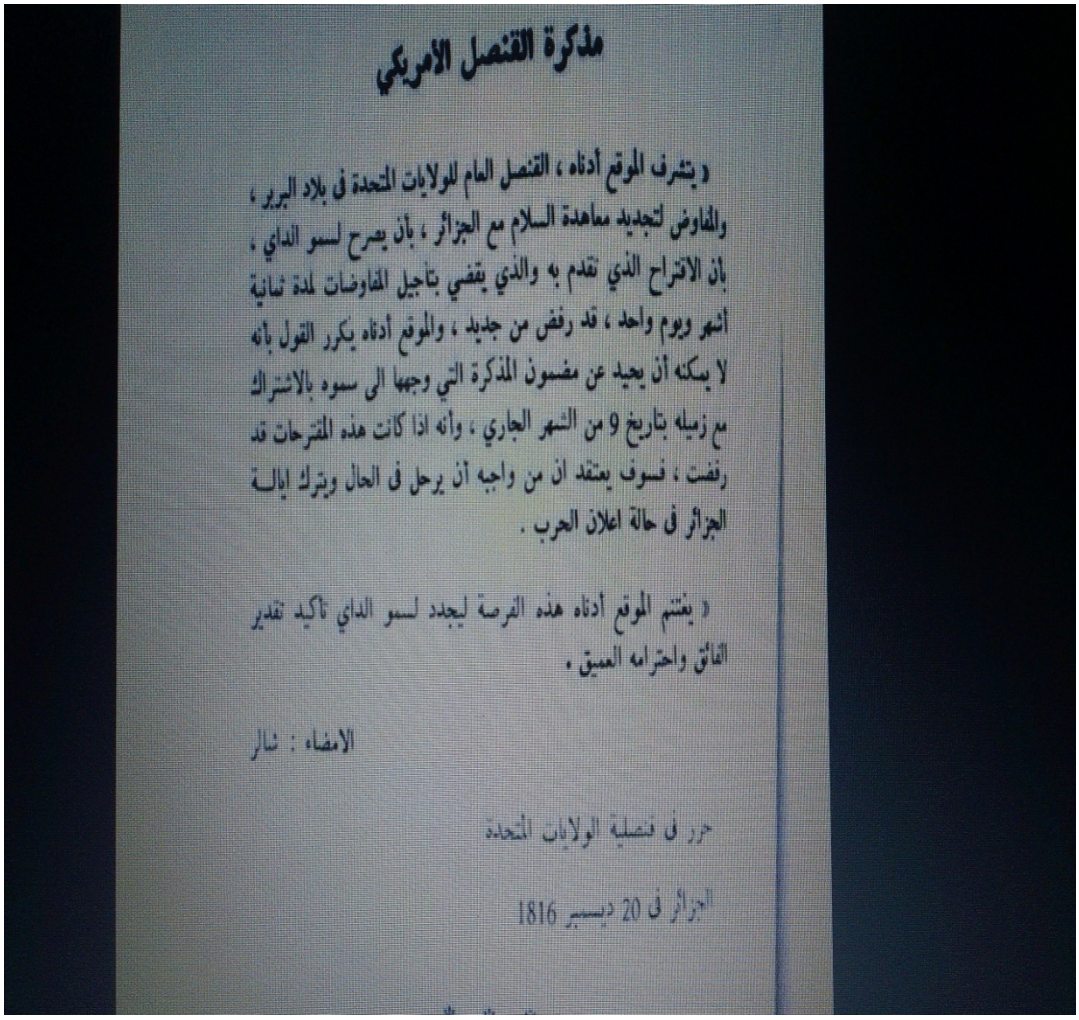

مذكرة القنصل الأمريكي

« يتشرف الموقع أدناه ، القنصل العام للولايات المتحدة فى بلاد البربر ، والمفاوض لتجديد معاهدة السلام مع الجزائر ، بأن يصرح لسمو الداي ، بأن الاقتراح الذي تقدم به والذي يقضي بتأجيل المفاوضات لمدة ثمانية أشهر ويوم واحد ، قد رفض من جديد ، والموقع أدناه يكرر القول بأنه لا يمكنه أن يحيد عن مضمون المذكرة التي وجهها الى سموه بالاشتراك مع زميله بتاريخ 9 من الشهر الجاري ، وأنه اذا كانت هذه المقترحات قد رفضت ، فسوف يعتقد ان من واجبه أن يرحل فى الحال ويترك اياله الجزائر فى حالة اعلان الحرب .

« يغتنم الموقع أدناه هذه الفرصة ليجدد لسمو الداي تأكيد تقدير الفائق واحترامه العميق .

الامضاء : شالر

حرر فى قنصلية الولايات المتحدة

الجزائر فى 20 ديسمبر 1816

ملحق رقم ( 5 )

**معاهدة سلم و صداق بين الولايات الامريكية و الجزائر** **(596)**

( [596]) مذكرات كاثكارت ، المصدر السابق ، ص 259.

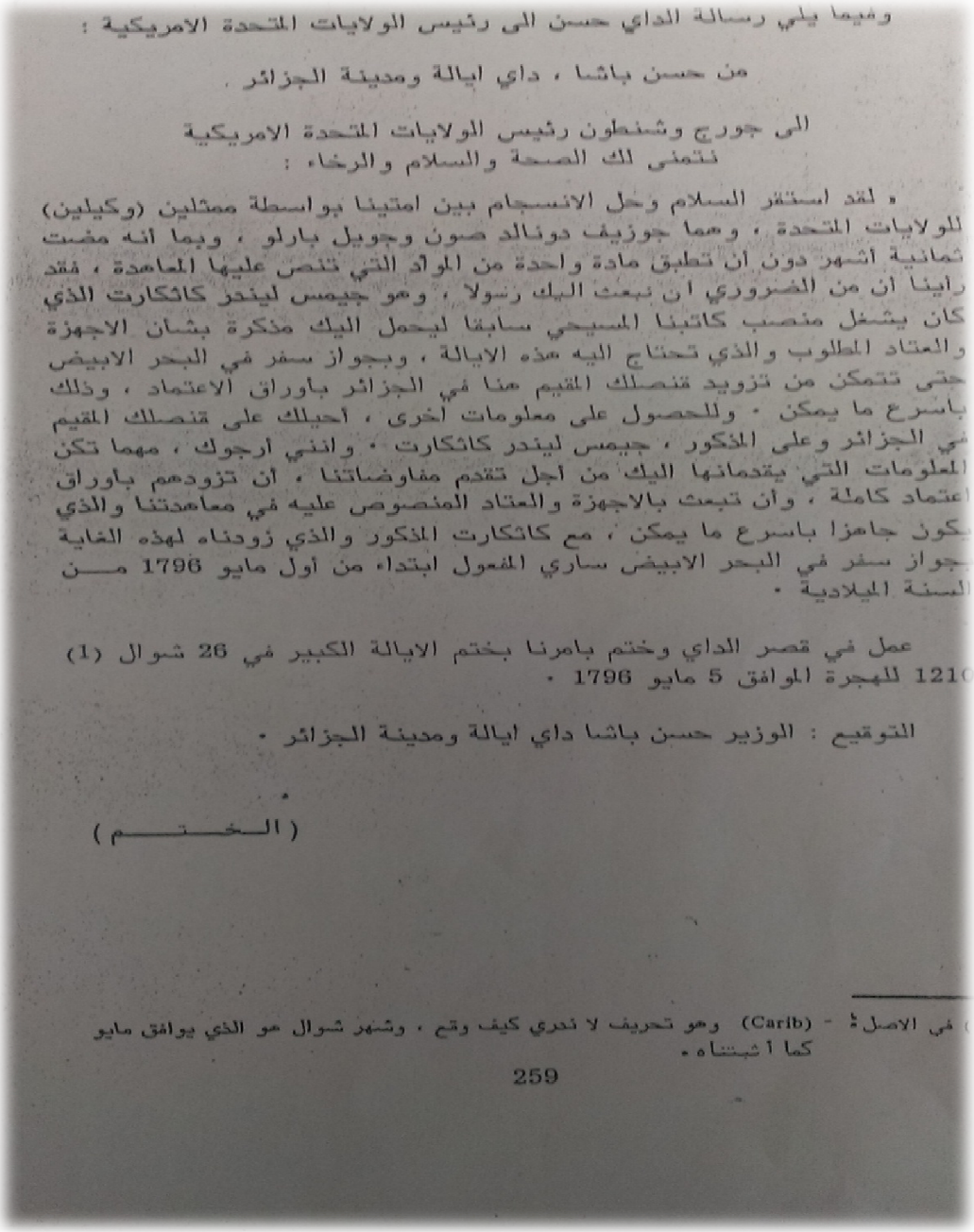

وفيما يلي رسالة الداي حسن الى رئيس الولايات المتحدة الامريكية :

من حسن باشا ، داي ايالة ومدينة الجزائر .

الى جورج وشنطون رئيس الولايات المتحدة الامريكية
نتمنى لك الصحة والسلام والرخاء :

« لقد استقر السلام وحل الانسجام بين امتينا بواسطة ممثلين (وكيلين) للولايات المتحدة ، وهما جوزيف دونالد صون وجويل بارلو ، وبما انه مضت ثمانية أشهر دون أن تطبق مادة واحدة من المواد التي تنص عليها المعاهدة ، فقد رأينا أن من الضروري أن نبعث اليك رسولا ، وهو جيمس ليندر كاثكارت الذي كان يشغل منصب كاتبنا المسيحي سابقا ليحمل اليك مذكرة بشأن الاجهزة والعتاد المطلوب والذي تحتاج اليه هذه الايالة ، وبجواز سفر في البحر الابيض حتى تتمكن من تزويد قنصلك المقيم هنا في الجزائر بأوراق الاعتماد ، وذلك باسرع ما يمكن . وللحصول على معلومات أخرى ، أحيلك على قنصلك المقيم في الجزائر وعلى المذكور ، جيمس ليندر كاثكارت . وانني ارجوك ، مهما تكن المعلومات التي يقدمانها اليك من أجل تقدم مفاوضاتنا ، أن تزودهم بأوراق اعتماد كاملة ، وأن تبعث بالاجهزة والعتاد المنصوص عليه في معاهدتنا والذي يكون جاهزا باسرع ما يمكن ، مع كاثكارت المذكور والذي زودناه لهذه الغاية بجواز سفر في البحر الابيض ساري المفعول ابتداء من أول مايو 1796 من السنة الميلادية .

عمل في قصر الداي وختم بامرنا بختم الايالة الكبير في 26 شوال (1) 1210 للهجرة الموافق 5 مايو 1796 .

التوقيع : الوزير حسن باشا داي ايالة ومدينة الجزائر .

( الختم )

(1) في الاصل : - (Carib) وهو تحريف لا ندري كيف وقع ، وشهر شوال هو الذي يوافق مايو كما أثبتناه .

259

ملحق رقم ( 6 )

**اللورد إيكسماوث [597]**

( [597]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ، ص : 203 .

ملحق رقم ( 7 )

**نص معاهدة الهدنة بين اللورد اكسماوث الانجليزي و الداي عمر باشا [598]**

( [598]) مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية ،ج2 ، المرجع السابق ، ص : 199 .

نص المعاهدة العربي التي عقدت بين عمر باشا والبورد اكسموث .

الحمد لله .

العهد والشروط التي صارت وتمت فيما بين حضرة الجناب العلي عمر باشا متاع (74) ( كذا ) المدينة المجاهدة وبلاد الجزائر وبين حضرة الجناب العلي ادوارد بارون اكسموث كواليز ( كذا ) (75) علامة الصليب الكبير متاع ( كذا ) باشا المنسوب لاعلى الغزو وقبطان باشا على عمارة بيرق الانكلترة الازرق ، وراس حاكم على كل السفاين ( كذا ) والشقوف متاع دولة الانكليز العلية الموجودين في بحر الشرق وهذا اعتبارا وكذلك لعظم المنافع والفائدة التي اشتهرت من طرف حضرة الجناب العلي الامير الفاعل المفوض والوكيل السلطاني متاع دولة الانكلترة العلية في انتها ( كذا ) وعدم اسار (76) ( كذا ) النصارى حضرة الجناب العلي عمر باشا متاع الجزائر علامة لصدق ارادته بدوام صحبته مع دولة الانكليز العلية واشتهارا لودة وعظم اعتباره لطرف دول الاوروبة ( كذا ) قد يشهر ويبين على انه اذا امكنت وظهرت عداوة مع اي دولة كانت من دول الاوروبة لم يكون ( كذا ) احدا من الاسارا معدود تحت العبودية ، ولكن يكونوا مسجونين لاجل العداوة وينظروا لهم بكل حنان بحال اسارات الحرب ، الى ان يكونوا بالبدل كالعادة الجارية في الاوروبة في ذلك الامر ، وبعد انتهاء العداة يرسلوهم الى بلادهم من غير فداء . والعادة الاولى التي كانت تنص على اسارات النصارى متوع الحرب ، انهم يكونوا عبيدا ، فمن اليوم وقدام (77) تلك العادة المذكورة تكون باطلة ومكورة الى الابد وعلى ما دام والحق سبحانه وتعالى عالم وشاهد بذلك وهو خير الشاهدين .

هذا العهد قد تحرر ( كذا ) نسختين في المدينة المجاهدة محروسي بلاد الجزائر يوم الاثنين المبارك يوم رابع من شهر شوال سنة 1231 من الهجرة

ملحق رقم ( 8 )

## بروتوكول إيكس لاشابيل [599]

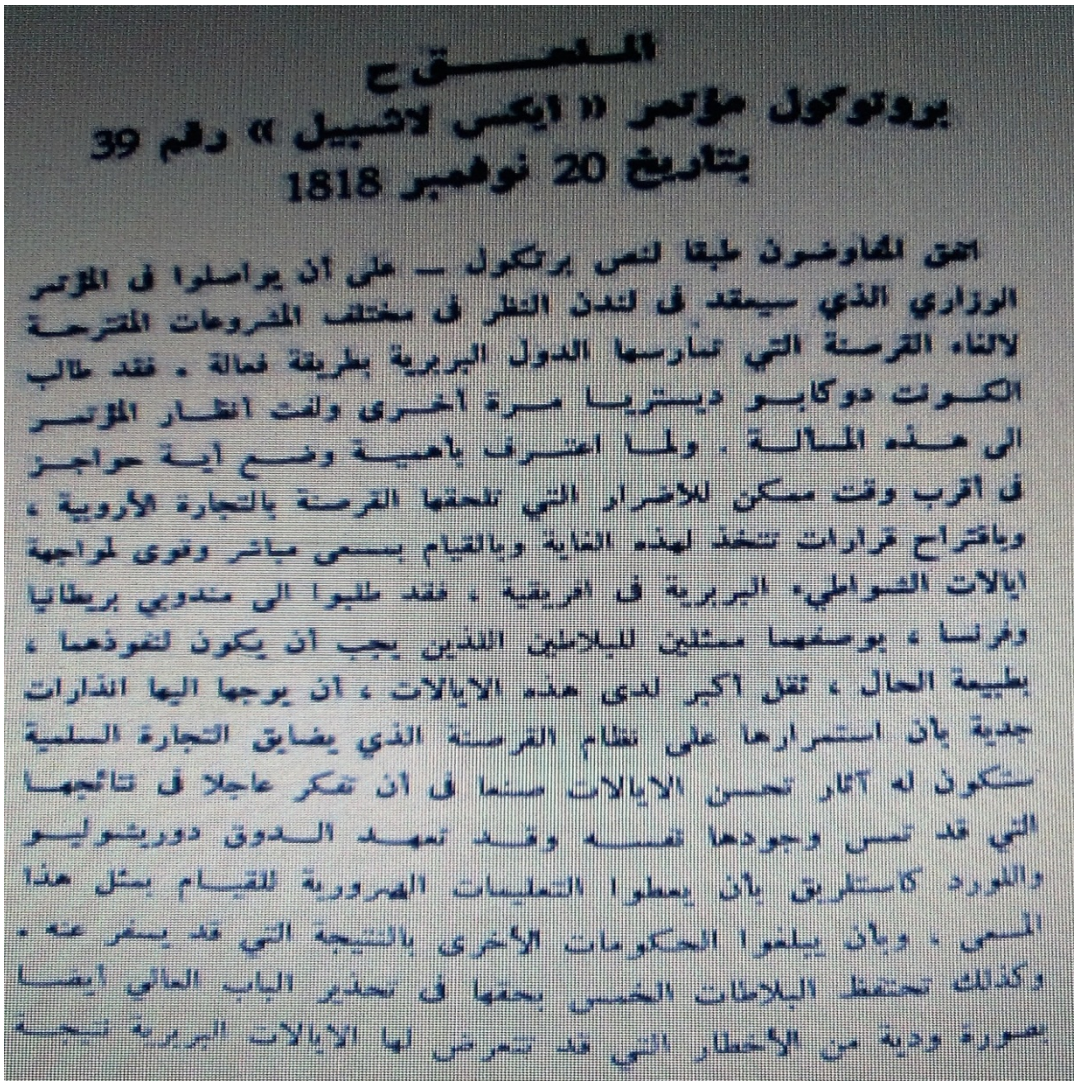

المحضر

بروتوكول مؤتمر « ايكس لاشبيل » رقم 39
بتاريخ 20 نوفمبر 1818

اتفق المفاوضون طبقا لنص بروتكول ــ على أن يواصلوا فى المؤتمر الوزاري الذي سيعقد فى لندن النظر فى مختلف المشروعات المقترحة لالغاء القرصنة التي تمارسها الدول البربرية بطريقة فعالة . فقد طالب الكونت دوكابو ديستريا مرة أخرى ولفت انظار المؤتمر الى هذه المسألة . ولما اعترف باهمية وضع اية حواجز فى أقرب وقت ممكن للاضرار التي تلحقها القرصنة بالتجارة الأوربية ، وباقتراح قرارات تتخذ لهذه الغاية وبالقيام بسعي مباشر وقوى لمواجهة ايالات الشواطيء البربرية فى افريقية ، فقد طلبوا الى مندوبي بريطانيا وفرنسا ، بوصفهما مستلين للبلاطين اللذين يجب أن يكون لتفوذهما ، بطبيعة الحال ، ثقل أكبر لدى هذه الايالات ، أن يوجها اليها انذارات جدية بأن استمرارها على نظام القرصنة الذي يضايق التجارة السلمية ستكون له آثار تحسن الايالات صنعا فى أن تفكر عاجلا فى نتائجها التي قد تمس وجودها نفسه وقد تعهد الدوق دوريشوليو واللورد كاستلريق بأن يعطوا التعليمات الضرورية للقيام بمثل هذا المسعى ، وبأن يبلغوا الحكومات الأخرى بالنتيجة التي قد يسفر عنه . وكذلك تحتفظ البلاطات الخمس بحقها فى تحذير الباب العالي أيضا بصورة ودية من الأخطار التي قد تتعرض لها الايالات البربرية نتيجة

( [599]) وليام شالر ، مذكرات وليام شالر ، ص : 323 .

ملحق رقم ( 9 )

## نص معاهدة بين اللورد اكسماوث و الداي [600]

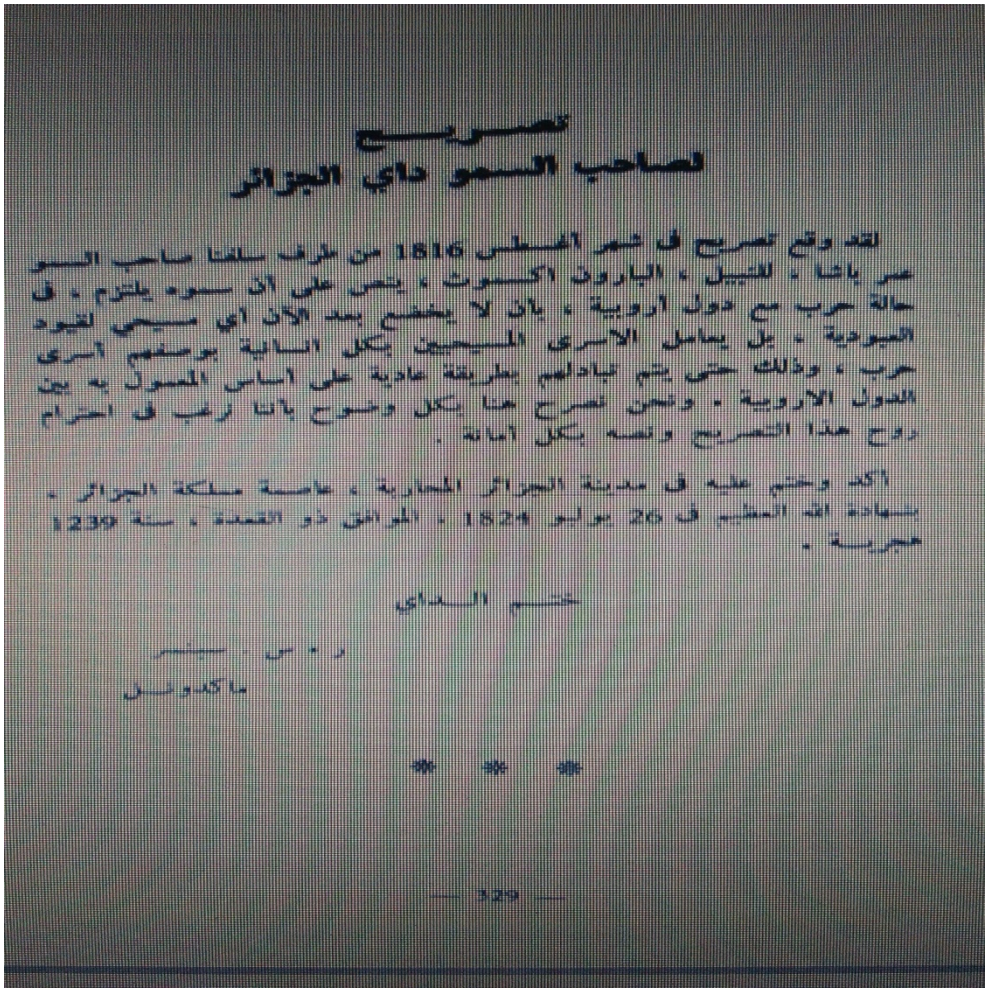

تصريح
لصاحب السمو داي الجزائر

لقد وقع تصريح في شهر افريل 1816 من طرف سلفنا صاحب السمو عمر باشا ، للنبيل ، البارون اكسموث ، ينص على أن سموه يلتزم ، في حالة حرب مع دول أوروبية ، بأن لا يخضع بعد الآن أي مسيحي لقيود العبودية ، بل يعامل الأسرى المسيحيين بكل انسانية بوصفهم أسرى حرب ، وذلك حتى يتم تبادلهم بطريقة عادية على أساس المعمول به بين الدول الاوروبية . ونحن نصرح هنا بكل وضوح بأننا نرغب في احترام روح هذا التصريح ونصه بكل أمانة .

أكد وختم عليه في مدينة الجزائر المحاربة ، عاصمة مملكة الجزائر ، بسعادة الله العظيم في 26 يوليو 1824 ، الموافق ذو القعدة ، سنة 1239 هجرية .

ختم الداي

ر . س
ماكدونل

* * *

— 329 —

---

([600]) وليام شالر ، مذكرات وليام شالر ، ص : 329.

## فهرس المصادر و المراجع:

**القرأن الكريم :** برواية ورش عن نافع.

**أ. المصادر :**


1. ابن المفتي حسين بن رجب شاوش ،تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر و علمائها،جمع و اعتناء :فارس كعوان،ط:1، بيت الحكمة،الجزائر ،2008
2. ابن حوقل أبي القاسم ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1972 م.
3. ابن خلدون عبد الرحمان ، المقدمة ، ج1 ، مر : سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 2001 م.
4. ابن سحنون أحمد بن علي الراشدي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تح : المهدي بو عبدلي ، الجزائر ، 1983 م.
5. آصاف حمزة عزتلو يوسف بك ، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الان ، تق : محمد زينهم محمد عزب ، ط : 1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1995 م.

6. الأفراني محمد الصغير بن الحاج ، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، تح : هوداس ،مطبعة أرنست لوروا ، باريس ،1889 .

7. بن أبي الضياف أحمد ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، ج2 ، لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار ، المكتبة التاريخية ، تونس ، 1963 م.

8. بن الوردي سراج الدين أبي حفص عمر ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب الجامع لما هو لطرف الدهر حور ولجيد الزمان.

9. بن عمر عماد الدين إسماعيل بن محمد المعروف بأبي الفداء صاحب حماه ، تقويم البلدان ، تص : رينود . ماك كوكسن ديسلان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1815 م .

10. التلمساني محمد بن رقية ، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة ، منشور ضمن مجلة التاريخ وحضارة المغرب ، 1967 م.

11. الجزائري محمد بن ميمون ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تق : محمد بن عبد الكريم ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 م.

12. حليم إبراهيم بك ، تاريخ الدولة العثمانية العلية المعروف بكتاب ( التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ) ، ط : 1 ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، 1988 م.

13. الحميري أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ، صفة جزيرة الأندلس ، منتخبة من كتاب الروض المعطار في أخبار الأقطار ، تع : ليفي بروفنسال ، ط2 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1988 م.

14. خوجة حسين ، ذيل بشائر أهل الإيمان بمقطوفات آل عثمان ، تر : طاهر العموري ، الدار العربية للكتاب.

15. خوجة حمدان بن عثمان ، المرآة ، تقديم وتعريب وتحقيق : محمد العربي الزبيري ، منشورات anep ، الجزائر ، 2005.

16. الراشدي ابن سحنون أحمد بن علي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تح : المهدي بو عبدلي ، الجزائر ، 1983 م.

17. الرباطي أحمد بن محمد بن عبد السلام ،تاريخ الضعيف الرباطي ، تح: محمد البوزيدي ،ج1 ، ط : 2، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء ،2007.

18. الزهري ابي عبد الله محمد بن ابي بكر ، الجغرافية وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة ومافي كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوي على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراسخ ، تر : محمد حاج صادق ، مطبعة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، مصر .

19. السليماني أبو عبد الله الأعرج ، تاريخ الجزائر من قيام الدولة الفاطمية ونهاية ثورة الأمير عبدالقادر نقلا عن كتاب الشماريخ ، تح : حساني مختار ، المكتبة الوطنية.

20. شالر وليام ، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا بالجزائر ( 1816 _ 1824 ) ، تع :اسماعيل العربي ، سلسلة الدراسات الكبرى ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1980 م.

21. العنتري محمد صالح ، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها ( تاريخ قسنطينة ) ، تع : يحي بوعزيز ، دار هومة الجزائر ، 2007.

22. كاثكارت جيمس لندر ، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا بالمغرب ، تر: إسماعيل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982.

23. لويس أرشيبالد . ر ، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ( 500 ه / 1100 م ) ، تح : أحمد محمد عيسى ، مر : محمد شفيق غربال ، مؤسسة فرانكلين للطباعة ، القاهرة .

24. مجهول ، مذكرات خير الدين بربروس ، تر: محمد دراج ، ط:1 ، شركة الاصالة للنشر ، الجزائر ، 2010.

25. المزاري بن عودة ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر ، تح : يحي بوعزيز ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1990 م.

26. المشرفي عبد القادر ، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر ، تق : محمد بن عبد الكريم ، مكتبة الحياة ، بيروت.

27. المغربي أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، تر : اسماعيل العربي ، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982م.

28. الناصري أبو الراس الجزائري ، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار،تح:بوركبة محمد ،ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ،2012.

29. الناصري أبي العباس أحمد بن خالد ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ،تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج6، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955 .

30. النصيبي ابن حوقل ابي القاسم ، صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1992.

31. الوجار محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الأفراني النجار المراكشي ، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، تح : هوداس ، مطبعة آنجي ، 1988 م.

32. الوزان حسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الافريقي ، وصف إفريقيا ، تر:محمد حجي، محمد الاخضر،ج2 ،ط:2 ،دار الغرب الاسلامي، بيروت ، لبنان،1983.

**ب.المراجع**

1. أباظة فاروق عثمان ، أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر و عالم البحر المتوسط أثناء القرن 16، دار المعارف، ط2، القاهرة.

2. أبو عيانة فتحي أحمد ، الجغرافيا الاقتصادية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1984 م.

3. التازي عبد الهادي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم.

4. ألتر عزيز سامح ، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا ،تر: محمود علي عامر، ط:1،دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان،1989.

5. آيدين محمد عاكف ، كمال بكديلي وآخرون ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، مج 1 ( الدولة والمجتمع والاقتصاد ) ،ت: صالح سعداوي، تق : أكمل الدين إحسان أوغلي ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، إسطنبول ، 1929 م.

6. اينالجيك خليل ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ، ت: محمد . م. الأرناؤوط ، ط : 1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2002 م.

**7.** باربارو نيقولو ، الفتح الإسلامي للقسطنطينية ( يوميات الحصار العثماني سنة 1453 م ) ، ت : حاتم عبدالرحمان الطحاوي ، ط : 1 ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة .

**8.** بايات فاضل ، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني ( رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية ) ، ط : 1 ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2003 م.

**9.** براون جفري ، تاريخ أروبا الحديث ، تر: علي المزروقي ، ، الاهلية للنشر و التوزيع ، عمان.

**10.**بن أشنهو عبد الحميد بن أبي زيان ، دخول الأتراك العثمانين إلى الجزائر ، دط ، الجزائر ، 1972.

**11.** بنحادة عبد الرحيم ، العثمانيون ( المؤسسات والاقتصاد والثقافة ) ، تق : عبد الرحمان المودن ، ط : 1 ، دار النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 2008.

**12.**بوحوش عمار ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962 م ، ط :2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2005 م .

**13.**بوعزيز يحي ، الموجز في تاريخ الجزائر ( العصور الحديثة ) ، ج2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007 م.

**14.**بوعزيز يحي ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا ( 1500 _ 1830 م ) ويليه المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد ( 1780 _ 1798 ) ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009 م .

**15.**بيضون جميل و الناظور شحادة و عكاشة علي ، تاريخ العرب الحديث ، ط1 ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الأردن.

**16.**بيضون جميل و شحادة الناظور وعلي عكاشة ، تاريخ العرب الحديث ، ط1 ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الأردن.

**17.**جاويش سليمان بن خليل بن بطرس ، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية ، ط 1 ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1987 م .

**18.**الجمل شوقي عطا الله ، المغرب العربي الكبير ( تونس _ الجزائر _ المغرب ) ، ط : 1 ، المكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1977.

**19.**الجمل شوقي عطا الله و ابراهيم عبد الله عبد الرزاق ، أوروبا من عصر النهضة إلى الحرب الباردة ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، 2000م.

**20.**جود جودة حسين و هارون علي أحمد ، جغرافية الدول الإسلامية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1993 م.

**21.**الجوهري يسرى ، جغرافية البحر المتوسط ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1984 م.

**22.**الجوهري يسرى عبد الرزاق ، الكشوف الجغرافية ( دراسة لتاريخ الكشوف الجغرافية ولتطور الفكر الجغرافي ) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1984 م.

**23.**الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام ،ج 3 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2010 .

**24.**الجيلالي عبد الرحمان بن محمد ، تاريخ الجزائر العام ، ج 4 ، دار الأمة ، الجزائر.

**25.**حركات إبراهيم ، المغرب عبر التاريخ ( عرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ماقبل الإسلام إلى العصر الحاضر من نشأة الدولة العلوية إلى إقرار الحماية ) ج3 ، ط2 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1994 م.

**26.**حسن محمد إبراهيم ، دراسات في جغرافية أوروبا وحوض البحر المتوسط ، مركز الاسكندرية للكتاب ، القاهرة ، 1999 م.

**27.**حسين نمير طه ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، ط : 1 ، دار الفكر ، المملكة الأردنية الهاشمية ، عمان ، 2010 .

**28.**الحليمي علي عبد القادر ، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830 م ، ط :1 ، المطبعة العربية ، دار الفكر الإسلامي ، الجزائر ، 1972 م .

**29.**حنفي هلايلي ، العلاقات الجزائرية الاروبية و نهاية الايالة ( 1815- 1830 ) ، ط1 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2007.

**30.**الحويري محمود محمد ، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى ، ط : 1 ، المكتب المصري للتوزيع ، القاهرة .

**31.**الخراشي سليمان بن صالح ، كيف سقطت الدولة العثمانية ، ط : 1 ، دار القسم ، الرياض السعودية ، 1420 ه .

**32.**الدغيم محمود السيد ، أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية ( الحضارة الإسلامية وعالم البحار ) ، منشورات إتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، 1994 م .

**33.**دوكريه فرانسوا ، قرطاجة الحضارة والتاريخ ، تر : يوسف شلب الشام ، مكتبة الأسد ، دار طلاس ، دمشق ، 1994 م.

**34.**راي أروين ، تاريخ العلاقات الدبلوماسية الأمريكية المغربية ، تر : اسماعيل العربي، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.

**35.**رفعت بك محمد ، التيارات السياسية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ملتزمة الطبع للنشر ، لجنة البيان العربي .

**36.**رمضان عبد العظيم ، تاريخ أوروبا و العالم الحديث من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة ،ج 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

**37.**ريمون أندريه ، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني ، تر : لطيف فرج ، ط : 1 ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1991 م.

**38.**الزبيري محمد العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابين ( 1792 – 1830 ) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1972 م.

**39.**الزوكة محمد خميس ، قارات العالم القديم ( دراسة في الجغرافيا الإقليمية ) ، ط1 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2008 م.

**40.** سبنسر وليام ، الجزائر في عهد رياس البحر، تع و تق : عبد القادر زبادية ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ، 1980.

**41.**سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ( 1500 – 1830 ) ، ج1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1998 م .

**42.**سعد الله أبو القاسم ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ( بداية الإحتلال ) ، ط3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 م.

**43.**سعد الله أبو قاسم ، أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر ،ج1، دار البصائر ، الجزائر ، 2007

**44.**سعيدوني ناصر الدين ، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ويليه ولايات المغرب العثمانية ( الجزائر تونس طرابلس المغرب ) ، ط2 ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013

**45.**سعيدوني ناصر الدين ، ورقات جزائرية ( دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ) ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2000 م.

**46.**الشريف محمد الهادي ، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال تع : محمد شاوش ، محمد عجينة ، ط3 ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993 م.

**47.**شريف محمد شريف ، جغرافية البحار والمحيطات ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1964 م.

**48.**شوفالييه كورين ، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر ( 1510 _ 1541 م ) ، تر : جمال حمادنة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007 م.

**49.**صبري محمد ، تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلي اليوم ، ط1 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1926 م.

**50.**الصلابي علي محمد محمد ، الدولة العثمانية ( عوامل النهوظ وأسباب السقوط ) ، ط : 1 ، دار التوزيع النشر الإسلامية ، مصر ، 2001 م.

**51.**طقوش سهيل محمد ، العثمانيون من قيام الدولة إلى الخلافة ( 1299 _ 1924 م ) ، ط1 ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، 1915.

**52.**عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي ( 1517 _ 1830 م ) ، ط 2 ، دار هومة ، الجزائر ، 2007 م.

**53.**عبد العزيز زينب ، مائتا عام على حملة المنافقين الفرنسين ، كومبيوتر ستار ، مصر ، 1988 م .

**54.**عبد القادر نور الدين ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر منذ أقدم العصور إلى إنتهاء العهد التركي ، نشر كلية الأدب الجزائرية ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1985 م.

**55.**عبده طلعت أحمد محمد ، جاد الله حوري محمد حسين ، جغرافية البحار والمحيطات ، ط2 ، دار المعرفة الجامعية .

**56.**عزت أحمد عبد الكريم ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت

**57.**العسيلي بسام ،خير الدين بربروس و الجهاد في البحر، ط:1، دار النفائس ،بيروت،1980.

**58.**عطا زبيدة ، بلاد الترك في العصور الوسطى ( بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون ) ، دار الفكر العربي ، الكويت .

**59.**عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ اروبا الحديث ومعاصر1815-1919 ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ،2000.

**60.**عمورة عمار ، موجز في تاريخ الجزائر ، ط1 ، دار الريحانة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2002 م.

**61.**العيسوي فايز محمد ، الجغرافيا السياسية المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2011 م.

**62.**غطاس عائشة وآخرون ، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 م ، سلسلة المشاريع الوطنية ، الجزائر ، 2007 م.

**63.**غلاب محمد السيد ، الساحل الفينيقي في الجغرافيا والتاريخ ، ط1 ، دار العلم للملاين ، بيروت ، لبنان ، 1969 م.

**64.**فريجريف جيمس ، الجغرافيا والسيادة العالمية ، تع : علي رفاعة الأنصاري ، مر : محمد عبد المنعم الشرقاوي ، مكتبة النهضة المصرية ، 1956 م .

**65.**فكاير عبد القادر ،الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية و أثاره (910-1206ه /1505-1792م )، دار هومه ، الجزائر ، 2012م .

**66.**الفليج أحمد عبدالله ، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية ، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر ، الكويت ، 1984 م.

**67.**الفندي جمال ، الجغرافيا عند المسلمين ، تر : إبراهيم خورشيد و عبد الحميد يونس وحسن عثمان ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 م.

**68.**الفيلالي عبد الكريم ، التاريخ السياسي المغرب العربي الكبير ،ج4 ، ط: 1، شركة الناس للطباعة،القاهرة ،2006 .

**69.**الفيلالي عبد الكريم ، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير ، ج5 ، ط1 ، شركة فاس للطباعة ، القاهرة ، 2006 م .

**70.**قايد عمر ، محاضرات في تاريخ الجزائر المعاصر ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، 2014 / 2015 م .

**71.**قنان جمال ، معاهدات الجزائر مع فرنسا ( 1619 _ 1830 ) ، دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2010 .

**72.**قنان جمال ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث ( 1500 – 1830 م ) ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، 2010 م.

**73.**القوزي محمد علي ، العلاقات الدولية في التاريخ الحديث و المعاصر ، دار النهضة الحديثة ، ط1 ، 2002 ، بيروت.

**74.**الكعاك عثمان ، موجز التاريخ العام للجزائر ، ( من العصر الحجري إلى الإحتلال الفرنسي ) ، تق و مر : أبو القاسم سعد الله ، ناصر الدين سعيدوني ، محمد البشير الشنيتي ، إبراهيم بحاز ، ط 1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 2003 م.

**75.**لويس برنارد ، اسطنبول وحضارة الخلافة الإسلامية ، تع : سيد رضوان علي ، ط : 2 ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، السعودية ، 1982 م .

**76.**مانتران روبير ، الدولة العثمانية ، تر : بشير السباعي ، ج : 1 ، ط : 1 ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1993 م.

**77.**ماهر ساعد ، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، الجيزة ، مصر ، 1967 م .

**78.**المحامي محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العثمانية العلية ، تح : إحسان حقي ، ط : 1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1981 م.

**79.**محمد امين محمد و الرحماني محمد علي ، المفيد في تاريخ المغرب ، دار الكتاب.

**80.**محمود علي عامر ومحمد خير فارس ، تاريخ المغرب العربي الحديث « المغرب الأقصى - ليبية » ، حقوق التأليف منشورات لجامعة دمشق، 1999.

**81.**المدني أحمد التوفيق ، هذه هي الجزائر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 2002 م.

**82.**المدني أحمد توفيق ، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر و إسبانيا ،ط :1، دار البصائر ،الجزائر

**83.**مصطفى أحمد عبد الرحيم ، أصول التاريخ العثماني ، ط : 1 ، دار الشروق ، مصر ، 1982 م.

**84.** الميلي مبارك بن محمد الهلالي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج 3 ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر.

**85.**نآيت بلقاسم مولود قاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830 م ، ج2 ، ط2 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2007 م.

**86.**نصار مدوح و وهبان احمد ، التاريخ الدبلوماسي العلاقات السياسية بين القوى الكبرى.

**87.**نوار عبدالعزيز سليمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة.

**88.**الترمانيني عبد السلام ، أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين ،ج 4،ط : 1 ،1997.

**89.**هاشم هشام سوادي ، تاريخ العرب الحديث ( 1516 _ 1918 م ) من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ط 1 ، دار الفكر المملكة الأردنية ، عمان ، 2010 م.

**90.**هريدي محمد عبد اللطيف ، الحروب العثمانية الفارسية و أثرها في انحصار المد الإسلامي عن أوروبا ، ط : 1 ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1987 م.

**91.**هلال عمار ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصر ( 1830 – 1966 م ) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995 م

**92.**الوذيناني خلف بن ديلان بن خضر ، الفتح العثماني لجزيرة رودس ( 929 ه _ 1523 م ) ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، السعودية ، 1997 م

**93.**وولف ب. جون ، الجزائر وأوروبا ( 1500 – 1830 م ) ، تر : أبو القاسم سعد الله ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2009 م

**94.**الياغي إسماعيل أحمد ، العالم العربي في التاريخ الحديث ، ط : 1 ، المكتبة العربية ، الرياض ، 1997 م

**95.**الياغي اسماعيل أحمد و شاعر محمود ، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ( قارة إفريقيا ) ، ج2 ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، 1993 م.

**96.**يحي جلال ، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، 1983م.

**ج . الرسائل و الأطروحات :**

**1.** برد رتيبة ، الحوار المتوسطي من برشلونة إلى منتدى 5+5 ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية ، جامعة الجزائر ، 2009 / 2010 م .

2. بن خروف عمار ، العلاقات بين الجزائر والمغرب ( 923 _ 1069 ه / 1517 _ 1659 م ) ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق ، 1983 م.
3. بن سعيدان محمد ، علاقات الجزائر مع فرنسا ( 1070 _ 1170 ه / 1659 _ 1756 م ) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2011 م / 2012 .
4. التميمي عبد الجليل ، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519 م ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 6 ، تونس ، جويلية 1976 م.
5. حصام صورية ،العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة وهران ، 2012 – 2013 م
6. حمزة فائقة محمد ، أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 1989 م.
7. خرنف مبروكة ، العلاقات التونسية الفرنسية سياسيا – تجاريا خلال القرن 17 ( 1605 – 1705 م) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2011 – 2012 م.
8. دهان بركاهم ، دور القناصل الفلرنسين في العلاقات الجزائرية الفرنسية ( 1689 م _ 1789 م ) ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2012 م.

**9.** صغيري سفيان ، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر ( 1671 – 1830 م ) ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة 2011 / 2012 م.

**10.** العايب كوثر ، العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات ( 1711 – 1830 ) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الوادي ، 2013 – 2014 م.

**11.** عطلى محمد الأمين ، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 11 ، 2012 .

**12.** مريخي رشيد ، الجزائر في عهد الداي مصطفى باشا ( 1212 – 1220 ه / 1798 – 1805 م ) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة الجزائر ، 2010 – 2011 م.

**13.** نواصر عبد الرحمان ، مسألة الديون الجزائرية على فرنسا وانعكساتها على العلاقات البلدين في أواخر عهد الدايات ، مذكرة للنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، 2010 – 2011 م.

**د. الموسوعات :**

**1.** الجميعي عبد المنعم إبراهيم ، الدولة العثمانية والمغرب ، موسوعة الثقافة التاريخية و الأثرية والحضارية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2006 م.

**2.** الزيدي مفيد ، موسوعة التاريخ الإسلامي " العصر العثماني " ( 1516 م _ 1916 م ) ، دار أسامة للنشر ، عمان ، 2003 م.

3. عيد عاطف ، قصة وتاريخ الحضارات العربية ( أول موسوعة حديثة تعالج نشأة البلدان العربية وأحداثها حتى أيامنا هذه ) ج 21 – 22 ، 1998 - 1999 م.

4. ش . بدران ، أطلس دول العالم الكبير ،بيروت ،لبنان ،1999.

**ه. المجلات :**

1. بن القايد عمر ، أضواء على علاقة الجزائر بالمغرب الأقصى ، مجلة الواحة للبحوث و الدراسات ، جامعة غرداية ، العدد17، 2012.

2. بوشنافي محمد ، الداي حسين و سقوط الايالة الجزائرية ( 1818-1830 )، مجلة العصور ، العدد 6-7.

3. جبور محمد ، البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني ، مجلة العصور ، العدد 12-15-14/13،جامعة وهران ، 2008 -2009.

4. زهرة زكية ، الاميرال سدناي سميث و التحالف الاروبي المسيحي ضد الجزائر عام 1814م ، مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة الجزائر، 2، العدد 15 – 16 ،2012 / 2013م.

5. العربي اسماعيل ،المعاهدات الجزائرية الأمريكية، مجلة الثقافة،الجزائر،السنة السابعة العدد40،اوت –سبتمبر1977.

**و. المراجع باللغة الاجنبية :**

- . Grammont (H.D) :Histoire d’Alger sous la domination turque (1515-1830), Ernest Leroux ,paris, 1887.

- Devoulx (A): Tachrifat , Recueil d notes histiorique sur l'administration de l' ancienne régence d'Alger , Alger, 1852.

- Don Diego de Haedo , topographie,et histoire générale d’alger , traduit a léspagnol par monnereau et berbrugger, 1870.

-Ferdinand Broudel , - la mediterané et le mond méditeranien a l’époyue de phlipe tom : 02 , paris , 1976.

- Jean alengry,les relations franco-espagnoles et l 'affaire du maroc,la vie universitaire,paris.

# فهرس

**مقدمة** ..... **( أ – ز)**

**فصل تمهيدي :** الأهمية التاريخية والحضارية والاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط (10-25**)**

الأهمية التاريخية والحضارية للبحر الأبيض المتوسط ..... 16
الأهمية الاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط ..... 21

**الفصل الأول :** الأتراك العثمانيون و البحر الأبيض المتوسط ..... ( 27 – 71)

**المبحث الأول :** الدولة العثمانية كقوة ناشئة في البحر المتوسط ..... 27

**المبحث الثاني :** الإخـــــــوة بربروس
..... 42

العثمانيون في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ..... 49

**المبحث الثالث :** التحاق الجزائر بالخلافة العثمانية ..... 52

1. الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية ..... 55
2. الاستنجاد بالأخوين بربروس وإعلان التبعية للخلافة العثمانية ..... 61
3. رسالة الأهالي إلى السلطان سليم الأول وإعلان التبعية ..... 67

**الفصل الثاني :** العلاقات الخارجية لايالة الجزائـــــــــــــر ..... ( 73 – 124 )

**المبحث الأول :** العلاقات الجزائرية الفرنسية ..... 75

1. مظاهر تأزم العلاقات الجزائرية الفرنسية ..... 82

2. الحملات الفرنسية ضد الجزائر ..... 82
**أ.** حملة دي بوفورت على جيجل ( 1074 ه / 1664 م ) ..... 82
**ب.** حملة دوكين الأولى والثانية ..... 86
**ج.** حملة الماريشال ديستري " رجب 1100 ه / 26 جويلية 1688 " م ..... 89

**المبحث الثاني :** العلاقات الجزائرية الإنجليزية ..... 91
**المبحث الثالث :** العلاقات الجزائرية الأمريكية ..... 100
**المبحث الرابع :** العلاقات الجزائرية المغاربية ..... 108
**أ.** مع تونس : إنظمام تونس للخلافة العثمانية ..... 108
**ب.** العلاقات السياسية بين إيالتي الجزائر وتونس ..... 111
**ج.** مع المغرب ..... 117

**الفصل الثالث** تداعيات وانعكاسات الصراع السياسي والعسكري على الجزائر ( 126 – 171 )

**المبحث الأول :** ظهور الفتن والأزمات الداخلية ..... 126
**1.** ثورة ابن الأحرش في شرق البلاد ..... 126

**2.** ثورة درقاوة في الغرب الجزائري ..... 132

**المبحث الثاني :** المؤتمرات الأوروبية والقضية الجزائرية ..... 137

**1.** مؤتمر فيينا ..... 137

**أ.** مسار المؤتمر ..... 141

**ب.**تقييم المؤتمر ..... 142

**2.** مؤتمر اكس لاشابيل ..... 143

**3.** مؤتمر تروباو ..... 145

**المبحث الثالث :** الحملات الأوروبية على الجزائر مطلع القرن 19 م وانعكساتها ..... 149

- حملة اللورد اكسماوث ..... 149

**المبحث الرابع :** الحصار الفرنسي والحملة على الجزائر ( 1827 – 1830 م ) ..... 157

- فرض الحصار ..... 162
- الحملة الفرنسية على الجزائر ..... 164

**خاتمة** ..... 172

**ملاحق**

صورة للأخوين عروج و خير الدين بربروس .....
178
مدينة الجزائر في القرن 16 ميلادي .....
179
الرئيس الأمريكي جورج واشنطن .....
180
رسالة مفاوضات بين الولايات الأمريكية و داي الجزائر .....
181
معاهدة سلم و صداق بين الولايات الامريكية و الجزائر .....
182
اللورد إيكسماوث .....
183
نص معاهدة الهدنة بين اللورد اكسماوث الانجليزي و الداي عمر باشا .....
184
بروتوكول إيكس لاشابيل .....
185
نص معاهدة بين اللورد اكسماوث و الداي .....
186
قائمة المصادر والمراجع
**188**.....
الفهرسة العامة
207.....